ثورة يوليو الأمريكية

علاقة عبد الناصر بالمخابرات الأمريكية

محمد جلال كشك

الزهراء للإعلام العربي

بسم الله الرحمن الرحيم

الزهراء للإعلام العربى
قســـم النشــر

ص. ب : ١٠٢ مدينة نصر – القاهرة – تلغرافياً : زاهرانيف – تليفون ٦٠١٩٨٨ – ٢٦١١١٠٦ – تلكس ٩٤٠٢١ رائف يوان
P .O : 102 Madinat Nasr - Cairo - Cable : Zahratif - Tel : 601988 - 2611106 - Telex : 94021 Raef U . N

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله
وعمل صالحا وقال إننى من المسلمين ﴾

صدق الله العظيم
فصلت / ٣٣

الطبعة الثانية

١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م

إلى القردة الذين عبدوا الشيطان ...

. . وقيل إن طائرا أبصر بعض القردة ، في ليلة باردة ، غاب قمرها ، يلتمسون ناراً من يراعة (وهي ذبابة مضيئة) فراح يصيح بهم : لا تطلبوا المستحيل ، ولا تسألوا فاقد الشيء أن يعطيه . . وهم لا يصغون إليه . ومر به ناسك فقال له : لا تبح صوتك في نصح من لا ينتصح ، بل من يكرهون ناصحهم ويتبعون مضليهم .

قال الطائر : بل أمرنا بإرشاد من ضل ولو كره . .

قال الناسك : أخشى أن يصيبك منهم شر !

رد الطائر : ضلالتهم وجهلهم هي الشر الأكبر . .

فذهب الناسك في طريقه وضاق الطائر ذرعاً بجهلهم فنزل إليهم ينبه إلى خطأ ما يرجون وعبث ما يستوقدون . . فأمسك كبيرهم به ودق رأسه . . واستمر القردة ينفخون !

« . . . وعرفت كم كانت جريمة الثورة في حق الإنسان المصري بشعة . . وعـرفت أي مستنقع ألقينا فيه الشعب المصري . .

فقد حريته . .

فقد كرامته . .

فقد أرضه . .

وتضاعفت متاعبه . . . » .

اللواء ا . ح .
محمد نجيب
رئيس مجلس الثورة

خطبة الكتاب

في سنة ١٩٨١ أصدر الأستاذ هيكل كتابه « قصة السويس » ، وكان كعادته يكتب للأمين ومن ثم تعامل مع التاريخ معاملة الدجوي وصلاح نصر وحزة البسيوني للقانون . . فلما فوجيء بأن جيلنا لم ينقرض وأن هناك من يستطيع التصدي له بالنقد والتفنيد . . اضطر إلى إعادة كتابة التاريخ مع التعديلات والتنقيحات اللازمة . . !!! وذلك في كتابه الذي نشر في الأهرام بعنوان « ملفات السويس » .

وهو الكتاب الذي صاحبته أكبر زفة من المتورطين والجاهلين ، ومارس فيه هيكل كل مواهبه في التزييف والتهويش . . ورغم ذلك لم يستطع أن يفند أو يرد على واقعة واحدة قدمناها في كتابي المشار إليه : « كلمتي للمغفلين » إلا أنه اضطر إلى تعديل الروايات التي كشفنا تزويره لها ، كما اضطر إلى تغيير أسلوب الكتاب ومنهجه فاعترف ـ لأول مرة ـ بعلاقة انقلاب يوليو بالمخابرات الأمريكية . . كما اعترف أن هذا الانقلاب كان إفرازاً للتناقض الأمريكي البريطاني . . الأمر الذي كان مستبعداً بل ومناقضاً تماماً للصورة الفاضحة التزوير التي قدمها في كتابه الأول « قصة السويس » . . ومن ثم رأيت أنه لزاماً عليَّ أن أتصدى مرة أخرى لكتابه الجديد أو محاولته الجديدة لإعادة تزوير التاريخ . . فكان كتابي هذا الذي يتضمن فصولاً من كتابي السابق مع إضافات تتناول تعديلات وتنقيحات واعتذارات ملفات السويس . . وكذلك إضافات مما كشفته الوثائق التي أُعلنت أو المذكرات التي نُشرت بعد صدور « كلمتي للمغفلين » في عام ١٩٨٥ ، واخترت هذه المرة أن يكون العنوان أكثر وضوحاً وأقل سخرية . . ألا وهو : « ثورة يوليو الأمريكية » .

وكل أملنا هو دفع الجيل الجديد للتفكير . . هذا الجيل الذي يتعرض لأكبر عملية غسيل مخ وتجهيل ، عاناها جيل في تاريخنا . . ويكفي أن يطالع القاريء بعض المقارنات التي عقدناها بين روايات هيكل المختلفة للواقعة الواحدة ليرى أننا لم نذهب بعيداً عندما لقبناه بمؤلف التاريخ وليس كاتبه ، فضلا عن أن يُسلك ـ حاشا لله ـ في قائمة المؤرخين !! ولا أننا قلنا شططاً إذا اتهمناه بالتزوير . . إذ لا يمكن أن نَصْدُقَ مع القاريء والحقيقة وشرف المهنة لو وصفنا فعله بالتاريخ بصفة أقل من التزوير المتعمد .

فهذا كتاب للمهمومين بمصير وطنهم وأمتهم العربية ، أما إذا كنت تعتقد أن خطاب الرئيس عبد الناصر في مؤتمر باندونج ، أهم من الانتصار الإسرائيلي في حرب ١٩٥٦ . . فلا تقرأ هذا الكتاب ، وإذا كنت تعتقد أن الانتصار على الإمام البدر أهم تاريخياً ومصرياً وعربياً من انتصار إسرائيل في حرب ١٩٦٧ ، وتحولها إلى الباب العالي في الشرق الأوسط ، وتحول مصر إلى دولة من الدرجة الثالثة في الشرق الأوسط . . فلا تقرأ هذا الكتاب .

فلا حاجة لك فيه ولا من أجلك قد كُتِبَ .

أما إذا كنت تعي وتعيش خطر المواجهة المصرية العربية ـ الإسرائيلية ، وتدرك خطورتها ومصيريتها بالنسبة لواقع ومستقبل الأمة العربية والوطن المصري خاصة ، فلا يجوز أن يفوتك حرف مما فيه فمن أجلك كُتِبَ . . وعن هذه المواجهة كان العناء في تأليفه والمخاطرة بنشره .

أقول . . لو نجحت في أن أجعل هذا الجيل يهتم ببحث هذه القضية . . بأن تنذر حفنة منهم ، نفسها ، للبحث والاستقصاء وتجميع الأدلة وتمحيص الوقائع حول جذور الناصرية وتطورها وما تركته من آثار على تاريخنا . . لو حدث ذلك ، فسأكون قد عوضت خيراً عما بذلته من جهد وما تحملته لإخراج هذا الكتاب ومن قبله كتابي « كلمتي للمغفلين » . . ويشهد الله أن ليس لي أية مصلحة شخصية أو مادية في هذا الحديث ، ولكنها أمانة التاريخ وشرف الكلمة . . واستمرار الجذوة التي جعلتنا في أربعينيات هذا القرن ، نهرب من المدرسة ودفء الأسرة وأمنها ، لكي نعمل سرا وعلانية ضد النظام الملكي والاستعمار البريطاني . . في نفس الوقت الذي كان فيه مؤرخ وبياع الناصرية ، يتقلب ناعماً ما بين صحافة الانجليز والمخابرات الأمريكية ، ويحصل على جائزة الملك فاروق وثقة عبد الناصر وهو الصحفي أو الكاتب « المصري » الوحيد الذي اتهم خلال ثلاثة عهود بتهمة واحدة وهي العمل على إضعاف الروح المعنوية في مواجهة إسرائيل ! . .

أقول للشباب ، الذي يريد أن يعلم ، والذي يفزعه ما ينشر أحيانا من حقائق ، أقول لهم ادرسوا . . وابحثوا ومحِّصوا . . فلا حرية ولا اختيار بغير معرفة ، ولا معرفة بغير قراءة ، بغير الحوار الحر . .

بقي أن ننصح القارئ بالصبر ، والمراجعة ، وقراءة الملاحق أثناء قراءة المتن ، فهي لا تقل أهمية وبعضها ضروري لفهم هذا المتن .

والله المستعان

القاهرة

فبراير ١٩٨٨

مدخل

لم يكن في خاطري الكتابة عن « عبد الناصر » في هذا الوقت ، فهذا العمل الكبير حجماً وتأثيراً يأتي على قائمة مدخل التسعينيات بإذن الله ، لعدة أسباب اقتنعت بها عند ترتيب ما أتمنى إنجازه ، وذلك في عيد ميلادي الخمسين ، عندما قررت أنه قد حان وقت التخلي عن الصحافة ، والتفرغ للعمل الفكري والتاريخي ، في شكل كتب أو نشرة محدودة التوزيع* بعيدة عن التعليق المباشر على الأحداث اليومية ، فقد كان عليّ أن أفرغ من وضع تاريخ صحيح للحركات الإسلامية ، بعيداً عن تشويهات التاريخ الصليبي ـ الاستعماري وكان عليّ أن أفرغ من سلسلة تاريخ مصر الحديث التي أصدرت منها كتابي عن الحملة الفرنسية ، والحركة الوطنية في السودان ، وكان عليّ أن أطرح تصوري لفكر الحركة الإسلامية المنشودة** . . وكان المقدر أن أفرغ من ذلك كله في نهاية الثمانينيات . . ثم يأتي الدور على تحليل الناصرية بعد التمهيد التاريخي لفهمها كظاهرة أو مرحلة في تاريخ مصر ، فيمكن تقييم « حركة ٢٣ يوليو » على ضوء منجزات الشعب المصري ، بل والحكومات التي سيطرت على مصر سواء في عصور الاستقلال أو الاحتلال وما استطاعت تحقيقه بفضل إمكانات مصر ولزيادة حصتها من ثروة شعب مصر . ذلك أن عنصراً أساسياً في تخبط جيل الناصرية وحيرته ، أنه قد تعرض لعملية تجهيل مقصودة بما سبقها من قرون في تاريخ مصر بل وتاريخ العرب وربما كان هذا « التفريغ » ضروريا لكي تبرز « المنجزات » فلم يكن أمام أبطال ليليبوت من فرصة للحوار مع « غاليفار » إلا بتقييده بالحبال وطرحه أرضاً . .

كما كان ذلك التجهيل والتشويه ضرورياً حتى يمكن سلب رجالات التاريخ المصري أفضالهم ، وحتى يجلس « أحمد فؤاد »[12] في مقعد « طلعت حرب » ويعتبر ذلك إنجازاً ثورياً ومكسباً شعبياً ! ! وحتى يعتبر الجيل المبتور التاريخ أن بناء سد على النيل بقرض أجنبي وخبرة أجنبية بل وتنفيذ أجنبي ودون مساهمة مصرية تذكر من الناحية التكنولوجية ، يعتبر عملاً خالداً بطولياً عجائبياً يكفي لمحو كل ما حدث من أخطاء وخطايا . . ! لأنهم لا يعرفون أن « محمد علي » مثلا بنى « القناطر الخيرية » التي كانت في ظروفها وظروف مصر منذ ما يقرب

---

* نفذت ذلك فعلا عام ١٩٨٦ بإصدار كتاب في أجزاء باسم « رسالة التوحيد » صدر منه ٤ أجزاء إلى أن رأت السلطة أنه مجلة حتى ولو كان يكتبها كلها شخص واحد وحكم علي وأولادي بالسجن ثلاثة شهور ومازالت القضية مستأنفة أمام القضاء !

** صدر منها كتابا : خواطر مسلم عن الجهاد والأقليات والأناجيل ، وكتاب المسألة الجنسية .

من مائتي سنة عملاً خارقاً « لم يتأت للملوك الكبار » وكانت نتائجها ولا تزال على جغرافية مصر واقتصاد مصر وإنسان مصر ما لا سبيل إلى مقارنته بأية أحلام معلقة على السد العالي .

بناها محمد على قبل أن يوجد فى مصر مهندس مصري واحد ! وبناها بدون أن يقترض مليماً من الخارج يرهق به ميزانية عدة أجيال لا يعلم إلا الله عددها . ولم يهتف مرة واحدة « حنبني القناطر » ، ولا سجل التاريخ له خطبة واحدة حول بناء القناطر أو المؤامرة الدولية ضد بنائها . . كما لا يعرف هذا الجيل أنه في ظل الاستعمار البريطاني أمكن أن تقيم مصر خزان أسوان - ١٩٠٣ - ونتائجه المحققة حتى الآن تفوق التوقعات المحتملة للسد العالي .

ولقد آلمني أن يقارن بعضهم بين « محمد علي » و « عبد الناصر » بدعوى أن الاثنين هزما أمام العدو الأجنبي ؛ وإذا كنت في كتاباتي قد قسوت في نقد « محمد علي » إلا أن شرف الكلمة ، وأمانة التاريخ بل كل القيم التي تعارف عليها الشرفاء تأبى هذه المقارنة وترفضها . . فلا وجه للمقارنة إلا كما قلنا بين الأصل والمسخ !

لقد تسلم « محمد علي » مصر وهي ولاية عثمانية خارج التاريخ ، فمد حدودها إلى السودان ومنابع النيل . ومات وهو يحكم مصر والسودان وأجزاء من جزيرة العرب . . وعبد الناصر فصل السودان ومات وسيناء محتلة وقناة السويس هى حدود مصر . .

محمد علي مات ومصر أقوى دولة في الشرق ، أقوى من تركيا . . الامبراطورية العثمانية صاحبة السيادة النظرية على مصر . . مات ومصر لديها أقوى أسطول آسيوي أفريقي (لم تكن اليابان قد ظهرت بعد كقوة عظمى) وعبد الناصر ترك مصر ووزنها صفر من الناحية العسكرية ، وكرامة كل مصري جريحة ، والسخرية بقدراتنا العسكرية ، وكفاءة جنودنا موضع تندر الصحافة في الكويت ودبي !!

محمد علي كان قائد جيوشه إبراهيم باشا الذي لم يهزم في حرب قط . . وعندما زار أوروبا كانت أقواس النصر تستقبله على طول الطريق تحمل أسماء معاركه التي انتصر فيها . . وهي بالعشرات في أوروبا وآسيا وأفريقيا . . وقائد عبد الناصر لم ينتصر في حرب قط ، ولم يمت حتى كان الفتيات والفتيان في أوروبا يقلعون عيونهم (بوضع ضمادة سوداء) تشبهاً بموشى ديان الذي هزم عبد الناصر وقائد جيشه في كل معركة خاضوها ضده .

هل نقارن إبراهيم باشا بالحشاش المنحل الذي سلمه عبد الناصر جيش مصر وأمنها وسيادتها على أرضها فبدد ذلك كله غارقاً في ملذاته متفرغاً لحماية حكمه وسيده ؟!

أنقارن بين من وحد مصر وسوريا بالسيف وأوشك أن يدخل الأستانة لولا أن تجمعت أوروبا ضده ؟! وبريطانيا وحدها كانت تحكم ربع العالم وتستطيع تجنيد جيش أكبر عدداً من تعداد ذكور مصر بما فيهم الأطفال !

نقارنه بمن أضاع سوريا وهزم في دمشق على يد مديري مكتبه . . حفنة عملاء لا مكان لهم في مزبلة التاريخ . . ولكنهم هزموا عبد الناصر . . وأخرجوا نائبه مدحورا كالأرملة

المفضوحة ولم يجرؤ ولا استطاع أن يطلق طلقة واحدة دفاعاً عن وحدة العرب ودولة الوحدة ؟!

محمد علي هزمه « بالمرستون » وأين . . ؟! في جبال طوروس ؟! وعبد الناصر هزمه موشي ديان في شرم الشيخ والعريش والقنطرة ؟!

محمد علي تسلم مصر وليس بها مصنع ولا مدرسة ابتدائية . . فأنشأ الكليات ، وأقام المصانع وبعث البعوث . . وعبد الناصر تسلم مصر وبها أربع جامعات ، بل أرقى جامعات في الوطن العربي بل في أفريقيا (ماعدا جنوب أفريقيا) وكل آسيا باستثناء اليابان . . ومات وقد رفضت جامعات العالم شهاداتنا . . عبد الناصر تسلم مصر وبها شركة الطيران الوحيدة في العالم العربي ومعظم آسيا وكل أفريقيا ، وفيها دار للأوبرا والبنك الوطني . . وأفضل شبكة مواصلات . . إلخ وتركها كما نعرف . .

محمد علي لما حاولت بريطانيا العظمى غزو مصر هزمهم هزيمة ساحقة ، أوسمح للشعب بهزيمتهم وطاف جنده برءوس الغزاة في شوارع القاهرة . . وانسحب الأسد البريطاني صاغرا وأصبحت مصر أمنع من تركيا ، لا تفكر قوة عظمى في غزوها . . وعبد الناصر جعل مصر كالمدينة المفتوحة ، يدخلها اليهود ويخرجون كأنها أرض لا مالك لها . .

في رسالة من محمد علي إلى قنصله في باريس : « أبلغنا ولي العهد أنه أثناء زيارته لأوروبا رأى نباتاً لا يموت ولا يتكسر عندما تطأه الأقدام فأرسلوا لنا بذوره » . .

وهو الحشيش الأخضر أو النجيل . .

هذه كانت اهتمامات إبراهيم باشا في أوروبا . . فاسألوا علي شفيق ومحمد كامل حسن ماذا كانت اهتمامات مشير عبد الناصر ؟!

لا تنكأوا الجراح بمقارنة الأصل بالمسخ * . .

وكان القصد أيضاً أن تتاح وثائق أكثر ، باعتبار أن مصادر تاريخنا لا تزال في أرشيفات الدول الكبرى ، وكان الظن أن يبدأ الإفراج عن الوثائق الأمريكية ابتداء من عام ١٩٨٣ أى بعد مرور الثلاثين سنة القانونية ، فإذا ما وصلنا إلى التسعينيات كان متاحاً لنا ـ على الأقل ـ الفترة بين ١٩٥٢ إلى ١٩٦٠ وهي كافية جداً ، وليست حاجتنا للوثائق للاقتناع أو الاكتشاف ، فنحن كنا ومازلنا شهود عيان ، وما توصلنا إليه من معرفة ، تؤكده الحقائق كل يوم ، وإنما نحتاج الوثائق للذين لا يؤمنون إلا بعد أن يدسوا أصابعهم في الجرح . . أو بالأحرى حتى ندس أصابعنا في جرحهم !! وعلى أية حال لم يعد الانتظار ضرورياً ، فالتطورات الجارية في الدولة الأمريكية منذ وصول الرئيس ريجان وسيطرة اليمين ، قد فرضت من القيود على نشر الوثائق وخاصة المتعلقة بنشاط المخابرات الأمريكية ما يؤكد أنه لن يتاح للمعرفة وللمؤرخين إلا النذر اليسير بعد أن ألغي مفعول « قانون حرية المعلومات » ،

---

* هذه مقارنة بين المنجزات الظاهرة . . أما رأينا في « محمد علي » ودوره وأخطائه فقضية أخرى .

الذي صدر في فترة « الثورة الليبرالية » التي اجتاحت أمريكا عقب حرب فيتنام وفضيحة ووترجيت . .

أما السبب الأهم في نظري لقراري السابق بتأجيل الكتابة ، فهو أن يفعل عامل الزمن فعله في الكاتب والقاريء ، فتبرد حدة الأحداث وتتحول إلى تاريخ ، له سلبياته وإيجابياته . . ولا يمكن لكاتب مثلي أن يدعي الحياد في الكتابة عن « انقلاب ٢٣ يوليو » وأنا كمواطن مصري ، عاش أحداثه كاملة وأثر في حياتي ومستقبلي الشخصي والمهني والوطني والقومي . . يستحيل أن يكون المرء محايداً في الحديث عن حركة ، أعطته أحلى أيام عمره ، وأتعس نكسات وطنه . .

كيف أدعي الحياد ، إزاء تصفية الاستعمارين البريطاني والفرنسي وقد دام احتلالهما وامتهانهما لأمتنا العربية ما يقرب من قرن ونصف قرن . . ؟ كيف وقد ضحيت بأحلى سنوات عمري في سبيل تحقيق الجلاء عن مصر ، أكون محايداً إزاء هذا الجلاء وقد تحقق بل ومرتين !! وقد عشت حتى رأيت بريطانيا تهزم في غزو مصر كما لم تهزم في عام ١٨٨٢ برغم كل إعجابنا وحبنا للبطل أحمد عرابي ؟! وما أظن أن فرحة قد غمرت قلباً مثل فرحتي بقيام الثورة الجزائرية مع التسليم وقتها باستحالة انتصارها في عمر جيلنا . فما بالك بتحقيق ذلك الاستقلال في أقل من عشر سنوات ؟

هل أستطيع أن أنسى « الهزة » الوطنية والقومية التي غمرت القلب والروح والعقل بإعلان تأميم قناة السويس ، وتصفية المصالح الأجنبية في الاقتصاد المصري وتخليص القطن من قرداحي ومزراحي ، وإعلان الوحدة المصرية السورية ، وسقوط حكم نوري السعيد وطرد غلوب باشا . . وكلها كانت أحلام المراهقة ، وعرائس الشباب ؟!

وأيضاً . .

كيف أكون محايداً إزاء خروجنا من دائرة النفوذ الأنجلو - فرنسي ودخولنا في عصر الهيمنة الإسرائيلية والنفوذ الأمريكي - الروسي ؟!

وكيف أكون محايداً وقد كان ثمن الجلاء فصل السودان ، ولو خيرت في مطلع الخمسينيات بين بقاء الاحتلال ألف عام وقبول فصل السودان لما اخترت أبداً فصل السودان . . وقد كان شعار مصر من رئيس الوزراء إلى أصغر مصري « تقطع يدي ولا يقطع السودان » قالها زعيم وادي النيل الخالد مصطفى النحاس ، ووفى بها .

هزمنا بريطانيا وفرنسا وتركنا جولدا مائير تقول عن حرب سيناء الأولى : « ومن بين الثلاثين ألف عسكري مصري الذين انطلقوا هائمين كالمجانين في الرمال ، التقطنا خمسة آلاف أسير فقط ، لكي نبادلهم جميعا بالأسير الإسرائيلي الوحيد الذي أسره المصريون »[1] .

أهذا جرح يشفى ؟ لا والله . . سيصحبني إلى القبر ، ولولا أنه غسل بالدم وببرقية « جولدا » في حرب رمضان « أيقظ كسينجر الآن ، لأننا نريد المساعدة اليوم ، فغداً ربما

يكون قد فات الأوان »[٢] ! لولا ذلك لبعث جيل بأكمله مجروح العرض يوم القيامة !

أيمكن أن أكون محايداً وأنا أكتب عن هزيمة ١٩٦٧ التي لم تترك قيادتنا ثغرة واحدة يمكن أن ينفذ منها النصر العربي إلا سدتها ، ولا غلطة يمكن أن يستفيد منها العدو لم ترتكبها ؟!

O رفضوا البدء بالهجوم .

OO قرروا تلقي الضربة الأولى ونشروا ذلك علنا في « الأهرام » لإخطار إسرائيل رسميا . .

OOO تركوا طائراتنا في العراء بعدما ألغوا بند تغطية الطائرات في ميزانية عام ١٩٦٦ - ١٩٦٧ .

OOOO أصدروا أمراً إلى قوات الدفاع الجوي بعدم إطلاق النار على أية طائرة لأن طائرة المشير في الجو لحظة الهجوم الإسرائيلي .

OOOOO غيروا الشفرة صباح يوم الهجوم لكي لا يتلقوا إخطار محطة الإنذار المبكر التي أقيمت في الأردن لمهمة واحدة هي الإخطار عن تحرك الطيران الإسرائيلي ، فلما أبلغت المحطة عجزت مصر عن تلقي الإشارة لأن الشفرة تغيرت . . وبعدها بالصدفة قتل عبد المنعم رياض لكي لا يحكي عما شاهده في الأردن ، وسمعه في تلك اللحظات . .

الخ . . الخ . . الخ . .

وكل هذا حدث في أثناء المعركة . . ومن قبل كانوا قد دمروا الجيش في حرب اليمن وأفقدوه قدراته القتالية بالجاسوسية والإرهاب والفساد حتى انحصر دفاع هيكل عن القرار الإجرامي الخياني بتلقي الضربة الأولى . . انحصر اعتذاره بأننا حتى لو ضربنا إسرائيل أولاً كنا سنخسر الحرب . . أي أنهم ساقوا مصر عن سبق يقين وتصميم إلى حرب يعرفون أنها محتومة الخسارة؟[٣] .

ما بين فرحة تأميم القناة . . وبين الحسرة وعبد الرحمن البيضاني يَعِدُ رجاله بأنه اتفق مع مصر على تخصيص دخل القناة لدعم ثورة عبد الله السلال ؟!

ما بين الفرحة بالوحدة ، ومرارة الانفصال وانتكاسة ثورة العراق . . وتمزق الوطن العربي وتحول ثورة الجزائر إلى قوة نشطة معادية لمصر وانهيار مكانة مصر ودور المصريين بل واحترامهم في سائر الدول العربية . .

ما بين تمصير الاقتصاد المصري وتدمير هذا الاقتصاد والقضاء على فرصة مصر لبناء الوحدة الاقتصادية العربية حول مصر وبقيادة مصر ، حتى لم يبق في السوق العربية ، إلا الخادمة المصرية وفول مدمس* « قها » ، ونحن الذين أقمنا أول شركة طيران عربية ، وأول

---

* حتى هذا اختفى أمام الفول الصيني والهندي الذي يباع باسم « فول مدمس » Fool Mudamss .

بنك عربي ، وأول مصنع سماد عربي ، وأول صحيفة عربية ، وأول جامعة عربية ، وأول صناعة عربية . بل نحن الذين كانت نقود العالم العربي تسمى على اسمنا « المصاري » ! والمدهش أن ذلك كله حصل في الفترة من ٢٤ إلى ١٩٥٢ ودمر في فترة أقل من ١٩٥٤ إلى ١٩٨١ ؟!

كيف أكون محايداً وقد تحولت مصر إلى سجن كبير ، اختفت فيه كل مظاهر وشكليات الديمقراطية ، وضرب فيه رئيس مجلس الدولة « علقة » ، ونودي فيها على شيخ كلية دينية في سجن حمزة البسيوني « ياشيخ شادية » ، فيرد مجيباً من هول ما نزل بإنسانيته من اذلال ، وشنقت السلطة ، لأول وآخر مرة في تاريخنا ـ بإذن الله ـ كُتاباً ومؤلفين وجهابذة في الفقه والأدب والتفسير . . وهوما لم يجرؤ الاستعمار البريطاني الملقب بعدو الإنسانية ، على ارتكابه وهو يحتل مصر بثمانين ألف جندي ؟!* كيف أكون أنا محايداً . والقانون في أجازة ؟!

ما بين ذكريات « أمجاد ياعرب أمجاد » وشكوى بريطانيا سيدة فن الإعلام ، من ضراوة ونجاح الإعلام المصري ، وبين تراجع صحافة مصر إلى المرتبة الثالثة في كل البلاد العربية حتى التي تعلمت القراءة على يد المصريين ؟! وبين « تواري » مدير صوت العرب ، وكأنه قد حمل كل خطايا الإعلام الناصري ، بل أصبح رمزاً لكل ما هو سيىء إعلاميا ! ثم اكتشاف الحقيقة المرعبة ، ألا وهي أن « صوت العرب » قام بالخبرة والمعدات الأمريكية !

مستحيل أن يدعي المرء « الحياد » في الكتابة عن « زعيم » وصل إلى السلطة وكل شيء في مصر أكبر منه ، ومات وهو أكبر من مصر وكل ما فيها !!

مستحيل . .

ولذلك كنت أتهرب ، وأحاول أن أكسب وقتاً بتأجيل الكتابة ، إلى أن كانت عودتي لمصر بعد غيبة خمس سنوات متصلة ، وهجرة قاربت على الخمسة عشر عاما . . ورأيت البعث الناصري في كل مكان . . فالحوار الخاطيء الذي يدور حول من هو الأسوأ « الرئيس الراحل أم الرئيس الأرحل » قد رجح كفة الرئيس الأرحل جمال عبد الناصر . . ونسي المتحاورون أن عبد الناصر هو الذي اختار السادات نائباً له ، بل الأحري أنه هو وحده الذي بقي إلى جانبه حتى الرمق الأخير ، بعد أن تمت تصفية وإقصاء كل رجالات مصر وأعضاء مجلس الثورة . . . وأن أنور السادات جزء لا يتجزأ من « حركة ٢٣ يوليو » مفهوماً وأسلوباً ، وأنه المتمم لمرحلة عبد الناصر ، مع الفارق بين إنفاق الوارث والدنيا مقبلة ، واستجداثه وقد جدبت الموارد وأفلست الخزائن .

جمعت عدداً من الكتب الناصرية التي تذخر بها المكتبات والأرصفة المصرية ، وهالني ما قرأت ، فالتجهيل والتشويه ، مستمران ولكن بشكل أكثر سوقية وأكثر ابتذالاً .

---

* وأي مؤرخ منصف يقارن « دنشواي » بما جرى في كرداسة وكمشيش ؟!

وسمعت عن محاولات إنشاء حزب ناصري يستأنف المسيرة ورأيت « الجامعة الأمريكية » بالقاهرة تتحول إلى أكبر مركز للناصرية ؟!

ولم أدهش ، بل لعلي رأيت ما توقعته بالحرف ، ولو كان غير ذلك لكان للدهشة ما يستوجبها وللحيرة ما يبررها . . « فالجامعة الأمريكية » في بيروت هي مركز « اليسار هذا » . . ومؤتمر « تحرير المرأة » تموله مؤسسة فورد !! ومن دراستنا هذه ـ إن شاء الله ـ سيجد القارىء ما يقتنع به أنه من الطبيعي جداً أن تكون « الجامعة الأمريكية » هي قلعة الناصرية ، ومركز تفريخ الجيل الجديد من الناصريين ومعهد تنظير وتنميق وترويج الفكر الناصري .

وإذا كنت لا أستطيع أن أعد القارىء بأن أكون محايداً أو غير منفعل في كتاباتي ـ إذ لا يملك القلوب إلا الله ـ فإني أعده بما يرضيه وينصفني معه . .

١ ـ ألا أقدم واقعة واحدة غير مثبتة المرجع .

٢ ـ أن أعتمد بالدرجة الأولى على شهادات الناصريين . . والمصادر الأجنبية التي لا تحتمل الشك . . على الأقل في الواقعة التي نستشهد بها ، فعندما تقول جولدا مائير إن ايزنهاور أصر على الانسحاب بلا قيد ولا شرط ويؤكد نفس الحقيقة سلوين لويد ، لايمكن أن نتهمها بالشيوعية وتشويه سمعة أمريكا ؟! خاصة عندما تؤكد الوثائق هذه الحقيقة . وعندما تتفق رواية مصطفى أمين ومايلز كوبلاند على دور كيرمت روزفلت في مصر ، من حقنا أن نرفض إنكار هيكل المتهم الأول .

٣ ـ أن التزم بالموضوعية ـ وهي غير الحياد ـ في عرض سلبيات وإيجابيات العهد الناصري . مع التأكيد أن ما أقدمه من وقائع قد تحريت صدقه بكل ما في طاقة باحث أو مؤرخ ، أما التحليل الذي وصلت إليه فهو بلا شك معرض للخطأ ، قابل للرفض والنقض . . ومقارعة الحجة بالحجة .

ولا أزعم أنني أشيد بعبد الناصر أو أدينه ، فذلك متروك للقارىء ، ولا أزعم أنني سأهدي جيلاً من الضلال ، بل غاية ما أصبو إليه هو أن أسجل خبرتي ومعايشتي وقراءاتي للجيل القارىء اليوم ؛ فإذا كان مقدراً لمصر والعرب أن يخوضوا تجربة ناصرية جديدة ، فعلى الأقل ندخلها عن وعي هذه المرة .

وقد علق « مؤرخ الناصرية » على هذه النقطة فراح يعظ عن حياد المؤرخين ، مزيفاً جاهلاً كعادته ، وحسبي أن أقول مرة أخرى ، إنه لا يمكن الحياد في كتابة التاريخ المعاصر ، ولا هو مطلوب ، والرافعي ، لم يكن محايداً ، كما زعم ، بل كان وطنياً بمفاهيم القرن التاسع عشر ، الأمر الذي حمل كتاباته الكثير من الأخطاء ، في التفسير والتعليق ، وأحيانا في صياغة الواقعة ، وذلك في تأريخه لحروب محمد علي ، أو موقفه المعيب من الثورة العرابية ، والمضطرب من ثورة القاهرة ضد الاحتلال الفرنسي وأخيرا تحيزه غير المنصف ضد الوفد . .

فالمؤرخ المعاصر الذي يكتب عن أحداث عاصرها ، وساهم فيها ، أو كان طرفاً في صراعاتها ، أولى بأن يفقد حياده ، ولا يضيره هذا ، ولا يضير تاريخه ، ما لم يتبع هواه . . إذ لا يجوز تغيير واقعة ولا إخفاء حدث بسبب الاقتناع الذاتي أو الموقف السياسي ، هنا تصبح الكتابة أدباً سياسياً وليست تاريخاً ، بل تصبح تزويراً لا يليق . . فليس يعيب المؤرخ أن يكون مع أو ضد ثورة ١٩١٩ مادام يورد ما يصل إليه من حقائق ووقائع بأمانة . . أما أن « يهدد » هيكل بأن نشر مذكرات « سعد زغلول » يسيء إلى الزعيم ، فهذا هو ابتزاز التاريخ أو محاولة تعديله على هوى الكاتب وتصوره .

ومن ثم فليس عليَّ من التزام أمام القاريء إلا « الصدق » وخاصة أنه ما من سبب شخصي يدفعني إلى عداء عبد الناصر أو التحامل عليه ، فلم أكن ملكياً قبل ٢٣ يوليو ، ولا حصلت على جائزة الملك فاروق في الصحافة ثلاث مرات ، ولا حتى مرة واحدة ، وما كان يمكن أن يكون مثلي مرشحاً لمثلها ، بالعكس كنت مقدماً للمحاكمة بتهمة العيب في الذات الملكية ، والدعوة إلى قلب نظام الحكم بالقوة المسلحة في عهد الملك فاروق في قضية حقق فيها « علي نور الدين » . . وجاءت حركة ٢٣ يوليو وأنا في معتقل الملك فاروق ، وأيدنا الانقلاب كما توقع تقرير المخابرات الأمريكية أن يفعل « المثقفون المغفلون » ! وكنا منهم ولا فخر !! ثم عارضناه عندما بدأ يكشف عن وجهه ، ودخلت المعتقل أو السجن في ٩ يونية ١٩٥٤ وأفرج عني في ١١ يونية ١٩٥٦ ومن يومها لم يتخذ عبد الناصر قراراً واحداً ضدي ، بل أقول لأول مرة ، إنه كان يثق في مقالاتي ، فكما أخبرني الزعيم الكردي « جلال الطلباني » إنه عندما قابل الرئيس عبد الناصر في عام ١٩٦٣ واشتكى له من وجود قوة سورية تقاتلهم في العراق إلى جانب الجيش العراقي ، رد الرئيس عبد الناصر : « غريبة . . جلال كشك كان هناك ولم يكتب عن القوات السورية في تحقيقاته الصحفية » ! وكنت قد قمت بأول زيارة صحفية لمعاقل الأكراد في شمال العراق واجتمعت بالمرحوم الملا مصطفى البرازاني . وكل مصادري تؤكد أن عبد الناصر شخصيا منع أو رفض اعتقالي أكثر من مرة . . بل أحسبني مضطراً إلى القول أن ليس بيني وبين الأستاذ « محمد حسنين هيكل » ذاته أي عداء شخصي ، بل الأحرى أنني مدين له بإخراجي من السجن عندما اعتقلني المنحرف « أمين شاكر »* . وهيكل هو الذي عينني في « أخبار اليوم » عندما جبن وهرب وعارض الآخرون . . ولكن الأمر أكبر من أن يكون حسابات شخصية . . « فنقطة » الخلاف كبيرة جداً . . إنها ببساطة : مصر . . مصر الماضي . . مصر الحاضر . . مصر المستقبل . .

وقد يتساءل القاريء لماذا أركز على « هيكل » ؟! والجواب ليس فقط للمكانة التي احتلها في العصر الناصري ، تلك المكانة التي تشكل في حد ذاتها سؤالاً ضخماً بل عريضة اتهام حافلة للنظام الناصري ، ولا لأنه هو المتصدي الأكبر للترويج للناصرية . بل لأنه إحدى

---

* انظر كتاب : « كنت نائباً لمدير المخابرات »

الحلقات الرئيسية في العلاقة الأمريكية ـ الناصرية ، لأن « هيكل » كما جاء في كتاب « حبال الرمال » ـ ولم يعترض هو ولا اتخذ أي إجراء ضد المؤلف والناشر ـ قد جندته المخابرات الأمريكية كعميل في أوائل الخمسينيات . . وأصبح بطريقة ما ، المتحدث الرسمي باسم الوطنية الناصرية والقومية العربية . ومن ثم فإنه يعرض قصة الناصرية من زاوية يهمنا التصدي لها .

كذلك استعنت بشهادات رجالات ٢٣ يوليو . . ومن المؤيدين لها في إطارها العام حتى وإن اختلفوا في تفاصيل تدور حول أشخاصهم في الغالب أو حول كارثة وطنية لا مجال لقبولها إلا من مأجور .

وقد ركزت على قضية العلاقة مع الأمريكان والمواجهة مع إسرائيل ومعركة ١٩٥٦ ، فلم أتعرض ـ إلا بحكم الضرورة ـ للأوضاع الداخلية والاستبداد السياسي باعتبار أن هذه قضية أشبعت بحثاً ، ويعترف بها الناصريون أنفسهم ويعتذرون عنها بما تحقق من انتصارات في ميادين محاربة الاستعمار والوحدة العربية ، والتصدي لإسرائيل . . الخ .

وربما يري البعض أن فصل في البدء جاء الأمريكان كان أجدر به لو أخر إلى نهاية الكتاب على أساس أنه النتيجة التي تثبتها هذه الدراسة ، ففيه نتحدث عن علاقة الأمريكان بحركة ٢٣ يوليو ، ومن ثم فلابد أن نمهد للقاريء ، حتى يصل إلى الاقتناع بما ندعيه عبر الحقائق والتحليلات لتاريخ الناصرية ومواقفها والتي كشفنا فيها مدى التزوير الذي تعرض له هذا التاريخ .

ولكنني رأيت أن أبدأ به فصول الكتاب حتى وإن صدمت القاريء ، وحجتي في ذلك أنني لم أستهدف أبداً إثبات تهمة التآمر بين الناصرية والأمريكان ، حتى يمكن أن يكون ذلك هو عبرة الكتاب ونتيجته المنطقية !

لا ليس هذا هدفي ولا هو بالهدف الذي يستحق أن يقتصر عليه الجهد ، وأنا أكرر ما قلته في أكثر من موضع ، إنه ليس من أهدافي أن أسيء إلى عبد الناصر أو أن أدينه بتهمة ما . . تماما كما لم يكن بيني وبين الشريف حسين ثأر شخصي ولا مصلحة ممكنة أو ممنوعة ، والرجل قد مات قبل أن أولد ، إنما أردت بتحليل العلاقة بين ما أسموه بالثورة العربية الكبرى ، والمخابرات البريطانية ، إلقاء الضوء على ما تولد عن هذه العلاقة وترتب عليها من نتائج مازالت أمتنا تعاني آثارها إلى اليوم ، كذلك أردت بكشف العلاقة بين حركة ٢٣ يوليو والمخابرات الأمريكية ، أن أكشف للشعب العربي ، التاريخ السري الذي أشار إليه رجل المخابرات الأمريكية ومدير شئون ثورة ٢٣ يوليو عندما قال : « إن المؤرخين والدارسين الذين لا تتاح لهم معرفة التاريخ السري للأحداث ، لا يمكنهم أن يفسروا مثلاً لماذا تجنب عبد الناصر الحرب مع إسرائيل في ظروف كان النصر فيها محتملاً ، بينما قاد بلاده إلى حرب محتومة الخسارة »[٣] .

وهذا الجهل بالتاريخ السري ، أوقع البعض في تفسيرات مجنونة مثل اتهام عبد الناصر بأنه عميل إسرائيل ، أو أمه يهودية؟[3] . .

إن سلوك عبد الناصر ، والأحداث التي مرت ، والمواقف التي تبدو كالألغاز ، والتي تجعل بعض الناصريين « المخلصين » يرفعون أيديهم في حيرة العاجز ، يطرحون السؤال ويعترفون باستحالة الإجابة عليه في إطار المنطق المفترض للناصرية . كل هذا لا يمكن فهمه بدون معرفة « مفتاح » شخصية عبد الناصر ، بدون الاطلاع على التاريخ السري للناصرية ، بدون اكتشاف المعامل « س » الذي به وحده يمكن حل كل المعادلات المجهولة في الحقبة الناصرية . .

والمعامل « س » هو تلك العلاقة التي انعقدت بين مجموعة جمال عبد الناصر في تنظيم الضباط الأحرار من جهة ، وبين المخابرات الأمريكية من جهة أخرى ، عشية الثورة وبعد؟[4] نجاحها وربما إلى عام ١٩٦٤ ـ ١٩٦٥ .

وهكذا كان من الطبيعي والمنطقي أن نبدأ بهذا الفصل حتى ولو شكل ذلك صدمة للقارىء ، بل ربما دفع البعض ، ممن يخشون الحقيقة ، فيبغضونها ، إلى التوقف عن متابعة بقية الفصول . . لأننا نبحث عن تفسير لا عن إدانة ، ولا يمكن فهم مواقف الرئيس عبد الناصر من السودان والجلاء والعدوان الثلاثي وإسرائيل وصفقة السلاح إلا على ضوء هذه العلاقة . . لذا فضلنا أن نطرح التفسير أولاً ثم نستخدمه في تحليل الأحداث ، فتتأكد صحته مرتين ، مرة كحقيقة موضوعية ، ومرة بتطابقه مع النظرية العامة . . تماما كما أمكن اكتشاف بعض الكواكب بالحساب ، ثم ثبتت صحة الاستنتاج بتقدم آلات الرصد ، مع الفارق في حالتنا ، هو أننا اتبعنا الأسلوب العكسي ، أي رأينا بالدليل الحسي علاقة الثورة بالأمريكان ، فلما استخدمنا هذه العلاقة في تفسير الأحداث ، تأكدت صحتها . . لأنها قدمت التفسير المعقول .

ويجدر أن نؤكد هنا ، ما أكدناه في فصول الكتاب ، من أن تنظيم الضباط الأحرار ، كان في مجموعه تنظيماً مصرياً وطنياً خالصاً ، نشأ من دوافع مصرية ، وبنوايا وطنية صادقة ، وأن غالبيته العظمى لم تعرف لا وقتها ، وربما إلى الآن ، هذه الصفقة التي عقدت مع المخابرات الأمريكية ، بل إننا نذهب إلى أن عدداً من أعضاء مجلس الثورة لم تكن لهم معرفة بذلك .

وقد أشرنا لذلك في غير هذا الموضع . . ولكننا نرجح هنا أنه لا يوسف صديق ولا البغدادي ولا حسين الشافعي ، ولا رشاد مهنا ولا كمال الدين حسين ، كان لهم علم بذلك ، كما نقطع أن خالد محيي الدين لم يشترك فيها . أما أنه أحس بها أو لم يحس ، فتلك قضية لا نجزم فيها* كذلك نعتقد أن صلاح سالم اكتشفها مبكراً وفي خلال أزمته في السودان

---

* كتبنا هذا منذ سنوات ، أما الآن فقد تأكد من تصريحاته هو أنه أحس وعلم وسكت . . لماذا ؟!

وحاول أن يوازنها بعلاقة مع الروس فاحترق . . وأن جمال عبد الناصر وعامر وزكريا وأنور كانوا على علم بها منذ البداية ، وإن كان « أنور » قد بقي بعيداً ، سواء عن ذكاء منه ، أو خوفاً منه ، أو إهمالاً لشأنه . . يضاف إليهم في حدود ما وصلنا إليه ـ علي صبري وحسن التهامي . . غير أن علي صبري قصة أخرى تماما . . إذ نعتقد أن له دوراً أخطر من ذلك* .

كما نؤكد هنا أن « جمال عبد الناصر » لم يكن عميلا للأمريكان ، بل كما قال « مايلز كوبلاند » المسئول من قبل الـ CIA عن مصر وعبد الناصر في الفترة من ١٩٥٣ ـ ١٩٥٥ « ولو أن كرميت روزفلت والمستشارين الذين بعثهم إلى مصر ستيف ميد . . وجيمس ايكلبرجر ، وبول ليبرجر ، وآخرين ، لم يكونوا يديرون عبد الناصر بأكثر مما يسيطر عليه الروس اليوم . . إلا أن تلاقي أفكارهم مع أفكاره ، جعل فلسفته تلقى عطفهم وتأييدهم ، ومن ثم فإن ما فعله عبد الناصر بصرف النظر عن موافقة الغربيين أو عدم موافقتهم ، فهذا لا يهم إزاء حقيقة أن هذا الذي فعله قد نال تأييد فريق من الغربيين لا شك في إخلاصهم المطلق لمصالح بلادهم ، وأن هؤلاء الذين أيدوا عبد الناصر ، كانت توجههم المباديء المقبولة ، في الغرب » .

إنها لعبة شديدة التعقيد ، أراد عبد الناصر فيها أن يوظف « الولايات المتحدة » لخدمة أهدافه ، التي كانت بلا شك وطنية في جوهرها ، شريفة في مقصدها ، ولكنه أخطأ وخسر ، لسبب بسيط هو عدم التكافؤ بين اللاعبين . . وهذه هي العبرة التي نهدف إلى استخلاصها وتقديمها للمشتغلين بالسياسة والذين سيشتغلون بها يوماً ما . . أنه لا يمكن أن تنجز ثورة « بمؤامرة » وأنه لا يمكن أن تتحقق مصالح الشعوب من خلال التعاون مع أعرق الاستعماريات ، المتعارضة المصالح والمواقف مع الأمة العربية وخاصة منذ سيطرة إسرائيل على القرار السياسي في الولايات المتحدة .

إن هذه الصلة التي بدت في البداية ، صحية وضرورية وحققت نتائج باهرة . . مثل النجاح المدهش في سهولته ، للانقلاب ، ومثل شل القوات البريطانية ومنعها من التدخل ، ثم إجبار بريطانيا العظمى على قبول الانسحاب من السودان ، ثم خلع محمد نجيب وتثبيت « ناصر » ثم إحباط الغزو البريطاني ـ الفرنسي . . وطرح عبد الناصر زعيماً للقومية العربية . . بل والمساعدة في تحرير الوطن العربي من الاستعماريين البريطاني والفرنسي . . إلا أن هذه العلاقة أو الحبل السري بين الناصرية والمخابرات الأمريكية ، كان يدمر في الجذور ، بقدر ما يبهج بالزهور الوقتية ، وخاصة فيما يتعلق بالصدام العربي ـ الإسرائيلي ، والوحدة العربية ، والبناء الحقيقي لقدرة مصر الذاتية . ففي هذه الميادين ، عملت هذه العلاقة على

---

* وقد اعترف أخيراً أنه لم يكن من الضباط الأحرار ولا في الثورة إلى ٢٣ يوليو وأن سبب ضمه هو علاقته بالأمريكان ! . . وهو ضابط الجيش الذي أرسل إلى أمريكا في عهد الملك للتدرب على يد المخابرات الأمريكية .

تدميرما كان قائماً ، وقادتنا إلى الإفلاس المطلق في الحقول الثلاثة ، فقد خرجت إسرائيل من المواجهة الإسرائيلية ـ الناصرية بأعظم نصر تحقق في أي صدام من نوعه ، منذ انهيار الامبراطورية البيزنطية أمام العرب . . ودمرت أسس الوحدة العربية ، وتحولت من إمكانية قبل ظهور ناصر إلى مستحيل عند وفاته وإلى اليوم . . كذلك تدهور مصر من مكانة الدولة الأولى في الشرق الأوسط في كل شيء إلى . . ما نعرفه . .

وهذا السر الخفي ، هو الذي جعل بعض تصرفات النظام الناصري ، تبدو وكأنها تصدر من جهة إسرائيلية ! إذ لا شك في أنها كانت ، من حيث نتائجها ، لمصلحة إسرائيل . مما جعل البعض كما قلنا يتخبط فيضع تفسيراً « بروتوكوليا » لها . ولا ننكر أن المخابرات الإسرائيلية كان لها وجودها في بعض المراكز الحساسة في النظام الناصري ، بدليل « بعض » ما حدث في ١٩٦٧ . ولكن التفسير الذي وصلنا إليه عن هذه التأثيرات الإسرائيلية على القرار المصري ، هو أنها تمت عبر المخابرات الأمريكية . وما كانت تتمتع به هذه المخابرات من ثقة الزعيم . فإذا أضفنا إلى ذلك ، الحقيقة المعروفة ، وهي أن المخابرات الأمريكية هي أكثر الأجهزة الأمريكية تعرضاً لتأثير « الموساد » أو المخابرات الإسرائيلية ، أمكننا أن نتوقع أن تكون بعض النصائح التي قدمتها المخابرات CIA ، والتي أربكت القيادة الناصرية ، وأسقطتها في اخطاء أجادت إسرائيل ، الاستفادة منها ، يمكن أن نتوقع أنها موعز بها من عناصر الموساد داخل المخابرات الأمريكية ، ومن استرعى الذئب ظلم* . .

وأعترف أن العنصر الإسرائيلي قد ألح عليّ إلحاحاً شديداً في هذه الدراسة عندما كنت أجد معظم الخيوط والأحداث ، والقرارات الناصرية تصبّ في قناة واحدة هي : « مصلحة إسرائيل » . حتى فكرت أن أجعل عنوان الكتاب : « كلمات على قاعدة التمثال » وسيجد القاريء آثار ذلك في بعض الصفحات مشيرا بذلك إلى ما ذكره توفيق الحكيم ، عندما شكل لجنة لإقامة تمثال لعبد الناصر بعد وفاته . فبعث إليه مصري مهاجر يقترح إقامة التمثال في إسرائيل ، انطلاقا من حقيقة أنه إذا روجعت خريطة المنطقة ، على ضوء ما حققته من مكاسب في العهد الناصري ، فستفوز إسرائيل بكل الجوائز من الميدالية الذهبية ، إلى الخشبية . فخطر لي أن تكون فصول هذه الدراسة هي الحيثيات لإقامة التمثال أو الكلمات أو المنجزات التي تنقش على قاعدته !

ولكن عندما تعمقت في الدراسة تأكد لي صدق وطنية ومصرية عبد الناصر** وأنه فعلاً أحس بخطر إسرائيل ابتداء من عام ١٩٥٤ ، ولكن علاقته بالمخابرات الأمريكية وما أثاروه

---

* كانت هناك اتفاقية تعاون بين المخابرات الإسرائيلية (الموساد) والمخابرات الأمريكية (CIA) اعتمدت فيها الـ (CIA) في معلوماتها عن الوطن العربي على الموساد .

** هذا ما كتبته في « كلمتي للمغفلين » ولو سألتني الآن . . بعدما نشر من وثائق . . هل تستطيع أن تقسم على ذلك . . لترددت !

في نفسه من خوف ، وما ربطوه به من تعهدات ، وما أوهموه من وعود بتسويات . كل هذا أفسد فكره وشل يده وأجبره على شن معارك واتخاذ قرارات ، كانت كلها ـ للأسف ـ في صالح إسرائيل ! ومعظمها لم يكن يهدف إلا إلى تجنب المواجهة الحقيقية ، ومحاولة كسب الوقت حتى يأتي الحل الأمريكي .

أما كيف فسدت علاقة عبد الناصر بالأمريكان ، ولماذا انهارت استراتيجيته في التعاون المصري ـ الأمريكي ، والذي كان يحمل إمكانية ـ ولو نظرياً ـ لتحجيم الدعم الأمريكي لإسرائيل ومن ثم ترجيح كفة القوى المحلية في المنطقة في الصراع العربي ـ الإسرائيلي ؟ . . فالسبب في اعتقادي ، هو أيضاً تلك الصلة الخفية مع الأمريكان . فلو كانت هذه الصلة استراتيجية معلنة ، ومتفقاً عليها من جانب القوى الوطنية في مصر أو حتى بعض هذه القوى لاتخذت مساراً آخر غير الذي اتخذته تلك العلاقة السرية المشبوهة بالحتمية ، والتي ظلت شبهتها تطارد الزعامة الناصرية حتى فيما بينها وبين نفسها ، والتي كانت تحتاج باستمرار إلى « المهرجان » ضد أمريكا في العلن ، لإخفاء ما يجري في الخفاء » . وللحصول على الشعبية المطلوبة كشرط استثمار والاستفادة من هذه العلاقة ، وهو أمر لا يعرفه إلا عدد محدود من الأمريكان لا يمكنهم التحكم في الرأي العام الأمريكي بمؤسساته الدستورية والديموقراطية والصهيونية . وإذا كان زكريا محيي الدين ، قد اعترف أن « اللعبة » كانت محتومة الفشل ، وفسر ذلك بالمؤسسات الأمريكية وعصبية عبد الناصر فإننا نفسر قوله ـ وهو الذي اعتاد ألا يتكلم فإذا نطق لا يكلم الناس إلا رمزاً ! ـ نقول إنه يقصد التأثير اليهودي على الأجهزة الأمريكية ، وبالتالي صعوبة أو استحالة تأييدها لمصر أو لبلد عربي إلا في إطار ما يخدم إسرائيل . وأيضاً صراع هذه الأجهزة وعدم « انضباطها » من وجهة نظر أعتى وزير داخلية ، حكم مصر منذ قراقوش ، مع الفارق ! ومن ثم لا يمكن التحكم في تصريحات أعضاء الكونجرس ولا في تصرفات المسئولين مما يثير « عصبية » عبد الناصر ، وبالتالي يقع في الاستفزاز ، فيرد عليه باستفزاز أشد . . فهو يقول : « إن مصادقة الأمريكيين هو أمر قريب من المستحيل ، لأن البناء السياسي لها يؤثر على استراتيجيتها ، ويدلل على ذلك بأنه خلال فترة الصداقة التي قامت بين مصر والولايات المتحدة في السنوات الأولى للثورة . استطاعت إسرائيل أن تكون عاملا مؤثرا في زعزعة هذه العلاقات ، ويضيف قائلا : خصوصا إذا كنا نستجيب بسرعة للأحداث وتكون انفعالاتنا هي أساس سياستنا »[4]

وهذا يرجع إلى « العلاقة السرية » . . إلى تصور عبد الناصر أن « المخابرات » ستحل له مشكلة النفوذ الإسرائيلي في الأجهزة الأمريكية ، وستحقق مطالبه من وراء الكونجرس ووزارة الخارجية ، كما سنرى ، ومن ناحية أخرى فإن هذه العصبية كانت مقصودة لإخفاء العلاقة السرية . كان من الضروري التطرف في سب أمريكا ، ورصد كل حركة أو تصريح

في جميع أرجاء العالم والرد عليه بأكثر الصور علانية ، على أساس أن هذا التطرف في « التصريحات » يخفي العلاقة ، ويساعد على القيام « بالدور الإيجابي البناء » .

ثم تطورت الأمور فأصبح هذا هو مورد مصر الأساسي ، عندما كفت عن الإنتاج والتصدير ، ولم يبق أمامنا من مصدر للعملة الصعبة إلا « المهرجان » أو السيرك المفتوح لكسب متفرجين أو رأي عام عالمي ، ومن ثم نبتزبهم الدول الكبرى لتدفع ثمن سكوتنا أو كما كتب هيكل في عام ١٩٦٤ : « إن سياسة مصر الخارجية هي استثمارات لأنها تعود بفوائد عملية وسياسية لمصر في شكل مساعدات اقتصادية من أمريكا وعسكرية من روسيا »[٤] ولم يكن أمام النظام الناصري من حل آخر ، بعدما رفض طريق الثورة الحقيقية وبناء القوة الذاتية ، معتمداً على طاقات المصريين وفي ظل وحدة عربية حقيقية تجمع الإمكانات العربية في اتجاه واحد بناء . . ولأنه صدق ما قاله له الخبراء الأمريكان : « حتى لو حصلت على البليون دولار التي تحتاجها لخطتك الخمسية ، وحتى لو نجحت هذه الخطة حرفياً ، وحتى لو عمل كل مصري بأقصى طاقته ، وتحت إشراف أفضل الخبراء الأجانب ، فإن أفضل ما تتوقعه هو منع هذا البلد من التقهقر للوراء ، لن تقدم لهم لقمة عيش أفضل ولا تعليماً أفضل ولا رفاهية للشعب لا شيء أفضل لأن زيادة النسل تأكل الفرق »[٥] .

ووصل عجز مصر التجاري إلى ٤٠٠ مليون دولار سنوياً وهبط الاحتياطي إلى ٤٠ مليون دولار من الغطاء الذهبي و ٤٦ مليونا عملة صعبة في البيانات الرسمية - بينما لم يكن الموجود الحقيقي يزيد على ثلاثة ملايين دولار وفي ١٩٦٦ جاء في تقرير أمريكي أن مصر لو باعت ذهبها كله لما كفى لدفع استيراد شهر واحد . .

وقد أشار « مصطفى أمين » في رسالته لعبد الناصر إلى اقتناع الرئيس المصري بسياسة « المهرجان » أو لعب دور الدولة الكبرى لكي تدفع لنا الدول الكبرى بصحيح وذلك عندما قال : إن الأمريكي قال له « لو اهتم جمال عبد الناصر بشئون بلده الداخلية فقط وابتعد عن موضوعات التدخل في الكونغو والعراق واليمن فإن الحكومة الأمريكية مستعدة لأن تساعد مصر مالياً مساعدات ضخمة ، فقلت له على لسان سيادتكم : انكم مقتنعون بأنه لولا نفوذنا الخارجي لما اهتمت أمريكا بنا ولما أعطتنا دولاراً واحداً . ولو أننا بقينا على حالنا في الداخل ما استطعنا أن نتحول إلى دولة كبيرة ولا أن نحصل على برنامج واسع من المعونة وذلك بمواقفنا في الخارج »[٦] .

وهكذا فحتى عام ١٩٦٥ كانت أمريكا تقدم ثمانين بالمائة من الخبز الذي يأكله المصريون أو الرغيف المدعوم ، ودخلت مصر في الحلقة المفرغة التي أشار إليها « مايلز كوبلند » عندما قال : « كان استمرار المهرجان ضرورياً للحصول على الدعم ، كما أصبح الحصول على الدعم ضرورياً لتمويل المهرجان » يعني لابد أن تتدخل مصر في الكونغو لتحصل على دعم

من أمريكا وروسيا ، ولكن جانباً مهماً من الدعم ينفق على حملة الكونغو ، وهكذا من الكونغو للعراق لسوريا للجزائر . . للمغرب . . لغانا . . لليمن حتى جفت الاعتمادات* وانفض المهرجان . . ولم يبق إلا الافلاس[62] .

إن رجال المخابرات الأمريكية الذين اتصلوا بتنظيم الضباط الأحرار وتعاونوا مع مجموعة عبد الناصر كانت تحركهم ثلاثة أهداف :

١ ـ منع قيام ثورة راديكالية حقيقية في مصر .

٢ ـ حماية إسرائيل .

٣ ـ تصفية الامبراطوريتين ، البريطانية والفرنسية في العالم العربي ، وإحلال النفوذ الأمريكي وليس الروسي محلهما .

ولا جدال في أنهم حققوا الهدف الأول والثاني بتفوق ولكن الجدل حول الهدف الثالث ، لما يبدو لبعض المؤرخين ، وكأن النفوذ الروسي قد دخل المنطقة بفضل الناصرية ، وهذا صحيح جزئيا ولكن يجب ألا ننسى عنصر « الوفاق » بين الروس والأمريكان الذي ظهر في عنفوان الناصرية ، وأن الصدام الحقيقي في المنطقة كان بين أمريكا من جهة وبريطانيا وفرنسا من جهة أخرى ، وأن الأمريكان اكتفوا بتدمير كل القوى التي يمكن أن تحول المنطقة إلى دول شيوعية ترتبط إلى الأبد مع الاتحاد السوفييتي وقد صفى عبد الناصر الحركة الشيوعية في العالم العربي على نحو فاق أحلام أشد الأمريكيين عداوة للشيوعية ، فلم تقم للشيوعيين قائمة إلى يومنا هذا . .

وتاكتيكات لعبة الأمم ، فرضت على الانجليز أو الأمريكان ، الاستعانة بالدب الروسي نكاية في النسر الأمريكي أو الأسد البريطاني ، مع اطمئنان كل من المتصارعين الاستعماريين ، إلى أن التخلص من الدب الروسي سهل وممكن في اللحظة المناسبة ، كما حدث في حالة مصر والصومال والعراق على سبيل المثال . . وسنرى خلال هذه الدراسة أن أهم خطوة في العلاقات المصرية ـ الروسية ـ صفقة السلاح ـ كانت بعلم الأمريكان ، إن لم نقل تشجيعهم كما تعاون العملاقان إلى أقصى حد ضد محاولة العودة البريطانية ـ عدوان ١٩٥٦ ـ .

ويجدر أن نشير هنا إلى تجربة مماثلة حدثت في العالم العربي ، وللأسف فإن نفس التزوير ، والرغبة في خداع النفس ، والتشبث بالأوهام ، منعت من دراستها الدراسة الواجبة ، ولو حدثت هذه الدراسة ، لربما تجنب قادة حركة ٢٣ يوليو الوقوع في نفس الخطأ . . ولربما تجنبوا أن يأتي مؤرخ فيطلق على حركة ٢٣ يوليو اسم « ثورة كيرميت روزفلت » كما أطلقنا نحن على ثورة الشريف حسين أو « الثورة العربية الكبرى » لقب « ثورة لورنس » .

---

* حتى الروس نصحوا عبد الناصر بالكف عن التدخل في الشئون الداخلية للدول الأخرى .

ففي الحرب العالمية الأولى كانت بريطانيا تحتل معظم العالم العربي ، ومصر والسودان ، وتعتبر الجزيرة العربية في منطقة نفوذها ، وكان العدو هو تركيا ، وهي أيضاً الامبراطورية الآفلة التي تستعد بريطانيا لوراثتها ، وكانت بريطانيا تخشى أن ينضم العرب للأتراك تحت تأثير الرابطة الدينية ، أو حتى بالحس السياسي الذي كشف لهم ما تدبره لهم بريطانيا وفرنسا .

ولذلك قامت المخابرات البريطانية بتدبير ، ما وصف بعد ذلك ، بالحدث الفريد من نوعه ، وهو الاتفاق مع الشريف حسين على إعلان « الثورة العربية » ضد دولة الخلافة . . وبقية القصة معروفة ، إذ كانت هذه « الثورة » أحد العوامل في تمكين الاستعماريين : البريطاني والفرنسي في المنطقة ، فتقاسما الوطن العربي كأنه فريسة بلا حول ولا طول . . وأعطيت فلسطين لليهود بلا اعتراض جدي من « الثوار » .

وسيجد المؤرخ تشابها غريبا في أحداث الثورتين ، الشريفية والناصرية ، وبعض المؤرخين يسلكهما في خيط واحد في سجل تشريفات القومية العربية ! . . سيجد نفس اللامبالاة بالصهيونية في البداية ، بل والأمل في التصالح معها . . وسيجد هذه العلاقة « العاتبة » ؛ « المتوقعة » . . « الشاكية » . . « المتوترة » . . والتي ستنتهي بهزيمة عسكرية فادحة هنا وهناك ، وفي المرتين يتساءل المؤرخ . . لماذا اندفع الشريف حسين إلى محاربة عدو أقوى منه وأقدر على إنزال الهزيمة الساحقة به ، وفق كل المعلومات المتاحة . وذلك في عام ١٩٢٦ ضد السعوديين ولماذا رفض عبد الناصر في ١٩٥٦ تصديق جميع التحذيرات التي أكدت له نية العدوان ، ثم انساق إلى هزيمة ١٩٦٧ بعد نصف قرن من تورط الشريف حسين ؟! . . ويستحيل الوصول إلى جواب مقنع ، إذا ما أصر المؤرخ على إغفال هذا العنصر في الحالتين ، الارتباط مع المخابرات البريطانية ، ومن ثم تصور استحالة تخلي الانجليز عنه ، وفي الحالة الثانية الارتباط مع المخابرات الأمريكية ، والظن بأن الولايات المتحدة ستتقدم بحل آخر لحظة ولن تسمح بقيام الحرب .

أوجه كثيرة للشبه يمكن أن يجدها المؤرخ أو حتى القارىء الذكي . . بين تدبير الانجليز ، إزاحة الترك « بثورة » عربية كبرى وبين تنصيب أمريكا لعبد الناصر زعيما للثورة العربية مرة أخرى لإزاحة الانجليز . . بين أعمدة الحكمة السبعة للورنس وبين لعبة الأمم لكوبلاند . . وقد أشرنا بالتفصيل لثورة لورنس في كتابنا « القومية والغزو الفكري » الصادر عام ١٩٦٦ . . وكذلك في كتابنا « السعوديون والحل الإسلامي » الصادر عام ١٩٨٠ . . ويمكن لمن شاء الرجوع إليهما .

وبعد . . .

فقد كانت في مصر ثورة حقيقية وطنية تجمعت خلال الحرب العالمية الثانية ، وتفجرت بقرار الوفد التاريخي بإلغاء المعاهدة . . وكان تنظيم الضباط الأحرار جزءاً من هذه الثورة ،

وكان عبد الناصر وطنياً مصرياً يتطلع لإنجاز هذه الثورة ، ولكنه بطبيعته الانطوائية ، فضل الانقلاب العسكري على الثورة ، وبطبيعة الشك في نفسه ، والتقدير الزائد لأهمية سلامته الشخصية ، أراد أن يؤمن هذا الانقلاب بالاتفاق مع المخابرات الأمريكية؟[٧] ، وبتعطشه الزائد للسلطة واقتناعه بأن مصير مصر والأمة العربية رهين باستمراره في هذه السلطة مهما كان الثمن . . حدث ما حدث . .

مما نتلو عليك بعضه .

مراجع وملاحق خطبة الكتاب
من صفحة ٩ إلى صفحة ٢٨

المراجع

١ ـ جولدا مائير : حياتي ص ٢٨٨ .
٢ ـ ن . م : ص ٤١٥
٣ ـ كتاب لعبة الأمم : مايلز كوبلاند .
٤ ـ زكريا محيي الدين عن حمروش .
٥ ـ تقرير فريق المستشارين الأمريكي من مؤسسة آرثر ليتل كومباني في بوسطن .
٦ ـ رسالة مصطفى أمين لعبد الناصر .

الملاحق

م[١] ـ أحمد فؤاد كان شيوعياً قبل انقلاب يوليو والرجل الثاني في تنظيم نحشم الذي كان يترأسه ايللي شوارتز صهر موشى ديان وتربطه علاقة غريبة غير مفهومة مع جمال عبد الناصر وبقي إلى جانبه في وقت سجن الشيوعيين وقتلهم وعينه عبد الناصر مشرفاً على دار روز اليوسف في ظل الغزوة الخرشوفية . . ثم مديراً لبنك مصر بلا أي علاقة مع الاقتصاد والبنوك فهو خريج حقوق . . ومازال وضعه يمثل علامة استفهام . .

م[٢] ـ حتى ليمكن القول بكل ثقة إنه لو كان يحكم مصر جاسوس إسرائيلي مثل « ايللى كوهين » أو « كمال أمين ثابت » لما استطاع أن يضيف لمصلحة إسرائيل قراراً واحداً إلى ما فعله الزعيم ! . .

م[٣] ـ بعض المتسولين الذين أطلقتهم السلطة وأعطتهم صحافة ضنت بها على أصحاب الرأي ، لتشويه الديموقراطية ومحاسبة أنصارها بما يرتكبه هؤلاء ! . . بعضهم كتب يقول إنني تعرضت « لأم » عبد الناصر رحمة الله عليها . . فلما بعثنا له رداً على يد محضر تتهمه بالكذب والافتراء لأننا لا نتعرض للأمهات ولا لما نجهل . . نشر تكذيبنا له كالآتي : « كذب الأستاذ جلال كشك ما جاء على لسانه » !! وثار المحامي واقترح أن نقاضيه أو أن نرسل تصويباً آخر ظاناً أنه كتب ذلك عن سوء نية ! . . فقلت له هؤلاء التي قال عنها الأعرابي : « لا تلاغيها يكثر هرجها » ! . . وقد كتبوا هذا عن جهل باللغة والكتابة ولو كانوا يعرفون الفرق بين ما نسب إليه وما جاء على لسانه لما أعطوهم جريدة !

م٤ ـ لا شك أن اضطراباً شديداً قد وقع في صفوف الناصريين والمتاجرين بالناصرية والكائدين لمصر باسم الناصرية ، عندما نشرت كتابي « كلمتي للمغفلين » حيث طرحت فيه لأول مرة دراسة كاملة بالوثائق لطبيعة الانقلاب العسكري الذي نفذه جمال عبد الناصر ولم يكن - في بدايته على الأقل - أكثر من واحد من عشرات الانقلابات العسكرية التي نفذتها المخابرات الأمريكية في شتى أنحاء العالم الثالث . . ولم يجرؤ ناصري واحد على أن ينقد حرفاً في هذا الكتاب ، ولكن لما نصب المولد ، وجاء الحاوى الطروب وأحاطت به القردة ، في ذكرى هزيمة سيناء الأولى ، ومرة أخرى وجدوني أتصدى لهم ناقلاً المناقشة من أعظم ثورات العرب التحررية ، كما يخلعون على انقلاب ناصر الذي أفضى بالعرب إلى أحلك وأذل مرحلة في تاريخهم . . نقلت المناقشة إلى « أمريكية » الانقلاب ، وهل كان عميلاً . . أم مجرد متعطش للسلطة قبل أن يحقق هدفه بمساعدة المخابرات الأمريكية . .

ولما كان نفي الاتصال بالأمريكان أو إنكار دعم الأمريكان « للثورة » مستحيلاً بعدما قدمناه من أدلة ووثائق ومنطق ، وبعدما نشر في العالم كله من حقائق ، فقد دب الاضطراب في صفوفهم ، وراحوا يحاولون إخفاء الدور الأمريكي في انقلاب يوليو بمحاولات وتصريحات وتفسيرات مضحكة إلى حد البكاء ، وقد تغلبت غريزتي المسرحية (وأنا كاتب لمسرحية واحدة يتيمة) وأسلوبي الذي يقول البعض إنه ساخر ، تغلب علي فكتبت على ظهر تصريح للسيد علي صبري ، التعليق التالي ، رأيت أن أنشره ترويحاً للنفس قبل أن نخوض في كآبة ما أنزلته بنا ثورة يوليو الأمريكية ! فاقرأوا السطور التالية كنكتة . .

أدلى « علي صبري » بتصريح قال فيه إنه قابل عبد الناصر لأول مرة في حياته ليلة الثورة وطلب منه عبد الناصر في أول مقابلة : حاجة بسيطة خالص . . يخطف رجله للسفارة الأمريكية ويطلب منهم منع بريطانيا من التدخل ضد الثورة ! . .

واسمعوا القصة : « وكان من الطبيعي أنه في ليلة ٢٣ يوليو أن الرسالة التي يراد أن تبلغ إلى السفارة الأمريكية تبلغ من خلالي بحكم العلاقة الشخصية مع الملحق الجوي الأمريكي وقد اتصل بي البغدادي ليلة الثورة واستدعيت إلى القيادة وقابلت عبد الناصر وكانت هذه أول مقابلة ، وأبلغني نص الرسالة الشفوية التي من المفروض أن أبلغها للملحق الجوي الأمريكي والرسالة بسيطة جداً فالجيش قد قام بحركته لتطهير القوات المسلحة من العناصر الفاسدة وليس للحركة أية أبعاد سياسية والشعب كله سيؤيدها لأنها ستتمشى مع مصالحه والمطلوب أن تتدخل سفارة الولايات المتحدة لمنع أي تحرك للقوات البريطانية من منطقة القناة وقد ذهبت إلى الملحق الجوي الأمريكي وأبلغته الرسالة واتصل أمامي بالسفير الأمريكي في الأسكندرية لينقل إليه ما سمعه مني وفعلا وصلت الرسالة إلى السفارة البريطانية فيما بعد وكان ذلك من الأسباب التي أدت إلى عدم تدخل عسكري بريطاني في الأيام الأولى » .

وتفسير ذلك بالبلدي أن الملحق الجوى الأمريكي قاعد لا بيه ولا عليه بياكل همبرجر . . دق الباب . .

- مين ؟

ـ أنا علي صبري ! . .
ـ أهلا علوه ! . . اتفضل همبرجر . . بيبسي !
ـ ألف هنا وشفا . . أصل أنا مستعجل . .
ـ خير كفى الله الشر . .
ـ لأ أنا قصدك في خدمة . .
ـ تؤمر ياعلوه !
ـ احنا احتلينا القيادة العامة والإذاعة ومسكنا البلد . . لكن وحق العيش والهمبرجر . . ولا ينقلب على عيني عدس ياشيخ لا احنا بتوع سياسة ولا لينا أهداف سياسية . . غير شي كام ضابط عايزين نطهرهم !!

الملحق الجوى ـ أنا تحت أمرك عايز مطهرات من أمريكا ؟!

علي صبري ـ لأ . . أبسط من كده . . عايزين السفارة تشد تليفون للسفير البريطاني وقائد جيش الاحتلال البريطاني . . وتقول لهم حسك عينك تقربوا ناحية الجيش وحركة الجيش . .

الملحق الجوي ـ غالي والطلب رخيص ياعلي ! . . والله ما تقوم إلا مبسوط هاتي التليفون يابت . .

آلو ـ السفير كافري ؟! حذر فزر مين هنا ؟! . . لأ . . هيكل مشغول معاهم ؟! . . علي صبري صاحبي اللي كنت بأسهر عنده . . هو الحقيقة جاي قاصدني . . وأنا قلت بقى إنك مش حتكسفنا . . هو أصله قاصدنا ندى إنذار لبريطانيا العظمى حليفتنا رقم واحد في حلف الأطلنطي ، والمسئولة رقم واحد عن مصر . . لأن هم عملوا حركة قصدها تطهير الجيش . . وأنا صدقته وقلبي انشرح له .

السفير الأمريكي ـ على ضمانتك ؟ أوعوا يكونوا بتوع سياسة . .

الملحق الجوي ـ أعوذ بالله . . دا وشه سمح ولا يمكن يكذب ! واتصل السفير الأمريكي على الفور بوزير الخارجية في واشنطن :

اتشيسون : خير الساعة كام دلوقتي . . في ايه ؟ . الملك عايز حاجة ؟!

كافري : ملك مين ؟ كل سنة وأنت طيب . . في واحد اسمه علي صبري . . طبعا ما تعرفوش ولا أنا أعرفه . . لكن هو بينه وبين الملحق الجوي بتاعنا عيش وملح . . الستات زي الأخوات . . وهو اتصل بالملحق الجوي علشان التطهير . .

ـ تطهير ايه ياسفير الكلب تصحيني من النوم علشان عاوز شوية مبيدات . .

ـ لأ اسم الله على مقامك . . دول مش عايزين حاجة غير إنذار صغير يرسل للندن الليلة علشان ما حدش يتدخل .

واتصل وزير الخارجية الأمريكي بالرئيس الأمريكي . .

اتشيسون : صباح الخير ياريس .

رئيس الولايات المتحدة : خير ايه وبتاع ايه الساعة كام ؟!

وزير الخارجية : متأسف ياريس . . إنما تعرف سفيرنا اللى في مصر ؟ لأ . اسمه كافري . .

عنده ملحق ، والملحق مراته تعرف مرات واحد اسمه علي صبري . . لأ بالإس S ياريس ! . .
أيوه طول بالك . . علي ده زار الملحق النهاردة وطالبين إنذار لبريطانيا . . هم مش بتوع سياسة أبداً ، ولا ليهم أهداف سياسية . . دا مجرد تطهير .
- طب ما يكلموا منظمة الصحة العالمية ؟! . .
- لأ هم عندهم مستشفى المواساة وعندهم مطهراتية بس عاوزين تليفون منك لتشرشل تقول له إذا تدخلت بريطانيا الأسطول السادس حيضربها . .

وقد كان واتصل ايزنهاور بتشرشل وشلت يد بريطانيا ولم تتدخل بفضل زائر الفجر علي صبري ووجهه السمح الذي كسب قلب الملحق الجوي !

هل يليق هذا العبث ؟ . . ولماذا هذا اللف والدوران . . مادام عبد الناصر يخشى تدخل الانجليز ضد الثورة ، فهل يعقل أن ينتظر إلى أن تصبح أمراً واقعاً ، وماذا يحدث لو رفض الأمريكان . . تضيع البلد ؟ أليست رواية جميع المصادر العاقلة أكثر منطقية . . وهي أن عبد الناصر الحريص على تأمين الثورة ، اتصل قبل الثورة بالأمريكان شارحاً أهدافه ، عارضاً التعاون ، وعلي صبري نفسه يشهد حرفياً بالتقاء المصالح عندما قال : « أعتقد أن الأمريكان قد وجدوا في الثورة فرصة ، فهم بمساندتهم لها يستطيعون أن يقلصوا نفوذ الانجليز وتحل أمريكا مكان الانجليز ، وكان هذا هدفاً استراتيجياً لأمريكا بعد الحرب العالمية الثانية ، ومصر مفتاح الشرق الأوسط وإذا استطاع الأمريكان أن يزعزعوا النفوذ البريطاني في مصر وبالتالي المنطقة العربية ، وكانت هذه هي الأرضية المشتركة التي عمل عبد الناصر على اللعب بها فهناك تناقض بين الاستراتيجية الأمريكية والاستراتيجية البريطانية . وهذا لا يعني أن تأييد الأمريكان للثورة كان تأييداً مطلقاً ولكنه بهدف تثبيت أوضاع الثورة ثم الانطلاق منه إلى تقليص النفوذ البريطاني تمهيداً للسيطرة » (حرفياً حديث صحفي - نوفمبر ١٩٨٦) .

صدقنا وآمنا . . وقلنا كما قال النجاشي . . هذا والانجيل مثل هذين ! وسبحان من ضرب مثلاً ما جناح بعوضة !

* الأمريكان استراتيجيتهم هي إخراج بريطانيا من مصر .
* وجدوا في ثورة عبد الناصر فرصة لتحقيق ذلك .
* عبد الناصر وجد أن هذه أرضية مشتركة ، تمكنه من الحصول على الدعم الأمريكي لثورته .
* الأمريكان رأوا أن دعم هذه الثورة وتثبيتها يحقق لهم تصفية النفوذ البريطاني والسيطرة على مصر . .

وكل امرأة طالق وكل رقبة حرة إن كنا قد قلنا أكثر من ذلك ، إلا أن استراتيجية أمريكية منذ الحرب العالمية الثانية ، لا يمكن أن تنام عليها أمريكا حتى ينبهها علي صبري ليلة الثورة أو صباحيتها . . واستراتيجية خطيرة مثل هذه لا يمكن أن يكتشفها عبد الناصر ليلة الثورة ، ولا يمكن أن يؤجل دراستها وتجربتها ومحاولتها إلى أن يغامر بها مرة واحدة يوم الثورة . .

لقد اتفق الطرفان على تنفيذ الثورة ، ولا يضير الناصريين الشرفاء أبداً الاعتراف بهذه الحقيقة فهي لا تجعل من عبد الناصر عميلاً ، وإنما متآمراً . . وقد قلنا إن هذه « المؤامرة » ضمنت نجاح

الانقلاب ، ومنعت تدخل الانجليز وحققت الكثير من النجاح ، ولكن لأنها كانت مؤامرة ومع المخابرات الأمريكية فقد انقلبت بعد ذلك على المتآمر ودمرت كل شيء ومكنت إسرائيل من إلحاق الهزيمة التاريخية بمصر والعرب . .

فلا داعي للف والدوران وتغطية الرأس بكشف السوءة ، الاتفاق الاستراتيجي بين « انقلاب » يوليو والأهداف الاستعمارية الأمريكية متفق عليه . . نحن نقول « قبل » وهم يقولون « بعد » . . فأي الروايتين أكثر منطقاً وعقلانية ؟!

م[٥] ـ ويدعي مايلز كوبلاند أن عبد الناصر قال له إنه موافق على مقالة هيكل ، وإن كان الأمر ليس بالبساطة التي عرضها هيكل . وأنه وبخ هيكل على المقال ! . . انظر : لعبة الأمم ص ٢٧٠ ـ ٢٧١ .

م[٦] ـ ذكر تقرير للمخابرات الأمريكية أن واحداً من زعماء بيروت المسلمين الأربعة ، حصل على ٧ ملايين ليرة لبنانية من مصر خلال أحداث ١٩٥٨ .

الفصل الأول

التاريخ البلاستيك وهيكل ..

عندما يكتب التاريخ بهدف إخفاء جريمة فهو تزوير في أوراق وطنية ! . .

ج

مؤرخ الناصرية ، يشكو فقدان المصداقية ! ـ فهو كما يقال ـ يقتل القتيل ويمشي في جنازته ، ذلك أنه كمسئول عن الإعلام الناصري ، الذي وضع أسسه خبراء ألمان اختارتهم واستأجرتهم المخابرات الأمريكية لإنشاء وتطوير هذا الإعلام الناصري ، كان من الطبيعي أن يتسلح نجم هذا الإعلام بشعار جوبلز : « اكذب ثم اكذب واكذب أكثر . . وأخيراً سيضطر الناس لتصديقك » . .

وهذا طبعا يتطلب دعم الكذب بالإرهاب ومنع المعلومات عن الناس ، وحظر أي تشكك فضلاً عن مناقشة ما يقدمه الإعلام الرسمي من أكاذيب ، تحت طائلة السجن والتعذيب وأحيانا الموت ، عندئذ تصبح الأكذوبة هي وحدها المتاحة ، ويصبح قبولها أو رفضها سيان ، لأنه بدون المعرفة لا يوجد اختيار ، وبدون اختيار لا حرية وإذا انعدمت الحرية فلا حقيقة ولا تاريخ .

وهكذا كان الإعلام الناصري ، وهيكل فارسه* يكذب بلا حرج ولا حياء ويزيف الواقعة ، كيفما شاء وعدة مرات ، وفقاً لتطورات مواقف السلطة ، على نحو يتطابق حرفياً مع ما جاء في رواية « جورج أورويل » (العالم سنة ١٩٨٤) حيث تقوم الدولة أو « الأخ الأكبر » كما سمى الديكتاتور ، يقوم بتنقيح التاريخ مرة كل عدة سنوات ، فينكر ما كان مفروضاً كحقيقة ثابتة لعدة سنوات ، ويفرض من جديد ما كان مرفوضاً كأكاذيب . . !

وإذا كنت ـ شخصياً ـ قد تعرضت لكثير من وقائع تزوير التاريخ التي ارتكبها هيكل ، وذلك في كتبي ومقالاتي خلال عشرين عاما منذ أن امتلكت حرية النشر بخروجي من مصر عام ١٩٦٨** وإذا كان كتابي هذا ، يدور أساسا حول تزوير هيكل للتاريخ ، إلا أنني أردت

---

* دون أي انتقاص من جهد أحمد سعيد وعبد القادر حاتم . . الخ ولكن هيكل بلا شك كان المايسترو .

** انظر « أخطر من النكسة » ١٩٦٨ و « النكسة والغزو الفكري » ١٩٦٩ ومجلة « الشعب والأرض » .

أن أفتح شهية القاريء أو قل أقدم له صورة من أكاذيب هيكل ، في هذا الفصل ، باستعراض بعض الأمثلة للاستهتار الذي يتعامل به هيكل مع التاريخ والقراء ، من خلال المقارنة بين وقائع محددة ، ذكرها هو نفسه مرة في « ملفات السويس » الصادر باللغة العربية ثم عاد فأوردها بصورة مخالفة وذلك في « نفس الكتاب » ـ كما يؤكد هو ـ الذي صدر بالانجليزية تحت عنوان : « السويس : قطع ذيل الأسد » . . مع الإشارة ـ أحيانا ـ إلى الخلاف بين « ملفات السويس » العربية وأصلها الذي صدر منذ عشر سنوات باسم « قصة السويس » !

و « ملفات السويس » و « قطع ذيل الأسد » صدرا في وقت واحد ، فلا مجال للحديث عن ضعف الذاكرة أو ظهور حقائق جديدة ! وسيرى القاريء أن الطبعة العربية صدرت في ٩٢٨ صفحة من القطع الكبير أما الطبعة الانجليزية فلم تتجاوز الـ ٢٤٢ صفحة أي الربع تقريباً . . وقد اعتذر المؤلف بأنه اضطر للإطالة في الطبعة العربية لأن بعض التفاصيل ، لا تهم القاريء الأجنبي ، ولأن انعدام المصداقية في العالم العربي ، فرض عليه التوضيح والتوثيق على حساب الاختصار ، ومن هنا كان يفترض أن تكون الطبعة العربية هي الأحفل بالتفاصيل ، وإذا وقع حذف أو اختصار فسيكون من نصيب طبعة « التصدير » ، ولكننا سنثبت أو نكتشف معاً ، العكس تماماً ، فإن الطبعة العربية ـ على طولها ـ هي التي سقطت منها وقائع وحقائق في غاية الأهمية ، وأنها طالت بشقشقة اللسان والتهريج ببطولات كاذبة استحى هو أن يعرضها للقاريء الأجنبي أو اضطر ناشره الانجليزي إلى حذفها تمسكاً بشرف الكلمة ، واحتراماً لهذا القاريء الأجنبي . . الذي كان عند حسن ظنهما فاستقبل هذه الطبعة ببرود لم يجابه به أي كتاب لهيكل ذاته . .

أما عن الخلاف الواضح بين الطبعتين ، فلا مجال للاعتذار أو التبرير بخطأ المترجمين أو غشهم لسببين :

أن الاختلاف كما سنرى هو في وقائع وليس مجرد صيغ ، وأن الخلاف دائما في خدمة الهدف أو التهمة التي نتهمه بها ، وهي محاولة تضليل القاريء العربي بإخفاء حقائق العهد الناصري وخاصة فيما يثبت العلاقة بين عبد الناصر والمخابرات الأمريكية ، أو الترويج للولايات المتحدة والفكر الصهيوني . . ومن ثم فالمصلحة واضحة في الاختلاف ، مما يؤكد تعمد التزوير .

أما السبب الثاني فهو اعترافه بأنه هو الذي ترجم :

« ترجمت الكتاب الأصلي بنفسي إلى اللغة العربية إلا أني توسعت في التفاصيل فهناك كثير مما يهتم له القاريء العربي بدرجة أكبر بالقطع من القاريء الانجليزي أو الأمريكي أو الفرنسي أو الألماني أو الياباني . . إلى آخره »[1] .

ومن ثم فمن حقنا إزاء ما تعمد إخفاءه في الطبعة العربية أن نقول عن هذه الطبعة إنها كتبت « للمغفلين » للرعايا المتخلفين ، المحظور عليهم ، المعرفة . . أو النقد ، أما الطبعة « الأفرنجية » فكتبت للمتقدمين الذين يعرفون ، والذين يحترمهم الناشر فلا يسمح بإدخال الغفلة عليهم بالقصص التافهة المفضوحة التلفيق .

لقد ظن أن أحداً لن يهتم بمراجعة النسختين وكشف ما بهما من تناقض ، فقراؤه إما جاهل يكتفي بترديد : الله ! الله ! وهو يغني له : اضرب . . اضرب . . أو مهاتر يهاجمه بلا سند أو دراسة . . أو لعله اطمأن إلى حالة الكسل العقلي التي تسيطر على المثقفين مما جعل مثله يتصدر . . ونسي أننا من المدرسة القديمة جداً في احترام شرف الكلمة ، لا نتصيد ولا نتصدر لأمر دون دراسته ، ومهما كانت كتاباته كريهة على نفوسنا ، فلا يجوز أن ننقدها قبل قراءة واعية مدققة لها . . وهكذا شاء حظه أن نقرأ الكتابين بل الثلاثة . .

□ ومنذ البداية نلاحظ الخلاف بين أسباب إقدامه على التأليف ، ففي طبعة المتخلفين ، نجد حديثاً مما يطرب له هؤلاء المنبهرون ، وتتغنى به جوقة الناصريين ، فهو يحدثنا عن حشد من الناشرين من شتى الأجناس ـ يذكرنا « بصدى عالمي لخطاب الرئيس » ـ يحدثنا عن تجمع ناشريه من الانجليز والفرنسيين والأمريكيين والألمان واليابانيين[2] يطالبونه بأن يخرج للناس كتابا عن السويس « لا يضلون بعده » والمضحك أن ناشريه يكررون نفس الحكاية مرة كل عشر سنوات ، فقد روى نفس القصة في مقدمة كتابه عن « قصة السويس » ونفس الحشد من الناشرين يعاتبونه لأن الذكرى العشرين للسويس ستمر وهو لا يكتب عنها . . وتمر عشر سنوات أخرى لا هو يتذكر ولا الناشرون ينسون بل يأتون بجمعهم مرة أخرى ويصرخون : « كيف تأتي الذكرى الثلاثون . . وأنت . . الخ » .

أما في الكتاب المنشور بلغة هؤلاء الناشرين ، فقد رأى أنه لا يستحسن الكذب عليهم بمثل ما يقال للعرب ، وهكذا اختفت تماما حكاية مظاهرة الناشرين الذين نبهوه إلى العيد الثلاثين للسويس ، الذي كان قد نسيه ، فعل الزوج غير الوفي . . !

في الطبعة الانجليزية نجد حكاية أخرى تماما ، فهو الذي تذكر وهو يسأل نفسه ويجيب : « لماذا يكتب كتاباً عن السويس بعد مرور كل هذا الوقت ؟ ويجيب : لأن كل ما كتب كان من وجهة النظر الغربية . . ولكن الجانب المصري من الحكاية لم يوثق ! »[3] .

هنا في بلاد العرب لماذا لا يكتب وهناك لماذا يكتب ؟! وحتى هذه كذبة ! . . لأننا نعرف أنه سبق ونشر كتاباً ـ منذ عشر سنوات ـ باسم « قصة السويس » راج وذاع على حد قوله ـ حتى طبع في سبع لغات ! . . ولما كنا قد ناقشنا ذلك الكتاب وفندناه في كتابنا « كلمتي للمغفلين » فقد بدأنا نشك ـ ونحن من الموسوسين حول دقة ما نكتب ـ فشككنا . . هل ناقشنا كتاباً مزوراً لم يؤلفه المذكور . . ثم تذكرنا كذبه وتعوده أن يفعل الشيء أكثر من مرة

ويفتخر كل مرة أو يعتذر بأنها أول مرة* ، وقلنا : إنه ربما بعد ما فندنا كتابه هذا وعريناه تبرأ منه فعل والد السوء !

ولكن دعنا من هذا ، ولننتقل إلى ما هو أهم وأخطر ، بل إلى ما نعتبره فصل الخطاب ، وفعلة التي قطعت قول كل خطيب ، ولولا أن بني إسرائيل لا يؤمنون بآية واحدة ، لكان في تلك ما يكفينا ويغنينا عن تأليف كتاب . .

□ ذلك أن الناشر الأفرنجي أو المؤلف أو هما معاً ، لخصا مغزى وأهمية رواية هيكل لحرب السويس أو بمعنى أصح لقصة الناصرية من ١٩٥٢ إلى ١٩٥٦ في هذه السطور : « إن اتاحة أوراق عبد الناصر الخاصة** « لهيكل » وكذا الأرشيف المصري الرسمي ، مكنه من دعم ذكرياته بالعديد من الوثائق . ولكن الأهمية الحقيقية لهذا الكتاب تكمن في أنه لأول مرة يمكننا من رصد أحداث معروفة في ضوء جديد تماما ، فهي ليست مجرد كارثة نهاية امبراطورية . ولكن كفصل من العملية التي حاولت بها الولايات المتحدة استبدال الاستعمار القديم بنوع جديد من الهيمنة ، وهي ليست مجرد حدث تطويه كتب التاريخ بل فصل في دراما مازالت تجري أحداثها » .

ولأن المصداقية انعدمت ، بكتابات أمثاله ، فإننا نثبت النص الانجليزي حرفيا ، كما جاء على غلاف الكتاب أو « القميص » كما يسميه الناشرون العرب :

« Not simply as a disastrous epilogue to Empire, but as one stage in the process by which **the United States sought to supplant the old imperialism with a new form of hegemony** not as an episode that can safely be consigned to the history books, but as one act in a drama that is still played »

الناصرية ليست إلا فصل من قصة إحلال أمريكا سيطرتها أو هيمنتها محل الاستعمار القديم ! . .

بربكم . . هل قلنا أكثر من هذا . . ؟!

ألم يكن قراء « هيكل » من الناصريين يتوقعون أن يكون هدف كتابه هو العكس تماما ،

---

* في مصر أيضاً حاولوا أن يصفوا كتابه بأنه أول كتاب يطبع في مصر . . فلما رفع الناس حاجبهم اعتذروا بصوت خافت : منذ ١٩٧٤ ! . . وجميع كتبه التي طبعت بالخارج أو الداخل وزعت في مصر ولم يصادر إلا كتاب « خريف الغضب » إزاء السخط الشعبي الذي استقبل به ولكنه نشر بالكامل في صحف مصرية ! ثم أهملته السلطات وهو يباع الآن في مصر أو بالأحرى معروض للبيع .

** معلوماتنا أن عبد المجيد فريد باعها ! آه يا أوراق عبد الناصر الخاصة ، نهبك المماليك فور موت السلطان وباعوها في أسواق النخاسة ولدى القناصل . . ولم يفكر واحد منهم ولا السلطان من قبلهم بأنها من حق مصر الدولة ! وهل خطر ببال المماليك الاشتراكية أن هناك دولة أو حق مصر !

أي : « إثبات أن الناصرية لم تكن فصلا من ملحمة الدخول الأمريكي ، بل الرفض الوطني للاستعماريين من أجل الاستقلال والكيان الذاتي . . إلى آخر ما تعودنا سماعه وقراءته في نشرات الناصريين ؟!

إذا كان قد جاء أخيراً ليثبت ما أجهدنا أنفسنا في إثباته ، وما جلب علينا المتاعب والتهديدات . . فلا أقل من أن يشير إلى جهدنا في تنويره ! . . أما إذا كان الناشر الانجليزي قد وضع هذه العبارة من وراء ظهر « هيكل » معبراً عما فهمه من وقائع وسرد هيكل ، فقد أحسن الفهم ، وحتى لو كان لنا فضل السبق ، فإن الفرنجي برنجي . . واحتمال ثالث هو أن يكون هيكل قد عرف حقيقة أن الناصرية مجرد إفراز للتناقض الأمريكي البريطاني ، وأداة أمريكا في الحلول محل بريطانيا ، عرف هذه الحقيقة طول الوقت ، وأخفاها على المصريين والعرب ، بينما لم يستطع كتمانها على القراء من الفرنجة ، ومن ثم فهذا هو التدليس ، بل وتفرقة عنصرية لا نرضاها ، ودعنا من رضاء التاريخ وثقة المؤرخين . . أو شرف التأليف . . ولا ندري كيف استنتج بعض الدجاج في بلادنا أن ملفات « هيكل » أثبتت براءة « ثورة » يوليو من الدم والمصالح الأمريكية . بينما استنتج الناشر الانجليزي ، أن ناصر وناصريته وأحداثه وبطولاته وانتصاراته وحروبه وشغبه ـ كما رواها هيكل ـ ليست إلا مجرد فصل في مسرحية : « مات الملك البريطاني . . عاش الرئيس الأمريكي » ! أو بتعبير شكسبيري . . كانت الناصرية هي العبد الذي اغتال به الابن الأمريكي ، الأب البريطاني العجوز وورث قطيعه ومماليكه .

وأيضاً اختار الناشر أو المؤلف أو هما معاً ، كاريكاتيراً من صحيفة : « The New Statesman » وكتب تحتها تعليقاً يقول : « أمريكا المنتصر الأوحد في المرحلة »[4] .

سبحان الله !

نحن لم نذهب إلى هذا الحد في الغلو . . بل قلنا إن مصر كسبت أيضاً ولو جزئيا . . فيما يتعلق بتأميم القناة على الأقل ، ولكن « هيكل » عندما يتحدث بالانجليزية عن حرب السويس فهو يقرر أن أمريكا ـ بالفرحته ـ هي وحدها التي خرجت منتصرة ! . .*

وإذا كان الاعتراف هو سيد الأدلة . . فإن ما جاء على غلاف كتاب هيكل بالانجليزية هو أوضح وأصرح اعتراف بأمريكية الناصرية من ناحية المنطلق والتحرك والأهداف ، وإن كان هذا التلخيص لا يثبت أو يشير إلى علاقتها مع المخابرات الأمريكية ، ومن ثم يبقى الكثير من القول . .

ومرة أخرى فإن حصر الاختلاف « المقصود » بين النسختين ، جهد يفوق طاقتنا ويتخطى حاجتنا ، حتى لو اقتصرنا على التحوير السياسي وتزييف الوقائع أو تهذيبها أو

* هذا في إطار العدوان الثلاثي .

تلوينها . . فحسبنا إذن استعراض بعض هذه الاختلافات لا بترتيب أهميتها وإنما بترتيب ورودها ، حتى يتبين القاريء أي أسلوب في التاريخ يعتمده ذلك الشخص ، وإلى أي مدى يمكن الاعتماد على روايته . . وبالتالي حقنا ، بل واجبنا في الشك في دوافعه ومعتنقاته ، إذ لا يقدم على تزوير التاريخ إلا متهم صاحب مصلحة ، هارب من التاريخ ، مُدانٌ من التاريخ .

وقد تعرضنا في بقية فصول الكتاب لنماذج أخرى من تحويره وتبديله لرواياته هو ذاته . . ومن ثم فهذا الفصل ليس إلا فاتحة شهية :

□ خذ مثلاً واقعة لقاء الملك عبد العزيز مع الرئيس روزفلت ، وهو اللقاء الذي تجمع المصادر الأمريكية على أنه ترك أكبر الأثر في نفسية الرئيس الأمريكي واقتناعاته ، أو كما قال روزفلت نفسه : إنه خرج من ساعة قضاها مع عبد العزيز بتأثير ووضوح فاق كل ما استمع إليه من قبل حول قضية فلسطين ، ونذهب نحن وغيرنا إلى أنه لو عاش « روزفلت » لربما اختلف موقف الولايات المتحدة بعض الشيء ، هذا إذا كان لاقتناع رئيس البيت الأبيض من دور في السياسة الأمريكية . .

هذا اللقاء يقدمه هيكل في صورتين . . مرة في الطبعة العربية بما يكفل عدم مصادرة الكتاب في المملكة ، وما قد يغري السعوديين باستخدام مواهبه في « تحلية » التاريخ . . فالملك في هذه الطبعة منطقي ومفحم في رده على روزفلت : « لماذا لا يعود اليهود إلى بلادهم التي هاجروا منها خوفا من النازي » . .

نعم ! مادمنا هزمنا النازية فلماذا نحقق هدفها باستبعاد اليهود من أوروبا ؟! لماذا يستمر طرد أو فرار اليهود ؟! لماذا لا يعوضون على حساب دول المحور ؟! ما ذنب فلسطين لتدفع ثمن خطايا الآخرين ؟!

منطق قوي ومعقول . .

وهو « بالصدفة » ما حدث فعلاً وما قاله الملك وما نشرناه نحن وغيرنا عدة مرات بالعربية والأمريكية . .

ثم تأتي المفاجأة . .

ففي النسخة العربية نجد الملك يقول لروزفلت : « إن اليهود والعرب لن يتعاونوا أبداً في فلسطين . والعرب يشعرون بالتهديد المتزايد »* .

وهذا مشروع وعدل فاليهود والعرب لا يمكن أن يتعاونوا في فلسطين « لأن اليهود يريدون طرد العرب من فلسطين وهناك خطة لشراء الأراضي » .

ولكن في الطبعة الأجنبية التي كان أحرى به أن يحسن فيها تقديم الموقف العربي ، تجده على العكس من ذلك يشوه الموقف ويسيء إليه عند الألماني والياباني . . إلى آخر قارئيه كما

استعرضهم ! هناك نجده يعرض موقف الملك على هذا النحو : « قابل الملك عبد العزيز ظهر اليوم التالي ، فتدارسا مشكلة اليهود المشردين في أوروبا فأصر الملك على استحالة التعاون بين العرب واليهود في فلسطين أو في أي مكان آخر »[٦] .

في الطبعة العربي وقف عند فلسطين ، أما في الطبعة الأفرنجي فأضاف « أو في أي مكان آخر » .

هنا تشويه مقصود لموقف الملك بل للموقف العربي كله . . فالموقف هنا لا ينبعث من مشكلة فلسطين ، ولا هو صراع مشروع لقومية أو شعب يقيم فوق أرضه يراد منه التعاون مع غازٍ يطمع ويسلب فعلاً . . هذه الأرض . . لا . . إنه موقف عنصري عام شامل في كل مكان لأنهم عرب وهم يهود . .

هنا تسقط جريمة الغزو الصهيوني لفلسطين باعتباره المثير لعداوة العرب ومبرر هذه العداوة . . وتسقط مشروعية الرفض العربي . . باعتباره ينطلق من حقهم في بلادهم . .

وهذه هي عبقرية الدعاية السوداء والرمادية التي يحدثنا عنها . . أي فن إضافة نصف سطر ينسف الموقف ويشوه القضية؟[١] .

في الطبعة الأجنبية يحذف منطق الملك المقنع الذي يطالب فيه بمنع الصهيونية من تنفيذ المخطط المعادي للسامية الذي بدأته النازية ، مخطط إخراج اليهود من أوروبا . . ومنطق الملك هو المنطق السليم الذي يتهم الصهيونية بأنها تنفذ مخطط النازية هذا ، باستمرار فرز اليهود وترحيلهم . .

من الذي عدل الرواية ؟ من الذي حور النص ؟ . . وأيها النص ؟ وكيف لا يتساءل المثقفون في بلادي : كيف يؤتمن هذا على النصوص والتاريخ ؟!

وبالمناسبة ، في الطبعة العربية وبهدف مغازلة السعوديين وتنشيط البيع جاء لقاء عبد العزيز مع روزفلت على مدى خمس صفحات ، أما في الطبعة الأفرنجية فقد اختصر إلى نصف صفحة !

□ ونمضي في المقارنة بين ما قيل للغربيين المتنورين ، وما أعدته مؤسسة تزييف التاريخ لقرائها بالعربية . . فنقارن بين صفحتي ٤٩ ع و ٨ خ فنفاجأ بأن الأستاذ قد أتحفنا بنص رسالة الوزير الأمريكي المفوض في مصر عن اللقاء بين فاروق وروزفلت ، وترجمها مشكوراً هو أو مكتب سكرتيرته السابقة ، المتآمرة على « الزعيم » بواقع التسجيلات . . ومنح الخطاب رقم ١١ في قائمة « الوثائق » التي ازدان بها الكتاب العربي وطرب لها الأميون . . ومن أجل استرداد المصداقية التي ضاعت ! إلا أننا نكتشف أنه حتى في الوثائق ، فإن الأخ الأكبر لا يتورع عن تنقيح التاريخ ، بما لا يخدش حياء قرائه القاصرين . . ففي « الوثيقة » العربية سقط عمداً أهم ما قاله الرئيس الأمريكي للملك فاروق . الأمر الذي لم يكن بوسعه

حذفه من الطبعة الانجليزية . . أو من يدري لعله فعل وأضافه الناشر الانجليزي لتعزيز المصداقية إياها ! . . والنص المخفي هو :

« واقترح الرئيس الأمريكي على ملك غير متجاوب ، اقترح روزفلت تقسيم الملكيات الكبيرة في (مصر) وتسليمها للفلاحين لزراعتها »[٧] (وقد بلغ الحرص على دقة النص أن كلمة « فلاحين » كتبت هكذا : Fellahin . . لتحديد الطبقة المقصودة بالتوزيع ج) . .

لماذا ضن « هيكل » على البؤساء من قرائه العرب بهذا النص البالغ الخطورة ؟! . . رغم التطويل المتعمد في الطبعة العربية والاختصار في الانجليزية . . لماذا ؟

الجواب معروف : لأنه يعزز حجة القائلين بأن الإصلاح الزراعي هو أصلاً ، مطلب أمريكي قديم منذ ١٣ فبراير ١٩٤٥ أي قبل الثورة بسبع سنين*.

وها نحن في أول لقاء بين رئيس أمريكي وملك مصر ، لا يجد الرئيس الأمريكي ما يقترحه على « ملك غير متجاوب » بل مهتم أكثر بالشكوى من معاملة الانجليز ، لا يجد الأمريكي ما يطلبه إلا الإصلاح الزراعي . . ولكن لأن هذه الحقيقة تعزز حجج خصوم الناصرية فقد استحقت أن تنسخ وفي أول ملزمة . . ولكن هيهات فقد بقي حكمها ! بل ونصها الأفرنجي !

وعندما يكتب التاريخ بهدف إخفاء تهمة ، فهو لا يكون تاريخاً ، بل شعوذة وتزويراً في مستندات رسمية . .

آه ! ولكن القانون في أجازة !

□ ولنفس الهدف ومن نفس المنطلق الذي دفعه لتزوير حجج ومنطق الملك عبد العزيز نجده يزور أيضاً حقائق المواجهة العربية الإسرائيلية الأولى . . وتفصيل ذلك أنه إذا كان التحليل السليم لحرب فلسطين الأولى ، لا يغفل أنها كانت ـ في أحد جوانبها ـ مظهراً « للصراع الأنجلو ـ أمريكي » ، إلا أن هذا لا ينكر جوهرها ، وهو الصدام بين القومية العربية والامبريالية الصهيونية ـ الأمريكية ، بين الشعب الفلسطيني والغزو الاستيطاني اليهودي . أما هذا الصنف من مزوري التاريخ فيغفل ـ عن عمد ـ جوهر الصدام ويتشبث بجزئية الصراع الأنجلو ـ أمريكي ، فيصور الحرب وكأن إسرائيل (الوطنية) خاضتها ضد بريطانيا وعملاء بريطانيا من الحكام العرب ! ومن ثم فلا مبدئية ولا قضية ولا مشروعية للموقف العربي ! وهم بهذا يلتقطون أو يتقممون أكذوبة إسرائيل عن حرب « الاستقلال » !

فهو يقول لقرائه « الأجانب » : إن الانجليز أرادوا الدخول المصري في حرب فلسطين ، « لحرف أنظار المصريين عن النزاع معهم ، وكان في وسع الانجليز الاعتماد على الملك فاروق

* راجع ما كتبناه عن السد العالي

الذي كان واعياً بنقص شعبيته وأن البلاد كانت تعاني من كساد اقتصادي ، ومن ثم فإن نصراً عسكرياً هو بالضبط ما يحتاجه الملك الذي كان الآن كولونيلاً فخرياً في الجيش البريطاني و « فيلد مارشال » مصرياً . وهناك أدلة على أن بريطانيا كانت مستعدة لتسليح مصر بطريقة غير عادية . . السماح بالسرقة[8] .

وهذا العرض المشوه المزور لطبيعة الحرب الوطنية الفلسطينية ، وفي كتاب مصري بالانجليزية لا يمكن إلا أن يضاف إلى ترسانة الإعلام الصهيوني وسنعود لهذا بالتفصيل في الفصل القادم .

□ ونفس الأسلوب في تبني المنطق الاستعماري الذي شوه المطالب الوطنية ، نجده في حديثه عن المطلب المصري ـ السوداني ، التاريخي والأصيل وهو « وحدة وادي النيل » والذي كان التخلي عنه بل تحطيمه هو أبرز منجزات الناصرية لصالح الاستعمار وضد المصالح الحقيقية ، والحقائق التاريخية للشعب في مصر والسودان بل مصالح الأمة العربية والشعوب الأفريقية ، وكما كانت حرب فلسطين في التفسير الصهيوني ـ الهيكلي ، حرباً استعمارية أرادها الملك فاروق لحل الأزمة الاقتصادية ! . . كذلك يطرح هذا التفسير قضية وحدة وادي النيل كخرافة يتمسك بها الملك وحده :

« مسألة السودان أو ما يسمى بوحدة وادي النيل لعبت دورا هاما في مفاوضات ما بعد الحرب ، فقد كان مفهوماً أنها قضية عزيزة على قلب الملك فاروق ، الأمر الذي لا يستطيع أحد من وزرائه تجاهله . ولكن عندما اختفت الملكية أصبح الطريق سالكاً للسودان لكي يستقل عن كل من مصر وبريطانيا »[9] .

غير صحيح !

وحدة وادي النيل ، كانت مطلباً أو هدفاً . . عزيزاً على قلب كل مصري وسوداني ، إلا أيتام الاستعمار ، وصبيته ! فمنذ الاحتلال وقبل أن يولد فاروق وهذا المطلب على رأس الأهداف القومية ، وإحدى رصاصات الورداني الشهيد كانت ضد اتفاقية ١٨٩٩ التي سلم فيها بطرس غالي بسيادة بريطانيا « مع » مصر على السودان ، وصيحة البرلمان المصري الأول الخالدة ثم ثورة ١٩٢٤ وتعثر جميع المفاوضات حول السودان . . الخ ، ولا يقلل من أصالة ومشروعية هذا الهدف عجزنا عن تحقيقه . . وإلا فماذا يبقى لنا إن حكمنا بنفس المنطق على أهدافنا التي ضيعها انقلابيو يوليو . . وغيرهم من قادة العرب ؟!

مصر كلها كانت تطالب ، ويستشهد بنوها من أجل الجلاء ووحدة وادي النيل . والسودانيون صوتوا بأغلبية كاسحة مع الوحدة في أول انتخابات حرة تشهدها بلادهم ، بل وهل أقول وآخر ؟! . . أول خطاب أذاعه محمد نجيب بصوته كان موجهاً إلى « إخواني أبناء وادي النيل » .

والسودان لم يستقل عن كل من مصر وبريطانيا .

فمصر لم تكن تستعمر السودان مثل بريطانيا . . ولا حتى تحكمه . .
السودان استقل عن بريطانيا . . وانفصل عن مصر . . هكذا يجب أن يكتب التاريخ . .

ومهما يكن موقف الملك ، فلم يكن هو سر تمسك مصر بالسودان ، بل لعلنا لا نذهب بعيداً إذا قلنا إن الارتباط بالسودان كان عند البعض مبرراً للتاج . .

وبالطبع الصيغة العربية مخففة ومنقحة ، وهي لا تجعل انفصال السودان « نصراً » « تحرريا » كما هو الحال في النص الانجليزي ، بل ظاهرة عجز . .

على أية حال . . لقد اضطر المنظر إلى الاعتراف بما ذهبنا إليه في « كتابنا »* من أن إلغاء الملكية كان بهدف التخلص من مشكلة اللقب « ملك مصر والسودان » . . وإذا كان هو في الطبعة العربية يحاول أن يغرر بالقارىء المصري ـ السوداني ، فيزعم أن مساوىء الملك انعكست على التاج ، وبالتالي على فكرة الوحدة ، مرددا بذلك كلام الاستعماريين الانجليز في السودان الذين هاجموا شعار الوحدة تحت « التاج المشترك » بإطلاق شعار « المهرج المشترك » لعباً على التشابه بين لفظي Crown و Clown** فيقول : « ففي تلك الأحوال والظروف لم يكن التاج رمزاً لوطن ، وإنما تحول ليصبح مهانة له »[١٠] .

لا . . هذا نصب . . ! الوطن فوق النظام . . ومهما بلغ ضيق الصعيد أو الأسكندرية بحاكم مصر فهذا لا يعني الانفصال ، على أية حال الانفصال لم يتم في عهد فاروق ، بل بعدما ذهب الملك الفاسد وجاء الحكم الصالح . . لو كان انقلابيو يوليو وطنيين أو يريدون حقاً وحدة وادي النيل ، فلماذا عندما ألغوا الملكية ، لم يعلنوا جمهورية وادي النيل أو مصردان كما كان الوطنيون يقترحون ؟! لماذا لم يسموا محمد نجيب محبوب مصر والسودان ـ وقتها ـ « رئيس جمهورية وادي النيل » ؟! لسبب بسيط أنهم ألغوا الملكية بأمر من الأمريكان بعد مساومات وتسوية بين الانجليز والأمريكان اتفق فيها على خروج الانجليز من السودان ومنع وحدته مع مصر . . وأُمر عبد الناصر فاستجاب***

□ وفي الطبعة العربية ، عرضت قصة أم الرشراش (إيلات) بصيغة موفقة ، ترضي الملك حسين والرقابة في الأردن ، وتخفي دور الأمريكيين ورغم أنه أشار لقرائه العرب إلى نص « أبو الهدى » رئيس وزراء الأردن إلا أنه حذف الفقرة الخاصة بدور الأمريكيين في تسليم هذا الموقع لليهود كما حذف دور عبد الناصر والأمريكان في حرب ١٩٥٦ في تطويره إلى أهم ميناء إسرائيلي وأخطر ميناء على البحر الأحمر بفتح خليج العقبة للملاحة الإسرائيلية . .

---

* « كلمتي للمغفلين » الطبعة الأولى ١٩٨٥ وانظر مقالنا في مجلة أكتوبر .
** انظر كتابنا منابع ثورة مايو وكتابنا : كلمتي للمغفلين ـ
*** انظر فصل السودان في « كلمتي للمغفلين » .

في صفحة ١٩ من الطبعة الأوروبية نقل عن « توفيق أبو الهدى » رئيس وزراء الأردن في اجتماع رؤساء الحكومات العربية في يناير ١٩٥٥ أن السفارة البريطانية أبلغته بوصول رسالة من بيفن (وزير خارجية بريطانيا) تقول : « **إنه كان يتمنى من كل قلبه أن يمنع اليهود من احتلال أم الرشراش ولكن الحكومة الأمريكية ضغطت علينا** » .

هذه الفقرة حذفت من النص العربي ستراً لعورة الحكومة الأمريكية عن أعين « المتعصبين » العرب !

□ ومن يقرأ « قصة السويس ، آخر المعارك في عصر العمالقة » الصادر في ١٩٧٦ في الذكرى العشرين ثم يقارنه « بملفات السويس » الصادر في ١٩٨٦ ، يظن أن السنوات العشر قد أصقلت مؤلف الكتابين ونمت ضميره فأصبح أكثر ميلاً للاعتراف بالحقائق ، فهو في قصة السويس يبدأ متربعاً على عرش المجد ، يتحدث عن أعظم نصر في التاريخ الحديث !! ثم يفرد المقدمة كلها في الحديث عن أسباب ونتائج ومؤثرات السويس فلا يأتي ذكر للأمريكان ودورهم ، بل لن نقابل التطلع الأمريكي لوراثة بريطانيا ، ولن نلتقي بالمخابرات الأمريكية أو دور الأمريكيين قبل صفحة ٦٧ ، وفي صيغة نفي حازم قاطع فهي « خرافة » يروجها شخص تافه عميل للمخابرات الأمريكية اسمه « مايلز كوبلاند » لديهم أوراق تدينه . . الخ . .

أما في « الملفات » فالأمور تغيرت . . ووقفت الحقائق على قدميها بعض الوقت ، وإن استمر فمها مليئاً بالأكاذيب . .

ولكن شتان . . نحن هنا نبدأ « بصراع امبراطوريات » . . هذا هو المدخل الشرعي للحديث عن الناصرية . .

فهي ليست صراع وطنية مصرية ضد الاستعمار ، ولا صراع قومية عربية ضد إسرائيل ، ولا صراع شعب ضد حكم إقطاعي ملكي .

لا . . إنها مجرد فصل في صراع امبراطوريات . . صراع أمريكا ضد بريطانيا . .

هذه هي القابلة والحاضنة بل ووالدة طفل الأنابيب الأمريكية . . المشهور باسم : « ثورة يوليو » . . .

كيف يكون « انتظار الولايات المتحدة لميراث الامبراطورية البريطانية » المدخل للحديث عن ثورة يوليو . . إلا تسليماً بمفهومنا ، وهو أن الصراع الأنجلو- أمريكي على الشرق الأوسط دفع الولايات المتحدة للإطاحة بالنظم المرتبطة ببريطانيا بواسطة الانقلابات العسكرية كما حدث في سوريا ومصر ثم العراق وليبيا والسودان . . الخ . . الخ . .

إذا كنا قد ساهمنا في رد مؤرخ الناصرية إلى الصواب ، فهذا عزاء عما تكبدناه ، وإذا كنا لا نطمع في صحوة ضمير كاملة إلى حد الاعتراف بالعلاقة كلها . . إلا أننا تقدمنا على

الطريق خطوات حاسمة ، فبعد الحديث عن هذه الصلة « كخرافة » وصلنا في الطبعة العربية ، إلى التقاء المصالح والأهداف بين ثوار يوليو ورجال المخابرات الأمريكية وتعاونهما . . بعد الثورة وليس قبلها . . أما في الطبعة الأوروبية فقطعنا خطوات أبعد في عبارة شيطانية الصياغة تقول : « كان ناصر وصحبه يتطلعون بأمل للأمريكيين ، لم يكن لهم اتصال مباشر سابق مع الأمريكيين »[11]

أنت ترى أننا أوشكنا أن نتفق . . انحصر الخلاف في اتصال مباشر أو غير مباشر . . والاتصالات غير المباشرة هي ما يكون قبل الزواج مما يبيحه بعض الفقهاء المتحررين ! . . بينما الجمهور على تحريمه . . فما أسكر كثيره قليله حرام . . ومن حام حول الحمى سقط فيه . .

ولكن عملاً بمبدأ بورقيبة : « خذ وطالب . . » نقبل الانتقال من مرحلة النفي القاطع التي وردت عام ١٩٧٦ وهي : « لم يكن هناك اتصال بين الثورة والولايات المتحدة قبل ليلة ٢٣ يوليو » (محمد حسنين هيكل : قصة السويس ص ٦٨) إلى التاريخ المعدل طبعة ٨٦ المزيدة والمنقحة حيث أفرج عن النص التالي : « لم يكن لهم اتصال مباشر سابق مع الأمريكيين » (محمد حسنين هيكل أيضاً : قطع ذيل الأسد ص ٣٣ . .) وربما في كتاب قادم يقطع عضواً آخر للأسد أو الكلب ، يعترف بالاتصال المباشر وما أنجبه هذا الاتصال . . !

كذلك تحقق الاعتراف بتردد « كيرميت » روزفلت على مصر قبل الثورة ، وهو ما لم يرد له ذكر في قصة السويس موديل ١٩٧٦ . . أما في ملفات السويس المعدلة ١٩٨٦ فقد قيل « في أكتوبر جاء كيرميت روزفلت في أول زيارة له بعد الثورة ولن تكون الأخيرة »[12]

قول انشالله !

☐ وقد فات الجوقة أن تشيد بمهارة هيكل ككاتب سيناريو متفهم لروح العصر مع انتشار الإذاعات التي تتنافس على المسلسلات . . ومن ثم فهو يكتب لكل محطة ما يناسب جمهورها !

ففي إذاعة القاهرة ركن « الأهرام » ، لتسلية الأولاد ورفع معنوية الناصريين نرى حكيم زمانه الرئيس الخالد جمال عبد الناصر يبدي رأيه بالرمز في سياسة أمريكا « حين اختار هدية يحملها الدكتور « أحمد حسين » للرئيس « ايزنهاور » ليسلمها له يوم تقديم أوراق اعتماده له سفيراً جديداً لمصر في واشنطن ، وكانت الهدية نسخة من تمثال الإله أبيس ، وهو رمز الحكمة والتعقل عند قدماء المصريين»[13]

وقبل أن نصيح إعجاباً : يامعلم ! . . تسلبنا الطبعة المتحضرة سعادتنا وفخرنا . . فقد وردت بها التعديلات الآتية :

١ ـ محمد نجيب هو الذي أرسل التمثال وليس جمال عبد الناصر !!

والرد جاء لنجيب فلا حكمة ولا تعبير عن رأي عبد الناصر في السياسة الأمريكية . . !!

٢ ـ بينما القصة في الطبعة العربية توحي أن « النغزة » جاءت من مصر أو عبد الناصر بإهداء تمثال يرمز إلى التعقل . . نجد أن الطبعة الأفرنجي تفيد أن هذه الخصائص للإله أبيس جاءت على لسان الأمريكي ايزنهاور . . « كما قيل لي إنه يمثل الحكمة والعلم في مصر القديمة » .

٣ ـ في النسخة الانجليزي واضح تماماً أن التمثال أصيل ، ولكن لما كان المؤلف قد هاجم أنور السادات بتهمة إهداء آثار مصر ، ولما كان « جمهور الشباك » يريد أن ينسب الواقعة لعبد الناصر فقد اقتضى الموقف إضافة كلمة « نسخة » وتركت لمروءتك وفهمك ، فإما أن تفهمها على أنها نسخة بالكربون أو واحد من عدة تماثيل متشابهة وأصلية . . المهم ما تمشيش زعلان من الريس !

□ وهنا نقدم قطعة بل تحفة في فن التزوير ، ودعوة : اكذبوا على الناس على قدر عقولهم ومعلوماتهم . . نموذج لفن تنقيح التاريخ ، وإخفاء ما يسوء الأولاد . .

في صفحة ١٩٠ من النسخة الميسرة أي العربية . . قال المؤرخ :

« حدث أن جاء مصر في أجازة عيد الميلاد سنة ١٩٥٢ (ديسمبر ١٩٥٢) النائب والوزير البريطاني السابق واللاحق المستر « ريتشارد كروسمان » والتقى جمال عبد الناصر ضمن من كان يلتقي بهم في تلك الأيام بـ « كروسمان » وأحس أنه أمام فكر ذكي وعقل خلاق ودخل معه في محاورات طويلة . . وغادر كروسمان القاهرة ، وإذ به يعود إليها بعد أقل من أسبوع ويطلب مقابلة « جمال عبد الناصر » وقابله « جمال عبد الناصر » فعلاً ، وإذا به « كروسمان » يقول له : « إن بن جوريون سألني عن نواياك تجاه إسرائيل ، قلت له : إنني فهمت منك أن إسرائيل ليست ضمن أولوياتك الملحة الآن ، وأنك تركز جهدك في الوقت الحالي على الخلاص منا وعلى التنمية الاقتصادية والاجتماعية في مصر . . . وعندما سمع مني ذلك قال لي « هذه أسوأ معلومات سمعتها في الشهور الأخيرة »[١٤] . .

نقرأ نفس الحكاية في طبعة فوق ١٦ سنة الأفرنجية :

« ومما يعطي فكرة عن طبيعة الأمور في هذا الوقت ، أن ريتشارد كروسمان (وزير عمالي بريطاني) فشل في الحصول على مقابلة مع عبد الناصر من خلال السفير البريطاني ، ولذا لجأ إلى السفير الأمريكي فأحال الأمر إلى « وليم ليكلاند » الذي رتب اللقاء الذي تم في ديسمبر ١٩٥٣ » .

هل لاحظت خلافاً ؟!

لا . . لا نقصد أن النسخة العربي قالت في ديسمبر ١٩٥٢ والنسخة الأفرنجي حددت ذلك بعد عام . . لا . . نحن لا نقفش . . هذه غلطة مطبعية . . بل نقصد إخفاء تلك الواقعة المذهلة .

السفير البريطاني فشل في ترتيب مقابلة بين وزير بريطاني وجمال عبد الناصر مما اضطره ـ أي السفير البريطاني ـ إلى اللجوء لولي الأمر وهو السفير الأمريكي الذي بدوره لم يتصل خلال القنوات الدبلوماسية المتعارف عليها ، بل أحال الأمر إلى مدير مكتب عبد الناصر . . « وليم ليكلاند » . . ولي النعم ! الذي قال : « يتم لقاء » فتم ! . . هل تذكر من هو « وليم ليكلاند » ؟ سنسمع الكثير عنه ، فهو من أساطين المخابرات الأمريكية في مصر وأحد المسئولين والمديرين لحركة يوليو وقيادة الثورة ! . . ويكفي أن ترجع مؤقتاً إلى وصف مؤرخ الناصرية له في صفحة ٤١ من الطبعة الأفرنجية ، فهو « اللهلوبة » ، رجل المخابرات الأمريكية بشهادته . .

وهكذا . . فإن أبطال ٢٣ يوليو . . حملوا رءوسهم على أكفهم وسلموها إلى ليكلاند . . حلوا الأحزاب « العميلة » ووضعوا في السجن زهرة شباب مصر وكل وطني مشتغل بالسياسة . . وبحوا أصواتهم وصموا آذان الشعب بالخطابة ضد العملاااااء . . في نفس الوقت الذي ترتب لهم المخابرات الأمريكية اجتماعاتهم وتحدد لهم من يرون ومن لا يقابلون ! . .

هل حكم مصر في تاريخها . . « زعيم » يرتب له مقابلاته مندوب المخابرات البريطاني أو الفرنسي أو الأمريكي أو حتى العثماني . . قبل ثورة العرب الكبرى ؟!

هل نذهب بعيداً عندما نقول إن وصول عبد الناصر للسلطة كان يعني خروج مصر من سيطرة بريطانيا ووقوعها في هيمنة أمريكا ؟! وهل من واقعة تلخص هذا التحول أبلغ دلالة من أن يفشل سفير بريطانيا في ترتيب اجتماع بين وزير بريطاني ورئيس مصر ، فيلجأ السفير إلى من . . لا إلى السفارة السعودية ولا إلى والد عبد الناصر بل للسفارة الأمريكية . . هل من استعراض عضلات أكبر من هذا . . لإقناع الانجليز بالاعتراف وقبول انتقال المراكز وتبدل الأيام ؟! وهل من دلالة أبلغ من لجوء السفير إلى رجل المخابرات ليدبر الأمر ؟! . .
أليس هذا ما يريد « هيكل » أن يقوله للقاريء الأجنبي عندما بدأ حكايته أو طرفته بقوله : « وبما له دلالته على طبيعة الأمور في ذلك الوقت . . الخ » .

لماذا حرمت القاريء المصري من هذه الدلالة ؟! لماذا لم تترك له حتى فرصة استنتاجها . . بل محوت الواقعة محواً في كتاب مطول ، قصد بإطالته ـ على حد قولك ـ إقناع الذين فقدوا المصداقية والتصديق . . لماذا وجدت هذه الواقعة مكانا في كتابك المختصر . . المفيد ؟! لماذا ؟! . .

حقا أنت أدرى بقارئيك وما يحق لهم أن يقرأوا وما لا يحق . .

أما نحن فنكرر القول : عندما يُكتب التاريخ بهدف إخفاء جريمة ينحط إلى مجرد تزوير في أوراق ، وطنية !

○ وفي الحديث عن إعدام اليهود الذين أدينوا في عملية « لافون » (زرع القنابل في مؤسسات أمريكية ـ بريطانية) قال لقرائه العرب : إن « ايزنهاور » طلب منه وقف تنفيذ الإعدام واعتذر « جمال عبد الناصر » عن قبول شفاعة « دوايت ايزنهاور »[15] .

موسيقى تصويرية : حليم يغني : اضرب . . اضرب . . اضرب . . والأمريكان ياريس ؟! . .

ايزنهاور يتشفع ورئيسنا يرفض ، ويرفض مين ؟ دوايت ايزنهاور ؟! ولولا صغر حجم الكتاب لجاء بالاسم الثلاثي ! . . المهم اسم المرفوضة شفاعته ورد مرتين في سطرين وينتحب أيتام الناصرية : كانت أيام ! كنا نقول فيها : لا . . لايزنهاور ! . .

الأمر أبسط من ذلك وقد ورد تفسيره في قراءة هرش عن فاسق في الطبعة الانجليزية التي أوردت الاعتذار الحقيقي الذي قيل وقتها وأقنع ايزنهاور أنه لا غبن في الصفقة . . قال هيكل : « ولكن لما كان ستة قد شنقوا قبل شهور في محاولة اغتيال ناصر ، فقد كان مفهوما أن المناسبة لا تسمح بالشفقة ، ومن ثم أعدموا (الإسرائيليون) في ٣١ يناير ١٩٥٥ »[16] .

وتفسير ذلك بالبلدي :

أن عبد الناصر قال لدوايت ايزنهاور : ما أقدرش ياريس ! ما تودنيش في داهية . . دا أنا لسه شانق ستة إخوان مسلمين . . ما أقدرش أفرج عن اليهود . . الناس تاكل وشي . . أنا معاك إنما كلك نظر ! . .

وفهم الأمريكان وسكتوا عن إعدام اليهود في سبيل القضاء الوحشي على « الإخوان » فإن الرابح في النهاية هم الاستعمار الأمريكي واليهود . .

لماذا لا يقال هذا للقاريء العربي ، ومن أقامك وصياً على فهمه ومعلوماته ؟ . . ربما لأن الكثير من هؤلاء يريدون الغفلة ويفزعون من المعرفة ، يريدون من كاتبهم أن يتلو عليهم ما يحبون سماعه لا الحقيقة !

□ وواقعة أخرى نتعلم منها درساً في فن الكتابة على مستويين : ففي مصر لا مصلحة في إبراز كراهية الانجليز للنظام السابق وبسبب تبني هذا النظام لشعارات ومطالب الجماهير . ومن ثم يختصر الموضوع في هذه العبارة المشبوهة : « ورد إيدن بحديث طويل عن مزايا اللورد « كيلرن » وعن ذكرياته هو شخصياً مع الملك فاروق وباشوات مصر القدامى »[17] .

وعندما يتحدث إيدن وزير خارجية بريطانيا الاستعماري الكريه عن ذكرياته مع الملك وباشوات مصر ، فالمعنى الذي يراد إيصاله للقاريء العربي واضح السوء حول هؤلاء الباشوات أصحاب الذكريات مع إيدن !

أما في السوق الانجليزية حيث تباع مذكرات إيدن وحيث لا يوجد نصابون ومهرجون يدعون أن الحصول على مذكرات ايزنهاور أعجوبة أو عملية سحرية مثل الحصول على أوراق

عبد الناصر الخاصة* . . هناك يضطر « هيكل » إلى نشر نص كلام إيدن الذي نفث فيه كراهيته وشماتته في الملك والنحاس لأنهما ـ على حد قوله ـ لم يسمعا نصيحته عن خطر اللعب على مشاعر الجماهير ، وتبني الشعارات الشعبية المتطرفة . .

« قال ـ إيدن ـ إنه بحكم معرفته بحكام مصر السابقين من طراز فاروق والنحاس ، فإن الثورة لم تفاجئه ، وأنه طالما حذر (السياسيين) القدامى من اللعب بالنار بإثارة مشاعر الجماهير بالدعاية ! وكان واضحاً . . ـ يقول هيكل ـ أن هذا تحذير موجه للجدد أيضاً »[18]

لماذا أخفيته عن القاريء العربي ؟! إلا لأنك تعرف أن « الجدد » تعلموا فعلا من رأس الوفد الطائر ، وقال « محمد نجيب » زعيم الثورة للسفير التركي في مصر : « لست مجنونا مثل الوفد حتى أحارب الانجليز » (رسالة السفير الأمريكي في أنقره ـ ٢٤/١٠/٥٢) .

كذلك حذف إشارة « إيدن » إلى « أعداء بريطانيا في السفارة الأمريكية »[19] . . إلا أنه عوضنا عن هذا الحذف بإضافة فقرة في الطبعة العربية عن ٤ فبراير واتهام « ناصر » لإيدن بأنهم كانوا يتدخلون في السياسة المصرية . . الخ . . مما يروج في السوق العربية ويسر العامة في مصر ويسد حاجتهم للأوهام والبطولات الكلامية .

ومادمنا بصدد أكاذيبه عن باشوات مصر ، نتوقف لحظة عند محاولته البائسة ستر السبب الحقيقي لعزل عبد الرحمن باشا عزام من منصب أمين الجامعة العربية ، ففي تعداد كوارث الانجليز على يد الثورة قال : « أوعزت القيادة الجديدة في مصر إلى « عبد الرحمن عزام » (باشا) الأمين العام لجامعة الدول العربية بأن يقدم استقالته لأن الظروف الجديدة في العالم العربي تقتضي أمينا عاما للجامعة لا علاقة له بأوضاعها السابقة . وكان عبد الرحمن عزام ـ وهو من رواد التفكير العربي في مصر وواحد من ألمع ساستها ـ شخصية معروفة للانجليز رغم سوابق خلافاته معهم » (ص ١٥٦ ملفات) .

وهي لا شك صياغة تثبت أن الحاوي الطروب مازال يتمتع بمواهبه التي أشار إليها « كوبلاند » وهي فن تحلية السموم ! . . وكان يمكن أن نتشبث بهذا التفسير الذي يطرحه ، فمن الطبيعي أن يعزل انقلاب أمريكي كل الوجوه « المعروفة للانجليز » ليضع مكانها شخصيات موثوق بها من السادة الجدد . . ولكن الأمر أعقد من ذلك ، وليس ما نقوله دفاعا عن وطنية عبد الرحمن عزام ، فلا الرجل يحتاج دفاعنا ، ولا تاريخه يستطيع « هيكل » أن يمسه بحرف مهما أوتي من قدرة على الدجل والتزوير ، ولقد مرت فترة كان « عبد الرحمن

* قال كاتب تدليلاً على عبقرية هيكل وأهمية كتابه إنه تمكن من الحصول على أوراق « ايزنهاور » الخاصة بينما ذكر هيكل نفسه « مجموعة الأوراق الخاصة للرئيس ايزنهاور المودعة بكاملها في المكتبة التي تحمل اسمه في « آبيلين » ولاية كنساس ص ٣٨٠ ع فالأمر لا يكلف إلا زيارة أو طلب نسخة بالتليفون فتصلك مصورة مجلدة مقابل ثمن زهيد ! ولكنها تحولت لأعجوبة مثل الآخر الذي دعا إلى الاعتراف بزعامة هيكل الفكرية لأن « عنده كمبيوتر » ومثله يكتب لمثلهم !

عزام » هو الصوت الداوي وحده في البرية ضد الاستعمار الأوروبي بشتى جنسياته ، ومرت فترة أخرى كان هو « أبو العروبة » . . وصراع الرجل ضد الانجليز في قضية البوريمي معروف . . على أية حال إن ضرب الجامعة العربية وإزاحة عبد الرحمن عزام كان مطلباً أمريكياً في إطار « عمل بناء فيما يتعلق بالمشكلة الإسرائيلية » ، لأن عزام باشا هو الذي نظم وقاد دخول الجامعة العربية حرب فلسطين وهو الذي نظم وقنن المقاطعة ورفض الصلح أو الاعتراف . . وكان من المنطقي والطبيعي أن يعتبر الأمريكان وجوده عقبة في طريق مخططهم لإنهاء الحرب بين إسرائيل والعرب . واعتقدوا أن إزاحته تتيح الفرصة لمواقف أكثر إيجابية ، بدءاً بإزاحة رموز « التصلب العربي » والحرب . . والرفض . .

وعلى أية حال لم يكن عبد الناصر وحده الذي ضاق ذرعاً بالجامعة العربية وعبد الرحمن عزام ، بل إن أسلافه الأمريكيين قد أحسوا بنفس الشيء وقبل ظهور عبد الناصر على المسرح . .

وإليك بعض الوثائق . .

مستشار السفارة الأمريكية في جدة « غلين آبي » قال في أول أكتوبر ١٩٥١ ـ « إن الجامعة العربية لم تكن أداة بناء في الشرق الأوسط ، بما أن لجنتها السياسية ، وهي الجهاز الوحيد الفعال ، تحولت في الغالب ، إلى منبر للسياسة المصرية والخطب التي هي للاستهلاك الداخلي » .

وفي تقرير صادر عن مؤتمر رؤساء البعثات الدبلوماسية الأمريكية في الشرق الأوسط المنعقد في اسطمبول في الفترة من ١٤ إلى ٢١ فبراير ١٩٥٢ جاء الآتي :

« من الواضح أن ميل الجامعة العربية لخلق المشاكل وليس حلها ، يتزايد في المنطقة ، إن اجتماع اللجنة السياسية في دمشق في ربيع ١٩٥١ ، فشل في اتخاذ خطوات بناءة ، بل دعم موقف العرب العدائي في نزاع « الحولة » وهناك دلائل على أن الجامعة العربية ليست أكثر من أداة تستخدمها مصر وشتى الدول العربية لأهدافهم . مصر تجد الجامعة مفيدة لفرض هيمنتها على العالم العربي وكسب التأييد لسياستها ، وفي هذا الشأن يذكر أن مصر طلبت عقد جلسة خاصة في صيف ١٩٥٠ للجامعة لدعم الموقف الذي اتخذته مصر في الأمم المتحدة فيما يخص كوريا . ومصر تجد أنه من المريح الحصول على تأييد الجامعة للقيود التي فرضتها على قناة السويس والتي اتخذ مجلس الأمن قرار إدانة فيها . وهذا الدعم سيجعل مصر أكثر تصلباً في رفض رفع هذه القيود . وفي حالة سوريا استخدمت الجامعة لتأييد الوضع السابق في منطقة « الحولة » (كانت إسرائيل قد استولت على هذه المنطقة خلافاً لقرارات الهدنة ج) .

ويتابع التقرير الأمريكي :

« وأمام السياسة الأمريكية هذه الخيارات للتعامل مع الجامعة العربية :

١ ـ أن تأمل في رؤيتها تذوي وفي هذه الحالة يمكن للحكومة الأمريكية أن تعامل الجامعة

بما فيها عزام باشا* ببرود على الصعيدين الرسمي وغير الرسمي ، وتشجع الدول الأخرى على استخدام نفس الأسلوب .

٢ ـ محاولة إقناع مصر بأن الجامعة العربية ذات أهمية قليلة أو لا أهمية بالنسبة لمصر ، بل هي عبء على تطورها كقوة دولية أساسية ويعزز هذا المسعى بعرض مساعدات اقتصادية وعسكرية بخلاف دول المنطقة ، والتأكيد للحكومة المصرية ، أن مصر دولة متقدمة عن البلاد العربية الأخرى ، وهذا سيؤدي إلى حرمان الجامعة من مصدر دعمها الرئيسي ، ويثير النزاع داخل المنظمة (أ ج) .

٣ ـ الاعتراف بفائدة تنظيم إقليمي حيث توجد مصالح مشتركة ثم تبذل الجهود لتشجيع الجامعة على التركيز على النشاط العلمي والثقافي والفني . . »ا هـ .

فالضيق الأمريكي بالجامعة والكيد لها ولعبد الرحمن عزام سابق على ظهور ثوار يوليو على المسرح . . ومع الإدراك الكامل للأسباب الحقيقية لضعف الجامعة العربية في عهد حسونة ورياض ، إلا أن الذين يؤمنون بمكان ما ، في التاريخ للفرد ، يرون أن مصر خسرت كثيراً بإخراج عزام . . المصري الوحيد الذي كان الملوك العرب يرفضون أن يجلسوا قبل أن يجلس .

ومن الغريب أن ثوار يوليو لم يغيبوا عن منصة الحكم في مصر حتى كانت مقررات مؤتمر الدبلوماسيين الأمريكيين قد تحققت بالكامل . . فذوت الجامعة العربية . . وانسحبت مصر منها وتحت نفس الشعارات التي اقترحها الأمريكان للتغرير بنا بنص كلامهم : مصر أكثر تقدما من أن يضمها تنظيم عربي !

□ وهو يعترف في الطبعة الأفرنجية بما خصصنا له فصلا كاملا في « كلمتي للمغفلين » من أن الغارات التي بدأ بن غوريون يشنها على القوات المصرية إنما كانت لتأزيم مشكلة الحصول على السلاح في مصر[٢٠] . وإن كان الأمر يحتاج لعشر سنوات أخرى حتى يُعترف بما وصلنا إليه ، وهو المصلحة الإسرائيلية المباشرة التي مثلتها الصفقة ، حتى يمكن القول إنها أعظم نصر تحقق لإسرائيل في الفترة ما بين ١٩٤٨ و ١٩٦٧ . .

ومع ذلك فقد زُيف هذا الهدف في الطبعة العربية ولا بأس من المقارنة :

النص الأفرنجي :

« كانت الغارة مقصودة كرسالة موجهة من بن غوريون إلى ناصر ، وقد فهم عبد الناصر الرسالة ، ألا وهي إن بناء المستشفيات والمدارس ومصانع الصلب لن يحمي مصر من جار

---

* هل تشم رائحة أمريكية في كل ما كتب وقتها عن انجليزية الجامعة وعجزها وأبو الكلام عزام . . . الخ .

غدار . . السلاح وحده ، هو الذي سيحقق الرخاء لمصر » .

وبالطبع بن جوريون ليس عضوا في مجلس الثورة أو قيادة البعث ليرسل هذا « التحذير » أو الرسالة لعبد الناصر ، ومن ثم فلا معنى ولا منطق لتجشم بن غوريون توعية عبد الناصر إلا بتفسيرنا : لابد من السلاح ياعبد الناصر . . ولا سبيل إلى السلاح إلا بالإلحاح على أمريكا ، وأمريكا لن تقدم لان بن غوريون يرسل « رسائل » إلى إخوانه هناك . . لا تعطوه السلاح . . ومن ثم تتأزم علاقة ناصر وأمريكا ويبحث عن مصرف آخر يسحب منه السلاح . . الخ . .

المهم أنه في الطبعة العربية أبعد القاريء عن إدراك هذا الهدف الذي يكشف البعد الصهيوني في صفقة السلاح . . أبعد القاريء العربي بالإسهاب في أهداف الغارة :

كان القصد من الغارة عدة أهداف في وقت واحد : أولها إحراج القاهرة وإظهار عجزها . . ثم ما يترتب على ذلك من هزة تؤثر على وضع النظام في مصر ، وأخيراً فإن الغارة كانت إنذاراً لمصر بأن خطوطها مع إسرائيل مكشوفة وأنه كان أولى بها أن تترك الانجليز في منطقة قناة السويس ولا تلح عليهم بالجلاء عن أراضيها ، ثم يقول إن عبد الناصر ضبط أعصابه ورد بإطلاق جنود الصاعقة ضد إسرائيل[٢١] .

لا إشارة إلى السلاح . . وهو في اعتقادنا ، كما في الطبعة الانجليزية جوهر القضية واقرأ فصل صفقة السلاح في كتابنا هذا ، أو ارجع إليه في كتابنا الآخر . .

□ في الطبعات العربية نجد الولايات المتحدة هي المتبنية لحلف بغداد ، مصممة على ضم مصر إليه ولكن بسبب مقاومة مصر قررت عزلها فترة حتى « تستبعد مصر وتأثيرها عن الموضوع كله حتى يستقر رأيها على ما سوف تفعله ، وسوف تجد نفسها (أي مصر ج) في النهاية مرغمة على اللحاق بالآخرين ، وإلا وجدت نفسها معزولة »

أما في الطبعة الأفرنجية فقد وضعت الحقيقة على بلاطة : « أكد الأمريكيون لعبد الناصر أنه لا نية لديهم في الانضمام لحلف بغداد »[٢٢] .

أرأيت الأقنعة السبعة للتاريخ الهيكلي ؟! (ولدينا مزيد في هذه النقطة) .

□ بعد أزمة صفقة السلاح التي كانت باقتراح أو موافقة الـ CIA تحرك صقور وزارة الخارجية الأمريكية ، وحاولوا فرض وجودهم في الساحة المصرية مستقلين بل وضد سيطرة رجال السي آي ايه . وقد فهم المعنيون ذلك ، وكان قرار إرسال موظف رسمي « جورج آلن » للقاهرة ضربة لشخص ودور « كيرميت روزفلت » المسئول عن « مصر » !

انظر كيف يختلف تسجيل هذا التطور الذي تعبر عنه الواقعة ، ما بين النسخة العربية والانجليزية . .

في العربية يقول هيكل : « ومن المحتمل أن دلاس أحس أن موقف كيرميت روزفلت في القاهرة ضعيف »[٢٣] .

أما النص الانجليزي فيقول : « وربما اعتبروا أن روزفلت صديق جداً لناصر ورقيق معه أكثر من اللازم » أو « صديق لعبد الناصر وحنين عليه أكثر من اللازم »[٢٤] .

Too soft and too friendly with Nasser

لو تأملت ما يوحيه النص العربي بالحديث عن « ضعف » روزفلت ، وما تؤكده العبارة الانجليزية من علاقة خاصة جداً بين المخابراتي الأمريكي والزعيم المصري ، فستكتشف عبقرية لغتنا الجميلة إذا أحسن استخدامها مزور متخصص في التغرير بقرائه العرب !

□ وهنا واقعة تستحق التأمل في النصين . .

ففي النص العربي قال لنا إن « جورج آلن » تلقى رسالة عن طريق برج المراقبة في المطار سلمها قائد الطائرة موجهة إليه من « كيرميت روزفلت »[٢٥] .

وفي النص الانجليزي « استخدم روزفلت اتصالاته المخابراتية لإرسال رسالة من برج المراقبة في المطار إلى الطائرة »[٢٦] .

وبالطبع وفر « هيكل » بحنانه المعروف ، على القارىء المصري ، مشقة السؤال . . ما دخل اتصالات كيرميت المخابراتية في برج المراقبة بمطار القاهرة إلى حد إرسال رسائل بواسطته إلى طائرة أمريكية ؟ . . أراح قارئه بحذفها وأتعبنا بتقصيها* .

□ وبينما حاول تشويه موقف نظام الإدريسي ومصطفى بن حليم « لزوم القذافي » في الطبعة العربية إلا أن الناشر أو المحرر الذي صاغ الطبعة الانجليزية أو لعله هو الذي أضافها لحسابات لم تكشف بعد ، قال إن « مصطفى بن حليم » وجه إنذاراً إلى بريطانيا إذا لم تسلم ليبيا السلاح الذي تحتاجه فسيطلب السلاح من عبد الناصر »[٢٧] .

□ في الطبعة العربي حيث لا أحد يحاسب أحدا اتهم أحمد حسين بعلاقة قديمة مع المخابرات الأمريكية أما في بلاد بره حيث الكلام بفلوس فقد ألزمه الناشر أو ألزم نفسه بالاكتفاء بقوله : إن أحمد حسين كان يشعر بأنه في وطنه في الولايات المتحدة لأنه تعلم هناك[٢٨] .

ونسي أن يضيف المثل العربي . . من علمني حرفا صرت له عميلا !

ومن خلال ترجمة رسالة أحمد حسين للعربية ثم من العربية للانجليزية سقطت بعض

---

* مايلز كوبلاند خفف عنا جميعا ، بأن قال إن « حسن التهامي » (رجل ناصر وروزفلت طبعاً . ج) هو الذي تخطى الحراسة وقفز إلى سلم الطائرة وسلم ورقة مكتوبة من كيرميت إلى « جورج آلن » . . ولا برج مراقبة ولا برج حمام ولا برج طار في رأس القارىء !

العبارات وجرى بعض التبديل لعلنا نساعد جامعي أعقاب تاريخ هيكل في إصلاح مجموعاتهم .

١ ع : « إن ممثلي إسرائيل صرحوا بأنه « لا يمكن أن تنتظر إسرائيل حتى يكمل العرب استعدادهم للقضاء عليها » ٣٦٧ ع .

خ : قال دلاس : « إنه لا يظن أن الإسرائيليين سينتظرون حتى يكمل العرب استعداداتهم قبل أن يثبوا » ص ٨١ خ .

٢ ـ ع : إن مسألة شراء مصر للأسلحة من الكتلة الشرقية قد أزعجته كثيراً « highly disturbed him » ص ٣٦٦ ع .. وقد أثبتها المؤرخ الوثائقي باللغتين العربية والانجليزية ليفقأ عين جلال كشك الذي يقول إن الصفقة كانت بعلم وموافقة السلطات الأمريكية .

خ : ولكن المؤرخ الوثائقي قال في الطبعة الأفرنجية بالحرف الواحد : Was an exceedingly disturbing matter وبدون الاستعانة بمؤسسة الأهرام للترجمة نقول إن هذا النص ترجمته « أمر مزعج للغاية » .

والفرق بين النصين أوضح من أن يحتاج لتعليق ، ولا مجال للاعتذار بالترجمة ، فإن براعة النصاب توقعه أحيانا في عين ما حاول تفاديه ، فهو قد روّع الأمين من قرائه والمعجبين به بإيراد نص العبارة علي لسان دلاس بالأمريكاني وبالحروف الأمريكانية في قلب النص العربي .. فلا مجال للخطأ في الترجمة بل المجال ينفتح علي التزوير .. وصياغة النصوص علي هواه ، فإنه يسعد الناصريين ، والشعوب المتخلفة عقلياً ، أن يسبب زعيمها انزعاجا شخصياً لوزير خارجية « أجدع » دولة ، أما في الطبعة الانجليزية فيرد النص الصحيح .. « هذا أمر مزعج » « لنا كلنا » وهو كذلك بالطبع .. لما سنشرحه .

٣ ـ ع ـ استهل المستر « دلاس » « حديثه بأن عبر عن شكره لرسالة الرئيس عبد الناصر » (وقد وردت هذه الفقرة بحروف سوداء وبنط مميز) للفت الانتباه فالتفت انتباهنا .. ولم يكن ذلك في صالحه أبداً ..

خ : « شكر دلاس حسين على إيضاحاته » لا إشارة لرسالة للرئيس ولا شكر للرئيس .

٤ ـ ع : جرى اختصار شديد جداً لما ذكره « دلاس » عن مساعدات الولايات المتحدة للنظام الناصري فقد قيل : « وذكر لي المستر « دلاس » في هذه المناسبة الدور الذي لعبته أمريكا لمساعدة مصر في اتفاقية السويس » .

ـ خ : ورد كلام دلاس بالتفصيل (رغم اختصار الطبعة الانجليزية) قال هيكل الانجليزي :

○ المساعدات التي قدمناها لكم لإنجاز الاتفاقية مع بريطانيا .
○ عدم الانحياز بين العرب وإسرائيل .
○ الحد من مبيعات القطن الأمريكي لعدم الإضرار بالصادرات المصرية .
○ محاولة التدخل مع السودانيين لصالح مصر في موضوع مياه النيل .
○ إبراز أهمية مصر كقلب الوطن العربي بإصدار التعليمات لـ « ايريك جونستون » بأن يبدأ مهمته من القاهرة ، ولو أن مصر ليست طرفاً مباشراً في توزيع مياه الأردن .

○ تجميد المساعدات لإسرائيل عندما تخطت قرار مجلس الأمن وبدأت العمليات في المنطقة المنزوعة السلاح في بحيرة طبرية .

« وهذه المواقف كلها قد أفقدت الجمهوريين أصواتاً في الانتخابات التجديدية للكونجرس » .

كل هذا حذفه هيكل في الطبعة العربية المطولة !

٥ ـ ع : « إنه (جمال عبد الناصر) أكبر شخصية في الشرق الأوسط يمكن الثقة بها والاعتماد عليها » .

خ : « إنه أهم رجل في الشرق الأوسط ، وإننا يمكننا الاعتماد عليه والثقة فيه » .

٦ ـ ع : الذين كانوا يعارضون في جلاء الانجليز عن قاعدة قناة السويس مدعين أن في ذلك تقوية لمصر . . وأن مصر القوية ستكون مصدراً للمتاعب .

خ : لم ترد لا عبارة « تقوية مصر » ولا « مصر القوية » بل :
« إن المصريين لا يمكن الثقة بهم . . وإن مصر ستكون مصدراً للمتاعب » .

ولكن حكاية أن أمريكا تخاف من مصر القوية . . حلوة وتفرح الأولاد . . فلا بأس من إضافتها في النسخة العربي من « ديوان » السويس والشعر أعذبه أكذبه . . وهيكل أمير شعراء الناصرية بلا منازع .

٧ ـ ع : لا شيء .
خ : « أنا أثق في نوايا ناصر الطيبة وأعلم أنه لا يريد أن يعطي الشيوعيين فرصة للتدخل في بلاده ، ولكن مع كل احترامي لن تكونوا أذكى منهم » (الروس) .

٨ ـ ع : « الصفقة ستسبب حرجاً للحكومة الأمريكية في شأن استمرار مساعدتها الاقتصادية لمصر ، لأن كرامة أمريكا أصبحت الآن في الميزان » .

خ ـ سيصبح الآن من المستحيل طلب مليم واحد من الكونجرس ، مساعدة لمصر لأنه ليس فقط نفوذ أمريكا بل ومكانتها في الميزان ، لأن الكل سيقولون إن الطريق للحصول على مساعدة الأمريكان هو ابتزازهم » !

هذا كله في رسالة واحدة بعث بها « أحمد حسين » لعبد الناصر باللغة العربية بالطبع ، التي يتقنها الثلاثة ! . . وحصل عليها هيكل وفقاً للقرار العجيب الذي سمح فيه عبد الناصر بتسليم وثائق « الدولة » المصرية لصحفي بلا أية صفة رسمية لمجرد أنه لاحظ شهوة هذا الصحفي في التلصص على الأوراق . . أو كما قال : « وأعترف بأنني مدين بالكثير مما لدي من وثائق التاريخ المصري المعاصر إلى جمال عبد الناصر ، فقد أذن لى دائما أن أطلع على أوراقه ، وسمح لي في كثير من الظروف بصور منها ، وكان قد لاحظ مبكراً غرامى بالحرص على كل ورقة تضعها الظروف أمامي » .

حرصك مفهوم !

ولكن قرار عبد الناصر ظاهرة فريدة من نوعها لم يسبق لها مثيل ولا في بلاد واق الواق . . وهي تكشف للجيل المخدوع نوعية السلطة ، وعقلية الرجل الذي يوصف عادة بأنه كان ينشيء مصر الحديثة ، أويدخل مصر عصر العلم . . فإذا به يفوق أي طاغية عرفه التاريخ ، فهو لم يقل فقط أنا الدولة . . بل وأنا التاريخ . . أنا أملك مصر ووثائقها وأملك أن أسلم ذلك لصحفي مغرم بالأوراق . .

هذا الذي سود صفحات الغضب على السادات ، لأنه تصرف في جزء من تماثيل أو تاريخ مصر المدفون أربعة آلاف سنة ، عندما اقتدى السادات بما استنه عبد الناصر قبله وأهدى بعضاً من التماثيل الفرعونية ، لا يجد ما يغضب بل يفتخر بأن عبد الناصر حطم كل القوانين والأعراف ، كل مقومات الدول وأمنها ووثائقها ، إذ أمر بتسليم أسرار مصر كاملة لمحمد حسنين هيكل . . وأن يحتفظ بصورة منها أحياناً !! وهو استهتار بمصر لم يسبق له مثيل ولا أيام عشق وثقة كليوباتره بأنطونيو ! . .

على أية حال نحن لا نثق في روايته هذه ، مرة لأن عبد الناصر دهش واستراب لما رآه يجمع الأوراق ، كما هي عادة أمثاله ، فسأله دهشاً : « وماذا ستفعل بكل هذه الأوراق التي تحرص على جمعها » (ص ١٣ قطع ذيل . . الخ) . .

ومرة أخرى أن عبد الناصر لم يكن يثق فيه كل هذه الثقة بدليل أنه زرع له أجهزة تجسس في مكتبه وفي بيته وفي بيت معاونيه* ! . .

□ وقديما دخلت التاريخ عبارة تقول : « آسف للإطالة فلم يكن لديَّ متسع من الوقت للاختصار » . .

ومن حق هيكل أن يدخل التاريخ بعبارة مماثلة تقول : آسف لإغفال العديد من النصوص في الطبعة العربية لأن حجمها أكبر !! . . فقد سقط نص بالغ الأهمية في شرح

---

* وفي موقع آخر ينقل لنا عن « أرشيف منشية البكري » !! وربما نسمع قريباً عن أرشيف ضهر الشيراتون أو ميت أبو الكوم ! ياحسرة على ما جرى على وثائق مصر !

« طبيعة الأوضاع في ذلك العصر » ونعني « شكوى » روزفلت صانع ناصر ومتبنيه والمدافع عنه في واشنطن ، مما يعانيه مع تطور العلاقات بين مصر وأمريكا . . فقد بدأت النتائج السلبية للفكرة « الجهنمية » في الظهور بل حتى في التغلب على النتائج الإيجابية . ونعني خطة أو مؤامرة إقامة حكم « ثوري » معادٍ لأمريكا في أجهزة الإعلام ملتزم ومرتبط بالاستراتيجية الأمريكية في الواقع ومن خلال علاقة سرية خافية على الرأي العام والمؤسسات الدستورية في البلدين . .

فعقب صفقة السلاح ، هاج أصدقاء إسرائيل عن خبث أو عن جهل واتهموا ناصر ومصر بكل التهم الممكنة من صلاح الدين إلى كاسترو ، مرورا بجنكيز خان وهتلر . . وكان من الطبيعي أن ترد صحافة مصر أو أن تستثمر « لصفقة » في خلق شعبية للزعيم بمهاجمة أمريكا فيزداد جنون وصخب أنصار إسرائيل . . الخ .

واقرأ عتاب أو شكوى أو آلام فرنر روزفلت :

« إن أصدقاء مصر الآن في وضع شديد الإحراج ، وخاصة في ضوء الهجوم على أمريكا والغرب في الصحافة والإذاعة المصرية . هذا يجعل الأمريكيين يشعرون أن المصريين يُعبأون قصداً ضدهم . . وقال إنه تحدث في اليوم السابق مع هوفر القائم بأعمال وزير الخارجية ، الذي قال له إن وزارة الخارجية توشك أن تعتقد أن مصر تنظر للولايات المتحدة كعدو . وقال « هوفر » ضاحكاً : « إن الرجل الوحيد الذي لا يقر ذلك هو شخص ما يدعي روزفلت » وقال روزفلت إن ذلك كان محرجاً له . . أما عنه هو ، فبصرف النظر عن الاعتبارات الشخصية ـ قال كيرميت ـ إذا ما استمرت الأمور على ما هي عليه فإن الولايات المتحدة ستصل إلى قرار بأن مصر دولة معادية ، وستضع سياستها على هذا الأساس . وتوسل إلي حسين (سفير مصر في أمريكا ج) أن يرسل نداء شخصياً منه هو إلى القاهرة لوقف حملة الدعاية ضد أمريكا ، لأن هذه إذا لم تتوقف فإن ضحيتها الأولى هم أصدقاء مصر في أمريكا ثم مصالح مصر هناك وأخيراً العلاقات من أي نوع بين البلدين »[٢٩] .

ليس من الإنصاف ، بعد كل ما قدمه روزفلت لجيل الثورة ، أن تحرم « ملفات السويس » العربية من هذا النص وينعم به كفار أوروبا !

□ ولعل قراء « قصة السويس » و « كلمتي للمغفلين » يذكرون حكاية الكوبري الذي اقترحه الصديق الشخصي للرئيس ايزنهاور ومبعوثه السري إلى عبد الناصر ، وهو الكوبري الذي يربط بين الأردن ومصر فوق صحراء النقب ، والذي رد عليه عبد الناصر بحكاية « الشخة » وقد انتقدنا ذلك في كتابنا* وقلنا إنه يسيء إلي الزعيم بل ويسيء إلي العرب عموماً

* حذفت من العربي ص ٣٨٧ ووردت في الانجليزية ص ٩١ ولعلك تلاحظ أن هيكل قد انهال على الرجل سباً هذه المرة . . والسبب أن المسكين قد سقط نهائياً ويحاكم الآن في أمريكا بتهمة الاختلاس والتبديد والافلاس الاحتيالى وقد لا يصل هذا الكتاب للقراء قبل أن يحكم عليه !

أن يقال إن زعيمهم « شخ » على اقتراح ايزنهاور . . وقد أخذ مؤلف تاريخ الناصرية بوجهة نظرنا فحذف القصة من الطبعة العربية ! ولكنه للأسف تركها في الأصل الانجليزي حيث ضررها أكثر ونأمل في الطبعة القادمة للتاريخ أن يحذفها الأخ الأكبر في سائر الألسن فهي هرطقة .

□ كذلك لاحظنا أنه أخفى عن قراء النسخة العربية أن هذا « الأندرسون » الذي جاء إلى مصر ، سبقته توصية من « كيرميت روزفلت » ، باش ريس مصر إلى الريس بحسن استقباله ، بل وحضر المعلم كيرميت المقابلة بين المبعوث الأمريكي والصديق الشخصي لأيزنهاور وزير المالية الأسبق .

□ كذلك جرى تعديل فيما قاله عبد الناصر دفاعاً عن قضية فلسطين ، وهو تعديل فاضح حتى في زمن التاريخ المزور أو التزوير المؤرخ .

في الطبعة العربية قال جمال عبد الناصر هيكل وهو يخرج لسانه لبتوع الصلح المنفرد :

- « إن إسرائيل ليست قضية مصرية ، وإنما هي قضية تهم العالم العربي بأسره ويصعب على مصر أن تنفرد فيها برأي »[٣٠] .

وهكذا يدين الزعيم الخالد من قبره كامب ديفيد !

أما في قصة السويس فنجد عبد الناصر يحدد موقفه فعلا في نقطتين يقدمها نفس المؤلف مسبوقتين بكرتين سوداوين تماما كما في كتاب ملفات السويس بعد عشر سنوات ولكن عبد الناصر طبعة ١٩٧٦ لا يتحدث عن عروبة القضية بل يطلب تقسيم فلسطين : « وطن للشعب الفلسطيني على أرضه ، ولكي يسهل الموضوع فإنه يري أن تكون حدود هذا الوطن هي نفسها خطوط التقسيم سنة ١٩٤٧ »[٣١] .

فإذا قطع هيكل تذكرة طائرة لعبد الناصر وجاء به إلى لندن ليتحدث إلى الانجليز وجدنا نفس المنظر . . ونفس الأشخاص : أندرسون المندوب الأمريكى وجمال عبد الناصر زعيم الأمة العربية ونفس القضية ونفس الإجابة عن النقطتين المميزتين للقضية الفلسطينية ولكن جرت بعض التعديلات تناسب جمهور لندن .

○ أضيفت هنا معلومات بأن كيرميت روزفلت أوصى بحسن استقبال روبرت اندرسون .

○ أضيف هنا حضور « كيرميت » شخصياً الاجتماع الثنائي بين الرئيس المصري وصديق الرئيس الأمريكي وأصبح معهما ثالث هو الشيطان بعينه . بل وسنرى ناصر يطلب من روزفلت أن يشرح له لهجة الزائر القادم من تكساس . . كيف اختفى « روزفلت » من الطبعتين العربيتين وظهر في الطبعة الانجليزية . . سؤال تجيب عنه تكنولوجيا المسرح . . أو دراسات الحبر السري الذي اعتاد الجواسيس الكتابة به في العصور الوسطى !

○ سنجد ناصر الانجليزي لا يري مشكلة فلسطين إلا مشكلة لاجئين ، لا حديث عن عروبة القضية ولا حديث عن التقسيم أو وطن فلسطيني .

هنا المخرج غيرَّ الحوار في النقطة الأولى فأصبحت :

المشكلة الأولى ـ قال ناصر ـ هي حقوق شعب فلسطين ، ومعظمهم من اللاجئين النازحين من بلدهم ، يعيش معظمهم في أحوال بائسة ، ويجب أن يكون بوسعهم العودة إلى بيوتهم ، وهذا ما ستطالب به الأغلبية أو تعويضهم إن استحالت هذه العودة . كما يجب تخطيط حدود واضحة بين الدولة الإسرائيلية والدولة الفلسطينية[٣٢] .

واقعة واحدة . .

في لقاء واحد . .

وثلاثة نصوص . . كلها وضعت بحروف وبعلامات تؤكد أنها النص الحرفي المنقول عن الزعيم . . وكلها مختلفة . . كل واحد منها يشكل موقفاً سياسياً مختلفاً مائة وثمانين درجة . . فأيهما نصدق ، وأي تاريخ هذا ، وأي أفاق أحمق يمكنه أن يثق به . . وهل تصبح الوثائق عند هذا المزور إلا أداة من أدوات التضليل ؟!

وتتحدث ـ أنت ـ عن المصداقية !!

□ ولو أن « مؤرخ » الناصرية قد أشار إلى دور أمريكا في خلع « جلوب » بالطبعة العربية ، إلا أنه لدواعي الأمن العام والصالح الوطني لم يشأ أن يكشفها بوضوح وصراحة كإحدى عمليات السي آي ايه CIA أو واحدة من ضربات سانت كيرميت روزفلت التي كان يكيلها للانجليز في المنطقة في كل اتجاه ، مع تسجيل فوائدها لزعيم الأمة العربية . .

أقول رغم إشاراته للدور الأمريكى إلا أنه نصح القاريء العربي بانتظار « فتح ملفات أخرى قبل القطع نهائيا بالأسباب التي أدت إلى طرد جلوب »[٣٣] .

إلا أنه لم يجد القاريء الانجليزي بحاجة إلى هذا الانتظار فهو عاقل ورشيد ولذلك فتح له ملفاً مخصوصاً يفيد أن « كيرميت روزفلت » هو الذي دبر إخراج « جلوب » من الأردن[٣٤] .

كراماتك ياشيخ كيرميت ! . . جعلت التاريخ يسير بالمقلوب فتكشف حقائق في الطبعة الانجليزية المؤلفة أولاً وتحتجب في الزمن إلى الوراء في الطبعة التالية !

كذلك جرى تنقيح « حدوتة » إبلاغه عبد الناصر بطرد جلوب ، بعدما تناولناها بالنقد الساخر في كتابنا منذ سنوات . . فأضاف إليها تعديلاً يفسر ـ في ظنه ـ لماذا لم يعرف عبد الناصر بالخبر قبل هيكل . . وقارن الروايات في ص ٥٩ قصة السويس و ٤١٥ ملفات السويس و ٩٧ الطبعة الأفرنجية .

□ في النص المخصص للمسرح المصري جعل منزيس يهرول ليتحسس تمثال « إسماعيل » قائلا : لقد أردت أن أقدم احترامي للرجل الذي أتاح لـ « دلسيبس » أن يشق قناة السويس » ص ٤٩٩ ع .

ولكن لما ترجم النص للمسرح البريطاني صححها المنتج الانجليزي الذي أوتي حظاً من التعليم فوق مستوى دبلوم تجارة ، ومن ثم يعرف أن إسماعيل لم يمنح امتياز حفر القناة لدليسبس ، بل سعيد ، على أية حال فإن الملقن الانجليزي كان جلفاً غبياً فجاء تصحيحه مضحكاً غير معقول : « اسمح لي أن أحيي الرجل العظيم الذي باع اسهمه لبريطانيا* ! ص ١٤٩ خ

تخيل عبد الناصر لا تسعه الدنيا لأنه أمم أسهم القناة وهذا يحيي الذي باعها !

اسمحوا لي أن أشمئز من قدرة « عزتلو » على تغيير النصوص ، ووضع الكلام على لسان الشخصيات التاريخية وكأننا في مسرح البالون وليس تأريخ فترة حاسمة من تاريخ مصر . .

وبمقارنة بين صفحتي ١٦٤ و ١٦٥ في النسخة الانجليزية وصفحات ٥١٥ ، ٥١٦ و٥١٧ نجد أنفسنا مرة أخرى أمام إعجاز الاختصار الذي يأتي بمعلومات أكثر و« أخطر » . . والتطويل الذي يحذف ما لا يجوز أن يطلع عليه « الأولاد » .

الأصل الانجليزي :

□ قال دلاس إنه عندما أعلن رفض حكومته تمويل السد العالي لم يكن يقصد أبداً إهانة مصر أو إثارة الشكوك حول اقتصادها ، بل لأنه اقتنع أن هذه عملية مكلفة قد تنهك الاقتصاد المصري لفترة طويلة ، وهذا يسبب الكراهية للأمريكان إذا ما ارتبطوا بالمشروع وأصبح على المصريين المعاناة بشد الحزام**. وقال دلاس إنه لا يبالي إذا كان الروس يريدون المساهمة فيه (وهو ما كان غريباً لأنه ما من أحد قد ذكر الروس وقتها بل كانت الفكرة السائدة ، هي ببساطة أن مصر تمول المشروع من دخول القناة)***

---

* وهذا يكذب دعوى هيكل في أنه هو الذي ترجم الكتاب من الانجليزية للعربية ، لأنه لو كان المترجم لما أخطأ في جعل إسماعيل صاحب الامتياز أو الذي أتاح لدليسبس شق القناة ، وخاصة أن الأصل لا يسمح بالخطأ . . فليس هناك أي حديث عمن أتاح أو حفر بل الحديث عن الأسهم . . هو كاذب في كل اتجاه .

** هذا الإيضاح في كلام دلاس وضع رداً على تساؤلاتنا في « كلمتي للمغفلين » حول معنى قول دلاس أن هذا المشروع سيجعل المصريين يكرهون من بناه . . ص ٢٣٤ وبما أن دلاس لا يقرأ العربية وكتابنا لم يترجم وأكثر من هذا دلاس مات قبل ظهور كتابنا بعشرين سنة فلابد أن مؤلف التاريخ هو الذي نقح عبارة دلاس . . وفن تحضير الأرواح أمر معروف عند الناصريين بشهادة مؤرخهم !

*** لنا تعليق على هذا في فصل السد العالي . لأنه يعلم جيداً ـ كما سنرى ـ أن الروس ذُكروا مراراً . . وانتظروا معي فسنرى أنها من باب يكاد المريب يقول خذوني . . !

ووافق دلاس على أنه سيكون أفضل لمصر أن تبني السد بنفسها حتى إذا حدث اعتراض شعبي فسيكون الأمر كله مصرياً خالصاً » .

١ ـ في النسخة العربية : اعترف دلاس بأنه هو الذي اقترح على ايزنهاور سحب العرض الأمريكي ، ولكن لم يرد التعليق باستغراب الإشارة إلى روسيا .

٢ ـ في النسخة الانجليزية : « نصح دلاس فوزي أن يجتمع هو وعبد الحميد بدوي بالمستشارين القانونيين في وزارة الخارجية الأمريكية » .

في النسخة العربي : حذفت !

في النص الانجليزي : « وختم محمود فوزي برقيته بأنه يجب أن يلفت الانتباه إلى ما سيقوله دلاس عن مشكلتي فلسطين والجزائر . لأنه يشعر أنه بعدما تنتهي أزمة القناة ، فإن الأمريكيين سيكونون مستعدين لمناقشة المشكلتين مع مصر ، وقد اشار دلاس إلى إمكانية عقد اجتماعات لهذا الغرض في واشنطن » .

ومعنى ذلك بصريح العبارة أن « دلاس » لا يعمل على إسقاط ناصر ولا حتى يتوقع سقوطه ، بل مطمئن تماماً إلى استمراره وتخطيه أزمة القناة ، بل واستمراره في مركز الصدارة في صنع القرار العربي فيما يتعلق لا بفلسطين وحدها بل والجزائر أيضاً .

ولهذا . . فقد حذف النص من الطبعة العربية !! ولكن عوض عنه قراء العربية بسخاء كالآتي :

« واقترح كيرميت روزفلت على « علي صبري » أن يسافر إلى واشنطن لمقابلة « آلن دلاس » (مدير الـ CIA ج) ورد « علي صبري » بأنه لا يستطيع أن يتحرك إلا إذا حصل على إذن من القاهرة » وبعث « علي صبري » إلى الرئيس « عبد الناصر » باقتراح « كيرميت روزفلت » وفي ظرف ساعتين تلقى تعليمات بالرفض »[٣٥] .

ياحمش بني مر !!

وبما أن حمش لا يمكن ترجمتها إلى الانجليزية فقد كفى على الخبر « ماجور » إذ جاء النص كالآتي : « اقترح أن يذهب علي صبري إلى واشنطن بعد اجتماع مجلس الأمن ليتصل بشخصيات مثل آلن دلاس »[٣٦] * .

نقطة . . قف . . ولا كلمة . . فليس للانجليز والأمريكان يكتب هذا الهراء . . ولكل مقام مقال . . ولكل مزور تاريخه !

---

* ربما خشي عبد الناصر أن يعجب آلن دلاس بعلي صبري فيعينه « زعيماً » لمصر . . ! بدليل أنه وافق على اجتماع مصطفى أمين بآلن دلاس في نفس الظرف وهذا وارد في رسالة مصطفى أمين التي نشرها هيكل .

وقد أرسل السيد مصطفى بن حليم رئيس وزراء ليبيا السابق رداً كذب فيه « أن الرئيس عبد الناصر فوجيء بتوقيعي على معاهدتين من شأنهما انضمام ليبيا إلى دول الأحلاف » .

وقال رئيس الوزراء الليبي السابق ببساطة إنه لا هو ولا أي رئيس وزراء ليبي وقع مثل هذه المعاهدة !

فماذا كان رد المؤرخ الوثائقي ؟

فضيحة فاجر لا يستحي إذ قال :

« إن قصة الحلف التركي الليبي نشرها الأهرام على صدر صفحته الأولى في عدد ٢٦ يونية ١٩٥٤ ولم يكن هو رئيس التحرير وقتذاك وأن مصدر القصة هو وكالة اسوشيتدبرس الأمريكية التي نقلتها من أنقره . وبعثت بها إلى الأهرام في إطار اتفاق للخدمة الخاصة بين الوكالة والجريدة . وطبقا لما ذكرته الوكالة الأمريكية فإن السيد مصطفى بن حليم زار تركيا مع اثنين من الوزراء الليبيين ، في ذلك التاريخ ، لعقد حلف بين ليبيا وتركيا ، شبيه بالحلف التركي الباكستاني وكان مقرراً أن يوقع الملك السنوسي بنفسه اتفاقية الحلف ، وقد اتفق على زيارته لأنقرة بالفعل ، ولكن لم يعلن عن موعد الزيارة بسبب حالة الملك الصحية طبقا لما نشره الأهرام » !

صحيح الأعمال بالنيات ! . . لكن هل التاريخ أيضاً ؟! . . إذا كنت تعرف أن الاتفاقية لم توقع والصورة الزنكوغرافية في الأهرام لا تشير إلى توقيع ولا إلى اسوشيتدبرس حتى . . بل إنها صريحة في قولها « ويبدو أن حكومة القاهرة لم تعر هذه النقطة ما تستحق من اهتمام » .

فأنت تعرف أن اتفاقية ما لم توقع فكيف تبيح لنفسك أن تكتب بعد ثلاثين عاماً تأكد خلالها ثلاثين مرة × ٣٦٠ أهرام أنها لم توقع ، كيف تبيح لنفسك أن تقول : فوجيء عبد الناصر بتوقيع معاهدتين من شأنهما انضمام ليبيا إلى دول الأحلاف » ! . . بل وتحدد اسم من وقع ! . .

وبعد أن جاءك التصحيح تصر على أن تنشر في الكتاب « فوجيء جمال عبد الناصر بخطوتين في نفس الوقت غربي الحدود المصرية ، وقع السيد « مصطفى بن حليم » اتفاقية دفاع مشترك بين ليبيا وتركيا ثم بحروف سوداء « وكان معنى ذلك أن الخطوة الأولى في محاولة تطويق مصر قد بدأت على حدودها الغربية . . . ثم إن تركيا بمعاهدتها العسكرية مع ليبيا . . ربطتها على نحو أو آخر بالحلف التركي ـ الباكستاني » !

أي تاريخ هذا ؟

وهل يكتب تاريخ التطويق والمعاهدات نقلاً عن الأهرام . . وكمان وأنت مش رئيس

تحريرها ؟ حتى هذه أنت كاذب ، فليس في « الأهرام » الذي نشرت صورته خبر توقيع . . وأنت جزمت ومازلت مصراً على أن معاهدة وقعت رغم اعترافك في الرد بأنها لم توقع لأسباب صحية تتعلق بالملك . . وما دخل الملك وأنت أكدت أن مصطفى بن حليم وقع ؟! . .

هل يجوز لمثقف يحترم نفسه أن يعتبر هيكل مؤرخاً أو أن يهتم بما يكتبه كمصدر للتاريخ . .

هذا الذي لا يؤتمن على خبر « معاهدة » دولية . . نأتمنه على ما ينسبه من أحاديث هو وحده الشاهد عليها ؟! . .

احترموا عقولكم . . .

أما حكاية مفاجأة عبد الناصر بمحاولة تطويقه بتأجير قاعدة أمريكية في ليبيا فإن رد مصطفى بن حليم يصعب جداً رفضه فقد قال : « لعل ما لا يعرفه السيد هيكل أنني أطلعت الرئيس جمال على تفاصيل الاتفاقية المذكورة أولاً بأول سواء عند اجتماعي به في يونيو ١٩٥٤ بالقاهرة وبحضور السيد حسن إبراهيم عضو مجلس قيادة الثورة ، أو عند زيارة الأخير لليبيا في أغسطس سنة ١٩٥٤ حيث أطلعته على مسودة الاتفاقية قبل توقيعها ولم يجد الرئيس جمال في الاتفاقية ما يمس أمن وسلامة مصر . **لذلك لم تهاجم الاتفاقية لا من صوت العرب ولا من بقية أجهزة الإعلام المصرية** »[٣٧] .

ولم يجد مؤلف التاريخ ما يرد به على هذا « المطب » إلا أن « ما ذكره السيد بن حليم ليس هناك ما يثبته فضلاً عن أنه ليس هناك ما يعزز صحته »[٣٨] .

لأ . .

أولا ـ الرجل استشهد بشاهد من الأحياء هو « حسن إبراهيم » والذي كان مسئولا عن ليبيا في تلك الفترة والذي لم يكذبه حتى الآن (مايو ١٩٨٧) .

ثانيا ـ يعزز قوله نقطتان . . الأولى في غاية الأهمية وهي أن صوت العرب الذي كان يهاجم الأحلاف الموجودة والتي ستوجد والقواعد في الكونغو لم يذكر القاعدة الأمريكية بحرف ولا تعرضت لها صحيفة واحدة ولا جاء ذكر هذه الاتفاقية في حملات الإعلام المصري وقتها . .

لماذا ؟! . . أجب ياهذا . .

بن حليم كان مهذباً أو في فمه ماء . . . سيان ! ففسر ذلك بأن عبد الناصر استشير فلم يجد ضيراً . . ولكن إذا لاحظنا أنه حتى عام ١٩٥٦ لم تهاجم أية قاعدة أمريكية في المنطقة عرفنا أن السر أعمق من ذلك .

الإثبات الثاني أنه قد ثبت كذبك في النقطة الأولى الثابتة قطعاً ، ومن ثم فلا مصداقية لك وتعززت مصداقية معارضك بن حليم . ولو كان لديك أي « شك » في صحة ما قاله لرجعت للمفاتك وجئت بنص واحد نشر في صحيفة مصرية أو في إذاعة صوت العرب في تلك

الفترة ضد هذه الاتفاقيات . . ولكنك لم تفعل ولن تفعل .

وهكذا فقد الناصريون مصداقيتهم وأنت على رأسهم وهاهو أمين هويدي يكذبك في واقعة حدثت بينك وبينه شخصياً* ، ومحمد نجيب ألزمك بالاعتذار ، وبن حليم يتحداك أن تكون هناك معاهدة بين تركيا وليبيا ، وقد قدمنا للقاريء بعض النماذج على تزويرك وتعديلك وتغييرك للواقعة الواحدة وما تدعى أنه نص كلام عبد الناصر . . فأنت الذي فقد المصداقية . . أما نحن فنكتب من ٣٦ سنة لم يكذب لنا أحد حرفاً وقد تناولنا ونقدنا وهاجمنا شتى الاتجاهات والعديد من الشخصيات ، بعنف وحدة ، بعضها من خلقنا وبعضها من انفعالنا الشرعي إزاء ما يدبر لوطننا وما يفتري على التاريخ والحقيقة ، ومع ذلك لم يجرؤ واحد ممن تناولناهم أن يفند فقرة ولا سطراً مما كتبناه عنهم . . بل إن الكثير مما قلناه أصبح من المباديء والحقائق المقبولة سلفاً ، والتي فرضت نفسها على كتاباتكم كما سيرى القاريء من مقارنة ما كتبتموه في « قصة السويس » وما تداركتموه في ملفات السويس .

ولئن صح ما رواه عن سؤاله للملك فيصل لماذا لا يحتفظ بمحاضر ولا أوراق ، فرد عليه حكيم العرب : « لا أحد يدرى في يد من تقع تلك الأوراق » . . فقد أصابه في مقتل . . وأي هول وسوء يصيب أوراق التاريخ إن وقعت في يد هيكل **. . ؟!

وما دمنا في سيرة التاريخ البلاستيك فإننا نتعرض لإحدى القضايا التي يحيطها غموض غريب غير مفهوم إلا في ضوء تفسيرنا ، ونعني هنا علاقة هيكل بعبد الناصر فكلما تفضل هيكل ، و « أفرج » عن إحدى وثائق هذه العلاقة زادتنا غموضا وحيرة وزادتها تعقيداً . . وقلنا « أفرج » عن عمد ، ذلك أن وثائق « هيكل » ، مثل كل الوثائق « الرسمية » لها شروط أو أجل لابد أن تستكمله قبل الإفراج عنها ، فالوثائق البريطانية كان يشترط لها مرور ٧٥ سنة حتى يكون الأحفاد قد ماتوا فلا يضاروا بما يكشف عن مسلكية الأجداد ، أما الأمريكان فيشترطون ثلاثين عاماً فقط . فإن عدنا لهيكل فسنجد أن أجله هو « الكتاب » . . أعنى لكل

---

* الغريب أن الحاج هويدي يشكو لطوب الأرض في كتابه من تزوير هيكل لواقعة حدثت بينهما شخصياً ومع ذلك يؤيد تاريخه . . إن كان هيكل يصدق على الأموات ، فهو صادق في ما رواه عنك وأنت الـ . . . . . ؟!

** الظاهر أن يداً أخرى غير ضليعة لا بالعربية كلغة ولا بالسياسة العربية صاغت كتاب « هيكل » : قطع ذيل الأسد . . فلا يعقل أن هيكل الضليع في اللغة الانجليزية وبقال العربية يترجم « الأسمر » MAGNIFICENT . . ولا يعقل أن هيكل لا يعرف الإمام يحيي من الإمام أحمد ! ص ١٠٩ خ وص ١٠١ خ مع أنها وردت صوابا في الطبعة العربية .

والظاهر أيضاً أن التاريخ يجب أن ينقح وفقا لمواعيد عشاء هيكل ، فلأنه كان يتعشى يوم ٢٨ أكتوبر ١٩٥٦ لذلك تقدم الهجوم الإسرائيلي على سيناء من التاريخ المتفق عليه عالميا وهو ٢٩ إلى يوم العشاء ! انظر ص ١٧٧ خ .

أجل كتاب ! . . شرط هيكل للإفراج عن « وثائقه » هو وفاة من يستشهد بهم ! . . فهناك دائماً في كل رواية عن نفسه شاهد أو شاهدان أو حتى شهود ، شرط أن يكونوا جميعا ممن توفاهم الله ,وتدل تجربة الجنس البشري خلال البليون سنة الماضية ، أنه مهما يكن حجم الكذب الذي يفتريه « هيكل » ومهما تصورنا ضيق المتوفى الذي يستشهد به ، فما من سبب يجعلنا نعتقد أنه سيأتي من العالم الآخر ليفند رواية هيكل . . ويبدو أن مؤرخ الناصرية ، على يقين من ذلك ومن ثم « يتبحبح » هو بقى ، على حد قول أبو لمعة . .

وقد تفضل علينا هيكل في كتابيه « ملفات السويس » و « بين الصحافة والسياسة » ببعض الوثائق عن علاقته بعبد الناصر ، ففي هامش ص ١٩٧ ع يعرفنا :

« سنة ١٩٥٠ زارني « جمال عبد الناصر » في مكتبي في « آخر ساعة » وكنت رئيساً لتحريرها وراح يناقش معي ما يجري في سوريا وكان قد قرأ لي تحقيقات صحفية قمت بها في دمشق مع توالي تلك الانقلابات . وكنت قد التقيت به قبل ذلك لقاء واحداً عابراً حينما مررت بمنطقة عراق المنشية قرب الفالوجة . وكانت المرة الثانية التي زارني فيها « جمال عبد الناصر » في مكتبي قبل الثورة في أواخر عام ١٩٥١ لكي يطلب مني نسخة من كتابي « إيران فوق بركان » . ولم يكن جمال عبد الناصر معجبا بكل هذه السلسلة من الانقلابات (السورية) ولعله على ضوء ظروف تجربة مصر في الحركة العرابية كان شديد التشاؤم من نتائج إمكانية نجاح العسكريين[٣٩] .

هل يعني ذلك أن عبد الناصر كان متشائماً إلى أواخر عام ١٩٥١ . . فأين حديث بداية التنظيم سنة ١٩٤٩ ولماذا أقامه وتحمل مخاطره . .

متشائم من إمكانية نجاح العسكريين في أواخر عام ١٩٥١ . . ويشكل ويقود تنظيماً عسكرياً . . ليه ؟!

هذه واحدة ولكن الأخرى أعجب ، فقد تفضل المؤرخ ، فتنازل عن تواضعه وإنكار الذات الذي اشتهر به شهرة اللحمة في السوق . . فأخبرنا أنه هو الذي قال لجمال عبد الناصر إن الانجليز لن يتدخلوا لحماية الملك .

« وكان هذا أول دور أديته بالقرب من جمال عبد الناصر » .

أو كما قال في « بين الصحافة والسياسة » ! ص ١٤٥ ع .

وبالرجوع إلى بين السياسة والصحافة . نجد رواية تقول إن مؤلف الناصرية قابل زعيمها « صدفة » يوم ١٨ يوليو ١٩٥٢ و « صدفة » أو نتيجة استفزاز من جانب هيكل ، انفتحت سيرة الانقلاب ونترك له الكلام :

« يوم ١٨ يوليو التقيت مصادفة بالبكباشي جمال عبد الناصر والصاغ عبد الحكيم عامر (لاحظ أنهما متوفيان والمنزل كان يعج بالناس ولكنه استفرد بهما وهما وحدهما الشاهدان ج)

ودار بيننا نقاش ساخن حول ما يجري في البلاد ودور الجيش فيه ، وتحمست أثناء المناقشة وقلت « لجمال عبد الناصر » ما معناه : « إن الجيش عاجز عن رد كرامته إزاء عدوان الملك عليه » ورد جمال عبد الناصر بالتساؤل عما يمكن أن يفعله الجيش . . أو ليست أي حركة عسكرية من جانبه يمكن أن تؤدي إلى تدخل بريطاني . . وتطوعت وقلت إن الانجليز لن يتدخلوا . . لأنهم لا يملكون وسائل التدخل وأحسست أن عبارتي قد رنت جرسا في رأس جمال عبد الناصر . لأنه التفت إليّ وسألني عن الأسباب » .

ثم أكملوا مناقشتهم في بيت هيكل"[4] .

من الغريب ـ على حد تعبيره ـ أننا نصدق ادعاءه ونكذب أدلته أو روايته . . فنحن نميل إلى الاعتقاد من زمن طويل إلى أن هيكل هو الذي حمل إلى عبد الناصر التأكيد بأن الانجليز لن يتدخلوا . . ولكن لغير ما أورده من أسباب وأهم من ذلك ، لم يكن هذا التأكيد يوم ١٨ يوليو وليس صدفة ولا في مناقشة عابرة وبطريقة يفهم منها الطفل ـ وليس زعيماً ـ ومدبر انقلاب ـ أنها تهدف لاستفزازه أو استدراجه لإفشاء ما يكون لديه من أسرار أو نوايا . .

أولاً . . لا يمكن أن يكون ذلك قد حدث يوم ١٨ يوليو لأن جميع المصادر وكل الأدلة توحي بأنه في هذا التاريخ كان الانقلاب قد تقرر فعلاً ودارت ماكينته وأصبح أمراً مفروغاً منه مهما تكن النتائج فلا يعقل أن عبد الناصر الذي يشغله مثل هذا الأمر الخطير . . وهو تدخل الانجليز وتكرار تجربة عرابي . . أو الكابوس الذي كان يشل أي ضابط مصري عن التفكير في « الثورة » ضد السراي ، يتركه بلا حل إلى ١٨ يوليو !!

إننا ننتقص كثيراً من جدية عبد الناصر إذا اتهمناه بأنه ترك هذا الاحتمال (التدخل البريطاني) بلا مواجهة ولا حتى مناقشة ولو مع هيكل إلى يوم ١٨ يوليو ، إذ يهبط عليه الوحي مصادفة وبمناقشة مع صحفي لم يقابله إلا مرتين . . مرة لقاء عابراً في فلسطين ، ومرة في مكتبه يطلب نسخة عليها إهداء كطالبات السنية مع إحسان عبد القدوس . . مع صحفي في دار أخبار اليوم الناطقة باسم السراي بشهادة هيكل نفسه . . ومع ابن أخبار اليوم البكر والحائز على جائزة الملك فاروق ثلاث مرات . وإن كان هناك خلاف في الروايات حول هذا اللقاء وهل كان الأول أو الثالث . . أم كانت هناك علاقات قديمة لم يحن وقت كشفها . . إلا أنه يفهم من رواية هيكل هذه . . أنها « كان أول عمل أؤديه بجانبه » تعبير غريب . . فمجرد إبداء الرأي ليس عملاً وبجانبه . . فماذا يقصد خبير الصياغات المريبة . . هل دبرا معاً منع التدخل البريطاني . . ؟ . . المهم حسب هذا النص أنه لم تكن بينهما علاقة عمل قبلها .

ويستفاد أيضاً أن هيكل لم يكن يعلم ـ عن طريق عبد الناصر على الأقل ـ بعمل عبد الناصر للثورة ، وإلا لما احتاج لاستفزازه أو استدراجه بتعييره بقلة الثورية والعجز عن

رد الإهانة . . وهذه نقطة مهمة نحتاط بها مستقبلاً ضد أي ادعاء عن وجود علاقة ثورية أو حتى فكرية بين هيكل وعبد الناصر قبل الثامن عشر من يوليو ١٩٥٢ . . ولو كنا نملك تسجيل ذلك في الشهر العقاري لفعلنا .

ويفهم من عرض هيكل ـ كما قلنا ـ أنه لم يكن هناك سابق معرفة بين ناصر وهيكل تسمح بأن يثق به في هذه اللحظات ، وهو يعرف أن كل القوى المعادية تتسقط الأخبار عن تحركاته . . ومن ثم فمن حقنا إسقاط هذه الرواية بالكامل . . وخاصة إذا أضفنا شهادة جلال ندا وقبلنا شهادة المصادر العديدة وفي مقدمتها خالد محيي الدين التي تؤكد أن اتصال ناصر بالأمريكان كان في مارس . . والاتصال بالأمريكان كان أهم بنوده وفوائده هو تأمين عدم تدخل الانجليز . . وأخيراً لأن شاهدي هيكل على هذه الواقعة لا يمكن أن تذكر إحداهما الأخرى فقد توفاهما الله . . وسبحانه يتوفى حتى الشيطان .

وأخيراً . . ففي كتاب الصحافة والسياسة نفسه نجد أستاذه « مصطفى أمين » يذكر سيدهما بأن مندوب المخابرات الأمريكية في السفارة الأمريكية هو الذي أجرى الاتصالات التي ضمنت منع التدخل البريطاني .

وهذا الذي تقابل مع عبد الناصر ثلاث مرات بالصدفة خلال ٣٤ سنة من عمر عبد الناصر ، سنجده بعد أربعة أيام من هذا اللقاء المصادفة ، ثالث الاثنين يديز الحركة صباح ٢٣ يوليو ، كما جاء في روايته الأكثر من فكهة ، حيث وضع مصطفى أمين في معسكر الرجعية مع الهلالي على طرف التليفون وهو . . على الطرف الآخر ينطق باسم الثورة ؛ بشهادة اثنين من دون جميع الضباط الذين كانت تعج بهم قيادة الأركان . . ضابطان فقط حول هيكل . . ويشهدان بصحة روايته ، لولا عائق بسيط للأسف وهو انهما ماتا : عبد الناصر وعبد الحكيم عامر* . .

☐ وكنا قد أمسكنا بخناقه في واقعة من هذا اللون ، عندما ادعى في كتاب « قصة السويس » أن عبد الناصر ودعه وهو ذاهب إلى أمريكا في أكتوبر ١٩٥٢ قائلا : « إن الكثيرين يعرفون علاقتك الوثيقة بي » . . فحاول أن يفلت في « ملفات السويس » وذلك بإجراء عملية تجميل للتاريخ البلاستيك ، رغم أنه في كتاب « قصة السويس » الصادر عام ١٩٧٦ والذي مازال في الأسواق ، أورد كلام عبد الناصر بين مزدوجين هكذا : « » دليل على أنه نص منقول حرفيا من كلام الزعيم الخالد ، إما من الأرشيف الهيكلي أو الكمبيوتر إياه الذي فتن ضابط الإيقاع ، أو أرشيف منشية البكري محطة سراي القبة . . إلا أنه اضطر مرغماً إلى حذف هذا النص المتصل المصدر ، فاعترف بأنه حديث موضوع مكذوب منكور واستعاض

* ننصح القارىء بالرجوع لهذه القصة في كتابه بين الصحافة والسياسة فهي فكهة جداً ! والصفحات من ٥٢ إلى ٥٧ .

عنه بإيضاح ورد في الطبعة العربية ١٩٨٧ يقول : « وكانت السفارة الأمريكية بالقاهرة قد أخطرت واشنطن عن سفري وأضافت إليه أنني وثيق الصلة بـ « جمال عبد الناصر » . . !!

ظبطت . . ؟! ولا نقص منها حته ؟!

ويبدو أنه توقع أن يكون القارىء الانجليزي في مستوى ذكائنا ومن ثم سيسأله : « وعرفت منين السفارة الأمريكية . . هي العصفورة بتروح السفارة الأمريكية ؟! . . فكان أن قصر الشر ، وحذف الحديث والتفسير من الطبعة الأفرنجية ، واكتفى بطلب « عبد الناصر » منه أن يقيم له الموقف في أمريكا .

وهذا يثبت فائدة النقد في تطوير التاريخ وتقدم فن تزويره ، وتعلم الحذر من عثرات اللسان* .

□ وقد أعفى « مؤلف » التاريخ قراءه العرب من حكاية اتصال عبد الناصر بهيكل عقب وصول أنباء الاجتياح الإسرائيلي لسيناء ، وحسناً فعل وإلا فإن مستشفيات مصر كلها لم تكن كافية لعلاج حالات الضغط والسكر ولكنه للأسف نشر هذه الفضيحة في الطبعة الانجليزية ولعلها نوع من التشفي في الزعيم الذي كان على وشك أن يفتك به لولا « حظ » هيكل . .

قال :

« حولت لي مكالمة من ناصر على الفندق . . « الإسرائيليون في سيناء ويبدو أنهم يحاربون الرمال ، لأنهم يحتلون موقعاً خالياً بعد موقع . . إننا نراقب ما يجري عن كثب ، ويبدو لنا كما لو أن كل ما يريدونه هو إثارة عاصفة رمال في الصحراء ، لا نستطيع أن ندرك ما يجري . . أقترح أنك تأتي »[41]

يأتي أو لا يأتي .

والله لولا أننا لا نشك ـ بعد ـ في وطنية عبد الناصر ، ولا نثق إطلاقاً في رواية هيكل لظننا أنها مكالمة بين جاسوسين إسرائيليين يتبادلان التهاني : « اليهود في سيناء . . ولا أحد يقف في طريقهم ، المواقع تقع في أيديهم واحدا بعد الآخر بلا نقطة دم . . خالية . . إنهم يحاربون الرمال بعد أن سحبنا لهم الرجال . . تعال بسرعة ! » . .

---

* راجع هذه النقطة في كتابنا كلمتي للمغفلين الصادر في ١٩٨٥ ص ٣٥ وما بعدها وفي هذا الكتاب الذي بين يديك .

ألا يعرف زعيم مصر والذي كان عسكرياً ماذا يريد الإسرائيليون في سيناء . . ولا يفهم لماذا يستولون على المواقع الخالية ؟! وما ذنب اليهود إذا كانت المواقع قد تركت بلا مدافعين . . هل هم من المسلمين الاتقياء لا يدخلون موقعاً حتى يستأذنوا ؟! ولا يدخلون موقعاً ليس مسكوناً ؟! . .

هذا هو « هيكل »

مؤرخ زمن القحط .

فتعالوا نري ماذا أرخ . . قُتل كيف أرخ !

مراجع وملاحق الفصل الأول

من صفحة ٣٥ إلى صفحة ٧٢

المراجع

١ ـ ص ١٢ من « ملفات السويس » الطبعة العربية وسنرمز لها ع .
٢ ـ ص ٨ ع .
٣ ـ ص X I من الطبعة الانجليزية الصادرة بعنوان : « السويس قطع ذيل الأسد .. نظرة مصرية » وسنرمز لها بالحرف خ .
٤ ـ ص × خ .
٥ ـ ص ٤٨ ع .
٦ ـ ص ٨ خ .
٧ ـ ص ٨ خ .
٨ ـ ص ١٦ خ .
٩ ـ هامش ص ٢٧ خ .
١٠ ـ ص ١٢٨ ع .
١١ ـ ص ٣٣ خ .
١٢ ـ ص ٢٣٩ ع .
١٣ ـ ص ١٩١ ع .
١٤ ـ ص ٣٠٦ ع .
١٥ ـ ملفات السويس .
١٦ ـ ص ٤٨ خ .
١٧ ـ ملفات السويس .
١٨ ـ ص ٦٤ خ .
١٩ ـ ص ٦٤ خ .
٢٠ ـ قطع ذيل .
٢١ ـ ملفات السويس .
٢٢ ـ ص ٧١ خ .
٢٣ ـ ص ٣٦٢ ع .

٢٤ ـ ص ٧٧ خ .
٢٥ ـ ص ٣٦٤ ع .
٢٦ ـ ص ٧٩ خ .
٢٧ ـ ص ٧٩ ـ ٨٠ خ .
٢٨ ـ ص ٨٠ خ .
٢٩ ـ ص ٨٣ خ .
٣٠ ـ ص ٣٨٨ ع .
٣١ ـ ص ١٠٠ قصة السويس .
٣٢ ـ ص ٩١ ـ ٩٢ خ .
٣٣ ـ ص ٤١٠ ع .
٣٤ ـ ص ١٠٠ خ .
٣٥ ـ ص ٥١٧ ع .
٣٦ ـ ص ١٦٤ خ .
٣٧ ـ الأهرام ١٩٨٦/١٢/٢١ .
٣٨ ـ ن . م
٣٩ ـ ص ١٩٧ ع .
٤٠ ـ بين الصحافة والسياسة ص ٤٩ ـ ٥٠ .
٤١ ـ ص ١٧٧ خ .

الملاحق

م[١] ـ عندما بدأ هيكل بنشر مسلسل خريف الغضب في واحدة من كبريات الصحف البريطانية . . قال لي صديق عربي كبير : هل لو أتيحت هذه الفرصة لصحفي يهودي . . أكان يستخدمها في سب بيجين أم في الدفاع عن قضايا إسرائيل ؟!.

وإذا كنت لم أقل كلمتي بعد في « خريف الغضب » لأنه جزء من دراسة عن السادات أتمنى أن أصدرها ولكن في عجالة وفي حدود ما يسمح به هامش أو ملاحظة ، أقول إن كتاب « خريف الغضب » لم يكن أبداً مجرد ثأر شخصي . . بل خطة محكمة التدبير أو حلقة في الخطة الشاملة التي أريد بها إبطال كل إيجابيات مغامرة السادات بزيارة القدس وعقد الصلح مع إسرائيل وذلك بتحطيم الصورة التي تجسدت لدى الرأي العام العالمي عن السادات : « بطل السلام . . العربي الذي حارب وانتصر أو على الأقل أول عربي ينتصر إلى حد ما . . الوطني الذي ضحى بكل شيء حتى حياته في سبيل السلام فلم يلق من زعماء إسرائيل إلا الرفض والكيد » .

وبصرف النظر عن مكونات وحقائق هذه الصورة ، فقد كانت موجودة بالفعل ، وهي استثمار موظف أو يمكن توظيفه لحساب العدل العربي أو الحق العربي المشروع . . وسيلة من وسائل تجميع

ضغط ضد « تعنت » إسرائيل وتخاذل الولايات المتحدة التي قتلت السادات سواء مباشرة ، كما نعتقد ، أو بتخاذلها وعجزها عن تحقيق سلم قائم على العدل مقابل مبادرته .

كان لابد أن تزول هذه الصورة ، وتلغى هذه الورقة ، وأن تتم الإزالة بقلم عربي مصري الجنسية ، يقول للرأي العام العالمي والأمريكي بالذات . . السادات ليس فقط مجرد ممثل نصاب وضيع الأصل ، بل « جاسوس نازي » . . نعم « جاسوس نازي » هذا ما قاله محمد حسنين هيكل عن أنور السادات . . وإذا عرفنا أن الأمريكي أو الأوروبي يغفر أن تشرك بالله ولا يغفر أبداً شبهة النازية (انظر قضية فالدهايم) عرفنا كيف استطاع « هيكل » أن يطعن التصور العالمي للسادات وتطلعاته السلامية في مقتل . . وليس السادات الذي كان قد قتل وانتهى ، بل الكارت العربي . . وبذلك خدم « هيكل » إسرائيل بأكثر مما استطاعت وتستطيع كل أجهزة الإعلام الصهيوني وهذا هو الهدف الرئيسي من كتاب « خريف الغضب » وهناك أهداف أخرى لم يحن الوقت لإذاعتها وسنتعرض لها في كتابنا القادم : « إعدام رئيس » . . ولعلك خمنت بعضاً مما نريد قوله ! . .

وللحقيقة والتاريخ ، فالسادات لم يكن جاسوساً نازياً بسبب تعاونه مع الألمان في الحرب العالمية الثانية ، إلا بقدر ما كان مفتي فلسطين وعزيز المصري وحسين ذو الفقار صبري والبغدادي وأحمد حسين . . الخ . . بل بقدر ما كان تشرشل وروزفلت جاسوسين شيوعيين بتعاونهما مع روسيا . . وإنما الكل كان يعمل بشعار التحالف مع الشيطان ضد العدو المباشر . . وبهذه المناسبة من يجرى لنا دراسة حول موقف عبد الناصر في هذه الفترة ، ولماذا لم يكن مع باقي الضباط متعاطفاً مع الألمان ؟

الفصل الثاني

ثورتنا التي أجهضت ...

« . . مهما تكن سياسة الحكومة الجديدة فالمهم أننا تخلصنا من الوفد . . »

السفير البريطاني
١٩٥٢/١/٢٧

الجيل الذي لم يعش سنوات ما قبل انقلاب يوليو ، من حقه علينا أن نعرفه حقائق تلك الفترة ، ومن واجبه أن يعرف . . وأن يعي ، بداية ، أن تاريخ تلك الحقبة ، قد تعرض لعملية تشويه شاملة ، وهو وضع طبيعي ومتوقع ، لأن مصدر الشرعية أو المبرر لأية ثورة أو انقلاب ، أنها تثور أو تنقلب لتخليص الشعب من « نظام سيىء » وعندما تنجح في قلب هذا النظام وإلى أن تتحقق لها إنجازات مباشرة ملموسة ، يكون إنجازها الأكبر هو ازاحة النظام السيىء ، ومبرر استمرارها في السلطة هو حماية الوطن والشعب من خطر عودة هذا النظام البغيض ، ومن ثم يغدو الإعلام الثوري ، هو الذي يبرز مساوىء العهد البائد ، وتصبح أية إشادة ولو جزئية بذاك النظام أو رجاله عملاً غير ثوري وطعناً في الانقلاب وتشكيكاً في مشروعيته ومبرراته ومن ثم محظورة ، ولا رحم الله ستالين الذي قال : « في الحرب لا مكان للموضوعية » .

فإذا ما كان التغيير ثورياً حقاً ، واستقرت الأمور ، وتحققت المنجزات ، فإن الثورات الصادقة تعيد احترام التاريخ ، وتعتز بماضي الوطن وتفخر بأنها المكملة له ، لأن من ليس له ماضٍ يعتز به ، لن يكون له مستقبل . . فإذا اتفقنا على أنه حتى الثورات الحقيقية تضطر إلى مجافاة الحقيقة فترة ، فما بالك « بالمكانس » ؟!

وصحيح أننا عرفنا بحدة العبارة ، وعنف التعبير ولكننا نعترف ـ للأسف ـ أنه ما خطر ببالنا وصف انقلاب يوليو « بالمكنسة » مقشة ! . . إنما جاء التعبير من وزارة الخارجية الأمريكية . . وأم الصبي أدرى باسمه . .

فلا غرابة في مَنْ قبل أن يكون مكنسة تكنس نُظاماً ـ حتى ولو كان ذلك على هوى وبإرادة الأجنبي ـ لا غرابة أنْ يحرص على نفي أي صفة طيبة فيما جاء ليكنسه . . وهكذا تعرض تاريخنا للتزوير والتشويه والتجهيل ، ولا حاجة للشباب للبحث والتقصي ، فكل جيل الثورة كما يسمونه ، لم يكن يعرف حتى عام ١٩٧٣ بوجود شخص اسمه محمد نجيب ، والذين سمعوا عنه من آبائهم هم بدورهم ما كانوا يعرفون لا هم ولا آباؤهم ـ على وجه اليقين ـ إن

كان « محمد نجيب » حياً أو ميتاً ، أما كتب المدارس الرسمية التي تلقن « التاريخ » ويفترض فيها أن تعلم الحقائق ، فقد حذفت من التاريخ تماماً أن محمد نجيب هذا ، كان رئيساً للجمهورية ، حتى ابن « محمد نجيب » شك في كلام أبيه وجاء إليه يقول : كيف تكذب عليّ ياأبي وتقول إنك كنت أول رئيس لجمهورية مصر وكتب المدرسة والمدرس يقولان إن عبد الناصر هو الأول . . ولعل محمد نجيب* تمثل وقتها بحكمة : « البغل في الأبريق » ! . . وتذكر بعض ما افتراه هو على التاريخ يوم كان في السلطة وقليلاً ما يعتبرون . .

وقديماً قال شوقي : أمن سرق الخليفة وهو حي . . يعف عن الملوك مكفنينا أو مسجينا . . لا أدري ولا أعرف وزن الشعر ولا أحفظه . . وهكذا أفمن أخفى رئيس الجمهورية ومحا ذكره محوا وهو حي يرزق . . يتوقع منه أن يعف عن زعماء مصر وأحداث مصر التي انقضت قبل أن يولد ؟

من هنا كان عليكم أن تقرأوا كثيراً وتنقبوا وتمحصوا أكثر . . ولا تقبلوا ادعاء بغير دليل ، ولا وثيقة دون مراجعة . . فإن ثبت لكم كذب كاتب أو تحريفه فانبذوه ولا تقبلوا شهادته أبداً . . هكذا كان السلف الصالح يتعامل مع التاريخ فلابد من المصدر ولا تقبل أحاديث الآحاد إلا بأن يكون مصدرها فوق الشك وأن تعزز بدلائل وقرائن وأن تتفق مع التصور العام ويستبعد حديث أو رواية من له مصلحة تعززها الرواية أو الحديث . . ثم هي في النهاية أضعف الحجج . . أما من ثبت عليه وضع أي تزييف حديث واحد فقد سقطت الثقة في كل أحاديثه .

نعم من حقكم أن تعرفوا ، ومن واجبنا أن نعرفكم أن انقلاب يوليو لم يكن ثورة بل الثورة المضادة** التي دبرت لإجهاض الثورة الحقيقية . . فقد كانت مصر حبلى بنذر ثورية (كان الحزب الشيوعي يتحدث عن ثورتنا المقبلة التي باعها بعد ذلك بكرسي الوزارة في خدمة العسكر) بل نحن نعتقد أنه لو بقي الوفد في الحكم أسبوعاً واحداً بعد معركة البوليس في الاسماعيلية ، وصدرت المراسيم التي كانت قد أعدت فعلاً بقطع العلاقات الدبلوماسية وإقالة حاكم عام السودان وإلغاء شرعية الوجود البريطاني في السودان ، وإصدار الأمر للجيش المصري هناك بالمقاومة إذا ما تعرض له الانجليز[1] لو تم ذلك لتفجرت في وادي النيل

---

* بهذه المناسبة كنت أنا الذي تولى إعداد ونشر مذكرات « محمد نجيب » في مجلة « الحوادث » وثارت يومها ضجة هائلة . وأذكر أن المرحوم أنور السادات أرسل رسالة خاصة إلى المرحوم سليم اللوزي يطلب تأجيل النشر بضعة شهور ، ولم نفهم حكمة ذلك ورفضنا الرجاء لنفاجأ بحرب أكتوبر ونكتشف صدق نصيحة الرجل وإن كنا لم نندم كثيراً على مخالفته .

** عاتب أحمد بهاء الدين الرجعية لأنها ناكرة لجميل ٢٣ يوليو التي أنقذتهم من الثورة الحقيقية . . وهو صحيح . . بقي أن يدلنا على ثورة أنقذت الرجعية إلا هذه . .

ثورة وطنية شاملة تحمل إمكانات تغيير وجه وتاريخ المنطقة . . على الاقل هذا ماتوقعه الأمريكيون وتؤكده وثائقهم كما سنرى بعضاً منها .

ولم يكن وجود القصر يشكل عائقاً مستحيل التجاوز . فثورة ١٩ قامت في ظل ملك أسوأ وأكثر فجوراً وقدرة من فاروق . . وثورة المغرب قامت وحققت استقلال الوطن مع القصر المغربي أحيانا وبالقصر . . وأحيانا رغم القصر . .

على أية حال كان القصر الملكي في مصر قد شُل تماما بإلغاء المعاهدة ، كما بدأ يفقد شرعيته وتأثيره بسرعة هائلة ، فمن ناحية كان « لقب ملك مصر والسودان » الذي صدر مع مراسيم إلغاء المعاهدة ، قد قيد حركة الملك والمتعاونين معه ، وفرض نفسه عليهم بحيث استحال التنازل عنه لو أرادوا ، وإن كان الإنصاف يقتضينا القول أن أسرة « محمد علي » كانت أكثر وعياً بحيوية وأهمية ومصيرية وحدة وادي النيل من كل الحكومات التي تعاقبت بعدها ، وإن كان السادات قد حاول إنقاذ ما يمكن إنقاذه ، ولكن القوى المعادية كانت قد نفذت بين اللحم والعظم . . وقد أشرنا إلى الوثائق الأمريكية والبريطانية التي تتحدث عن عقدة « اللقب » والعجز عن التغلب عليها ، لإصرار مصر كلها ملكاً وحكومة ومعارضة وشعباً على الالتزام بوحدة وادي النيل تحت التاج المشترك ، أو ملك مصر والسودان . . وهذه وثيقة عن لقاء تم بين السفير الأمريكي « جيفرسون كافري » والملك فاروق وسجله السفير ـ وكعادتهم ـ وبعث به في مذكرة للخارجية الأمريكية بتاريخ ٨ مايو ١٩٥٢ أي قبل الانقلاب بشهرين ، وربما كان موقف الملك في هذا اللقاء من حيثيات التعجيل بالانقلاب . وهذه الوثيقة من الوثائق التي لا يراها مؤرخ الناصرية ، لأنها من نوع خاص ومكتوبة بحبر سري لا يرى إلا بالعين المجردة . . وأنى له ذلك ؟! . .

« تحدثت هذا المساء مع صاحب الجلالة حول رغبته في نصيحتي ، فقال إنه لن يقبل تحت أي ظرف من الظروف الاستشارات مع السودانيين قبل اعتراف بريطانيا باللقب ، وأصر على أنه إن كان عليه أن يبقى في منصبه فإنه لا يمكنه الموافقة على ذلك وقال : لا هذه الحكومة ولا أي حكومة أخرى ستبقى في مركزها ، لو وافقت على هذه الشروط ، وقال الملك : لأول مرة منذ أن توليت منصبي ، لا أدري ماذا أفعل لو استقال الهلالي . . ففي كل مرة كان لديّ وزارة جديدة ، في أحد أدراج مكتبي ، إلا هذه المرة . وفي آخر مرة قابلتك قلت لك : هذه هي الفرصة الأخيرة . وأقولها لك مرة أخرى الآن ، وأنا لا أعتقد أن بريطانيا تصدق هذا ولا أظن جماعتكم يعتقدون ذلك ولكني مضطر لأن أقول لك إنكم ستندمون إذا ما سقطت أنا » .

ثم بدأ يسرد شكواه ضد البريطانيين التي أرادني أن أبلغها لستيفنسون (السفير البريطاني .ج) فقال إن البريطانيين قد أخلفوا ٦٥ وعداً لمصر بالجلاء ، وأنه لا يستطيع الوثوق في كلمتهم ، وليس لديهم النية في الوصول إلى اتفاق » واستعرض تاريخ السودان مؤكداً المنطلق الذي ركزت عليه من قبل ، فقال : « في مصر كان التغيير من لقب خديوي إلى سلطان إلى ملك أما في السودان فقد كان اللقب دائماً هو « صاحب » (كان اللقب : ملك مصر وصاحب السودان . . الخ ج) وهو لقب أشمل من ملك لأنها تعني « سيادة الملكية » (بكسر الميم ج) فنحن لا نطلب جديداً ، بل نطالبهم باتباع نفس المنطق والتحول من صاحب إلى مالك . أنا لا أريد أن أهدد ، أو ربما أنا فعلا أهدد ، ولكن إذا استمرت الأمور على النحو الذي تسير به الآن ، فقد أراني مضطراً لحماية وضعي أو لحماية البلاد ، بأن أهاجم الانجليز علنا وأدينهم إدانة شاملة »[12] .

وهكذا فإن القرار الوفدي بإعلان فاروق ملكاً على مصر والسودان ، قد شل يد السراي ، وبالتالي فقدت أهميتها بالنسبة للاستعمار ، فلم تعد أداة الضغط على الحكومات والأحزاب للتنازل في القضية الوطنية ، بل أصبحت هي ذاتها أسيرة الموقف ، وعقبة ، وعنصراً من عناصر التشدد ، ولذا فعندما تأكد الأمريكيون استحالة قبول بريطانيا لوحدة مصر والسودان ، اتخذوا قرارهم بإلغاء الملكية وإعلان الجمهورية ، وقد وصلنا لهذا الرأي بالتحليل وذلك في مقالات « أكتوبر » وكتاب « كلمتي للمغفلين » وإذا بشهادة ناصرية تؤكد ما وصلنا إليه ، وهي شهادة الأستاذ « فتحي رضوان » الذي ظل وزيراً في حكومة عبد الناصر ست سنوات ، فقد شهد أو اعترف بأن إلغاء الملكية وإعلان الجمهورية كان قراراً أمريكياً . . ولمن شاء الرجوع إليه في كتابه (٧٢ شهراً مع عبد الناصر وفي ملاحق هذا الكتاب) . . ورغم هذه الشهادة القاطعة يحاول فاتح الملفات أن يواري هذا السبب فيقول إن الملكية ألغيت خوفاً من تآمر الطفل أحمد فؤاد أو امرأة تدعى « نسل شاه » مع الانجليز ! . . وهو على أية حال لا يناقض شهادة « فتحي رضوان » الذي قال إن الانجليز كانوا يريدون استمرار الملكية (بدون فاروق) والأمريكان يريدون إلغاءها . . « ثم انتصرت وجهة نظر الأمريكان » بنص حروفه . . أما ما يعزز تفسيرنا فهو أنهم عندما ألغوا الملكية لم ينادوا « بمحمد نجيب » رئيساً لجمهورية مصر والسودان . . مما يؤكد أن إلغاء اللقب كان هدفاً . . وأن رجال ٢٣ يوليو جاءوا باستعداد للتخلي عن السودان . . وقد أكد ذلك أو اضطر للاعتراف به « محمد حسنين هيكل » ، بعدما طرحناه بثلاث سنوات ، فقال : « إن إلغاء الملكية وزوال اللقب (ملك مصر والسودان) جعل مشكلة السودان أقل

حساسية . . ! » (وجاء في تقرير للخارجية الأمريكية بتاريخ ٨ أغسطس ١٩٥٨ : « ابلغت الرئيس (ايزنهاور) أن الموقف في مصر يتحسن كل يوم . . وهناك مؤشرات بأن المجموعة التي في السلطة يرغبون في فصل لقب ملك السودان عن قضية قاعدة السويس » .
وفي ٥ يناير ١٩٥٣ قال وزير الخارجية الأمريكي للسفير الإسرائيلي : « نحن نريد تقوية نجيب وقد قطع شوطاً طيباً في حل مشكلة السودان » .

ومن ناحية أخرى فإن المواجهة التي طرحها الوفد ضد الاحتلال البريطاني ، وضعت السراي في موقف المشبوه ، وخاصة عندما عين الملك « حافظ عفيفي باشا » رئيسا للديوان الملكي ، وكان معروفاً بموالاته للانجليز وعدائه للوفد ، وعندها خرجت المظاهرات الصاخبة محتجة ، وفي الجامعة هتفوا : « يسقط عفيفي وحافظ عفيفي » « يسقط عفيفي وحامي عفيفي » والتقط ممثل « الحزب الشيوعي المصري » في الجامعة ، وكان طالباً في كلية التجارة* ، التقط الخيط أو المبادرة من الجماهير وهتف « بسقوط الملك وحياة الجمهورية » وزلزلت الأرض وانتشر الهتاف للجمهورية لأول مرة في مصر منذ ثورة ١٩١٩ عندما أعلن النائب الوفدي جمهورية زفتى . .

وهكذا اكتملت الثورة ، ضد الاستعمار « الأنجلو- أمريكي » كما كانت الجماهير قد حددت عدوها** . وضد السراي وفلول الرجعية ، وفي نفس الوقت كان الفلاحون في الريف يخوضون فعلاً المناوشات التحضيرية للثورة الفلاحية الكبرى؟ .

وحتى إذا قلنا إن الوفد - وقتها - كان بتشكيله ، وحقيقة وجوده في السلطة ، غير مهيأ لقيادة الثورة الوطنية ، فقد كان بكل تأكيد ، يفتح لها الأبواب وهذه هي الثورة التي بدأت ضد الاحتلال الفرنسي أو ما يعرف بحملة نابليون ، واستهدفت قيام مجتمع مستقل - ديمقراطي - صناعي . . وقد كللت تلك المرحلة بتحقيق الجلاء الفرنسي ، ثم بتنصيب « محمد علي » واليا على مصر بإرادة الشعب .

وإذا كان من العار أن نقارن بين العملاق محمد علي ، وعبد الناصر ، فالأول انتصر في جميع معاركه وأصبح القوة الأولى أو الوحيدة في المنطقة من اسطمبول إلى السودان . . ولم يهزم إلا أمام بريطانيا العظمى التي كانت - وقتها - في تفوقها وجبروتها تشبه القدر ، إلا أن خطيئة أو جريمة « محمد علي » تشبه إلى حد ما جريمة عبد الناصر ، وهي تدمير الرأسمالية المصرية بشقيها الاقتصادي والفكري ، وهي قيادة الأمة التي كان بوسعها أن تمتص الهزيمة العسكرية

---

* هو كاتب هذه السطور . وهذه أول مرة نقولها . . فمن لديه اعتراض فليتقدم .
** ظل هذا هو الشعار في منشورات الضباط الأحرار حتى مارس ١٩٥٢ عندما تم الاتفاق بين عبد الناصر والمخابرات الأمريكية . فطلب عبد الناصر من خالد محيي الدين تعديل شعار « يسقط الاستعمار الأنجلو- أمريكي » إلى « يسقط الاستعمار البريطاني » . . فقط . . وقد روى هذه الواقعة خالد محيي الدين نفسه .

وتحد من نتائجها . وقد هزمت فرنسا في حرب السبعين وأُحتلت باريس ولكن فرنسا لم تنهار ، واستأنفت مسيرتها ، وكذلك الحال مع ألمانيا في الحربين العالميتين ، الأولى والثانية ، ونفس الشيء يمكن أن يقال عن اليابان وإيطاليا . . لماذا ؟! لأن الرأسمالية في تلك البلاد لم تدمر كطبقة ومن ثم فقد استأنفت عملية البناء واحتالت لذلك ما وسعها . . ولكن « محمد علي » دمر الرأسمالية المصرية ، من ناحية « بالاشتراكية » أو ما سمي بنظام الاحتكار ، وهو اشتراكية بالثلث إذا سمحنا لأنفسنا بتسمية تأميمات عبد الناصر بالاشتراكية ، بل إن اشتراكية « محمد علي » كانت أشمل وأنجح ، فقد كانت الدولة هي الزارع والتاجر والصانع والمدرسة ، ونجح محمد علي في إقامة مصانع أكبر (نسبياً) وأكثر إعجازا وبدون قروض . . وكان الثمن هو دمار التجار والصناع والحرفيين ، أو أسلاف البورجوازية الصناعية . كذلك دمر « محمد علي » القيادة الفكرية والسياسية للبورجوازية أو الرأسمالية الوطنية بديكتاتوريته* . وإذا كان المثقفون المدافعون عن ديكتاتورية عبد الناصر بحجة « انجازاته » قد سقطوا في مزبلة التاريخ ، فإن قباحة موقفهم تبدو أشد بمقارنتها بموقف « عبد الرحمن الجبرتي » شيخ المثقفين و « أبو » التاريخ المصري الحديث . . الذي لم يغفر لمحمد علي ديكتاتوريته قط ، وقال عبارته المشهورة : لو أوتي شيئا من العدل لكان من ملوك التاريخ الكبار بل من أكبرهم » . . لم يكن الجبرتي في هذا الموقف من رفض ديكتاتورية محمد علي يمثل شرف الفكر فحسب ، بل أيضاً يمثل عبقرية المؤرخ الذي قرأ سطور ما لم يقع بعد . . ذلك أن كل منجزات « محمد علي » قد انهارت بسبب هذه الديكتاتورية ، لأن الديكتاتورية قتلت قيادة الأمة ، وأخرجت الأمة ذاتها من الصراع . . فلما انهزم الحاكم المستبد ، أصبح الوطن منزوع السلاح . . وفتحت البلاد للإنتاج الأجنبى الذي لم يجد مدافعا ، أو لم يجد طبقة لها مصلحة في مقاومته ، وتحولت مصر إلى سوق للإنتاج الأوروبي ، وسقطت أول محاولة لإنجاز الثورة الوطنية التي لبها ومغزاها هو بناء مجتمع صناعي . .

أو كما يقال كل ديكتاتور يذهب وتذهب معه منجزاته ولا تبقى إلا سيئات ما ارتكب .

وخلال الحرب العالمية الأولى ، وبسبب الحصار الذي منع تدفق الإنتاج الأوروبي انتعشت الرأسمالية المصرية (إلي جانب عوامل عديدة بالطبع لا مجال لذكرها) وتطلعت إلي الاستقلال بسوقها المصرية فكانت ثورة ١٩١٩ بقيادة الوفد ، وقد نجحت هذه الثورة جزئيا وقام بنك مصر والعديد من المؤسسات والصناعات المصرية . . ودخلت البورجوازية المصرية في صراع مرير معقد بل وبدا في معظم الوقت كئيباً يائساً في ظل تفوق بريطانيا الساحق في الفترة ما بين الحربين ، ونجاحها في إرباك الوفد وشله معظم الوقت بمؤامرات السراي ووضاعة أحزاب الأقلية ، وما دبرته من انشقاقات في صفوفه . وأيضاً لرفض قيادته

* انظر كتابنا : « ودخلت الخيل الأزهر » ١٩٧٠ .

أو عجزها عن تبني أسلوب المقاومة المسلحة أي الانتقال من الصراع الدستوري العلني إلى الكفاح السري . . وخاصة بعد أن انهار التنظيم السري المسلح بعد حادثة السردار ، وإن كانت نهايته قد تقررت قبل ذلك عندما عجز عن ممارسة الحرب الشعبية فلجأ إلى الإرهاب .

ولكن قوى التاريخ ، لا تتوقف ، وقد استمرت الرأسمالية الوطنية في النمو ، سواء ثقافياً أو اقتصادياً ، وقد شهدت مصر في الفترة من ١٩٢٤ ـ ١٩٥١ أروع فترات تاريخها من ناحية الازدهار الفكري ، وظهر فيها شوامخ الثقافة العربية والفن العربي . . شوقي ـ حافظ ـ الرافعي ـ طه حسين ـ العقاد ـ المازني ـ بدوي ـ مشرفة ـ تيمور ـ عبد الوهاب . . أم كلثوم . . مختار . . الخ الخ . . وظهر عمالقة الاقتصاد وأشهرهم طلعت حرب في بنك مصر ومجموعة معجزة من الشركات المصرية بالكامل ، كلها دمرتها ثورة يوليو أو أصابتها بالشيخوخة فلم يقم لها مثيل إلى الآن . . (٢١ شركة من الطيران إلى السينما والنسيج الخ) كان « طلعت حرب » مثقفاً مصرياً واعياً ، بدأ كفاحه بكتاب وليس بدبابة . . وقد وضع كتاباً اسمه « علاج مصر الاقتصادي أو مشروع بنك للمصريين أو بنك الأمة »[٢] .

ولكن الوعي وحده لا يكفي ، فقد كان لابد من ثورة ١٩١٩ ليتمكن « طلعت حرب » من انتزاع حق المصريين في إنشاء بنك من فم الأسد البريطاني . . وغنى له شوقي ، واستثمر « طلعت حرب » وطنية المصريين ، وهو إجراء مشروع ومرغوب فيه ، ويرى الدكتور « علي عبد العزيز سليمان » أن من أهم الحقائق التي طمستها الأيام « أن البنك الصناعي الأول في مصر انشأته طبقة كبار الملاك الزراعيين » . .

ونحن لا نرى ما يثير الدهشة والغرابة في تلك الحقيقة ، إنما يندهش من يتمسك بالتفسير الأوروبي للتاريخ ، حيث كان « الإقطاعيون » ضد الصناعة ، وكان لابد أن تظهر الطبقة الصناعية خارج أبراجهم وقلاعهم . . ومن ثم استحال أن يكون كبار الملاك مع الصناعة . . أما في بلادنا فالصورة مختلفة تماماً ، فحضارتنا لم تعرف هذا « الإقطاع » الأوروبي فقد احترم الإسلام الملكية الفردية ، واحتفظ للإنسان الفرد بمستوى من الكرامة والحرية في أحلك العصور . .

وثانيا : منذ أن دخلت بلادنا تحت السيطرة الأوروبية ، سقطت هذه التقاسيم أو استحال قيام سور صيني بين الطبقات المصرية ، فكبار الملاك كانوا طليعة المقاومة ضد الهيمنة الأجنبية ، واحتفاظهم بالملكية الزراعية ، كان وضعاً طبيعياً لأن الأرض كانت هي المصرف الوحيد المتاح للثروات . . فلا عجب أن يتطلع كبار الملاك للصناعة ، وإن كان هذا لا يمنع تفاوت المقاومة والصلابة بتفاوت المراكز الاجتماعية .

وكان كفاح « الوفد » لصالح الرأسمالية الوطنية يتمثل في تدعيم السلطة الوطنية وأبرز المنجزات إلغاء الامتيازات الأجنبية في معاهدة ١٩٣٦ . . وأيضاً محاصرة النفوذ البريطاني ،

بالتمسك بالدستور والإصرار على أن تكون كل السلطة للمجلس النيابي المنتخب حيث ينعدم تأثير هذا النفوذ .

وجاءت الحرب العالمية الثانية ، بدفعة قوية للرأسمالية المصرية نقلتها إلى مرحلة جديدة ، مرحلة ما يسمى « بالانطلاقة » أو « Take off » . . ولكن هذه الانطلاقة كانت تتطلب إنهاء السيطرة الاستعمارية على النظام المصري . . وبدأت كل القوى تستعد للمعركة الفاصلة ، وإذا كان المجال لا يتسع للتفصيل ، فلا بأس من الإشارة إلى الجانب العربي الذي برز في نمو ونشاط الرأسمالية الوطنية المصرية ، التي كانت قد مصرت الفكر والفن العربي ، وبدأت خطوات ناجحة واضحة في تمصير الاقتصاد العربي ، أو ربطه بالقلب الطبيعي والتاريخي ، فكان بنك مصر هو أول بنك للعرب وبنى طلعت حرب أول فندق في السعودية وشق له الطريق من جده إلى مكة وبنى سينما في بيروت لعرض أفلام ستوديو مصر . . الخ . .

وعلى الجبهة السياسية كان إنشاء « الوفد » للجامعة العربية وقبول العرب بلا جدال أن تكون مصر هي المقر الدائم ، وأن يكون أمين الجامعة مصرياً ، وهرع زعماء حركات التحرير العربية إلى مصر طلباً للجوء أو الدعم لنشاطهم ضد الانجليز أو الفرنسيين . . كانت الثورة الوطنية المقبلة تبشر ليس فقط باستكمال تحرر مصر وتصنيعها . . بل وأن يكون هذا التحرر والتصنيع في إطار وحدة عربية بصيغة ما* .

وقد أسهبنا في حديث الثورة الوطنية لنكشف لماذا كان انقلاب يوليو تعبيراً عن إرادة القهر الاستعماري لسحق هذه الثورة . سحق الرأسمالية الوطنية في مصر والوطن العربي كله . . تسليم مصر والوطن العربي ؛ مرة أخرى للإنتاج الأجنبي سوقاً مفتوحة بلا مقاومة أو قوة قادرة وصاحبة مصلحة في المقاومة . . وقد حقق عبد الناصر ذلك بالتأميم والمصادرات التي كانت صريحة في استهدافها القضاء المبرم على الرأسمالية المصرية** ووأد محاولتها إقامة اقتصاد

---

* كتبنا في هذه النقطة عدة مؤلفات وأخيراً اعترف وكيل الناصرية أن مصر بتوقيعها ميثاق الجامعة : « اختارت وسمت إلى محيطها ودعت إلى الوحدة العربية « وأن القاهرة » أصبحت ليس فقط مقر الجامعة العربية ولكن مجمع كل المطالبين بالحرية والوحدة في أمة تأكدت لها كل اشتراطات قيام أمة « ٧١ ع » .

أي أن العروبة والوحدة العربية لم تولد مع عبد الناصر . . واكتشافه نظرية الدوائر والمثلثات . . ولكن هيكل يعترف بذلك مرغماً وبطرف لسانه ولم يؤمن بها قلبه . . وإلا إذا كانت اشتراطات قيام الأمة متوافر بين مصر والسعودية واليمن والعراق . . فلماذا تكون وحدة مصر والسودان أوهاماً . . أيهما أقرب السودان أم سوريا والعراق . . ؟

** انظر فصل الوحدة مع سوريا في « كلمتي للمغفلين » وكيف دمر عبد الناصر الوحدة من أجل القضاء على الرأسمالية .

عربي موحد . . كما دمر عبد الناصر القيادة الفكرية والسياسية بالاستبداد والإرهاب وإفساد التعليم على نحو لم ينجح استعمار بربري في إلحاقه بعدو لدود تمكن منه ، فلما هزم عسكرياً وجاء نائبه وخليفته ورفيق كفاحه وشريك هيكل في انقلابه . أكمل السادات المهمة بفتح الباب للإنتاج ورأس المال الأجنبي . . وخسرنا جولة أخرى في حرب الاستقلال التي توشك أن تدخل قرنها الثالث . . ولكن لا يأس . . بل يحق لنا أن نستشهد بكلمة « ماو » فنقول نحن أيضاً : هذا مجرد فشلنا الرابع* على طريق النجاح .

كانت القوى الوطنية تتجمع للمعركة الفاصلة ، وفي تلك الفترة أو خلال الحرب بالذات ، ظهر ما يمكن تسميته ببذور حركة الجيش ، من بعض العسكريين الذين لم يؤمنوا بالشعب ولا بالعمل السياسي ، ومن ثم بدأوا مبكراً جداً محاولة ضرب الاستعمار البريطاني باستعمار آخر . . وهي المحاولات التي بدأت مع الألمان بواسطة عزيز المصري وأنور السادات وحسن إبراهيم وذو الفقار صبري وبغدادي . . وانتهت مع الأمريكان بزعامة عبد الناصر . . ومعروفة محاولة « عزيز المصري » الهرب بطائرة إلى الألمان في الصحراء الغربية ، ولكن الطائرة سقطت**.

المهم أن هذا التيار العسكري المتآمر سيظل كامناً في الجيش حتى ينفذ « مؤامرة » ٢٣ يوليو . . ولكن مع عدو الانجليز المنتصر . . الولايات المتحدة الأمريكية .

وكان الوفد قد قرن قبوله للحكم في ١٩٤٢ باستكمال استقلال مصر بعد انتهاء الحرب ، لذلك تعجل الانجليز طرده من الحكم فور تحسن الوضع العسكري للحلفاء في عام ١٩٤٤ . . بل حتى خلال فترة حكمه التي اضطروا لقبولها لتهدئة المصريين ، دبرت المخابرات البريطانية مع رجال القصر إحداث انشقاق قبطي في الوفد بقيادة « مكرم عبيد » فيما عرف بحزب « الكتلة الوفدية » ولكن المؤامرة لم تنجح ، إذ استمرت جماهير الأقباط ملتفة حول حزب الوحدة الوطنية ، وتألق « إبراهيم فرج » بينما خبا نجم « مكرم عبيد » الذي لم يكن طائفياً ، وما كان يمكن أن يكون . . بل أحس بالندم ، وأنه استخدم . . فظل حائراً يدور حول نفسه وحول الوفد الذي شهد أحلى وأمجد وأشرف سنوات عمره . . وانكمش الشقاق إلى ما سمي « بالكتاب الأسود » الذي كانت تروجه السراي والانجليز للشوشرة على الوفد ، وإضعافه في مواجهة الملك والاحتلال . . والدليل على ذلك أن هذا الكتاب لم يجد أي اهتمام بعد خروج الوفد من الحكم ، ولا كان له أي تأثير على شعبية الوفد بل اختفى تماماً من المكتبات .

---

* الأول ثورة مصر على نابليون والثانى ثورة عرابي والثالث ثورة ١٩ والرابع إمكانية ثورة ١٩٥١ .

** انظر الفصل القادم .

عاد الوفد إلى المعارضة ، وانتصر الحلفاء ؛ الانجليز والأمريكان والفرنسيون وأيضاً الروس . . أما الفترة من نهاية الحرب إلى عودة الوفد للحكم ١٩٥٠ فكانت أعنف خمس سنوات في التاريخ المصري ، كأنما جرى ضغط التاريخ وتكثيفه لينفجر كله في هذه السنوات الخمس . . اغتيل رئيسان للحكومة : أحمد ماهر والنقراشي . . واغتيل زعيم الإخوان ، وجرت عدة محاولات لاغتيال رئيس الوفد ، واصطدم المصريون بالانجليز في الشوارع فيما يشبه أيام ثورة ١٩١٩ الأمر الذي اضطر الانجليز للانسحاب إلى مدن القنال وهذه هي الحقيقة التي ينساها الجميع وهي أن مقاومة الطلبة في ١٩٤٦ حققت الجلاء عن العاصمة ومصر كلها ، وجعلت أي تدخل بريطاني مسلح يتطلب إعادة احتلال مصر .

ومع المد الثوري ظهرت تنظيمات حاولت أن تتخطى الأحزاب القائمة ، فإلى جانب حركة الإخوان وإلى حدٍ ما مصر الفتاة التي كانت من خارج مجرى حزب الوفد أو أحزاب ١٩١٩ ظهرت الحركات الخاضعة لنفوذ الماركسيين . والمعروف أن الحركة الماركسية ظهرت في مصر خلال الحرب على يد اليهود وبتشجيع من المخابرات البريطانية لمواجهة العطف الذي انتشر نحو ألمانيا . . ورغم أن هذه الحركات انحصرت في قطاعات شديدة الخصوصية من المثقفين وبعض الطلبة وحلقات محدودة من العمال ولم يكن لها أي وجود في الريف ولا عامة المدن إلا أن المد الوطني الذي تعالى في عام ١٩٤٦ بالذات مكن الشيوعيين من الظهور في حجم أكبر بكثير من حقيقتهم إذ تسلقوا فوق أكتاف الجماهير والتاريخ معاً . . كانت الحركة الشيوعية تضع قدماً فوق رفض الجماهير للنظام الاستعماري بأكمله والقدم الأخرى فوق السمعة الأسطورية التي خرج بها الاتحاد السوفيتي من الحرب ، فبدا القزم عملاقاً وأخفت ملامحه المشوهة عن عين قطاع من المثقفين .

وفي الداخل كان الشيوعيون مثل الإخوان يستثمرون يأس الجماهير من قدرة الأحزاب على تغيير الواقع الذي دام ربع قرن منذ ثورة ١٩ التي أنبتت هذه الأحزاب . . التي بدت - بدورها - بموجب دستور ١٩٢٤ كجزء من النظام ، مع تفاوت في المعارضة أو الشعبية أو احترام حقوق الشعب ولكن في إطار النظام والشرعية والدستور . . وكلها مصطلحات أصبحت مرفوضة من الجيل المتعطش لصدام « ثوري » غير قانوني . . وخاصة أن العربدة السياسية التي مارستها السراي وأحزاب الأقليات في الفترة من ١٩٤٤ إلى عودة الوفد (١٩٥٠) . . أفقدت الطلائع الشابة الثقة في النظام الدستوري ، وكشفت عجز الوفد عن مواجهة عبث السراي بالدستور وإرادة الناخبين . . وقد امتد هذا الشعور حتى إلى الوفديين . وتشكلت لجنة الطلبة والعمال في ١٩٤٦ من الشيوعيين والإخوان والوفديين ، ودخلت التاريخ بإضراب ٢١ فبراير ١٩٤٦ الذي أصبح عيداً عالمياً للطلبة تخليداً للموقف المصري ، وتتابعت إضرابات الطوائف من العمال والفلاحين والمعلمين حتى رجال البوليس لأول مرة منذ عام ١٩١٩ . وبدا وكأن الثورة الوطنية أو البورجوازية ستستأنف مسيرتها وأن

قيادة ما ، ستجمع أو تستخلص أفضل ما في القوى السياسية الثلاث ستقود هذه الثورة نحو مصر المستقلة الديموقراطية الصناعية قاعدة ومركز وقطب الوحدة العربية . . ولكن كارثة قومية كانت تتجمع في الأفق لتنقض لا على فلسطين وجيش مصر فحسب ، بل على تاريخ ومستقبل وتطور ووجود الوطن العربي كله . . وبالتالي كان لابد أن تضاف على قائمة مسئوليات الثورة الوطنية المصرية . . ألا وهي كارثة إسرائيل . .

ويبدو أنه لابد من وقفة هنا مع هذه الحرب الأولى ، لأن كل العوامل الأخرى التي نناقشها أصبحت ظواهر تاريخية وبقيت حقيقة إسرائيل التي يبدو أنها ستصاحبنا طويلا ، وفيها تركزت كل معوقات الثورة الوطنية العربية ، فهي الفيتو على أهداف هذه الثورة . . إذ لا استقلال ولا ديموقراطية ولا تصنيع مادامت إسرائيل مصممة على أن تكون هي الدولة العظمى في المنطقة ، والعرب مادة امبراطوريتها ومجالها « الحيوي » . . ومن هنا خطورة المحاولات التي جرت وتجري لإخفاء أهمية العامل الإسرائيلي ، وهو ما مارسه ويمارسه الناصريون وفي مقدمتهم « هيكل » .

ولقد تنبهت القوى الوطنية لهذا الخطر ، بنسب متفاوتة ، بحكم تكوينها وجذورها وأيدلوجياتها ، فكان الإخوان ومصر الفتاة والوفد ضد إسرائيل ومع حرب فلسطين ، وقد اشترط زعيم المعارضة في مجلس الشيوخ وقتها للموافقة على ميزانية الحرب أن تتعهد الحكومة : « بعدم التصرف في قضية فلسطين إلا بموافقة الشعب الفلسطيني » وإنصافاً للتاريخ كان الملك والقوى السياسية الحاكمة على وعي بالخطر الإسرائيلي لا يقل كثيراً عن الوعي « الحاضر » دون التقليل من حقيقة تغلغل النفوذ اليهودي في الطبقة الحاكمة ـ وإن كانت النتائج تؤكد أنه كان أكثر تغلغلا في مصر الناصرية ـ وقد أشرنا إلى وعي الملك بهذا الخطر ، وجلسة البرلمان التي أقرت فيها الحرب حافلة بأحاديث وتعليقات النواب والشيوخ حول الخطر الإسرائيلي ، ومن ثم فلا أساس لادعائه .

« وحتى عندما بدأت الخطوط الصهيونية في فلسطين تتضح بما لا يقبل مجالاً للشك بعد صدور قرار التقسيم فإن الحكومة المصرية لم تكن على وعي بحدود الخطر الإسرائيلي » .

ليس صحيحاً . . وقد كان من أهم أهداف إنشاء الجامعة العربية هو مواجهة الخطر الصهيوني واتخذت الجامعة والحكومة المصرية قرار رفض التقسيم أو قيام إسرائيل ، ولكنها ـ أي الحكومة المصرية ـ كانت عاجزة .

أما الشيوعيون ، فقد سقطوا سقطتهم التاريخية التي لم يفيقوا من آثارها حتى اليوم* ولم يكن هذا الموقف منهم بفعل تبعيتهم الببغائية للاتحاد السوفيتي فحسب ، بل وأيضاً ـ وربما وأولا ـ لتغلغل العناصر الصهيونية في « قياداتهم » . . ولم يقتصر هذا الموقف المؤيد

---

* ارجع لكتابنا : الماركسية والغزو الفكري الصادر عام ١٩٦٥ .

للصهيونية على عملاء موسكو ، بل امتد ليشمل بالحتمية عملاء الولايات المتحدة ، الظهير الأكبر لإسرائيل ، وإن كنا لا ننسى أن قيام إسرائيل كان أول نقطة اتفق فيها العملاقان بعد الحرب العالمية الثانية . . ولعل بعض المؤرخين يجد بذور سياسة الوفاق في اتفاق العملاقين الأمريكي والروسي على « إزاحة » بريطانيا من فلسطين بواسطة اليهود* .

وكما حاول عملاء روسيا ، إخفاء عارهم وفضيحة الموقف السوفيتي ـ وقتها ـ بادعاء أنه انبثق من تحليل خاطيء بتقدمية المجتمع الإسرائيلي ، ورجعية الموقف العربي ، فإن عملاء أمريكا والصهيونية مازالوا يرددون إلى اليوم أكاذيب إسرائيل عن طبيعة المواجهة العربية ـ الإسرائيلية بصفة عامة ، ودوافع العرب في حرب ١٩٤٨ .

فالبعض خرج علينا بأن حرب ١٩٤٨ كانت فخاً أعد بعناية وساقنا إليه الانجليز ، وكان الحذر ـ وربما الوطنية ـ يفرضان علينا رفض الانسياق للخدعة البريطانية ! . . وإن « مصر لم تكن تريد هذه الحرب ، على الأقل في هذا التوقيت فضلاً عن أنها لم تكن مستعدة لها » .

ويقول هيكل إن ضابطاً مصرياً شاباً هو البكباشي « جمال عبد الناصر » لاحظ « أنه كان غريباً أن يكون الانجليز علي قاعدة قناة السويس هم الذين يفتحون لنا الطريق ونحن نتقدم عبر سيناء إلى فلسطين ، ولقد أثار دهشتي أننا كنا نتقدم لنحتل مواقع الفرقة الثانية البريطانية حول غزة في نفس الوقت الذي كانت فيه هذه الفرقة تخلي مواقعها عائدة إلى مصر » (لاحظنا أن هذا التعجب المنسوب لبكباشي هيكل (ناصر) منقول بالنص من تعجب للواء محمد نجيب ورد في مذكراته صفحة ٣٣٨ فعسى أن يراجعها القاريء ليتعرف أكثر على هذا الملفق) .

وإذا كان للبكباشي عذره في هذا الوقت بسبب نقص معلوماته السياسية ، ولأنه لم يكن قد اجتمع بعد بالمخابراتي اليهودي « كوهين » وتثقف على يديه ، كما يخبرنا هيكل ، إلا أن ترديد هذا القول بعد أربعين سنة إنما يصدر من منطلق آخر أخطر من الجهل ، وهو إخفاء الدور الأمريكي ، فلا شك أن حرب ١٩٤٨ كانت في أحد جوانبها صورة للصراع الأمريكي ـ البريطاني .

ذلك أن « اليهود » كانوا قد عرفوا تطور ميزان القوي في الحرب العالمية الثانية ، وربطوا شراع دولتهم المنتظرة بالريح الأقوى . . أي الولايات المتحدة ، التي كانت بدورها تعرف أهمية موقع فلسطين في السيطرة على شرق البحر الأبيض ، ومن ثم فقد نزلت بكل قواها لطرد الانجليز من فلسطين مستخدمة في ذلك اليهود ، الذين ـ كما قلنا ـ اتفقت مصالحهم مع

---

* يستحسن الرجوع لدراستنا عن كتاب « الانحياز » حيث وصلنا إلى قناعة بأن التأييد السوفيتي لقيام إسرائيل كان ثمنه تسريب إسرائيل أسرار القنبلة الذرية للاتحاد السوفيتي وراجع قضية اليهوديين اللذين أعدما في أمريكا (روزنتال) .

التطلع الأمريكي ، ومن ثم جرى جلد الانجليز وإعدامهم وفشلت كل محاولات الانجليز في تأجيل خروجهم من فلسطين ، فأعلنوا الانسحاب ، مع محاولة إنقاذ ما يمكن انقاذه وكانت أداة بريطانيا الأولى في الاحتفاظ « بقطعة » من فلسطين هي الفيلق العربي بقيادة الانجليزي جلوب . . ومن المثير حقاً ألا يندهش عبد الناصر لكون قائد الجيوش العربية هو الملك عبد الله والذي كان ينوب عنه في القيادة الفعلية جنرال انجليزي لحماً ودماً ؟! . . وبالطبع كانت بريطانيا تعرف أنه وإن يكن جيش شرق الأردن هو محل ثقتها إلا أن هذا الجيش وحده غير قادر على التصدي للقوات اليهودية ومنع استيلائهم على كل فلسطين ، ومن هنا كانت الحاجة إلى الجيش المصري ، وتسهيل حصوله على السلاح ، فلا غرابة ولا عجب إلا لمن يريد الاندهاش على روحه ! فلما تمت التسوية البريطانية ـ الأمريكية كان التخلي عن الجيش المصري سواء من جانب الجيشين الأردني والعراقي ، أو بمنع السلاح من جانب البريطانيين . بل وطلب تشرشل المخرف من إيدن أن يبلغ حكومة « الوفد » أنها « إذا لم تكف عن إزعاجنا فسنطلق عليهم اليهود ، يلقون بهم إلى الحضيض حيث لن يخرجوا من هناك أبداً »[٣] .

فإظهار الدهشة الآن من موقف بريطانيا هو في الحقيقة لإخفاء العار في موقف أمريكا ، وبنفس القدر فإن التشبث بزاوية الصراع الأمريكي ـ البريطاني ، لإنكار البعد العربي ، هو محاولة لإخفاء الطابع الاستعماري العنصري في الغزو الاستيطاني اليهودي لفلسطين . ومن هنا جريمة أن يقول هيكل لقرائه الأجانب إن الانجليز أرادوا الدخول المصري في حرب فلسطين « لحرف أنظار المصريين عن النزاع معهم ، وكان في وسع الانجليز الاعتماد على الملك فاروق الذي كان واعياً بنقص شعبيته ، وأن البلاد كانت تعاني من كساد اقتصادي (قال يعني زي حروب أوروبا لتشغيل المصانع والعاطلين ! ج) ومن ثم فإن نصراً عسكرياً هو بالضبط ما يحتاجه الملك الذي كان الآن كولونيلاً فخرياً في الجيش البريطاني وفيلد مارشال مصرياً ، وهناك أدلة على أن بريطانيا كانت مستعدة لتسليح مصر بطريقة غير عادية . . السماح بالسرقة »[٤] .

وقد ناقشنا ذلك في موضعه ، أما أننا انسقنا إلى الفخ ، فلم يكن غباء وإنما حتمية تاريخية فرضتها عدة عوامل ، أهمها أن الصدام بين الأمة العربية والصهيونية كان صداماً حقيقياً ومصيرياً ومشروعاً من الجانب العربي المعتدى عليه ، والضحية لاستعمار عنصري وليس العكس كما يحاول هيكل أن يروج في الإعلام العالمي وها هو كتابه « ملفات السويس » يتهم الملك عبد العزيز بأنه قال للرئيس روزفلت باستحالة « التعاون بين العرب واليهود في فلسطين أو في أي مكان آخر » أي أن ملك العرب والناطق باسمهم يعادي اليهود أبداً وفي كل مكان لأنهم يهود ودون إشارة لاغتصابهم فلسطين ، بينما يعرف هيكل أنه كاذب وأن النص

الأصلي لكلام الملك هو الذي نشره ـ هو نفسه ـ في الطبعة العربية وهو « أن اليهود والعرب لن يتعاونوا أبداً في فلسطين والعرب يشعرون بالتهديد المتزايد »* ! . .

لمصلحة من وبأي هدف يقال هذا الكلام في الخارج ؟ . . لتبرير العدوان الإسرائيلي واتهام الموقف العربي في ١٩٤٨ بالعنصرية . . وكذلك القول بأن الملك فاروق هو الذي أراد الحرب لإلهاء الشعب عن الأزمة الاقتصادية وكسب شعبية ، نفس الكلام الذي كان يردده راديو « تل أبيب » في ١٩٤٨ . .

ومهما تكن دوافع الملك ، وكل حرب في التاريخ كانت لها دوافع وقتية أو حتى عارضة انتهازية ، ولكن ذلك لا يؤثر على جوهرها ، ودخول الجيوش العربية حرب فلسطين في ١٩٤٨ كان ضرورة وطنية وقومية وعسكرية في مواجهة حرب الإبادة التي كانت تشنها قوات اليهود بهدف طرد العرب من كل فلسطين ، وباستثناء حرب ١٩٥٦ كانت هذه الحرب تحمل أكبر فرصة لفرض الحق العربي ، نظراً للضعف النسبي ـ وقتها ـ للقوات الإسرائيلية ، عما أصبحت عليه فيما بعد ، ونظراً لأن جانباً مهماً من الرأي العام العالمي لم يكن مقتنعاً ، فضلاً عن أن يكون متحمساً لفكرة تقسيم فلسطين وإعطاء جزء منها لمهاجرين يهود أجانب عن البلاد ، وكان وزير خارجية بريطانيا متهماً بعداء السامية ! وكان المطلب العربي الواقعي يومها هو إعلان دولة مستقلة ديموقراطية يعيش فيها العرب واليهود متساوين في المواطنة والحقوق . ، ولكن الصهيونية لم تكن أبداً لتقبل بأقل من قاعدة لامبراطورية . . ومازالت . . وقد مرت فترة ترددت الولايات المتحدة ذاتها ، أو مؤسسات فيها وشكت في إمكانية تنفيذ المطلب الصهيوني بإقامة الدولة في وجه الرفض العربي ويومها قال بن جوريون قولته المشهورة : « أعطونا فرصة أو حتى نصف فرصة وسنثبت لكم أن كل ما يقال عن تضامن العرب وتصميم العرب هو أكذوبة » . ولم تكن هناك حكومة عربية تستطيع أن تقف مكتوفة الأيدي . وأخبار المذابح الإسرائيلية التي تبيد الأطفال والنساء العرب تتناقلها وكالات الأنباء ، ووطن عربي يحتل ويمزق وتأتي أنباء احتلال اليهود لمساجد يافا وعكا . . الخ . . ولم يكن لدى الدول العربية من وسيلة « للاعتراض » على ذلك إلا الجيوش ودخول الحرب ضد الوحش الإسرائيلي . .

ولكن البعض يجلس في كرسي الأستاذية ، ويلقي نظرة متعالية على التاريخ ، ويقول : كان الأفضل أن تسلح الدول العربية المقاومة الفلسطينية وتترك لها مهمة الدفاع أو تساعدها من خلال وحدات فدائية غير نظامية تشن حرب عصابات !

والحق أن المرء يحار في فهم هؤلاء . . هل عن جهل أو مكر يتحدثون . . ؟ ما الذي منع عبد الناصر خلال ١٨ سنة من تشكيل مقاومة حقيقية لا في فلسطين ولا في مصر . . بل كان

---

* انظر فصل : هيكل وتاريخه البلاستيك .

تشكيل المقاومة الشعبية في مصر يبدأ بعد وقف إطلاق النار ويهدف تلهية الشعب ، وقد كنت في بور سعيد بعد الاحتلال الثاني لسيناء في ظل عبد الناصر عندما جاءت البنادق وبذخيرة من نوع مخالف ، ويمكن قراءة ما فعلته أجهزة عبد الناصر بالمقاومة الشعبية في بور سعيد خلال حرب ١٩٥٦ في موضع آخر من هذا الكتاب ، وفي العديد من المصادر . كذلك لم يؤرخ بعد السجل الدموي الخياني لما ارتكبته هذه الأجهزة في حق شباب غزة ، كلما حاول أن ينظم مقاومة لتحرير بلاده . . وكيف ظل هذا الشباب في سجون ومعتقلات عبد الناصر إلى حرب ١٩٥٦ . . حيث سلمت هذه الملفات إلى قوات الاحتلال الإسرائيلي . . من الذي وضع شاعر غزة في سجن القناطر . . معين بسيسو ؟ ورفاقه . . وما جريمتهم إلا أنهم أرادوا قتال اليهود ؟!

هل يذكر هؤلاء أنه عندما تحرك الفلسطينيون من قطاع غزة في أبريل ١٩٥٤ أكد « محمود رياض » للحكومة الأمريكية « أن حوادث الحدود في غزة هي من فعل الفلسطينيين وأن السلطات المصرية سحبت السلاح من المدنيين في القطاع » ثم سحبت جيش التحرير الفلسطيني من الحدود وأخيراً فرضت حظر تجول في القطاع . .

الذين ارتكبوا هذا رعباً من إسرائيل أو ربما حرصاً على استقرار أمنها ، يعتبون على فاروق وعبد الله ونوري السعيد أنهم لم ينظموا الفلسطينيين في حرب عصابات !

وهل يذكر هؤلاء أنه لما ظهرت حركة « فتح » في ١٩٦٤ ، جن جنون أجهزة عبد الناصر ووصفتها بأنها منظمة عميلة تابعة لحلف « السانتو » ! . . وأن أول شهيد لفتح قتل برصاص « الشرطة » العربية ؟!*

هذه النظم السلطوية الفوقية ، تخاف الشعب المسلح أكثر مما تخاف العدو الأجنبي ، ولا يمكن أن تفكر في تسليح الشعب أو تنظيم قوات مقاومة شعبية . . وهاهي النظم التي تدعي الثورية من حولنا . . من منها شكل مقاومة مسلحة أو ترك الفلسطينيين ينظمون أنفسهم في حركات مقاومة ؟! فهل كنا نتوقع من أنظمة أصحاب الجلالة والرؤساء العرب في ١٩٤٨ أن يشكلوا ويدعموا ويسلحوا حركة مقاومة فلسطينية ؟! ياسبحان الله ! . . وما الذي كان سيمنع المصريين والأردنيين والعراقيين أن يقولوا : « عايزين من ده » لكي يحاربوا الاحتلال البريطاني . .

---

* انظر كتابنا « الثورة الفلسطينية ـ محاولة للفهم » ١٩٧٠ وكنا أول من دعا الفلسطينيين إلى إنشاء تنظيم مستقل عن النظم العربية ـ مقال في جريدة الحرية اللبنانية ١٩٦٣ وأول من كشف موقف مخابرات عبد الناصر من منظمة فتح .

وحتى إذا كان هذا « التكتيك » يبدو « ممتازاً » من وجهة النظر العربية ، فما من اتفاقية عالمية ولا سوابق تاريخية توحي أن الطرف الآخر كان سيلتزم بقواعد اللعبة ، أي أن يترك الدول والجيوش العربية آمنة داخل حدودها ، بينما تصدر هذه الحرب إلى داخل إسرائيل بواسطة هؤلاء المتطوعين . . وقد حاول عبد الناصر قبل ١٩٥٦ هذا الأسلوب تفادياً للحرب ولحفظ ماء الوجه إزاء مطالبة الجيش والشعب والفلسطينيين بوجوب الرد على غارات جيش إسرائيل ولم يكن البادىء أبداً ولافكر في عمل منظم طويل الأجل كما تقضي أصول حرب العصابات ومع ذلك انتهت هذه المحاولات باحتلال إسرائيل لسيناء وما جرى على لبنان بعد ذلك وما حدث في حمام الشط ، وما تتعرض له الدول الأفريقية من عدوان جيش النظام العنصري في جنوب أفريقيا ، بل صيحة عبد الناصر ذاته عن ضرب قواعد « العدوان » في السعودية ، رغم أن الجيش السعودي لم يدخل قط اليمن . كل هذا يؤكد أن استراتيجية إرسال المتطوعين وتجنيب الجيوش العربية الحرب ، هي استراتيجية تنبع من أحلام الجبناء* ، ولابد أن تفضي إما إلى غزو البلاد العربية وهي غير مستعدة للدفاع فضلاً عن الهجوم ، أو اضطرار هذه الدول إلى التحول لشرطة لحساب إسرائيل ، مسئولة عن أمن إسرائيل من خلال الحجر على الفلسطينيين والوطنيين الراغبين في مقاتلة إسرائيل ، والبطش بهم كما تفعل النظم العربية الآن . . وكما فعل عبد الناصر طوال وجود سلطاته في قطاع غزة .

على أية حال . . هذه المناقشة الآن ، هي لون من سفسطة المهزومين ، فلم تكن الدول العربية قادرة قبل ١٩٤٨ على تنظيم الفلسطينيين في حرب عصابات ، والانجليز يمارسون سلطات الانتداب هناك ، ويحكمون الدول العربية المؤهلة لهذا العمل . فلما انسحبت بريطانيا ، لا كان الوقت يسمح ولاكان الفلسطينيون في وضع يمكنهم من مواجهة الجيش الإسرائيلي وللأمانة التاريخية فإن الصوت المصري الوحيد الذي ارتفع وقتها ضد الحرب النظامية ، وليس بعد الهنا بسنة ، وبعد ما أصبحت الحكمة هي قراءة مستترة للتاريخ ، الصوت الوحيد الذي طالب بحرب عصابات قبل دخول الجيش المصري المعركة هو صوت المرحوم وحيد رأفت ، الذي كان وقتها يعمل مستشاراً لوزارة الخارجية إذ قال في مذكرة رسمية : « إلا أن التدخل كما يكون سافراً بواسطة القوات النظامية للدولة يصح كذلك أن يكون مستتراً ، مقنعاً في شكل تطوع منظم وذلك بعد أن أقر مشروعية التدخل العربي استنادا للعامل الإنساني وعامل الدفاع عن النفس والكيان فضلاً عن الكرامة والعزة القومية يدفعان

---

* الذين مازالوا يحقدون على النظام الرجعي أنه « زج » بهم في حرب فلسطين . . بينما كان الضباط الأشراف يستقيلون من الخدمة ويهرعون متطوعين للقتال في فلسطين . وبعد الانقلاب تودد زعيمه لإسرائيل بإعلان أنه هو وزملاءه عارضوا حرب فلسطين ! وأعرب بن جوريون عن سروره بالتصريح ٢٥ أغسطس ١٩٥٢ .

الدول العربية دفعاً إلى التدخل في القتال » (حرب فلسطين ١٩٤٨ ـ لواء أ . ح . د . إبراهيم شكيب) .

وباختصار كانت المشاركة العربية المسلحة في الدفاع عن شعب فلسطين أمام الهجمة التترية اليهودية ، مشاركة مشروعة ومحتومة . . وكانت الجيوش أو الحرب النظامية هي الصيغة الوحيدة الممكنة وقتها وإلى اليوم . . حتى بعد ما خرج الفلسطينيون من قبضة النظم العربية وشكلوا تنظيمهم الخاص . .

أما أن الجيوش العربية هزمت فإن الحق أو المشروعية لا تحددهما النتائج . . ومن لم يهزم أمام إسرائيل فمن حقه أن يقذف حكومة الملك فاروق بحجر . . وكما قال حاخامات إسرائيل التوسعيون لساستها : إن كنا مغتصبين في نابلس فنحن كذلك في تل أبيب . . نقول نحن : إن التشكيك في شرعية حرب ١٩٤٨ تشكيك في شرعية كل ما بعدها من حروب ، تشكيك في الحق العربي والموقف العربي خلال الأربعين عاماً الماضية ، تشكيك في جدية الصراع العربي ـ اليهودي ، إنكار له ، محاولة لطمسه ، وهو عين ما جاءت الناصرية من أجله ، وما نفذته باقتدار ـ جهد قدرتها ـ خلال سنوات حكمها . . لولا إلحاح التوسع الصهيوني . . « أعرب رالف بانش للسفير الأمريكي في تل أبيب عن دهشته البالغة لأن « محمد نجيب » لم يذكر فلسطين بحرف في حديثه معه » (انظر فصل المواجهة مع إسرائيل) .

وباختصار فإن الثورة الوطنية المصرية وجدت نفسها تضيف إلى مهامها ـ عن وعي وعن حق ـ مهمة التصدي للغزوة الصهيونية ، ولكن كما هو الحال دائماً ، فإن أعداء أقل أهمية فرضوا أنفسهم بثقل أكبر لأنهم كانوا الأقرب ، وهم الانجليز وأعوانهم في مصر والوطن العربي ، ولم يكن خطأ ، التصدي لهذا العدو ، فهو المباشر وقتها ، والمقيم على أرض مصر والذي يشل حركتها في المواجهة الأساسية مع إسرائيل ، ومن ثم لم يكن هناك بد من التصدي للاستعمار البريطاني وتصفيته ، ولكن الأهم ، هو أرضية التصدي ومنطلقاته فإن الوعي بأهداف وأبعاد الثورة الوطنية ، كان لابد سينبه إلى أن المعركة مع الانجليز والرجعية المصرية تأتي في إطار المواجهة الشاملة مع إسرائيل والولايات المتحدة ، ومن ثم لا تجوز أبداً مخالفة أمريكا أو إنكار الصدام المصري ـ الإسرائيلي ، أو الزعم بأنه فرض علينا مرة بخدعة الانجليز ومرة مجاملة للعرب . . إن من يتطلع جاداً للصدام مع الامبريالية العالمية وليس مجرد مساومتها ، لابد أن يصطدم وبأعنف الصور مع طليعة هذه الامبريالية وكتيبة صدامها : « التوسعيون الإسرائيليون » . .

باختصار لم يكن دخول الجيوش العربية حرب فلسطين في ١٩٤٨ هو الخطأ ، وإنما كان الخطأ أنها لم تدخل أكثر وأحكم . . وأننا لم نضع إسرائيل في رأس قائمة اهتماماتنا . . وتركنا

قيادتنا للضباط الذين انهزموا في مواجهة إسرائيل* ، بل لنفس الضابط الذي استطاع أن ينسى كل ظروف الحرب ، ليدخل في علاقة مع العدو الإسرائيلي تسمح بطلب تلقينه خبرة اليهود في محاربة الانجليز . . أحسب أنه نصحه بالتحالف مع الأمريكان كما فعل اليهود . . !

وقبلنا « ثورة » تعلن أنها لم تكن منشغلة بالخطر الإسرائيلي ، ولا في خاطرها محاربة إسرائيل وتحذف فلسطين من برنامجها وشعاراتها . . وهانحن ندفع الثمن فلا فيتو على مستقبلنا وطموحاتنا المشروعة كأمة إلا . . إسرائيل . .

نعود لحديثنا ، فنقول إن الهزيمة المصرية والعجز العربي والقهر الصهيوني ، أضافت كلها عنصراً جديداً لتأزم الجماهير وأزمة النظام ، كما اضافت بعداً جديداً وأساسياً للحركة الوطنية المصرية . وبات واضحاً أن الصيغة التي قام عليها النظام تتمزق تحت ضغط قوى جديدة ، وبتأثير المتغيرات الداخلية والعالمية . . وكان أكثر وضوحاً ، عجز السراي وأحزاب الأقليات عن السيطرة على الوضع ، وحاول الانجليز ـ مرة أخرى كما فعلوا قبل ثماني سنوات ـ فتح مرجل البخار ، برشوة الشعب وسحب الوفد من المعارضة ، فأمروا الملك بإجراء انتخابات حرة ، وكانت هذه غلطتهم التاريخية التي طوت أعلام الامبراطورية من مصر والسودان . . ثم الشرق الأوسط**.

ولابد من كلمة ولو موجزة هنا عن « الوفد » والدور الذي لعبه في إنضاج الظرف الثوري عام ١٩٥١ . . فالوفد ، مهما قيل أو نسب من أقوال لبعض شخصياته ، كان مقتنعاً بأنه يدين للشعب وحده باستمراره وبمكانة زعمائه ووصولهم للسلطة أو الزعامة ابتداء من « سعد زغلول » الذي كان مجرد موظف ممتاز في الجهاز أو إن شئت في النظام الحاكم ، رافضاً

---

* قال تقرير إسرائيلي إنهم يدهشون من وصف محمد نجيب ببطل فلسطين « إن معلومات الضباط الإسرائيليين لا تتضمن أية اشارة لنجيب ولا يذكرون له موقفاً بارزاً خلال عملية فلسطين » (مذكرة وزارة الخارجية الأمريكية ١٩٥٢/٧/٣١ .

** وقد جاء في تقرير للسفارة الأمريكية ما يلي حول تفسير موقف الوفد :

« ولعل الوزارة تذكر أنه قبل الانتخابات الأخيرة ، كانت السفارة البريطانية متفائلة باحتمالات نجاح الوفد ، على اعتقاد منها بأن حكومة وفدية ستكون أكثر استعداداً لعقد اتفاق مع بريطانيا . وإذا كانت السفارة على صواب في توقعها فوز الوفد ، فإنها قد أخطأت تماماً فيما عدا ذلك ، لأن الوفد نظراً لارتباطاته البريطانية السابقة وخاصة حادثة حصار الدبابات لقصر عابدين ، أصبح أكثر حرصاً على نفي تهمة الميل لبريطانيا ، وأكثر تمنعا في محادثاته مع الانجليز وحرض الصحف على شن حملة ضد بريطانيا (تقرير كافري ١٩٥٠/١٠/٣) .

للثورة ، محتقراً للجماهير ، متشائماً من أية إمكانية للتخلص من الاحتلال* . . فإذا بالشعب يتوجه زعيماً تاريخياً ، بل ويحله مكانة تفوق مكانة السلاطين والملوك ، بل تفوق ما تاله الأبطال الوطنيون الذين نجحوا في تحرير بلادهم فعلاً . . مكانة لم تتحقق لمصري من قبله ، ولا دامت لزعيم من بعده ، وزعامته لم تنحصر في دوائر المثقفين ، بل تخطتها للجماهير المحرومة من الثقافة بل حتى من القدرة على القراءة . . والتي يكون اهتمامها بالسياسة علامة لا تخطيء على نضج الثورة واكتمال مقوماتها في انتظار المفجر والقيادة . . اندفعت هذه الجماهير مضحية بلقمة العيش تضامناً وحباً وثقة وولاء بسعد مصر ، سعد الذي كان بدوره أول المندهشين . . ولكنه قبل البيعة التي ما كان يتصورها ووفى للشعب ولم يفقد الثقة فيه . بصرف النظر عن المذكرات أو بصرف النظر حول تقييم دوره الحقيقي ومفاهيمه وما فرضته هذه المفاهيم سلباً وايجاباً على الحركة الوطنية بل مسار التطور السياسي والفكري في مصر والعالم العربي . . المهم أن ارادة الشعب فرضته زعيماً وطنياً . . ونفس الشيء يمكن أن يقال عن مصطفى النحاس ، القاضي المجهول أو المنسي بكل احترام في ثلاجة الحزب الوطني . . فإذا به في الوفد يتربع على عرش الزعامة الشعبية التي رفعته إلى مصاف أولياء الله في بلد اعتاد أن يحول أبطاله الوطنيين إلى قديسين وأولياء . . لقد احتل الرئيس الجليل - كما كان لقبه - مكانة خالدة يتطلع إليها العديد من زعماء العالم الثالث ، وأصبحت حلماً يسعى الطامحون لتكراره ، وغصة في حلق من تحكموا في حريات الناس وأرزاقهم ، وجندت لهم كل وسائل الإعلام ، ورغم ذلك لم يستطيعوا ولا اطمأنوا ولا صدقوا أنهم وصلوا إلى سفح الزعامة أو القبول الشعبي الذي تربع عليه مصطفى النحاس أربعين سنة بلا دبابات ولا إذاعات ، بل في وجه مقاومة شرسة من أعتى استعمار وأخبث الأجهزة . . ومطاردة من السلطة التي لم يصل إليها إلا لماماً ومحاولات اغتيال من القصر وأجهزته وأحزاب الأقليات وفئات عديدة من المخلصين البلهاء من الذين كانوا يأخذون عليه أنه يتمتع بهذه الزعامة ولا يقوم بحقها في ظنهم . . أو الأشد بلاهة الذين كانوا يعتقدون أن هذه الزعامة هي العقبة التي تحول دون تحرك الشعب أو الرصد الذي يمنع وعي الشعب . . !

---

* هذه الحقيقة التي أكدتها مذكرات « سعد زغلول » لم تجد للأسف من يدرسها ويحللها التحليل العلمي الموضوعي . . بل سقطت ما بين محاولة ابتزاز من جانب هيكل الذي أعلن أنه لو نشرت مذكرات « سعد زغلول » لأساءت إليه ولثورة ١٩١٩ . . الخ !! وهذا يعطينا فكرة عن مدى احترامه للتاريخ . . فهذا الذي يرفض نشر مذكرات سعد زغلول خوفاً على سمعة الباشا ، هل يؤتمن على نشر حقائق قد يرى أنها تسيء إليه هو وضابطه ؟!

ومن الجانب الآخر فإن الأسلوب الغريب الذي مكن الدكتور عبد العظيم رمضان من الاستئثار بنشر المذكرات واحتكار التعليق عليها قد دفعه إلى موقف اعتذاري يفتقر حتى إلى المنطق العادي ، وليس البحث العلمي ، والحقائق التاريخية ، بل وأسقطه في خطيئة الدفاع عن كرومر والاحتلال البريطاني . . ظاناً أنه بذلك يدافع عن سعد أقصد « الوفد » !

وكان زعماء الوفد يعرفون أن ثقة الشعب هي كل رأس مالهم ، ومصدر قوتهم ومبرر وجودهم ، والدرع التي يحتمون بها كلما اشتدت عواصف الاستعمار والرجعية . . وقد روى فاتح « الملفات » أن النحاس باشا في أول لقاء مع محمد نجيب بعد انقلاب يوليو . . فاجأه بقوله : « أنت قائد مائة ألف وأنا زعيم عشرين مليوناً » وبصرف النظر عن كل ما قيل عن تهادن الوفد أو تخوفه من الانقلابيين الأمر الذي تكذبه هذه الواقعة التي تؤكد مدى الثقة بالشعب والتقدير الحقيقي لمركز قوة الانقلاب ، ومدى اقتناع زعيم الوفد بمصدر قوته ، وحجم هذه القوة ، ورفضه أو استحالة تصور تنازله عنها . . وأيضاً مواجهتهم علناً ورغم دباباتهم أنهم لا يمثلون الشعب . . ولا يعطيهم الانقلاب حق ادعاء قيادته . .

هذا الاقتناع بأن الوفد يمثل الشعب ، بل الممثل الوحيد للشعب ، انعكس في مفهوم خاص ، تحول إلى حقيقة تاريخية هي استحالة وقوع مواجهة بين الوفد والشعب ، استحالة أن يحكم الوفد بالقمع ، فليس في تاريخ الوفد واقعة تزوير انتخابات أو حل أحزاب أو تعذيب معتقلين أو سجناء سياسيين* . كان الوفد في الجانب المقهور وهو خارج السلطة ، وكان أغلب عمره خارج السلطة تهتف له الجماهير : « يحيا الوفد ولو فيها رفد » أي أن الانتماء للوفد يعني اضطهاد السلطة للمنتمي والمؤيد . . والوفد لا يأتي إلى السلطة إلا بإرادة الشعب أو رضاه على الأقل . . لم يكن الوفد بالذي يقبل أو يستطيع الاصطدام بالشعب . ومن هنا كان لابد أن يحدث ما حدث في حكومته الأخيرة . . من ممارسة للحريات لم يسبق لها مثيل في تاريخ مصر ، ولا أظن أن المؤرخ بحاجة إلى إضافة : « ولم تتكرر إلى يومنا هذا » لأن هذا من تحصيل الحاصل ، إذ يذهب البعض إلى أن مصر في عهد صدقي أو الحماية . . قد تمتعت بحريات أكبر مما منحنا خلال الثلاثين عاماً إياها . . كان لابد أن يسمح « الوفد » وهو في السلطة لمشاعر واتجاهات هذه الثورة المتجمعة بالتعبير عن نفسها وهي التي كانت تسعى إلى جولة جديدة وأخيرة مع الاستعمار البريطاني . . الذي أصبح استمرار سيطرته أو وجوده في مصر حقيقة مخالفة للتاريخ والواقع ، مخالفة لحقائق العصر سواء بتدهور مركز بريطانيا العالمي ، أو نمو قدرات المصريين ، لم يكن من المعقول أن يخرج الاستعمار البريطاني من الهند وفلسطين ويبقى في مصر التي كانت رأسماليتها أقوى وأعرق من أي رأسمالية أخرى في العالم

* وقعت بعض اعتقالات في ١٩٤٢ ـ ١٩٤٤ كانت أساسا بناء على طلب السلطات البريطانية المحتلة للبلاد والتي لا سبيل لمعارضتها فيما يتعلق بالمجهود الحربي ، وقد كانت هذه القوات على وشك خلع الملك فاروق ، كما خلعت الخديو عباس وأعلنت الحماية على مصر سنة ١٩١٤ وكما خلعت شاه إيران واقتسمت إيران مع روسيا سنة ١٩٤١ . ومن ثم كانت معارضتها مستحيلة وتعرض البلاد لاحتمالات خارج قدرة « حكومة » على المخاطرة ، ولا أقول خارج قدرة ثورة . . لأن كل الثوار كانوا وقتها مع « الحلفاء » . . وإن كان هذا لا ينفي اعتقال بعض خصوم الوفد إلا أن غالبيتهم لا يمكن وصفهم بالشعبية أو الثورية بل كانوا يعملون لحساب السراي بشكل أو بآخر ومع ذلك تبقى هذه نقطة سوداء وحيدة في تاريخ الوفد من ناحية الحريات حتى وإن وقعت في ظل الحرب العالمية .

الثالث ، وكانت مكانتها وثقافتها ، وجامعاتها وصحافتها ، ومسارحها ، وصناعتها ، وحركتها الوطنية وقياداتها السياسية في مركز الصدارة في آسيا وأفريقيا . . بل وأكثر تقدماً من بعض الدول المحسوبة على أوروبا ، ولا تنظروا إلى حالنا الآن . . وكيف سبقتنا اليونان أو حتى بلغاريا . . فنحن نعيش ذيول هزيمة تاريخية أنزلها بنا الاستعمار الأمريكي والصهيوني من خلال ٢٣ يوليو . .

بقدر ما كان الوجود البريطاني ظاهرة متخلفة محتومة الزوال ، بقدر ما كان يفرض التخلف على المجتمع المصري ويشل حركته ويجعله يدور حول نفسه ويبدد طاقته ، وتؤكد وثائق هذه الفترة ، أن عقلاء الانجليز كانوا مقتنعين بحتمية التسليم باستقلال مصر والجلاء عنها ، بشرطين : ألا يتم ذلك لحساب انتقال مصر إلى دائرة النفوذ الأمريكي الذي كان قد بدأ غزو الشرق الأوسط عبر إسرائيل والتابلاين .

والشرط الثاني . . هو السودان ، فهم لم يكونوا على استعداد للتنازل عن السودان ، فهو العمود الفقري في مشاريعهم الأفريقية التي كانوا يسمونها الامبراطورية الثالثة . والتي خططوا وتوقعوا أن تلعب في التاريخ البريطاني ، ما لعبته أمريكا ثم الهند . . وكان من المستحيل التفكير في امبراطورية أفريقية بدون السودان . . ومن ثم كان الإصرار على « احتلال » مصر هو بهدف المساومة على السودان . . الأمر الذي رفضته جميع حكومات مصر وأحزاب مصر عن اقتناع مضاد بأنه لا استقلال حقيقى لمصر إذا ما استمر الانجليز يتحكمون في السودان والنيل ، وعن اقتناع بأن السودان جزء لا يتجزأ من التراب الوطني ، حتى اقترح البعض تسمية الوطن المستقل « مصردان » . فالسودان كان باتفاق جميع المصادر ، العقبة الأساسية بين مصر وبريطانيا وكان بالتالي جوهر الصدام بين الحركة الوطنية المصرية والاستعمار البريطاني ، الذي وصل ذروته في حكومة الوفد الأخيرة ، كما ستصبح فلسطين جوهر الصدام مع الاستعمار الأمريكي . ولم تكن أمريكا تريد بريطانيا في السودان ، وهي إذا كانت قد استعانت « بالشرعية » المصرية في إخراج الانجليز من السودان ، إلا أنها لم تكن مستعدة للإصرار على هذه الشرعية ، ولأن حركة ٢٣ يوليو لم تكن تنبع من الحركة الوطنية المصرية ، فقد قبلت بسهولة بل وعملت على فصل السودان . .

لم يكن الوفد يريد ولا يستطيع ضرب الحركة الوطنية الساعية للصدام مع الانجليز ولا كان يطيق أن ينعزل ويتركها تتخطاه خلف قيادة أخرى ، ومن ثم كان قدراً محتوماً أن يصطدم الوفد بالاستعمار البريطاني ، وهو في السلطة . . ولكني أحب أن أتوقف هنا عند عنصر خاص ، هو وجود « فؤاد سراج الدين » في الوفد .

فهذا « الشاب »* لم يشترك في ثورة ١٩ ، وإن كان قد وعى أحداثها فهو من مواليد ١٩١٠ ولا كانت أسرته من عائلات الوفد ، ولكنه بكفاءاته النادرة حتى بين ساسة مصر قبل عصر الرجال الجوف ، استطاع أن يصعد بين صفوف الوفد حتى أصبح معروفاً ومقبولاً أنه هو الوريث الشرعي والأوحد لمصطفى النحاس . ولكنه كان لديه من الذكاء ، ما عرف به أن زعامة الوفد لا تورث ولا تكتسب بالأقدمية أو بالدور ، بل هي زعامة تصدر براءتها من جهة واحدة هي الشعب ، وبموجب مستند واحد ـ وقتها ـ « شهادة الجهاد ضد الانجليز »**. .

كان سراج الدين « باشا » يريد عودة روح وظروف ثورة ١٩١٩ ليشترك مع باشاوات الوفد في محاربة الانجليز ، ويحصل مثلهم على التفويض والمستند الشرعي بزعامته . . ولذا يقف المؤرخ الماركسي حائراً مذهولاً وهو يرى « باشا » في منصب وزير الداخلية يتحرش بالانجليز ويخاطر بكل شيء ، بل ويشترك في عمليات في مستوي الشباب المتطرف من الطلبة والعمال . . مثل المشاركة في خطة لتلغيم أو نسف قناة السويس ، أو تحريض العمال على الإضراب والانسحاب من خدمة قوات « الحليفة » أو خوض معركة مسلحة بقوات البوليس ضد الجيش البريطاني . وتقول تقارير الحكومة البريطانية عن هذه الفترة :

« هناك معلومات حتى عن وزراء في الحكومة حرضوا الشعب على القتل »

« إن لدينا معلومات بأن وزير الداخلية نفسه لديه ارتباطات وثيقة مع المنظمات الإرهابية »***

ووثائق الحكومة البريطانية تثبت أيضاً ، أن بريطانيا قررت أنه لا سبيل للمساومة مع الوفد ، وأنها كانت تطلب رأس الوفد ورأس سراج الدين ففي تقرير بريطاني بتاريخ ١٩٥١/١٠/٢٧ :

« ليس هناك أي أمل في التوصل إلى اتفاق مع الحكومة الحالية ، كما أن أية محاولة للتصالح معها ستفسر على أنها ضعف » . « يجب أن نعمل من أجل إحداث انهيار كامل لحكومة الوفد »°

---

* فؤاد سراج الدين هو الذي أمم البنك الأهلي ، وكان أخطر إجراء نحو تحرر مصر المالي قبل ١٩٥٢ ، والغريب أنني ذكرته بهذا الإجراء في نوفمبر عام ١٩٨٦ . . وسرح الباشا لحظة ثم قال لي دهشا : « الغريب أنني نسيت هذه المسألة فلم أشر إليها في خطاباتي . . ! » .
ولم أدهش أنا . .

وهو أيضاً الذي نوع غطاء العملة المصرية فحول جزءاً من الأرصدة الاسترلينية إلى ذهب ودولارات (٤٧ مليون دولار) .

** وهو أيضاً يعرف أنه لمع في أسوأ حكومات الوفد سمعة (١٩٤٢ ـ ١٩٤٤)

*** روجر آلن ١٩٥١/١١/١٧ .

نجح سراج الدين في نسف كل الجسور مع بريطانيا ، كما ألغى كل شرعية للوجود البريطاني ، وأعاد الموقف إلى نقطة البدء أو المربع رقم واحد ، عشية ثورة ١٩ وأصبح من أبطالها ولو بعد ٣٢ سنة ! . . ووضعت بريطانيا ، بدورها ، خطة لإعادة احتلال مصر هي الخطة « روديو » أو « RODEO » التي وضعت ضد حكومة الوفد في خريف عام ١٩٥١ ومطلع ١٩٥٢ ، ولا معنى للتمسح بها وادعاء أنها كانت ضد عبد الناصر . . بريطانيا لم تفكر في محاربة عبد الناصر إلى عام ١٩٥٥ . . بل كانت تفاوض عنه أمريكا وتضغط بها عليه . . أما خطة RODEO فوضعت في عهد سراج الدين وحكومة الوفد ، ولمواجهة ثورة حقيقية كانت تتطور بسرعة هائلة إلى ما يشبه ثورة ١٩ مع فارق تقدم الوعي والتنظيم مصرياً وعربياً وعالمياً[٢] . . وكانت حماسة الجماهير تتضاعف ووعيهم يسجل تقدماً نوعياً كل يوم والاشتباك مع الاستعمار يدخل مرحلة ما قبل حرب العصابات المنظمة ، واستشهد الشباب من كل حزب وأيدلوجية . . وبالطبع كان تحرك القواعد أسرع من القيادات ، والوفد يعاني من مشكلته الازلية ، وهي انعدام التنظيم أو حتى كراهيته ، وفقدان التقاليد القتالية ، واستمرار اقتناع قياداته بأنه جزء من النظام الدستوري . . يضاعف من سوء الموقف ، أنه في السلطة فعلاً ، وتصور أنه يستطيع إنجاز التحرر بالتشريعات ، يذكي هذا الاتجاه انتصارات « مصدق » في إيران ـ والسهولة والحماسة التي تمت واستقبلت بها تشريعات إلغاء المعاهدة و« استعادة » السيادة على السودان . . ولكن الشارع يغلي ويفور ، وتعلن « الجمهورية » أو تنطلق المطالبة بها في الجامعة ، ثم طرح المطلب في مؤتمر للقيادات اليسارية ، ثم محاولة احتلال قسم عابدين صباح ٢٦ يناير وأخيراً ظهور تنظيمات مسلحة في منطقة القناة ، تمارس سلطات شعبية ذاتية . .

كانت ثورة تتجمع وتستعد من خلال ممارسة ثورية فعلية ، وكان لابد ـ من وجهة نظر الاستعمار العالمي ـ أن تجهض ، أن تضرب هذه الثورة ، قبل أن تلد تنظيمها ، وترسخ جذورها ، ويستحيل تطويقها ، وجاء « حريق القاهرة » الذي ربما كان آخر ضربة لأخبث جهاز مخابرات* ، أو أول عملية كبيرة للـ CIA أو من فعلهما معاً ، لا أحد يجزم ، ولا ندري إن كنا سنعرف أم لا . . لأنها أقذر من أن يعترفوا بها ، ولأن المخابرات البريطانية لا ملفات لها ، وعملياتها لا تنشر ولو بعد ألف سنة . . فقحبهم في الصندوق ، بعكس الأمريكيين ففي السوق . . ولكننا عثرنا على هامش صغير ورد في وثائق الخارجية الأمريكية يفيد أن الانجليز كانوا يتوقعون ويسعون لما حدث في القاهرة صباح ٢٦ يناير ١٩٥٢ . .

---

* لو أردنا أن نختار جهازاً واحداً يرمز إلى جرائم الاستعمار الأوروبي لفازت المخابرات البريطانية بلا منازع ، فلا حد لجرائمها ، ولكنها امتازت بالسرية المطلقة فلا ملفات ولا وثائق تنشر ولا أحد يتكلم . . ولذلك فقد كانت كالشيطان الكل يتحدث عن جرائمه ولا مستند ضده .

فقد أشارت هذه الوثائق إلى برقية (لم تنشر !! ج) بعث بها الوزير المفوض الأمريكي هولمز إلى وزارة الخارجية قال فيها : إن أنطوني إيدن وزير خارجية بريطانيا أبلغه (١٩٥٢/١/٢٤) أن القوات البريطانية ستجري نزع سلاح قوات البوليس في الاسماعيلية غداً ، ويعتقد إيدن أن الحكومة المصرية سترى نفسها مضطرة للرد بطريقة ستعرض حياة الأجانب للخطر (؟! ج) ولذا فإن البريطانيين يجرون تحريك قطع الأسطول إلى مواقع تمكنهم من إجلاء الأجانب عند الحاجة . . بالإضافة إلى أن إيدن أصدر تعليماته للسفير البريطاني في مصر ، سيررالف ستيفنسون لتحذير الملك من اتخاذ إجراءات تعرض الأجانب للخطر . وقد طلب « إيدن » من وزير خارجية أمريكا : « تأييد بريطانيا في الإجراءات التي ستضطر لاتخاذها لمواجهة الموقف نتيجة لما ستقوم به في الاسماعيلية غداً » كما جرى تخفيض الوقت اللازم لتنفيذ الخطة RODEO من ٧٢ ساعة إلى ٤٨ ساعة وهي الخطة التي وضعت لاحتلال الأسكندرية والقاهرة » .

على أية حال إن لم تثبت هذه الوثيقة إدانة بريطانيا في تدبير وتنفيذ حرق القاهرة ، وقتل من قتل بمن فيهم رعايا بريطانيا ، فهي على الأقل توقعت ذلك وأرادته وسعت إليه بوعي كامل مضيفة بذلك صفحة جديدة في تاريخ أعداء الشعوب . . كما ساهم أستاذ إبادة الشعوب . . معترفاً بتفوقهم .

ومما يذكر أن وزير خارجية أمريكا احتج أو عتب على زميله الانجليزي لأن عملية الاسماعيلية « لم تتم على النحو الذي صوره له إيدن . إن الأمر كله يبدو سيئاً »[٣٢] ! . .

ولم يكن الأمريكان أقل كراهية للوفد ، ولا أقل تشوقا للقضاء عليه وقد رفض مشاريع الدفاع المشترك ورفض الدخول في حرب كوريا وانفردت مصر بذلك الموقف التاريخي الذي استمرت مرارته في حلق الأمريكان إلى اليوم ، وأطلق الوفد الحريات ، حتى أصبح النشاط الشيوعي شبه علني ، وسب أمريكا مادة أساسية في الصحف ، وقد شهدت حكومة الوفد أول وآخر مظاهرة شيوعية كاملة وهي جنازة « صلاح بشرى » التي نظمها تنظيم الطلبة في الحزب الشيوعي ، ووزعت لأول مرة منشورات باسم الحزب ، ولف « صلاح بشرى » في علم أحمر وهتف بحياة الحزب الشيوعي* . .

وفي اجتماع وزيرى الخارجية الأمريكي والبريطاني ٩ يناير ١٩٥٢ (وهو الاجتماع الذي نعتقد أنه تم فيه الاتفاق على حرق القاهرة ج) قال الوزير الأمريكى : « إن المطلوب هو إعطاء الملك سنداً يدعمه في إتخاذ إجراء ضد الوفد » . وقال السفير البريطاني في لندن : « مهما تكن سياسة الحكومة الجديدة فالمهم أنها تخلصنا من الوفد » (تقرير ١٩٥٢/١/٢٧) .

---

* كانت المظاهرة كاملة من تنفيذ الرفيق س . . فهو الذي قادها وهو الذي لف الجثمان بالعلم الأحمر وخطب على سلم مسجد الكخيا بل وكان المنشور الذي وزع مكتوباً بخط يده ومطبوعاً على البلوظة !

وسجل كافري شهاته بعد نجاح المؤامرة فقال : « إن حكومة الوفد أثبتت استعدادها لتدمير مصر اقتصادياً واجتماعياً إن كان ذلك يعجل بتحقيق أهداف مصر » !!

(تقرير إلى حكومته بتاريخ ١٩٥٢/٢/١)

وأكدت الخارجية الأمريكية أن الهدف الأكبر هو القضاء النهائي على الوفد بقولها : « إذا كان الهلالي المدعوم من الملك سيتمكن من السيطرة على الأمن الداخلي بيد قوية إلا أنه من المتوقع إذا فشل في تحقيق الأهداف الوطنية المصرية أن ينهض الوفد من جديد حتى لو كان ذلك بعد فترة من الوقت » (من وكيل الوزارة إلى الوزير ١٩٥٢/٣/٣) .

اتفق الانجليز والأمريكان على « حرق » الثورة . . وإسقاط حكومة الوفد ، وكانت ضربة قاسية عنيفة بل متوحشة ولكنها غير قاضية ، وليس في التاريخ ثورة قمعت بالإرهاب وحده ، بل حتى الإرهاب لم يكن متوفراً ، وقد يحلو لنا الآن أن ننتقد قبول حكومة الوفد مرسوم الإقالة ، ولكن لا مجال لذلك عند المؤرخ الأمين ، فالعاصمة تحترق والأسطول البريطاني يتحرش ، والجيش في الشوارع وهو لا مع الحركة الوطنية ولا مع الوفد ، وهذه تقارير الحكومة البريطانية تثبت ذلك : « إن القوات المسلحة المصرية لا تعتبر فقط غير مساندة للحكومة بل إنها قد أوضحت رغبتها في اجتناب أي صدام مع البريطانيين ، وتقبل وحدات الجيش في منطقة القناة إشرافنا على تحركاتها . كذلك وعد الجيش خارج منطقة القناة بالابتعاد عن طريقنا »[٦] .

وصحيح أن عدداً من الضباط اشترك مع الحركة الوطنية المسلحة ، إلا أن الجيش كمؤسسة لم يكن مع الثورة ، وسرعان ما استعاد دوره في خدمة النظام فور صدور الأمر إليه بالنزول لوقف الحريق ، وإقالة الوفد . . وقد شهد « هيكل » أنه قابل « عبد الناصر » بعد حرق القاهرة ينفذ قرار حظر التجول على الشعب؟[4] .

إلا أن الوفد أخطأ بلا شك بإعلان الأحكام العرفية ، وتوهم أنه سيحكم بها لمواجهة المؤامرة ، وهكذا رفعوه في الهواء وتمكنوا منه . .

ولكن سرعان ما زالت الصدمة ، وتبين أن النظام قد تهرأ وأصبح أعجز من أن يبطش أو يرهب ، وبدأت قوى الثورة تسترد أنفاسها ، وجرت حركة مراجعة للمواقف ، وتعددت الانشقاقات والخلافات مع القيادات التي عجزت عن أن ترتفع إلى مستوى الموقف ، ونشطت التنظيمات السرية . . وجربت كل الأسلحة في ترسانة النظام من « الحكيم » علي ماهر إلى مرتضى المراغي أو حيلة الشب كما سماه السفير الأمريكي في تقرير رسمي* وثبت عجزهم بل تكشفت لأول مرة حقيقة أنهم أقزام عجزة وعلى نحو فاق أي تصور ، وهكذا

---

* The last ace in the hole

يبدو رجال النظام لحظة الانهيار* ، ونشط المغامرون من كل حدب وصوب ، وانتشر نشاط المخابرات الأمريكية وتدفق عليها المرتزقة والعملاء والمتطلعون ، حتى أصبح لا ينقصها إلا نشر عنوانها في الإعلانات المبوبة ، واستعاد الوفد أرضيته إلى حد كبير ، وبدأ عقلاء النظام يتقربون إليه لكسب الشرعية ودرء انهيار النظام الذي يهدد الجميع ، حتى الملك أحس بأنه حفر قبره بيده ، وتشبث الانجليز بالمحال ، ثم هرعوا إلى الأمريكان يطلبون التفاهم . .

بدأ الانجليز بمحاولة إقناع الأمريكان بما يشبه برنامج انقلاب يوليو ولكن من داخل النظام وبرجال من أمثال الهلالي ، أي توزيع الأرض ومكافحة الفساد وضرب الوفد . . ولكن الأمريكيين ، الأكثر قدرة على الحكم الموضوعي بحكم عدم تمسكهم بالنظام وأيضاً لاتفاق مصالحهم وخططهم مع إسقاط هذا النظام ، رفضوا كل الحجج . . فلما قال الانجليز إن الهلالي قادر على مواجهة الوضع رد السفير الأمريكي بوقاحة في رسالة إلى وزارة الخارجية ١٩٥٢/٣/٨ قال فيها :

« إنني مهموم لسوء الفهم البريطاني للوضع في مصر ! (آه يازمن ؟! ج) فهذا الحديث عن إزالة الفساد والتحرك ضد الوفد عظيم جداً ، ولكن هذا كله لا يجيب على السؤال حول ما إذا كانت الحكومة الحالية ستعيش أم لا ؟! لأن هذا يتوقف على نتائج المحادثات المصرية - البريطانية فإذا لم تثمر شيئاً - وهو الأرجح ما دامت بريطانيا متمسكة بموقفها الحالي - فإن علينا أن ننسى أي أمل في استقرار مصر أو تحولها إلى موالاة الغرب ، بل إن احتمال الثورة والفوضى الشاملة في مصر لا يمكن استبعاده ، نحن نقترب بسرعة من نقطة اللاعودة وإذا مضت مصر في هذا الطريق فالشك كبير جداً في قدرة بقية الشرق الأوسط على الصمود » .

وتشبث الأمريكيون بحلهم وهو ضرب الثورة باسم الثورة ، إسقاط النظام العاجز وإقامة نظام شاب قادر على ضرب قوى الثورة وإعادة مصر إلى حظيرة الاستعمار العالمي ، على أن تكون هذه المرة في المدار الأمريكي ، واستمرت بريطانيا تناور ما بين دعوة الأمريكان للمشاركة والتهديد بجعلها « ضلمة » .

واشنطون ٢ يوليو ١٩٥٢ **سري**

١ - قدمت السفارة البريطانية نسخة من رسالة وزارة الخارجية البريطانية للقائم بالأعمال (البريطاني ج) في الأسكندرية تأمره بالتشاور معك (أي السفير الأمريكي ج) في احتمال التصرف المشترك لإنقاذ الوضع المترتب على استقالة الهلالي والاضطراب الناجم عن عجز سري وبركات عن تأليف الوزارة أما التصرفات المقترحة فهي :

* من أعجب ما قرأت لمؤلف كتاب « الوكالة » قوله إن من شروط نجاح الانقلاب أن « يتعاون » الحاكم مع المتآمرين بأن يكشف صدره أو ظهره لهم ليطعنوه ! . .

أ ـ تحذير لسري وبركات بأن لا شأن لهما بتشكيل حكومة .

ب ـ دعم رفض المراغي الانضمام للحكومة .

جـ ـ الاتصال بعفيفي لحثه على إقناع الملك بأن استقالة عفيفي المحتومة في الظروف الحالية بالإضافة إلى الحكومة الجديدة بصيغتها المقترحة ، ستقلل فرص التفاوض مع بريطانيا إلى درجة العدم .

٢ ـ بالإضافة إلى ما ورد أعلاه ، أمر القائم بالأعمال البريطاني بأن يستشيرك في إمكانية الاتصال بالملك وبدون كلمات تهديد تخبر الملك ببعض الحقائق الخاصة وبالذات الوضع الميئوس منه إذا ما استمر أندراوس وثابت في القصر .

٣ ـ السفارة البريطانية في واشنطون قالت إن وزارة الخارجية البريطانية جد حريصة أن ترسل لك التعليمات المناسبة لكي تري الملك وقالت وزارة الخارجية حرفيا : « إنه من الضروري أو الحيوي أن نعمل معا في هذا الظرف الحرج لبذل كل ما تستطيع لمنع إبعاد العناصر الرزينة في السياسة المصرية بهذا التغيير في الحكومة وبصفة خاصة إزاحة حافظ عفيفي من القصر .

وأبلغتنا السفارة أن إيدن أرسل سترانج لرؤية جيفورد (السفير الأمريكي) حيث عبر له عن الاهتمام العميق لإيدن بالوضع الذي يمكن أن يتطور إلى رجوع عناصر القصر الفاسدة والوفد إلى الحكم ويأمل إيدن في أن نتمكن من المساعدة .

٤ ـ إن وزارة الخارجية الأمريكية مهتمة باتجاه الأحداث واحتمال عودة العناصر الفاسدة والمنتفعين ونحن نعتقد أن الملك قد تصرف بانعدام حكمة كامل ، عندما رضخ لرشوة الثلاثي عبود ـ ثابت ـ أندراوس ولطالما يتمتع هؤلاء بسلطاتهم الحالية فلا أمل في تحقيق تقدم في مصر وإذا كان صحيحاً أن الهلالي ما كان لينجز الإصلاح ولا التطهير ، فنحن نعتقد أن الملك كان يجب أن يعطيه التشجيع والمساعدة وبالذات ضد مؤامرات القصر .

٥ ـ وفي نفس الوقت نعتقد لو أن البريطانيين أعطوا الهلالي خلال أربعة شهور ما يمكنه قبوله ، لتعزز مركزه ولقاوم ضغط عبود وأمثاله .

٦ ـ لا نستطيع التورط في الشئون الداخلية المصرية وخصوصاً أن الانجليز لا يقبلون وجهة نظرنا في مسألة لقب ملك مصر والسودان .

ثم تختم الرسالة بهذه الصفعة برفض التعاون لإنقاذ مركز بريطانيا .

« ٧ ـ نحن نعرف أنك أنقذت مركز البريطانيين أكثر من مرة ولكن كل شيء له حدود » .

وبالطبع تقول المذكرة ـ الوثيقة : « وقد أيد كافري وجهة نظر الخارجية بالكامل » .

كان الوقت قد أزف للعمل الأمريكي المنفرد . . و« شمت » بريطانيا رائحة ما يطبخ . . فأرسلت شبه إنذار لواشنطن بأنها قد تقوم بعمل عسكري منفرد ، وردت أمريكا بما يمكن اختصاره في « طظ » أو اشربوا من البحر . . « فنحن لا نهتم حتى بخروجكم نهائياً من القاعدة ، ولن نشترك معكم في عمل ضد مصر . .

في ٧ يوليو ١٩٥٢ . .

سلمت السفارة البريطانية لوزارة الخارجية الأمريكية رسالة توضح قلق إيدن العميق للوضع في مصر وتطلب من الولايات المتحدة أن تخبر الملك أن إصراره الحالى على مسألة اللقب لا يمكن أن يفضي إلا إلى كارثة له ولمصر . كما طلبت المملكة المتحدة أيضاً منا ، أن نسعى للإتيان بحكومة راغبة في قبول التسوية التي يريد الانجليز تقديمها . وهذه الورقة تؤكد أن البديل الوحيد لهذه الحكومة هو « احتفاظ بريطانيا بمركزها مهما كان الثمن وبالقوة إذا لزم الأمر » (بالطبع هذا إنذار للأمريكان وهذا ما جعلهم يسبقون ويقدمون ميعاد الثورة لسبق أي تحرك بريطاني ج) وعلقت السفارة البريطانية على هذه الورقة بقولها إن الخارجية البريطانية قلقة للغاية لما تعتقد أنه صدع في الجبهة الأنجلو - أمريكية فيما يتعلق بمصر وقالت السفارة البريطانية إن الخارجية البريطانية تعتقد أن تدهور الأوضاع في مصر يمكن أن يفضي إلى كارثة إذا لم تتساند بريطانيا وأمريكا بحزم أو بقوة . . وقالت الورقة البريطانية إن الحكومة تدرس تنظيم علاقة مصر بالسودان على ضوء ما أبلغ للوزير الأمريكي في اجتماعات لندن . ولكن مستر كافرى يعتقد أن هذه المقترحات سترفض على الفور » .

السفارة الأمريكية في لندن في تعليقها على هذه الورقة قالت إن قلق البريطانيين حقيقي ولكن لا أمل في تغيير موقفهم الحالي بالنسبة للقب وتوصي السفارة أن نقول للمصريين بصراحة وحزم أن عليهم أن يتخلوا عن موقفهم المتطرف الحالي ويتحركوا إلى حل وسط . أما مستر كافري فيعتقد أن تبنينا المشروع أو الخطة البريطانية سيكون مأساة بلهاء إلا أنه وعد بحث سري باشا على الوصول إلى اتفاق مع المهدي .

« تبقى حقيقة أنه ما لم تحل مشكلة اللقب أي السودان فلن نستطيع التقدم لمشكلة الدفاع .

« الحقيقة أن المصريين يستندون إلى أسس قانونية قوية لموقفهم الحالي ونحن نعتبر أنه من غير المنتظر أن تتراجع أي حكومة عن هذا الوضع . ونحن نعتبر أن استمرار وضع التجمد الحالي وعدم محاولة التقدم بحل يمكن أن يؤدي إلى زيادة استياء الجماهير وإمكانية عودة الأوضاع إلى ما كانت عليه من أكتوبر إلى يناير وفي هذه الحالة سيواجه البريطانيون الخيار بين الجلاء أو استخدام القوة وربما كان الأفضل لمصالحنا هو جلاء بريطانيا ولو خسرنا القاعدة لأن الأصل في دعوة مصر للاشتراك في نظام دفاعي عن الشرق الأوسط هو اشتراكها الاختياري وليس من خلال إرغامها بقوات أجنبية كبيرة . أما عن استخدام القوة للحفاظ على مركز بريطانيا فإن نتائج هذا الفعل بالنسبة للبريطانيين بل ولوضع الغرب كله ، من الخطورة بحيث يلزم ألا نترك لدى الانجليز أي شك في استحالة قبولنا لاستخدام القوة كبديل للفشل في الوصول إلى تسوية ، وصحيح أنه من الضروري أحيانا استخدام القوة ولكن طرحها بداية كأحد الحلول هو أمر يتنافى مع مباديء وأهداف ومصالح الولايات المتحدة » .

من وكيل الخارجية بايرود إلى وزير الخارجية .

واشنطون ١٤ يوليو ١٩٥٢ .

وهكذا نتبين أنه من الخطأ القول بأن العنصر الأمريكي دخل المعادلة البريطانية ـ المصرية بانقلاب ٢٣ يوليو . . فالصحيح أنه كان موجوداً من قبل ، داخل السراي . . وكان الملك يحاول استخدامه في مواجهة الانجليز الذين أدركوا هذه الحقيقة ، واشتكت حكومتهم بصريح العبارة : « لا يمكن إقناع الملك بتغيير موقفه طالما يعتقد بأن هناك فرقاً بين موقفنا وموقف الأمريكيين »[٧]

وهاهو السفير الأمريكي يختم رسالته التي أشرنا إليها عن مقابلته مع فاروق والتي سجل فيها تمسك الملك بوحدة وادي النيل وهدد بمهاجمة الانجليز علناً . يقول السفير : « وانتهينا بتكراره الحديث عن أن أمريكا هي وحدها التي يمكنها منع الكارثة وأنه يثق فينا . . الخ . . الخ . . الخ »
كافري . .

ويبدو أن الملك يئس من إقناع السفير الأمريكي فحاول أن يتخطاه إذ انتهز ابن عمه الأمير عبد المنعم* فرصة التقائه بوزير الخارجية الأمريكي في جنازة الملك جورج السادس (فبراير ١٩٥٢) فدعاه إلى الدخول في النزاع البريطاني المصري . . ولم يكن الأمريكيون بحاجة إلى دعوة فقد كانوا غارقين في مهمة إنقاذ مصر إلى أذقانهم . . ولو على جثة الملك !

ولكنها كانت محاولات محتومة الفشل فالملك كان متردداً وبلا شعبية ، بلا مؤسسات خاصة تمكنه من إدخال مصر في الفلك الأمريكي ، كما لم يكن مستعداً للمغامرة بكل شيء مع « الجايين » فهو لا يطمئن إلى استعدادهم للوقوف معه إلى النهاية ، وهو لا ينسى « علقة » ٤ فبراير . . كذلك كانت هناك مشكلة لقب « ملك مصر والسودان » واعتذاره للسفير الأمريكي عن اتخاذ الخطوة الأولى في مصالحة إسرائيل ، ويمكن لمن يشاء أن يضيف كراهية الأمريكان التقليدية للملوك ومعرفتهم بصعوبة تغييرهم كلما وقعت أزمة بعكس العسكر . .

كذلك حاول الوفد أن يلعب ورقة الأمريكان ، فعين في حكومته ، وزراء معروفين بعلاقاتهم « الحميمة » مع الأمريكيين ، وخاصة أحمد حسين ، الذي كان تعيينه في حكومة الوفد** عام ١٩٥٠ يشبه تعيين أمين عثمان في حكومة الحرب العالمية الثانية ومؤشراً بدوران الفلك وتداول الدول وكان الأمريكيون بدورهم يحاولون غزو الوفد ، وكانت لهم صلات طيبة مع « محمد صلاح الدين » جعلتهم يرشحونه لنسف الوفد وعمل انشقاق فيه بالتعاون

---

* وكوفيء على ذلك بتعيينه وصياً على العرش بعد انقلاب يوليو واعتبر السفير الأمريكي اختياره دليل تحرر مجلس الثورة من نفوذ الإخوان .

** وليس « لكفايته العلمية أو الفكرية لمواجهة مطالب الجماهير في التجديد والإصلاح الاجتماعي » ، كما ذهب الأستاذ طارق البشري في كتابه القيم : الحركة السياسية في مصر ص ٣٠٧ .

مع هيئة التحرير لولا أن نصحهم السفير كافري ، بأن قبضة النحاس وسراج الدين أقوى من أن تسمح بذلك .

ولا شك أن الوفد وضع الورقة الأمريكية في حساباته وهو يخاطر متحدياً الانجليز ، متعرضاً لعقوباتهم ، وكانوا يملكون الكثير منها ، من الأرصدة؟[٥] إلى السلاح إلى النفط . . ولابد أن ما كان يجري في إيران كانت له انعكاسته في تقديرات الوفد والعكس صحيح . .
ولكنها أيضاً كانت محاولات محتومة الفشل ، فالوفد قد نسف جسوره مع الأمريكيين بموقفه الفذ في حرب كوريا؟[٦] ورفضه التصريح الثلاثي ، وكافة أشكال الدفاع المشترك* . . ثم بإطلاقه الحريات . . وأخيراً تفجيره الوضع إلى حد القيام بأعمال مسلحة ضد الانجليز . . (اشترك فيها وزير الداخلية) ! . . ثم إن عملية الإزاحة ، حتى إذا تطلبت بعض المهرجانات الشعبية ، إلا أنها يجب أن تتم في إطار محدود وتحت السيطرة الكاملة حتى لا ينفجر الموقف وتتحول إلى ازاحة شاملة لكلا الاستعماريين المتنافسين . . وكان واضحاً أن الوفد لم يعد يسيطر على الشارع ، بل أصبح الشارع يسيطر عليه ويحمله فوق أمواجه الهادرة . . كذلك فإن التعاون مع الوفد أو الأحزاب الأخرى كان يعني تعاوناً سياسياً مكشوفاً في ظل مؤسسات سياسية ودستورية علنية وملتزمة أو محكومة بقواعد النظام الديموقراطي الموجود وقتها ، الأمر الذي يعني شل يد أي حكومة عن عقد صفقة حتى ولو كانت أفضل الممكن ، فلا شك أن النصوص الأولى التي عرضها صدقي باشا كانت أفضل من ـ عدة نواحٍ ـ من اتفاقية عبد الناصر ولكن الشعب رفضها ، وأسقطتها الأحزاب . . ولا يمكن في ظل نظام حزبي وبرلمان ومعارضة وصحافة حرة إعطاء تعليمات من السفارة للحكومة المصرية دون إثارة الجماهير ، وكذلك لا يمكن شطب وحدة وادي النيل أو الهمس بفيتو على رئيس الوزراء المرشح !! كان لابد لكي تتم عملية الإزاحة من ضرب الحركة الوطنية وتشتيت القوى الشعبية ، وتعطيل الحياة السياسية ، وحل الأحزاب والنقابات ، ووضع السلطة في يد ديكتاتور لا يؤمن بالفصل بين السلطات [٨] . . حتى يمكن إتمام « الإزاحة » بدون خسائر ، وهذا لا يتحقق إلا بانقلاب عسكري . . « بمكنسة » وهذا ما جعل الـ CIA تلجأ للجيش ولتنظيم ناصر؟[٧] .

وهكذا نرى أن أكثر من طرف كان يحاول كسب الأمريكان ، ولكن لا يجوز وضعهم جميعاً في سلة واحدة ، فهناك فارق بين محاولة تشرشل اقتسام الشرق الأوسط أو إغراء الأمريكان بقبول قسمته هو ، وبين محاولة ملك تأمين عرشه والاحتياط ضد ٤ فبراير آخر ، وبين محاولة مشروعة ومطلوبة لحكومة دستورية باستغلال التناقضات الدولية لتحقيق أهداف مصر . . فذلك كله يختلف عن سعي صحفي أو سياسي أو ضابط بالقوات المسلحة إلى المخابرات

---

* كذلك رفضت حكومة الوفد احتجاجاً من بريطانيا وأمريكا وهولندا والنرويج وفرنسا في ٢٥ أغسطس ١٩٥٠ على القيود التي فرضتها مصر حول الملاحة الإسرائيلية أو من وإلى إسرائيل في قناة السويس .

الأمريكية . .

على أية حال كانت القوى الوطنية في المعارضة قد اتخذت موقفاً مخالفاً ، فقد وحدت رفضها لكلا الاستعمارين ، وتجلى ذلك في اللفظ الذي انتشر في أدبيات تلك المرحلة وهو « الاستعمار الأنجلوأمريكي » . . بل لا نذهب بعيداً ، إذا قلنا ، إن الحركة الوطنية كانت تركز في شعاراتها أكثر ضد الاستعمار الأمريكي وإن كانت الاصطدامات الفعلية ، تقع ، مع الاستعماريات القديمة (بريطانيا وفرنسا) ذلك أن يسار المعارضة كان يعادي أمريكا إما تضامناً مع الاتحاد السوفيتي في الحرب الباردة المستعرة في تلك السنوات ، أوعن وعي سليم بأن الولايات المتحدة هي قائدة المعسكر الاستعماري ووريثته ، وأنها تحاول إحلال صيغة أكثر قدرة على القمع محل الاستعماريات الشائخة ومن ثم فالاستعمار الأمريكي أخطر وأجدر بالتنبيه والمقاومة* أما يمين المعارضة ، فكان يعادي أمريكا لذلك ولموقفها من إنشاء إسرائيل وما نزل بالشعب الفلسطيني والدول العربية من إبادة وطرد وهزيمة . .

وقد انعكس تفكير المعارضة بشقيها على التنظيمات السياسية في الجيش بما فيها تنظيم الضباط الأحرار الذي استمر فترة يصدر منشوراته ضد « الاستعمار الأنجلو ـ أمريكي » إلى أن اتفقت قيادته مع المخابرات الأمريكية CIA فتقرر إعفاء الشق الأمريكي والتركيز على مهاجمة الاستعمار البريطاني وحده ويجدر بنا أن نتوقف هنا عند نقطتين :

○ هز هيكل لأعطافه ذكاء وشماتة في غباء « الملك » الذي لم يفهم قوة الأمريكيين وأنهم هم المستقبل لمن أراد أن « يتشعلق » بقطار التاريخ فيقول : « لم تكن النظم الحاكمة في العالم العربي قادرة على فهم ما يجري في العالم من حولها وعلى استيعاب دلالاته ، وليست مصادفة أن الملك « فاروق » على سبيل المثال ضمن الحكام العرب ، اختار هذا الوقت لكي يعرض على بريطانيا تحالفاً استراتيجيا طويل المدى »[9]

ولا نجد مبرراً للشماتة أو التعالي على الذين لم يستطيعوا التحالف مع « الرابحين » ولا ربط عجلتهم « بالجايين » . . فصحيح أن اختيارات هيكل تبدو ـ الآن ـ بمنطق الشيطان ، أذكى وأربح . . ولكن المواقف السياسية والتحالفات والرابحين والجايين ، أحداث لا يحكمها الذكاء ولا حتى الاختيار الحر . . وربما كانت دعوة فاروق للتحالف الاستراتيجي مع بريطانيا هي أذكى مواجهة للخطر الأمريكي ـ الإسرائيلي الزاحف . وأذكى يد مدت لإنقاذ بريطانيا من المصير الذي كتبته تطورات اقتصادية وتكنولوجية وعسكرية خلال نصف قرن سابق على الانسحاب من اليونان ولكن التناقضات التاريخية بين المصالح العربية والبريطانية كانت تجعل هذا التحالف مستحيلاً ما لم يتمتع الطرفان ببعد نظر يفوق الممكن واقعياً ، فقد كان هذا التحالف يقضي التسليم بمطالب الحركة الوطنية في مصر ، أي تصفية

---

* يمكن الرجوع لكتابنا « الجبهة الشعبية » الصادر عام ١٩٥١ ففيه عرض لا بأس به للفكر السياسي لليسار في تلك الفترة .

الامبراطورية لصالح القوى الوطنية العربية ، وليس لصالح الامبريالية الأمريكية ، كانت بريطانيا ـ تشرشل ، أعجز من أن تفهم أو تقبل هذا الحل ، وكانت مصالحها الأخرى وخضوعها لأمريكا ، وتشبثها بالنهج الامبريالي ، تملي عليها قبول « تسوية » لصوص مع أمريكا على المقامرة بتسوية شريفة مع أصحاب المصالح الحقيقية . فلأن يد بريطانيا كانت مثقلة بالأطماع وخطايا التاريخ بقيت يد الملك فاروق معلقة في الهواء حتى قطعها الأمريكان بسيف عبد الناصر .

○ النقطة الثانية التي نعتقد أنها تحتاج لبعض التوضيح قبل أن ندخل في متاهات الناصرية ، هي عملية مصدق في إيران ، فهناك أكثر من علاقة وسبب للمقارنة بين ما جرى في طهران وما جرى في القاهرة . . وإذا كان دور أمريكا أو الـ CIA في إسقاط مصدق قد أصبح أكثر من معروف . بل حقيقة شائعة ذائعة ، على نحو جعل البعض يصنفها ضمن أسباب الثورة الإيرانية ، لما شكلته من إهانة للكرامة الإيرانية أن يتباهى الأمريكيون بأن فرداً أمريكياً هزم ثورتهم ونصب شاههم على عرشه . . إلا أن أسباب إسقاط أمريكا لمصدق تحتاج إلى كلمات . . فالمعروف أن الولايات المتحدة أيدت مصدق في البداية . وأيدت حق إيران في تأميم النفط وساعدته على مقاومة الضغوط البريطانية (زفعت أمريكا مساعدتها المالية لإيران من أقل من مليوني دولار قبل التأميم إلى ثلاثة وعشرين مليوناً وأربعمائة ألف دولار بعده . . وذلك لتخفيف آثار انقطاع مدفوعات الشركة الانجليزية . .) ومنعت بريطانيا من حسم الموقف بالبوارج (حذر دين اتشيسون وزير الخارجية الأمريكي بريطانيا بأن الولايات المتحدة لن تقف مكتوفة اليدين أمام غزو بريطاني لإيران . وقال مؤلف « نهاية امبراطورية » : « كان رأي ترومان واتشيسون أن إرسال البوارج لفرض عقد تجاري هو عمل متخلف عن الواقع مائة سنة »[10] ، وهددهم بايرود في نوفمبر ٥٢ بأنهم إذا لم يتفقوا مع إيران فإن الحكومة الأمريكية قد تشتري النفط الإيراني[11] بل وحثت الحكومة الشركات الأمريكية على شراء النفط الإيراني وأغرتهم باستخدام سلطات رئيس الجمهورية لإلغاء قضية كانت أمام المحاكم الأمريكية ضد هذه الشركات بتهمة الاحتكار ، ومعروف أن الأزمة انتهت بحصول أمريكا على حصة الأسد في النفط الإيراني ، واستسلام بريطانيا وتسليمها بانتقال إيران إلى الدائرة الأمريكية مع الاعتراف لها بالمركز الثاني . . ولكن تبقى ـ كما قلنا كلمة عن الأسباب التي أدت إلى انقلاب الأمريكان على مصدق وسقوطه ويمكن تلخيص ذلك في الآتي :

○ إن أية تسوية تفرضها الولايات المتحدة تتطلب قدراً من المساومة مع بريطانيا . . ولكن مصدق الذي لم يأت للحكم بمؤامرة دبرتها المخابرات الأمريكية بل كمرحلة في الصراع الطويل جداً بين القومية الإيرانية والاستعمار البريطاني .

ومن ثم لم يكن بوسعه قبول أو فرض تسوية مع بريطانيا . . أو كما يقول مؤرخ نهاية

امبراطورية : « لو قبل مصدق ما عرضه عليه البنك الدولي أو الأمريكان لتلقى دعماً أمريكياً ولواجه الضغط البريطاني . . ولكنه كان قد ارتبط أمام شعبه بأن أي حل أقل من السيطرة الكاملة على النفط يعني الخيانة » . .

○○ وما كان بوسع مصدق المساومة ولو أراد . . لأن ذلك كان مستحيلاً في ظل مجتمع ديموقراطي في ظروف الالتهاب الوطني ، تماماً كما فشلت كل حكومات ما قبل ناصر في قبول تسوية مع بريطانيا . ولم ينجح ناصر في فرض اتفاقية الجلاء وفصل السودان إلا بعد أن حل الأحزاب وألغى الدستور وحول الصحافة إلى نشرات حكومية ووضع المعارضة في السجن . . أما في إيران فقد استمرت الأحزاب* والصحافة والمعارضة وحرية التظاهر . . ولما حاول مصدق أن يحد من حرية الحركة للمعارضين في البرلمان استجار من الرمضاء بالنار ، إذ ضرب البرلمان بالشارع ومن ثم أصبح الشارع أعلى صوتاً من النظام كله ، وأبعد من قدرة « الدكتور » على السيطرة وبالتالي كان يستحيل عليه عقد « صفقة » ومرة أخرى ، حتى لو أراد**.

○○○ وبعكس ناصر الذي قدم من وقت مبكر جداً رأس الشيوعيين والإسلاميين صدقة بين يدي الطاغوت الأمريكي ، فإن « مصدق » رأى الاعتماد على حزب « توده » وآيات الله في مواجهة الانجليز ومساومة الأمريكيين ، الأمر الذي أفزع الولايات المتحدة وكانت تعيش حمى المكارثية . وقد استخدمت بريطانيا وأمريكا عملاءهما في حزب « توده » لاستفزاز الجماهير المسلمة . فقد علق هؤلاء صورة لينين وكتبوا تحتها : « هذا هو « إمام » البشرية الحق » ! وكتب آخرون شعارات يسقط الإسلام وتحيا الشيوعية ! . .

وأخيراً . . موقف شركات البترول الأمريكية التي رفضت إغراء الحكومة الأمريكية لها بشراء النفط الإيراني*** وقد يقال إن السوق كانت تواجه فائضاً في الإنتاج وقتها. وأن النفط

---

* وإن كان تشكيله السياسي أو الجبهة الوطنية كان يعج بعملاء الأمريكان والانجليز وزوج بنته بختيار عرف بعد ذلك أنه عميل للمخابرات البريطانية ، وهذه الحقيقة ساعدتنا على فهم ارتباطات بعض الشخصيات التي رفعت شعار . . بختيار هو الحل . . عقب خلع الشاه عام ١٩٧٩ وكذلك في فهم تطورات تلك المرحلة التي حاولت فيها بريطانيا استعادة ما كان لها . . وهو حديث يطول جداً . . .

** لما حذر المفاوض الأمريكي ، الدكتور مصدق ، أنه سيعود خاوي الوفاض بسبب تصلبه . . رد مصدق : « ألا ترى أنني بذلك أعود أقوى مني لو حملت « صفقة » أحاول إقناع أنصاري من المتطرفين بقبولها[١٦] ؟ !

*** في نوفمبر ١٩٥٢ لمحت الخارجية الأمريكية للشركات بأنها لن تعارض شراءها للنفط الإيراني ، ولكن الشركات رفضت بل ودخلت في حرب مع « أوناسيس » صاحب ناقلات النفط المشهور لأنه حاول نقل النفط الإيراني المؤمم .

الأمريكي ، وخاصة السعودي ، كان في أسعد أوقاته بغياب النفط الإيراني من الساحة ، ولكن في اعتقادي أن الشركات خافت من انتصار دعوى تأميم النفط وانتشارها . . وفي نفس الوقت كانت ترى أن وقف إنتاج الشركة البريطانية ، كافٍ جداً للضغط عليها لقبول التسوية بالصيغة الأمريكية التي تعطيها ـ أي الشركات الأمريكية ـ حصة الأسد دون حاجة للوصول بالصدام إلى الحد الذي « يشمت » الأعداء ، ويفسد أخلاق « الأولاد » . . ولذلك لم تجد حاجة إلى التسرع بنهب البراميل وقد ضمنت حصة في الآبار . ويقول مؤرخ أمريكي : « إن الشركات لم تثق في استعداد مصدق لقبول تسوية أقل من التأميم الكامل الحقيقي » .

وهكذا فشل مصدق في تصفية الشركة البريطانية وعجز عن قبول تسوية معها بعكس ناصر الذي نجح في قبول وفرض كل ما طلبه السفير الأمريكي مراعاة « لخاطره » بنص عبارة هيكل . .

وهكذا تحتمت تصفية مصدق ، وإقامة شاه « ناصري » يضرب الشعب ويقبل « الصفقة » ويفرض الإصلاح الزراعى . . والغريب أن الفاعل واحد* !

نعود لحديثنا عن عشية انقلاب يوليو فنقول :

زاد نفوذ الأمريكان وقدرتهم على التأثير في الفترة من يناير ١٩٥٢ إلى يوليو١٩٥٢ بسبب ضرب الحركة الثورية ، وانفراد الملك بالسلطة ، وكان نفوذهم عليه يزداد ، مع ازدياد غيظه من الانجليز ورعبه منهم ومن تدهور الوضع الداخلي ، وأيضاً لما قدموه له من وعود . . وما أدخلوه عليه من الغفلة بأنهم يدبرون له انقلاباً يطلق يده . .

وتعزز مركز الأمريكيين في مواجهة الانجليز بسبب الفشل الواضح للآخرين ، الذين لم ينقذهم إلا حرق القاهرة ، ولكن إلى حين . . لم يكن بوسع الانجليز الاستمرار في التعالي بأنهم أصحاب الدار ، يعرفون المصريين أفضل ، وأكثر قدرة على التعامل معهم . . بل وجد سفير أمريكي يتحسر على « عدم فهم الانجليز للوضع في مصر ! » . . واتجه الانجليز مرغمين إلى طلب النصيحة والمساعي الحسنة من الصديق اللدود ، أو العدو الذي ما من صداقته بد . . .

والمتأمل في وثائق هذه الفترة ، سيلاحظ على الفور أن الأمريكيين يلحون في اتجاه واحد هو خطر الثورة ، أو الفوضى كما يسمونها ، وأن سيطرة الملك وهمية ولا يمكن الركون إليها ، والأمر الثاني أن النظام القائم غير قادر على المساومة أو قبول ما يعرضه الانجليز . . وبالطبع يمكن استنتاج ما الذي يرمي إليه الأمريكيون ، وهو حتمية إسقاط النظام ، ونفهم من حوارهم ، أن الانجليز لم يكونوا مرتاحين لهذا الحل ولا يريدونه ، فهو على أية حال نظامهم ، صنعوه على أيديهم وتعايشوا معه ، ولهم معه علاقات ومعاملات ، ولا أحد يحب

---

* كيرميت روزفلت .

المجهول ، خاصة إذا كان المطالب به والمتعهد تنفيذه هو هذا اللحوح المزاحم ، المعلومة أهدافه في كل مكان تقدم فيه « متطوعا » للإنقاذ !

وهاهو وزير خارجية أمريكا دين تشيسون يلخص الاجتماع الرابع بينه وبين أنطوني إيدن وزير خارجية بريطانيا ١٩٥٢/٦/٢٨ في الآتي :

« هل أنا على صواب إذا قلت أننا جميعا متفقون على أنه إذا كان الوضع هادئاً الآن في مصر فربما لن يكون كذلك في الخريف* . وأيضاً إن قضية اللقب (ملك مصر والسودان ج) هي أصعب مشكلة من وجهة نظر المصريين وأن العراق وباكستان واليونان اعترفوا حديثا باللقب وربما تعترف إيطاليا وبلچيكا وتركيا »[١٣] .

وقد يبدو غريباً أن يحرص وزير خارجية أمريكا على « تحليف » إيدن أنه وافق على احتمال « تدهور » الوضع في مصر أو عودة الثورة . . ولكن لا غرابة . . فإن الانجليز ظلوا متشبثين إلى آخر لحظة بأن الوضع غير ميئوس منه ، وأنه لا داعي لهذا القلق الأمريكي غير المشكور ! ففي الاجتماع السابق ، سأل « اتشيسون » « إيدن » ألا يتوقع تدهور الوضع في مصر في الخريف ؟ فرد سير « رالف ستيفنسون » السفير البريطاني في القاهرة إنه لا يتوقع ذلك فالبوليس تم تعزيزه بمعدات مكافحة الشغب التي قدمتها الولايات المتحدة . ربما إذا وقعت اضطرابات في جميع أنحاء البلاد فقد تكون فوق طاقة سيطرة الحكومة المصرية . ولكن هذا غير محتمل فهو يعتقد أن أية حكومة انتقالية ستحل محل حكومة الهلالي ، ربما ستركز على مشكلة إعادة توزيع الأرض وبذلك تحرف الأنظار عن النزاع الأنجلو - مصري » .

ولكن صاحب الحاجة ملحاح ، واتشيسون يريد الوصول إلى اعتراف بخطورة الوضع واستحالة معالجته في إطار النظام القائم ولا حتى بمساعدة من البريطانيين فيقول : « إنه يفضل أن يتعامل المصريون مع الاضطرابات بدلاً من البريطانيين » . ويوافق السفير البريطاني متحفظا بأنه « مجرد معرفة أن الانجليز على استعداد للتدخل (احتلال مصر) عند الضرورة هو رادع للاضطرابات » فيصر اتشيسون : « أن استخدام القوات البريطانية في الدلتا سيكون له نتائج خطيرة في الشرق الأوسط لا يمكن حسبانها . . ويرد ستيفنسون إنه لا مجال لاستخدام القوة العسكرية البريطانية إلا إذا فُقدت السيطرة على الوضع أو جاء طلب تدخلها رسمياً من الملك أو الحكومة المصرية ولو أنه لا يعتقد في إمكانية صدور هذا الطلب . . فقد أخبره الملك بعد اضطرابات ٢٦ يناير أنه لن يطلب أبداً تدخل القوات البريطانية لأن مثل هذا الطلب سيصمه بأنه « كويسلنج » ولكن إذا أصبح الوضع خارج سيطرته فسيعلم ستيفنسون بذلك . وهنا قال المستر إيدن إنه لا يتوقع إفلات الزمام ووافقه ستيفنسون قائلا : إن ٢٦ يناير قد علم المصريين درساً »[١٤] .

---

* موعد انفتاح الجامعة والمدارس وعودة النشاط السياسي في مصر عادة بعد عطلة الصيف . ولذلك جاء الانقلاب في الصيف .

واستمر الدق الأمريكي :

« في اجتماع وزير الخارجية بتاريخ ١٩٥٢/٦/٢٤ سأل وزير الخارجية الأمريكي : « أليست نهاية الطريق الحالي هو أن تخسر مصر السودان وتخسر بريطانيا القاعدة » . وقال :

« إن معلوماتنا تؤكد أن الملك ورئيس الوزراء الحالي لا يتمتعان بقدرة مطلقة لحفظ النظام والقانون »

من نائب وزير الخارجية الأمريكي للوزير ٥٢/٥/١٤ : « إن آخر ورقة بريطانية في مصر لعبت والنتيجة هي الجمود ونحن نرى الوضع على النحو التالي : إن قضية القناة والدفاع لا يمكن حلها بدون حل ما لقضية السودان أي اللقب وكافري وستيفنسون لا يشكان في ذلك . والنتيجة هي عدم اتفاق يمكن أن يجدد التطرف في مصر وانهيار الحكومة وإضعاف ولاء الجيش وسلطة الملك أي اطلاق انذار الحريق في العالم العربي » .

وترتفع نغمة التهديد : « بانهيار عام في مصر سيجعل الأمور أصعب ليس للبريطانيين بل ولنا أيضاً ، كما حدث في الهند الصينية ، وكما حدث في إيران وتونس ومراكش . . الخ . . أي إضعاف القوة المشتركة التي نحاول جميعاً خلقها » .

من السفير الأمريكي في مصر (كافري) إلى وزارة الخارجية الأمريكية

سري القاهرة ٨ مارس ١٩٥٢

« إنني مهتم بسوء الفهم البريطاني للوضع في مصر ، فهذا الحديث عن إزالة الفساد والتحرك ضد الوفد عظيم جداً ، ولكن هذا كله لا يجيب على سؤال : هل ستعيش حكومة الهلالي أم لا . . فهذا يتوقف على نتائج المحادثات المصرية ـ البريطانية . فإن لم تثمر شيئاً ، ـ وهو الأرجح ـ مادامت بريطانيا متمسكة بموقفها الحالي ، فإن علينا أن ننسى أي أمل في الاستقرار في مصر ، أو تحول مصر إلى موالاة الغرب بل إن احتمال الثورة والفوضى الشاملة في مصر ، أمر لا يمكن استبعاده ، نحن نقترب بسرعة من نقطة اللاعودة وإذا مضت مصر في هذا الطريق ، فالشك كبير جداً في قدرة بقية الشرق الأوسط على الصمود » .

○ من هذه المذكرة تتبين بوضوح أن الهدف المتفق عليه بين الانجليز والأمريكان هو « التحرك ضد الوفد » أما الخلاف فهو : هل تستطيع حكومة الهلالي ضرب الوفد إذا ما رفض الانجليز تدعيمها ببعض التنازلات ؟! الأمريكان يشكون في ذلك بل يقطعون بعجز حكومة الهلالي عن تحقيق الهدف المشترك وهو ضرب الوفد .

○ مصر من وجهة نظر السفير الأمريكي حبلى بثورة ضد المصالح الغربية . . ثورة شاملة ثورة حقيقية . . ولابد من إجراء ما ، يحول دون هذه الثورة . .

وفي نفس الرسالة وضع السفير الأمريكي الذي يوصف بأنه خبير في إجهاض الثورات

وتدبير الانقلابات ، وضع تقديرا للموقف في مصر بعد تولي الهلالي جاء فيه :

« ١ - إن حكومة الهلالي من وجهة نظرنا هي حكومة ممتازة ، ومع ذلك فإنها لم تأت للحكم بإرادة شعبية بل بفعل مؤامرة سياسية ، وخاصة أن مطاردة الوفد هي هدف جانبي لهذه الحكومة وتبنته أساسا عن اقتناع بأن الإنجليز يطلبون ذلك .

٢ - برنامج الهلالي عن الحكومة الصالحة أكثر جاذبية للغرب منه للمصريين الذين يعرفون أن الإصلاح والحكومة الصالحة هي مجرد شعارات سياسية وليست حقائق .

٣ - أن كل الأهداف النبيلة لحكومة الهلالي عن مقاتلتها للوفد يجب أن ينظر إليها في ضوء الحقائق التالية :

أ - الوفد والإخوان وحدهما يمتلكان تنظيمات قوية ، أما الهلالي فليس معه إلا تنظيمات جد ضعيفة للسعديين والأحرار الدستوريين .

ب - الإصلاحات الحكومية التي ينادي بها الهلالي تنتج آثاراً يمكن للمشاغبين استغلالها في المدى القصير لأن نتائجها لا تظهر إلا على المدى البعيد ، والهلالي ليس لديه الوقت الكافي لجني ثمارها .

جـ - هناك كميات كبيرة من الأسلحة غير المرخصة في يد الأفراد .

د - الطلبة المعبئون بالكراهية والسخط على استعداد لاتباع أي ناعق مضلل يعدهم بالخلاص .

هـ - الفلاحون ، وأحوالهم المعيشية معروفة إلى درجة تغني عن التذكير ، يتطلعون إلى القاهرة بعين الترقب .

و - طالما الجيش على استعداد لإطلاق النار فإن النظام يمكن حمايته في القاهرة ، ولكن إذا قرر « الوفد » إثارة الاضطرابات في الأقاليم فإن الحكومة لا تملك القوات الكافية لإطفاء النار في كل أنحاء البلاد ، ورغم تعزيز البوليس أخيراً فلا يمكن الاعتماد عليه ، وإذا كان موقف الجيش ايجابياً حتي الآن ، إلا أن هناك شكوكاً حول ما إذا كان صغار الضباط سينفذون بفعالية أية أوامر تصدر إليهم باستخدام القوة ضد الوفد .

ز - هناك خطر جد حقيقي بأن يقيم الوفد حلفاً غير مقدس مع الإخوان المسلمين أو الشيوعيين أو هما معاً لا تستطيع حكومة الهلالي مواجهته .

ح - يعمل الوفد الآن على تشجيع النشاط ضد القصر وصبغ الهلالي بلون العميل للقصر والانجليز ، وهذا النشاط (الوفدي) قد يسبب تدهوراً في نفوذ الملك الذي كان أحد المصادر الأساسية لاستقرار مصر بعد حوادث ٢٦ يناير .

ط - ولو أن الشرط الأول الذي وضعته بريطانيا لاستئناف المفاوضات قد نفذ ، واختفى الإرهابيون من منطقة القنال ، وإن كان ذلك ميراث كفاءة حكومة علي ماهر ، إلا أن عناصر التخريب هادئة فقط لاعتبارات ستنهار إذا ما عجزت حكومة الهلالي عن تقديمها .

٤ ـ وعلى ضوء هذه العوامل فقد اقتنع الهلالي بأنه لا يستطيع ضرب الوفد إلا إذا أحرز نجاحاً في تحقيق الأهداف الوطنية التي تجسدت في الجلاء ووحدة وادي النيل » .

جيفرسون كافري
سفير الولايات المتحدة
مارس ١٩٥٢

وينذر السفير الأمريكي فيما يبدو الآن ، وكأنه هيستيريا ، ولكن وقتها ، وفي ظل الإمكانية الحقيقية لانفجار ثورة مصر الكبرى . . الثورة الصادقة ، فإن إنذارات السفير الأمريكي لا يسهل وصفها بالمبالغة الشديدة .

« إذا استمر اتجاه التفكير البريطاني الحالي ، فيتوجب علينا أن نواجه حقائق الموقف ، ونحدد إلى أي مدى يمكننا في ظل التزاماتنا في شتى أنحاء العالم ، إبلاغ البريطانيين أننا مضطرون إلى فك ارتباطنا بهم في الشرق الأوسط ، لأننا نعتقد أنهم مخطئون فيما يفعلون . فإذا لم نكن مستعدين لتوجيه هذا التهديد بكل وضوح فمن الأفضل ألا نحاوله ، إذ لن يفيدنا التهويش .

« وربما كان الاعتراف المنفرد من جانب الولايات المتحدة بلقب ملك السودان يمكننا وحدنا من الاحتفاظ بمصر على هذا الجانب من الستار الحديدي ! أما الخيار الثالث ، فهو الانضمام إلي البريطانيين في الاحتلال العسكري لمصر ، هذا الاحتلال الذي يقول البريطانيون إنهم لا يستطيعونه بمفردهم . ويبقى الخيار الرابع ، وهو تهيئة أنفسنا لقبول حتمية الخروج من مصر والشرق الأوسط . . وإذا كان هذا هو ما سيحدث ، فأعتقد أنه قد آن الأوان لبحث تصفية استثماراتنا وتقصير خطوطنا . . وكلما أسرعنا في ذلك كان أفضل » !!

السفير الأمريكي يحذر من ثورة لا تبقي ولا تذر ، يقودها تحالف من الوفد والإخوان والشيوعيين . . والغريب أنه بعد ٣٥ سنة مازال هذا هو عين الخطر الذي يخشونه . . وقد يكون بعض الحل الذي مازلنا ـ أيضاً ـ نريده . . فالتاريخ يكرر نفسه في بلادي !

وأظن أن الأمر لا يحتاج لتحاليل ولا لكبير ذكاء لمعرفة ما الذي يقترحه السفير الأمريكي ، إنه يحاول إقناع حكومته لتقنع الانجليز ، أن الحلول البريطانية الترقيعية غير مجدية وفات أوانها ، وأنه لابد من قوة جديدة لها من الشعبية ومن الفجور ما يمكنها من ضرب الوفد والإخوان والشيوعيين وإجهاض الثورة المتجمعة في الأفق ، وفرض التسوية التي تقبلها جميع الأطراف المعنية بإبقاء وحماية المصالح الاستعمارية في الشرق الأوسط . . وأخيراً إطلاق يد الولايات المتحدة لتجربة أساليبها ، ووضع هذه القوة الجديدة في السلطة ، وهذا ما حدث بانقلاب ٢٣ يوليو ١٩٥٢ . .

فإلى هناك . .

المراجع

١ ـ حديث مع إبراهيم باشا فرج نوفمبر ١٩٨٦ .
٢ ـ دراسة قيمة للدكتور على عبد العزيز سليمان نشرت في مجلة الأهرام الاقتصادي عدد ١٩٨٦/١٠/٢٠ .
٣ ـ الانحدار إلى السويس : شوكبرج ص ٢٩ Descent to Suez : Evelyn Shuchbourgh

٤ ـ ص ١٦ « قطع ذيل الأسد » .
٥ ـ روجر آلن ١٩٥١/١١/١٧ .
٦ ـ ص ٦٩٥ ملفات السويس .
٧ ـ رسالة لوزارة الخارجية البريطانية ١٩٥٢/٧/٣ .
٨ ـ انظر أمين هويدي .
٩ ـ ص ٩٩ ملفات السويس .
١٠ ـ End of Empire. By : Brain lapping
١١ ـ الانحدار للسويس :
١٢ ـ باري روبين ص ٦٨ .
١٣ ـ وثائق الخارجية الأمريكية .
١٤ ـ ن . م .

الملاحق

م[١] ـ لم يحظ الملك فاروق ، إلى الآن ، بدراسة موضوعية من المؤرخين أو المحللين المصريين ، وكان هذا متوقعاً إلى حد ما في ظل الكبت الفكري الناصري ، ولكن لا يجوز استمراره بعد زوال هذا العامل ، ولسنا بصدد هذه الدراسة ولكن نشير إلى هذه الحقائق :

* فاروق خلع من العرش وعمره ٣٢ سنة !
* فاروق تعرض لحملة إعلامية واعية لتحطيم سمعته من هذه الجهات :

الصهيونية بسبب قيادته الموقف العربي في حرب فلسطين ١٩٤٨ ، ورفضه الاعتراف بإسرائيل

ووعيه بخطرها . وفي محادثة له في نوفمبر ١٩٤٩ مع الأمريكيين طرح فكرة ميثاق الدفاع العربي وحدد أهدافه هكذا :

أولا : فلسطين . . وثانيا : روسيا؛ وقال إنه « يتوقع سعي اليهود إلى احتلال سيناء والقناة وأنه لن يقف مكتوف اليدين ويريد فرقة مدرعة للقتال » . وقد نشرنا محادثته مع السفير الأمريكي واصراره على رفض الاعتراف بإسرائيل (مجلة الحوادث ١٩٧١) وفي وثائق الخارجية الأمريكية أن أبا أبيان ابلغ الوزارة في ٣١ يوليو : أن خلع الملك لا يضير إسرائيل لأن الملك تبنى موقف العرب المتصلب ، كما أصدر تعليماته لسفرائه بأن يسقطوا من حسابهم أي احتمال للسلام مع إسرائيل » .

انجلترا : وقد شنت حملة شعواء ضد الملك فاروق ، من ناحية لمحاصرة نفوذه في العالمين العربي والإسلامي ، وبالأساس نفوذ مصر ، وثانياً : لتبرير موقفها منه خلال الحرب العالمية الثانية ، وثالثاً : لمواجهة مطالبة مصر بوحدة وادى ألنيل تحت التاج المشترك وهو تاج فاروق ، ومن ثم فإن تشويه سمعة فاروق تشوه مكانة واحترام « التاج » وقد أشرنا في فصل السودان إلى حملة الموظفين الانجليز هناك ضد شعار التاج المشترك **Joint Crown** واستخدام شعار : **Joint Clown** للسخرية من الشعار والملك . وكيف كان حاكم السودان ومحمد حسنين هيكل يروجان أن حكومة الانجليز أفضل للسودان من حكومة مصر !

وأخيرا تعرض الملك لحملة تشويه مكثفة من المخابرات الأمريكية تمهيداً لخلعه .

فإذا وضعنا كل هذه الاعتبارات في الحسبان وأضفنا إليها حاشية الملك التي كانت تضم أوباشاً ومرتزقة وجواسيس لشتى المخابرات ، وفي مقدمتهم لبناني قواد من الذين يلتصقون كالبلهارسيا بالملوك حتى يسلبوهم ملكهم . . ثم النظام السياسي ، وطبقة المستوزرين من حثالات أحزاب الاقلية أو المستقلين الذين أغروه بالاستبداد ، وبالاستهتار بالنظام الدستوري ، كل هذه العوامل بحاجة إلى دراسة موضوعية تقيم فعلاً دور السراي في السنوات الأخيرة ، وحجم مسئولية فاروق ورجال القصر ، وفي مقدمتهم « علي ماهر » الذي جاءت الثورة به إلى الحكم ولو إلى حين . بل لعلنا لا نطلب كثيرا من مؤرخينا لو وضعوا دراسة شاملة لدور السراي منذ محمد علي .

م٢ ـ في أوائل عام ١٩٥٠ اقترح الرفيق « س . . » إنشاء حزب للفلاحين يرأسه « خالد محمد خالد » الذي كان وقتها ، يمثل شخصية أسطورية خرجت من ملفات الثورة الفرنسية ، وقد تم لقاء بين الرفيق س . . وخالد محمد خالد ووافق الأخير فعلاً على الفكرة وكان واضحاً أنه يدرك هدف الحزب الشيوعي الذي كان يمثله « س » في هذا الوقت ، ولكن قيادة الحزب الشيوعي جبنت وتخلت عن الفكرة بل واتهمت « س . . » أنه يحاول عمل تنظيم منافس للحزب ، والاحتفاظ بالخلايا التي كان « س . . » نفسه قد كونها في الصعيد (ملوي أساساً) ومن هذا التاريخ انسحب « س . . » من الحزب الشيوعي . ولذا يرجى ممن يتناولون كتابات « س » في تلك الفترة أن يراعوا هذه الحقيقة ، فهي بلا شك متأثرة بخط الحزب ولكن لا تعبر عن رأي الحزب ولا صدرت بإيعاز منه ، بل يمكن القول إنها بلا استثناء كانت ضد إرادة الحزب وصدرت قرارات بحظر قراءتها على الأعضاء الملتزمين .

ومن الغريب أن مؤرخاً في علم وحيدة الأستاذ طارق البشري يبذل جهداً لا مبرر له في البحث عن صلة كتاب « الجبهة الشعبية » بالحزب الشيوعي . مع أنه كتب على غلافه بصريح العبارة : « هذا رأي محمد جلال الشخصي ولا يعبر عن رأي أي حزب أو تنظيم » ! ومن الممتع أن نفس الشخص الذي طلب وأصر على أن توضع هذه العبارة على الكتاب تبرؤاً منه ، عاد بعد ثلاثين سنة ينتحل الكتاب ويزعم أنه كان من توجيهات الحزب !

صدق أبي « من جلس حيث يحب وهو صغير جلس حيث يكره وهو كبير » . والعكس صحيح !

م[٣] ـ مما هو جدير بالملاحظة أن كتاب « Descent to Suez » « التردى إلى السويس » لمؤلفه « ايفيلين شوكبرج » وهو عبارة عن يوميات المؤلف في الفترة من ٥١ ـ ٥٦ حيث كان يشغل منصباً هاماً في وزارة الخارجية هو رئيس السكرتارية الخاصة للوزير . من العجيب أن اليوميات لم يرد بها حرف عن حريق القاهرة وكأنه لم يقع !

ذلك أن الجنتلمان الانجليزي يحرق عاصمة ولكنه لا يكذب على التاريخ ومن ثم فهو يتحول إلى القرد الذي لا يسمع ولا يرى ولا يؤرخ !

م[٤] ـ من محاولات التزوير الصارخة حكاية الخطة « روديو » ، أستاذ الفبركة ، يدعي أن الخطة وضعت ضد حكومتهم (حكومة ناصر) بينما حقائق التاريخ والوثائق تثبت أنها وضعت ضد حكومة الوفد وكانت معدة للتنفيذ ليلة حرق القاهرة . وقد تعرضنا لذلك في موضعه ، ولكنه أيضاً حاول أن يخفي السبب الذي منع بريطانيا من تنفيذ تلك الخطة في عهد ناصر ـ أي احتلال مصر ـ فسرها بسبب الشعب المصري والجيش المصري : « لأن الحكومة الآن في القاهرة غير الحكومة ، والشعب غير الشعب . والجيش المصري في هذه المرة سوف يكون بالكامل مع حكومته » ص ٢٤٢ ملفات .

وكان يكفي لكي نكشف كذبه وافتراءه ، أن نصفعه بسؤال . . ولماذا لم تنفذ بريطانيا الخطة قبل الانقلاب والحكومة غير الحكومة . . الخ ! هو احتاط لذلك بأن أجرى تعديلاً « بسيطاً » في تاريخ الخطة فنقله من ديسمبر ١٩٥١ إلى ما بعد الانقلاب !!

الشعب غير الشعب . . !

ومتى كان لمثلك معرفة بالشعب ؟!

إن كنا ستتحدث عن قدرة الشعب على التعبير والمشاركة والمواجهة فأي مزور يجرؤ على ادعاء أن الشعب « الحر » في عام ١٩٥١ كان أقل قدرة أو رغبة في مقاتلة الانجليز من الشعب الأسير الذي ألغيت أحزابه ونقاباته وصحافته ونكل بقياداته فألقى بالشيوعيين والإخوان والوفديين والاشتراكيين والوطنيين من أبنائه في السجون والمعتقلات . . ؟! نعم هذا الشعب غير الشعب ، بمعنى أنه أصبح أقل قدرة على المقاومة . وهو ما تؤكده خبرة التاريخ .

أما عن الجيش فرغم كل ما قاله الانجليز وما يردده أمثالك ، لم نشك لحظة واحدة أن « جانباً منه » سينضم للانجليز أو يقف على الحياد في حالة هجومهم على مصر والعياذ بالله حتى عندما كان

ضباطه هم شلة ناصر قبل أن يتربعوا على كراسي السلطة . . وهل من المعقول ألا ينضم الجيش لحكومة القاهرة مهما كانت في حالة غزو بريطاني ؟ . . شعبنا كان أنبل وأصدق وعياً عندما التف حول حكومة ناصر عندما ظنت بريطانيا أن أفعالها تمكنها من غزو مصر دون مقاومة من الشعب .

ولماذا اللف والدوران . . مادمت بعد كل هذه الحيثيات تطرح السبب الحقيقي ، فتقول إن العامل الذي في منتهى الخطورة ويمنع الانجليز أو منعهم من احتلال مصر هو « أن الأمريكيين لن يكونوا مع بريطانيا بالكامل » ص ٢٤٢ ملفات !

فلماذا التضليل والتدجيل واختراع الأسباب ؟!

م° ـ حاولت الحكومة المصرية تخفيف قبضة بريطانيا على الأرصدة المصرية ، فاشترت بما قيمته ٤٧ مليون جنيه ذهباً وسندات على الخزانة الأمريكية لتغطية الجنيه المصري الذي عراه عسكر عبد الناصر فيما بعد ، كذلك كانت بريطانيا مدينة لمصر في تقدير وزارة الخارجية الأمريكية بتاريخ ٢٤ فبراير ١٩٥٠ مدينة بألف مليون دولار ! . . أكرر منعاً لسوء الفهم مصر كانت دائنة وبريطانية مدينة . . أي مصر لها عند بريطانيا وبريطانيا مديونة مستلفة من مصر ألف مليون دولار تعادل الآن بحسابات هيكل مائة بليون أو مليار أو مائة ألف مليون دولار . . ضاعت كلها وأصبحنا مدينين بما يقرب من خمسين بليونا ! . . كذلك عرضت حكومة النحاس إقراض سوريا ثلاثة ملايين جنيه وكانت القروض في ذلك الزمن الرجعي تعقد بالجنيه المصري . . أحد أقوى العملات العالمية .

كما قامت بريطانيا بإلغاء صفقة سلاح كانت قد عقدت مع مصر ودفع قسط من ثمنها . وخلال معركة القناة منعت وأنقصت بريطانيا كميات الوقود التي تصل لمصر .

م٦ ـ في ٢٥ يونيو ١٩٥٠ بدأت حرب كوريا ودُعيَ مجلس الأمن بناء على طلب أمريكا لإصدار قرار بإدانة كوريا الشمالية بالعدوان وإرسال قوات أمريكية أساساً تحت علم الأمم المتحدة للقتال مع كوريا الجنوبية وطلب مندوب مصر تأجيل إعلان موقفه حتى يتصل بالقاهرة وقرر مجلس الوزراء (الوفدي) رفض القرار وانفردت مصر بهذا الموقف ، وقد روى لي « إبراهيم باشا فرج » بعض ذكرياته عن هذا الموقف فقال : « في هذه الفترة بالذات كنا نجري مفاوضات مع الانجليز وبمداخلات مع الأمريكيين فلما اتصل « محمود عزمي » ممثل مصر الدائم في الأمم المتحدة يطلب التعليمات ، وأمره النحاس باشا بالتصويت ضد المشروع الأمريكي أو على الأقل الامتناع عن التصويت ، حاولت ـ يقول إبراهيم باشا ـ أن أثنيه عن هذا الموقف خوفاً من تأثيره على المفاوضات فكان رد النحاس باشا : « ينفلقوا » . .

بل ويضيف الوزير الوفدي : « إن الصليب الأحمر طلب معونة من الأرز (كانت مصر وقتها من الدول ذات الفائض الكبير في الأرز . ج) فوافق صاحب المقام الرفيع النحاس باشا بشرط أن يوزع الأرز المصري للكوريين على جانبي خط النار . . أي للكوريين الشيوعيين والجنوبيين . .

أما موقف الوفد من الدفاع المشترك فقد جاء في تقرير للسفير البريطاني ـ على ذمة هيكل ـ أنه لما اقترح على سراج الدين دفاعاً اقليمياً (مقابل الجلاء عن مصر والسودان) ربما يضم تركيا أجاب

سراج الدين قائلاً : « إن هذا لن يصادف هوى في بلاده » . فلما زالت الحكومات التي تراعي هوى البلاد وجاءت حكومة تراعي « خاطر » السفير الأمريكي قبل عبد الناصر الدفاع عن تركيا . .

أما رفض الدفاع المشترك فله قصة رواها لي فؤاد سراج الدين قال :

فور إلغاء حكومة الوفد لمعاهدة ٣٦ . . أعدت أمريكا وبريطانيا وفرنسا وتركيا مشروعاً للدفاع عن الشرق الأوسط ، وطلب سفراء الدول الأربع لقاء موحداً مع وزير الخارجية المصري ، لتسليمه نص البيان ، فيما يشبه الإنذار ، أو على الأقل المظاهرة الجماعية ، فهي أول مرة يتقدم سفراء أربع دول معاً ببيان إلى حكومة مصر منذ خلع إسماعيل ! واتصل وزير الخارجية « محمد صلاح الدين » بسكرتير الوفد فؤاد سراج الدين يطلب رأيه ، فرفض على الفور فكرة مقابلتهم مجتمعين وطلب من وزير الخارجية أن يحدد لكل منهم اجتماعاً منفرداً ، وقد كان وتتابع السفراء يتقدمون بنفس البيان ، حول الدفاع المشترك وبعد اللقاءات توجه محمد صلاح الدين إلى مجلس الوزراء الذي كان مجتمعاً حيث عرض « التبليغ » الإنذاري ، وقرر مجلس الوزراء الوفدي ، رفض البيان ، رغم وجود ثمانين ألف جندي بريطاني ورغم أنه إنذار صادر من الرابعين والجايين معاً ! ورغم القصر المتربص . وكان قرار الرفض بالإجماع ، ولو أن « صلاح الدين » كان رأيه التريث ، لأن الرفض الفوري ـ في رأيه ـ يعني موقفاً مسبقاً ، يمكن وصفه بالتعنت ، وأنه لا مانع من التظاهر بالدراسة والاستعداد للحوار ثم الرفض ولو بعد أسبوع ولكن النحاس وبقية الوزراء رفضوا هذه المناورة ، على أساس أنها تشكك في أصالة الموقف المصري بما تخلقه من انطباع خاطيء بإمكانية المساومة . وصدر تكليف لوزير الخارجية (محمد صلاح الدين) بإبلاغ البرلمان ـ فوراً ـ بالرفض .

ولكن صلاح الدين اختفى في اليوم التالي ولم يذهب للبرلمان ، وأوشكت الجلسة أن تنفض وفشلت كل الجهود في العثور عليه . وهنا تدخل سراج الدين لإنقاذ الموقف بمناورة سياسية إذ استعان بأحد نواب المعارضة وهو المرحوم حامد العلايلي وهو « حر دستوري » ولكنه يدين لفؤاد باشا بمقعده في البرلمان وتلك قصة أخرى ، المهم أوعز فؤاد باشا لنائب المعارضة بأن يتقدم بطلب سماع معلومات الحكومة عما يقال عن بيان سلمته الدول الأربع ! فلما تقدم النائب بالاقتراح اعترض رئيس المجلس الوفدي قائلاً : « إن الحكومة وحدها ، لها الحق في إضافة نقطة ليست في جدول الأعمال . . ولكن رئيس المجلس والمجلس فوجئوا بفؤاد سراج الدين يرد بأن الحكومة لا تعارض تنوير المجلس ، وكان أن أبلغ المجلس والعالم كله رفض الوفد للبيان الرباعي . . وهكذا كانت الحكومات الوطنية تحرض المعارضة على استجوابها . . ! فلا تخشى المعارضة إلا من يستحي من أفعاله ومواقفه .

م٧ ـ ألم يشكو تقرير السفارة البريطانية من الصحافة المحلية في عهد الوفد ، بسبب « النشر السيء » الذي يفسد أي أمل في نجاح المفاوضات « وهناك احتمال كئيب ألا وهو أن جميع ما يمكن أن أقوله في هذه الأحاديث (المفاوضات) إنما يواجه خطر ملء عناوين الصحف في اليوم التالي» . ص١١٧ع عن تقرير للسفير البريطاني .

كان لابد أن يحدد صلاح سالم وعبد القادر حاتم وهيكل ما ينشر في اليوم التالي لكي تنجح المفاوضات . . وقد كان !

الفصل الثالث

.. في البدء جاء الأمريكان !

« .. الصلة بين الضباط « الأحرار » (. . .) وأمريكا بدأت في مارس ١٩٥٢ . . »

خالد محيي الدين

إذا كانت جوقة الناصريين والخاضعين لابتزاز « هيكل » قد استطاعت مستغلة جهل قارئيها ، أن تصورني وكأني أنا الذي اكتشفت البارود ، أعني علاقة انقلاب يوليو بالأمريكان ، فتلك كما قيل : شرف لا أدعيه وتهمة لا أنكرها . . فلست من الغرور بحيث أسكت على هذا الادعاء مغتبطاً به ، ولست أيضاً شديد التواضع إلى الحد الذي يدفعني لإنكار ما ساهمت به في نشره وتطويره . . فالحق أنه لا تكاد توجد وثيقة أو حكاية تتعرض لتاريخ انقلاب يوليو إلا وأشارت إلى علاقة هذا الانقلاب بالمخابرات الأمريكية ، كأمر مفروغ منه ، لا يحتاج لنقاش أو إثبات ، وبعض الدراسات عن تلك الفترة أو عن نشاط المخابرات الأمريكية بصفة عامة تورد هذه الحقيقة في الهامش ! . . تماما كما يتعرض أي مصدر ـ محترم ـ لما يسمى بالثورة العربية أو حركة الشريف حسين في الحرب العالمية الأولى ، فإن هذا المصدر أو الدراسة لا تجد نفسها مطالبة بتسويد الصفحات لإثبات علاقة تلك « الثورة » بالمخابرات البريطانية ، وخاصة أن لورنس وعلاقته بتلك الثورة أشهر من الشريف حسين .

وأنا أكتب هذه السطور اتصل بي طالب من مدينة « سالت ليك سيتي » في ولاية يوتاه الأمريكية ، ولاية طائفة المورمون المنشقة عن الكاثوليكية وألد المعادين لها ، اتصل بي قائلاً : لقد فتحت التليفزيون فجأة (مساء الخميس الثاني من يوليو ١٩٨٧) فإذا به يعرض برنامجاً عن ثورة يوليو . . ـ هكذا قال ـ ووجدت المذيع يقول حرفياً : « ولما كانت الـ CIA (المخابرات الأمريكية) قد تغلغلت في تنظيم الضباط الأحرار ، فقد تخلت الولايات المتحدة عن الملك فاروق » وسألني بدهشة . . هل هذا صحيح ؟! ويقال بهذه البساطة ؟! فقلت له : ماذا تعرف يابني عن لورنس ؟ قال : لورنس أوف آرابيا ؟ . . قلت : نعم ! بعد خمسين سنة سيقول أولادك : « روزفلت أوف إيجيبت » أو « روزفلت أوف ٢٣ يوليو ! » ومن أجل ألا يقال إن المصريين لم يكونوا أفضل من بدو « عوده أبو تايه » وعرب ١٩١٦ . . أو على الأقل من أجل أن نبريء ذمتنا إذا قيل ذلك ، نكتب هذا الحديث . .

ومنذ عامين دخلت مكتبة في مطار لندن أبحث عن كتاب أتسلى به في الجو ، فوجدت رواية انجليزية بعنوان « امرأة من القاهرة » فاشتريته . . فإذا به من تأليف « نويل باربر » الذي كان رئيساً للقسم الخارجي بجريدة « الديلي ميل » البريطانية والذي عاش في القاهرة فترة وفي مركز سمح له بأن يلتقي بالملك فاروق وعبد الناصر والسادات ، وأصيب بطلقة في الرأس خلال الانتفاضة المجرية . أما الرواية فهي رواية تاريخية عن القاهرة من ١٩١٩ إلى ما بعد « ثورة يوليو » . . وقد لفت انتباهي ادعاءان جاءا عرضاً في سياق فصول الرواية :

الأول : أن طائرة عزيز المصري لم تسقط بسبب خطأ الميكانيكي الذي أعدها والذي يقال إنه نسي وأغلق مفتاح الزيت بدلاً من فتحه ! وهو التفسير الذي نشأنا عليه ، بل يقول « باربر » إن المخابرات البريطانية هي التي دبرت عن طريق عميل لها كان معهم ، إسقاط الطائرة التي كان يسوقها ذو الفقار صبري شقيق علي صبري الذي تحيط به ألف علامة استفهام .

الثاني : قوله إن « ناصر » كان على اتصال بضابط المخابرات الأمريكية ستيفنسون خلال الحرب العالمية الثانية »[1] .

وعلى الفور أغلقت الرواية وسبحت مع الأفكار . .

فالادعاء الأول مقبول ، بل إنه يزيح عبئاً ثقيلاً كان يرهق تفكيري ، فقد استحال عليّ أن أبلع هذا التفسير الغريب لسقوط طائرة عزيز المصري ، هذا التفسير الذي يجعل من تاريخنا سوء حظ مزعج بل أبله . . كذلك لم أفهم أبداً كيف يخطيء ميكانيكي « الطائرة » ، هذا الخطأ وفي هذه اللحظة « يقفل مفتاح الزيت » بدلاً من أن يفتحه ! ورغم جهلي بالطائرات ، فأنا أعتقد أنه خطأ غير ممكن عملياً ، بل أشبه بالنكتة ، مثل قولك : أراد أن يسرق سيارة فنسي وقفل مفتاح البنزين بدلاً من فتحه ! لأن مفتاح الزيت في الطائرة الرابضة يكون مغلقاً فإما أن يفتحه من يعدها أو يتركه كما هو وإنما لا يستطيع أن يغلقه مرتين . . !

ومن الأرجح أن المخابرات البريطانية ما كانت لتترك عزيز المصري بدون مراقبة من الداخل ، رغم كل ما تعرفه عن تاريخه وميوله ، ولابد أنه كان لها عين قوية قادرة بجانبه ، فالمخابرات لا تكتفي بالعلم بل توجه العمل وتشارك فيه لتخريبه ، ولابد أن هذا الصحفي الانجليزي « المتصل » قد علم شيئاً استند عليه في هذا الادعاء . وإن كان وفقاً للتقاليد البريطانية ، المرعية وقتها على الأقل ، جعلها في شكل رواية خيالية ! . .

أما الادعاء الثاني فنحن لا نأخذ به كدليل . فليس هناك ما يعززه ، وقد وقفت في كتابي السابق عند إثبات اتصال تنظيم عبد الناصر وعبد الناصر بالمخابرات الأمريكية عشية الثورة ، وعلى الأرجح في مارس ١٩٥٢ ، ومازلت لا أملك دليلاً مقنعاً على وجود اتصالات مع عبد الناصر سابقة على هذا التاريخ ، ولكني أعترف أن الشك يتزايد عندي حول حقيقة علاقة عبد الناصر بالمخابرات الأمريكية ، إذ سيرى القاريء من استعراض الوقائع والوثائق

استحالة أن يقبل « ضابط وطني » لجأ للأمريكيين عشية الثورة لمجرد تأمينها ضد الانجليز ، أقول يستحيل أن يقبل هذا الضابط من الأمريكيين مثل هذه المعاملة التي سنقدم بعض نماذج منها . . فيضع السفارة الأمريكية من قيادة الثورة في منزلة السفارة البريطانية من حزب السعديين أو حتى الأحرار . فهناك مواقف تكاد تنطبق حرفياً على مسلكية زيور باشا ، وليس المفترض في أو من ضابط ثار ضد امتهان كرامة الوطن المتمثل في خضوع الملك والوزراء ، للانجليز .

الحق أن الأمر يبدو أكبر مما نحاول إثباته . . ومع ذلك فأنا لا آخذ ما جاء في الرواية كدليل بل مجرد قرينة ، ففي الروايات التاريخية يسمح بالخيال ، ولكن في حدود الممكن بالنسبة للشخصية التاريخية ، فيستطيع « جورجي زيدان » أن ينسج من الخيال ما شاء عن قصة حب بين العباسة وجعفر البرمكي ، ولكنه لا يستطيع أن يقول إن جعفر كان كاثوليكياً وأقنعها بالتنصر وهربا إلى الدير . . أو أن جعفر البرمكي كان عميلاً لامبراطور بيزنطة ! . . الخ ولا يستطيع كاتب روائي أن يؤلف قصة عن الصين فيدعي أن « ماو » كان عميلاً لليابانيين لأن ذلك يستحيل تاريخياً وعقلياً . وكما قال الأقدمون : « التمثيل الناجح هو الذي ينعدم فيه التمثيل » كذلك فإن الرواية التاريخية تغدو بلا معنى إذا ما قامت على فرضية لا أساس لها على الإطلاق . . لابد أن علاقة عبد الناصر بالمخابرات الأمريكية كانت حقيقة معروفة ، ومقبولة في أوساط الصحفيين البريطانيين ـ على الأقل ـ في سنوات الثورة ، ولابد أنها كانت كذلك ـ ولا تزال ـ في الأوساط التي ألف لها « نويل باربر » روايته حتى سمح لنفسه ـ وهو من هو ـ بأن يجعلها عنصراً أساسياً في حبكة روايته . .

وهذه كلها مجرد دردشة أو حتى ثرثرة ، ولا تدين أحداً . . وإنما أريد أن أقول إنني لست الوحيد الذي أثار هذه القضية ، ولا حتى الأول ، بل إنها خرجت من كتب التاريخ لتأخذ مكانها في الفن والقصص والفلكلور كبديهية مسلم بها . . وقد أوردت في كتابي السابق العديد من المصادر الرسمية والأخرى الموثوق بمعلوماتها التي أشارت إلى دور المخابرات الأمريكية في انقلاب يوليو . وخلال الفترة ما بين صدور كتابي الأول وهذا الكتاب تجمعت عندي بعض المصادر الجديدة ، بعضها كان قد نشر ولم أطلع عليه ، وبعضها نشر بعد كتابي السابق :

خذ هذا المصدر نقلاً عن حوار منشور :

س : يقال إنه كانت هناك صلة بين الضباط الأحرار وبين الأمريكان . . ؟

ج : الصلة بين الضباط الأحرار وبين أمريكا بدأت في مارس ١٩٥٢ . . وقد شعرت أنا بذلك قبل أن أقرأ كتاب « كوبلاند » من موقف عبد الناصر من الاتجاه اليساري . . فقد بدأ في ذلك الوقت يطالبنا بالتخفيف في المنشورات ، كما بدأ ينتقد التفسير العلمي للتاريخ ، مع أنه كان يتقبله قبل ذلك ، وحتى بدأ يكتب المنشورات بنفسه بعد أن كنا نحن نكتبها ، فعل

ذلك مرة أو مرتين ، وكنت أتصور أنا أن هذا من تأثير جمال سالم عليه ، فجمال سالم دخل اللجنة القيادية من يناير ١٩٥٢ . ومن يومها بدأنا نسمع كلاماً عن الحكم الديكتاتوري وكلاماً عن التفاهم مع أمريكا وعن خطر الشيوعية من جمال سالم ، ولاحظت أن جمال عبد الناصر بدأ يسكت . من هذا يتضح أن الضباط الأحرار لم تكن لهم أي علاقة بالأمريكان في الفترة التي حدث فيها الحريق . وإنما بدأت هذه العلاقة من مارس ١٩٥٢ .

ترى من هو معلن هذا الاتهام الخطير ، الواضح التاريخ (مارس ، المتفق عليه في شتى الروايات) الواضح التفسير ، وهو التخلي وفجأة عن الاتجاهات الوطنية ـ اليسارية والتركيز على الشيوعية لا الاستعمار . . (وهناك نص آخر لنفس المصدر نسب فيه لعبد الناصر بعد مارس ١٩٥٢ طلب حذف الهجوم على الاستعمار الأمريكي) .

صاحب هذا التصريح ليس ليفي اشكول ولا ساداتي موتور . . بل « خالد محيي الدين » شخصياً ، عضو مجلس قيادة الثورة والمرشح لرئاسة الوزارة في مارس ١٩٥٤ وزعيم حزب التجمع ، أكبر مستودع ناصري في مصر . . وهو لم يقل هذا تحت التعذيب في سجون الإخوان بعد استيلائهم على الحكم ، ولا في حديث خاص يمكن إنكاره ، ولا في مذكراته التي ستنشر بعد وفاته . . بل في كتاب يباع على الأرصفة منذ سنوات »[٢] !

هل أستحق اللوم إن فار دمي واحتدت عباراتي في الرد على بغايا الفكر عملاء الاستعمار ومن هم أحط من الاستعمار . . وهم يتطاولون عليّ في صحيفة « خالد محيي الدّين » لأنني قلت نفس الشيء الذي قاله بل افتخر زعيمهم بكشفه قبل أن يقرأ « مايلز كوبلاند » ؟! كيف تقبل ضمائرهم إن لم تكن قد استؤصلت بالكامل ، أن يغضوا الطرف كأنهم من « نمير » ، على تصريح « خالد محيي الدين » ، ثم يلطمون الخدود ويشقون ثيابهم من دبر ويدعون الغيرة على شرف الثورة الذي دفنوه « سوا » مع خالد محيي الدين ؟!

وإليك شهادة من نوع آخر :

الأستاذ « محسن محمد » ببراعته في البقاء فوق سطح الصحافة المصرية المحترق ، يدلي بدلوه في الجدل الذي أثرته أنا حول علاقة انقلاب يوليو بالأمريكان ، فيأتي باستعراض لكل ما يعزز هذه الصلة بل ويضيف جديداً مثيراً يثبت هذه العلاقة ولكنه لضرورات هو أدرى بها ، يبدأ بمقدمة تتناقض مع ما يقدمه هو نفسه من حقائق فيقول : إن معرفة أمريكا بالثورة لا تزيد عن أن شيئاً ما ، يجري داخل الجيش » .

وإذا كنا نعرف ظروف الأستاذ « محسن محمد » وظروف نشر هذا القول في « أخبار اليوم »[٣] ونقدر له جهده وأمانته الأدبية التي جعلته يثبت النصوص كما هي ، بل ونقدر حتى فهمه وتفسيره لما أورده من نصوص ، فإننا بالمقابل ، نطالب ونمارس حريتنا في التفسير . . محتكمين إلى المنطق والعقل . . وحرفية نصوصه لنرى هل ما أورده هو نفسه من وقائع يتفق

مع ما ذهب إليه من أن « معرفة أمريكا بالثورة لا تزيد عن أن شيئاً ما ، يجري داخل الجيش وهذه هي الحقيقة بالوثائق على لسان كيرميت روزفلت ، الرجل الذي ادعى كثيرون أنه شريك في صنع الثورة . . »

قبلنا شهادتك أنت . .

ماذا قال لك كيرميت روزفلت ؟ . .

وماذا نقلت أنت عنه ؟ . .

قلت لنا بالحرف الواحد على لسان روزفلت هذا وأنت السامع والناقل وأنت مصدر ثقة . . نقلت عنه قوله : « طلب إليه أصدقاؤه أن يحضر إلى القاهرة ليلتقي - كما أكدوا له - بالرجل الذي سيزيح الملك فاروق عن عرشه ويجلس مكانه . قال لهم إنه لا يستطيع كموظف في الحكومة الأمريكية ، أن يلتقي ويتحدث ويحاور رجلاً يتآمر ضد رئيس دولة صديقة حتى ولو كان ذلك الرئيس يستحق التوبيخ .. وعلى هذا الأساس فقد أرجأ اللقاء إلى ما بعد قيام الثورة . وأضاف : وقمت بالزيارة في يناير عام ١٩٥٣ » .

. ماذا نفهم من هذا النص ؟ . . مع مراعاة أن الرجل مازال ملتزماً ومحظوراً عليه كشف الأسرار ، بل وحذفت الرقابة كل كلامه عن مصر وناصر في وثائق الخارجية الأمريكية المفرج عنها بموجب القانون بعد مضي الثلاثين سنة المفترضة لعمر الأسرار . .

ماذا قال لشاهد النفي الجديد ؟!

قال نائب مدير المخابرات الأمريكية لشئون الشرق الأوسط وصاحب القرار الأول في كل ما يتعلق بنشاط الـ CIA في هذا الشرق الأوسط . . والرجل المشهور جداً بإعادة الشاه إلى عرشه وقلب مصدق وإجهاض ثورة الشعب الإيراني ربع قرن . . قال :

○ إن له أصدقاء في مصر . .

هل نسيء الظن إن افترضنا أنهم من عناصر المخابرات الأمريكية ؟!

○○ وهؤلاء الأصدقاء يعرفون خالع الملك المقبل ، وهم واثقون من نجاحه في خلع الملك ، وعلى علاقة متينة معه ، تسمح لهم بالفرجة عليه ، ودعوة من يرغب ليشاهد من وما يسره . .

ولكن المسئول الكبير في واحدة من أهم المؤسسات الأمريكية ، يعرف ما في ذلك من توريط ، إذا لا قدر الله وفشلت الخطة ، واعترف هذا الرجل عند التحقيق بأنه اجتمع بالخواجا روزفلت . . ولذا رد بكل بساطة : لا . . نؤجل هذا الاجتماع إلى ما بعد الانقلاب (أو الثورة لكي لا ننتقص من إسهام الزعيم الخالد !) .

ولله عباد لو أقسموا عليه لأبرهم . . تحقق كل شيء كما تمنى الأخ روزفلت* ودبر « الأصدقاء » وخلع الرجل العجيب ، الملك ، وجلس مكانه وجاء روزفلت يطلب البشارة وحق الطريق !

كل هذا يا « عثمان » محمد وتقول لنا « شيئاً ما ، يجري داخل الجيش » .

لا . . اسمح لنا** . . إنهم يعرفون الشيء ولزوم الشيء والشيء الذي سيخلع الشيء . . واللي ما يشتري يتفرج !
على أية حال شكراً . .

فهذا أول نص صريح من كيرميث روزفلت عن صلة « أصدقائه » بخالع ملك مصر ، وعن علمه بذلك وموافقته على الخلع ، واحتياطه بعدم الاجتماع معه مباشرة قبل الثورة ، وهوتقدم كبيرففي كتابنا السابق ، عرضنا شهادة شاهد النفي الأول « ولبركراين » الذي نقل عن روزفلت نفيه أية صلة بخلع الملك ، إذ قال له « هل لو كنت خلعت الملك فاروق . . كنت أتمتع اليوم بثقة الملوك » ؟!

عدل المتهم عن الإنكار التام وبدأ خطوة نحو الاعتراف بالحقيقة ، بدون تعذيب ولا إكراه . . وإنما لأن خلع المخابرات الأمريكية للملك فاروق أصبح حقيقة أشهر من أن ينكرها عاقل .

وإذا رجع القاريء إلى ما كتبناه في الفصول التالية والتي سبق نشرها قبل نشر حديث روزفلت هذا بثلاث سنوات ، سيجد أننا لم نرفض تماماً « الدفع » بأنه لم يتم لقاء مباشر بين « روزفلت » و « عبد الناصر » على أن نضع في الاعتبار ، الخبث الذي طرح به « روزفلت » العجوز الأريب ، الصيغة ، فهوكما يقول العامة في مصر ينوه على شيء ويقسم على شيء آخر فهو يتحدث عن « محمد نجيب » ، وهذا يعني احتمال اجتماعه مع جمال عبد الناصر وتجنب اللقاء مع « نجيب » الواجهة والذي كانت كل الأضواء والتجسسات والمراقبة مركزة عليه . وقد ناقشنا هذا بما فيه الكفاية في موضعه من الكتاب .

---

* ببركة الشيخ التهامي الذي اعترف وأراحنا بأنه اجتمع وعبد الناصر مع المخابرات الأمريكية قبل الثورة وأنه عمل مع هذه المخابرات لتمكين زعامة عبد الناصر . .

** قال الأستاذ محسن محمد إنه قابله مريضاً عجوزاً في ١٤ ديسمبر ١٩٨٤ وربما يجدر أن تقال كلمة في حق الرجل قبل أن يموت ، وإن كان قولها بعد وفاته أجدر ، فالرجل قد أنزل بمصر والأمة العربية نكسة فادحة من أجل مصالح امبريالية خسيسة ، ومع ذلك فقد كان رئيس المدرسة التي أرادت استعمال العرب بزعامة ناصر في مواجهة مدرسة « انجلتون » التي راهنت على إسرائيل وهزم روزفلت وانتصر انجلتون وسنفسر ذلك أكثر فيما بعد .

كذلك استعرض لنا الأستاذ محسن ، المصادر التي تحدثت عن أمريكية ثورة يوليو فقال : في كتابه « فاروق ملك مصر » قال المؤلف باري سان كلير « إن الأمريكيين استغلوا كراهية المصريين للانجليز فشجعوا حركة الضباط الأحرار أو تسامحوا معها وقال الكاتب إن إحدى السيدات المقيمات في القاهرة شاهدت أحد المسئولين في السفارة الأمريكية يجلس بجوار جمال عبد الناصر في سينما ريفولي بالأسكندرية في ديسمبر عام ١٩٥١ ، ومن الواضح أن هذه أكذوبة فإن جمال عبد الناصر لم يظهر علانية في ديسمبر ١٩٥١ مثل السادات ، وبذلك لا يمكن أن يكون أحد قد تعرف عليه .. الخ » .

وهو دفع غريب ليس في مستوى ذكاء الأستاذ محسن .. فلا أحد قال إن السيدة عندما رأته صاحت : « الله مش ده عبد الناصر زعيم الضباط الأحرار ! » .

لا .. الرواية خلاف ذلك ..

عندما أصبح عبد الناصر زعيماً ومشهوراً وصورته في كل مكان تذكرت السيدة التي كانت تعرف موظف السفارة الأمريكية أن هذا « الزعيم » رأته مع الموظف في السينما في ديسمبر .. الخ ولا أظن أن سيدة على صلة بالسفارات تخطيء ملامح عبد الناصر .. واللقاء في السينما أسلوب معروف في الاجتماعات التي من هذا الطراز ، وعبد الناصر ـ بالمناسبة ـ بل وكل أعضاء مجلس الثورة كانوا مفتونين بالسينما فتنة أولادنا بالتليفزيون ، ونصف الأحداث الكبرى في تاريخهم وقعت وهم في « السينما أو يشاهدون فيلماً في عرض خاص بمنزلهم .. وعفواً لهذا الاستطراد الذي ليس له علاقة بالموضوع .

نعود لاستعراض أقوال شاهد النفي الثاني :

قال : « وفي كتاب وكالة المخابرات المركزية الأمريكية قال الكاتب تالي : « ساعدت الوكالة في طرد فاروق فقد كانت تعرف عبد الناصر ومناوراته الخلفية » .

وقال المؤلف : « إن عملاء وكالة المخابرات المركزية الأمريكية (CIA) والبريطانية كانوا قريبين من الضباط الأحرار ودعموا قوتهم وأعطوا .. الخ » .

وفي كتاب باري روبين : أمريكا والثورة المصرية ١٩٥٠ ـ ١٩٥٧ « في أواخر مارس أصبح روزفلت على علم بالثورة المتوقعة وبدور ناصر كزعيم للضباط الأحرار ، وهي مجموعة اعتبرتها السفارة الأمريكية منظمة تصحيحية خالصة يقتصر اهتمامها على الشئون العسكرية » . وفي كتاب جون رافيلانج : ارتفاع وسقوط وكالة المخابرات المركزية ، قال : « إن الوكالة ساعدت جمال عبد الناصر في الوصول إلى السلطة . وقد نصح كيرميت روزفلت قادة الانقلاب وموهم ضد السياسة البريطانية » .

« وفي كتاب « جبال من رمال » (صحته حبال بالحاء المهملة) اعترف رجل المخابرات الأمريكية ويلبور كرين ايفلاند باشتراك الوكالة في الانقلاب »* . . !!

صدق الله العظيم . . سلفهم الطالح كانوا كلما تنزلت آية قالوا . . . أيكم زادته هذه إيمانا ؟!

كلّ هذا ولم تصدق ؟! . . ما الذي يدفع كل هؤلاء المؤلفين الوثائقيين إلى افتراء أكذوبة لا أساس لها من الصحة ؟! ولماذا لم يقولوا مخابرات الصين أو روسيا أو حتى إسرائيل ؟! لماذا؟! . . مؤامرة على عبد الناصر بعد ١٥ سنة من موته ؟!

بل ويضيف لخبطة جديدة للرواية الهزلية عن إبلاغ علي صبري للملحق الجوي الأمريكي « دافيد إيفانز » الذي قابله الأستاذ محسن أيضاً في واشنطون وهو من تعريفه لنا رجل مخابرات أساساً وصل إلى مصر في أكتوبر ١٩٥١ « وظل في مصر حتي يوليو عام ١٩٥٤ واستطاع أن يوثق صلته بضباط الجيش وسمعهم كثيراً (قبل الثورة)** وهم يقولون : إن حكومتنا عميلة للاستعمار قال لي إيفانز : كنت أشجع الضباط على أن يمارسوا استقلالهم وأن يكونوا مصريين وكنت أثير معهم قضية القومية العربية ، وكنت أقول لهم : مهما شق الفرنسيون القنال فإنها ستبقى جزءاً من أرض مصر . وقد شجع ذلك الضباط على الثورة »[4] .

معذرة للقاريء من جيلي إذا أحس بالمهانة والغثيان . . وهذا المخابراتي الأمريكي الحقير يفتخر وينشر ادعاءه في كبرى الصحف المصرية أنه هو الذي علم « ثوارنا » أن يكونوا مصريين ، وعلمهم العروبة وحرضهم على استرداد قناة السويس . . هو الذي شجعهم على الثورة ! . .

والعقاد قاطع « الثورة » واعتكف مضطهداً نفسه لأن عبد الناصر أهان شعب مصر وأهانه شخصياً عندما وقف يقول : « أنا علمتكم الكرامة » . . ومات العقاد العملاق وخَلَفَ خلفٌ كجلد الأجرب لا يغضبون عندما يتبين أن الذي علم عبد الناصر نفسه ، وصحبه الكرامة هو ضابط مخابرات أمريكي . . وينشر ذلك دليل براءة هذه العصابة ووطنيتها !!

ياللعار !

أصبحنا مثل عوده أبوتايه الذي شجعه « لورنس » على الثورة ، وعرفه بعروبته . .

معذرة يا بقايا جيلي . . إذا أدهشكم أن القراء الآن لا يستثيرهم هذا الكلام ، ففي جيلنا وفي عام ١٩٥١ لم يكن هناك وطني شريف يسمح لنفسه بمجالسة عسكري مخابراتي أمريكي يعمل في السفارة الأمريكية ، فضلا عن تلقي دروس الوطنية منه ، ولكن للأسف ، هم

* هذه العبارة غير دقيقة وراجع ما كتبناه عن الكاتب والكتاب ويبدو أن الأستاذ اعتمد على مصدر غير مباشر . . ؟!

** الأقواس والتسويد من عندنا .

هؤلاء الذين نفذوا « ثورة » يوليو ، هم هؤلاء من تولوا خلال ثلاثين سنة تعليم الوطنية وتحديد مفاهيمها وعزل مخالفيهم فنشأ جيل لا يرى غضاضة في تعلم الدين من أحبار إسرائيل والوطنية في كامب ديفيد . . أما العمالة لأمريكا فتلك حلم يتشوقون إليه تشوق المؤمن للوصول إلى سدرة المنتهى . . !

دعونا من هذا الوحل الذي لطخوا به وجه تاريخنا ، وأغرقوا فيه أحلام شبابنا . . المهم أن إيفانز أبلغ الأستاذ « محسن » ، أنه عرف بخبر الثورة قبل علي صبري وأبلغه للسفارة الأمريكية قبل قيامها بعشرة أيام . .

اعفونا إذن من حكاية مَن أبلغ مَنْ ؟! أستاذ الثورة أبلغ قيادته وهي الـ CIA موعد امتحان طلبته النجباء وقبل الامتحان بعشرة أيام وتسع ليالٍ . .

لا يحق لهيكل إذن أن يهز رأسه وينحت لنا نصاً بلاغياً عن الخرافة التي تقول « إن الولايات المتحدة كانت على اتصال بقيادة ثورة ٢٣ يوليو قبل قيامها وأنها كانت في سرها قبل اذاعته » .

آه ! كانت على اتصال وتدريب وتلقين وتهييج للثورة .

آه ! كانت في سرها قبل إذاعته بشهور . . وكانت تعرف موعد إذاعته قبل عشرة أيام . .

وهذا هو ما جاء به رئيس مجلس إدارة جريدة الجمهورية من أدلة على طهارة الثورة !! . .

وليس تجاوزاً للاختصاصات أن نفترض كون « إيفانز » هذا موظف المخابرات الأمريكية بشهادة الجميع ، هو من أصدقاء « روزفلت » رئيس كل من يعمل للمخابرات في مصر وأنه كان أحد الذين طلبوا من روزفلت مشاهدة الرجل المدهش الذي سيخلع فاروق . . ورغم كل ما كشفت عنه الوثائق عن قبول « محمد نجيب » ـ الخضوع والتبعية للأمريكان فلم يكن هو فتى الأمريكان ، وإنما تسابق على أعتابهم ليعزز مركزه وسط « جوقة » الأمريكيين التي كانت تحيط به ، وعندما أزفت لحظة الحسم ، لم يجد معه إلا الانجليز فخسر كما خسر علي ماهر من قبله . ومن ثم فكل هذه القصص عن « إيفانز » تؤكد أو ترجح الفرضية الأولى بأن الاتصال ، والإعداد كان مع ولعبد الناصر* . .

وإذا كان « كيرميت روزفلت » يقول : إنه طلب تأجيل اجتماعه بقائد الثورة إلى ما بعد نجاحه في خلع الملك ، والمدرب إيفانز يعترف بأنه عرف بالثورة قبل أن يعلم بها علي صبري ، وأنه أبلغ عنها السفارة الأمريكية قبل عشرة أيام من الليلة التي حل فيها الفتية الذين

---

* الأخ الكريم محمد رياض أحد الضباط الأحرار ومدير مكتب « محمد نجيب » الذي ظل على وفائه له إلى النهاية ، وكان هذا من حظه فقد جنبه الله سيئات حكمهم وعوضه خيراً . . المهم أن الأخ محمد رياض عندما جاء إلينا في مجلة « الحوادث » بمذكرات محمد نجيب . وتوليت أنا نشر حلقاتها احتج لأنني قسوت على محمد نجيب في تعليقاتي ، فقلت له ، ولم يقبل عذري ، إنه مثلهم وكل ما حدث أنه أسقط من السلطة فهاجم الديكتاتورية ، وقد مارس منها كل ما استطاع وهو في السلطة ، والآن وقد كشفت الوثائق أنه لم يكن أقل منهم ترامياً على أعتاب السفير الأمريكي فلعله يقبل عذري .

آمنوا بشيطانهم إيفانز ، أرواحهم على كف العفريت . . فهل نصدق هؤلاء أم نصدق الديك الرومي الذي مازال يعيع إلى اليوم بأن « الثورة » كانت مفاجأة تامة للغرب ؟! لقد كتبوا عنها التقارير بل والمقالات الصحفية قبل وقوعها وهو يصر : « فاجأت ثورة يوليو العالم كله وكانت المفاجأة تامة ومؤلمة ، كانت آخر ما توقعه الغرب من مصر » .

هل فيما قدمته « أخبار اليوم » من أدلة لا أمريكية الثورة ما يعزز هذا الزعم عن مفاجأة الثورة للغرب أم الأحرى أن يقال إنها كانت مفاجأة من زعيمة الغرب لمصر والمصريين ؟!

بقي أن نقول إن « علي صبري » الذي لم يكن من الضباط الأحرار ، والذي يقال لنا إنه استدعي ليلة الثورة لتوصيل خبرها لصديقه « إيفانز » هو نفسه « علي صبري » ضابط مخابرات الطيران الذي أرسل إلى واشنطون قبل الثورة من قبل النظام الملكي الرجعي وبناء على نصيحة من « كيرميت روزفلت » لأخذ كورس في المخابرات الأمريكية ، ويشاء العليم أن يصبح فوراً أقرب الضباط إلى عبد الناصر حتى كاد أن يكون وريثه في ثورة كيرميت ـ إيفانز المعروفة باسم ثورة يوليو . . لولا تطورات لم ترصد بعد حول ذعر عبد الناصر في أواخر حياته من كل الوثيقي الصلة بالأمريكان . . وهذه قصة أخرى .

ونتابع تقديم الشهادات التي جدت منذ صدور كتابنا السابق . وهاهو شاهد غريب الشهادة ، هو الضابط السابق « حسين حمودة » وهو من الضباط الأحرار وقد جاء في كتابه « صفحات من تاريخ مصر » : « بعد أن يئس الأمريكان من الملك فاروق حاولوا الاتصال بالجيش عن طريق الملحق العسكري الأمريكي بالسفارة الأمريكية بالقاهرة والذي كان بحكم وظيفته على اتصال بوزارة الدفاع ، وقد حضر كاتب هذه السطور شخصياً عدة اجتماعات في منزل الملحق العسكري الأمريكي بالزمالك مع « جمال عبد الناصر » وكان الكلام يدور في مسائل خاصة بالتسليح والتدريب والموقف الدولي والخطر الشيوعي على العالم بعامة والشرق الأوسط خاصة ، وأن الولايات المتحدة ستساند أي نهضة تقوم في مصر ، لأن بقاء الحال على ما هو عليه في مصر ينذر بانتشار الشيوعية . وهذه الاتصالات بالسفارة الأمريكية كانت في الفترة من عام ١٩٥٠ ـ ١٩٥٢ ميلادية »[٥] .

والغريب أننا وحدنا علقنا على هذه الشهادة ، التي لم تثر أي اهتمام أو رد من الناصريين والمتناصرين . .

وما دامت نفسنا قد انفتحت إلى حد الاستشهاد بسي حمودة ، فلا بأس من الاستشهاد حتى « بجمال سليم » شبيلوف التنظيم الناصري ، أو مدير صحيفة الحزب الناصري ، كما وصف نفسه ، وهو ناصري معتز بناصريته إلى اليوم وقد شهد بالتالي :

« على أنه من الضروري أن نعرض لمقولة أساسية راجت بعد الثورة ولها نصيب كبير من الصحة ، وتقوم على أساس توازن القوى ، فالمد الشعبي الذي تزايد في مصر بعد الحرب العالمية الثانية ، وحركات التحرير التي ولدت في خضم المطالبة بالاستقلال والحكم الذاتي

للمستعمرات ، والنقابات العمالية التي تنامت قوتها ، كل هذا كان يجد له نصيراً في الاتحاد السوفيتي ، وأدركت الولايات المتحدة الأمريكية أنه لابد من كسر فرص نجاح السوفييت ، وذلك بتغيير القيادات التقليدية الفاسدة وإحلال قيادات جديدة تأتي في أثر انقلاب أو ثورة ترفع شعارات الجماهير ذاتها وتحتضنها . بل ويمكن أن تتمادى بتحقيق بعضها ، وذلك بغرض اجهاض هذا المد الشعبي . وأدرك الغرب أنه لا سبيل لإنقاذ مصر إلا بطرد قياداتها التقليدية وتغيير النظام كله ، وبحث الغرب عن البديل . . ووجد الغرب أو الولايات المتحدة هذه الوجوه المطلوبة بين صفوف ضباط الجيش في شكل تنظيم « الضباط الأحرار » وعلى هذا أطلقت واشنطون الضوء الأخضر ليقوم الجيش بحركته في ٢٣ يوليو » ص ٢١ .

ثم يعزز دعواه بالاستشهاد بأقوال لخالد محيي الدين وإبراهيم بغدادي وإبراهيم سعد الدين وأحمد حمروش . . وكلهم كما ترى من خيار الناصريين . . ويستنتج « وإذن فمقولة الاتصال بالولايات المتحدة قبل الثورة وبعدها واردة ، ولابد أن يكون هذا هو سر رفع شعار التطهير قبل طرد الاستعمار » .

ما غلطناش ! . .

مابليلناش كما يكتب لنا بعض البؤساء ! هاهم كلهم ناصريون اشتراكيون ثوريون يشهدون أن ثورة يوليو عملها الأمريكيون فأنى تؤفكون أو تكذبون ؟!

ويعزز أهمية شهادته ، أنها لا تشككه في الثورة ، فهو يستمر يحدثنا عن « ثورة ٢٣ يوليو » وعن « الردة » وعن مؤامرات « اقتلاع ثورة يوليو » ومحاولات « العودة إلى الوراء » !

وأي وراء أسوأ من الأمريكان ؟!

وأي ردة أسوأ من تلقي الدروس علي يد المخابرات المركزية (كما اعترف إبراهيم بغدادي محافظ العاصمة السابق أنه وحسن التهامي وحسن بلبل وفريد طولان وعبد المجيد فريد (اياه) كانوا يتلقون محاضرات من رجال المخابرات الأمريكية CIA في مدرسة المخابرات التي أقيمت بقصر الأميرة فايزة بمدينة الزهرية) .

وموقف هذا الشخص ، مفهوم ، فهو من الجيل الذي رُبِّيَ في ظل ثورة المخابرات الأمريكية ، « الثورة » التي دبرت لإجهاض المد الشعبي ! هذا الجيل تعرض لعملية تجهيل أفقدت الكلمات معناها في مفهومه ، فهو يمكن أن يحدثك عن « كاتب اشتراكي تقدمي ثوري متصل بالمخابرات الأمريكية » أو يقدم لك أدلة الاتصال بين شخص والمخابرات الأمريكية ثم يعلق « ولكن ذلك لا ينقص من ثوريته » ! فقد علموه أن العدو هو الوفد أو الإخوان والعرب . . والإمام البدر ، وتعلم أن الرجعي هو من يتصل بهؤلاء والعميل هو من يعترض على « محاربة » هؤلاء وترك إسرائيل تستعد أو تمارس إبادة العرب . . ومن ثم فلا تناقض في ذهنه ولا ضميره بين التآمر مع أمريكا لإجهاض المد الشعبي ، وبين أن يكون المتآمرون اشتراكيين ثوريين !

وقد أشار محمد نجيب ٤ مرات في مذكراته إلى علاقة عبد الناصر بالمخابرات الأمريكية .

فمن ناحية لسنا ندعي شرف أن نكون أول ولا آخر من تحدث عن علاقة المخابرات الأمريكية بانقلاب يوليو وعبد الناصر ، ومن ناحية أخرى ، فقد كان لنا فضل طرح هذه القضية في صيغة جديدة ، ليس كاتهام ولا إفشاء سر . . بل في إطار دراسة متكاملة بالوقائع والمستندات والتحليل العلمي . . مرة كفرضية ، وأعتقد أنني نجحت في إثباتها إلى درجة منعت أي كاره من أن يتعرض لها بحرف ، بصرف النظر عن مهاترات ووقاحة الرعاع الذين لا يملكون لا العلم ولا المنطق . . وهاهو الكتاب يدخل عامه الثالث وصدرت منه طبعتان ولم يجرؤ ناصري على أن ينقد ـ ولا أقول ينقض ـ حرفاً فيه . .

ومن ناحية عرضنا هذه العلاقة كنظرية تفسر مسلكية عبد الناصر في فترة بالغة التأثير ـ للأسف ـ من تاريخنا ، بل ومازالت ـ أي هذه النظرية ـ صالحة لتفسير الكثير من الأحداث[١٢] . .

على أية حال لم تذهب جهودنا عبثاً في الكتاب الأول ، فقد اضطر مؤرخ الناصرية ـ كما سنرى ـ إلى التراجع تراجعاً معيباً مفضوحاً ، فبعد التعالي على خرافة اتصال الثورة بالأمريكيين ووصف ذلك بأنه خرافة ، وجعل أمريكا شريكاً رابعاً في العدوان الثلاثي !! سقط ذلك كله بعد ما فندناه وفضحنا زيفه وتهافته . . واضطر مؤرخ أو مزيف تاريخ الناصرية إلى البدء في حديثه عن ثورة يوليو بالبداية الصحيحة التي ـ كما أشرنا ـ وضعها هو والناشر الانجليزي على غلاف الكتاب ألا وهي أن الناصرية ليست إلا فصلاً في ملحمة تصفية أمريكا للامبراطورية البريطانية والحلول محلها . . كذلك بدأ حديثه عن ثورة يوليو بالتعريف بآل روزفلت المخابراتي : « أرشيبالد روزفلت الذي هو آرشي . . وابن عمه كيرميت الذي أعاد الشاه إلى عرش الطاووس بعملية أجاكس التي نفذتها الـ CIA » .

نعم تأمل كيف عدلت كتاباتنا تاريخ الناصرية وأوقفته على قدميه ، تأمل لو فتح قارىء كتاب ملفات السويس على صفحة ٥٧ لابد أنه سيذهل ويظن أنه يقرأ صفحة منقولة من كتابنا ، نقلها مؤرخ الناصرية ليفندها ، فالصفحة تلخص الموقف في العالم العربي عشية انقلاب يوليو كالآتي :

« ١ ـ هناك مصالح ومطالب أمريكية هائلة .

٢ ـ هذه المصالح والمطالب في بلدان ضعيفة ومفككة وفي حالة تكيف .

٣ ـ وسيلة تحقيق المصالح والمطالب لا يمكن أن تكون بالقوة العسكرية فيما هو خارج عن توازنات الأمن العالمي .

٤ ـ وإذن فلابد من وسائل جديدة لتحقيق وحماية هذه المصالح والمطالب :

« في هذا النطاق يمكن البحث عن دافع الولايات المتحدة إلى إقامة وحماية وتقوية إسرائيل وفي هذا النطاق يمكن البحث عن دافع الولايات المتحدة إلى إقامة وحماية نظم موالية لها .

وفي هذا المجال أخيراً يمكن البحث عن الدور الخاص والمسئولية المتميزة التي ألقيت على عاتق وكالة المخابرات المركزية الأمريكية »

بحروفه[٦]

ما الذي يمكن أن يستنتجه طالب يدرس التاريخ أو المنطق وليس مؤلفا ينتحل صفة مؤرخ ! . .

المخابرات الأمريكية أو وكالة المخابرات المركزية ، كما يجب أن يثبت اسمها الثلاثي ، « تولت » أو حاولت إقامة نظام موالٍ للولايات المتحدة في مصر لتحقيق المصالح الأمريكية ، والمطالب الأمريكية في العالم العربي على حساب مصالح بريطانيا دون حاجة لاستخدام القوة العسكرية ضد بريطانيا العظمى . . أم أن سوريا وليبيا أهم من مصر . . ؟! وإذا كان الكلام بره وبعيد عن مصر فلماذا تبدأ به حديث الثورة الناصرية ؟!

أو لست أنت الذي رسمت خريطة العالم العربي عشية « ثورتكم » على هذا النحو :

- السعودية : نفوذ أمريكي بنسبة ١٠٠٪ .
- مصر : نفوذ أمريكي بنسبة ٥٠٪ مؤقتاً حتى يتم تمهيد الأرض لما هو أكبر[٧] .

أمريكا تريد رفع نسبة نفوذها في مصر من خمسين إلى مائة بالمائة . . ووسيلتها في ذلك المخابرات الأمريكية . . ثم يأتي « بولدوزر » ـ كما سماه النحاس باشا ـ يصفي الخمسين بالمائة البريطانية ، ويفتح للأمريكان عهداً في مصر وصفته أنت : « الولايات المتحدة الأمريكية ـ حليف بريطانيا الأكبر ـ دخلت المنطقة بقوة اندفاع شجع عليها وصول عناصر جديدة إلى السلطة في مصر ، يستخفون ببريطانيا ويركزون اهتمامهم على أمريكا » .

الولايات المتحدة في شوق إلى تصفية النفوذ البريطاني في مصر وأداتها في ذلك المخابرات الأمريكية ، وفجأة يصل إلى الحكم « فتية آمنوا » بأمريكا ويستخفون ببريطانيا ، تحيط بهم شبهة الاتصالات والمتصلين بالمخابرات الأمريكية من فوقهم ومن تحتهم ، ثم لا تفسير لهذه المصادفة السعيدة . .

دراويش الناصرية قالوا : إن هذا القصد السيء كان فعلاً في نية أمريكا ، ولكن مقاومة وصلابة الشعب المصري منعت حدوثه ، بل أصابت الأمريكان بقارعة هي ثورة يوليو . . أما « هيكل » فهو يقفز ويتشقلب ويلبس شتى الأقنعة لكي يتهرب من الإجابة . أما من بقيت في ضمائرهم بقية حياء ، فهم يضطربون أمام حقائق الانفتاح بل الالتحام بين الناصرية والمخابرات الأمريكية ، فهم من ناحية لا يستطيعون التمسك بادعاء « الثورة المعادية للاستعمار العالمي ، البريئة من النفوذ ، الطاهرة من آثار هذا الصراع الامبريالي . . » لأن الوقائع والحقائق ومذكرات أو اعترافات رجالُ هذه الثورة التي تتوالى تنكر هذا الزعم وتنسفه نسفاً ، ومن ثم فهم يسلمون بوقوع الاتصال والتطابق بين المصالح الأمريكية في الشرق

الأوسط وانقلاب يوليو ، وبمفهوم وتكتيكات المخابرات الأمريكية ، مع تشبثهم بآخر موقع لحفظ الشرف ، وهو : هل كان هذا الاتصال قبل الزواج أو بعده ؟ . . أي قبل ٢٣ يوليو أو بعد وصولهم للحكم . . ؟

وقد تبدو أنها نقطة لا أهمية لها . . — وهي بالتأكيد ليست كذلك — مادام الجميع قد اتفقوا على تلاقي المصالح الاستعمارية للولايات المتحدة في العالم العربي* مع قيام نظام يوليو واستقراره وهيمنته على السياسة العربية . . ومادمنا قد سلمنا أن انقلاب يوليو ثم نظام يوليو كان « لفترة سنوات » أداة تحقيق المصالح الأمريكية بمنطق الإزاحة ؟! أن يكون ذلك قد حدث عن إرادة ووعي وسبق تصميم من جانب المخابرات الأمريكية ، أو أن هذه المخابرات كانت في مثل غفلة عبد الحليم حافظ . . ففي يوم فتحت عينها وجدت « ثورة » يوليو فتعرفت عليها لتوها وقالت هذا هو « النظام الموالي » الذي كنت أحلم بإقامته ، وعلى الفور طرحت قلبها عند قدمي الثوار فكان قران بالرفاء والبنين ؟! . . أو كما يقول مفبرك الناصرية بصورة هزلية : « في الوقت الذي كانت فيه الولايات المتحدة ـ ضمن أطراف متعددين ـ تبحث عن « الرجل القوي » في القيادة الجديدة . كان « الرجل القوي » في القيادة الجديدة ، بدوره ، يبحث عن دور الولايات المتحدة »[8]

توارد خواطر ! فلما التقيا هتفا في صوت واحد : حبيبي . . عمال أدور عليك وأنت هنا جنبي ! . .

هل من المعقول أن يؤجل الرجل القوي البحث عن الدولة القوية ، إلى أن يغامر بالانقلاب معرضاً كل جهوده وطموحاته بل ومستقبل « الوطن » لمقامرة البحث عن أمريكا ودورها وقبولها أن يكون هو لاعب هذا الدور ؟! من أين حصل على ضمانة بالقبول ؟!

وهل من المعقول أن تغفل الولايات المتحدة عما يجري في الجيش ، وما يثور في البلد وتنتظر حتى ينجح انقلاب لا تعلم عنه شيئاً ثم تبدأ في البحث عن الرجل القوي لكي تحقق به مصالحها في الحلول محل بريطانيا ، من أين ضمنت أنه سيقبل أن يكون « مكنسة » ؟!

أليس المعقول وقد عرفت « أن النتيجة التي يمكن أن يستخلصها المرء هي أن الولايات المتحدة رأت منطقة الشرق الأوسط غير مستقرة وبالتالي منطقة خطرة وأن بريطانيا التي سادت المنطقة طويلاً غارقة في أمواجها ومن ثم فكان الدور على أمريكا أن تحل محلها »[9]

هل نستكثر عليها أن تبحث عن الرجل القوي الذي « يُحلها ـ أي أمريكا ـ محلها » . . مادمنا قد اتفقنا على أن الغزو العسكري غير ممكن ، والملك فاروق وتشكيلته كاملة غير قادرة ؟! . .

---

* أم ترانا سنسميها مصالح مشروعة أو حتى ثورية تحررية ؟! لا . . هو نفسه اعترف أن « الولايات المتحدة قادمة لدورها الامبراطوري الجديد ، وهي مصممة على إزاحة الامبراطورية القديمة ص ٦١ ملفات السويس . . إزاحة بريطانيا لتحل محلها طبعاً أم لوجه الله والوطن ؟! . .

ألم يأت الرجل القوي فعلاً محققاً لآمال الحلول هذه ، حتى اعتقدت الولايات المتحدة - عن حق - أنه « قد أصبح لها في المنطقة مع الظروف المستجدة ، ما ليس متاحاً لغيرها »[١٠]

ويصرف النظر عن أعجوبة أن تجد زعيمة « الامبريالية » في زعيم « الثورة » العربية امكانية غير متاحة لغيرها ! . . ألا يوحي ذلك بتلاقٍ سابق في الإرادات . . .

يتشبث « هيكل » - في الطبعة العربية - بخرافة أن اللقاء أو شهر العسل بين الثوار والاستعمار حدث بعد وصولهم للسلطة كآخر خط دفاع ، ولكنه في طبعة الخواجات لا يصر كثيراً على هذه النقطة وإنما يقول :

« قرر ناصر أن يستفيد إلى الحد الأقصى من الأمريكيين ، كان دائماً يرمز إليهم والبريطانيين بالقادمين والذاهبين « الجايين والرايحين » (كتبها هكذا* : elgayin wa elrayin وظن أن القادمين يمكن أن يضغطوا على الذاهبين »[١١] . « وهكذا قام شهر العسل في التعاون بين مصر والولايات المتحدة وجرى تدعيم الجهاز الدبلوماسي الأمريكي في مصر بحضور قوي للمخابرات CIA . وليم ليكلاند كان موجوداً بالفعل في مصر وهو دبلوماسي شاب « هلوبة » ولعله كان يعمل للمخابرات من وقتها ، إذ أنه بالتأكيد كان كذلك فيما بعد وإن لم يثر شك وقتها حول ذلك**

« وجاء روزفلت بـ « جيمس ايكلبرغر » و « مايلز كوبلاند » « وكان واضحاً أن المخابرات الأمريكية تدير عملية منفصلة عن السفارة وأكثر فعالية »***

تدير من ياحاج ؟!

بصرف النظر هل حدث هذا الالتقاء قبل أم بعد الثورة ، فهو يعترف بالتقاء المصالح ، مصالح الانقلابيين واستراتيجية أمريكا في وراثة الامبراطورية البريطانية ، وتصور لنا زعيم الثورة مجرد منادي سيارات ، يقف على باب الجراج ، يخرج الرايحين ويهتف بالجايين : هات . . هات . . خش ! . . طمعاً في البقشيش !!

---

* صححتها Rayheen ولكن يبدو أن « هيكل » لم يراجع الطبعة الانجليزية بل صاغها شخص لا يتقن العربية كما أشرنا من قبل .

** من المضحك - على طريقة المتنبي - أن محاولة إخفاء العلاقة بين الناصريين والـ CIA قبل الثورة جعلته يحاول تبرئة « ليكلاند» والإيحاء بأنه - هو أيضاً - عمل في المخابرات الأمريكية بعد زيارة علي صبري يوم الصبحية ! . . أي ثورة مشئومة تلك التي تغري كل من يصله نبأها بالعمل في المخابرات الأمريكية ! . . أم أن عضوية المخابرات الأمريكية كانت وحدها السبيل للتعامل مع هذه الثورة ؟! . .

لقد تعرضنا لـ « ليكلاند » هذا في كتابنا السابق وسنقدم المزيد عنه في الفصول التالية .

*** ص ٤٢ خ وهو نص منقول حرفياً عن كتاب حبال من رمال . . ونشرناه وعلقنا عليه في كتابنا « كلمتي للمغفلين » في معرض الرد على زعمه بأن الاتصال بين الثورة والمخابرات الأمريكية مجرد خرافة . . فجاء يتبناه بعد عشر سنوات !

يقول لنا إن عبد الناصر قرر الاستفادة من « الجايين » ، فهو يرى مصير الشرق الأوسط بين « رايحين » وجايين . . ولو كان مناضلاً أو مقاوماً أو وطنياً لقال « الغابرين » و « الطامعين » لو كان يمثل قوى وطنية أصيلة لأبغض « القادمين » أكثر ولحاول أن يضربهما معاً أو ببعض لا أن يتحول إلى أداة في يد القادمين ومن خلال أسوأ أجهزتهم . .

على أية حال هذا الاعتراف بالأرضية والتعاون مع المخابرات الأمريكية يقال لأول مرة ، سواء اعترافاً بأن ما قدمناه من أدلة يصعب أو يستحيل نقده ، وأخذاً بما اقترحناه أن يعدلوا دفاعهم من « غير مذنب » إلى « مذنب ولكن . . » فيعترفون بالحقيقة التي يعرفها العالم المتمدين وهي التقاء المصالح والتعاون مع المخابرات الأمريكية .

أقول مهما تكن الأسباب والدوافع ، فإن هذا الاعترف يشكل نقطة تحول هامة في التأريخ لانقلاب يوليو ، وإن استمر الخلاف : هل كان هذا التعاون بعد نجاح الانقلاب أو قبله ، وإذا كنا سنناقش أكثر ، فإننا نعتقد أنه يستحيل تصور « أكبر فترة تعاون بين حكومة مصرية والمخابرات الأمريكية يتم في ظل حكومة « الثورة » . . إن الألفاظ تفقد معناها ويغدو التاريخ بل والسياسة نوعاً من السيريالية الهازلة . . كذلك نعتقد أنه لو كان التعاون مع الولايات المتحدة بدأ بعد الثورة وكتعاون سياسي بين حكومتين ، لما اتخذ شكل التعاون التآمري مع المخابرات الأمريكية ومن خلف ظهر السفارة الأمريكية ، الأمر الذي تسبب في جميع الكوارث التي نزلت بمصر ثم بعبد الناصر وانقلابه .

وإذا كنا قد فسرنا سر هذه العلاقة الشاذة ، التي لم يكن لها مثيل إلا في إيران بعد انقلاب كيرميت ، أو سوريا فترة حسني الزعيم ، وأعني تلزيم عملية مصر وسياسة مصر . . بل مصر كلها في عهد ناصر تلزيمها للمخابرات الأمريكية . فسرنا ذلك بأن هذه المخابرات هي التي جاءت بهم إلى السلطة ، فكان الوضع الطبيعي أن تتولى مسئولية إدارتهم إلى أن انهارت العملية كلها .

فإن هيكل يعترف بأن الطرف الأمريكي في التعامل مع الناصرية كان المخابرات الأمريكية ويسلم معنا أنه وضع شاذ ، ولكنه يضيع الوقت في البحث عن بارد العذر لتفسير هذا الشذوذ في التعامل مع أم الدنيا ، ويخرج علينا بنسبته إلى مزاج الرئيس الأمريكي ! . . مع أن هذا الفعل الشاذ ، بدأ واستمر خلال حكم رئيسين مختلفي المزاج تماما ، الأول ديمقراطي أفاق بياع كرافتات صهيوني لدرجة العمالة ، والثاني جنرال جمهوري بطل الحرب العالمية الثانية ومتحرر إلى حد كبير من نفوذ الصهيونية . . وفي عهديهما استمر الفعل الشاذ في التعامل مع نظام ناصر . . ومن ثم تستمر « مارتنا » في تعداد الأسباب ، ومطلوبها واحد هو إخفاء السبب الحقيقي ، أعني العلاقة السابقة على وصول الناصريين للسلطة . . فيقول هيكل : « وإن العمل السري لا يلفت نظر القوتين العظميين المهتمتين به مباشرة : بريطانيا وروسيا » .
وهذا صحيح جداً بالنسبة لمرحلة التآمر لقلب نظام الحكم الملكي ، أما بعد أن أصبح

الناصريون في السلطة وعرف الانجليز ناصر « بتاع مين » إلى حد أن يصرخ وكيل وزارة الخارجية البريطانية في وجه المندوب الأمريكي « تريد أن نسلم سوريا لعبد الناصر بتاع السي آي ايه ؟! . . وبعد أن يحذد « إيدن » من المسئول في السفارة الأمريكية عن دعم الناصريين : « أما « ليكلاند » فهو مع المصريين ثلاثمائة في المائة »[١٢] .

بعد الانقلاب لم يكن هناك من مبرر لاستمرار التعامل من خلال الـ CIA إلا دور هذه الـ CIA في اقامة النظام . وفي كل بلدان العالم تعمل شتى أجهزة المخابرات ، فهذا نظام عالمي قديم الجذور ، ولكن الظاهرة المصرية اتسمت بالشذوذ والغرابة وتجاوزت الحد المتعارف عليه ، سواء في حجم ومجالات تداخل هذه المخابرات الأمريكية أو مستوى تعاملها مع الطرف المصري . . مما أذهل حتى المراقبين الأمريكيين أنفسهم كما سنرى في شهادة الأمريكي « ليفلاند » هذا النشاط الغريب اليومي بل وعلى شتى المستويات ابتداء من رئاسة الدولة . . وهو ما يؤكده مؤرخ الناصرية في ملفاته :

« مجموعة « كيرميت روزفلت » وكانت مختصة بالعمل والاتصال في الميدان ومن يوم إلى يوم وكان « كيرميت » بالطبع أبرز نجومها واختار لمعاونته اثنين من الدبلوماسيين هما « مايلز كوبلاند »* و « جيمس ايكلبرغر »[١٣] . .

« وأكثر من ذلك رغبة في الطمأنة فإن « كيرميت روزفلت » رجا جمال عبد الناصر بتكليف مصدر واحد تجرى الاتصالات من خلاله ، وكلف « عبد الناصر » مدير مكتبه « علي صبري » بهذه المهمة (ووضعت « مارتا » هامشا آخر هنا يعتذر بأن « كان تصور جمال عبد الناصر أنه من خلال « كيرميت روزفلت » يتعامل مع البيت الأبيض مباشرة فجوازه يؤكد أنه مستشار للرئيس وحتى مع بعض الشكوك الواردة فقد بدا أن ذلك أسلوب « ايزنهاور » في العمل ، وساعد على تقبله وجود « دلاس » وزيراً للخارجية في الوقت الذي يرأس شقيقه « الليثى دلاس » (عفوا آلن دلاس) إدارة المخابرات المركزية الأمريكية » . .

وتأمل كيف يتعثر أستاذ الفبركة ويضطرب في محاولة تغطية موقف عبد الناصر من كيرميت روزفلت وقبوله أن يكون منه في موضع الشريف حسين أو حتى « فيصل » من لورنس . .

خذ هذه :

في قصة السويس الصادرة في عام ١٩٨١ يقول :

« وكان بين هؤلاء المندوبين ، كيرميت روزفلت المسئول الأول في إدارة المخابرات

---

* ها ! قد اعترفنا أخيراً أن المسئول عن مصر هو « كيرميت روزفلت » وله مساعدان مقيمان . . أحدهما « كوبلاند » . . وهو هذه المرة « دبلوماسي » مش عميل زي زمان ! ولا ندري سر تحول هيكل من سب الرجل إلى احترامه . . هل ما كتبناه . . ؟ أم رسالة مصطفى أمين التي أوضحت دور وحجم الرجل . . أم ما يقوله كوبلاند نفسه من أنه « اصطنع » مع هيكل . . ؟! وهل ياترى لهذا الصلح علاقة برحلة طهران ؟! . . الرجل مازال يدير شركة مخابرات قطاع خاص . .

الأمريكية عن الشرق الأوسط وقد وصل إلى القاهرة تحت ستار أنه مستشار خاص للبيت الأبيض . وقد عرف جمال عبد الناصر شخصيته الحقيقية قبل أن يقابله » .

ولكن في « ملفات السويس » التي نشرت بعد قصة السويس بحوالي خمس سنوات ، نجد عبد الناصر ، بعكس الإنسان الطبيعي تقل معرفته بمرور الزمن فيخبرنا الراوي : « في أواخر شهر أكتوبر وصل إلى مصر المستر كيرميت روزفلت ، لكن جمال عبد الناصر لم يكن يعرف حتى هذه اللحظة حقيقة عمل كيرميت روزفلت ، فقد وصل كيرميت يحمل جواز سفر دبلوماسيا يصفه بأنه مستشار خاص لرئيس الولايات المتحدة ، واتصل الوزير المفوض في السفارة الأمريكية بالقائمقام عبد المنعم أمين ليبلغه بوصول أحد مستشاري الرئيس ترومان إلى القاهرة »[٢]

وهكذا ترى أن التاريخ طوع بنانه ، أو من إنتاج الشريف للبلاستيك يشكله كما يشاء .

مرة في قصة السويس « عبد الناصر » عرف كيرميت وحقيقته قبل أن يقابله ، بصرف النظر عن تاريخ المقابلة ، أكتوبر ١٩٥٢ أو بعد ذلك . .

ومرة ظل يجهل ذلك طوال ١٩٥٢ إلى أن تولى ايزنهاور في يناير ١٩٥٣ وجاء روزفلت يحمل جواز سفر جديدا . . وأيضاً في صفحة ٢٣٧ من « ملفات السويس » يعتذر بأن عبد الناصر تعامل مع روزفلت هذا . . لأن « جوازه يؤكد أنه مستشار للرئيس وحتى مع بعض الشكوك الواردة فقد بدا أن ذلك هو أسلوب ايزنهاور » . .

وقبل ذلك بمائة صفحة يقول لنا إن عبد الناصر اكتشف حقيقة روزفلت هذا فور تولي ايزنهاور وعودته بجواز سفر فيه أنه مستشار الرئيس » ص ١٧٨ ع ، أي أنه جاءه مرة بجواز يثبت أنه مستشار الرئيس الديموقراطي ترومان . . وغاب وسقط الحزب الديموقراطي ونجح الجمهوري ورجع أيضاً بجواز فيه أنه مستشار الرئيس الجمهوري . . ولم تكن هذه اللعبة تنطلي على فتى بني مر الذي فقس اللعبة على الفور فلا يحمل مثل هذه الصفة بشكل دائم إلا بتوع المخابرات .

مرة عبد الناصر عرف قبل أكتوبر ١٩٥٢ .

ومرة عرف في يناير ١٩٥٣ .

ومرة « بعض الشكوك » !

أي تاريخ هذا . . الذي لا يرتقي لمستوى الأساطير ؟! . .[٣]

كذلك صيغ وصف لقاء عبد الناصر بروزفلت بعبارة تتفق مع ماجدّ من تطورات وما ظهر من مشاغبين من أمثال كاتبه . . ففي قصة السويس كانت « مارتا » تظن أن أحداً لا يعلم . . ولذلك نفت بشكل قاطع : « لم يكن هناك اتصال بين الثورة والولايات المتحدة قبل ٢٣ يوليو » ! . .

أما في الملفات فقد اضطر « المتهوم » بعد أن استجوب وفق العرف الجاري في البلاد* إلى تعديل أقواله فأصبحت العبارة كالآتي في وصف لقاء روزفلت مع عبد الناصر وعامر وصلاح سالم : « وكان هذا أول لقاء على هذا المستوى بين قيادة ثورة ٢٣ يوليو وممثلين عن الولايات المتحدة» ![١٤]

رائع !

على أية حال بهذه الإضافة « على هذا المستوى » لم يعد هناك كبير خلاف بيننا . . فنحن لم نحدد المستوى ، وإنما أثبتنا وجزمنا بأن لقاء روزفلت هذا لم يكن أول لقاء ولا أول اتصال بين « ثورتهم » والولايات المتحدة الأمريكية ! . . ولكن ما من أحد قال أو يقول إنه كان سيتم على هذا المستوى . . ناصر وعامر وصلاح . . في مرحلة العمل السري ! مستحيل بالطبع . . ويبقى السؤال . . إن كنت لازلت مؤلف قصة السويس ومربوطاً من لسانك بأنه لم يكن هناك اتصال . . فلماذا أضفت « على هذا المستوى » ؟!

وفي رسالة « مصطفى أمين » إلى عبد الناصر ، يقرر أن عبد الناصر كان يعرف مهمة روزفلت ، وأن الاتصال لم يقتصر أبدا على « علي صبري » بل كان هيكل بالذات ومصطفى أمين ، على اتصال دائم به وبمعاونيه . ومايلز كوبلاند كان يرى متأبطاً ذراع « حسن التهامي » في مدرسة الكادر للمخابرات المصرية التي أقامها المدربون الأمريكيون . وإذا كنت تزعم أن « ناصر » أمر بقصر الاتصال مع روزفلت على « علي صبري » . . فأنت متهم بالاتصال بالمخابرات الأمريكية من وراء ظهر عبد الناصر بنص اعترافك فيما ستتعرض له من اجتماعاتك التي تفوق الحصر مع روزفلت ومساعديه . .

وننتقل من الكذب إلى المجون عندما ينسى كل ما قاله عن أهداف الولايات المتحدة فيقول : « أثبت الدور الأمريكي فعلاً قدرته على الضغط على لندن ولكن السؤال المعلق كان هو : ما الذي تريده الولايات المتحدة بالضبط ؟! »[١٥]

بعد كل هذا ولا تعرف ياعثمان ؟!

من حقنا أن نعتب على معلم الناصرية أنه لم يعلم تلميذه عبد الناصر كما يجب ، بل تركه في حيرته مع الزير المعلق أقصد السؤال المعلق . . لماذا لم يخبره بنظرية الإزاحة وأن هذا الضغط والدعم هو لإخراج الرايحين وإدخال الجايين . . وإذا كانت بريطانيا ذاتها ـ كما تفضلت وعرفتنا ـ تفهم وتعرف لماذا تؤيد أمريكا عبد الناصر « لأغراض تشعر الحكومة البريطانية بمقاصدها »[١٦] فكيف لا يعرف عبد الناصر نفسه ؟!

وياهلترى ظل عبد الناصر في حيرته وكيرميت يقدم له معلومات « عن نشاط الإخوان واجتماعاتهم في الخارج »[١٧]

* هذا التعبير من ملفات الحملة الفرنسية ـ محضر التحقيق مع سليمان الحلبي مع الاعتذار الشديد جداً لسليمان .

أما اجتماع « المستوى » هذا فقد حضره أيضاً « وليم ليكلاند » .

« وظهر خلال هذه الاتصالات دور نشيط للمستر « وليام ليكلاند » وربما كان السبب أنه بوصفه مستشاراً شرقياً للسفارة وكان ضليعاً في اللغة العربية »*

وأظن أنه بدلاً من هذا الاستعباط نعرف القاريء من هو « ليكلاند » هذا ، من إحدى روايات « هيكل كريستي » . . ففي رسالة مصطفى أمين المنشورة في كتاب هيكل : بين الصحافة والسياسة جاء الآتي :

« وعرفني كافري بمستر « ليكلاند » وهو شاب أعور يعمل ملحقاً في السفارة واكتشفت أنه أقوى موظف له نفوذ على كافري برغم أنه ملحق صغير بالسفارة وكان يجيد العربية إجادة تامة ، وكان يزورني في مكتبي وفي بيتي باستمرار ، وأعتقد أنه له فضل كبير في التأثير على كافري وعلى سياسة أمريكا في مصر » .

« وعندما قامت الثورة أبلغني ليكلاند أنه في ليلة قيامها أيقظ السفير البريطاني في واشنطون مستر دين اتشيسون . . وزير الخارجية من النوم وأبلغه أن ثورة شيوعية قامت في مصر وأن الحكومة البريطانية قررت التدخل العسكري فوراً وتحرك الجيش البريطاني من فايد لقمع الثورة ، وقال لي « ليكلاند » : إن دين اتشيسون طلب مهلة للتشاور وأنه أبرق إلى كافري يسأله رأيه ، وأن « ليكلاند » هو الذي أعد البرقية العنيفة التي على أثرها أبدت أمريكا اعتراضها على التدخل العسكري البريطاني في مصر ، وشعرت بحكم اتصالي المستمر بأهمية ليكلاند وقوته رغم صغر سنه . وأبلغت المرحوم صلاح سالم برأيي أن ليكلاند هو السفير الحقيقي ، وعقب ذلك حدث اتصال مستمر بين ليكلاند وبين الرئيس جمال عبد الناصر وصلاح سالم . . وكان ليكلاند هو الواسطة بين الثورة وبين السفير الأمريكي » « وكان يبدو متحمساً للثورة ومؤيداً لها وأعتقد أنه قام بخدمات جليلة جداً في شأن علاقات أمريكا مع الثورة في بدء قيامها » .

أعرفت الآن لماذا يتشبث « هيكل » بورقة التوت لستر عورتهم ، بالزعم أن « ليكلاند » هذا انضم للمخابرات الأمريكية بعد الثورة وليس قبلها ! .

وإلى أن نتناول الأمر بالتفصيل في الفصول القادمة ، نقول إن أهمية تحديد توقيت اتصال عبد الناصر بالمخابرات الأمريكية ، هو أن هذا التحديد يساعد في فهم طبيعة الظاهرة الناصرية ، ويعزز تفسيرنا بأنها مجرد افراز للصراع الأنجلو ـ أمريكي ومن ثم فهي محكومة بقوانين هذا الصراع . بقصور ومحدودية ارادة وحركة أدوات هذا الصراع ، وقابلية أو حتمية خضوع هذه الأدوات لضغوط طرفي الصراع . فلو كانت الناصرية افرازا للصراع العربي ـ

---

* شوف الأمريكان بيحبوا العربي إزاي . . واحنا كمان . . مصطفى أمين وهيكل أصبح لهما نفوذ كبير على الثورة علشان بيعرفوا أمريكاني ! ها ! ها ! .

الإسرائيلي ، لاتخذت مسارا آخر يختلف جذريا عما ارتكبته وأدى إلى تحول إسرائيل من دولة مزعومة إلى أقوى قدرة عدوانية في المنطقة ، لو كانت الناصرية رد فعل التحدى الإسرائيلي لما بدأت عهدها بكل هذه الآمال في مصالحة إسرائيل والتعايش معها ، ولا خاضت المعارك في كل الجبهات هروبا من مواجهة إسرائيل ، ولا كان عبد الناصر يتصلب مع جميع الأطراف في حرب ١٩٥٦ ويتنازل لإسرائيل وحدها .. الخ الخ ..

ولو كانت الناصرية هي التعبير عن الحركة الوطنية المصرية الضاربة بجذورها إلى مطلع القرن التاسع عشر ، ما قبلت فصل السودان ولا تحطيم الرأسمالية المصرية وسحق الديموقراطية ، ولكان مفهومها وممارستها للوحدة العربية بصورة مخالفة تماما .. تأمل على سبيل المثال الحركة الوطنية في فيتنام ، لأنها لم تكن مجرد ظاهرة من ظواهر التناقض الأمريكي ـ الروسي ـ أو التناقض الروسي ـ الصيني ولا التناقض الأمريكي ـ الفرنسي في الاصل .. بل التعبير الصحيح عن الوطنية الفيتنامية ومن ثم فقد استفادت من كل هذه التناقضات ، إلا أنها لم تقبل أن توظف لحساب أي طرف ، ولا قبلت المساومة على أهدافها الوطنية ، وقد كان بوسع ثوار فيتنام أن يكتفوا باعتراف أمريكي باستقلالهم في الشمال ، لينعموا بالسلام والسلطة مقابل تنازلهم عن هدف تحرير وتوحيد كل الوطن .. ولكنهم لم يقبلوا واستمروا في الحرب عشرين سنة أخرى حتى تم تحرير وتوحيد الجنوب رغم أنف أكبر قوة في العالم وهي الولايات المتحدة .. بل وهل أقول رغم أنف الصين حليفة الأمس وعدوة اليوم .. ورغم أنه لا يمكن انكار الدور الذي لعبته أمريكا في هزيمة فرنسا والدور الذي لعبته الصين في هزيمة أمريكا .. وقد استفاد ثوار فيتنام من ذلك دون أن يكلفوا الوطن أو المبادىء تنازلا لأنهم كانوا الممثلين الشرعيين لثورة ووطنية القومية الفيتنامية .. ومن هنا أهمية تحديد « الرحم » الذي استقبل « ثورة يوليو » وغذاها ثم ولدها ..

فإذا كان تعاون المخابرات الأمريكية مع حكومة الثورة ، مريبا ويشكل وثيقة اتهام ، فإن احتضان واختيار هذه المخابرات لتنظيم ناصر وتمكينه من الاستيلاء على السلطة هو الوثيقة الكبرى والدليل القاطع على نفي نسب هذا الانقلاب وبراءة الحركة الوطنية منه التي لم تلده ولا ولد على فراشها .. فله ولأمه الحجر !

ولنبدأ الحديث من بدايته ..

رأى هيكل ، بمناسبة « الحديث عن دور أمريكا أو الشريك الرابع في حرب السويس » فرصة لكي يتعرض « لخرافة تقول بأن الولايات المتحدة كانت على اتصال بقيادة ثورة ٢٣ يوليو قبل قيامها . وأنها كانت في سرها قبل إذاعته »*

* وذلك في كتابه « قصة السويس » الذي كان محور نقاشنا في البداية . وقد أضفنا ما استجد بعد نشر الكتابين : « كلمتي للمغفلين » ، و « ملفات السويس » .

وقد بدأ تعرضه لهذه « الخرافة » التي هي ـ للأسف ـ أقوى من الحقيقة ـ بقوله : « إن بعض الذين يروجون لهذه الخرافة ، يعتمدون ، لسوء الحظ على رواية أوردها المستر مايلز كوبلاند في كتابه لعبة الأمم ، دون أن يسألوا أنفسهم سؤالاً بسيطاً ، هو : من هو « مايلز كوبلاند » ؟ » .

ولا أظن أن القاريء لكتاب لعبة الأمم ، وما كتب عنه في الصحف الأمريكية والعالمية ، كان بحاجة إلى طرح هذا السؤال « البسيط » فالرجل قد عرف بنفسه وبوظائفه والمهات التي عهد له بها ، واتصالاته في مصر مع هيكل نفسه والرئيس عبد الناصر والعديد من المسئولين المصريين ، وكلها أسماء رسمية وذات صفة عليا في الجهازين الأمريكي والمصري ، وكان الأحرى بهيكل أن يرد أولاً على تعريف الكاتب والناشر بمايلز كوبلاند ، قبل أن يقرعنا على عدم السؤال ، وقبل أن يعرفنا هو بمن هو مايلز كوبلاند . . فإن فضح الرجل كان أسهل ألف مرة ، لو قال هيكل « بصراحة » : يقول مايلز كوبلاند إنه كان يعمل في السفارة الأمريكية في الفترة من كذا إلى كذا . . ولكن هذا غير صحيح . . والدليل كذا وكذا . . أو أنه كان عضواً في لجنة تخطيط سياسة الشرق الأوسط بوزارة الخارجية الأمريكية ، وهذه هي وثيقة من الخارجية الأمريكية تثبت أنه لم يعمل بها . . أو أنه يدعي أنه سلم حسن التهامي ، مبلغ الثلاثة ملايين دولار هدية المخابرات الأمريكية لعبد الناصر ، وهذا تكذيب من حسن التهامي يؤكد أنه لا يعرف الرجل ، ولم يحدث أن استقبله في شقته بالمعادي . . الخ . .

لو فعل هيكل ذلك لحق له أن يقرعنا بسؤال : من هو مايلز كوبلاند ، ولكنه لا يملك أن يكذب معلومة واحدة مما قاله الرجل عن نفسه ، فلجأ إلى أساليب « الردح » المعتادة في البلدان المتخلفة . . « دا كان عايز يشتغل ولم نقبل تعيينه ! وعندنا جوابات منه . . الخ » . .

يقول هيكل : « مايلز كوبلاند ـ وهو يعترف بذلك في كتابه ـ أحد موظفي إدارة المخابرات المركزية الأمريكية الذين عملوا في مصر فترة من الزمن » . .

صحيح ! ! وهذا ما قاله الرجل وافتخر به ، بل قدمه كوثيقة ودليل على صدق معلوماته ، ولكن هيكل يقفز فوق هذه الحقيقة ليستنتج أنه لا يمكن أن يؤلف وينشر إلا بموافقة المخابرات الأمريكية ، وبالتالي « فالهدف هو تلطيخ سمعة جمال عبد الناصر كجزء من حملة « الدعاية السوداء » كما يسمونها ضد الثورة وقائدها » .

ثم يؤكد أن للرجل ملفات كاملة في الحكومة المصرية تضم خطابات بإمضائه « يطلب فيها أموالاً من الحكومة المصرية لينشيء لحسابها إدارة مخابرات » . وهناك « تأشيرات » على هذه الخطابات بالرفض » ، « وبينها خطابات بتوقيع مايلز كوبلاند يشكو فيها من أن جميع المصريين المسئولين لا يقابلونه ولا يردون عليه ، بينما هو يريد أن يخدم ، ولا يطلب من مصر إلا ما يستطيع أن يعيش به ويحافظ على مستواه . وتأشيرات على هذه الخطابات بمنع دخوله إلى

مصر وبعدم حاجتها إلى خدماته ، وبأنها ليست مسئولة لا عن معيشته ولا عن مستوى معيشته » .

« وبينها خطابات بتوقيع مايلز كوبلاند يبدي فيها استعداده لحذف وتغيير كل ما لا ترضى عنه مصر في كتابه « لعبة الأمم » وتأشيرات عليها بعدم الرد عليه » .

ويتساءل هيكل في النهاية : « ولست أعرف لماذا لا تنشر كلها أو ينشر بعضها(؟! ج) في مواجهة ما يكتبه وينشره كوبلاند » ؟!

سؤال مهم جداً . .

وهو ـ بالمناسبة ـ ليس موجهاً ضد نظام السادات أو غيره ، حتى لا نقول بمؤامرة لتشويه سمعة الزعيم ، وأن السلطة المصرية تخفي هذه الأدلة التي تبريء ساحته وساحة ثورته ، فالخطابات موجودة من أيام عبد الناصر على رواية هيكل ـ والكتاب عرض على حكومة عبد الناصر ، للتنقيح والحذف وصدر والزعيم حي يحكم ، فكان الأحرى أن تبادر السلطات الناصرية بنشر تلك الخطابات ، إن كانت حقاً تكشف زيف كوبلاند ، ولا تعزز روايته ؟! وهو ما لم تفعله الزعامة الناصرية ولا حكومة السادات* . . مما يجعل سؤال هيكل يثير أكثر من سؤال . . على أن الأدلة التي أوردها السيد هيكل ، وهو طرف مباشر في الموضوع ، تؤكد صحة المعلومات التي أوردها مايلز كوبلاند ، ولا تضعفها فضلاً عن أن تنفيها . . لهذه الأسباب : :

١ ـ الرجل كان موظفاً في المخابرات الأمريكية ، وليس موظفاً عادياً كما سنرى ، ومن ثم فهو ليس بالصحفي الذي يستنتج أو ينقل من مصدر آخر مثلنا ، بل هو شاهد عيان ، عاشر الأحداث . وساهم فيها ، وهو يروى ما عاشه بدقة تفصيلية مثل أين كان الاجتماع . . ومع من . . وماذا حدث عندما دق الباب وعرف أنه السفير البريطاني فخرج له عبد الناصر . . الخ ! وهو لا يروى فقط عن المصريين الذين قد لا يملكون الرد ولا ندرى لماذا ، ولا عن الأموات كما يفعل هيكل ، بل عن مسئولين أمريكيين أحياء ، ولهم أجهزة مهمتها الرد على كل حرف خاطيء يتعلق بهم . . ولا يعقل أن يصدر موظف كبير في وزارة الخارجية والمخابرات مثل مايلز كوبلاند كتاباً في أمريكا ينسب فيه لقاءات وأحاديث واجتماعات لكبار المسئولين الأمريكيين ، كلها من نسج الخيال ، أو يزيف ما جرى فيها ولا يصدر تعليق في هذه الوقائع الأساسية ، وإن كان أكثر من مصدر قد صحح له وقائع تفصيلية . .

ولولا أنه كان موظفاً في المخابرات الأمريكية ـ وليس عميلاً ـ لما كان لكتابه أو شهادته هذه الأهمية ، التي تنبع فقط من أنه موظف في المخابرات الأمريكية .

---

* بل ولا نشرها هيكل الذي يؤكد لنا أنه يحتفظ بكل ورقة وصلت للدولة المصرية في عهد عبد الناصر . . وأكثر من هذا فقد جاء في رسالة مصطفى أمين ، أن صلة الرجل لم تنقطع بعبد الناصر بعد انتقال كوبلاند إلى بيروت .

٢ ـ الرجل على صلة وثيقة بالحكومة المصرية ، ويعتبرها مسئولة ـ ولو أدبياً ـ عن الحفاظ على مستوى معيشته ـ إذا قبلنا رواية هيكل ولا دليل عليها إلا شهادته وهي أكثر من مجروحة ـ ولا يعقل أن يأتي أفاق من فرنسا مثلاً ، ليس له أية صلة بالحكومة المصرية ، ويشكو أنها لا تعطيه ما يحفظ له مستوى معيشته الذي اعتاد عليه !

هذا كلام صاحب عشم وصاحب أفضال سابقة ، وصاحب أسرار يحذر من أن « الجوع كافر » وأن ذلك قد يضطره إلى ما لا يحب « ويضرك يابيه » !

ولا أحد يأتي بكتاب كله أكاذيب ، ثم يساومك على حذف بعض الأكاذيب ؟! لا ليس هكذا فن البلاك ميل . . والأستاذ هيكل خير من يعرف أساليب الابتزاز الإعلامي ، والدعاية السوداء ، والرمادي ، والكروهات . الابتزاز لا يكون إلا على « فضائح » والفضيحة لابد لها من أصل حقيقي . ومن ثم لا يمكن إلا أن يكون مايلز كوبلاند شاهداً مهماً ، ولديه وقائع تمس سمعة النظام المصري ، وبالذات بعض الأشخاص . وأنه وثيق الصلة بالحكومة المصرية إلى حد كتابة الخطابات واقتراح إنشاء « جهاز مخابرات خاص لهم » على ضوء ما شاهدوه وعرفوه من خبرته ، ويشكو من إهمالهم ، ويساوم على حذف بعض ما لديه من معلومات * . . هذا كله يؤكد أن « لعبة الأمم » لم يكن قصة خيالية ، وهذا ما نصل إليه من أدلة نفي هيكل . . أما الأدلة الحقيقية فصبراً علينا . .

يبقى سؤال : لماذا سمحت المخابرات الأمريكية بنشر هذا الكتاب ؟ ويبادر هيكل فيسد علينا الطريق بطرح إجابة : إنها مؤامرة لتشويه سمعة الزعيم . . ونحن لا نرفض هذا التفسير أبداً ، بل بالعكس نجد أنه محتمل جداً ، فالعلاقات منذ ١٩٦٤ أو ١٩٦٥ كانت قد تدهورت تماماً بين واشنطون والقاهرة ، والأجهزة الأمريكية المؤيدة لناصر كانت قد هُزمت أمام الأجهزة النفطية والإسرائيلية والبيروقراطية المعادية لنظام حكمه . . وكانت الولايات المتحدة قد اتخذت قرار تحجيمه إن لم يكن إسقاطه . . فلا عجب ولا غرابة أن تحاول الأجهزة الأمريكية تشويه سمعته . . ولكن الأستاذ « هيكل » وهو خبير يعرف أن أجهزة المخابرات عندما تقرر تشويه سمعة « زعيم » فهي تلجأ إلى أحد أسلوبين أو هما معاً : الشائعات . . وهذه لا يعرف مصدرها ، ولا يمكن الدفاع عنها ، ولكنها تخلق التشويش المطلوب ، وهذه قد تكون كاذبة وملفقة . لا يهم . . فلا أحد يتحمل مسئوليتها . وهذا ما استخدم ضد محمد نجيب والنحاس وصلاح سالم . . الخ . .

الأسلوب الثاني . . هو نشر وثائق تدين هذا الزعيم ، وتسيء إلى سمعته ، وأحيانا ـ نادرة ـ تكون الوثائق مزورة بإتقان بالغ ، ولكنها في هذه الحالة لا تنسب أو لا تصدر بشكل

---

* يعزز هذا قول التهامي : إن الكتاب عرض على عبد الناصر نفسه . ثم مصالحة كوبلاند في عهد السادات والسماح له بدخول مصر . وأخيراً تغير لهجة هيكل في الحديث عنه في « ملفات السويس » فقد ذكر مركزه ودوره بكل احترام كما أوضحنا في الصفحات السابقة .

واضح من الجهة التي تريد ترويجها ، لسبب بسيط هو أن الزعيم أو المسئول ، يستطيع بما يملك من سلطات ، إثبات تزويرها ، وبالتالي تفقد هذه الجهة التي أصدرتها مصداقيتها عند الناس ، وهو عنصر مهم جداً لنجاح حملاتها بل حتى أكاذيبها في الظروف الحرجة . . لا يمكن أن تصدر وثيقة علنية على لسان المخابرات الأمريكية ضد رئيس دولة تتحدث عن اجتماعه وتنسيقه برجالها ، دون أن يكون لذلك أصل . . لأن الناس لن تصدق المخابرات الأمريكية بعد ذلك . . وجانب مهم من نجاح هذه الأجهزة وقدرتها في السيطرة على العملاء والمتعاونين ، هو هذه الوثائق التي تملك نشرها والتي تفقد قيمتها ، إذا طعن فيها بالكذب ، أو إذا قبلنا منطق هيكل بأنه يستحيل نشرها ، وهو المنطق الذي يغررون به بالعملاء عند بداية تجنيدهم للعمل ، بأن خطيئتهم في الحفظ والصون ! .

نعود للسؤال . . لماذا نشر هذا الكتاب ؟ . .

والسؤال لابد أن يشمل العديد من الكتب والأخبار والقوائم والتقارير التي نشرت ابتداء من هذه الفترة ، وكلها تتضمن معلومات « حقيقية » عن نشاط المخابرات الأمريكية ، وأجهزتها وعملائها . . ثبتت صحتها ، أو على الأقل لم يقدم ـ حتى الآن ـ دليل ينفيها . . وفي حالات قليلة جداً قام المعنيون برفع قضايا ضد الناشرين . .

ولسنا ندعي أننا نملك القدرة على تحديد « كل » الأسباب التي تدفع المخابرات الأمريكية ، إلى نشر بعض وثائقها ، في فترة من الوقت . . فهذه الأجهزة وصلت إلى مستوى من التكنيك والتعقيد ، يفوق الفهم العادي ، وأحياناً يخرج عن دائرة حسابات منظميه !

ولكن عجزنا عن الفهم ، لا يدفعنا إلى نفي وجود هذه المخططات ، فليس كل الناس بوسعهم فهم نوعية العلاقة بين روسيا والولايات المتحدة ، ولا كيف تكون أنجولا شيوعية ، ومع السوفييت ، وحكومتها تعيش على حماية الكوبيين ، ومصدر دخلها الوحيد الذي تدفع منه مرتبات الكوبيين ، هو النفط الذي يملكه الأمريكيون !

ومرة قلت إن السياسة هي الآن رياضة عليا ، أو ما يسمى في المدارس بالرياضة الحديثة ، والذين يحاولون فهمها بمبادىء الحساب أو الرياضيات القديمة ، يفشلون فشلاً ذريعاً . . ولكنها علم موجود وضروري ، وهو وحده يفسر الكثير من غرائب العلم . فنحن نواجه قضايا كالفيروسات ، قد لا نستطيع رؤيتها ، بل ولا نملك تحصين أنفسنا ضدها . . ولكن تجاهلها هو انتحار . .

فلنسلم أولاً أن جانباً من الإجابة ، على سؤال : لماذا تنشر المخابرات الأمريكية أو موظف سابق في المخابرات الأمريكية . . هذه الأسرار ؟ هو سؤال ، فوق مستوى فهمنا . وإذا كنا نفتح أفواهنا في بلاهة أو دهشة ، عندما نقرأ أن ثورة ٢٣ يوليو بكل شعاراتها ومغامراتها وأمجادها ، بدأت بعلاقة خفية مع المخابرات الأمريكية . . فلا يجوز أن نرفض هذه الحقيقة ، لمجرد أن جانباً من الإجابة على سؤال : لماذا يخبروننا ؟! صعب الفهم . .

ثم نضيف هذه الحقائق :

١ ـ قانون حرية المعلومات . . وقد صدر عام ١٩٦٦ وهو لا يمنح الشعب فقط حرية نشر المعلومات ، بل يجبر الأجهزة الحكومية على تقديم المعلومات لمن يطلبها . . وهو النص المكمل لحرية الإعلام ، إذ أنه طالما ظلت المعلومات محظورة ، فلا سبيل لمعرفة الحقيقة ، ومن ثم لا ممارسة حقيقية لحرية الاختيار . . وصدور هذا القانون ليس كما وصفه « وليم شوكروس » الكاتب البريطاني ومؤلف كتاب : « نيكسون ـ كسينغر وتدمير كمبوديا » وهو الكتاب الذي نشر أكبر مجموعة من الوثائق السرية الأمريكية عن تآمر الحكومة الأمريكية على تدمير كمبوديا رغم حيادها . . فقد وصف الكاتب البريطاني قانون حرية المعلومات بأنه « تحية لثقة المجتمع الأمريكي بنفسه » .

نحن لا نرى ذلك . . بل نعتقد أنه كان تعبيراً عن ثورة ، وفي نفس الوقت محاولة لإجهاض هذه الثورة ، التي تنامت في الستينيات ، ضد الأخطاء الفادحة التي ارتكبتها « المؤسسة » الأمريكية وتوجت بكارثة فيتنام ، والتي لولا هذا الانفراج ، ولولا الانفتاح الليبرالي ، الذي خفف الضغط عن المثقفين الأمريكيين ، لربما أدى إلى تغييرات أكثر عمقاً في التركيبة الأمريكية .

ولكن هذه « الحريات » التي تتابعت ، من حرية المعلومات إلى حرية الفاحشة ، وما أدت إليه من مبالغات ، لعل بعضها كان مقصوداً ومدبراً ، مثل نشر قائمة بأسماء موظفي المخابرات الأمريكية (الأمريكان) في الخارج مما أدى إلى تعرضهم لحوادث اغتيال ، ومثل نشر أو إحباط بالنشر ، لكثير من عمليات أمريكا . . مما أدى إلى ردة فعل سنتعرض لها . .

المهم أنه في هذه الفترة من ١٩٦٦ إلى وصول ريجان للحكم وبداية الهجمة اليمينية ، لإعادة الهيبة والجدية والسرية لأجهزة الدولة ، تسربت ونشرت حقائق كثيرة جداً . . كان الشرق الأوسط هو أقلها ـ للأسف ـ كما شهد هيكل نفسه بأن ما نشر عن الشرق الأوسط لا يكاد يذكر إلى جانب ما نشر من أسرار ونشاط المخابرات الأمريكية في مناطق أخرى من العالم ، ولهذا أسبابه ـ التي تؤكد أن قبضة المخابرات الأمريكية لم تحطم تماماً حتى في هذه الفترة ، والمعروف أن هذه الأجهزة تتقن فن مقاومة الانفجارات السياسية ، أو التغييرات المفاجئة والمؤقتة وإذا كانت بريطانيا العظمى أم الديموقراطية تمكنت من حرق (خطأ !!) مسودة الاتفاق البريطاني ـ الفرنسي ـ الإسرائيلي ، فلم يعد لها وجود ، واستحال عثور أي محقق أو مؤرخ عليها ، فإن الموظفين المخلصين في المخابرات الأمريكية ، يستطيعون في تلك الفترة الشاذة إخفاء بعض الملفات ، أو التعلل بعدم وجودها ، أو البحث عن ثغرة في

القانون . . الخ* . .

وهناك أيضاً تفسيرات أخرى ، فالمخابرات الأمريكية تهتم بحفظ الوثائق عن عملائها في الشرق الأوسط ، لأن العملاء يعمرون في السلطة وفي الخدمة أكثر ، ولأن ـ وهو السبب الأهم في اعتقادي ـ الحريصين على الاستفادة من قانون حرية المعلومات في بلدان العالم الأكثر تقدماً ، أكثر بكثير جداً من الذين حاولوا الاستفادة منه في الشرق الأوسط ، أو من العالم العربي بالذات ، فأنشط العناصر وأقدرها وأبرزها على الساحة العربية هي صاحبة المصلحة في عدم نشر هذه الوثائق . وإلا فأين هي المؤسسة التي توجهت فوراً إلى واشنطون وطلبت هذه المعلومات ؟! العجز والكسل واللامبالاة والجهل كلها حجمت الخسائر ، فلم ينشر إلا النذر اليسير ولأسباب عديدة ، قد تكون منها الأسباب الشخصية التي نسبها هيكل لمؤلف « لعبة الأمم » الذي أكد ما جاء في كتابه ، أكثر من وثيقة . . منها على سبيل المثال كتاب « حبال الرمال » لمؤلف لا يمكن أن تعلق ذرة من الغبار على سمعته ، ومدافع مخلص عن الحق العربي ، والذي شهد أن كوبلاند كان يقابل عبد الناصر كلما شاء كوبلاند . . وكذلك ما جاء في رسالة « مصطفى أمين » الصحفي المعروف ورئيس هيكل ، إلى الرئيس جمال عبد الناصر . . وعندما يقول مصطفى أمين لعبد الناصر في خطاب لم يتصور أنه سينشر يوماً ما . « كلفتني أن أذهب أنا وهيكل وأقول لمايلز كوبلاند كذا وكذا . . » فإن من حقنا لا أن نصدق رواية كوبلاند عن نفسه فقط ، بل وأن نطرح أكثر من علامة استفهام حول تجاهل « هيكل » لمايلز كوبلاند ، ومحاولة نفي أية علاقة به أو حتى أنه قابله ، أو أنه كان يشغل مكانة مهمة ، وعلى اتصال وثيق بالسلطة المصرية على أعلى مستوياتها . .

لماذا هذا الإنكار ؟! إلا إن كان هيكل يعرف أن فيه شبهة** ؟! وما الشبهة في الاتصال بمسئول أمريكي ؟ . . إلا إن كان مسئولاً من نوع خاص ؟!

وقد ثبت أن ما نشر في هذه الفترة عن عملاء أمريكا في أوروبا صحيح ، وأن ما نشر عن دور المخابرات الأمريكية وبالذات « كيرميت روزفلت » في خلع حكومة مصدق بإيران وإعادة الشاه ، حقيقي مائة بالمائة ، ومن الحقائق المسلم بها؟[4] كذلك ما نشر عن دور هذه المخابرات في انقلاب حسني الزعيم ، وما نشر عن الصحف التي كانت تصدرها أو تمولها المخابرات الأمريكية مثل مجلة « حوار » كان حقيقة مؤكدة أدت إلى إغلاق هذه الصحف وانتحار بعض العاملين فيها وهروب البعض الآخر خارج مصر وانتهاء مستقبلهم الفكري

---

* وقد نجحت هذه الأجهزة ، في منع نشر وثائق « الثورة » وكان المفروض أن تنشر في عام ١٩٨٢ أي في ظل الانفتاح ولكنها قررت نشر الفترة من ١٩٥٢ ـ ١٩٥٤ معاً وبذلك كسبت عامين وإلى أن عاد الانضباط فحذف كل ما يشير إلى الارتباط بالمخابرات الأمريكية كما ذكرنا في المقدمة .

** الشبهة تضاعفت الآن بعدول هيكل بعد نشرنا هذا الكلام ، عدوله عن تجاهل كوبلاند واضطراره إلى الاعتراف بأهميته . .

والسياسي رغم محاولات بعثهم بواسطة عملاء السي آي إيه . وإذا كان من الممكن أن يتسرب من المخابرات الأمريكية نبأ عمالة رئيس وزراء الهند ، بل ومرتبه الذي يتقاضاه من المخابرات الأمريكية ، وهو لا يزال يعمل في السياسة الهندية ؟! بل ويعرف المبلغ الذي يصرف من المخابرات الأمريكية لأحد رؤساء الدول العربية الأحياء ـ وقت كتابة هذه السطور ـ فلماذا نستغرب نشر عمالة أحد الصحفيين وخاصة أن اتصالاته بالأمريكيين وتقديمه المعلومات لهم سابقة على الثورة ، وواردة في وثائق رسمية تحمل طابع وزارة الخارجية الأمريكية ؟! . .

٢ ـ يجب أن نضع في الاعتبار أيضاً ، أن المخابرات الأمريكية مثل المجتمع الأمريكي ، غريبة التكوين غريبة الفلسفة ، قد تكون على درجة عالية في التكنيك والتكنولوجيا ، ولكنها تفتقر إلى التقاليد ، إلى شرف المهنة ، إلى الالتزام من قبل العاملين فيها ، وذلك لافتقار المجتمع كله لروح وطنية . . فلا مجال لمقارنتها بالمخابرات البريطانية أو الروسية حيث يسودهما نظام أشبه بالرهبنة والتبتل . . في المخابرات الأمريكية ، عدد كبير من العاملين بها ينشقون ، ويفضحون أسرارها ، ربما عن نزعات ليبرالية ، وهي صفة أصيلة في الإنسان الأمريكي إلى جانب العنصرية والغرور والإجرام والعنف . . الخ . . وبعضهم لمجرد الكسب فهم يستغلون مراكزهم للعب في البورصة ! أو عقد صداقات لتكوين شركات بعد تقاعدهم مع عملائهم في البلدان الأخرى ! ولذلك لا نستبعد أن يكون مايلز كوبلاند قد تحرك بدافع انتهازي ، وأنه حاول فعلاً مساومة السلطات المصرية التي لم تصدق أنه يستطيع نشر هذه الأسرار ، أو أنه أراد أن ينشر كتاباً ناجحاً فاستغل ما لديه من معلومات وحقائق . .

٣ ـ يجب أن نضع في الاعتبار أيضاً أن إعلان دور المخابرات الأمريكية في تدبير ثورة العصر ، وخلق أكبر زعيم في العالم الثالث ، هو نوع من الترويج والدعاية للمخابرات الأمريكية ، في وقت كانت تتعرض فيه لحملات نقد قاسية ، وفقدان ثقة . . فقد كان يهمها أن تروج عن عملياتها الناجحة ، والأجدر أن يتساءل هيكل ، لماذا نشر « كيرميت روزفلت » عراب الثورة المصرية ، وهو ليس « مجرد » موظف في المخابرات الأمريكية ، بل نائب مدير المخابرات ، ورئيس العمليات في الشرق الأوسط كله . . لماذا نشر دوره في الانقلاب على مصدق ؟ . . هل كان ذلك جزءاً من « الدعاية السوداء » لتشويه سمعة الشاه ! . . لا . . بل دعاية للمخابرات الأمريكية ، وجذب للحكام والراغبين في العمالة . . وأيضاً من قصور وعجز النظام الأمريكي ، وقد احتج الانجليز الأعرق في فن الإفساد والتآمر على زهو الأمريكيين علناً بدورهم في خلع مصدق .

٤ ـ القانون الأمريكي حتى قبل صدور قانون حرية المعلومات ، كان يحدد فترة زمنية معينة ، يتحتم بعدها نشر الوثائق ، وبالطبع تستطيع هذه الأجهزة أن تخفي إلى حد ما ، وثيقة ترى أن نشرها يشكل ضرراً فادحاً للمصالح الأمريكية ، أما العملاء الذين انتهى دورهم ، فلا أهمية لهم ، ومن ثم يقذف بهم إلى مزبلة التاريخ كالليمونة بعد عصرها . .

٥ ـ كما سنرى من عرض كتاب « مايلز كوبلاند » أن عملية الثورة المصرية كانت من تدبير جانب معين في الإدارة الأمريكية ، وأن العملية في النهاية من وجهة نظر دافع الضرائب الأمريكي ، والسياسي العادي ، كانت عملية فاشلة خاطئة أضرت بأمريكا ولم تفدها ، ومن هنا كان من مصلحة المخابرات الأمريكية أن تدافع عن نفسها ، والكتاب كله يدور حول هذه النقطة ـ ولا تنس أنه مكتوب للأمريكيين ، فلا يزيد عدد من قرأه من المصريين على بضع مئات ـ فالكتاب يقول : إن خطة المخابرات الأمريكية في إنجاح ودعم ثورة ٢٣ يوليو كانت صائبة ، ولكن الأجهزة الأمريكية الأخرى أفسدت المخطط . . وتسببت فيما حدث من تناقض ثم صدام بين القاهرة وواشنطون .

فهو دفاع عن المجموعة التي بدأت لعبة الانقلابات العسكرية في المنطقة من سوريا ومصر وإيران ثم ثلاث دول عربية أخرى ـ على الأقل ـ لا نستطيع ذكرها بسبب الجبن ولكي لا يتسع الخرق على الراتق ، وإن كان يستحيل على متوسط الذكاء إلا أن يخمنها ! . .

إنه جزء من حوار ساخن علني وسري يدور في المجتمع الأمريكي حول الدور الأمثل للمخابرات الأمريكية ، وهل كان تدخلها بقلب النظم وإقامة نظم هو لصالح الولايات المتحدة في النهاية ؟ بل إن كتابات هيكل هي جزء من هذا الحوار .

٦ ـ ثم لا يخفى التعقيد الذي تمت به عملية ٢٣ يوليو فهي كما سنشرح ليست انقلاباً أمريكياً من طراز انقلابات أمريكا الجنوبية أو الانقلابات السورية ، وقد غضب عبد الناصر جداً ، عندما ظن أن وزارة الخارجية الأمريكية تريد معاملته على هذا الأساس . .

وقد حدث انشقاق كبير في السنوات الأخيرة بين مصر والولايات المتحدة ، كما لعبت التناقضات الشخصية دورها بين العناصر المشتركة في اللعبة ، وربما كان نشر « بعض » الحقائق عن شخص « ما » ، هو فرصة أذن لصحفي كبير خرج عن أصول اللعبة بدافع الحقد الشخصي فغدر بعميل أكبر منه ـ تاريخياً وأقدم منه ـ فكان أن سربت المخابرات الأمريكية ، معلومات جديدة لحقيقة قديمة كانت قد نسيت تماماً . .

٧ ـ وأخيراً فإن السؤال الذي يمر بالخاطر ، هو أن نشر معلومات مايلز كوبلاند ، وكراين وغيرهما . . هل أدى إلى أي تغيير أو حتى تساؤل ، أو إضعاف لمركز ومناصب ودور الأشخاص الذين تناولتهم هذه المعلومات وأكدت دورهم في التعامل مع المخابرات الأمريكية ؟!؟

إن هذه الأجهزة تتعامل مع البلدان المتخلفة ، كما يتعامل الإنسان مع الحيوانات لا يهمه أن يتحدث بأسراره ، أو أن يتعرى أمامها ، فهي غير قادرة على الاستفادة من ذلك ، ونحن نعرف مقدماً أن الكثير سيلقون بهذا الكلام جانباً ويستعيذون بالله من تشويه سمعة الزعيم الخالد . .

وقبل أن ننتقل لقصة الثورة والمخابرات الأمريكية ودفاع هيكل المتهافت ، نشير إلى أن

الموجة الليبرالية قد انحسرت في الولايات المتحدة ، بزوال ذكريات فيتنام ، ومع الأزمة الاقتصادية وارتفاع معدل البطالة ، والردة المحافظة بعد موجة الانحلال ، مما أدى كله إلى انتشار موجة « وطنية » « دينية » محافظة ، دفعت بالجناح اليميني في الحزب اليميني (الجمهوري) إلى السلطة ، وبدأت حكومة ريجان تعيد تنظيم الأجهزة وتفرض احترام المؤسسات وأسرارها .

قدم ريجان مشروعاً للكونجرس باستثناء المخابرات الأمريكية من قانون حرية المعلومات ، كما كسبت المخابرات الأمريكية ـ في عهد ريجان ـ كل القضايا التي رفعتها ضد موظفين سابقين فيها أو ناشرين حاولوا نشر معلومات عن نشاطها دون موافقتها . وفي ١٩٨٠ حكمت المحكمة الدستورية العليا الأمريكية بـ ٦ أصوات ضد ٣ في قضية « سنيب ضد الولايات المتحدة » قضت بحق المخابرات الأمريكية في مراقبة ما ينشره موظفوها السابقون مدى الحياة ، للتأكد من أنهم لم يذيعوا معلومات سرية . وحكمت المحكمة أن أي شخص وقع هذا العقد عند التحاقه بالخدمة ، ولم يعرض مؤلفاته على المخابرات قبل نشرها حتى ولو كانت تتضمن معلومات غير سرية ، يكون قد خرق أو أخل بتعهده . وعلى هذا أجبر « فرانك سنيب » وهو محلل سابق لشئون شمال فيتنام في المخابرات الأمريكية ، أجبر على أن يعيد للحكومة كل ما حصل عليه من عائدات كتابه : « Decent Interval » ، وجاء في حكم المحكمة مباديء عامة تجعل من الممكن تطبيق شروط الرقابة المسبقة على النشر على عشرات الألوف من الموظفين حتى خارج CIA الذين لهم اتصال بالمعلومات المحظورة » .

وكان « كارتر » آخر الليبراليين ، أو آخر مرحلة الانقلاب والتسيب ، أو إن شئت تطويق الثورة بالانفراج . . قد أصدر قانوناً عام ١٩٧٨ بترجيح حق الجمهور في المعرفة عند تصنيف الوثائق إلى محظور ومباح ، فيقتصر الحظر على ما لا مجال للشك في خطورته على الأمن الوطني ، أما ما يحتمل الشك فيفرج عنه للجمهور .

وقد ألغى ريجان هذا القرار في ٢ أبريل ١٩٨٢ ، فأُعفي الموظفون من أي اعتبار لحق الجمهور في المعرفة ، وألزموا في حالة الشك بترجيح الحظر ، وألغى شرط « خطر على الأمن الوطني » .

وفي ١١ مارس ١٩٨٣ صدر قانون رئاسي أي لا يعرض على الكونجرس ، يحظر على طائفة كبيرة من الموظفين العاملين والسابقين « نشر أي معلومات قد تكون سرية » وقد لاحظ الرئيس نيكسون أن قائمة الطعام في البيت الأبيض يكتب عليها « سري » .

وقال « ريتشارد ويللر » نائب المدعي العام إن هدف تشريعات الرقابة المسبقة على النشر ، هو تقديم أسلوب معقول لمنع الموظفين الذين على اتصال بالمعلومات السرية من نشرها » .

كما أصدر الرئيس ريجان ، قانون « حماية الأشخاص العاملين في المخابرات » . وهو يمنع نشر أسماء الأشخاص المتعاونين بطريقة ما مع المخابرات الأمريكية* حتى ولو كانوا قد ارتكبوا جرائم معاقب عليها بموجب القوانين الأمريكية » . وقد وصفه فيليب كيرلاند ، أستاذ القانون في جامعة شيكاغو بأنه أوضح عدوان قام به الكونجرس على الحرية الأولى في وثيقة الحقوق »[١٨] .

وفي أكتوبر ١٩٨٣ حكمت المحكمة العليا بحق المخابرات في رقابة أي مادة تنشر عنها ، وحذف ماتراه مخلاً بالأمن .

وتقرر إعادة تسجيل تاريخ المخابرات على شرط ألا يتاح لأحد خارج المؤسسة على الإطلاق ، وإلى الأبد . . أو كما صرح المتحدث باسم الـ CIA « دال بترسو » « سيبقى هذا سريا إلى الأبد » (واشنطون بوست ١٩/١٠/٨٣) .

ويوصف « ستانسفيلد تيرنر » رئيس المخابرات الأمريكية الأسبق « بالهمجي » لأنه كان من أنصار الانفتاح ونشر المعلومات . ووصف التشريع الجديد ، بأنه « سيحرر الـ CIA من العبء الثقيل والفريد من نوعه المتأتي من « قانون حرية المعلومات » فإن الوكالة ستحتفظ بجميع ملفاتها عن العمليات تحت الحظر على مدى المستقبل المنظور »[١٩] .

ولعل هذا يوضح أن الولايات المتحدة مرت بفترة انفلات ولا أقول ثورة ولا راديكالية ، وأن كان طلبة أمريكا في الستينيات شكلوا أكبر قوة ثورية في العالم وقتها . أدت إلى رغبة في

---

* وبذلك أمكن حذف أسماء عملاء المخابرات الأمريكية من وثائق ١٩٥٢ ـ ١٩٥٤ عن مصر وذلك بفضل مناورة تأجيل النشر حتى صدر القانون .

ونحن ندعو القارىء إلى مراجعة رسالة مصطفى أمين إلى عبد الناصر وكيف كان دينامو الأحداث لا يكاد يمر يوم واحد في الفترة من يوليو ٥٢ إلى ديسمبر ١٩٥٤ لا يجتمع فيه مصطفى أمين بمسئول أمريكي في القاهرة أو واشنطون . . ومع ذلك فقد خلت وثائق الخارجية الأمريكية المنشورة عن هذه الفترة تماماً من اسم مصطفى أمين ؟! ما تفسير ذلك إلا أن قانون حظر نشر أسماء عملاء السي آي ايه قد طبق بحذافيره ؟! . .

هنا كل الناصريين سيتقبلون بارتياح هذا التفسير ، ولكن لأنه لا القانون ولا المنطق يعرف زينب فإن نفس السؤال نوجهه حول هيكل ، ويكفي مطالعة نشاطه فيما أسماه : يوميات أزمة في سلسلة أزمات حيث نجده مع كل تحرك قام به أمريكي في القاهرة من ٢٧ سبتمبر إلى ٣٠ سبتمبر ٥٥ ـ على سبيل المثال ـ سنجده قد قابل واجتمع مع هؤلاء الأمريكيين . . ايكلبرغر ، كيرميت روزفلت ، ايريك جونستون . . هنري بايرود . . الخ ونحن لا نشك أبداً في عرضه هذا ، وأنه كان على نفس المستوى وربما أكبر في الفترة من ١٩٥٢ إلى ١٩٥٤ فكيف سقط اسمه تماما من الأرشيف (المنشور) للخارجية الأمريكية الذي لا يترك شاردة ولا واردة إلا أحصاها ، وكيف ورد اسمه فيما صدر قبل القانون المذكور ؟!

هل من تفسير أفضل عند الناصريين ؟!

معرفة ما يجري في أحشاء المجتمع الأمريكي ، ثورة الفرد الأمريكي ، أو المؤسسات الليبرالية ضد النمو السرطاني لأجهزة الأمن ، وهؤلاء هم الذين آمنوا ـ عن حق ـ بتصفية المؤسسات السلطوية الأمريكية ، لأنها إذا كانت تبني الامبراطورية الأمريكية في الخارج بهذه الأساليب القذرة ، فإنها لابد ـ كما تؤكد عبرة التاريخ ـ أن تمتد إلى الداخل وبنفس الأساليب ، وتسلب المواطن حريته وأمنه واستقلاليته أو خصوصياته . . وهذا ما أكدته فضائح المباحث الفيدرالية ، وفضيحة ووترجيت ، وتغلغل المخابرات الأمريكية في الصحافة والجامعات ، وإجراء تجارب بشعة على مواطنين أمريكيين . . فرأى هؤلاء أن نشر فضائحها وسيلة من وسائل تصفيتها أو تطهيرها ، أو تطوير أعمالها إلى مستوى أكثر أخلاقية . .

وكان هناك ـ كما ذكرنا ـ الذين نشروا هذه الأسرار ، كوسيلة من وسائل الكسب بنشر كتب أو مقالات مثيرة ، وهناك من استخدموها كنوع من البلاك ميل ، أو لحساب صراعات مراكز القوى ، وهو ما حدث بالنسبة للشرق الأوسط ، فالخلاف بين وكلاء السلاح أدى إلى استعانتهم بموظفين سابقين في المخابرات الأمريكية نشروا معلومات عن عمالة وعمولات الوكلاء المنافسين . .

في تلك الفترة الشاذة في تاريخ أمريكا وتاريخ الامبراطوريات عموماً نشر الكثير من حقائق الممارسات الأمريكية المخالفة للشعارات المعلنة عن المبادىء والقيم الأمريكية ، مثل مذبحة « ماي لاي » في فيتنام ومثل كتاب « لعبة الأمم » ومثل دور أمريكا في الانقلاب الإيراني والانقلاب اليوناني والسورى . . ولكن القوى المضادة استطاعت أن تنظم حملة ضخمة لم تقتصر على الولايات المتحدة ، بل اتخذت طابعاً عالمياً ، من قبل الحكومات والمؤسسات والعملاء الذين ثاروا ضد هذا « الانقلاب » وهددوا بمنع التعاون مع أمريكا التي لا تستطيع أن تحفظ سراً . . مما ساعد على تقوية التيار الداخلي ، فأعيد الانضباط وانتهى المهرجان . . فهل نستفيد من القليل الذي تسرب في لحظة الفوضى ؟!

هيهات ! فقد استولى الثوار في طهران على وثائق السفارة الأمريكية كاملة ، وأعادوا لصقها بعدما قطعت ، وبها أسماء الكثير من العملاء ، والمثير من المعلومات . . فأين هي ؟ ومن استفاد منها ؟

ألم يشاهد قوم إبراهيم أصنامهم محطمة وملقاة على الأرض مجرد نفايات ، فهل شكوا فيها ، أو كفروا بها ، فضلا عن الإيمان بإبراهيم ؟ بالعكس راحوا يجمعون الحطام ويلصقونه لإعادة تركيب « الآلهة » وكان همهم الأول وشغلهم الشاغل هو البحث « عمن فعل ذلك بآلهتنا » لا لمكافأته على كشف الحقيقة لهم ، بل لحرقه في النار تأكيداً لإيمانهم بالنفايات الملقاة على الأرض ، بالأصنام المحطمة . . وتأكيدا لإبراهيم أن كل ما بذله لإثبات زيف هذه الآلهة لم يزدهم إلا يقينا بالأصنام الخالدة التي تآمر إبراهيم على تشويه سمعتها !

وتأمل كل الأسماء التي وردت في كتاب « لعبة الأمم » كمتصلين بالمخابرات الأمريكية ، تجدها مازالت بعد ١٩٦٩ في مكانها على القمة ، أو عادت للتألق بعد فترة خفوت . . وكأن ساحراً ما ، يجدد حيويتها ويدفع بها إلى قمة الأحداث .

خذ مثلاً « حسن التهامي »* الذي يعد من الحلقة الضيقة التي كانت تعرف كل شيء ، والتي تعاونت تعاوناً مطلقاً مع المخابرات الأمريكية وبالذات مع « مايلز كوبلاند » حتى أنه هو الذي عد وتسلم الثلاثة ملايين دولار التي قدمت رشوة أو هدية للزعيم الخالد . هذا الحسن تهامي ، يتساءل رجل طيب من الذين نكتب لهم هذا الحديث ، يتساءل في حيرة ما الذي جعله يظهر من جديد ، ويأتي به عبد الناصر وزيراً في حكومته بعد هزيمة ١٩٦٧ ؟! والحاج « أمين هويدي » كان مديراً للمخابرات ، ويعرف أنه ما من سبب منطقي أو معقول يجعل عبد الناصر يتخطى الأربعين مليوناً ويختار هذا الذي يتظاهر بالجنون المطلق ، وزيراً ، والذي لا يملك أية مؤهلات ـ ظاهرة ـ تصلح لتوليه ناظر مدرسة فضلاً عن وزير ، والذي سقط في منطقة الظل ، وهي المنطقة التي يسميها المصريون ـ وراء الشمس ـ ولا أحد يعود منها . . ولكنه عاد ، وأصبح وزيراً في عهد عبد الناصر بل ولعب دوراً حاسماً في تحديد خليفة عبد الناصر ؟!

الحاج أمين هويدي ، يحكي لنا بعض الطرائف عن سلوك التهامي هذا في مجلس الوزراء ، منها أنه كان ينصحهم ألا يتعبوا أنفسهم في بحث إزالة آثار العدوان ، لأنه رأى سيدنا الخضر الذي أكد له أن اليهود سينهزمون وسيخرجون من مصر . . ويضرب الحاج هويدي كفاً بكف ويقول : « ولا تسألوني . . لم استوزره عبد الناصر ؟ فهذا سؤال يضاف إلى عشرات الأسئلة التي تحيرني ولا أجد لها جوابا !!! وعزائي أنني لست وحدي في حيرتي !!! (ص ٨٠ من كتاب : مع عبد الناصر لأمين هويدي) . . .

بئس العزاء هذا . . وما تشفع لك كل علامات التعجب هذه ، وإذا لم يسألك القراء التفسير فسيسألك ضميرك والتاريخ . . وليتك توقفت عند هذه الحيرة التي تشير إلى الشكوك التي تفترسك مما تخشى أن تهمس به لنفسك . . ولكنك حاولت أن تلتمس بارد العذر ، أو تافه التفسير لتعيين هذا الدجال الذي لا يستحي في اجتماع مجلس الوزراء من السخرية من جهود المجلس في « اجلاء العدو عن أراضينا » فيبتسم قائلا : « لم تُجهدون أنفسكم هكذا . . إنني موقن من انسحابهم ، وسيرسل الله عليهم طيراً أبابيل » وترتسم على شفتيه الابتسامة الهازئة » !

* نحن أول من وجه هذا الاتهام لحسن التهامي . . ثم تتابعت الاعترافات ممن كتموها طويلاً وممن عرفوها أخيراً وبعد أن اعترف الرجل نفسه ! . .

يقول هويدي ، وهو يستعيذ بالله من محاولة كشف النوايا : « ربما جاء به عبد الناصر وفاء للزمالة القديمة وربما لجمع الشمل » !

وكان عبد الناصر في تلك الفترة ، قد مزق آخر بقايا الزمالة القديمة ، ويقوم بأكبر عملية تمزيق للشمل عرفتها مصر منذ مذبحة القلعة ، ما بين منتحر ومسجون ، حتى داخل أسرته لم يحترم زمالة ولا مصاهرة ولا عشرة العمر والشقة إياها ! ومن ثم فلا مجال للحديث عن عاطفة نبيلة تجعله يقبل ويصبر على هذا الرجل في ظروف ما بعد النكسة . .

وهويدي قرأ مايلز كوبلاند ، وقرأ حديثه عن السلوك غير المنطقي في سياسات الشرق الأوسط ، وأنه لا يمكن فهمه إلا بإضافة المعامل « س » أي عنصر المخابرات الأمريكية . ويعرف أن التهامي هو أحد أعمدة المعامل « س » هذا ، ولكنه يرفض أن يواجه هذا التفسير فيغمض عينيه ويصرخ كالعذراء التي يحدثونها عن خيانة حبيبها : « مش عاوزه أعرف » !

لقد جاء حسن التهامي بعد النكسة لكي يعيد ترميم الجسور مع القوى الخفية التي ساندت النظام أطول مدة ممكنة ، إلى أن استحال عليها الدفاع عنه . وهاهو عبد الناصر يثبت أنه مستعد للحوار ، رغم ما فعلوه فيه بحرب ١٩٦٧ . . وهاهو صديقكم في مجلس وزرائي يمارس الشيطنة على الاستهبال ، ويتحدث عن تأكيدات « الخضر » بانسحاب اليهود ، والذي معاه « الاس » يعرف من هو « سيدنا » الخضر المقصود ، ومن أين تأتي أحلام التهامي عن الفانتوم أبابيل !

أما الرئيس السادات الذي كانت استراتيجيته تقوم اساساً على إقناع الأمريكان بأن النظام المصري على استعداد لأن يكون الممثل رقم واحد لأمريكا في المنطقة ، ولا داعي للبحث عن أصدقاء آخرين . . وأن مصر ثابت واتابت بعد علقة ١٩٦٧ . ولن تشكو ولن تتذمر ، ولن تساوم أو تتدلل ، كما فعل المرحوم ، بل أمريكيون كنا ، وأمريكيون نبقى أبدا . . السادات؟؟ أبرز التهامي وصوره في كل مكان ومناسبة ، وأطلقه يساوم ويدبر ويفاوض حتى قاده إلى كامب ديفيد ، وجلس خلفه يصلي . . وقد تحقق الهدف الذي اتفق عليه قبل ٢٥ سنة حافلة بالآلام والخداع !* . .

---

* وكأن فؤاد سراج الدين كان يستشف المستقبل بعد أربعين سنة عندما قال : « حرام عليكم ومسئولية خطيرة عليكم أمام الله أن تتركوا ٨٠٠ ٠٠٠ لاجىء يموتون فى الصحارى والقفار من الجوع والعطش والبرد كما تعرضون أرواح المصريين وأموال المصريين فى كل يوم للضياع وأنتم تعتزمون في النهاية الرضوخ لقرار التقسيم » .

حرب فلسطين ١٩٤٨
ل . أ . ح . د . إبراهيم شكيب

وبنفس التفسير يمكن أن نفهم إخراج مصطفى أمين من السجن وإحضار على أمين من البدو وتسليمهما الأهرام وأخبار اليوم معاً .. وعجلت إليك ربي لترضى ! . .

فهل أضر نشر كتاب « مايلز كوبلاند » أحداً ؟! . .

يقرر هيكل : « لم يكن هناك اتصال بين الثورة والولايات المتحدة قبل ٢٣ يوليو »[٢٠] ، وقد صاغها بحذر ـ تحوطا للمستقبل ـ فلم يقل « المخابرات الأمريكية » وهي موضوع الحديث ، ونحن نستبعد بل ننفي أن تقوم « الولايات المتحدة » بهذا الاتصال قبل الثورة والاتصال الذي يحمل هذه الصفة « الولايات المتحدة » هو الذي يتم عن طريق السفير الأمريكي أو مبعوث من وزارة الخارجية . .

لا . . مصر ليست اليمن ، حيث يدير القائم بالأعمال المصري ، الانقلاب اليمني بالتليفون ، ويعطي المال والحبوب المنشطة لقائد الانقلاب بشكل شبه علني ! . . لا . . . في حالة مصر ، لا يمكن تصور قيام اتصال مع « الولايات المتحدة » لأن الولايات المتحدة لا تخاطر بمثل هذا الاتصال ، لما يترتب على اكتشافه من مشاكل مع السلطة المصرية ، بل مع الكونجرس والرأي العام الأمريكي . .

ولكن المخابرات الأمريكية اتصلت . . وهذا ما سنثبته من الوقائع والمعلومات . . ومنها تعمد هيكل إخفاء حقائق لإحساسه بما فيها من إدانة مثل تاريخ أول زيارة لكيرميت روزفلت .

ويبرر هيكل انفتاح الثورة ـ المدهش والمخالف لكل الشعارات والافتراضات إذا ما كانت حقا ثورة ـ يبرره (في كتابه الأول) بأن « الولايات المتحدة الأمريكية ، لها وضع مختلف عن بقية القوى الكبرى وقتها ، وكانت صورة الولايات المتحدة في ذلك الوقت من سنة ١٩٥٢ مازالت صورة مقبولة ، خصوصاً إذا قورنت بغيرها . لم يكن لها دور استعماري في المنطقة ، بينما كانت بريطانيا وفرنسا غارقتين في تاريخ استعماري طويل وقديم . وفوق ذلك فإن الولايات المتحدة كانت خارجة من الحرب العالمية ضد هتلر (كان قد مضى على ذلك سبع سنوات تخللتها فلسطين وحرب كوريا والتهديد النووي . . الخ) والعالم كله يلتفت بالإعجاب لطاقاتها الهائلة التي كسبت الحرب ضد النازية ولأسلوب حياتها الذي كانت السينما الأمريكية ترسم صورة جذابة له » .

وستلاحظ أنه قد حذف أية إشارة إلى دور أمريكا في خلق إسرائيل ، وما أثاره ذلك من كراهية عامة ضدها في العالم العربي ، وهو مضطر لذلك حتى يستقيم دفاعه بأن الصورة كانت أكثر من وردية في العالم العربي عن أمريكا ، ومن ثم اندفع الشبان الأغرار من أعضاء مجلس الثورة إلى أحضان أمريكا . . وهذا كذب بالطبع ، وإن يكن حذف إسرائيل من تحديد الموقف مع أمريكا ، ظاهرة فسرها « مايلز كوبلاند » بأن هذه المجموعة من الناصريين لم تكن

تعير قضية فلسطين اهتماماً كبيراً . . وقد رد حمروش على هيكل في هذه النقطة فأغفل إسرائيل أيضاً عندما قال : « لم تكن صورة الولايات المتحدة عند المصريين كما حاول أن يرسمها محمد حسنين هيكل ، في كتاب « عبد الناصر والعالم » بقوله كانت الولايات المتحدة تحيط بها كل معاني النجاح والفتنة براقة متسامية على الفشل الذريع الذي منى به الاستعماريون القدامى ، وكان الناس متجاوبين مع فكرة قيام الأمريكيين بدور رئيسي في الشرق الأوسط ، ومستعدين لقبولها ، لم يكن هذا التصور صحيحاً ، فإن كافة القوى الوطنية كانت ضد السماح للأمريكيين بأداء دور سياسي بديل للدور انجلترا ، ظهر ذلك في سياسة الوفد ، وأحزاب مصر الفتاة والوطني الجديد ، والتنظيمات الشيوعية والجماهيرية ، فقد كشفت أمريكا الستار عن موقفها أثناء عرض النقراشي لقضية مصر على مجلس الأمن »[٢١] .

وإذا كنا سننقد رأي هيكل ، فإننا لا نعارضه كما سنشرح ، بل نركز على أهمية تفسيره هذا . . .

الولايات المتحدة كانت قد خرجت بهزيمة فادحة في كوريا . . وكانت سمعتها في الحضيض في العالم العربي بتحيزها لإسرائيل وللدور الذي لعبته في اقامة إسرائيل . . حتى إن تنظيم الضباط الأحرار كان يصدر منشوراته بالشعار الذي ساد الجماهير المصرية وقتها ، وهو « يسقط الاستعمار الأنجلو ـ أمريكي » . . إلى أن تم الاتصال بالأمريكان وطلب جمال عبد الناصر من خالد محيي الدين حذف كلمة « أمريكي » . . وقد أدلى خالد محيي الدين بهذه الشهادة ، وهو على أتم الوفاق والولاء والإشادة بالزعيم الخالد ، فلا مجال للشك في روايته ، خاصة وقد أيدها كبار « الحدتاويين »[٧٢] الذين ساهموا في تلك الفترة في طبع المنشورات ، ولاحظوا التغيير . . فالحق مع حمروش* عندما قال إن « أحداً من المثقفين أو السياسيين المصريين الوطنيين لم ينظر إلى أمريكا بنظرة محمد حسنين هيكل » . . وهيكل بدوره صادق ، لأنه عبر عن وجهة نظر العملاء والمتعاونين والمراهنين على دور للولايات المتحدة في مصر والعالم العربي ، لأن المثقفين اكتشفوا منذ أواخر الأربعينيات الدور الذي لعبته أمريكا في دعم الصهيونية ، وتأييد الاستعمار القديم ، ومعاداة حركات التحرر ، ثم كان احتلال اليونان وحرب كوريا التي مزقت صورة بطل الحريات ، بل وأيضاً المارد الذي ثبت أنه نمر من ورق أمام جحافل الصينيين ، وقد زادت شعبية الوفد عندما رفض دخول حرب كوريا إلى جانب الأمريكيين المكروهين . . ولقد رفضت الحكومة السعودية ، تجديد اتفاقية قاعدة الظهران : « لأن ذلك يستفز مشاعر المواطنين العرب لموقف « أمريكا من فلسطين »[٢٢] . .

ولكن قيادة الأمة العربية المقبلة ، لم تكن مشاعرها مستفزة والحمد لله ، بل كانت متأثرة بأفلام أمريكا . . هكذا يقول محمد حسنين هيكل !!

---

* بتاع زمان . .

وإليك رأي الأمريكان في الأمريكان ! فقد جاء في تقرير مجلس الأمن القومي الأمريكي ، الصادر في واشنطون بتاريخ ٢٧ ديسمبر ١٩٥١ (أي قبل سبعة شهور من الثورة) وتحت عبارة سري جداً : « أصبحت الدول العربية تنظر بعدم ثقة إلى الولايات المتحدة في السنين القليلة الأخيرة بسبب مسئوليتها في إقامة إسرائيل » .

وفي اجتماع سفراء الولايات المتحدة باسطمبول في الفترة من ١٤ - ٢١ فبراير ١٩٥١ جاء الآتي في تقرير وزارة الخارجية الأمريكية عن الاجتماع :

« إن نفوذ الولايات المتحدة في البلاد العربية ربما لا يكون في مثل سوئه في عام ١٩٤٧ و ١٩٤٨ ، ولكنه على أية حال ليس قوياً كما كان في ١٩٤٥ أما بالنسبة لإسرائيل وليبيا فإن نفوذنا لا يزال عالياً »[٢٣] .

بل إن عام ١٩٥١ بالذات شهد المزيد من التدهور في موقف أمريكا ، وتصاعد الموجة المعادية لها في العالم العربي كله ، ومصر بالذات لأسباب عديدة منها موقفها من إلغاء المعاهدة ، ومشاريع الدفاع المشترك ورفض تسليح مصر ، وأيضاً للدعم الذي قدمته لإسرائيل وقد ورد في مذكرة « هنري فيلارد » من إدارة التخطيط السياسي إلى مدير الهيئة الآتي :

سري واشنطون ١ يونية ١٩٥١

التلغرافات الواردة من الشرق الأدنى تشير إلى ردود الفعل الأولية لسياستنا الجديدة الجريئة للمساعدات الاقتصادية والعسكرية للدول العربية وإسرائيل كما أقرها الرئيس (ترومان ج) في ١٧ مارس ١٩٥١ . . وردود الفعل هذه يمكن وصفها بأى شيء إلا أنها مقبولة . . فالمسئولون العرب ينتقدون بشدة حصول إسرائيل على نفس القدر من المساعدة التي يحصل عليها كل العرب مجتمعين . . (٢٥ مليون دولار) بالإضافة إلى أن العرب ينظرون إلى الخمسين مليون دولار التي اعتمدت لتوطين اللاجئين كوسيلة لتحرير إسرائيل من مشكلتهم . وعلى سبيل المثال قال وزير الخارجية المصري (محمد صلاح الدين ج) لكافري (السفير الأمريكي في مصر ج) أنه صعق لاقتراح ٢٥ مليونا دولار لإسرائيل و ٢٥ مليونا للعرب . رئيس وزراء الأردن ووزير خارجيتها عبرا عن « دهشتهما وخيبة أملهما » وزير خارجية العراق ، ركز كثيرا على عدم التوازن وانتقد بشدة غير عادية سياستنا في مساعدة إسرائيل . . والصحافة السورية نظرت للبرنامج بالشك في أنه خطط لمحاباة إسرائيل . إن المرارة الأساسية والأصيلة بالنسبة لسياستنا نحو إسرائيل ، مازالت كما هي ، وتلون كل تفكير العرب »* . .

---

* وجاء في تقرير للخارجية الأمريكية بتاريخ ٥٣/١١/٦ : « إن التطورات في الشئون العربية - الإسرائيلية قد أثرت بشكل خطير على مركز الولايات المتحدة في كثير من البلدان العربية ، فهم ينظرون إلينا ، كالدولة التي ترعى إسرائيل » .

. . . إلا هيكل وصحبه من رجال ثورة ٢٣ يوليو ، لم تكن في قلوبهم أية مرارة ، تحول دون فتح قلوبهم والتعاون مع الولايات المتحدة في « تحرير » مصر . . والحق مع هيكل ، فإن أحد المفاتيح الرئيسية لفهم تاريخ الناصرية ، هو أنها لم تنبعث أبداً من التناقض المصري ـ الإسرائيلي ولم يكن في أهدافها الجادة ، محاربة إسرائيل حتى يونية ١٩٦٧ . . .

وهيكل حريص على تأكيد أن الاتصال بين الأمريكان والريس تم بعد الثورة ، ولكن الصورة التي يقدمها لهذا الاتصال تثير أكثر من شبهة ، فهو يقول : « كلف أحد أعضاء مجلس الثورة ، عبد المنعم أمين بتولي عملية فتح الباب مع الأمريكان ، فدبر لقاء في منزله على النيل بين جمال عبد الناصر والسفير الأمريكي جيفرسون كافري » .

ولا يفسر لنا سر هذا اللقاء الغريب ، فالثورة في الحكم ، وجمال عبد الناصر حاكم مصر ، والسفير الأمريكي هو ممثل الحكومة الأمريكية الرسمي أمام مجلس الثورة أو في بلاط جمال عبد الناصر . . فلماذا لا يستقبل عبد الناصر السفير الأمريكي بصفة رسمية أو حتى غير رسمية في مكتبه ، ويبحث معه السياسة المصرية ـ الأمريكية ؟!. إذا كان الاجتماع باسم مجلس الثورة ، وسمعة الأمريكان ممتازة كما شهد هيكل ، لماذا يتم الاجتماع في شقة ؟. . وعن طريق شخص يقول المؤرخون الناصريون الآن إنه كان وثيق الصلة بالسفارة الأمريكية . . ؟ لماذا هذا الجو الغريب والمريب ؟!* . .

ويقول هيكل : « إنه في هذا اللقاء قال عبد الناصر للسفير الأمريكي إنه يريد مساعدة الولايات المتحدة في إقناع بريطانيا بالجلاء » « كما طلب مساعدة اقتصادية وسلاحاً » أما عن إسرائيل فقال : « إن إسرائيل ليست شاغله الآن ، ونظرته إليها ـ على أية حال ـ أنها ليست خطراً يهدد مصر » .

وقد قال « مايلز كوبلاند » إن نجم هيكل تألق لأنه كان بارعاً في تحلية آراء الأمريكان ، وآراء عبد الناصر . . ومن ثم لا يجوز أن نتوقف كثيراً عند التحلية والصنعة في العرض ، وإنما يكفينا الاتفاق في الجوهر بين ما قرره كوبلاند ، وما أثبتته الأحداث ، من أن السودان لم يكن في برنامج عبد الناصر فهو طلب المساعدة في « الجلاء » فقط ، وأهم من ذلك أن نقطة اللقاء بين الريس والأمريكان ، هي استبعاد الخطر الإسرائيلي ، قبول عبد الناصر أو تطوعه بإعلان أنه لا يشغل باله . . وهذا ما قاله كوبلاند بالضبط عندما نسب إلى هذه اللامبالاة بفلسطين انفتاح قلب المسئولين في واشنطون لاقتراح الـ CIA « تأييد الانقلاب المنتظر .

---

* جرى تعديل هذه الرواية والرد علينا في « ملفات السويس » فأصبح الاجتماع مع كيرميت روزفلت رجل المخابرات وليس السفير !! وقال هيكل إن طلب سرية الإجتماع جاء من جانب روزفلت وليس عبد الناصر ، وذلك لعدم إثارة شكوك الانجليز !! وارجع إلى ص   من هذا الفصل .

وإذا كان هيكل يؤيد رواية كوبلاند وغيره عن حضور « كيرميت روزفلت » إلى مصر بعد الثورة وفي تحديد صفته بأنه المسئول الأول في إدارة المخابرات المركزية الأمريكية عن « الشرق الأوسط » إلا أنه يحاول إيهامنا ـ دون أن يتورط صراحة ـ بأن هذه هي الزيارة الأولى لكرميت روزفلت ، وهو غير صحيح ، بل مثير للريبة ، فكيرميت كما تؤكد كل الوقائع والوثائق جاء إلى القاهرة منذ ١٩٤٣ على الأقل ، وكان في مصر من يناير إلى مارس أو مايو ١٩٥٢ حيث أجرى اللقاء التاريخي مع فاروق ، ثم مجموعة عبد الناصر في تنظيم الضباط الأحرار وقرر دعم انقلاب هذه المجموعة ، والتخلي عن فاروق ، كما سنرى تفصيله . .

وهيكل يؤكد هنا ـ باطمئنان ـ أن أول لقاء بين جمال عبد الناصر وكيرميت روزفلت تم في الأسبوع الأول من شهر أكتوبر ١٩٥٢ » .

ونحن لا نجادل في هذه لأننا لا نملك دليلاً قاطعاً على وقوع لقاء قبله ، فقد حرص كتاب « مايلز كوبلاند » على تعمية هذه النقطة ، ولو أنه أكد وقوع أكثر من لقاء بين كيرميت روزفلت والمخابرات الأمريكية من جهة ، ورجال ثورة ٢٣ يوليو ، أو أعوان عبد الناصر . إلا أنه لم يشر صراحة لوقوع لقاء مباشر بين الرجلين ، ولا يمكننا الاعتماد على ما جاء في تقرير كيرميت روزفلت الشفوي لرؤسائه من أنه وجد في مصر الرجل المناسب الذي تتوافر فيه كل الصفات المطلوبة لجعل السلطة في مصر مستقرة ، ومتجاوبة مع المصالح الأمريكية . . وربما لم يصل علم ذلك اللقاء بين الرأسين ، إلى مايلز كوبلاند . . فهو من الأسرار العليا جداً ، ونحن نستبعد أن يُقْدِمَ رجل في خبرة ومكانة كيرميت روزفلت ، على المخاطرة بدعم انقلاب في مصر من مجرد المعلومات التي قدمها عملاء المخابرات الأمريكية ، ولقاءات مع أعوان زعيم هذا الانقلاب . . إلا أننا التزمنا ألا نأخذ بالشبهات والتصورات ، بل بالحقائق أو الأقوال المنسوبة صراحة لأشخاص محل ثقة . . ومن ثم سنسقط من أدلتنا واقعة اجتماع مباشر بين ناصر وروزفلت قبل ٢٣ يوليو ١٩٥٢* . .

ويشير هيكل في هذا الموضوع إلى واقعة غريبة تثير أكثر من سؤال ، فهو يقول إن الرئيس عبد الناصر كلفه بمهمة خاصة في الولايات المتحدة في نوفمبر ١٩٥٢ وقال له « إن كثيرين سوف يحاولون الاتصال بك بحكم معرفتهم بالصداقة بيننا » (ص ٧١) .

وكل المصادر التي كتبت عن ليلة الثورة ، أكدت هذا اللقاء الغريب الشديد البرود بين عبد الناصر وهيكل في منزل محمد نجيب ، وأن هيكل تظاهر بأنه لا يعرف عبد الناصر وطلب تعريفه به ، وأن عبد الناصر سأل من هذا ؟ . . الخ . . فهل يتفق ذلك مع وصول الثقة بين الاثنين في أقل من شهرين إلى حد تكليفه بمهمة سرية في أمريكا ؟! . . وهذه العبارة الغريبة ، « الكثيرون سيحاولون الاتصال بك بحكم معرفتهم بالصداقة بيننا ؟! . . » من

---

* راجع تعليقنا على هذه النقطة في ص٢٢٩ من هذا الفصل حيث اعترف روزفلت بأنه كان يعلم بالانقلاب ومدبره ولكنه اعتذر عن مقابلة قائد الانقلاب . .

هم الكثيرون في الولايات المتحدة ، الذين كانوا « يعرفون الصداقة بين عبد الناصر وهيكل في نوفمبر ١٩٥٢ » والكثيرون « في مصر » لم يكونوا يعرفون عبد الناصر ولا أهميته في الثورة في هذا التاريخ المبكر جداً فضلاً عن معرفة أهمية هيكل ، بحكم صداقته مع عبد الناصر ؟! . .

لابد أن نفترض لكي يستقيم هذا الادعاء أو لتفسير هذا القول أحد الفروض التالية :

١ ـ إن رواية المؤرخين عن لقاء بيت محمد نجيب صحيحة ، ومن ثم فرواية هيكل أكذوبة كاملة ، اختلقها ، وهكذا يمكن القول إن هيكل لديه الجرأة على أن ينسب لجمال عبد الناصر حواراً بين أقواس للتدليل على أنه نص حرفي ، وهو بلا أساس لا حدث ولا يمكن حدوثه . . وهذا ينسف كل رواياته* . .

٢ ـ أن يكون هيكل صادقاً ، وهذه زلة لسان ، وتكون مقابلة محمد نجيب تمثيلية بارعة من الاثنين ، « هيكل » الجيد التدريب ، وناصر المشهور بقدرته على الكتمان والحذر الشديد فيما يتعلق بسلامته الشخصية وسمعته السياسية . ومن ثم فالصلة بينهما قديمة ، ومن أيام حصار « الفالوجا » كما كان الشائع ، قبل نشر تلك الرواية السخيفة عن لقاء الغرباء في منزل محمد نجيب . . وعبد الناصر كان يتحدث عن « الكثيرين » الذين يعلمون كل شيء . . مثل كون عبد الناصر هو الزعيم الحقيقي للثورة ، وأن هيكل هو صديقه الحميم . . فمن هم ؟ . . لا يعقل أنهم رجال الكونجرس ، آخر من يعلم ، ولا الصحفيون . . بل فئة خاصة . .

٣ ـ أن تكون رواية هيكل صحيحة ، واستنتاجات شهود لقاء منزل محمد نجيب صحيحة ، ولكن الذين سيقابلون هيكل في أمريكا ، هم الذين قدموا « هيكل » « لعبد الناصر » بعد الانقلاب ، وعملوا على سرعة قيام « الصداقة بيننا »[٨٤] .

ونحن نميل للتفسير رقم ٢ . . والصورة التي في ذهننا أن المخابرات الأمريكية عرفت من هيكل ومصطفى أمين بوجود تنظيم الضباط الأحرار ونظم هؤلاء اللقاء بين هذا التنظيم وكيرميت روزفلت . . وأن « هيكل » كان الأوثق صلة بعبد الناصر بحكم سنه ، وبراعته في تنفيذ دور التابع الذي ربط نفسه بمصير سيده ، في نفس الوقت الذي يقدم فيه المعلومات والأفكار لهذا السيد ، بينما كان « مصطفى أمين » يتمتع باحترام أكثر عند الجانب الأمريكي ، وشك وتوتر من جانب عبد الناصر . . وأخيراً فلا أدل على تناقض مشاعر رجال الثورة مع الموجة الشعبية العامة في مصر ، أنه فور قيام الثورة ، كان التصرف الطبيعي من رجالها الذين لم يؤتوا من العلم إلا قليلاً . . أنهم قاموا باعتقال مصطفى وعلى أمين ، ليتدخل أولو العلم ويفرجوا عنهم مع الاعتذار ـ في الراديو ـ بعد ست ساعات ! . .

---

* اضطر هيكل إلى « لحس » هذه الرواية ، وعدلها في الملفات . انظر ملحق رقم ٨ لهذا الفصل ص ٢٠٧

أما آن الأوان أن نترك ثرثرة هيكل ونعود إلى الجذور ، وحديث المعلمين لا الصبيان ؟!

لقد شاعت رائحة الدور الأمريكي منذ اللحظات الأولى للانقلاب ، عندما رأى الناس السفير الأمريكي « جيفرسون كافري » خبير الانقلابات كما عرف منذ تعيينه في القاهرة وكتبت عنه الصحف التقدمية ، رأوه يتصرف كعراب النظام الجديد ، ويشرف على ترحيل الملك فاروق ويتعهد بسلامته ، ثم ربطوا ذلك بما كتبه الصحفي الأمريكي الوثيق الصلة بالمخابرات الأمريكية « جوزف السوب » في صحف الولايات المتحدة قبل ٢٣ يوليو عن انقلاب عسكري قادم في مصر ، وقد بعث مصري مقيم في الولايات المتحدة ـ وقتها ـ بالمقال إلى مصر كدليل على ما تدبره المخابرات الأمريكية ، ليصبح هو بعد سنوات من المفتين بثورية الناصرية ، تماماً كالكاتب الذي استقبل كافري بعرض تاريخه في تدبير الانقلابات وإجهاض الثورات . . ثم أفتى بأن هذا الخبير خاب تدبيره في مصر !!

ورأى الناس الثورة تبعد الصحفيين الوطنيين وتعتقلهم ، وتقرب رجال « أخبار اليوم » المؤسسة الرجعية الموالية للاستعمار بإجماع الحركة الوطنية في هذا الوقت حتى أصبح تلميذها البكر « محمد حسنين هيكل » هو الذي يحدد الوطنية من المحيط للخليج ! ورأوا قبول النقطة الرابعة وتجميد قضية فلسطين وضرب المؤسسات والأحزاب والحركات الوطنية . . ثم ساد الإرهاب وانعدمت الرؤية ، وتعقدت الرواية . . وكانت فترة التيه . .

فلما ظهر كتاب « لعبة الأمم » هربوا منه لأنهم لا يريدون أن يتذكروا . . إلى أن مات المارد ، وحطمت الأقفال ، فبدأت تتسرب بعض الأقوال ، ولكن يسيطر على الجميع الرعب من هول الحقيقة ، خاصة أنه ما من أحد إلا وقد تورط في ٢٣ يوليو بموقف ما أو تأييد أو مساهمة . . نعم كلنا كنا للأسف « أشباه المثقفين » أو المثقفين المزيفين الذين توقع تقرير المخابرات أن يهبوا لتأييد « الثورة » بغباء أو انتهازية . .

قيل على لسان خالد محيي الدين إن عبد الناصر طلب منه حذف عبارة الاستعمار الأنجلو ـ أمريكي ، واستخدام عبارة « الاستعمار » فقط أو الاستعمار البريطاني ، وذلك في منشورات الضباط الأحرار قبل الثورة . .

وكتب في حادثة الثلاثة ملايين دولار التي دفعتها المخابرات الأمريكية للرئيس جمال عبد الناصر ، وكان هيكل قد حاول أن « يلبسها » لمحمد نجيب ففشل وإليك ما كتبه أحمد حروش* :

« على قدر ما طالت مفاوضات التسليح ، على قدر ما انتهت في سرعة عملية تقديم ثلاثة ملايين دولار كمنحة شخصية من المخابرات المركزية (الأمريكية ج) إلى رئيس الدولة ، وهي قصة أثارت اهتمام الكثيرين لما أحاط بها من جدل . بدأت القصة باقتراح من عميل؟؟

* وذلك قبل أن « يرتبه » أو بالعامية « يظبطه » هيكل . .

المخابرات الأمريكية مايلز كوبلاند . التي كشف أسرارها في كتابه « لعبة الأمم » عندما قال أنه لولا نشره لها لظلت خمسة آلاف سنة تحير علماء الآثار ، ذلك أنها انتهت إلى بناء برج القاهرة . ويحدد مايلز كوبلاند تاريخ إعطاء المبلغ لضابط المخابرات (أيتهما ج ؟) حسن التهامي الذي أخذه وأحصاه في منزله بالمعادي ووجدّه ناقصاً عشرة دولارات في شهر نوفمبر ١٩٥٤ أي نفس الشهر الذي حصلت مصر فيه على الأربعين مليونا كمعونة اقتصادية وينفي هذا التحديد ما نشره « محمد حسنين هيكل » في كتابه « عبد الناصر والعالم » من القول بأن المبلغ قد سلم إلى اللواء محمد نجيب وأن جمال عبد الناصر لما علم بذلك استشاط غضباً وطلب تفسيراً من محمد نجيب الذي كان آنذاك رئيسا للوزراء . وأصر نجيب على أنه فهم أنه ليس للمخابرات الأمريكية علاقة بذلك المبلغ ، وأنه أرسل من الرئيس ايزنهاور الذي خصص اعتمادات مالية لبعض رؤساء الدول ليتمكنوا من تجاوز مخصصاتهم المقيدة بالميزانية من أجل الدفاع عن أنفسهم وعن بلادهم ضد الشيوعية ، وهنا طلب عبد الناصر على حد قول هيكل إيداع المال في خزينة إدارة المخابرات وأمر بعدم صرف أي شيء إلا بإذن مجلس قيادة الثورة .

ينفي تحديد تاريخ تسليم المبلغ ذلك لسبب بسيط هو أن محمد نجيب لم يكن رئيساً للوزارة في هذه الفترة ، بل كان رئيساً للجمهورية بلا عمل حتى ١٤ نوفمبر ثم معتقلاً في المرج بعد ذلك ، وكان حسن إبراهيم وزير الدولة لشئون رئاسة الجمهورية يحضر كافة مقابلاته ويراقب كل تصرفاته . . مما يبعد تماماً فكرة عدم معرفة جمال عبد الناصر بوقوع مثل هذا الحادث .

هذا من ناحية . . ومن ناحية أخرى فإن الأمريكيين ما كانوا ليعطوا مثل هذا المبلغ لمحمد نجيب وهو رجل معزول عن الحياة العامة ، تدفقت عليه الهجمات عقب إطلاق الرصاص على جمال عبد الناصر وربطت بينه وبين الإخوان المسلمين وكان على وشك أن يحاكم معهم ، هذا إذا أردنا استبعاد رأي مايلز كوبلاند كما ورد في كتابه .

وعندما قرأ محمد نجيب ما نشره هيكل في كتابه ، رفع عليه قضية أمام محكمة الجيزة واضطر هيكل للاعتذار على صفحات الأهرام ، وأثبت محمد نجيب أمام المحكمة قوله بأن الواقعة موضوع الادعاء غير صحيحة على الإطلاق . . وصمت هيكل مؤثراً الانسحاب من خطأ أساء به إلى سمعة الرجل »* (تأمل قدرة هيكل على تزييف عشرات الوقائع في حادثة واحدة ثابت بطلانها بالتواريخ ج) .

والواقعة كما رواها مايلز كوبلاند حافلة بالتفاصيل وهي كالآتي على لسانه في كتابه المنشور بالولايات المتحدة ، والذي لولاه ، لما عرفت قصة الملايين الثلاثة ، ولا تعرض لها هيكل

* قارن هذا بما يكتبه حمروش الآن في الإشادة بهيكل وصدق وغزارة معلوماته ، تدرك أن مصر تنتج ليس فقط التاريخ المصنوع من البلاستيك بل والضمائر أيضاً ! . .

أبداً . . قال : إنه شخصياً عاد إلى نيويورك في أواخر صيف ١٩٥٣ « حيث قدمت اقتراحاً بإعطاء ناصر مبلغاً بصفة شخصية لتطوير حراسته وحل بعض المشاكل الداخلية الصعبة ، وأن ترسل الحكومة الأمريكية لعبد الناصر سيارة كاديلاك مصفحة ، وأحد رجال البوليس لتنظيم حرسه الخاص ، وجهاز إنذار على بيته* ، ومعدات تحطيم المظاهرات . . كما اقترح إعطاء مصر أربعين مليون جنيه وعبد الناصر ثلاثة ملايين ، وقد تمت الموافقة ، ولما جاء الخبر إلى القاهرة باعتماد المبلغين ، اعتبر السفير الأمريكي فكرة الهدية الشخصية ، فكرة سخيفة ، وقال لي إنه لن يسلم هذا المبلغ لعبد الناصر إلا أنت ، وقام كافري بزيارة محمود فوزي ، في اليوم التالي وحدثه عن الأربعين مليوناً ولم يشر بحرف إلى الثلاثة ملايين ، ولما كان موقف كافري ، قد أثار الشكوك في نفسي ، فقد ذهبت إلى « حسن التهامي » أبحث معه مسألة الثلاثة ملايين ، وقلت له إن الحكومة الأمريكية لا تلح عليكم ، وإنما أريد أن أخبرك أنها تحت تصرفكم إذا شئتم . وحسن التهامي الذي كان يشغل ضمن مناصب أخرى مركز رئيس الحرس الخاص لعبد الناصر (وهو بالمناسبة الذي أشار إليه عبد الناصر في حادثة محاولة الاغتيال في فلسفة الثورة) قال لي : « مش حنغلب في الاستفادة بثلاثة ملايين دولار خلينا نشوفهم » ، وبعد الحصول على تأكيد شخصي من عبد الناصر بأن الثلاثة ملايين مقبولة فعلاً . أبلغت كافري الذي قال لي بلهجة حانقة إن المبلغ قد وصل هذا الصباح مع رسول من بيروت ، وبعد مشاورة المختصين بالسفارة ، أتفقنا على أن تحركي تحت الحراسة مسافة خمسة أميال إلى منزل حسن التهامي في المعادي سيثير الشبهات ، ولذلك اتجهت في سيارة أحمل حقيبتين فيهما ثلاثة ملايين دولار نقداً واستقبلني حسن التهامي في منزله بالمعادي يحيط به حارسان مصريان ، دون اهتمام أو حماسة ، وبدأنا نعد النقود ، عددناها مرتين لنكتشف أنها ٢,٩٩٩,٩٩٠ دولارا وعلق حسن أخيراً : لن نتعارك على عشرة دولارات . . وركب ومساعداه سيارة مرسيدس إلى بيت عبد الناصر » .

ثم حكى قصة برج القاهرة الذي بني من المبلغ وقال إن حسن التهامي كان يسميه « وقف روزفلت » وقد كتب العبارة بالعربية بالحروف الانجليزية ، ولكنه عندما ترجمها للانجليزية - وهو يتقن العربية ولكن بالطبع كمستشرق - ترجمها « انتصاب روزفلت » « Roosevelt's Erection » وهذا دليل أنه لم يخترع العبارة ولكن أخطأ ترجمة كلمة « وقف » . . أو ترجمها له مساعد لا يعرف ما « الوقف » و « الأوقاف » . .

ماذا تثبت هذه القصة ؟!

---

* « أوليفر نورث » مسئول مجلس الأمن القومي الأمريكي في عملية السلاح لإيران وحرب العصابات في نيكاراجوا ، لم يستطع الحصول على ثمانية آلاف دولار عام ٨٦ لتركيب جهاز إنذار حول بيته في واشنطن ، إذ لم يجدوا بنداً في الميزانية يسمح بصرف المبلغ . وعبد الناصر في ١٩٥٢ صرفوا له ثلاثة ملايين دولار !! أو ما يعادل بدولارات اليوم « ثلاثمائة مليون » !

تثبت أولاً الروحية التي يتعامل بها هيكل مع وقائع تلك الفترة وهي استعداده للكذب الكامل ، وتزوير التاريخ وتبديل الأشخاص . . وهي ليست مسلكية خلقية ، بل شعور بالإثم ، شعور بخطورة ما تنطوي عليه الحادثة ولذلك لا يتورع عن الكذب ونقل التهمة إلى محمد نجيب ، وكان ظنه أن الرجل شاخ ، أو أن ذاكرته أو شجاعته ستخونه . . ولكن عندما جره إلى القضاء وهو يعرف أنه كاذب مزور ، وأن أمره سيفضح في المحكمة ، وأخطر من ذلك أن المحكمة قد تقلب الدفاتر ، وتفتح الملفات وخاصة أن « محمد نجيب » قد اتهمه علناً وفي كلام مكتوب ومنشور بأن المخابرات المصرية قدمت له ولعبد الناصر تقريراً بأن محمد حسنين هيكل عميل للسفارة الأمريكية فلم يستطع أن يلجأ للقضاء كما فعل الطاهر الذيل محمد نجيب (في هذه الواقعة على الأقل) لذلك آثر محمد حسنين هيكل أن ينسحب مرة أخرى وذيله بين رجليه ، الأولى نصحه « محمود فوزي » ألا يلجأ للقضاء و « محمود فوزي » رجل أرقم يعرف السر ، وصدقه النصح ، والمرة الثانية عندما اعتذر لمحمد نجيب وتراجع . .

فهذه الواقعة لا تثبت فقط تزوير وكذب محمد حسنين هيكل وإنما تشير إلى وجود سر خطير يحرص هيكل على إخفائه ولو بالتزوير .

كذلك ثبتت الرواية ، وهي أن المخابرات الأمريكية قدمت ثلاثة ملايين دولار لرئيس « ثورة » ٢٣ يوليو ، ولسنا نتحدث هنا عن رشوة أو فساد . . فالكل متفق ونحن في مقدمتهم على سخافة العمل ، وعلى أن عبد الناصر رفض أن يمس المبلغ أو أن يحتفظ منه بدولار واحد ، ولو فعل لما استحق أن يوجد اسمه في التاريخ ، ولا شغل بالنا دقيقة واحدة . . فلا أحد يتحدث عن رشوة ولا فساد ، وإنما مغزى الواقعة هو طبيعة العلاقة بين المخابرات الأمريكية وثورة ٢٣ يوليو ، وإن استطعت أن تصدق وقوع هذه القصة بين المخابرات الأمريكية وهوشي منه أو حتى فيدل كاسترو . . فهي ثورة ووجب قطع لساننا ! . . فالسؤال هو لماذا تهتم المخابرات الأمريكية والحكومة الأمريكية بحماية قائد ثورة يوليو ؟ . . والمفروض والمشاع أن كل المؤامرات على حياته هي من تدبير هذه المخابرات ؟! لماذا كانت الحقيقة مخالفة تماماً للشائع والذائع في أجهزة الإعلام الناصرية ؟!

لماذا ؟ . .

كذلك أورد حمروش ، نقلا عن خالد محيي الدين . رواية تعزز القول بأن المخابرات الأمريكية لعبت دوراً حاسماً في تصفية نجيب . إذ قال خالد محيي الدين : « إن ممثل صحيفة « نوفيل أوبزر فاتور » قال له (خلال فترة الصراع يوم لم يكن الكثيرون في الشارع السياسي المصري يراهنون على انتصار جمال عبد الناصر واحد ضد عشرة) إن جمال سيكسب المعركة ضد نجيب ، وإن مجلس القيادة قد أعطى اشارة للأمريكيين بأنهم سيوافقون على المعاهدة وإدخال تركيا في بند السماح بعودة قوات الانجليز للقناة » ، وسنجد في رواية كوبلاند

وايفيلاند ، ومصطفى أمين ما يؤكد أن المخابرات الأمريكية رجحت كفة ناصر على نجيب . . بل إن أحد أساطين الأجهزة السرية الأمريكية يشك في تآمر هذه المخابرات مع ناصر في حادثة المنشية للقضاء على نجيب* .

وينقل حمروش سراً خطيراً همس له به زكريا محيي الدين وهو : « إن هذه السرعة في توقيع الاتفاق كانت نتيجة وساطة أمريكية ، كما ذكر لي زكريا محيي الدين ، استهدفت حل المشكلة بين البريطانيين والمصريين لخلق جو مناسب لربط مصر بسياسة جديدة في المنطقة » .

أما « مايلز كوبلاند » فلا يهمس بل يقدم لنا قصة الوساطة كاملة واسم الوسيط . . ترى من يكون إلا عراب الثورة نفسه ؟!

وتخيل هذا المشهد في « هافانا » وقد اجتمع مجلس الثورة الكوبي في الأيام الأولى للثورة ، وبعدما استقرت أقدامها ، وأعلن « فيدل كاسترو » أنه قرر تعيين رئيس المحكمة العليا رئيساً للوزراء ، فيهمس جيفارا في أذن راؤول كاسترو . . فإذا براؤول يقول : آسف لا نستطيع تعيين المرشح لأن السفارة الأمريكية تعترض عليه فهو من انصار السلام !

أو إذا شئت مزيداً من الفكاهة فتخيل حدوث ذلك في هانوي في مجلس قيادة الثورة الذي يرأسه هوشي منه ! . .

المنظر طبيعي في سايجون ، أو « سيول » عاصمة كوريا الجنوبية ، أو القاهرة للأسف ، فهذا ما يرويه حمروش عن رفض تعيين السنهوري . . قال :

« بعد قرار عزل « علي ماهر » بدأ البحث عن اسم رئيس وزراء جديد ، ويبدو أن السنهوري كان المرشح الأول » ولكن « علي صبري » همس في أذن جمال سالم ، وكان حاضراً لهذا الاجتماع باعتباره سكرتيراً لمجموعة الطيران . وقال « جمال سالم » إنه يجل السنهوري ويعرف قدرته ، ويعترف بجدارته ، ويثق في إخلاصه للحركة ، كما بدا واضحاً في تأييده لقانون الإصلاح الزراعي ، ولكنه لا يستسيغ إلا الصراحة والإخلاص في عرض السبب الذي يجعله مرغماً على العدول عن ترشيحه . وكان السبب كما قال جمال سالم ، هو أن الأمريكان سوف يعترضون على هذا الترشيح لأن بعض الصحف العربية نسبت إليه في أواخر عهد الملك السابق وأثناء حكم الوفد أن له ميولاً يسارية » وفسر السنهوري ذلك بأنه وقع نداء ستوكهلم للسلام » .

والرواية إلى هنا توحي بأنه اجتهاد من « علي صبري » مسئول الاتصال بالأمريكان في ذلك الوقت ، ولكن خالد محيي الدين يكمل القصة : « إن الأمريكيين كانوا قد أبلغوا « علي صبري » بذلك عندما شعروا باقتراب السنهوري من مجلس القيادة ورجوع الأعضاء إليه في كافة مشاكلهم الدستورية » .

---

* أضفنا العديد من الوثائق التي تثبت تعاون الأمريكيين مع ناصر ضد نجيب في كتابنا هذا وسترد في موضعها .

فنحن أمام « فيتو » أمريكي صريح على مجرد الاقتراب من موقع « نداء ستوكهلم » للسلام . . وكراهية الأمريكان لمن يوقع « نداء السلام » في ذلك الوقت مفهومة ، ولكن رضاهم وثقتهم عن مجلس الثورة ، غير مفهومة ، أما انصياع مجلس « الثورة » لهم فهو المحير العجيب . . إذا لم نعترف بالمعامل « س » .

وتأبى « الوثائق » التي عمي عنها هيكل إلا أن تؤكد صدق رواية « خالد محيي الدين » فبعد صدور كتابنا نشرت في عام ١٩٨٦ وثائق الخارجية الأمريكية عن الفترة من ١٩٥٢ إلى ١٩٥٤ وجاء فيها الآتي حرفياً :

« من كافري (السفير الأمريكي بالقاهرة ج) إلى وزارة الخارجية ٨ سبتمبر ١٩٥٢ . « أبديت اعتراضاً شخصياً (؟! ج) على أن تضم الوزارة السنهوري موقع نداء ستوكهلم للسلام أو الشيوعي براوي ، وقد احترم العسكريون اعتراضي وأبعدوا الاثنين ، وقد أخبرنا العسكر اليوم أن برنامجهم سينشر بالكامل خلال أيام »[١٠]

بريطانيا العظمى وهي تحتل مصر بما يقرب من نصف مليون جندي وخلال حرب عالمية احتاجت لمحاصرة فاروق بالدبابات ووضع المسدس في رأسه لتفرض وجهة نظرها في رئيس وزراء مصر ! وبعد عشر سنوات أصبحت همسة من السفير الأمريكي تكفي لفرض وجهة نظره بلا حاجة لدبابات أمريكية فقد تولت عنها المهمة الدبابات المصرية للأسف !

لا أظن أن مصر كانت يوماً من الأيام أكثر تبعية منها في تلك الفترة ، ولا أظن أن السفير الأمريكي تمتع بمثل هذا الانصياع من حكومة شبه مستقلة .

وأيضاً قصة « يوسف صديق » الذي يعد تاريخياً وباعتراف الجميع الآن ، أنه هو الذي نفذ الانقلاب ووضعهم في السلطة ، ولولاه لما قامت الثورة[١١] ، كان عمره في هذه الثورة قصيراً جداً . . والسبب هو الأمريكان ياريس !

يوسف صديق ، هو من المجموعة التي لم تكن لها علاقة بالأمريكان ولا علم بما جرى معهم من اتفاق ، وما كان له أن يكون ، فهو يساري ، أو حتى عضو في تنظيم ماركسي ، إذا صدقنا رواية حمروش ، أو إذا أخذنا عضوية « حدتو » على محمل الجد ، ولكن لا جدال في وطنيته ويساريته ، ومعاداته للاستعمار الأمريكي . . وهكذا توجه « يوسف صديق » إلى « بني سويف » وخطب كما كان يخطب الوطنيون المصريون في عام ١٩٥٢ ، وقال « إن الحركة لا شرقية ولا غربية » . فلم تذع الإذاعة تسجيل خطابه ، واحتج أولو العلم من أعضاء مجلس قيادة الثورة ، على إعلان هذا الموقف الذي أثار رجال السفارة الأمريكية ، وبعث الضيق في نفوسهم ـ على حد قولهم ـ وكان الحياد مرفوضاً في هذه الفترة من الغرب . وتعرض « يوسف صديق » بعد ذلك لمضايقات من زملائه « أعضاء المجلس » وسرعان ما خرج يوسف صديق من المجلس (يناير ١٩٥٣) واضطهد .

حمروش ومن قبله محمد عودة ، لديهم المعلومات ، ولكنهما يخشيان الاعتراف بالحقيقة التي

تؤيدها المعلومات التي يقدمونها هم ! الثاني وصف « جيفرسون كافري » :

« من أشهر مدبري الانقلابات في وزارة الخارجية الأمريكية ، ويضم سجله سلسلة طويلة من الانقلابات تقارب الثلاثين في أمريكا الجنوبية والوسطى ، وكان كافري أول سفير أمريكي في فرنسا بعد التحرير ، في فترة أزيح (فيها) ديجول عن الحكم وطرد الشيوعيون من الائتلاف الوزاري وجذب الاشتراكيون للولايات المتحدة ، وأصبحت فرنسا قاعدة لمشروع مارشال ثم لحلف الأطلنطي »[٢٤] .

هذا الذي قهر ديجول ، وطرد الحزب الشيوعي الفرنسي ، وجذب الاشتراكيين الفرنسيين لأمريكا وحول فرنسا ـ فرنسا ذاتها ـ لقاعدة ، ونظم ثلاثين انقلاباً في أمريكا الجنوبية والوسطى . . عينته أمريكا في مصر ليجرب حظه ، فخاب فأله وذهب سحره ، وبطل مكره !

ولا ندري أيضحك علينا حروش أم يضحك على نفسه وهو يقول : « ولكن كافري جوبه في مصر بحركة شعبية متصاعدة أضعفت من فرص القدرة على إحداث انقلاب مشابه لما حدث في سوريا » !

انقلاب سوريا أمريكاني . . وانقلاب فرنسا أمريكاني . . أما مصر فهي أم الدنيا !

ولكن المعلومات تحرق أصابع حروش ، فهو يعرضها ولو من باب إعطاء كتابه مسحة منطقية ، ولكن يستعيذ بالله بعد كل فقرة ، فهو يؤكد لنا اتصال المخابرات الأمريكية بالضباط الأحرار ، ولكنه يقسم على أن جمال عبد الناصر لم يتصل شخصياً . . وهو يؤكد حدوث التقاء الأهداف ، ولكن ينفي أنهم سيطروا علينا . . حيرة المتورط والنادم والمشدوه لغفلته التي تبينها متأخراً جداً ، أو بالأحرى لانتهازيته التي جعلته يخفي ما يعلم ، ويخدع نفسه . . يقول : « إن الولايات المتحدة كانت ترقب انتفاضات (الفلاحين) في حذر شديد ، لأنها رأت فيها إرهاصات ثورة شعبية جامحة يمكن أن تنتهي إلى تغييرات اجتماعية جذرية تتناقض فتتعارض في داخلها مع أهداف الاستعمار والامبريالية العالمية ، ولذا كانت فكرة الإصلاح الزراعي ، واردة في أحاديث المسئولين الأمريكيين الذين تدفقوا على مصر بعد حريق القاهرة ، كانوا يطلبون إصلاحات اجتماعية تمنع اشتعال (ثورة) شعبية . وانبرى الدكتور أحمد حسين أحد المقتنعين بهذه السياسة والشديد القرب من الأمريكيين يدعو إلى الإصلاحات الاجتماعية ويشكل (جمعية الفلاح) ويطلب من علي ماهر أن يدعو الملك إلى التنازل عن نصف أرضه للشعب وكون (جمعية الفلاح) و « قد اكتشف اليساريون أن مثل هذه الجمعية إنما تستهدف إطلاق البخار من المرجل الشعبي حتى لا يتفجر في وجه الاستعمار ، فأطلقوا عليها اسم « جمعية الفلاح الأمريكاني » ، وذلك لما أحاط بالدكتور أحمد حسين من سمعة تربط بينه وبين المسئولين الأمريكيين المتدفقين على مصر . »[١٢٢] ووضح من اتصالات الأمريكيين برجال السياسة المصرية أن « الإصلاح الزراعي » كان أحد العروض التي يقترحونها ، كما روى مصطفى مرعي ، عندما اتصلوا به قبل ٢٣ يوليو ورفض الموافقة

على فكرتهم في تحديد الملكية عن أي طريق يتعارض مع الدستور » .

الأعمى يستطيع أن يستنتج من هذا أن قانون « الإصلاح الزراعي » الذي أصدرته الثورة كان مطلباً أمريكياً . . ولكن صاحبنا أعمى القلب ولذلك فهو يتبع هذا التحليل الذي أرضى به الأذكياء بشهادة ترضي المغفلين « ولكن لما تحركت قوات الجيش ليلة ٢٣ يوليو لم تكن فكرة القضاء على الإقطاع نابعة من فكر أمريكي» !!

ليه ؟

لنراجع ما لدينا من حقائق طبقا لشهادته :

١ ـ مصر تغلي بنذر ثورة فلاحية تحمل شتى الاحتمالات ، ليس فقط تصفية الإقطاع أو كبار الملاك التصفية الثورية الجذرية ، بل ـ أيضاً ـ إطلاق تلك القوة الأسطورية التي لم تتحرك إلا بضعة شهور في ثورة ١٩ وعلى نطاق جزئي . ولو ثار الفلاح المصري ثورة شاملة ذات أبعاد وطنية وطبقية لتغير وجه المنطقة .

٢ ـ كان الأمريكيون ، أو أجهزتهم تتدفق على مصر وتراقب هذا بحذر شديد ، وتصميم على منع هذه الثورة التي تتناقض مع أهداف الاستعمار والامبريالية .

٣ ـ ولذلك فكروا في حل يجهض هذه الثورة ، ويحمي أو لا يتناقض مع الأهداف الاستعمارية والامبريالية ، فطرحوا حل « الإصلاح الزراعي » ولا جديد في ذلك فقد طبقوه في كل بلد نجحوا في تنفيذ انقلاب فيه ، وآخرها إيران* . . فالانقلاب الأمريكي يقترن غالباً بالإصلاح الزراعي ، حتى يمكن اعتبار إعلانه قرينة على أمريكية الانقلاب . .

٤ ـ تحدث المسئولون الأمريكيون الذين تدفقوا على مصر بعد حرق القاهرة عن الإصلاح الزراعي لمنع الثورة ، وتبني مطلبهم السياسي « الشديد القرب منهم » بل اتصلوا بمصطفى مرعي واقترحوا عليه تطبيق الإصلاح الزراعي أو تحديد الملكية « بغير الطريق الدستوري » يعني بإجراء ثوري . . فرفض . . واكتشف اليساريون ما يجري وعرفوا أنها لعبة أمريكية ، وأنها ضد الثورة ، وليست ثورة .

ثم جاءت ٢٣ يوليو « ولم تكن قد أعدت للقضاء على الإقطاع مشروعاً أو خطة كاملة » . وفجأة تبنى مجلس الثورة المشروع وقاتل عليه !

ثم يقسم لنا أنه لا صلة بين ذلك وبين الجهد الأمريكي لفرض الإصلاح الزراعي ! عظيم ! . . وموافقون . . ولكن ألا يسمح لنا أن نستنتج الآتي على الأقل :

١ ـ الإصلاح الزراعي لم يكن يتعارض مع الأهداف الاستعمارية والامبريالية بل على العكس كان على هوى الامبريالية الأمريكية على الأقل . فهي اقترحته قبل الثورة .

٢ ـ الإصلاح الزراعي كان عملاً مضاداً للثورة الفلاحية وليس عملاً ثورياً . . ويجدر أن

---

* بل وآخرها الفلبين .

نشرح قليلاً للمغفلين من خريجي مدرسة التجهيل السياسي ، فهم لا يعرفون الفرق بين الثورية والإصلاحية ، وبين الاستعمار القديم ، والاستعمار الجديد . .

الاستعمار الأمريكي بحكم تكوينه ومصالحة يعادي أية ثورة طبقية ، ثورة تحرر قوى الشعب وتحقق تغييراً جذرياً في النظام الاجتماعي والسياسي بما يكفل تعبئة وإطلاق طاقة الأمة في بناء الدولة والمجتمع ، تصفية المصالح الاستعمارية ، واقتطاع حصة من السوق العالمية التي تستثمرها هذه المصالح . وهذا هو جوهر الصراع بين الدول الاستعمارية والدول المستعمرة ، ويمكن أن تضاف عوامل محلية لكل بلد ، منها في حالتنا النفط وإسرائيل . .

ولذا فإن أي إجراء يحول دون الثورة ، هو أهون ضرراً ، ولاشك أن « الإصلاح الزراعي » بالأسلوب الأمريكي يحقق هذا الهدف ، لما يخلقه من تعقيدات في العلاقات الاجتماعية والطبقية في الريف ، تشغل الجماهير عن الثورة الحقيقية . . فالعلاقة القديمة . . كانت بسيطة ومفهومة . . طبقة كبار الملاك تملك الأرض والسلطة . . وفي مواجهتها الفلاحون بلا أرض ولا سلطة . . ومطلبهم واضح : الحصول على الاثنين معاً : الأرض والسلطة . . والعدو واضح . . والصدام معه سيجر إلى الصدام مع الاستعمار الذي يسنده . . ومن ثم تصبح الثورة الطبقية ، وطنية في نفس الوقت .

أما بعد قانون الإصلاح الزراعي ، فقد ارتبكت الصورة - رغم ضآلة ما تم توزيعه - فقد ظهر طابور من الملاك ، ولا أحد يعرف موقعه من السلطة ولا أحد يساهم أو يشارك في السلطة ، وأيضاً لا أحد يستطيع اتهام السلطة بوضوح بأنها مع العدو . . والكل في حرب ضد بعضهم البعض . . وقبل الإصلاح الزراعي ، كان الفلاح الصغير هو قائد الثورة مرتبطاً ومتحالفاً مع فقراء الفلاحين ، ضد المالك الكبير ، أما الآن بعد الإصلاح الزراعي ، فإن العداء الذي يمزق الريف والحقد الطبقي هو بين المالك الصغير والمستأجر ، حيث أصبح المستأجر هو الذي يستغل المالك الصغير المغبون !! وبذلك يستحيل اتفاق الطبقتين على موقف من السلطة ، وهذا سر خروج الريف من خريطة الثورة في المستقبل القريب على الأقل . .

ويمكن أن نضيف أن طبقة كبار الملاك كانت قد ارتبطت تاريخياً واقتصادياً بالاستعمار القديم ، ومن ثم فإن الاستعمار الجديد يهمه تحطيمها لاقتلاع جذور الاستعمار القديم ومراكز نفوذه ، وإمكانات تحركه . .

كذلك فإن تفتيت الأرض الزراعية ، وجعلها كأرض الأوقاف لا مالك حقيقي لها ، كان في مخطط بعض الأطراف الأمريكية لتدمير منافسة القطن المصري طويل التيلة ، للقطن الأمريكي ، وقد عرفنا أن هذا الهدف أو الخشية من المنافسة كان خلف معارضة نواب الجنوب الأمريكي للسد العالي .

على أية حال إن كنا قد كتبنا ذلك في عام ١٩٨٥ اعتماداً على التحليل السياسي والمصادر

المصرية ، فقد أتيح لنا الآن وثيقتان في منتهى الأهمية تؤكدان أن « الإصلاح الزراعي » هو قرار أمريكي عريق ، وثيقة جاد بها هيكل على قرائه الانجليز وهي أن روزفلت ألح على فاروق في تنفيذ الإصلاح الزراعي ، ولم يهتم الملك وقد أوردنا ذلك في فصل هيكل الكذاب ، أما الوثيقة الثانية التي لم يعلمها هيكل وما ينبغي له !

فإليك نصها :

من السفير الأمريكي ٢٠ أغسطس ١٩٥٢ سري جداً

« بدعوة منهم تعشيت الليلة الماضية مع نجيب وتسعة من ضباطه الأساسيين :

١ ـ أكدوا مرة أخرى رغبتهم في صداقة الولايات المتحدة .

٢ ـ ناقشت معهم الإصلاح الزراعي . فقالوا إنه من ناحية لابد من عمل شيء وفي الحال نظراً للفوران الشعبي بين الفلاحين ، ولكن من الناحية الأخرى فإنهم يرون إمكانية إفساد اقتصاد مصر كله لو تطرفوا في هذا الأمر أو بعبارة أخرى : لا يمكن إعطاء حوالي ١٧ أو ١٨ مليون فلاح شرائح من الأرض ثم ينتظرون أن ينتجوا شيئاً له قيمة وهم يشعرون بالحرج لأنهم تحدثوا كثيراً عن الإصلاح الزراعي علناً » .

ورغم ذلك قبلوا أو اضطروا لإفساد اقتصاد مصر والمضطر يركب الصعب !

ثم إليك ما نقله حروش من « كوبلاند » وما أضافه ، وما اعتذر . . قال : اتصالات خارجية : « ولم يقتصر اتصال الضباط الأحرار بالقوى والتنظيمات السياسية المصرية فقط ، ولكنه امتد ليشمل أيضاً مندوبي وزارة الخارجية والمخابرات المركزية الأمريكية الذين استثارتهم منشورات الضباط الأحرار ، وانتصارهم في انتخابات نادي الضباط ، فبذلوا غاية جهدهم للتعرف عليهم ، واكتشاف آرائهم ومحاولة اجتذابهم .

وكانت حلقة الاتصال مع ضابط في المخابرات المصرية طبيعة عمله تسمح له بالاتصال بالملحقين العسكريين الأجانب ، بينما هو مرتبط بالضباط الأحرار وبجمال عبد الناصر شخصياً* .

ولم تتسع حلقة الاتصال بين المسئولين الأمريكيين وبين الضباط الأحرار رغم اعتمادهم على الصحفي المقرب منهم محمد حسنين هيكل رئيس تحرير آخر ساعة في ذلك الوقت ورئيس تحرير الأهرام فيما بعد ، لأنه لم يكن قد تعرف بجمال عبد الناصر أوو غيره من قادة تشكيل الضباط الأحرار حتى ذلك الوقت أو اكتسب ثقتهم**

* إن كان يقصد « علي صبري » فهو خطأ ، فقد اعترف « علي صبري » بأنه لم يكن من الضباط الأحرار ، وأنه قابل عبد الناصر أول مرة يوم الانقلاب أو ليلته . على أية حال هذا اعتراف بوجود ضابط اتصال بين عبد الناصر والمخابرات الأمريكية قبل الانقلاب .

** قارن هذه الصيغة العدوانية ضد هيكل ثم كيف انقلبت رأساً على عقب إلى مدح هيكل بعد لقاء مرمى مطروح .

وكان حريق القاهرة حافزاً لنشاط الأمريكيين في المنطقة فقد أرسل دين انشيسون وزير الخارجية مندوباً عنه استعاره من وكالة المخابرات المركزية هو كيرميت روزفلت لدراسة الأحوال في مصر .

ونشرت مجلة التايم في أكتوبر ١٩٥١ مقالاً جاء فيه « أن الموقف في مصر أشبه ما يكون بالموقف في اليونان سنة ١٩٤٧ ، حين اضطرت انجلترا نظراً لضعفها إلى سحب قواتها من اليونان ، فحلت أمريكا محلها ، واستأنفت القيام بدورها حتى لا تترك فراغاً يتسرب منه النفوذ السوفيتي . . وأمريكا أعدت عدتها للموقف منذ زمن بعيد حتى لا تفاجأ كما فوجئت في إيران ووضعت مشروع الشرق الأوسط » .

« وركزت الولايات المتحدة اهتمامها بعد ذلك على مصر ، فعينت جيفرسون كافري سفيراً لها بالقاهرة ، وهو من أشهر مدبري الانقلابات في وزارة الخارجية الأمريكية ، ويضم سجله سلسلة طويلة منها تقارب الثلاثين في أمريكا الجنوبية والوسطى (كما ذكر محمد عوده في كتابه « ميلاد ثورة ») .

« ولكن كافري جوبه في مصر بحركة شعبية متصاعدة ، أضعفت من فرص القدرة على إحداث انقلاب مشابه لما حدث في سوريا ، وقد أسرع هو وسفراء انجلترا وفرنسا وتركيا لتقديم مذكرتهم المشتركة إلى محمد صلاح الدين وزير الخارجية المصري التي تدعو إلى إقامة دفاع مشترك فور إلغاء المعاهدة . . وهي المذكرة التي أعلن مجلس الوزراء المصري رفضها أمام البرلمان* . .

« ولذا كان حريق القاهرة فرصة مواتية أنعشت آمال الامبريالية الأمريكية في التسرب إلى مصر ، ووضع قبضتها على مركز الحركة السياسية فيها » .

« ولم يكن رجل المخابرات المركزية كيرميت روزفلت مندوب وزارة الخارجية الأمريكية ورئيس بعثتها إلى مصر بعد حريق القاهرة ، غريباً على المجتمع المصري ، فقد عمل في مصر خلال الحرب ، وتوطدت صلته بالملك فاروق ، ووقف إلى جانبه خلال أزمة ٤ فبراير ١٩٤٢ ، وأعد له مقابلة مع الرئيس فرانكلين روزفلت خلال زيارته لمصر عام ١٩٤٥ .

ولم يبدأ كيرميت روزفلت مهمته الجديدة من فراغ . . فإن السياسة الأمريكية كانت لها نقط ارتكاز أقامتها خلال فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية » .

« وكان جيفرسون كافري نشيطاً في مقابلاته وعلاقاته . . فقد نشرت الصحف ـ مجلة الجمهور المصري عدد ٢٢ يناير ١٩٥١ ـ أن هناك مشروعا لإنشاء مكتب أمريكي انجليزي مصري لمقاومة الشيوعية ، رداً على المظاهرات المعادية التي تهتف بسقوط الاستعمار الأنجلو

---

* انظر تفاصيل هذا الرفض في الفصل السابق .

أمريكي ، وأن مكتب الصحافة الأمريكي يعمل على كسب بعض كبار الصحفيين ويطالب بمبالغ كبيرة لزيادة نشاطه » .

وكان مصطفى أمين صاحب دار أخبار اليوم قد أصدر كتاباً باسم (أمريكا الضاحكة) فيه دعاية للمجتمع الأمريكي ، يمكن مقارنته بكتاب (الانجليز في بلادهم) الذي أصدره حافظ عفيفي .

وكانت السفارة الأمريكية قد نشطت في الاتصال بعدد كبير من السياسيين المصريين في محاولة لاجتذابهم إلى صفها . . كان حافظ رمضان لا يخفي صلته بالأمريكيين ، ويقول فتحي رضوان إن حافظ رمضان كان يتصل بمستر ايرلاند مستشار السفارة الأمريكية ، بأمل الضغط على البريطانيين كما صرح عبد الرحمن عزام أمين الجامعة العربية بقوله : «إننا على استعداد للتحالف مع أمريكا » .

« ويقول مصطفى مرعي إن الأمريكيين قد اتصلوا به ثلاث مرات للتعاون معهم على أسس رفضها ، قال لهم إنه ضد الملك وليس ضد النظام . . وأنه مع الديموقراطية وضد الحكم الفردي . . ورفض اقتراحاً خاصاً بتطبيق قانون الإصلاح الزراعي ، وأبلغهم أنه يفضل تطوير قانون عضو الشيوخ محمد خطاب بحيث يضطر كل من يملك أكثر من ٣٠٠ فدان إلى بيعها .

« ويدل اتصال الأمريكيين بمصطفى مرعي على أنهم كانوا يمهدون لنوع جديد من الحكم كان يرفضه ، ولتشجيعه للإصلاح الزراعي بطرق غير دستورية . . وهذا يفسر سياستهم التمهيدية لقبول انقلاب يتفادى أخطار الانتفاضات الشعبية بتحقيق بعض إنجازات اجتماعية شكلية مع تثبيت قبضة السلطة الخاضعة للامبريالية الأمريكية ، المهددة للديمقراطية الشعبية .

« وكان أحمد حسين وزير الشئون الاجتماعية في وزارة الوفد والذي استقال منها في صيف ١٩٥١ هو أحد أصفياء السياسة الأمريكية . . يدعو لسياسة إصلاح اجتماعي تتفادى خطر الثورة . . وقد اقترح على (علي ماهر) أن يطلب إلى الملك ـ مكافحة للشيوعية وتصفية للسخط الشعبي ـ إعلان تنازله عن أملاكه أو عن نصفها للشعب مثلما فعل شاه إيران فيما بعد أثناء معركة البترول كمقدمة لضرب الحركة الشعبية هناك . . كما أنه اعتذر عن عدم الاشتراك في وزارة علي ماهر عندما عارض في رفع شعار (التطهير قبل التحرير) .

« كان أحمد حسين يؤدي دوراً نشطاً بين الساسة المستقلين بدعوى محاربة الفساد ، وقد اتصل بعد خروجه من الوزارة الوفدية بنجيب الهلالي واتفقا على أسس التخطيط والعمل بعد التخلص من الوفد .

« ويحاول مايلز كوبلاند في كتابه (لعبة الأمم) الإيحاء بأن جمال عبد الناصر كان على اتصال بكيرميت روزفلت عندما ذكر « وقد أخبر عبد الناصر كيرميت روزفلت صراحة أنه مع

ضباطه لن ينسوا ذلك الإذلال الذي لاقوه على أيدي الإسرائيليين عام ١٩٤٨ ، إلا أن نقمتهم ستنصب بالدرجة الأولى على كبار ضباط الجيش المصري ثم بقية حكام العرب والبريطانيين ، وأخيراً على الإسرائيليين » .

« ولكنه لا يوجد دليل واحد على أن جمال عبد الناصر قد اتصل شخصياً بكيرميت روزفلت قبل الحركة . . ولو أن اتصالات بعض زملائه بالأمريكيين قد جعلته يطلب من خالد محيي الدين عدم استخدام عبارة (الاستعمار الأنجلو- أمريكي) في منشورات الضباط الأحرار ، والاكتفاء بذكر الاستعمار البريطاني ، وكان ذلك في شهر مارس ١٩٥٢[١٣] وذلك للتأييد الذي لمسه هؤلاء الزملاء ، من المسئولين الأمريكيين في المنطقة .

« والمقطوع به أن الأمريكيين قد وجدوا في النشاط السري لحركة الضباط الأحرار بعض ما يحقق لهم أهدافهم في المنطقة ، ولكنهم لم يستطيعوا أبداً أن يكونوا مسيطرين عليه .

وبعد أن نقل حمروش ما ذكره كوبلاند عن تقرير روزفلت علق :

« وإذا صح أن كيرميت روزفلت قد وصل إلى هذه النتائج فإن هذا لا يعني ارتباط تنظيم (الضباط الأحرار) بالمسئولين الأمريكيين ارتباطاً عضوياً ، ولا يدل على أن حركتهم تتم بتوافق وتنسيق مع الاتجاهات الأمريكية ، وإنما يدل على اتساع دائرة معرفتهم ، وخبرتهم السياسية في دول تتعرض لأزمات وطنية وحركة جيوشها في مواجهة هذه الأزمات .

« نشر الكاتب الأمريكي ستيوارت السوب مقالا في صحيفة (شيكاغو صن تايمز) يقول فيه « إذا كانت بريطانيا قد استطاعت فيما مضى أن تحافظ على سيادتها على مصر بخلق الباشوات وجعلهم أصحاب النفوذ ، ويرشوتهم بعد ذلك ليكونوا أداة تسهيل مصالح بريطانيا الاستعمارية فإن هذه الطريقة لم تعد عملية ولا مجدية اليوم ، إن الشعب الفقير قد أخذ يستيقظ ويشعر بالضيق الفاحش اللاحق به » ثم أنهى مقاله بقوله : « إن الحديث عن إنعاش الديموقراطية في بلد كمصر يعيش فيه أغلبية الشعب عيشة أحط من عيشة الحيوانات ، هو لغو فارغ ، إن مصر لا تحتاج إلى ديموقراطية بل تحتاج إلى رجل فرد ، إلى رجل ككمال أتاتورك ليقوم بالإصلاحات الضرورية اللازمة للبلاد ، لكن مشكلة مصر في كيفية العثور على الديكتاتور ، فليس بين رجاله من لديه المؤهلات اللازمة للديكتاتور » .

« وكتب إحسان عبد القدوس مقالا بعنوان (إن مصر في حاجة إلى ديكتاتور . . فهل هو علي ماهر ؟) تحمس فيه للدفاع عنه وقال إنه معروف عنه أنه يعتد برأيه إلى حد لا يسمح معه للوزراء بالتفكير ثم قال : ومصر تقبل معه أن يعتد برأيه إلى حد أن يصبح ديكتاتوراً للشعب لا على الشعب ، ديكتاتوراً للحرية لا على الحرية ، ديكتاتوراً يدفعها إلى الأمام ولا يشدها إلى الوراء » .

« وفي نفس الوقت تقريباً ظهرت عدة مقالات كتبها جوزيف السوب (من نادي الجزيرة بالقاهرة) قال فيها إن فاروق قد فقد أهليته ، وأن الوفد حزب لا يمكن الاعتماد عليه ، وأن

الأمل الوحيد في الجيش . . وقد أثارت هذه المقالات التي نشرت في أمريكا ، اهتمام المبعوثين المصريين هناك ، ودفعت الدكتور إبراهيم سعد الدين عضو الأمانة العامة للاتحاد الاشتراكي ومسئول معهد الدراسات الاشتراكية فيما بعد إلى كتابة مقال لمجلة (الكاتب) دون توقيع ، تحدث فيه عن احتمال وقوع انقلاب عسكري .

« وكانت صحف دار أخبار اليوم هي المنبر الذي تنطلق منه الدعاية للسياسة الأمريكية ، فهي تمدح السراي والملك ، وتهاجم الوفد وتحاول التشهير به ، ثم تنقلب إلى غمز السراي عندما تتبلور السياسة الأمريكية وتفقد الثقة في قدرة الملك على الإصلاح

وفي غمرة البحث الأمريكي وراء خفايا الحياة السياسية في مصر ، ومحاولة معرفة (البطل) الذي تحدثت عنه صحف (أخبار اليوم) ، وقف جهاز اكتشافهم الحساس عند ظاهرة ، لم تكن وقتها ذات أثر كبير في حياة الجماهير اليومية ، ولكنها أظهرت بادرة مثيرة في أخطر جهاز منظم في مصر . . وهي انتخابات نادي ضباط الجيش التي دفعت اسم محمد نجيب إلى الضوء »[142] أ هـ .

نلخص ما جاء في نقل وتعليق حمروش على كلام مايلز كوبلاند :

١ ـ حمروش يعترف ، وهو لا يملك غير ذلك أمام الأدلة الدامغة على وقوع اتصال بين الضباط الأحرار « ومندوبي وزارة الخارجية والمخابرات المركزية الأمريكية » قبل ٢٣ يوليو وينسى أن التنظيمات الثورية ، لا تتصل بالمخابرات الأمريكية ، بل تحاول المخابرات الأمريكية الوصول إليها ، لتدميرها وتسليمها للسلطة .

ولكننا أمام تنظيم « ثوري » في القوات المسلحة . يسعى للاتصال بالمخابرات الأمريكية ! ومن الظلم البين إشاعة الاتهام هكذا بين « الضباط الأحرار » فمعلوماتنا والوقائع والأدلة تؤكد أن حلقة محدودة جداً هي التي اتصلت ، وهي التي كانت تعرف بهذا الاتصال ، بينما كان التنظيم في أغلبيته الساحقة وطنياً ، لا يدور بخيال أحد من أفراده أن يتم اتصال مع المخابرات الأمريكية .

٢ ـ المخابرات الأمريكية اتصلت بتنظيم الضباط الأحرار ، ولم تشِ به لا إلى الانجليز ولا إلى السراي !

٣ ـ يتطوع حمروش فيضرب عصفورين بحجر ، يتهم هيكل بأنه كان أداة أو وسيلة الأمريكان « الصحفي المقرب منهم محمد حسنين هيكل »[152] ولكنه يؤكد أن حلقة الاتصال بين المسئولين الأمريكيين وبين الضباط الأحرار لم تتسع ، وحجته على ذلك أن هيكل « لم يكن قد تعرف بجمال عبد الناصر أو غيره من قادة تشكيل الضباط الأحرار حتى ذلك الوقت أو اكتسب ثقتهم » . قد أوضحنا وجهة نظرنا في علاقة هيكل وعبد الناصر ، ونضيف إن الأمريكان لم يكونوا تحت رحمة معرفة هيكل بالضباط الأحرار ، لأن هؤلاء باعتراف حمروش

هم الذين سعوا للاتصال بالمخابرات الأمريكية ، وفي رأينا أن أكثر من ضابط في المجموعة الملتصقة بعبد الناصر كانت له اتصالات مع الأمريكان ، بينما كان دور هيكل هو حلقة الوصل بين المخابرات الأمريكية وعبد الناصر . .

٤ ـ اعترف بوصول كيرميت روزفلت إلى مصر في الفترة ما بين حريق القاهرة و ٢٣ يوليو ١٩٥٢ وتبنى معلومات مايلز كوبلاند كاملة في أن :

٥ ـ قرار الحكومة الأمريكية بتولي الأمور في مصر بدلاً من الانجليز .

٦ ـ المخابرات الأمريكية نظمت انقلاب حسني الزعيم في سوريا . « وهو أول محاولة لنقل أسلوب الحكم المفضل لدى الامبريالية الأمريكية والذي مارسته لزمن طويل في أمريكا اللاتينية . وهو حكم العسكريين الذين يقمعون الثورات والقلاقل الداخلية ، ويعملون مباشرة لحساب الشركات والاحتكارات الأمريكية » !

ولم يقل لنا لماذا تضن علينا أمريكا بهذا النظام المفضل لها ؟! وهل فعل عسكر مصر إلا هذا ؟!

٧ ـ تبادلت بريطانيا وأمريكا الانقلابات في سوريا . . فلماذا ليس في مصر ؟! لأ . . عيب !

٨ ـ ركزت أمريكا على مصر فعينت فيها كافري وهو خبير انقلابات كما رأينا !

٩ ـ الحركة الشعبية في مصر أضعفت قدرة كافري على إحداث انقلاب مماثل لما جرى في سوريا ، ولكن آماله وآمال جماعته انتعشت بحريق القاهرة .

١٠ ـ اتصالات الأمريكان مع « مصطفى مرعي » تدل على أنهم كانوا يمهدون لنوع جديد من الحكم يتنافر مع الديموقراطية ، وتطبيق الإصلاح الزراعي بطرق غير دستورية . وهذا يفسر سياستهم التمهيدية لقبول انقلاب يتفادى أخطار الانتفاضات الشعبية » .

فلما وقع أنكروه !

١١ ـ حاول الأمريكان القيام بثورة سلمية في إطار النظام الملكي وهنا غير كيرميت روزفلت رأيه ، وحمروش مازال يتبنى كل معلومات « مايلز كوبلاند » إلا « الحرام » ! وقرر روزفلت أن الملك حالة ميئوس منها وأنه لا سبيل لمنع الجيش من الاستيلاء على السلطة .

١٢ ـ يصر حمروش على نفي الاتصال الشخصي بين روزفلت وعبد الناصر قبل الحركة ـ نحن بدورنا لا نصر عليها ـ ولكنه يؤكد وقوع اتصال بين بعض زملاء عبد الناصر والأمريكان أدت إلى طلب عبد الناصر (بناء على طلب الأمريكان أو لتسهيل المفاوضات لا ندري ج) « من خالد محيي الدين عدم استخدام عبارة (الاستعمار الأنجلو ـ أمريكي) في منشورات الضباط الأحرار ، والاكتفاء بذكر الاستعمار البريطاني . وكان ذلك في شهر مارس ١٩٥٢ » وهو كما قلنا ينطبق مع تاريخ الاتفاق .

۱۳ ـ « يقطع بأن النشاط السري لحركة الضباط الأحرار يحقق بعض أهداف الأمريكان في المنطقة » ولكنه يبادر فيقسم بأنهم « لم يستطيعوا أبداً أن يكونوا مسيطرين عليه » ما علينا . . المهم اتفقت أهداف الامبريالية الأمريكية ونشاط الضباط الأحرار كما عرضته عليهم مجموعة عبد الناصر قبيل الثورة . أما حكاية السيطرة فهذه حديثها يطول جداً .

١٤ ـ يقول إن صح أن كيرميت وصل إلى هذه النتائج (تقريره إلى واشنطون المنقول من « لعبة الأمم ») فإن هذا لا يعني ارتباط تنظيم (الضباط الأحرار) بالمسئولين الأمريكيين ارتباطاً عضوياً ، ولا يدل على أن حركتهم تتم بتوافق وتنسيق مع الاتجاهات الأمريكية » .

دفاعه أسوأ من الاتهام !

من قال إن الضباط الأحرار ارتبطوا عضوياً بالمخابرات الأمريكية . . ؟!

حمروش لا يؤمن إلا بالارتباط « العضوي » ؟!

وأين في العالم ارتبط نظام حكم « ارتباطاً عضوياً » بمخابرات أجنبية إلا إذا تصورنا حكومة من مايلز كوبلاند وميد « وايكلبرغر » و « هيكل » و « مصطفى أمين » وبرئاسة « التهامي » ؟! . .

١٥ ـ بدأ الحديث علناً في الصحف الأمريكية عن انقلاب عسكري ، وخطأ ممارسة الديموقراطية في مصر ، ولابد أن يسبقها إعداد ورفع مستوى الشعب في ظل حكم قوي . . وهو نفس ما قاله « مايلز كوبلاند » عن الاتفاق الذى تم بين الثورة والمخابرات الأمريكية . .

ما رأيكم أن نستدعي « مايلز كوبلاند » نفسه للشهادة ، من خلال كتابه لعبة الأمم ؟!

« لعبة الأمم » كتاب صدر في عام ١٩٦٩ لمؤلفه « مايلز كوبلاند » ورغم الشهرة الذائعة التى نالها الكتاب ، والإشارة إليه ، والنقل منه في سائر المؤلفات العربية التي صدرت بعده ، وتعرضت بشكل أو آخر لنظام عبد الناصر ، أو للفترة التي تحدث عنها المؤلف ، إلا أنه ما من ترجمة كاملة أمينة قد جرت للكتاب ، ولا هو متاح للقاريء في مصر . ولا نال حقه من الدراسة والتحليل ، أو حتى الرد والتفنيد ، وإنما اكتفت السلطات الناصرية بحظر دخوله إلى مصر . ولم يتغير القرار بعد وفاة ناصر . واكتفى الأستاذ « محمد حسنين هيكل » بإصدار بلاغ من طائفة البيانات التي تعود أن يصدرها في الأهرام ، فأعلن أن الكتاب مرفوض لأن مؤلفه يعمل ـ باعترافه ـ في المخابرات الأمريكية !!

و « لعبة الأمم » هو اسم أطلق على جهاز أقيم في واشنطون في فترة من الوقت ، تابع للمخابرات الأمريكية ، كانت تجري فيه « لعبة » أو مسرحية سياسية ، أو قل فكرة شيطانية من ألاعيب المخابرات العالمية ، إذ يتقمص موظف ، شخصية زعيم من زعماء الدول التي تهم سياستها الولايات المتحدة ، وتجمع له الأجهزة كل المعلومات عن هذا الزعيم ، يوماً بيوم ، فضلاً عن تاريخ حياته منذ طفولته ، وعقده ، ومكونات نفسيته ، وثقافته ، وقراءاته

وأبطاله ، ومستشاريه . . ومن ثم تصبح مهمة هذا الرجل أن يتنبأ بردة فعل هذا الزعيم إزاء فعل من قبل الولايات المتحدة أو غيرها . .

وإذا كانت الإثارة هي في هذه الفكرة ، أعني قدرة هذه الشخصية على التنبؤ مقدماً بتصرف الزعيم الذي يمثله ، فإن الأهمية أو العائد في نظري هو في اهتمام وقدرة الأجهزة ، من خلال هذه اللعبة ، على تجميع المعلومات عن الزعيم موضوع الاهتمام . . وربما تكون هذه اللعبة قد لعبت دوراً في دفع الأحداث في عالمنا في اتجاه معين ، من خلال دراسة شخصية الزعيم . ومعرفة مفتاح هذه الشخصية مثل حب المال أو النساء أو التمسك بالسلطة مهما كان الثمن ، أو كراهية مزاحم على الزعامة سواء أكان هذا المزاحم من الداخل أو الخارج . أو معرفة نوعية العلاقة داخل المجموعة الحاكمة . . الخ .

المهم والذي يعنينا هنا ، أن « مايلز كوبلاند » مؤلف الكتاب ، كان الشخص المكلف بتمثيل أو تقمص شخصية الرئيس « جمال عبد الناصر » ومن ثم فهو ليس الغريب المتطفل الذي صوره لنا هيكل ، لغرض أكثر من واضح . . وهو كما عرفه الناشر الأمريكي « أحد الذين ساهموا في تنظيم المخابرات الأمريكية » كلها ! . . وهو رئيس المخابرات الأمريكية في مصر . . إذ المعروف أن المخابرات الأمريكية لها وحدات إقليمية تسمى « محطة » ، ومصر في تلك الفترة كانت من أهم مراكز الشرق الأوسط كله ، وقيادة العالم العربي .

وإليك كلمة الناشر على غلاف كتاب « لعبة الأمم » وقد تكون فيها مبالغة ، وإنما لا تصل إلى درجة الكذب أو الانتحال لأنها موجهة للقارىء الأمريكي أولاً . .

« مايلز كوبلاند الذي كان موظفاً في وزارة الخارجية ، والرجل الذي ساعد في تنظيم المخابرات الأمريكية ، دبلوماسي سابق ورجل أعمال ، وخبير في شئون الشرق الأوسط . وأحياناً لاعب في « لعبة الأمم » كتب كتاباً مثيراً طريفاً عن الدبلوماسية الدولية السرية . ولكي يبرز فكرته عن لعبة الأمم اختار مستر كوبلاند واقعة تاريخية هي وصول عبد الناصر إلى السلطة ، حيث كان مستر كوبلاند لاعباً في هذه الدراما . . إنه يشرح كيف تدبر الانقلابات والاغتيالات والرشاوى ، ويسمى الأشياء بأسمائها . . ويشرح كيف تعمل الأجهزة الأمريكية مع وضد بعضها ، ويشرح بالتفصيل الجانب التآمري والمخادع الذي تمارسه الأجهزة الحكومية غير الرسمية (مثل نشاط السي آي ايه) وأن هذا الجانب هو دائما الأكثر فعالية وإن يكن مجهولاً من الرأي العام . كما يوضح كيف استطاع قائد مصر (عبد الناصر ج) أن يطور فرعه الخاص بلعبة الأمم .

« لكل الذين يريدون معرفة كيف تدار السياسة الخارجية فعلاً يقدم مايلز كوبلاند كتاباً وثائقياً لا خيالات فيه ، أكثر اثارة من قصص الجواسيس الخيالية .

كتاب « لعبة الأمم » يكشف المناورات والألاعيب التي تميز سياسة الدول الكبرى ، ويكشف الأفعال السرية التي لا علاقة لها بما يقوله السياسيون والرسميون للشعب » .

وفي المقدمة يقول المؤلف إن المؤرخين يعجزون مثلا عن تفسير « لماذا أحجم عبد الناصر عن شن الحرب على إسرائيل في ظروف كان النصر فيها محتملاً ، بينما قاد بلاده إلى هزيمة محققة في ١٩٦٧ . . » ويرد على تساؤله بأن المؤرخين لا يعرفون « القصة خلف القصة » أو ما وراء الستار ، لأن هذه القصة السرية تحجب عنهم » . .

ويقول إنه عندما عرض مسودات الكتاب على أحد الدبلوماسيين نصحه بعدم النشر ، لأنه لا يجوز أن نُسيء إلى صورة حكومتنا في أعين الجمهور » . ولكنه لم يوافقه . لعدة أسباب منها « أن من حق المواطنين (الأمريكان ج) أن يعرفوا الحقيقة عن حكومتهم . وأن رجال هذه الحكومة هم مجرد بشر » . وأنه إذا كان المواطن الأمريكي يشعر بالفخر لأن حكومته ذات مسلكية أخلاقية عالية ، إلا أن هذا المواطن سيكون نومه أهدأ إذا ما عرف أن خلف الستار يوجد له رجال قادرون على مواجهة خسة السوفييت بخسة مماثلة » .

« لقد ركزت على الشرق الأوسط ومصر بالذات ، أساساً لأنني كنت هناك كثيراً كضيف لم يذْعُهُ أحد (!) ولأنني ساهمت في كثير من الدبلوماسية السرية ، التي حكمت السلوك اللامنطقي في تعامل زعماء الشرق الأوسط مع الغرب ، ودبلوماسي الغرب مع حكومات الشرق الأوسط » .

وأنه أراد أن يوضح « أنه إذا كانت سياستنا الخارجية قد تعثرت بعض الوقت ، فإن السبب لم يكن بسبب قرارات غير حكيمة اتخذها المسئولون ، بقدر ما كانت بسبب خطأ الفهم وسوء استخدام أجهزتهم في التعامل مع مشاكل لا يمكن أن تحل بالوسائل العادية ، إن الأخطاء التي ارتكبتها حكومتنا في التعامل مع الرئيس ناصر هي نموذج شديد الوضوح هنا » .

« أردت أن أقدم للقراء والمؤرخين في المستقبل صورة لمعالجة حكومتنا لسياستها الخارجية بالوسيلة ـ التي هي دائما ـ الأكثر حسماً ولو كانت غير معروفة للجمهور . وقد حذفت كل الأسرار المحظورة بموجب نظم الأمن الحكومية ، إلا التي أصبحت فعلاً في علم قوى أجنبية بسبب تسربها من قبل أو بفعل الجاسوسية ، أو بسبب نشرها . على أية حال لم أكتم شيئاً لمجرد الوفاء للجماعة »[٢٥] .

« لأسباب عديدة فإنني أعتبر أن عمليتنا التي تشمل الرئيس ناصر ، هي أفضل حادثة تاريخية لعرض كيف تعمل استراتيجيتنا المزدوجة القيم الأخلاقية » .

« عندما كنا نجلس حول الطاولة في الفترة التي كنت فيها ألعب دور عبد الناصر ، كان يبدو لنا جميعاً أنه لا يمكن أن تستمر اللعبة بدون عبد الناصر » .

« إن دراسة كيف أدرنا اللعبة مع ناصر تقدم لنا دروساً قيمة حول استراتيجيتنا في التعامل مع أمثاله » .

وهو يعتقد ـ وأثبتت الأحداث منذ تاريخ نشر الكتاب صدق توقعه أن « نموذج ناصر من

القادة الأفروآسيويين سيأتون باستمرار للعب الدور الذي سنحدد معالمه في ما يلي من الصفحات » .

« لأنه في هذه البلدان التي تبدو حالتها ميئوسا منها من الناحية الاقتصادية والاجتماعية ، ليس أمام القائد المحلي إلا أحد حلين : إما أن يصرخ يسقط الاستعمار وتهتف له الغوغاء بينما بلدهم يسير إلى الدمار ، أو أن يقبل المعونة ويرضى بمركز العميل للاستعمار أو لموسكو » .

وقال إن النموذج الناصري هو الأقدر على البقاء بين زعماء الدول المفلسة هذه ، وأن عبد الناصر كان تسعين بالمائة « ناصري » ولذلك كان أطولهم عمراً ، بينما نكروما كان « سبعين بالمائة . . » فقط . .

ودعنا من فلسفته وزهوه كالطاووس لأنه جعل منطقة مثل الوطن العربي ، وبلداً ولد فيه التاريخ ، وقامت أول حكومة ، جعله حقل تجارب يسخر من شعبه على هذا النحو الفاضح والمؤلم إلى حد البكاء . . دعنا من هذا ، الفكرة ببساطة هي أن الدول المتخلفة لا أمل لها من وجهة نظر المخابرات أو الإدارة الأمريكية ، في الخروج من التخلف وتلبية احتياجات شعبها ، أو كما قالوا هم لعبد الناصر بصريح العبارة : « إنه لا أمل لمصر في الخروج من الفقر » .

ولذا فإن زعماء هذه الدول الذين يريدون الاستمرار في السلطة ليس أمامهم إلا استجداء الدول الغنية أو ابتزازها ، وهذا الكتاب هو دليل التعامل مع هذه النماذج ، أو خلق بعضها فعلاً عندما تقتضي الضرورة ، وفي الأماكن الاستراتيجية والظرف التاريخي المعين .

وإليك المزيد من تعريف الرجل بنفسه ، ولاحظ أن هذا نشر في كتاب صدر في الولايات المتحدة ، فلا يمكن أن يكذب فيه ويدعي مناصب ووظائف ومهمات لم يقم بها ، ونحن ملزمون بتصديق ما يقوله عن وظائفه ، واتصالاته بناصر :

« في فبراير ١٩٤٧ عندما أعلنت بريطانيا استعفاءها من مهمة الدفاع عن تركيا واليونان ودعت أمريكا للحلول محلها » « كنت من المجموعة الإدارية الاستشارية المكلفة بدراسة الأوضاع التنظيمية الموجودة وقتها في دائرة الاستخبارات ، ولتقديم توصيات لإصلاحها » .

« وصلت إلى مصر في يوليو ١٩٥٣ » .

« نكتي عن الانقلابات في سوريا* هي التي جعلتني الشخص المفضل في منزل عبد الناصر » .

« في يوليو ١٩٥٤ قال لي ناصر : لكي تشكل نفوذاً معتدلاً (في العالم العربي) فيجب أن تكون صاحب نفوذ » .

« وأنا وحسن التهامي كنا نتحدث مع عبد الناصر في حديقته » .

« زرت نيويورك في أواخر صيف ١٩٥٣ واقترحت إعطاء ناصر مبلغاً بصفة شخصية

* وهو يتكلم العربية كما قلنا .

لتطوير حراسته ، وتزويده بسيارة كاديلاك مصفحة ، وخبير لتنظيم حرسه الخاص ، وجهاز إنذار على بيته ، ومعدات لتفريق المظاهرات » .

« في أغسطس ١٩٥٣ وكنت ذاهباً للغداء مع عبد الناصر ، طلب مني السفير كافري أن أستمزج رأيه في المفاوضات (مع بريطانيا) وقال لي : اعرف لنا أقصى مطالبه ، وأدنى ما يمكن أن يقبل به ، وقل له إننا سنحتفظ بهذا سراً فيما بيننا . وكانت هذه هي أول مرة يطلب مني أن أناقش سياسة أو بالأحرى سياسة دولية مع عبد الناصر » .

ويقول إنه في هذا الاجتماع اقترح على عبد الناصر الاستعانة بوسيط أمريكي . . « وورد اسم « كيرميت روزفلت » الذي اعتبره عبد الناصر اختياراً ممتازاً ، فلما تشككت في أن علاقته بالمخابرات قد تشكل عقبة ، قال عبد الناصر بالعكس . . إن هذه الصلة ميزة ، فهو يستطيع أن يكون رسمياً بالقدر الذي نريده . وكان رأيه أن موظفاً في المخابرات الأمريكية ، يمتاز بأنه لا يمثل الحكومة الأمريكية ، وبالتالي فهو غير ملزم بتوضيح موقفه أو دوره الحقيقي للانجليز ، إلا أنه في نفس الوقت يتمتع بثقة الحكومة الأمريكية ، ومن ثم فهو يعرف ما يقول ، ثم إن علاقة روزفلت الوثيقة بالأخوين دلاس* كانت مهمة أيضاً عند ناصر ، كذلك كان ناصر يعرف أن كافري سيوافق على هذا الاختيار ، وكانت خبرة عبد الناصر السابقة (؟! ج) مع روزفلت قد أقنعته أن روزفلت هو من النوع الذي يجيد تدبير الأمور »[٢٦] .

« وقد قام روزفلت فعلاً بدور الوساطة في عقد اتفاقية الجلاء . . » .

هل عرفت الآن من هو الوسيط الأمريكي الذي تحدث عنه زكريا محيي الدين ؟ . . إنه عراب ٢٣ يوليو كما سنرى .

« وقد أخبرت كافري ، على الفور ، بعد الغداء (مع عبد الناصر ج) بمحادثتي مع عبد الناصر ، فأبرق بالفكرة إلى واشنطون بعد ظهر نفس اليوم ووصل روزفلت في نهاية الأسبوع ، بعد أن توقف في لندن للحصول على ملخص من وزارة الخارجية لمعرفة ما هي النقاط المهمة في المفاوضات وما هي غير المهمة » .

« وفي أول اجتماع بين ناصر وروزفلت راجعا المرحلة الأولى والثانية (انظر الصفحات من ١٢٠ إلى ١٣١ من الكتاب عن الخطة التي وضعت لمسيرة الثورة بين الأمريكان وممثلي مجلس الثورة والتي تتضمن تحقيق تسوية بين مصر وبريطانيا وأمريكا (!؟ ج) ومن هنا أصبح عمله هو تحديد ما الذي يريده فعلاً البريطانيون والمصريون بصرف النظر عما يقولون . . ثم صياغة ذلك .

« لعبت دور عبد الناصر في مركز لعبة الأمم من صيف ١٩٥٥ إلى ربيع ١٩٥٧ وفي نفس

---

* جون فوستر دلاس وزير الخارجية ، وآلن دلاس مدير المخابرات CIA .

الوقت كنت أعمل مستشاراً لمجموعة تسمى « لجنة تخطيط سياسة الشرق الأوسط » في وزارة الخارجية الأمريكية . وهي وظيفة أعطتني الفرصة لزيارة القاهرة وعواصم أخرى في الشرق الأوسط ، حيث تمكنت من مناقشة حركات ناصر مع ناصر نفسه وغيره من القادة في الشرق الأوسط الذين تأثروا بأفعاله . وإلى جانب ذلك كنت قد عرفت ناصر نفسه منذ عدة سنوات ، وفي أفضل الظروف الممكنة ، وكنت على علاقة جيدة مع قادة الشرق الأوسط المهمين سواء الذين ضد أو مع ناصر » .

« نقلت أنا « وجيم ايكلبرغر » خبر انضمام العراق لحلف بغداد إلى عبد الناصر مساء اليوم الذي وقعت فيه الاتفاقية ، وكان السفير الأمريكي بايرود قد وصل ، ولكنه لم يقدم بعد ، أوراق اعتماده . وعبد الناصر يريد أن يبحث معه حلف بغداد الذي أعلن (وهو لا يستطيع استقباله بصفة رسمية ج) فاتفق على أن يأتي إلى بيتي ناصر وبايرود وعبد الحكيم عامر وحسن التهامي للعشاء ، ثم أعقب العشاء اجتماع آخر حضره تهامي وأنا وعبد الناصر وبايرود نوقشت فيه كل جوانب علاقات بلدينا » .

لعلنا ساهمنا في تخفيف بعض حيرة الحاج هويدي في البحث عن سر أهمية الدرويش حسن التهامي . . وزدنا من حيرة الناصريين في تفسير محاولة هيكل التقليل من شأن الرجل الذي يسعى ناصر إلى بيته لمقابلة سفير أمريكا ! . .

« في فبراير كنت أعيش في القاهرة وأتردد على دمشق » .

« وقع المصريون والانجليز ، الاتفاقية في أكتوبر ١٩٥٤ وبعد شهر واحد أرسل البنتاجون كولونيلين : البرت جيرهارد ، و ويلبور (بيل) ايفلاند ، إلى القاهرة ، لبحث ما هي الأسس التي يمكن بموجبها لحكومتنا إعطاء المصريين الأسلحة التي يطلبونها لأغراض الأمن الداخلي ، على أن يعقد الاجتماع مع ناصر نفسه بحضور كبار مساعديه ، وعلى أن يكون سرياً ، وبدون محاضر . وطلب مني السفير كافري ، أن أنظم الاجتماع وأشترك فيه ، وأنقل إليه ما يحدث . ولذا فقد كان واضحاً ، أن دوري هو دور مراقب بدون صفة رسمية . وقد تم الاجتماع في الساعة الثامنة من مساء يوم ما ، "في منزل حسن التهامي كبير مساعدي ناصر* ، واشترك فيه عبد الناصر ، ورئيس الأركان عبد الحكيم عامر ، والكولونيلان الأمريكيان ، والتهامي وأنا . . وكان الجو ودياً وغير رسمي . خلعت فيه الجاكتات وعلقت على ظهر المقاعد ، وجرى استخدام الاسم الأول : آل . . بيل . . بل حتى « جمال » . وتناولنا وجبة بيتي رائعة ، وبعد ذلك بدأنا ما عرف بعد ذلك « بمحاولة صريحة مما اعتدنا عليه » .

---

* هل خطر ببال الحاج هويدي والذين دهشوا ومازالوا لدور التهامي في عهدي ناصر وخليفته . . أن هذه هي صفته . . « كبير مساعدي ناصر » . . أنعم وأكرم !

وروايته تتفق تماماً مع رواية ايفيلاند في كتابه حبال الرمال والذي سنعرضه بعد هذا الكتاب « لعبة الأمم »* .

المحادثات التي يحضرها تهامي ، ولا يسمع بها فضلاً عن أن يشترك فيها بغدادي وكمال الدين حسين . . فضلا عن هويدي . . لا تعطيه الحق في أن يتساءل لماذا استوزر عبد الناصر هذا الوزير . . إنه حقا لم الشمل ولكن أي شمل ؟! . .

وهذا يفسر لنا الدور « غير المبرر الحجم » الذي لعبه تهامي في المفاوضات مع إسرائيل التي انتهت بكامب ديفيد . .

ويقول إن المناقشة في هذا الاجتماع كانت صريحة لدرجة أن الأمريكان لم يستخدموا ولو مرة واحدة تعبير : « العالم الحر » كما لم يستخدم المصريون كلمة « الاستعمار » .

يعني لا احنا « عالم حر » ولا أنتم ضد الاستعمار . . فلا داعي للتهريج بالألفاظ !

« في منتصف سبتمبر تسلم كيرميت روزفلت رسالة شخصية من ناصر بأنه سيوقع اتفاقية مع الروس ، وأنه إذا كان روزفلت يريد أن يجرب إقناعه بالعدول عنها فمرحباً به ، وفي اليوم التالي سافر كيرميت وأنا إلى القاهرة ، وقد قابلنا في المطار معاونو عبد الناصر وأخذونا رأساً إلى شقة عبد الناصر في أعلى مبنى مجلس الثورة » .

في ١٦ يوليو ١٩٥٥ أنهيت سنتي خدمتي في مصر ، واتجهت مبطئاً إلى وطني ، واستغرقت رحلة العودة شهراً . وعندما وصلت أخيراً في آخر أغسطس ، وجدت في انتظاري خطابات من كل من بايرود**وناصر ، إلى جانب مراسلات من رؤسائي تخبرني بأنني سأعار لوزارة الخارجية لفترة غير محدودة لتشكيل وحدة عمل تسمى « لجنة تخطيط سياسة الشرق الأوسط » .

« قضيت وقتا طويلاً في أواخر ١٩٥٦ وبداية ١٩٥٧ أعطي محاضرات لمجموعات من الموظفين الأمريكان ، أقوم فيها بدور عبد الناصر ، وأشرح لهم مواقفه ، وكثيراً ما كنت استدعى إلى مكتب وزير الخارجية دلاس أو نائبه هوبرت هوفر الابن ، لكي أساعدهم على التنبؤ بردود فعل عبد الناصر لبعض القرارات التي ستتخذها حكومتنا . وكنت أجعل مواقف عبد الناصر مفهومة بل ومقبولة ، حتى أن أحد الموظفين قال : أنا لا أثق في هذا الشخص ، إنه ناصري أكثر من ناصر نفسه » . . ومرة التفت إليّ آلن دلاس وقال : إذا كان هذا البكباشي بتاعك (أو بتاعكم) سيزعجنا أكثر من ذلك فسنشطره إلى نصفين » .

« عندما سألني « فرانك ويزنر » نائب مدير المخابرات الأمريكية ، قبل أسبوع من أزمة

---

* وتتفق أيضاً مع المحضر الرسمي الذي كتبه الأمريكيان : جيرهارد وايفلاند ، ويلاحظ أن اسم التهامي حذفته الرقابة في وزارة الخارجية الأمريكية ولكن ورد بصفته فأشير إليه هكذا « شخص من سكرتارية رئيس الوزراء » .

** السفير الأمريكي الذي حل محل كافري .

السويس ، إذا ما كنت أتوقع أن يؤمم عبد الناصر القناة رداً على رفض تمويل السد العالي ، أجبته إنني في تمثيل دوره في لعبة الأمم ، أممت القناة فعلاً منذ عدة شهور . . ولكن ناصر لم يفعل ولذا لا أدري ما الذي سيفعله الآن . . وعندما ناقشت مشكلة السويس مع عبد الناصر بعد ذلك كان واضحاً أنه توقع ردة فعل أشد من جانب الأنجلو ـ أمريكان . . الخ » .

« في أوائل عام ١٩٥٦ قضى الرئيس عبد الناصر والسفير فوق العادة إيريك جونسون ، وأنا ، مساءً طويلاً في حديقة عبد الناصر نناقش ما الذي يمكن لعبد الناصر أن يقوم به ، وماذا لا يمكنه ، لمساعدة جونسون على وضع خطة حول مياه نهر الأردن » .

« مايو ١٩٥٧ استقلت من وزارة الخارجية ، وأسست مكتب استشارات للعلاقات الحكومية ، لشركة نفط وشركة طيران وبنك ، في بيروت في يوليو ١٩٥٧ » .

« في ١٩٥٧ كنت في واشنطون أعمل في لجنة ، يفترض أنها المسئولة عن كل ما له علاقة بعبد الناصر . . وأذكر أنني حضرت يوماً إلى المكتب صباح يوم من أيام شهر يناير لأعرف أن مشروع ايزنهاور . . الخ » .

« عبر السنين رأيت « ناصر » أكثر من أي غربي آخر ، وإلى الآن بعدما لم يصبح من المستطاع مفاجأته بزيارة بدون دعوة والبقاء لتناول الغداء* ، مازلت أجري معه مناقشة طويلة مرة كل شهر أو شهرين يسترخي فيها تماماً ، ويكون طبيعياً جداً . وقد قمت بهذه الزيارات مرات عديدة ، كمجرد علاقة شخصية أو مرات لحساب بعض الشركات التي أعمل لها ، ومرات بعد تلقين عنيف من أطباء المخابرات الأمريكية لكي أسجل لهم أية ظاهرة من ظواهر المرض الجسمي أو العقلي على عبد الناصر » .

« ناصر أخبرني في ١٩٦٤ أنه كف عن محاولة فهم تصرفات الأمريكان » . ويقول إنه أهدى لعبد الناصر مرة ، بدلة على الطراز الأمريكي فلم يعجبه ذوقها » .

والآن ماذا عن الكتاب ؟

لقد وضع في بدايته قائمة بالأحداث التاريخية التي يعتقد أنها تحدد خريطة التطورات السياسية في موضوعه وهي كالآتي :

٢١ فبراير ١٩٤٧ سلمت السفارة البريطانية في واشنطون رسالة لوزارة الخارجية حول اليونان وتركيا تعلن انتهاء مرحلة السلام البريطاني (أي مرحلة حفظ السلام في المنطقة بقوة بريطانيا ج) .

١٢ مارس ١٩٤٧ إعلان مبدأ ترومان .

١٤ مايو ١٩٤٨ إعلان دولة إسرائيل .

---

* أيام كان في منصب المسئول عن ناصر ، كان يفاجيء فرعون مصر بزيارة في بيته بدون موعد ويعزم نفسه على الغداء !!

٣٠ مارس ١٩٤٩ انقلاب حسني الزعيم .

٢٦ يناير ١٩٥٢ حريق القاهرة وتوجه كيرميت روزفلت إلى القاهرة لتنظيم « ثورة سلمية » تحت قيادة فاروق .

مارس ١٩٥٢ كيرميت روزفلت يتخلى عن فكرة « الثورة السلمية » ويجتمع بالضباط الأحرار المصريين (وهو التاريخ الذي اتفق خالد محيي الدين وحمروش على طلب عبد الناصر فيه وقف الهجوم على الأمريكان في منشوراتهم . ج) .

٢٢ يوليو ١٩٥٢ انقلاب ناصر في مصر* .

وفي شرح هذه النقاط وتسلسلها ، تقول الوثائق « إنه في عام ١٩٤٧ أبلغت بريطانيا الحكومة الأمريكية أنها لا تستطيع الاستمرار في تحمل مبلغ الخمسين مليون دولار اللازمة لدعم اليونان وتركيا ضد الشيوعية ، فإما أن تتولى أمريكا المهمة ، أو تترك للفراغ » .

وكان هذا التطور طبيعياً ومنتظراً بلهفة من الولايات المتحدة ، التي خرجت من الحرب العالمية الثانية أكبر قوة في العالم غير الشيوعي ، وكانت ترى نفسها الوريث الشرعي والطبيعي والكفء للامبراطوريتين البريطانية والفرنسية ، اللتين بعجزهما تسيطران على مساحات شاسعة وثروات هائلة ، بدون مبرر بموجب قانون الغابة الاستعمارية ، وبدون قدره على ضبط هذه المناطق وإخضاعها كما كان الحال قبل الحرب العالمية الأولى ، أو حتى فيما بين الحربين ، وكان نفط الشرق الأوسط وإسرائيل يمثلان أهمية حيوية ، وجائزة مطلوبة من قبل الإدارة الأمريكية ، وأصحاب المصالح الحقيقية ، كما كان موقع الشرق الأوسط يمثل أهمية بالغة لاستراتيجية السيطرة على العالم ، أو احتواء الشيوعية العالمية ، والدفاع عن غرب أوروبا وأفريقيا . . وربما خطر ببال الانجليز رشوة الأمريكان بتركيا واليونان ، مقابل ترك بريطانيا تتمتع بالجزء الأقل سخونة وأكثر ليونة وأغزر نفطاً في شرق وجنوب البحر الأبيض . . ولكن أمريكا ـ كما رأينا ـ كانت عينها على ذات هذه المناطق التي تريد بريطانيا الاحتفاظ بها ، ولا أحد يدافع عن تركيا واليونان من أجل الأتراك واليونانيين فهما من أفقر الشعوب ، وزيت الزيتون لا يغني عن زيت النفط ، وإنما أهمية اليونان وتركيا في أنهما الخط الأمامي في الدفاع عن « الكنز » أو الشرق الأوسط العربي وإيران . . كما أن الدفاع عنهما يصبح مستحيلا بدون عمق في الوطن العربي وإيران . .

وهكذا قررت أمريكا أن تأخذ الجمل بما حمل . . فتكونت المخابرات الأمريكية CIA سنة ١٩٤٧ ، وتشكل مركز « لعبة الأمم » سنة ١٩٤٨ ، يقول مايلز كوبلاند : « كان

* وقد فرض هذا المدخل نفسه على كل من حاولوا التأريخ « لثورة » يوليو . . أعني البدء بالحديث عن انهيار مركز بريطانيا وتطلع أمريكا لوراثتها ، وهذا ما اضطر « هيكل » للالتزام به عندما ألف للأجانب وفي « ملفات السويس » بعد أن أصبح الدور الأمريكي في قيام ثورة يوليو غير قابل للإنكار .

برنامجنا هو ملء الفراغ الذي تركه رحيل البريطانيين من اليونان وتركيا ، الفراغ الذي لا يقتصر على تركيا واليونان بل الشرق الأوسط كله . وتنفيذ ذلك بأسلوب يتفق مع وسائلنا وطرقنا . . كنا ندخل في لعبة جديدة ، اللاعبون فيها هم حكومات منطقة الفراغ ، وليس الاتحاد السوفيتي . . وكما قال موظف كبير بوزارة الخارجية ، لم تكن لدينا أهداف بل مشاكل ، مشاكل من عزم الصهيونية على خلق دولة يهودية في فلسطين ، وتصميم العرب على منعهم ، مشاكل خلافاتنا مع حلفائنا . وفي داخل البنتاجون نفسه (وزارة الدفاع الأمريكية . ج) حول الدور الذي سيلعبه الشرق الأوسط في مشاريع الدفاع . . ومن القضايا التي أثيرت هي إلى أي مدى ندعم رسمياً شركات النفط الأمريكية التي زاد نشاطها في المنطقة ، وأخيراً تحددت أهدافنا في الآتي :

١ ـ منع الصراعات الإقليمية من جرنا إلى مواجهة مع السوفيت ، أي منع تحول الحرب الباردة إلى ساخنة .

٢ ـ تمكين حكومات المنطقة من المساهمة في العالم الحر . .

٣ ـ خلق ظروف محلية مناسبة للاستثمارات الأمريكية . . » .

« وكان الصراع الإقليمي الوحيد الذي يلوح في الأفق ، هو الصراع العربي ـ الإسرائيلي . كما كنا نعتقد أن مصالحنا التجارية تلقي الترحيب من أهل المنطقة فالنفط سيجعلهم أغنياء » . .

« وكان الموقف في نظرنا ، أنه لو وجدت قيادات غير فاسدة وذكية بما يكفي لادراكها ما العمل الذي يحقق مصلحة بلادهم ، ولديهم عزم لإنجازه ، فإننا سنحقق أهدافنا مهما تكن . . ولكن هذه البلاد باستثناء بلد أو اثنين كانت تفتقر إلى مثل هؤلاء القادة ، ولذا فحتى يحين الوقت لإرساء أهداف راسخة بعيدة المدى ، فقد كان علينا تركيز اهتمامنا لإيجاد الوسائل التي تضمن تولي « النوع المطلوب من القادة » كما كنا نسميهم في هذا الوقت . وتؤكد الوثائق الحكومية (الأمريكية) السرية في مطلع ١٩٤٧ على أجهزتنا الدبلوماسية والمخابراتية ، العمل على إجراء تغييرات في قيادات عدد معين من بلدان الشرق الأوسط ، وهو الأمر الذي يتجاهله المؤرخون اليوم عندما يقيمون أعمالنا في العشرين عاماً الماضية » . أ هـ .

كان بودي أن أعلق على هذه الفقرة ، بأنها تغني عن التعليق !

١ ـ أمريكا قررت ملء الفراغ في تركيا واليونان والشرق الأوسط كله . . « بوسائل تتفق مع وسائلنا وأساليبنا » . .

٢ ـ اللاعبون أو المحاورون أو الطرف الآخر ، ليس الاتحاد السوفيتي ، غير الموجود وقتها في المنطقة ، بل حكومات المنطقة ، وهذا يعني بوضوح بريطانيا وفرنسا . . فهما الحكومة ، وما تحتهما مجرد أدوات تتفاوت نسبة تبعيتها وانصياعها وكفاءتها ، وهي بالتأكيد موجودة على مائدة اللعب ، ولكن من يريد أن يلعب في مصر أو العراق ، يخطيء خطأ فادحاً إذا لم يعرف

أنه يلعب أساساً مع بريطانيا ، ونفس الشيء عن فرنسا بالنسبة لمراكش والجزائر وتونس . . الخ .

وهذه النقطة مهمة جداً ، ولو أنها طمست في تاريخ المنطقة عن وعي لأنها مفتاح فهم « ثورية » بعض الثوريين ، بل حتى ماركسية بعضهم ، فالانجليز مثلاً لم يترددوا في إطلاق الشيوعيين في العراق ، وتسليمهم الحكم في عدن لمنع وقوع البلدين في يد الأمريكان . . وهذا سيساعدنا على فهم بعض التصرفات التي تبدو غريبة في ظل المفهوم الساذج الذي يتصور أن الصراع الأول في المنطقة ، كان في تلك الفترة ، بين الغرب والاتحاد السوفيتي أو بين أمريكا والاتحاد السوفيتي .

وأهمية هذا الاعتراف أيضاً ، هو تحديد طبيعة الوسائل ، فإذا كانت الولايات المتحدة تسعى إلى احتلال بلد أو منطقة في دائرة نفوذ « حليف » مثل بريطانيا أو فرنسا ، فإن الموقف يختلف عنه في حالة ما إذا كان البلد في دائرة نفوذ الروس ، لأن أسلوب الاستيلاء يختلف بالطبع ، ففي الحالة الأولى يستحيل الضرب المباشر ، يستحيل غزو البلد أو مقاتلة بريطانيا ، أو حتى الهجوم الرسمي عليها إلا في ظروف نادرة ، عندما يخرج أحد الأطراف عن قواعد اللعبة . . كما حدث في حرب القناة عام ١٩٥٦ ، إذ جاءت بريطانيا بالأسطول لقلب حكومة عبد الناصر وإعادة غزو المنطقة ، وهنا اختل ميزان القوى في اللعبة ، وكان لابد من تدخل أمريكا . . أما فيما دون ذلك فإن « وسائلنا وطرقنا » هي قلب الحكومات العميلة لبريطانيا العظمى ، وإقامة حكومات « صديقة » للولايات المتحدة ، ومن ثم تصدر قرارات « شرعية » بتصفية مصالح بريطانيا وتعزيز مصالح أمريكا ، ولا تملك بريطانيا أن ترد إلا بانقلاب مضاد كما حدث في سوريا ، أو بمحاولة « لخبطة » اللعبة بإحداث انقسام داخلي ، أو الرضوخ وطلب إعادة تقسيم المنطقة مع الاعتراف بحق أمريكا في نصيب أكبر مما خرجت به بعد الحرب العالمية ، كما حدث في إيران .

٣ ـ نقفز على حكاية ليس لنا أهداف لأن ما ذكره كمشاكل هو أهداف . . مثل إفشال تصميم العرب على منع قيام إسرائيل . على أية حال ، لقد اعترف بأنهم وضعوا أهدافهم في ثلاثة مطالب تغطي كل شيء : منع تحول الشرق الأوسط إلى منطقة مجابهة ساخنة مع الاتحاد السوفيتي ، وفي إطار هذا الهدف المحدد بدقة كأول الأهداف ، يمكن أيضاً تفسير موقف أمريكا من أحداث أكتوبر ١٩٥٦ . . والهدف الثاني يغطي مشاريع الدفاع المشترك وغيرها . . أما الهدف الثالث فصارخ الوضوح : خلق الظروف الملائمة للاستثمارات الأمريكية . .

٤ ـ الصراع الإقليمي المقبل هو الصراع العربي ـ الإسرائيلي . . الاستثمارات الأمريكية كل ما تحتاجه هو قيادة ذكية ، تفهم مصلحتها في الارتباط بالاستثمارات الأمريكية ، غير فاسدة برشوات الانجليز والارتباطات بهم ، ومن ثم سترى المصلحة العامة التي ستغمر

الجميع . .

وبالطبع هذا كلام استعماري مخابراتي يعمل لحساب مصاصي دماء الشعوب وفي أكثر الأجهزة دموية وإجراماً . . فلا يجوز أن نتوقف عند « إصلاحاته » وشعار « التطهير » الذي سيطرح في بلادنا وسيسجن وينكل ، تحت شعاره ، بكل الوطنيين . . ولا أدل على كذبه ، من أن البلدين اللذين نالا « بركة » التغيير كانا أكثر بلدين في العالم العربي ديموقراطية وتقدماً ، وأقلهما فساداً . . مصر وسوريا . . وأهم من ذلك أقدر بلدين على تحقيق الطفرة أو التغيير المنشود شعبياً ووطنياً ، ومن أجل هذا كان التركيز عليهما . . !

٥ ـ حتى يتوافر الوقت للاستعمار الأمريكي لخلق قواعد راسخة وطبقات متعاونة ، ومصالح استراتيجية متشابكة كتلك التي خلقها الانجليز والفرنسيون في أكثر من قرن ، فلم يكن أمامهم إلا أن يدفعوا بالأسلوب التآمري « قيادات من النوع المطلوب » للسلطة ويحدثون بهم التغيير المطلوب ، سواء تصفية الحركة الوطنية ، وتصفية القواعد والمصالح الأنجلو ـ فرنسية ، أو إرساء المصالح الأمريكية ، وخلق قاعدة واسعة تتقبل هذه المصالح . . وانظر كيف استقبل نيكسون في مصر بعد ٢٢ سنة من ارتقاء « النوع المطلوب » . . بينما لم يكن مسئول أمريكي يجرؤ على زيارة مصر أيام القيادات « الفاسدة » وضرب رئيس الولايات المتحدة « تيودور روزفلت » بالطماطم عندما زار مصر قبيل الحرب العالمية الأولى . .

ويخرج المؤلف لسانه للمتطهرين الأمريكيين في الستينيات الذين أبدوا ارتياعهم من تدخل الأجهزة الأمريكية في الشئون الداخلية للبلدان الأخرى ، بعدما كشف أسرار الانقلابات التي دبرتها أمريكا ، ومنها انقلاب سوريا وإيران ومصر . . يخرج لسانه ، ويقول لهم : « طالعوا الوثائق الرسمية » فهي تثبت أن الحكومة هي التي طلبت منا (أجهزتنا الدبلوماسية والمخابراتية) بالعمل على تغيير قيادات عدد معين من بلدان الشرق الأوسط . . فلماذا يتجاهل ذلك المؤرخون عندما يدينون أو يقيمون أعمالنا . . ؟! لقد نفذنا التعليمات . . وكيف كنا سنغير القيادة في بلد لا يخضع لحكمنا ولا سبيل لغزوه بالأسطول . . إلا بالتآمر السري والانقلاب أو الثورة ؟! . .

وفي اجتماع مشترك لوزارة الخارجية ورئاسة الأركان الأمريكية بتاريخ ٢ مايو ١٩٥١ جرى هذا الحوار الذي ننقله من الوثائق المنشورة لوزارة الخارجية الأمريكية .

جنرال كولينز ممثل وزارة الخارجية : « كل ما قلته اليوم يوحي إليّ أنك تقترح علينا أن نستولى على الشرق الأوسط (أو نتولى الأمر فيه) Take Over in the M.E. .

مستر ماكجي : هذا يتوقف على ما تريد تحقيقه في المنطقة . إذا كانت لدينا القوى اللازمة ، فقد يكون من المرغوب فيه أن نتولى الأمر ، ولكني فهمت أنه ليس لدينا القوى اللازمة .

جنرال فاندنبرج : إن هؤلاء الناس في الشرق الأوسط يفهمون منطق القوة أكثر منا ، لقد كنا دائماً نرفض استخدام سياسة القوة في علاقاتنا الخارجية ، بينما هذه الدول معتادة على القوة . نحن نحاول أن ننفذ أغراضنا في الشرق الأوسط عن طريق الرشوة ، وهذا سيؤدي إلى إفلاسنا ، وأكثر من هذا يحرمنا من استخدام القوة . ربما يجب أن نستخدم العصا الغليظة ، ونستخدم قوتنا ، وربما يجب أن نملي على هذه الدول ما يجب أن تفعله على الطراز العتيق أكثر مما نحققه باستخدام برامج المساعدات . بإرسال أسطولنا وتحليق قاذفاتنا سنحصل على تعاون أكبر وتكلفة أقل . . . » .

جنرال برادلي : يجب أن نعترف أن الزمن تغير ولم يعد من الممكن استخدام القوة بالطريقة القديمة :

مستر ماثيو : نحن في عصر جديد لا يجعل استخدام القوة بالأسلوب القديم مجدياً[٢٧]

وهكذا أمكن إلجام الجنرالات ذوي الأدمغة الحديدية ، وإفهامهم أن الاستيلاء سيتم ، وباستخدام القوة ولكن بالأسلوب الحديث . . أسلوب « الكاراتيه » وهو فن استخدام قوة الخصم في قهره . . فلا حاجة لإرسال الجيش الأمريكي لضرب الحكومة في شيلي ، الجيش الشيلي بقليل من التآمر والرشوة والدعم ، يقوم بالمهمة ، بل وهو أجرأ على إراقة الدم ، والفتك بالمعارضين ، وتحمي سلامة « الأولاد » الأمريكان ، وتبقى أمريكا يدها بيضاء من دم الشعب الشيلي ، بل لا بأس من إظهار غضبها على الحكم الديكتاتوري في شيلي . . هذا هو الاستعمار الجديد . .

ثمانون ألف عسكري بريطاني في مصر لم يستطيعوا إجبار الشعب المصري على قبول الدفاع المشترك عن تركيا ولا فصل السودان ، ولا كان بوسعهم حل حزب الوفد ، ومحاكمة وزير الداخلية الذي تآمر وهو في السلطة على نسف قناة السويس لإخراج الانجليز من مصر . . ولكن ذلك كله تحقق على يد الجيش المصري ووسط هتاف الجماهير وباسم الثورة الخالدة ؟! فمن خدم أمريكا أكثر . . الجنرالات المهووسون الذين كانوا يطالبون باستخدام الأسطول والطيران ؟! أم رجال المخابرات الأمريكية الذين وضعوا « النوع المطلوب » في قمة السلطة المصرية ؟!

جاء في تقرير لنائب وزير خارجية الولايات المتحدة بعد جولة قام بها في الشرق الأوسط عام ١٩٥١ : « باستثناء إسرائيل فإن جميع الأنظمة السياسية في الشرق الأوسط ، هي أنظمة رجعية أو يمينية بالمقارنة بنظامنا »[٢٨] .

فلا تملأوا الدنيا صياحاً بكلمات « رجعي » و « يميني » وكأنكم اكتشفتم البارود أو اخترعتموه . . فهي من ملفات الاستعمار الأمريكي ، وكل غزوة استعمارية ، وصفت القوى الوطنية الحاكمة بالرجعية والتخلف والفساد لتبرر غزوها ، والقضاء عليها . . وكل

عملاء الاستعمار ، كانوا يتحركون تحت شعارات التقدم واليسارية . .

ويقول كوبلاند : « في محاضرة خلال برنامج مشترك لوزارة الخارجية والمخابرات جاء فيها « إن السياسيين في سوريا ولبنان والعراق ومصر ، يبدو كأنهم انتخبوا للسلطة . . ولكن أية انتخابات ؟ الفائزون جميعاً هم من مرشحي القوى الأجنبية وكبار ملاك الأرض الذين يجددون لمزارعيهم وفلاحيهم كيف يصوتون . أو الأغنياء الأوغاد الذين يستطيعون شراء الأصوات (حزب تابع للشرق . . الخ الاستعمار والإقطاع وسيطرة رأس المال على الحكم . . يخيل لك أنك في المعهد الاشتراكي وليس في دهاليز أكبر قوة امبريالية عرفها التاريخ ج) . ولكن شعوب هذه البلاد أذكياء ولهم ميل طبيعي للسياسة . وإذا كان هناك جزء من العالم يصرخ طالباً الإجراءات الديموقراطية فهو العالم العربي » .

ولكن مايلز كوبلاند ومجموعته ، كما سنرى ، كان رأيهم أنه مع ضرورة التأكيد على رغبتهم في منح الديموقراطية للبلاد العربية إلا أن الشعوب العربية غير ناضجة لها . . ولابد من إجراءات جذرية تمهد لها ، وسنرى ذلك يطبق حرفياً في برنامج وشعارات وممارسة كل « الثورات » الأمريكية النكهة في المنطقة .

« عندما تتعارض « الأخلاق » مع مصالحنا الحيوية ، فإن الخسارة ستكون بالتأكيد من نصيب الأخلاق . بمعنى أننا لا نتردد في إزاحة القائد الذي نعتقد أننا سنخسر معه ، وأن هذه الخسارة ستضر مصالحنا الوطنية ، لنضع مكانه قائداً ، تكون لدينا معه فرصة أكبر للتعاون . وكانت وجهة نظر الأمريكيين ـ وإلى حد ما البريطانيين ـ أنه من بين كل نماذج القيادات التي يمكن أن تظهر في أفريقيا وآسيا ، فإن النموذج الناصري هو الطراز الذي يتيح لنا أكبر فرصة لكسب لعبتنا ، أو على الأقل ، تقليل الخسائر . فاحراز مكسب ضد واحد من زعماء سوريا الدجالين ، هو نصر أجوف ، لأنه سرعان ما سيقلب ، ويحل محله شخص أسوأ . أما ناصر فهو الذي بوسعه أن يتحمل الخسارة ، ويستطيع إلى حد ما أن يتلاءم مع نصرنا بحيث لا يصبح من الضرورة هزيمة له »* .

تماماً كما حدث في هزيمتي سيناء ١٩٥٦ و ١٩٦٧ ، وانتكاسة ثورة العراق ، والانفصال ، وحرب اليمن « إنه يستطيع أن يتخذ قراراً غير شعبي نكسب منه نحن الاثنين ، بينما جماهيره تراه بمنظار آخر . . مثل عقد صلح مع إسرائيل » .

أو فتح خليج العقبة ، أو تجميد الحدود عشر سنوات ، أو قبول الدفاع المشترك أو فصل السودان .

وهكذا تحددت خريطة العمل السياسي الأمريكي المطلوب في الشرق الأوسط : قلب الحكومات القائمة ، وفرض حكومات جديدة تتفق والمواصفات المطلوبة . . وهي : زعيم

* يقصد زعماء سوريا في الخمسينيات .

يحكم حكماً مطلقاً وله من الشعبية ما يمكنه من فرض القرارات والإجراءات أو بمعنى أصح قبول طلبات الأمريكان التي يرفضها شعبه ، والتي يعجز أي سياسي آخر في ظروف عادية عن طرحها على الشعب .

وهذا الزعيم على ضوء المعلومات والحقائق والتحاليل الواردة في كتاب لعبة الأمم صفاته هي :

١ ـ « كنا بحاجة إلى زعيم عربي ، يتمتع بسلطة في يديه أكبر مما أُتيح لأي حاكم عربي قبله . . « سلطة اتخاذ قرار غير شعبي » ، كما اعتدنا أن نكرر ، والقائد الوحيد الذي يمكن أن يستحوذ على هذه السلطة ، هو قائد متعطش للسلطة ، متطلع للسلطة من أجل السلطة . لقد ذهب بعض موظفي الإدارة (المخابرات الأمريكية ج) إلى أن نقطة الخطأ في حسني الزعيم أنه كان مجنون سُلطة ، ولكن الدراسة العميقة أثبتت أنه على عكس ذلك لم يكن راغباً في السلطة كما يجب ، أو كان راغباً فيها لأسباب خاطئة . فقد كان يكفيه أن نهب له واقفين إذا دخل ونناديه ياصاحب السعادة ، لكي يقبل دور الدمية الأمريكية ! نريد شخصاً تعطشه للسلطة ، أقل تفاهة ، وكنا على قناعة أننا ما إن نساعد هذا الشخص على تولي المنصب ، فيجب أن نتخلى عن أي حق أخلاقي في الجدل حول عقدة السلطة عنده ، ولو أننا بالطبع يمكن أن نثير هذا الموضوع يوماً ما لأسباب تكتيكية .

٢ ـ نحتاج لشخص ليس مثل حسني الزعيم ، بل على استعداد لاقتسام انتصاراته مع أتباعه ، ولذلك كان علينا إلى جانب دراسة الزعيم المقترح ، أن ندرس أيضاً معاونيه ، النخبة التي يرتكز عليها ، بل والصف الثاني تحت النخبة والقاعدة في الصف الثالث ، على أساس أن يبقوا جميعاً حزمة واحدة مرتبطة بالمصالح المشتركة والأهداف »[١٦٢] .

وبدأوا يستعرضون الشرق الأوسط لاختيار المكان الذي يبدأون فيه لعبتهم ، أي الانقلاب العسكري . .

« قررنا أن نمشي قبل أن نجري وأن يكون تدخلنا في الشئون الداخلية لدولة مستقلة هو تدخل متواضع ، وبتوافر أكبر مبرر ، وبدون مساعدة ، أوحتى معرفة البريطانيين . . ولكن أين نحاول ذلك ؟ . .

« مع الأتراك واليونانيين ؟ . لم يكن لنا معهم أي خلاف ، كانوا يريدون ما نريد ولديهم قيادات مناسبة ، إلى حد أن لعبتنا معهم كانت لعبة تعاون .

« مع الإيرانيين ؟ كنا نؤيد قيادتهم أيضاً . . كانت لعبتنا معهم ٩٠٪ منها تعاون ، في البداية على الأقل » .

لاحظ أنه في تركيا واليونان كانت بريطانيا قد انسحبت من هناك وسلمتها بيضة مقشرة ، فلم تكن هناك معركة نفوذ ، بالإضافة إلى أنه لم تقم في البلدان حركة وطنية لعدم وجود استعمار ، وإنما كان الخطر الماثل هو الخطر الشيوعي ، أو السوفيتي . . وبالتالي كانت الطبقات الحاكمة في البلدين متجاوبة للغاية مع الدور الأمريكي .

وإيران ١٩٤٩ كانت مشكلتها مع الروس الذين كانوا يثيرون الشعب على الحدود وفي كردستان . . ولم تكن الحركة الوطنية قد تبلورت بعد وحول مطلب محدد ضد شركة النفط البريطانية . .

يكمل مايلز كوبلاند :

« إنها الدول العربية التي كنا معها على خلاف كامل ، والسبب ـ في اعتقادنا ـ هو سوء قياداتهم ، واعتقدنا أنهم تحت قيادة أكثر استنارة ، وأكثر فعالية ، سيصبحون حلفاء لنا فالعرب لديهم كل المبررات للخوف من السوفييت ، وليس منا ، وكان الواجب عليهم أن يرحبوا بجهودنا في حمايتهم ، وشركاتنا النفطية ستجعلهم أغنياء . وسيكونون المستفيد الأول من تسوية سلمية للقضية الفلسطينية . ومن ثم فإن رفض قيادتهم النظر للأمور بهذه النظرة ، كان مبرراً كافياً لدى مخططينا لكي نطيح بهم ، أو بالأحرى تمكين شعوبهم من الإطاحة بهم . فإذا كانت القيادات الوطنية في أي جزء من العالم ، تشكل مبرراً لتدخلنا في شئونها ، فإننا رأينا أنها هي هذه القيادات العربية » .

قلنا إن الكتاب موجه للأمريكيين ، ومؤلفه ، رغم كل البراعة في التآمر ، يمثل أكثر أجزاء الامبريالية الأمريكية تخلفاً ورجعية ووحشية وعنصرية . . ولذا لا تعنينا مبرراته ، ونظرته الذئبية للمصالح التي ستعود على الدجاجة من وحدة المصير مع الثعلب . . المهم هو الواقع الذي سجله ، وهو وجود خلاف بين القيادات في العالم العربي من ناحية (٤٩ ـ ١٩٥٢) والولايات المتحدة والغرب عموماً من الناحية الأخرى . والأسباب التي يطرحها صحيحة تماما :

١ ـ رفض هذه القيادات أن تتعامى عن العدوان الجاثم على أرضها وسيادتها ومصيرها منذ عشرات السنين ، وهو عدوان الاستعمار الغربي ، والعدوان الوليد المتمثل في إسرائيل ، للجري وراء المشاريع الأمريكية الموجهة ضد الخطر السوفيتي المزعوم ، ولذلك كانت هذه القيادات تنادي بالحياد ، ورفضت كل مشاريع الدفاع المشترك الموجهة ضد السوفييت ، وارتفعت الأصوات تنادي بمعاهدة عدم اعتداء مع الاتحاد السوفيتي . .

٢ ـ هذه القيادات لم تكن مستعدة لتقبل نتيجة حرب ١٩٤٨ التي انتهت باغتيال وطن عربي ، وتشريد شعب عربي وهزيمة مذلة لسبع دول عربية ، أو إن شئنا لم تكن تستطيع أن تقنع شعوبها بقبول هذا الواقع الذي ساهم الغرب وبالذات الولايات المتحدة في تقريره . والسياسة الأمريكية قد ارتبطت بوجود إسرائيل وحماية هذا الوجود ومن ثم فلا حل إلا ضرب العرب ، ضرب قياداتهم « الغبية » التي لا ترى مزايا الحل السلمي .

٣ ـ العرب لديهم نظرة خاصة للنفط لا ترتاح إليها الشركات الأمريكية ، السوريون يعارضون مد خط التابلاين في أرضهم ، والمصريون والعراقيون والسعوديون ، يتحدثون

عن استغلال الشركات ويطالبون بوظائف أكثر للعرب ، ويطلبون نصيباً أكبر في العائدات ، وشروطاً أفضل وطنياً لعقود الامتياز ، فهناك تناقض أساسي وجذري لا يجبر بين مصالح الشعوب العربية ، ومصالح ومشروعات الأمريكيين في العالم العربي . والعرب لديهم نوعان من القيادات :

O قيادات وطنية ثورية ، واعية بذلك ، رافضة له ، راغبة في التغيير الحقيقي بإزالة الاستعمار وإسرائيل وامتلاك الثروة العربية . . وهذه القيادات من الطبيعي أن تستهدف السياسة الأمريكية قمعها واستئصالها . ومنع أية فرصة لاستمرارها في العمل السياسي ، فضلاً عن وصولها للسلطة .

OO والنوع الثاني ، هو القيادة التقليدية الحاكمة فعلاً ، وهي قيادات محبة للأمريكان ، مخلصة لهم ، تمنحهم ثقتها الكاملة ، معادية للسوفييت ، شاكرة جهود الشركات الأمريكية . . وهي حتى وإن كانت تكره اليهود ، وتخاف من قيام وطن قومي لليهود ، ورغم تعودها قبول الظلم الامبريالي ، فهي تستفظع ما نزل بشعب فلسطين وتتحسب لما يمكن أن يحدث في بلادها ، إلا أنها مستعدة للسكوت ، كما سكتت وتسكت على استعمار وطنها هي . . ولكنها قيادات عاجزة عن فرض السكوت على شعبها . عاجزة أكثر عن القبول الرسمي لهذا الوضع ، بل أحيانا تضطر للمزايدة على منافسيها ، لترضية شعوبها ، وإخفاء المشاكل الداخلية . . ومن ثم فالأوضاع في بلادها خطرة ، تهدد إما بثورة حقيقية ، تتسلم فيها القيادة ، قيادات النوع الأول ، كما حدث في الصين وفيتنام . . الخ أو ينهار الوضع وتظهر حالة فراغ غير محسوب العواقب والاحتمالات ، أو على الأقل فإن هذه الأوضاع غير المنضبطة تشل القوى الراغبة في التعاون مع الأمريكيين ، وتعطل المشاريع الأمريكية .

فهذه القوى ، وإن كانت تحكم تحت المظلة الأمريكية ، أو الغربية عموماً إلا أنها بعجزها ، تخلق مناخاً يهدد مصالح الولايات المتحدة ، وتشكل عبئاً على الولايات المتحدة بعجزها وتملقها للجماهير . . أو كما قال إيدن شامتاً . . لقد سقطت القيادات السياسية التقليدية في مصر لأنها تبنت شعارات الجماهير .

وقد قال مايلز كوبلاند إنه عندما تتعارض المصالح والأخلاق ، يلقى بالأخلاق في أول بالوعة ، وإنهم لا يترددون في الإطاحة بالقائد الذي لا يسمح لهم أو لا يتحمل انتصارهم عليه . . وهكذا أطاحوا بشكري القوتلي والملك فاروق رغم صداقتهما للأمريكيين ، بل استغلوا هذه الصداقة وهذه الثقة البلهاء من جانب الرئيس السوري والملك المصري في إحكام خطة الإطاحة بهما . .

وكان الحل ، هو الذي طبق في أمريكا اللاتينية عشرات المرات : (كافري وحده بشهادة الناصري المجهول اشترك ودبر ثلاثين انقلاباً !!) انقلاب عسكري يطيح بهذه القيادات العاجزة ، ويأتي بقيادة لا تتعفف عن التعامل مع الأمريكان ، ولا تتردد في ضرب وسحق

القوى الوطنية المعارضة . وهذا الأسلوب كان يتم في بعض البلدان في شكل حكومة عسكرية يمينية مفضوحة لا يهمها حتى ستر عمالتها ، وآخر نماذجها هو حكومة « زاهدى » في إيران ثم حكومة العسكر في شيلي . وهذا اللون مهما كانت استبداديته وبطشه ، قصير العمر ، وأيضاً محدود النفوذ ، ففي خارج دائرة بطشه البوليسية يكون مفضوحاً منبوذاً .

أما الصيغة الأكثر قدرة على الاستمرار والتي أتقن الأمريكيون صناعتها بعد تجربة سوريا فهي الصيغة الثورية ، الانقلاب المدعوم ، الذي يركب موجة ثورية موجودة فعلاً لتصفية الثورة الحقيقية ، يتبنى شعارات الجماهير ليستأصل المنادين المخلصين بها . . ويسب أمريكا كلما سنحت مناسبة ، بينما يصفي كل الاتجاهات والتشكيلات والمؤسسات التي تشكل خطراً حقيقياً على المصالح الأمريكية والاستراتيجية الأمريكية .

وكما أن هذا الطراز أكثر نفعاً وأطول عمراً ، فهو أيضاً أكثر تعقيداً وأفدح ثمناً ، وغالباً ما ينقلب في النهاية على مبدعيه ، كما حدث في قصة فرانكشتين ، أو قصص ألف ليلة . . لأنه كما سترى في تحديد مايلز كوبلاند ، لابد أن يحكم مستنداً إلى قوة قمع لها شعبية وبالتالي فهو يحتاج إلى تقديم وجبة يومية للجماهير ، ليست مادية فحسب ، وهو ما تتكفل به المعونات الاقتصادية ، (منذ أزمة لبنان عام ١٩٥٨ إلى ١٩٦٦ قدمت أمريكا لمصر نصف مليار دولار (دولارات الستينيات) وهذه المساعدات تبرر للجماهير على أنها الجزية تدفعها أمريكا عن يد وهي صاغرة ، خوفاً من غضب الزعيم !) وإنما يحتاج أيضاً إلى وجبة روحية أو معنوية ، إلى استمرار تغذية الالتهاب الثوري الديماجوجي للجماهير ، استمرار اقتناع الجماهير بأنه المكافح الثوري - الوحيد - ضد الأعداء ، حتى يقطع الطريق على ظهور قائد حقيقي ، أو متعاون آخر منافس ، وتنحصر الوكالة فيه . . ولأن من شروط قيامه واستمراره ، تجنب مقاتلة العدو الحقيقي ، فلابد أن تركب له أو يصنع هو طواحين الهواء التي ينتصر عليها باستمرار وسط تهليل الجماهير . ويتساءل السذج المخلصون ، لماذا يبعثر الجهد في المعارك الجانبية ؟ لماذا لا تركز الجهود على العدو الواضح المعروف ؟ . . لماذا هذا الخلاف وعدم الاتفاق ؟! ولا يدرون أن هذا هو عين المطلوب .

ونظرة إلى تاريخ النظم الثورية في العالم العربي تجدها جميعاً قد اتفقت على حقيقة واحدة ، هي الإصرار على أن الطريق إلى فلسطين يمر عبر الرجاء الصالح أو طريق اللبانة في السموات ، أو الثورة الاجتماعية أو الاشتراكية ، أو هزيمة الامبريالية العالمية وانتصار الثورة التحررية في كوستاريكا ، أو قصور الرجعية . . الخ المهم أن الطريق إلى القدس لا يمكن أن يكون عند ثوار مايلز كوبلاند ، عبر حدود

إسرائيل . . أي الصدام المباشر مع إسرائيل . . هم باستمرار يحضرون للمعركة ولا يسمحون لإسرائيل بجرهم إليها . . الخ . .

فالشعار لا يتغير ، وهو إزالة إسرائيل ، ولكن الدليل الماكر المتآمر يطوف بالجماهير في مجاهل الصحراء حتى يموتوا جوعاً وعطشاً ومللاً ويأساً وجنوناً فيندفعون لأول « كامب » . .

المهم أن الزعيم بحاجة إلى البقاء على أكتاف الجماهير ، ومن ثم لا بد أن يستمر في الصراخ ضد العدو ، وهذا يدخل علاقته مع العدو ـ الصديق في دوامة ، سرعان ما تفقد الأطراف اللاعبة السيطرة عليها . . وعندها يتحتم التخلص منه . .

والصورة ـ كما لخصها مايلز كوبلاند ـ أوضح قال : « كان المهرجان ضرورياً لدفع الدول الكبرى لتقديم المساعدات ، ولكن المساعدات مطلوبة أكثر لاستمرار المهرجان . . وأخيراً لم يكن استمرار المهرجان ممكناً » . . وفي « أواخر ١٩٦٦ قال صحفي أمريكي كبير لدبلوماسي مصري . . نحن لم نعد نعتبر ناصراً ولا حتى ظاهرة مزعجة على الإطلاق » .

فهو على المسرح ليحصل على المساعدات ، وهو ينفق المساعدات لكي يبقى على المسرح حتى يصل إلى نقطة ترى الدولة الكبرى المعنية أن نفقاته أكبر من عائده . . فتعطيه « علقة » كما قال الرئيس جونسون للسفراء العرب وهو يخاطب « كلبه »[١٧٢] بعد هزيمة ١٩٦٧ .

مراجع وملاحق الفصل الثالث

من صفحة ١٢٣ إلى صفحة ١٩٨

المراجع

١ ـ ص ٣٧٤ وما بعدها من كتاب A Women of Cairo, by : N. Barber.

٢ ـ حريق القاهرة : جمال الشرقاوي . الناشر دار الثقافة الجديدة ص ٧٨٥ .

٣ ـ أخبار اليوم ١٩٨٧/٢/١٤ .

٤ ـ حرفياً : أخبار اليوم ١٩٨٧/٢/١٤ .

٥ ـ ص ٨٨ و ٨٩ « صفحات من تاريخ مصر » حسين حمودة ـ الناشر : الزهراء للإعلام وقد علقنا عليها في رسالة التوحيد ـ ١ ـ

٦ ـ ص ٥٧ ملفات السويس .

٧ ـ ص ٥١ ن . م .

٨ ـ ص ١٦٤ ن . م .

٩ ـ ص ٤٧ قطع ذيل الأسد .

١٠ ـ ص ٢٣٤ ملفات السويس .

١١ ـ ص ٤١ قطع ذيل .

١٢ ـ ص ٢٢٩ ملفات السويس .

١٣ ـ ص ٣٢٧ قطع ذيل :

١٤ ـ ص ١٦٦ ملفات .

١٥ ـ ص ٢٧٧ ملفات .

١٦ ـ نقلا عن هيكل .

١٧ ـ ص ٣٤٢ ملفات .

١٨ ـ واشنطن بوست ١٩٨٣/١٠/١٩ .

١٩ ـ ن . م .

٢٠ ـ هيكل : حرب السويس ص ٦٨ .

٢١ ـ حمروش .

٢٢ ـ وثائق الخارجية الأمريكية عن عام ١٩٥١ .
٢٣ ـ ن . م .
٢٤ ـ حروش عن عوده من « ميلاد ثورة » !!
٢٥ ـ ص ١٣ لعبة الأمم .
٢٦ ـ ن . م ص ١٣٩ .
٢٧ ـ وثائق الخارجية الأمريكية .
٢٨ ـ ن . م .

الملاحق

م[١] ـ خذ مثلا علاقة « محمد حسنين هيكل » بالثورة الإيرانية الإسلامية ، لا أظن أنه بوسع أحد ابتداء من آيات الله إلى أدنى مستوى في دهماء الناصرية ، أقول ليس بوسع أحد منهم أن يكتب سطراً في تفسير أو تبرير علاقة هيكل بالثورة الإسلامية أو شبهة انتمائه أو تلاقيه أو اقترابه منها . . ! ومع ذلك فقد قابل « هيكل » الإمام الخميني في باريس . وكان على حد قوله الوحيد الذي ائتمنته الثورة على الاطلاع على الوثائق التي ضبطت في السفارة الأمريكية بطهران وفيها أسماء عدد من عملاء المخابرات الأمريكية في الشرق الأوسط . .

هذه العلاقة أمرضتني ـ حتى وإن كان الإمام الخميني قد رفض أن يقابله على انفراد في طهران ـ فالشك في طهارة الإمام الخميني والثورة الإسلامية لا مجال له على الإطلاق ، وبنفس القوة ، اليقين في أمر هيكل . . فكيف ولماذا يلتقيان ؟!
وبدأت الحقائق تتجمع . .

الذي رتب دخول « هيكل » على الإمام في باريس هما يازدي وقطب زادة اللذان سيطرا على الإمام والوضع في بداية الثورة ، حتى بدا وكأن كل الأمور طوع إرادتهما ، وقد عرف فيما بعد وأعلن من المصادر الإيرانية والأمريكية أن الاثنين كانا يمثلان الجانب الأمريكي وقد أعدم الثاني وأبعد الأول .

وكانا يحيطان الإمام بسور حديدي خلال إقامته في باريس وعلى الطائرة وفي الأسابيع الأولى من الثورة ، وقد استطاع المشايخ الذين قرأوا لي أن يفرضوا عليهما مقابلتي للإمام وأن أكون الصحفي العربي الوحيد الذي يسافر على طائرته ولحسن الحظ سافر معنا « يازدي » و « قطب زادة » . . ولعل هذا هو الذي منع تنفيذ خطة جنرال « خسروداد » بنسف الطائرة في الجو ، بل يقول مدير مكتب السافاك في نيويورك (وعميل الـ CIA بعلم الشاه واعترافه)[١] ، يقول إن المخابرات الأمريكية أمرته بأن يبلغ مدير السافاك الذي كان باقياً وقتها أن يتخذ ما شاء من الإجراءات ضد الجنرال لمنعه من التعرض للطائرة . . وبالطبع لم تكن سلامة العميلين هي

وحدها سر نجاة الطائرة ، فالأمور أعقد من ذلك ولو كانت مصلحة أمريكا في نسفها لما ترددت ولكن في اعتقادي أن آمال مخططي السياسة الأمريكية تفتحت بغير حد عندما نجحا في زرع موالين في مكانة يازدي وقطب زادة حول زعيم أضخم ثورة إسلامية ، الذي جاوز الثمانين من عمره ، ومن ثم أصبح من الممكن جداً ـ في تقدير الأمريكيين ـ أن تعود الـ CIA لتحكم إيران بزخم جديد وإيمان وحماسة ثورة كاملة ! . .

وفي طهران اصطدمتُ صداماً مباشراً مع « قطب زادة » حول الموقف من بلد عربي ، وغادرت طهران مندهشاً . . فلما تكشفت علاقته بالمخابرات الأمريكية حل نصف لغز هيكل . . وبقي النصف الآخر لماذا استدعوه هو ليطلع على وثائق المخابرات الأمريكية المضبوطة ، لماذا لم يقدموها للصحفيين الإسلاميين المؤيدين وما أكثرهم . . لماذا لم ينشروها مرة واحدة وبكافة وسائل الإعلام . . لماذا تسريب بعض الأسماء وكتمان البعض ، وبعض المعلومات . . وأولاً وأخيراً وثالثاً ورابعاً . . لماذا « هيكل الاسخريوطي بالذات ؟!

حتى جاءت قصة صفقة الأسلحة الإيرانية التي دبرتها المخابرات الأمريكية والإسرائيلية ونشر ما جرى فيها من اتصالات على يد عناصر جهازي الـ CIA والموساد مع رجال الثورة وآيات الله . . وانحل نصف اللغز الثاني . .

آيات الله أحسوا أنهم لابد أن يخوضوا الباطل خوضاً وصولاً إلى الحق الذي يؤمنون به ويريدونه ، هم بحاجة إلى الإفراج عن الأرصدة ، إلى معلومات إلى قطع غيار . . وكلها لدى الشيطان الأكبر . . وصندوق الشيطان الأكبر سقط في يد المؤمنين ، والشيطان يعتقد أنه قد مزق وأتلف الجزء الأكبر والقليل الباقي ، ولذا عندما طولب بصفقة . . أراد أن يعرف ما الأوراق التي في يَد الطرف الآخر ليقدر الثمن وكان أن انتدب خبيراً للاطلاع والتبليغ والتقدير . .

هذه فرضية ، حتى إذا كانت في مستوى فرضية بطليموس التي قيل إنها بخطئها كانت تفسر ظواهر حركة الأفلاك في وقتها أفضل من النظريات التي اعتمدت مركزية الشمس . .

إلا أنني أرجو أن يتفرغ دارس لترتيب التواريخ وتقصي هذه القضية . .

وإذا كان قد عرف الآن وأعلن أن أول مجلس ثورة شكل في إيران كان يضم عضواً عاملاً ـ على الأقل ـ في المخابرات الأمريكية CIA* . . فلا شيء يثير الدهشة . .

م٢ ـ اعترف « هيكل » في ملفات السويس باهتمام روزفلت بنظام الحكم في مصر ، وتردده عليها قبل الثورة . وأنه كانت له علاقات قوية مع عناصر قيادية محيطة بالملك فاروق . وأنه باقتراح من روزفلت ذهب عدد من الناس معظمهم من البوليس في الفترة من ٤٩ إلى ١٩٥٢ إلى أمريكا للتدريب على مقاومة الشيوعيين والهدامين » وذلك في الطبعة الأفرنجية ص ٥٠ خ .

---

(١) « شاهد » منصور رفيع زادة .

* راجع كتاب « شاهد » الذي أشرنا إليه .

ونسي هيكل أن يقول : « وبعض الجيش » منهم علي صبري نائب رئيس الجمهورية وزعيم اليسار الناصري ! هو أيضاً كان أحد الذين بعثوا أيام فاروق للتدرب على محاربة الشيوعية في « جامعة لانجلي » (موقع المخابرات الأمريكية في ضواحي واشنطن اسمه لانجلي) !

وتأمل عبارة ماركسي آخر لا ندرى أين تدرب يقول :

« كيرميت روزفلت الذي زار مصر بعد حريق القاهرة وحاول أن « يصلح » من شأن الملك فاروق عبثاً » (خريف عبد الناصر ص ٣١) .

يامصلح ! . .

يجدر أن يسموها « إصلاحية المخابرات الأمريكية » !

إيه ياحرة الماركسية أين خجلك ؟!

م٣ ـ وهناك تناقض آخر جدير بالتأمل ، فقد يكون وراءه معادلات جديدة في السياسة المصرية وما يدبر لها باسم الناصرية . ذلك أن الشائع والذائع ، والمقرر علينا في تاريخ الناصرية ، أن « علي صبري » بسبب علاقته بالسفارة الأمريكية من قبل الثورة ، هو الذي كلف بإبلاغها صباح الانقلاب ، وقد ورد ذلك في صحيح هيكل المعروف باسم « قصة السويس » الصادر عام ١٩٨١ في الصفحة ٦٨ بالحرف الواحد :

« وحين كلف قائد الجناح ـ وقتها ـ علي صبري بأن يتوجه إلى السفارتين البريطانية والأمريكية وأن يبلغ اثنين من الملحقين سبقت له معرفتهما اجتماعياً ، وكان هذا هو الاتصال الأول ».

ولكن بعد لقاء الهيلتون الشهير ، ومصالحة هيكل وعلي صبري (١٩٨٦) وربما ما هو أكثر من مصالحة ، صدر مرسوم تعديل التاريخ على يد « الأخ الأكبر » فجاء في ملفات السويس :

« وربما كانت حياة عبد المنعم أمين » الاجتماعية قبل ٢٣ يوليو وصلاته بعدد من الدبلوماسيين نتيجة لها هي السبب الذي دعا « جمال عبد الناصر » إلى أن يكلفه صباح ٢٣ يوليو بإخطار السفارة الأمريكية بنوايا الحركة وأهدافها » !

وهكذا انتقلت المهمة من علي صبري ، وحملها الإنسان عبد المنعم ، ولو أن خطاب التكليف وصل متأخراً ٣٤ سنة ! على أية حال مازلنا في حرف العين !

م٤ ـ في سبتمبر ١٩٧٩ بعد سقوط الشاه . . نشر كيرميت روزفلت كتاباً بعنوان « الانقلاب المضاد » : الصراع للسيطرة على إيران . اعترف فيه بدوره في خلع مصدق . ولكن بعد الاستيلاء على السفارة الأمريكية سحب الكتاب من السوق وأعدمت سبعة آلاف نسخة هامش ص ٣٥٦ من حبال الرمال .

م٥ ـ كنا قد كتبنا هذا الكلام في « كلمتي للمغفلين » الصادر في عام ١٩٨٥ وفي ٨ يونيه ١٩٨٦ أكد عميد الصحفيين الأمريكيين تحليلنا حول ما يقال عن خطورة كشف عملاء المخابرات

الأمريكية ، ففي هذا الوقت كانت هناك حملة شعواء من اليمين الأمريكي ضد الصحافة لأنها تكشف الأسرار والعملاء مما يهدد مصالح ومؤامرات الولايات المتحدة وأجهزتها السرية . . فرد عليهم رئيس تحرير الواشنطن بوست بالآتي :

« من بين الأسرار التي تحجب عن الرأي العام الأمريكي بحجة الأمن العام ، قصة ظهرت في الواشنطن بوست في ١٨ فبراير ١٩٧٧ تحت عنوان : المخابرات الأمريكية دفعت الملايين لحسين ملك الأردن ، وكما جاء في تحقيق « بوب ودوارد » فإن أموالا تقدر بالملايين ، خارج إطار المساعدات العسكرية والاقتصادية قد دفعت نقدا للملك بواسطة الـ CIA تحت الاسم السري أو الحركي « مافيش لحمة » ! . . وكان جيمي كارتر قد أصبح رئيساً منذ شهر ووافق على مقابلتي أنا وبوب ودوارد عندما طلبنا استمزاج رأي البيت الأبيض قبل نشر القصة ، وقد باغتنا الرئيس بأن اعترف بصحة القصة ، ففوت علينا الجدل في هذه النقطة ، وقال إن الدفع قد توقف وأدهشنا بقوله إنه لم يعرف بالأمر إلى أن طلبت الواشنطن بوست رأي البيت الأبيض في النشر ، رغم كل التقارير التي قدمت له من وزير الخارجية هنري كسينجر ومدير المخابرات جورج بوش . ولم يطلب منا الرئيس أبداً عدم نشر القصة ولو أنه أوضح بجلاء أنه يتمنى ألا تنشر . . وأخبرنا أنها لو نشرت ، فإنها قد تجعل التقدم الذي يرجوه للشرق الأوسط أكثر صعوبة . . وقد اختلفت وجهات النظر حول ما يخدم مصالح الولايات المتحدة أكثر ، أن نكتم النبأ أو أن يعرف العالم أن ملكاً يقبض من المخابرات الأمريكية . . وها نحن بعد نشر النبأ لا نجد ما توقعه المعارضون . . فمازال حسين ملكاً . . وجورج بوش نائباً للرئيس وجيمي كارتر رئيساً سابقاً » (واشنطن بوست ١٩٨٦/٦/٨) .

لا شيء يهم . . ولا أحد يتأثر في دول متخلفة ، وشعوب لا تملك حرية العلم ولا حق التعبير . .

م٦ ـ بعد أن كشفت الوثائق وهذا الذي نشرناه ، علاقة التهامي بالمخابرات الأمريكية ، انهالت فلول الناصريين وبقية أيتام صلاح نصر على التهامي والسادات وبما أن التهامي ثبتت عمالته ، فلابد أن السادات الذي احتضنه هو أيضاً عميل !

والجيل البائس الذي لا يعرف التاريخ إلا من خلال قراءة هؤلاء المزورين ، يظن أن التهامي هو من أقارب السادات أو تجار الانفتاح أو الإقطاعيين الذين كان عبد الناصر يحاربهم . . مع أن الذين كتبوا عن التهامي من معاصريه وزملائه في انقلاب يوليو أبرزوا حقيقة تمكن حسن التهامي في عهد عبد الناصر ، وتساءلوا بما لا يخفى على لبيب عن سر سكوت عبد الناصر عليه . ولعل الجيل الجديد لا يعرف أن حسن التهامي هذا هو أقرب رجال ٢٣ يوليو إلى عبد الناصر ولزمن سابق على انقلاب ٢٣ يوليو فهو الذي اشترك معه في محاولة الاغتيال السياسي التي حاولها عبد الناصر قبل الثورة وقد أشار إليه عبد الناصر في كتابه فلسفة الثورة (محاولة اغتيال حسين سري عامر) . وبعد الانقلاب كان محل ثقته وساعده الأيمن في تصفية تكتل محمد نجيب ـ خالد محيي الدين ، فيما يعرف بأزمة مارس ١٩٥٤ ولمن شاء الرجوع لجميع الروايات والمذكرات التي كتبها الناصريون سيجد الدور البارز لحسن

التهامي في انتصار مجلس الثورة في ١٩٥٤ وأوكل له عبد الناصر مسئولية التعامل مع المخابرات الأمريكية كما ورد في مذكرات مايلز كوبلاند مدير محطة المخابرات الأمريكية في مصر من ١٩٥٣ إلى ١٩٥٨ وقد جاء في هذه المذكرات أن اللقاءات السرية جداً مع عبد الناصر كانت تتم في فيللا حسن التهامي بالمعادي وعلى مائدته التي يمدح فيها كوبلاند وجاء في هذه المذكرات أن حسن التهامي هو الذي تسلم مبلغ الثلاثة ملايين دولار التى تبرعت بها المخابرات لعبد الناصر لتعزيز حراسته ضد مؤامرات الاغتيال التي كانت تدبر ضده وتسلم التهامي المبلغ نقداً وعداً أمام المندوب الأمريكي فوجده ينقص عشرة دولارات . . المهم رفض عبد الناصر أن يأخذ المبلغ لنفسه وأقيم بالمبلغ أو بجزء منه برج الجزيرة الذي أصبح يسمى في الأوساط العليا : « وقف روزفلت » إشارة إلى كيرميت روزفلت نائب مدير المخابرات الأمريكية والأب الروحي « لثورة » يوليو وكان من الطبيعي أن يتربع حسن التهامي في البرج ، وهذا الذي قاله كوبلاند تأكد اليوم بشهادة ضباط يوليو إذ قيل إن التهامي كان يفخر بأنه صاحب الفضل في بناء البرج !

ومن فوق برج الجزيرة . . الله على فجرها . . كلفه الزعيم الخالد بالتجسس على أعضاء مجلس الثورة فتجسس عليه هو أيضاً . . ومن استرعى الذئب ظلم وأخرج بالقوة من البرج . . الخ وتساءل الجميع لماذا لم يعاقبه الزعيم . . ولكن السؤال الأخطر هو الذي أثاره أمين هويدي أنه بعد أن اختفى التهامي عاد مرة أخرى إلى الأضواء وفي منصب وزير . . في مجلس وزراء عبد الناصر . . أكرر عبد الناصر وذلك في حكومة إزالة آثار العدوان . .

الكتاب الناصريون أخفوا كل هذا وتشبثوا بعلاقته مع السادات . . وهذه لا تشكل لغزاً ولا تحتاج لتفسير فقد أجبنا عليها منذ سنوات فالسادات لم يلبس أبداً ثوب الثوري عدو أمريكا ، بل صرخ بأعلى صوته أنه بتاع الأمريكان ، وكانت استراتيجيته تنحصر في إقناع الأمريكان بأنه أفضل من يخدم مصالحهم في المنطقة . والسادات كان يلبس مشهوراً ويأتي بحركات فاضحة في الطريق العام لكي يقبض عليه بتهمة العمالة للأمريكان ، فهذا كل رأسماله وحيلته ـ في ظنه ـ للخروج من الورطة التي وصلت إليها مصر . . فاحتضان السادات للتهامي مفهوم . .

ولكن يلاحظ في حالة السادات فارقان :

الأول : أنه رغم استعانته بعناصر المخابرات الأمريكية المعشة في النظام المصري وأيضاً الوافدة في تنفيذ انقلاب مايو أو ما أسماه الحركة التصحيحية . . إلا أنه بعكس عبد الناصر سرعان ما تخلص من هذا الإطار وفتح قنواته على الأجهزة العلنية الأمريكية ولذا فإن من يؤرخ علاقة السادات بالأمريكان يجدها أساساً بينه وبين كيسنجر أشهر سياسي أمريكي ومستشار البيت الأبيض العلني والحقيقي وليس بموجب جواز سفر مزور كما هو الحال في علاقة ناصر بكيرميت روزفلت .

الثاني : أن السادات طرح من أول يوم تعاونه مع الولايات المتحدة كاستراتيجية سياسية معلنة ورسمية للدولة وكوسيلة لتحقيق مكاسب لمصر في إطار المواجهة مع إسرائيل ولذلك تحقق في عهده أكبر دعم أمريكي لمصر في مواجهة إسرائيل وتحققت أكبر خسارة لإسرائيل . . ولعلنا نضيف هنا أنه بقدر ما كانت هذه السياسة مفيدة للوضع العربي ـ المصري العاجز ـ في ظل أوضاعه الراهنة ـ عن

إزالة الخطر الإسرائيلي بقدر ما كانت ضارة به شخصياً . . وحسبك مقارنة بين نهايته . . هو الوحيد الذي قاتل إسرائيل وبادرها بهجوم وقتل من اليهود أكبر عدد بعد الحرب العالمية الثانية والذي استرد منهم سيناء . . وبين نهاية البطل الذي لم يحارب إسرائيل بل نفذ لها كل استراتيجيتها ومات وهي في أكبر اتساع امبراطوري حققته دولة في حجمها وفي مثل هذا الوقت منذ الفتح العربي . . .

ولكن لماذا عبد الناصر ؟ لماذا أخرج التهامي من خلوته مع سيدنا الخضر وعينه وزيراً ؟! لا تفسير إلا ما قلناه في الرد على هويدي .

وكجزء من الدفاع عن النفس أو « حلاوة الروح » فقد نشر « حسن التهامي » بعض اعترافات بقصد الإساءة لعبد الناصر ولا ندري لماذا . . إلا أنه من أخلاقيات هذه المجموعة التي كانت تعرف أنها تشترك في أكبر عملية « نصب » تمت في تاريخ العرب . وبالطبع جاءت هذه الاعترافات غامضة مشوشة ركيكة اللغة ، أشبه بسجع الكهان ، قليلة المصادر أو بلا مصادر ، ورغم ذلك فإنها لا تخلو من فائدة ، ولا تنس صلة التهامي الوثيقة بعبد الناصر ، وسنضرب صفحاً عن اتهامه لعبد الناصر بالعمالة لإسرائيل ، فكما قلنا أكثر من مرة ، هذه لم يقم عليها الدليل الحاسم بعد . . ولكنه يعترف بتعاونه مع المخابرات الأمريكية لفرض زعامة عبد الناصر ، وإن اعتذر بأنه كان من المغرر بهم إذ ظن أن ذلك كان لحساب مصر[1] !!

وقد أشار حسن التهامي إلى دور له في خلع وطرد « جلوب » من الأردن وإلى أن هذا الدور كان بغير علم عبد الناصر (ص ١٩٢) أو هذا هو تصور التهامي ، وهذا الادعاء يعزز ما أشرنا إليه في هذه الطبعة عن ظهور وثائق جديدة تؤكد أن الأمريكان كانوا خلف طرد « جلوب » من الأردن . لأن التهامي لم يكن ليدبر عزل جلوب لوجه الله أو استجابة لتعليمات الخضر ، خاصة وقد عرفنا أن علاقة التهامي بالمخابرات الأمريكية سابقة على علاقته بسيدنا الخضر وأقوى في اعتقادنا .

ويؤكد حسن التهامي أن « مايلز كوبلاند » أبلغه أنه عرض مسودات كتاب لعبة الأمم على عبد الناصر (.ص ٣٦٩) وهذا يتفق مع رواية هيكل وإن اختلف التفسيران ، وربما كان أهم ما أفرج عنه التهامي ، هو الصور التي نرى فيها ليس فقط كيرميت روزفلت يتصدر صور مجلس الثورة كصاحب بيت بل وإلى جانبه « مايلز كوبلاند » الذي حاول « هيكل » في البداية التغرير بالمغفلين مقللا من شأنه . . فإذا به في أكثر من صورة إلى جانب قادة الثورة . . بصفة إيه ياأخ هيكل ؟!

وقد استأثر بانتباهنا وثيقة نشرت بالزنكوغراف هي مذكرة كتبها لعبد الناصر يعرفه فيها بالمؤسسات الأمريكية التي اكتشفها خلال رحلته في أمريكا وهي لا تحتاج لتعليق حول مستوى هؤلاء الذين أضاعوا مستقبلنا وأزروا بتاريخنا ، عندما قبلوا أن يلعب بهم عتاولة السياسة الأمريكية . .

---

(١) ص ٨٢ من كتاب : لعبة الأمم وعبد الناصر : محمد الطويل . . الناشر المكتب المصري الحديث سنة ١٩٨٧ وكل النصوص التالية في هذا الهامش من هذا المصدر إلا إذا وردت إشارة مخالفة .

سطور من مذكرة للتهامي مرفوعة لعبد الناصر :

سيادة الرئيس جمال عبد الناصر رئيس الوزراء

« في خلال الحديث الذي دام لبضع ساعات مع « جونز » أمكنني العلم بالآتي :

١ ـ أن في أمريكا « أربعة » جهات (وهذا الجهل بقواعد اللغة يؤكد صحة وثورية الوثيقة فلزم « التنوين » ! ج) تتنازع الاختصاص ولكل منها سياسة منفصلة قد تتعارض مع سياسة جهة أخرى ولكنها في مجموعها تكون السياسة العامة للحكومة الأمريكية وهذه الجهات هي :

أ ـ الكونجرس :

واختصاصاته محلية داخلية (!! ج) وأهم ما يشغل بال هذه الفئة هو إعادة انتخاب حزبهم والتصويت على كل ما يساعدهم في ذلك لكسب الرأي العام في أمريكا وللدعاية المباشرة (الجرائد والخطب) تأثير مباشر على الرأي العام في هذه الفئة .

ب ـ وزارة الحرب الأمريكية (البنتاجون) :

وتهتم برسم سياسة أمريكا لكسب الحرب المقبلة وهذه الخطوط تؤثر على اتجاه الجهة الثالثة وهي وزارة الخارجية الأمريكية .

جـ ـ وزارة الخارجية

وتختص برسم سياسة أمريكا من وجهة النظر العالمية دون الدخول في تفصيلات الدول المحلية إلا إذا أصبحت ذات تأثير على السياسة العالمية ص ٤٠٥ .

الخ . . الخ . .

وفي التقرير قضايا تحتاج بالطبع لمراجعة وتمحيص ولكنها لا تخرج عن السياق العام الذي وصلنا إليه ، وتؤكد شتى المراجع ، فرجل المخابرات « جونز » يطلب من التهامي ، أو يوحي هو للتهامي أنه يستطيع التأثير على وزارة الدفاع الأمريكية لإعطاء مصر السلاح بدون مقابل ص ٤٠٨ وأن الاتصالات الأولى مع الروس حول السلاح كان يرجى منها في ظن ناصر إثارة غيرة الأمريكيين فيعطونه هم السلاح . وأن رجل الـ CIA يحثه على تنظيم دعاية مصرية في أمريكا لمواجهة دعاية اليهود ويبدي استعداده للمشاركة في إعداد هذا البرنامج (٤١٠) وارتياح أمريكا لدور عبد الناصر في باندونج ورأى روزفلت بأن « عبد الناصر هو الرجل القوى الوحيد في المنطقة الذي يمكن الاعتماد عليه » وأن روزفلت بعث بتقرير إلى أمريكا بهذا المعنى ، وقد وجدنا نص العبارة في ملفات الخارجية الأمريكية ، وفيها أن السفارة الأمريكية أكدت للتهامي أنها أبلغت كل الرأسماليين والضباط الذين اتصلوا بها يطلبون قلب عبد الناصر ، أن أمريكا ستستمر في مساندة هذا النظام وأن السفارة لا تستطيع إبلاغ الأسماء لعبد الناصر لأنها ملتزمة بحق واحد هو الإبلاغ عمن يدبر انقلاباً بالفعل . .

م[٧] ـ « حدتو » هو اختصار اسم الحركة الديموقراطية للتحرر الوطني وهو تنظيم ماركسي كان يترأسه اليهودي هنري كورييل وظهر في نهاية الحرب العالمية الثانية . وكان أحمد حروش عضوا فيه ، وأفشى قرار الثورة لهم يوم الانقلاب وربما كان هذا سر عدم ثقة عبد الناصر به . وأيضاً لأنه تهرب من تنفيذ المهمة التي كلف بها في الأسكندرية .

ثم انظر كيف يتلون هؤلاء الكتاب تلوناً يخجل الحرباية ، وكيف يتمتعون بضمير مطاط وذاكرة لا تستحي ، فهذا الكاتب ، بعدما تمت صفقة ما مع هيكل ، عاد هو نفسه يتلمس لهيكل العذر بل ويسلم بصحة ما زعمه هيكل وأنكره عليه قبل سنوات ، ففي زفة عودة هيكل نقل حامروش في روز اليوسف بتاريخ ١٥ ديسمبر ١٩٨٦ نفس النص عن هيكل ثم علق عليه هذه المرة بكل توقير ومحبة : « هكذا كان ينظر هيكل مثل غيره من بعض الناس إلى أمريكا » وهو الذي قال قبل ذلك « حاول هيكل » و « لم يكن هذا التصور صحيحاً فإن كافة القوى الوطنية كانت ضد . . . الخ » « وأن أحداً من المثقفين . . . الخ » ص

الآن حروش المدجن يقول : وهل هيكل إلا من غزية إن غوت غزية غوى !

وهذا الذي غمز هيكل بصلاته مع الأمريكان يدافع عنها الآن : « ومع ذلك بقي هيكل على صلة طيبة بالأمريكيين ولم يكن مطلوباً منه ـ فيما أثق ـ أن يقوم بدور مغاير » .
« ولا شك أن هذه الصلة الوثيقة بالأمريكيين قد سخرت لمصلحة مصر » (روزا ٨٦/٢/١٥) .

م٨ ـ وقد أحس « هيكل » أننا أمسكنا به متلبساً ، وأوقعناه في مطب حقيقي ، حول معرفة الكثيرين في أكتوبر ١٩٥٢ بعلاقته مع عبد الناصر ، فاضطر إلى التراجع وتعديل التاريخ البلاستيك أو الصلصال فرغم أنه في كتاب « قصة السويس » ، كما أشرنا ونقلنا في كتابنا كلمتي للمغفلين ص ٣٥ أورد كلام عبد الناصر بين مزدوجين « هكذا » أي أنه نص منقول حرفياً من كلام الزعيم ومن الوثائق الهيكلية أو أرشيف منشية البكري محطة سراي القبة ! . . إلا أنه في طبعة ٨٦ من التاريخ المنقح غير القصة واعترف أنه حديث موضوع مكذوب ، فحذفه واستعاض عنه بإيضاح يقول : « وكانت السفارة الأمريكية بالقاهرة قد أخطرت واشنطن عن سفري وأضافت إليه أنني وثيق الصلة بـ « جمال عبد الناصر » . . أما في الطبعة الانجليزية فقد خشي أن يكون القارىء الانجليزي في مستوى ذكائي (!) ومن ثم سيسأله : وعرفت منين السفارة الأمريكية ياشاطر . . هي العصفورة بتروح السفارة ؟! » لذلك قصر هيكل الشر وحذف الحديث والتفسير تماماً من طبعة الفرنجة واكتفى بطلب عبد الناصر منه أن يقيم له الموقف في أمريكا !

م٩ ـ نعترض على كلمة « عميل » هنا لأن مايلز كوبلاند أمريكي وموظف كبير في المخابرات الأمريكية ، والمرء لا يكون عميلاً عندما يعمل في مخابرات وطنه . وكون نشاطه ضد وطننا ، بل حتى ضد المبادىء الإنسانية والمعلنة للمجتمع الأمريكي لا يعني ولا يبيح لنا أن نصفه بالعمالة بل هو بالمفهوم الأمريكي « من الوطنيين » .

م١٠ ـ المرحوم الدكتور راشد البراوي ، أول من دعا للاشتراكية العلمية في الجامعة وللأسف لم

أحصل على هذا النص إلا بعد وفاته ، ولعل نشره أو اطلاعه عليه ، كان يرد له بعض ما عاناه من هذا الفيتو ، فقد دمروا مستقبله وأثاروا ضده حملة شائعات منحطة بأنه كان يخفي الأموال في المرتبة ! فهل بقيت بقية من شرف في « الماركسيين » فيطالبون بمنح جائزة الدولة لاسم الرجل الذي ترجم رأس المال للعربية . . أم مازال الفيتو الأمريكي ضده ساري المفعول !

م[11] ـ كان لي الشرف أن أكون أول من فضح زيف الإعلام الناصري الذي حاول الانتقاص من قدر الرجل ودوره يوم ٢٣ يوليو ، إذ زعم هذا الإعلام أن تحرك « يوسف صديق » المبكر يوم الانقلاب ، وهو الذي أنقذ انقلابهم ، زعموا أنه كان خطأ من جانبه ، تحول إلى حظ حسن ! . . وقد ظل هذا التفسير هو الذي يتردد ٢٣ سنة حتى فندته في مقال لي بمجلة أكتوبر عام ١٩٨٥ : « لو عاد التاريخ يوماً . . » وقلت إن الرجل عرف بتسرب نبأ الانقلاب فلم ينتظر ساعة الصفر ولا هرب كما فعل الآخرون ، بل خاطر بالتحرك قبل الموعد ونجح بل وألقى جنوده القبض على مشبوهين كانا بالملابس المدنية يراقبان الموقف ، وتبين أنهما جمال عبد الناصر حسين وعبد الحكيم عامر ! . . والحمد لله أصبح هذا الذي قلناه هو الحقيقة المعترف بها .

م[12] ـ وقد شهد « مصطفى أمين » (والنعم) في مرثيته لأحمد حسين « هذا » ، أنه أي مصطفى بك سمع منه « لأول مرة الدعوة إلى الإصلاح الزراعي ، والمطالبة بتحديد الملكية وكان يؤكد في كل مكان وينذر بأننا إذا لم نعط الفلاحين والعمال حقهم في الحياة فسوف تقوم ثورة في مصر » .

وقد انتهز هيكل وفاة « أحمد حسين » وأنه لم يترك « وثائق » فانهال عليه بالتهم من « سبق الاتصال بكيرميت روزفلت » (قبل الانقلاب وتشريع إباحة الاتصال . ج) إلى إساءة مفاوضة الأمريكان . . الخ . .

أما للرد على سؤالنا لماذا اختار عبد الناصر من الثلاثين مليونا هذا الأحمد حسين وحده ليكون سفير الثورة في أمريكا مع أنه كان وزيراً سابقاً وشغل منصباً . . الخ في عهود الفساد . . الخ . . فيرد هيكل علينا بأن عبد الناصر :

« أحس أنه يريد سفيراً في واشنطن يستطيع مخاطبة* الأمريكيين . . ولفت نظره الدكتور « أحمد حسين » وزير الشئون الاجتماعية الذي كان على صلات قديمة بالأمريكيين ، وقد اختاره عدد من رؤساء الوزراء قبل الثورة مباشرة للعمل معهم ، وفي تفكيرهم أنه يصلح كهمزة وصل مع الولايات المتحدة الأمريكية وكان علي ماهر (باشا) قد اختاره معه في أول وزارة تألفت بعد الثورة ، ثم استبقاه اللواء « نجيب » عندما ألف وزارته في سبتمبر ١٩٥٢ ، كما أنه كان قد تعرف مبكراً على « كيرميت روزفلت » وقرر جمال عبد الناصر أن يبعث به سفيراً في واشنطن وترك له حق اختيار معاونيه ولم يكن جمال عبد الناصر راضياً عن كل اختيارات أحمد حسين لكنه لم يعترض على أحد منهم فقد أراد له أن ينجح في مهمته وبالطريقة التي يراها »[1] .

(*) !؟

(١) ص ١٨٩ ع .

لقد قرأنا الكثير عن حيل « ميكافيللي » الدنيئة ولكننا لم نسمع أبداً أنه نصح أميره بأن يبعث عميلاً للسلطان التركي سفيراً له في بلاد السلطان ؟! . . ولكننا نعرف من مايلز كوبلاند أنهم بعدما وضعوا « حسني الزعيم » في السلطة عينوا له سفراءه في الخارج . . ونعرف الآن أن السفير الأمريكي كان يملك منع تعيين رئيس الوزراء والوزراء فهل نستكثر عليه « النصح » بصفة « شخصية » اسم من يصلح سفيراً في بلاده ؟!

م[١٣] ـ لاحظ أسلوب حمروش فهو يحدد شهر مارس وهو الشهر الذي يقول مايلز كوبلاند إن الاجتماع والاتفاق تم فيه بين المخابرات الأمريكية والضباط الأحرار فكأنه يريد أن يوعز بالتهمة ويتنصل من مسئولية الاتهام في نفس الوقت .

م[١٤] ـ معظم الذي أورده حمروش وكأنه من تأليفه منقول من كوبلاند ، إلا أنه بنقله ولو بدون إشارة يعتبر موافقاً عليه وكذلك ما نقله من مذكرات محمد نجيب .

م[١٥] ـ لا أظن أنني عرفت معنى « القرف » مثلما فعلت وأنا أقرأ لحمروش بعدما جلس على شاطيء البحر في الأسكندرية مع هيكل ، كتب يرد على روحه الآتي : « ولعل هذه المظاهر هي التي دفعت البعض إلى توجيه الاتهامات لهيكل بأنه كان قريباً من الأمريكيين بأكثر مما يجب » .

وبكل براءة أو بجاحة ينسى أنه كان في طليعة هؤلاء فيرد : « وما أظن أن هذه الاتهامات تستقيم مع رجل صفحته مفتوحة في كتاباته وما أظن أيضاً أن الكاتب يجب أن يرد على هؤلاء الذين حاولوا الإساءة إلى هيكل » (روز اليوسف ١٩٨٦/٢/١٥) وقد أكد لنا نزاهة هيكل بأنه عنده كمبيوتر وفيديو وأجهزة تسجيل ! . .

يكون حد تاني بيكتب لهم كتبهم ولذلك ينسون ما قالوه ؟! ومرة أخرى يضحكنا عندما يدافع عن اتصالات هيكل التي كان هو من بين من أشاروا إليها منتقداً أو متهماً فيقول : « وأظن أن صلات هيكل ببعض كبار المسئولين الأمريكيين يجب أن تحسب له وليس عليه . فليست هناك دولة متحضرة تحاول أن تضع كتابها في قيود متزمتة تحول دون اتصالهم بالشخصيات العامة العالمية والكاتب السوفيتي المعروف (جون لويسبي) يؤدي دوراً سياسياً يكون مؤثراً في بعض الأحيان خلال صلاته الشخصية ببعض المسئولين في الغرب (روز اليوسف ٥ يناير ١٩٨٧) .

واللي ما يفهمش في الطب يقول دي اتصالات وحياة سيدي لويسبي . . عقبالك !

م[١٦] ـ وهذا لا يعني المشاركة في السلطة والقرار ، بل في الغنيمة ، وانظر كيف قامت في مصر طبقة أو بالأحرى قبيلة اسمها « الضباط الأحرار » ، لها امتيازات خاصة ومراعاة ، ورتب فيما بينها حتى عند التقاعد وشغل الوظائف المدنية . وانظر كيف تضامن مصطفى كامل مراد مع جمال ضد نجيب : « لأنه لما نسيب الجيش حنروح فين لازم ندافع عن لقمة العيش . . كنا خايفين على أنفسنا حديث في (روز اليوسف) .

م[١٧] ـ هذه رواية مشهورة عندما ذهب السفراء العرب لمقابلة الرئيس الأمريكي جونسون بعد هزيمة ١٩٦٧ . . فأخذ جونسون يحدث كلبه قائلاً : جاري المشاغب يزعج جيرانه ياكلبي العزيز فأعطوه علقة . . والآن يريدني أن أتدخل وأنقذه » .

الفصل الرابع

حكاية أول زعيم ... !

« وأصبح ليكلاند (مندوب المخابرات الأمريكية) صديقاً للضباط الأحرار من جماعة ناصر من خلال محمد حسنين هيكل . . . »

مايلز كوبلاند
مدير محطة الـ CIA
بالقاهرة

نعود لقصة مايلز كوبلاند عن البحث عن بلد ينفذون فيها انقلابهم قال : « كانت العراق هي الاحتمال الأول . لكونها دولة بوليسية ، تحكمها حكومة مكروهة من الشعب ، وحيث من الممكن أن نرضي ضمائرنا بأننا لا نفعل أكثر من فتح الطريق أمام حكومة « شعبية » (الأقواس من المؤلف الأمريكي وواضح السخرية من أخلاقيات المنافقين الأمريكيين الذين يريدون استغلال الشعوب بأساليب شريفة أو نظيفة اج) ولكن العراق كان البلد الذي يستحيل فيه على فريق سياسي مدرب ، فضلاً عن جهاز ناشيء مثلنا ، أن يهمس بدون علم البريطانيين .

« أما السعودية فلم تكن ناضجة بعد للديمقراطية (لقد حاولنا أن نجد صيغة أفضل للتعبير عن ذلك فلم نجد)[١٤] . . لبنان ـ الأردن ـ مصر ـ استبعدت كلها لأسباب أخرى وهكذا لم يبق أمامنا إلا سوريا » .

ثم قصة طويلة مملة عن كيف حاولوا إقامة حكم شعبي ديمقراطي هناك عن طريق التدخل في الانتخابات اعتماداً على كافة الوسائل المتاحة من الإرساليات إلى رشوة سائقي التاكسي . . ومن شاء الرجوع إلى ذلك فهي في صفحة ٤٥ وما بعدها وهي لا تعنينا لأنها خارج موضوعنا .

ويقول إنهم اقتنعوا بعبث محاولة الطريق الديمقراطي في التغيير ، وعكفوا على تدريب أنفسهم للعمل الحاسم . . أي الانقلاب العسكري واستغرق ذلك من ١٩٤٧ ـ ١٩٤٨ . .

ويقول إنه « يقدم تجربة سوريا لأنها أصبحت نموذجاً ـ يذكر دائماً ـ للدعوة إلى الامتناع عن التدخل في شئون الدول المستقلة ، وأيضاً نموذجاً يُدرس لكيفية التدخل ، وما الأخطاء التي يجب تجنبها في العمليات الأخرى . وأخيراً لأنها توضح أهمية اختيار الشخص المرشح للعملية » .

« في هذا الوقت كانت الإدارة الأمريكية تعتقد أن الفراغ الذي يتركه الانسحاب البريطاني ، واتهامنا بتأييد الصهيونية يجعلان أقصى أمانينا هو تقليل الخسائر » .

« كان الوزير المفوض في السفارة هو « جيمس مايكل كيلي » والمسئول السياسي « دين هينتون » وعمره ٢٤ سنة ، ورجل العملية في السفارة هو الماجور ستيفن ميد الذي سيعرف بعد ذلك باسم الكولونيل ميد* . . . أما مدير العمليات السرية فهو أنا » ** .

« أُرسلت إلى دمشق في سبتمبر ١٩٤٧ بتعليمات لتنظيم اتصالات غير رسمية مع الرئيس القوتلي والشخصيات البارزة في الحكومة السورية ، لإقناعهم « بتحرير » النظام . وقد نجحت في الجزء الأول من المهمة ، وهو خلق علاقات شخصية مع الرئيس ومعظم المسئولين ، أما النصف الآخر فقد فشلت ، إذ ثبت لنا أن القوتلي وجماعته غير مستعدين لتحرير النظام ، وأنهم سيستمرون على « عماهم » في مواجهة الانفجار السياسي الخطير الذي كان يخيم على الأفق . وقال « كيلي » ليس أمامنا إلا أحد خيارين ، كلاهما غير مرغوب فيه ؛ إما أن يقوم سياسيون انتهازيون بانقلاب دموي مدعوم من السوفييت ، أو يستولي الجيش السوري على الحكم بدعم منا ، ويحفظ النظام إلى أن نتمكن من تنفيذ ثورة بيضاء . وكان « كيلي » كارهاً للحل الثاني ، ولكنه قال إنه على الأقل سيحقن الدماء . ويقدم للعناصر الواعية في المجتمع فرصة عادلة ، ضد العناصر المشاغبة ، وكانت العملية هي انقلاب حسني الزعيم في ٣٠ مارس ١٩٤٩ . إذ قام « فريق عمل » بقيادة الماجور ميد بتنمية علاقة صداقة مع حسني الزعيم الذي كان وقتها رئيس أركان الجيش السوري ، واقترح عليه فكرة الانقلاب ، ونصحوه بطريقة التنفيذ وأرشدوه خلال الترتيبات والإعداد للانقلاب ***. كانت المساهمة في الحدود التي أثارت شك القيادات السياسية السورية وحدها ، والتي استبعدت بعد ذلك (أي الشكوك) باعتبارها من الوسوسة السورية التقليدية . . كما جاء في تقارير الصحفيين الغربيين والطلبة الذين استجوبوا الأطراف المعنية ، وفحصوا الوثائق فبالنسبة للعالم الخارجي كان الانقلاب عملية سورية كاملة ، ولو أن المعنيين استنتجوا فيما بعد ـ وعن حق ـ أن « الزعيم » هو غلام أمريكا . . »

« إن تفاصيل تنفيذ الانقلاب لا تهم موضوعنا ولكن هذه بعض الملاحظات :

« أبلغت وزارة الخارجية الأمريكية بالانقلاب القادم عندما أصبح احتمالا جدياً . وإذا كانت التفاصيل لم تُبلغ لها ، فلأن وزارة الخارجية هي التي قالت إنها تفضل ألا تُحاط بالتفاصيل . كذلك تم « تجاهل تدخلات « جماعة الماجور ميد » الممهدة للانقلاب . وكان رد وزارة الخارجية : إذا كان « الزعيم » يميل لتغيير الحكومة ، فإن وزارة الخارجية لا ترى

---

* وسيلعب دوراً بعد ذلك في مصر الناصرية .

** مايلز كوبلاند .

*** وفي القاهرة سيكون « ايفانز » هو الذي تولى نفس المهمة مع « الزعيم » المصرى أو الزعماء . . إقناعهم بالانقلاب .

سبباً لتثبيط همته ، طالما تعتقد أنه سيعود للحياة البرلمانية متى أصبح ذلك ممكناً من الناحية العملية » .

« ولكن الزعيم لم يكن ينوي ذلك ، فقد أوضح لنا أن أهدافه هي :

١ ـ وضع السياسيين الفاسدين في السجن .

٢ ـ إعادة تنظيم الحكومة على نحو أكثر فعالية .

٣ ـ إجراء الإصلاحات الاجتماعية والاقتصادية المطلوبة .

٤ ـ القيام بعمل بناء حول المشكلة العربية الإسرائيلية . »

وكانت هذه النقطة (إسرائيل) هي الكفيلة بإذابة أية معارضة ممكنة من وزارة الخارجية (الأمريكية) » .

وما دام الرجل قد اعترف لنا بأنهم يمارسون الخسة والكذب ويذبحون الأخلاق ، فلا حاجة لإضاعة وقتنا في عرض مبرراته لاغتيال الديمقراطية ، وتأكيداته بأن نيتهم كانت متجهة لإقامتها ! ولنحاول استيعاب ما قاله حتى الآن :

١ ـ انقلاب حسني الزعيم ، أو أول انقلاب عسكري في العالم العربي بعد الحرب العالمية الثانية كان من تدبير وإعداد وتنفيذ المخابرات الأمريكية ، أو مجموعة العمل الأمريكية في دمشق . .

٢ ـ الانقلاب ولو أنه حصل مسبقاً على مباركة وزارة الخارجية الأمريكية ، إلا أن الوزارة رغبت في أن تبقى بعيدة عن التفاصيل ، ومن ثم فعندما تصيح بعض الدجاجات عندنا فرحة ، لأنها وجدت برقية صباح الانقلاب تخطر فيها السفارة وزارة الخارجية بالانقلاب ، فتهتف : إن هذا دليل جهل الأمريكان بالموضوع ! فمن حقنا أن نبتسم في رثاء . ذلك أن السلك الدبلوماسي الرسمي يحرص على تجنب التورط في عمل من هذا الشأن ، من ناحية حفاظاً على « شرف » الجهاز السياسي ولأن عدداً من العاملين فيه ، من الهواة ، أصحاب القيم والمثل والمبادىء ، مثل الفتى « دين هنتون » . ومنعاً لوجع الدماغ يبقى هؤلاء خارج اللعبة ، ومن ناحية أخرى ، أكثر عملية ، هي تجنب الفضيحة والأزمة الدبلوماسية في حالة فشل الانقلاب ، وكشف الاتصالات . . ومن ثم لا نستبعد أن يكون السفير الأمريكي في بلد معين هو الأقل علماً بما يدبر ضد هذه الحكومة من مواطنيه وبعض موظفي سفارته . . وإن كنا في حالة مصر نعرف أن السفير كافري كان على علم ، ولعب دوراً أساسياً ، إلا أننا نستبعد اشتراكه مباشرة في الاجتماعات التحضيرية مع الضباط الأحرار* .

---

* في الانقلاب على مصدق ، كان السفير الأمريكي لوي هاندرسون يعلم كل شيء ، ولكنه اشترط أن يكون خارج البلاد خلال عملية التنفيذ حفظاً للمظاهر .

٣ ـ وإن تكن أهم نقطة في عقد استخدام زعيم الانقلاب ، هي وعده باتخاذ موقف « إيجابي » ـ من وجهة النظر الأمريكية ـ في الصراع العربي ـ الإسرائيلي . . إلا أننا سنجد جوهر البرنامج الأول الذي وضعته مجموعة شبه الهواة في أول تجربة انقلابية لها في العالم العربي ، ستجده في كل البرامج القادمة في الحركات الأكثر إتقاناً وحبكة . . محاربة الفساد . . اعتقال السياسيين بتهمة الإفساد . . الإصلاح الاجتماعي . . تنشيط أو زيادة كفاءة الجهاز الحكومي . . تأجيل الديمقراطية . .

هذه هي القصة .

إلا أن رجل المخابرات الذي أقسم كاذباً في مقدمة الكتاب أنه لم يحجب سراً بسبب شرف المهنة . . يخفي هنا عدة عناصر أخرى شديدة الأهمية في الموضوع ، فلم تكن رغبة أمريكا في قلب نظام الحكم السوري ، ووضع رجلها في السلطة ، لمجرد ضمان تهدئة أكثر الجبهات خطورة مع إسرائيل بحكم قربها وتحكمها في الأماكن الآهلة من إسرائيل ، وأيضاً بحكم أن سوريا كانت البلد العربي الوحيد في دول المواجهة ـ ولم يكن التعبير قد ظهر بعد ـ التي لا تخضع مباشرة لقوات احتلال غربية تضمن سلوكها عند الضرورة القصوى ، إلا أن الانقلاب كان مرغوباً فيه لسببين آخرين على الأقل :

١ ـ خط التابلاين . . كانت بريطانيا تتمتع بامتياز خاص على شركات النفط الأمريكية العاملة في الشرق الأوسط ، وهو تحكمها في طرق النفط إلى أوروبا الغربية ، السوق الوحيدة وقتها لهذا النفط ، لأن أمريكا لم تكن تستورده ، واليابان لم تكن قد أصبحت عملاقاً صناعياً بعد ، وكانت تعتمد على نفط الشرق الأقصى والنفط الأمريكي . . كانت بريطانيا تسيطر على قناة السويس ، طريق ناقلات النفط القادمة من الكويت والسعودية والخليج . . كما كانت تسيطر على خط النفط الوحيد الذي يصب على البحر الأبيض . . أو خط الآي بي سي . . وكان من الطبيعي أن تفكر شركات النفط الأمريكية (أرامكو) في مد خط ينقل النفط السعودي إلى البحر الأبيض ، دون المرور في قناة السويس ، وذلك عبر سوريا . . واستماتت الانجليز في منع ذلك ، مستغلين عداء الجماهير للولايات المتحدة لموقفها من إسرائيل والحساسية التاريخية لدى الشعوب العربية إزاء الامتيازات الأجنبية وخاصة المرتبطة بدولة كبرى ، وأيضاً استفادوا من استمتاع السياسيين السوريين بابتزاز السعودية والعراق . . بالإقرار « المبدئي » للاتفاق ، ثم إلغاء الإقرار ، والقبض من هنا وهناك . .

ولتنشيط ذاكرة المخابراتي كوبلاند ، المدربة على نسيان « القبائح » تنقل له هذا النص الناطق من تقرير « العلاقات الدولية للولايات المتحدة » عن عام ١٩٤٩ والصادر من وزارة الخارجية الأمريكية صفحة ١٠٩ حرفياً :

« أبلغت دمشق في ١٤ فبراير أن الاتفاقية الخاصة بامتياز شركة التابلاين قد أقرتها الوزارة السورية في الأسبوع الماضي ، وقيل إن الرئيس شكري القوتلي أبلغ الوزير المفوض

(الأمريكي) كيلي أنه مطمئن لإقرار البرلمان للاتفاقية ، وأن هذا الإجراء ضروري كخطوة أولى نحو التعاون الاقتصادي والسياسي المطلوب مع الغرب (برقية ٦٩ ، ٨٩٠ د ٢/٦٣٦٣ ـ ١٤٤٩) ولكن اعتراضات شتى ثارت بعد ذلك بين الحكومة السورية والتابلاين وقامت مظاهرات معادية للتابلاين من الطلبة ، وعلى ذلك قررت الحكومة السورية تأجيل طلب موافقة البرلمان على الاتفاقية (برقية ١١/٤ مارس ٨ الساعة ٢ بعد الظهر من دمشق ـ ٨٩٠ د/ ٣ ـ ٨٤٩) تم قلب الحكومة السورية في ٣٠ مارس بانقلاب قاده الكولونيل حسني الزعيم وللمعلومات الإضافية انظر هامش صفحة ١٦٣٠ . حكومة حسني الزعيم أقرت اتفاقية التابلاين وصدقت عليها بمرسوم تشريعي رقم ٧٤ في ١٦ مايو(برقية رقم ٢٨٤ /١٧ مايو الساعة ٨ مساء من دمشق ٨٩٠ د ـ ٥/٦٣٦٣ ـ ١٧٤٩) . وفي مذكرة داخلية لوزارة الخارجية الأمريكية بعنوان التطورات الاقتصادية الجارية ، جاء فيها : إن تصديق سوريا على اتفاقية التابلاين ، أزال آخر عقبة كبرى في طريق تشييد الخط المتعاقد عليه من زمن طويل . . والمشروع الآن ينتظر أن يكمل في عام ١٩٥٠ متأخراً سنة عن الوقت الذي كان محدداً له ، وقد تأخر إقرار الاتفاقية من جانب السوريين عدة شهور من ناحية لعدم رضاهم عن موقف الولايات المتحدة من فلسطين .

« وعندما يتم الخط فستكون طاقته ما بين ٣٠٠ ألف ـ ٤٥٠ ألف ب/ی وسيمتد مسافة ١١٠٠ ميل من السعودية إلى البحر الأبيض في ميناء صيدا بلبنان »[٢] ويشير التقرير أيضاً إلى شركة أخرى « شركة خطوط الشرق الأوسط » « ميبكو » تقدمت بمشروع خط أنابيب ينقل نفط إيران والكويت إلى البحر الأبيض عند طرسوس ليباع لشركة ستاندرد أويل وشركة نيوجرسي وسوكوني فاكوم . . « وقد تعثرت المفاوضات تماماً كما حدث مع التابلاين مع الحكومات السورية ، إلى أن جاء إلى الحكم الكولونيل حسني ، فوقع الاتفاقية في يونية مع ميبكو » . . (الزعيم يوقع على كله ولكن المشروع قتلته العراق . . انظر ص ١١٠) .

خط التابلاين معطل ، والحكومة السورية تساوم ، والبرلمان لا يصدق ، والمظاهرات المعادية في الشوارع . . والحل بسيط جداً . وضع الحكومة في السجن جزاء وفاقاً على معاكستها ، وحل البرلمان وتحريم الاشتغال بالسياسة على أعضائه بقانون العزل السياسي على الذين « أفسدوا . . » وتمنع المظاهرات ويسجن الطلبة . . ويوقع « الزعيم » الاتفاقية ، أو بمعنى أصح ، يبصم على القرار الذي كتبه له المدربون الأمريكان ، وبما أنه هو السلطة التشريعية والتنفيذية معاً بلا فصل سلطات ، بلا وجع دماغ ، فهو يصدق على نفسه؟[٣] !!

العنصر الثاني الذي أغفله المخابراتي ، هو الخوف من اتحاد سوريا والعراق لأن ذلك لو تم فسيضع سوريا تحت نفوذ بريطانيا المتجذر في العراق . . وكان موقف الولايات المتحدة واضحاً من هذا الموضوع ، وهو المعارضة التامة ، ومن يتتبع تاريخ الانقلابات السورية الأولى ، يمكن أن يحدد أمريكية الانقلاب أو بريطانيته ، من معارضته أو تأييده للوحدة مع

العراق (انظر الصفحات من ١٦٣٠ وما بعدها في التقرير السنوي لوزارة الخارجية الأمريكية عن عام ١٩٤٩) .

أما عن إسرائيل . . فقد بدأ الأمريكان بتنفيذ البند الخاص بها في العقد الذي أبرموه مع « حسني الزعيم » . وجاء في تقرير لمندوب الولايات المتحدة في الأمم المتحدة بتاريخ-مبكر جداً ١٢ مايو ١٩٤٩ « إن المفاوضات جارية بنجاح مع السوريين وبانش (رالف بانش ج) مقتنع بإمكانية موافقتهم على الخطة وكل المشكلة هي رغبة الزعيم في إجراء ما ، يحفظ ماء وجهه . . مثل انسحاب إسرائيلي أو تخفيض واضح للقوات » [1] .

وفيما يلي بعض الوثائق التي تلقي الضوء على موقف « الزعيم » من المشكلة الفلسطينية :

ooo

« من وزير الخارجية الأمريكية إلى المفوضية في سوريا .

واشنطن ١٣ مايو ١٩٤٩ سري

٢١٢ برقيتكم ٢٥٦ في ٢٨ أبريل[4] و٢٦١ في ٢ مايو . لاحظنا باهتمام التقدم الذي أبلغت عنه حول موقف « الزعيم » من توطين اللاجئين العرب . وهذا أول دليل واضح على رغبة السوريين في قبول عدد كبير من اللاجئين ، وخاصة أن سوريا هي البلد العربي الوحيد باستثناء الأردن التي يمكنها أن تتمثل مثل هذا العدد في وقت معقول . وإذا أمكن استثمار هذه الفرصة فسيمكننا كسر ظهر مشكلة اللاجئين . يجب أن تنتهز أول فرصة لبحث الأمر مع « الزعيم » مع التأكيد اللازم على أن رغبته في قبول ربع مليون لاجيء تعتبرها الوزارة مساهمة إنسانية ، وسلوك رجل دولة لحل تلك المشكلة . وعبر عن الأمل في أن يستخدم « الزعيم » نفوذه لدى الدول العربية الأخرى لاتخاذ مواقف بناءه مماثلة في حدود قدراتهم للمساعدة على تصفية المشكلة تصفية نهائية » .

« من الوزير المفوض في سوريا « كيلي » إلى وزير الخارجية .

دمشق ١٩ مايو ١٩٤٩ سري

. . . « مع اقتناعي برغبة « الزعيم » في إعطاء تنازلات سخية ، في القضايا الأخرى مثل اللاجئين وتدويل القدس والحدود إلا أن الزعيم لا يمكن أن يسلم كل شيء بلا مقابل ، وهو الموقف الذي تطلبه إسرائيل فيما يبدو . لأنه لو فعل ذلك فقد يكلفه هذا منصبه ويزيل أفضل أمل حتى الآن في قبول سوريا إجراء تنازلات لتحقيق تسوية للمشكلة الفلسطينية » .

« وبخصوص مشكلة اللاجئين يجب أن يكون مفهوماً أن تعبير الزعيم عن رغبته في قبول ربع مليون لاجيء كان مشروطاً بتسوية عامة للسلام . وكل الذين ناقشوا الأمر مع الزعيم تأثروا بإخلاصه وجديته وسعة أفقه بالنسبة لإسرائيل . (فرق شاسع من الموقف العنيد

الحرون للحكومات السورية السابقة)[59] ولكن حماسه يبرد في وجه الأدلة المتزايدة على شراهة إسرائيل . وهكذا إذا كان الزعيم يحاول على الأقل أن يرتقي إلى مصاف كمال أتاتورك ويستجيب للنفوذ المعتدل ، فإنه لسوء الحظ تتزايد الأدلة على أن بن جوريون ليس « فينزيلوس »[6] . على أية حالة يجب أن تفهم إسرائيل أنها لا تستطيع أن تأخذ الكعكة كلها (حدود التقسيم والمناطق التي استولت عليها بخرق الهدنة ، القدس ، توطين اللاجئين العرب) ربما ستجد نفسها قد كسبت فلسطين وخسرت السلام . (لقد تطوع حسني الزعيم بإبداء استعداده للاجتماع مع بن جوريون) . »

« وإذا ما تأكد للعرب أن إسرائيل مستمرة في سياسة رطل اللحم كاملاً وزيادة ، فإن هذا سيدفعهم ببطء ولكن بتصميم إلى صلب عودهم وتجميع جهدهم سياسياً واقتصادياً على الأقل إن لم يكن عسكرياً الآن ـ من أجل صراع طويل المدى ، وإذا ما استفادوا من أخطاء الماضي ، فإن وضع إسرائيل سيغدو أصعب بكثير ، مما لو اغتنم ساسة إسرائيل من بُعاد النظر ، الفرصة السانحة الآن للتفاوض على تسوية بشروط معقولة . إسرائيل ومؤيدوها في الأمم المتحدة سيعانون أكثر من الدول العربية إذا ما استمر الموقف الجامد حالياً » .

مندوب الولايات المتحدة في الأمم المتحدة (أوستين) إلى وزير الخارجية (الأمريكية) .

نيويورك ٢٣ مايو ١٩٤٩ **سري**

« قال بانش إنه يريد عقد اجتماع بين بن جوريون والزعيم ، فهو يعتقد أنه لم تعد هناك أهمية تذكر لاجتماعات الممثلين الإسرائيليين والسوريين الحاليين .

« ولكن بانش كرر أن حسني الزعيم يجب أن يحصل على مقابل من إسرائيل بسبب وضعه الداخلي ، كما أبلغ بانش شاريت ، أن الإسرائيليين يجب ألا يتوقعوا انسحاباً سورياً إلا إذا كانوا مستعدين لعمل بعض التنازلات « أوستين »[7] .

جاء في برقية الوزير المفوض من دمشق أن حسني الزعيم أمر الوفد السوري في مفاوضات الهدنة بإبداء المزيد من التساهل حيث أنه جد قلق للوصول إلى حالة (Modus Vivendi) تعايش سلمي مع إسرائيل في أقرب وقت ممكن . وقد حذر مستر كيلي (الوزير المفوض) أن حالة الجمود الحالية يمكن أن تستمر ما لم توجد وسائل يمكن بها استعادة ثقة السوريين في قدرة الأمم المتحدة على ضبط إسرائيل ، وبدون ذلك فإن الحكومة السورية ستكون نافرة ـ وهذا مفهوم ـ من إعطاء تنازلات يكون لها ردود فعل سيئة في الداخل عليها . إلا أنها ضرورية للوصول لاتفاق مع إسرائيل . » (برقية ٣٢٧ ـ ١٦ يونية من دمشق ٧٦٧ ن . ٩٠ د/١٦٤٩/٦) .

نشطت الجهود الأمريكية ، ونمت أحلام عقد سلام بين سوريا وإسرائيل* ، وكان للموظفين الصغار في وزارة الخارجية الأمريكية عذرهم في هذه الأحلام ، فلأول مرة يتوافر لهم « حاكم عربي » هم وضعوه في السلطة ومن ثم مستجيب إلى أقصى حد ممكن لأوامرهم بشأن هذا السلام ، وكان هؤلاء الموظفون يعرفون أو يظنون أنهم يعرفون سيطرة أمريكا على الإسرائيليين . ومن ثم حاولوا الإسراع في عقد السلام ، وهو ما لا تريده إسرائيل التي حاولت أن تثبط جهودهم بالتعنت فلما أصروا ، قامت باحتلال المناطق المنزوعة السلاح في القدس . وسيذكرنا هذا باعتداءات ١٩٥٤ و١٩٥٥ التي تمت في ظروف مشابهة تماماً ، ولا العرب يتعلمون ولا الأمريكان يكفون عن خداع العرب ، وخداع شعبهم .

وكتب « كيلي » المسكين : (**ولاحظ الفرق بين لهجة الدبلوماسيين الأمريكان وقتها ، وتحيزهم الفاضح لإسرائيل الآن ج**) :

« وكما هي العادة في غطرستهم الغبية ، فإن العدوان الإسرائيلي الأخير لم يدمر مفاوضات الهدنة السورية ـ الإسرائيلية فحسب ، بل نفخ في كل الأبواق العربية . ولما كان هذا رأي « الزعيم » فأنا لا أرى معنى لتسليمه رسالة وزارة الخارجية ، ولا في حثه على قبول مقترحات بانش ، حتى توجد الوسائل التي تجبر إسرائيل على احترام تعهداتها وسلطات الأمم المتحدة . إن الضغط على سوريا في مواجهة احتلال إسرائيل لدار الحكومة في القدس سيبدو للسوريين كدليل جديد على تهمة تحيزنا لإسرائيل ، ويضعف النفوذ الذي ما زال لنا » .

وقد تدخلت الحكومة الأمريكية وسحبت إسرائيل قواتها من دار الحكومة ، وعادت وزارة الخارجية تأمر « كيلي » بإجبار حسني الزعيم على قبول مقترحات بانش . وقد كان .

وبقية الوثائق تكشف تهالك « الزعيم » على عقد تسوية مع إسرائيل ، وصراخ الدبلوماسيين الأمريكيين في دمشق ، مطالبين حكومتهم ببذل جهد لإقناع الإسرائيليين بقبول بعض التنازلات الشكلية ليمكن عقد هذه التسوية . . ورفض إسرائيل القاطع لأي تنازل ، بل لأي تنازل شكلي يمكن فعلاً من عقد هذه التسوية ، ويستطيع القارىء إذا راجع الوثائق المنشورة في فصول « إسرائيل » و« سوريا » في التقرير المذكور (يقع في ١٨٥٢ صفحة مطبعة) أن يستنتج رغبة إسرائيل في منع التسوية أو الصلح مع سوريا وليس فقط رغبتها في الاحتفاظ بما لديها ، وهو أمر قد يبدو غير مفهوم في عام ١٩٤٩ ولكنه مفهوم الآن . فإسرائيل لها أهداف في صميم الأرض السورية ، وعقد صلح وقيام سلام عام ١٩٤٩ يعطل تحقيق هذه الأهداف . وهذا أيضاً يفسر لماذا فشلت النوايا السلامية لنظام يوليو فليس عن صلابته بل تصلب إسرائيل .

---

* نفس الوضع حرفياً مع عبد الناصر إلى ١٩٥٥

من الوزير المفوض بدمشق إلى وزير الخارجية

دمشق ١٤ يوليو ١٩٤٩ سري

« إن إخلاص الزعيم للسلام لا مجال للشك فيه ، ولو لمجرد أنه يعرف أن مشاكل فلسطين تعترض طريق أحلامه . وإذا كانت المفوضية هنا (دمشق) تشارك الاعتقاد بأنه لا يستطيع أن يتحدى مشاعر الشعب السوري فيما سيعتبر استسلاماً بلا مبرر لأطماع إسرائيل ، إلا أنه حساس جداً من فكرة أنه يقاد بمبادرة ودية من الولايات المتحدة ، ليس فقط لتوطين اللاجئين بل والتنازل في الخلافات الأخرى مع إسرائيل . وفي رأي المفوضية أنه من مصلحة السلام في الشرق الأوسط الاستفادة من تعاون الزعيم . . إلخ » .

رفضت إسرائيل بحث أي مشكل أو تسوية ، وألحت على الاجتماع المباشر بين الإسرائيليين وحسني الزعيم وفي لوزان ، وبالطبع لم يكن أمام الإدارة الأمريكية إلا الضغط على الجانب اللين . . فألحت في عقد اللقاء ، وحل الجيش السوري المشكل بإعدام حسني الزعيم في ١٤ أغسطس ١٩٤٩ . .

فيكون قد قضى في السلطة مائة وخمسة أيام ، أنجز فيها للأمريكان اتفاقية التابلاين ، قبول توطين اللاجئين ، الأمل في فرض تسوية سلمية إذا ما توافر حاكم مطيع مثله ، شرط أن يكون في بلد أقوى تأثيراً ، وأن يستمر في الحكم فترة أطول . . وتعلم فيه الأمريكيون فن قلب النظم العربية . .

نسمع الآن قصة الانقلاب السوري من أحد صناعه ؛ مايلز كوبلاند . .

سجل « هيتون » الضابط السياسي في السفارة ، وأصغرهم سناً ، وأكثرهم على ما يبدو اقتناعاً بالشعارات الأمريكية المعلنة خلال الحرب العالمية ، والتي لم تكن قد جفت بعد في ذاكرة الشباب المثالي ، بل وربما أكثرهم حكمة ، إذ سجل اعتراضه على الانقلاب قائلاً بنص شهادة كوبلاند : « أريد أن أسجل للتاريخ ، قولي بأن هذه هي أغبى ، وأقل الأفعال تقديراً للمسئولية ، يمكن أن تصدر من بعثة دبلوماسية مثلنا ، لقد بدأنا اليوم سلسلة من هذا النوع لن تنتهي أبداً . وقد أرسل تقريراً بالطبع إلى وزارة الخارجية ، يقبع الآن تحت أكوام من التراب وإن كانت نبوءته قد تحققت . »[٣]

المهم أن وزارة الخارجية بنفاق الثعالب الذي تعودناه من الحضارة البيضاء تمنعت حوالي شهر عن الاعتراف بالانقلاب ، « لأن خبرتنا المريرة مع الانقلابات العسكرية في أمريكا اللاتينية . . إلخ » وإشفاقاً على الديمقراطية ، وأيضاً لكي لا ينكشف الملعوب إذا ما اندفعت للاعتراف . . وبعد ثلاثين سنة ما زالت أوراق الخارجية الأمريكية المنشورة بيضاء الساحة ، ترفض الاعتراف بدورهم في الانقلاب . . وما جره على سوريا من دماء لم تجف ولن تجف أبداً ما لم يقطع دابر التفكير السلطوي في الجيش والضباط المغامرين .

قال كوبلاند :

« اعتقدنا في المفوضية الأمريكية أننا فتحنا باباً للسلام والتقدم ، فقد كانت استجابة الزعيم « لاقتراحاتنا الودية » (أقواس المؤلف) قبل الانقلاب إيجابية إلى درجة لم يخطر معها ببالنا ، أن الأشياء ستتغير فيما بعد ، وقد استمر الحال كذلك إلى أن وصل الاعتراف الرسمي من حكومتنا ؛ وقد يبدو مثيراً أن أقول إن المارجو ميد ، قضى اليوم الثاني للانقلاب في تعريف الزعيم : من يجب أن يكون سفيره في لندن* وَمَنْ مِنْ الضباط يجب وضعه في مناصب دبلوماسية ، وما الغذاء الذي يجب أن يقدم للرئيس القوتلي في السجن لكي لا تتهيج قرحته . ولكن فور الاعتراف انقلب « الزعيم » إلى رجل آخر وبدأ ذلك بأن أبلغني أنا ومييد بضرورة أن نهب واقفين إذا ما دخل علينا ، وألا نخاطبه بلفظة أنت « Tu » ـ وهو أي الزعيم لا يعرف إلا الفرنسية ـ بل بضمير أنتم Vous أو نقتصر على : « سعادتك » . وباستثناء هذه الرسميات استمرت العلاقة ودية إلى نهاية عهده ولكن يوماً بعد يوم كان يتضح أكثر وأكثر أننا أخطأنا في نقطة ما ، وأنه لابد أن نفكر في البديل في حالة سقوط الزعيم ، الأمر الذي أصبح مؤكداً »[٤] .

تصرف المبتدئون الأمريكان مع « حسني الزعيم » تصرف رجال المافيا مع « البرافان » الذي يضعونه في مواجهة شركاتهم ، أو مع رئيس جمهورية الموز الذي تعينه الشركة الأمريكية من خلال انقلاب عسكري . المدرب الأمريكي يعطيه التعليمات ابتداء من ترشيح السفراء واعتقال الضباط إلى قائمة طعام سجن المزة . وكما رأينا لم يقتصر الحديث على الكبة النية وحدها ، فليس بالخبز وحده يحيا الأمريكان ، حدثوه عن إسرائيل واستجاب ، وعن التابلاين ووقع وصدق ، ونفهم من سياق القصة ، أنهم كانوا يجلسون وقد مدوا أقدامهم على الطريقة الأمريكية ورئيس جمهورية سوريا وزعيم انقلابها وديكتاتورها ومعتقل زعمائها ، وخالب لب الغوغاء والمغفلين من الشباب العربي ، لأنه ثأر لهم من الخيانة ، ورفع كرامة الجيش السوري . . إلخ؟[٧] . . . هذا الزعيم يدخل فلا يتحرك المدرب الأمريكي ولا يكلف نفسه الوقوف لرئيس جمهورية أو رئيس وزراء سوريا ، بل لعله كان يضع حذاءه في وجهه ، كما كان المندوب البريطاني يفعل مع فيصل الأول ملك العراق . ولكن كان على الأمريكان أن يتعلموا أن الكرسي له ثقله ، وأن سوريا في ١٩٤٧ غير العراق في ١٩٢٠ ـ ولذلك ثارت كرامة « الزعيم » وطالبهم على الأقل بالوقوف عندما يدخل عليهم ليوقع اتفاقية التابلاين أو ضم لبنان ، أو اعتقال السياسيين الفاسدين مطايا الاستعمار . . . وثارت حمية الضباط لكرامة الجيش والدولة مع قليل من المنشطات البريطانية ، فقتلوا الزعيم وجاء الحناوي انجليزياً ، لينقلب عليه الشيشكلي . . إلخ . .

---

* هل هذه الشهادة تلقي الضوء على سر اختيار عبد الناصر لأحمد حسين سفيراً في واشنطن ؟!

ومن ١٩٤٩ إلى ١٩٥٢ سيتعلم الأمريكان الكثير، وسيصبحون أكثر ذوقاً في معاملة « الرؤساء » ولاشك أن مصر غير سوريا ، وجمال عبد الناصر لا يمكن قياسه بحسني الزعيم . . ولكن ستمر بنا لحظات ومشاهد في الرواية المصرية ، تجعلنا نتساءل . . أين رأينا هذا المشهد من قبل ؟ من يشبه هذا البطل . . ؟ نعم سنرى ملامح تلك العلاقة بين المدرب الأمريكي و « الزعيم » . . رفع التكليف . . إعطاء النصائح في صيغة المدرس أو المربي . . الشخط أحياناً . . بما لا يتفق والعلاقات الدبلوماسية العادية . .

يكفي أن نتذكر أن « زعيماً » عربياً ثورياً جاء بهذه الطريقة وعومل بهذه الطريقة . . ولكنه فشل في أن يستمر في الحكم لأسباب عديدة شديدة التعقيد ، أولها سوريا ذاتها ، وآخرها أنه لم يكن له تنظيم في الجيش السوري . .

بقية قصة الزعيم معروفة : « أحاط بمنزله عدد من الضباط يتقدمهم واحد اسمه الحناوي ولكن القائد الحقيقي كان أديب الشيشكلي ، وقتلوا حسني الزعيم ودفنوه في المقبرة الفرنسية » وأخبرني الشيشكلي فيما بعد : « لقد أسدينا لكم معروفاً بدفنه كعميل فرنسي » .

استمرت الجماهير السورية تهتف لسنوات طويلة : « بدنا نحكي ع المكشوف » وهم لا يدرون أن زعماءهم « الثوريين » يمارسون ذلك منذ وقت مبكر جداً ولكن . . مع الأمريكان !

الدروس التي استفادتها المخابرات الأمريكية من تجربة سوريا هي :

١ ـ المشكلة ليست في تغيير الحكومة بل في ضمان استمرار هذا التغيير إلى نهاية الطريق . أصبح المطلوب سلطة قادرة على الاستمرار .

٢ ـ الوضع الأمثل هو الارتباط بتنظيم انقلابي موجود فعلاً ، له تشكيلاته وله عناصره المخلصة ، وله قوة دفعه ، وتصميمه على الاستيلاء على السلطة ، لأن الصفقة مع قائد جيش بمفرده انتهت بمقتله وحيداً . .

٣ ـ عدم التسرع في فرض تسوية للقضية الفلسطينية ، فقد عرفت الأجهزة الأمريكية حقيقتين :

الأولى : هي أن حكومتها غير راغبة أو غير قادرة على الضغط على إسرائيل .

والثانية : هي أن إسرائيل لا تريد تسوية سلمية . . ومن ثم فلا داعي لحرق القيادة « الصالحة » بالإصرار على دفعها في طريق الاستسلام لإسرائيل أو الصلح مع إسرائيل ، يكفي منع الحرب مع إسرائيل ، وإزاحة القضية الفلسطينية من برنامج العمل ، إلى برنامج الشعارات . . ومع التبريد والحديث عن السلام ينفتح الطريق للتسوية .

وهنا يقول مايلز كوبلاند : « ولو أننا لم نحب ذلك كثيراً ، إلا أنه كان لابد لنا من أن نعترف بأنه ما من قائد بوسعه أن يقود شعباً عربياً إلا إذا كان هناك خوف عام يؤثر على هذا الشعب . فالمصريون توالت عليهم قيادات خلال عدة قرون أجنبية وفاسدة . ولذا فكل

القيادات ـ في نظرهم ـ مريبة ومشبوهة . وكان قادة العالم العربي يستخدمون الخوف من إسرائيل لتحقيق مستوى من الوحدة الوطنية ، ورأينا أنه ما من سبيل لتجنب استخدام نفس الوسائل في مصر ، على أساس أن الخطر ضئيل في أن تتطور الأمور على نحو يخرجها من يدنا ، نظراً للهزيمة الفادحة التي تلقاها الجيش المصري على يد الإسرائيليين في حرب ١٩٤٨ فضلاً عن أنه لم تكن هناك فرصة كبيرة للنجاح في إبراز قائد لا يستخدم القضية العربية ـ الإسرائيلية » .

هذه نقطة على قدر بالغ من الأهمية ، بل هي مفتاح فهم كل ما جرى ويجري حولنا في المنطقة .

لـلأسباب التي ذكـرناهـا ، تخلى الأمـريكيون عن محاولة فـرض الصلح العربي ـ الإسرائيلي . . وهذا يعني استمرار « القضية » ولذا قرروا استثمار ذلك ، فلكي تستمر زعامة القائد الذي سيمنع المعركة مع إسرائيل ، لا بأس ، بل من الضروري أن يتحدث ليل نهار عن المعركة ، ويسحق أية معارضة تحت شعار : « لا صوت يعلو على صوت المعركة . . » وبهذا يتجنب المعركة ويبقى شعبه صابراً متحملاً في سبيل المعركة . . وحسابات الأمريكان لم تخطىء إطلاقاً فخلال المدة من ١٩٥٢ إلى ١٩٦٧ لم تتطور الأمور أبداً على نحو « يخرجها من أيديهم » فلم تقم مصر بأي هجوم على إسرائيل ، وإنما كانت الحروب كلها من ناحية إسرائيـل . . وهـذا مـا لا سيطرة لـلأمريكـان عليه ، أو بـالأحرى لا خـطر فيه عـلى الأمريكان . .

يقول تحت عنوان :

« البحث عن قائد حقيقي في مصر ١٩٥١ ـ ١٩٥٢ »

وكتب تحتها : « ابحث عن لاعب حقيقي وليس مخلب قط »

هذا هو عنوان الفصل الذي يتحدث فيه عن عمليتهم في مصر هكذا بوضوح وصراحة . . ولكن البعض لا يؤمن حتى يدخل الأصبع في جرحهم هم .

يقول :

« الكثير من موظفي الخارجية الأمريكية ، كانوا ما زالوا على اعتقادهم بأن الانتخابات الحرة يمكن أن تأتي بقيادات صالحة ، حتى في العالم العربي الأكثر فساداً في كل الشرق الأوسط ، ولكن « دين اتشيسون » وزير الخارجية نفسه ، لم يكن متأكداً من ذلك ، فرغم أنه في العلن كان يتحدث بالأسلوب الدبلوماسي التقليدي ، إلا أنه في السر كان يؤمن بأن استخدام وسائل غير تقليدية لمساعدة القوى الطبيعية ، مسألة تستحق التجربة ، وعليه استعار من المخابرات المركزية الحديثة التشكيل وقتها ، كيرميت روزفلت ، لرئاسة لجنة سرية عالية المستوى من المتخصصين ، بعضهم من وزارة الخارجية وبعضهم من وزارة

الدفاع ، والبعض جيء بهم كمستشارين من رجال الأعمال المعنيين ، ومن الجامعات ، ولا أحد من المخابرات إلا « كيرميت روزفلت » . ومهمة اللجنة دراسة العالم العربي ، وبالذات الخلاف العربي - الإسرائيلي لتحديد المشاكل وتحديد الأولويات ووضع الحلول . . أي حلول ، سواء اتفقت أو تعارضت مع قواعد السلوك المفترض للحكومات . وخلال شهر أو أكثر طرحت عدة أفكار ، كلها غير تقليدية ، البعض اقترح فكرة إبراز زعيم إسلامي لتعبئة حركة دينية ضد الشيوعية ، ومضى إلى حد اختيار زعيم ديني عراقي لإرساله في رحلة في العالم العربي ، والفكرة في حد ذاتها لم تسبب أضراراً ، وتنفيذها علم اللجنة الكثير . . »

« في مطلع ١٩٥٢ أعدت لجنة الخبراء تقرير حال كاملاً عن لعبة الأمم في الشرق الأوسط ، وأصبحنا مستعدين لعملية كبيرة . وكان الضغط الدولي كبيراً بحيث رأينا أنه لا يمكن تأجيل العمل أكثر من ذلك . »

« وفي النهاية استقر رأينا على أن « مصر » هي نقطة الانطلاق . فقد كانت مصر بلداً تستحق الأولوية في حد ذاتها ولنفوذها على الدول العربية الأخرى مما يجعل أي تحول فيها للأحسن (الأحسن من وجهة نظرهم هو عين السوء لنا . ج) سيكون له صداه في العالم العربي .

« وكان في رأينا أن العملية ليست أكثر من « زقة » ليس فقط لطبيعة الأهالي وسياساتهم بل لأنه كان لنا بعض « المدبرين » الذين ثبتت خبرتهم ، ولهم معرفة جيدة بالبلد بما فيهم « كيرميت روزفلت » نفسه . »

نحب أن نشير هنا إلى نقطة أشار إليها كوبلاند وهي قوله إن رئيس المخابرات الأمريكية في مصر كان يتمتع بغطاء عنصري « Ethnic » وفسر ذلك بأنه يعني أن الشكل وجواز السفر واللغة تمكن ضابط المخابرات من الاختلاط بالمحيط العام . وهذا يعني أنه كان مصرياً أو على الأقل من جنسية شديدة التشابه مع المصريين . . ونحن نرجح الفرض الأول ، ونعتقد أنه أحد الأسماء التي لمعت جداً في عهد عبد الناصر . وخاصة أنه قال في موضع آخر إن هذا الشخص كان « أيضاً رجل عبد الناصر » مما يحصر شكوكنا في ثلاثة أشخاص !

« وكانت مهمة روزفلت بالتحديد عندما جاء للقاهرة يبحث عن الزعيم المنشود ، هي أن يحاول أولاً تنظيم « ثورة بيضاء » يكون فيها الملك فاروق نفسه مشرفاً على تصفية النظام القديم واستبدال الجديد به ، وبذلك تجهض القوى الثورية التي كان عملاء المخابرات الأمريكية قد اكتشفوها قبل سنتين ، والتي كانت التقارير تؤكد أنها على وشك الانفجار .

ثانياً : في حالة فشله في إجراء هذه الثورة السلمية ، فعليه أن يبحث حوله عن احتمالات أخرى . . رجل واجهة نوجهه من خلف الستار ، أو رجل قوي ، أو خليط من الاثنين » .

نتحفظ هنا على المهمة ، فصحيح ظل « كيرميت روزفلت » « يحرك ويفرك » في ما سُمي

بالثورة السلمية ، ولكن في اعتقادي أنها كانت مناورة على فاروق ، لتخديره ، وطمأنته من ناحية الأمريكان ، وليسمح لهم بالتغلغل في أجهزته ، حتى يمكنهم التجنيد بداخلها ، وإبعاد العناصر التي لا أمل في تعاونها . . وتعود هذه الأجهزة على تلقي الأوامر منهم ، ومن ثم يمكن شلها في اللحظة الحاسمة ولحساب الانقلاب الحقيقي . .

يقول :

« كيرميت روزفلت حفيد الرئيس تيودور روزفلت وابن عم آرش روزفلت وكان يتمتع بشهرة عن شجاعته البدنية ، وهي تثير إعجاب سكان الشرق الأوسط إلى جانب صلاته الوثيقة مع كل القيادات الثورية والتقليدية في الدول العربية وإيران . . وقد انضم صراحة للسي آي ايه (المخابرات الأمريكية وتكتب هكذا CIA ج) ليجد أن المغامرات فيها مقيدة ونادرة . ولذلك عندما أصبح صديقه القديم الجنرال « بيدل سمث » مديراً للمخابرات فقد رتب انتدابه في الجهاز الخاص لوزير الخارجية دلاس ، لتنفيذ مهام من طراز الروايات والأفلام* كانت آخرها عملية آجاكس في أغسطس ١٩٥٣ ، عندما نظم وحده تقريباً الإطاحة بمصدق ، وإعادة الشاه الذي كان قد هرب إلى روما . وكانت الثورة السلمية في مصر ١٩٥١ - ١٩٥٢ هي أول مهمة لروزفلت . وكان الملك فاروق قد ازداد إعجابه بروزفلت خلال الحرب العالمية (الثانية ج) في الفترة التي كان البريطانيون يضغطون فيها عليه تحت فوهة المسدس حقيقة لا مجازاً ، لكي يبعد العناصر المؤيدة للمحور من حكومته ويستبدل بها عناصر من اختيار الانجليز . وبينما كان فاروق يغلي في قصره عاجزاً ، زاره روزفلت يومياً ، تقريباً لتسليته ، ووعده بأن تعقد مع مصر ، بعد انتهاء الحرب ، صفقة جديدة وتصبح مصر مستقلة فعلاً ويصبح هو أول حاكم لمصر المستقلة خلال ألفي سنة » . . (قالوا نفس الكلام مع تغيير بسيط : « أول حاكم مصري من ألفي سنة » . . وكلا القولين فاسد كاذب لا أساس له من التاريخ ج) .

« وكان فاروق يحب هذا النوع من الكلام . وأحب روزفلت إلى حد استقباله بحماسة عندما رجع كيرميت إلى مصر عام ١٩٥٢ . . ومن الناحية الأخرى لم يكن فاروق هو الشخص الذي يبحث عنه روزفلت ، فصحيح أنه لم يكن غبياً ، إلا أنه كان يفتقد التركيز ، في اجتماع كان يبدي إدراكاً واعياً لما يجري في بلده . وبالذات لما يؤثر على نظامه . ويوافق على علاجات روزفلت بكفاءة رجل أعمال في بتسبرج . وفي اليوم التالي يختفي في واحدة من مغامراته الجنسية . وينسى أن ينفذ بعض الإجراءات التي وافق على ضرورتها لتحقيق خطة روزفلت ، وفي الأسبوع الثاني ، وبفعل أي عامل وقتي ، يتخذ قراراً يفسد الخطة » .

---

* ولم لا . . وهو خلال ١٣ شهراً أزال عرشاً وأقام عرشاً !

« أقام روزفلت في مصر خلال شهري يناير وفبراير ١٩٥٢ وخلالها قام فاروق بالتالي :

« ١ ـ تماشى مع مشروع روزفلت الذي يقضي بأن يدبر أقوى رجلين في الوزارة : مرتضى المراغي وزكي عبد المتعال أزمة تجبر رئيس الوزارة على الاستقالة . وفي نفس الوقت يكلف بوليسه السري بجمع أدلة تثبت أن الوزيرين عميلان للمخابرات الأمريكية؟

٢ ـ وافق على تعيين نجيب الهلالي وهو رجل يتمتع باحترام لكفاءته ونزاهته كرئيس وزراء . وقد دعاه إلى الوزارة بطريقة لا يمكن أن تسمح له بقبولها ، وليس إلا بعد أن رجاه روزفلت على انفراد باسم الثورة السلمية مشيراً إلى أن الثورة لن تبقى بيضاء إذا ما استمر الملك في عناده .

٣ ـ وافق على أن يقوم الهلالي بتطهير الحكومة ويخرج كل الموظفين الفاسدين ، ويحل محلهم موظفين من اختياره » .

وطبعاً نذكر شعار « التطهير قبل التحرير » و « محاربة الفساد » وكلها كانت شعارات هزلية على لسان الهلالي باشا وفي نظام فاروق ، ولكن نفس الشعارات ستستخدم في ظل ٢٣ يوليو ، وسينسى الناس أنها الاستمرار لخطة الثورة البيضاء ! . .

« في مايو؟ ١٩٥٢ نفض روزفلت يديه يائساً ، ووافق مع السفير الأمريكي في القاهرة « جيفرسون كافري » أن الجيش وحده هو الذي يستطيع وقف تدهور الوضع وإقامة حكومة يستطيع الغرب أن يتفاهم معها » . . (أين الذين يثرثرون عن مفاجأة السفارة بالانقلاب والرجل ذكر علم السفير وبالاسم ؟! ج)

« كافري الذي كان أقدم سفير في الجهاز الدبلوماسي الأمريكي ، كان يعرف مصر جيداً ، وكان يعتمد على اثنين : الليوتنانت كولونيل : « دافيد ايفانز » مساعد الملحق العسكري ، ووليم ليكلاند الضابط السياسي . »

« كان روزفلت نافراً من الانقلابات العسكرية ، بعدما شاهده من آثارها على سوريا ، ولكنه وافق على اللقاء بالضباط الذين رصدتهم المخابرات الأمريكية على أنهم قادة التنظيم السري الذي عرف أنه يدبر انقلاباً . . وهذا ما فعله روزفلت في مارس ١٩٥٢ . . أي أربعة شهور قبل انقلاب ناصر . وناصر الذي كان قد عرف باستكشاف المخابرات الأمريكية لتنظيمه كان مستعداً للقاء . ورتب وضع عدد من ضباطه في طريق روزفلت ، هؤلاء الضباط الذين كانوا بعيدين عن مركز الحركة بما يتيح الاستغناء عنهم ، ولكن في نفس الوقت يمكن الاعتماد على قدرتهم على الكلام المناسب ، وحفظ الأسرار الأساسية لتنظيم

الضباط الأحرار . . وقد تمت ثلاثة اجتماعات من هذا النوع . . وفي الاجتماع الثالث حضر واحد من أقرب معاوني ناصر وأكثرهم تمتعاً بثقته :* « One of Nasser's most trust lieutenants » « إن الاتفاق الكبير الذي تم بين روزفلت وهذا الضابط الذي كان يتحدث باسم عبد الناصر يستحق الذكر حقاً . . ففي ثلاث قضايا عامة تم الاتفاق في الحال :. الأولى هي أن الجماهير لا تثور بسبب سوء الحالة الاقتصادية ، وكان روزفلت قد دخل في جدل طويل مع وزارة الخارجية الأمريكية حول هذه النقطة إلى حد أنه وزع عليهم نسخاً من كتاب : « كران بريتون » الذي عنوانه : « تشريح ثورة » ليدعم رأيه بأنه ما من ثورة في التاريخ لها أسباب اقتصادية في جذورها . وبالتالي فإن حكومتنا لا تستطيع التخلص من زعيم لا تحبه بمنع القمح عن شعبه . ناصر كان يعرف في هذا الوقت ما ستثبته خبرته الشخصية فيما بعد ، وهو أنه مهما منعت الولايات المتحدة المساعدات الاقتصادية بهدف إضعاف مركزه ، فإنه يخرج أقوى من قبل ، وشعبه يحمل الحكومة الأمريكية مسئولية تجويعه وليس ناصر » .

« النقطة الثانية هي أن الجماهير المصرية لا يحتمل أن تثور لأي سبب . كانت هناك حركتان ثوريتان : الإخوان والحزب الشيوعي ، تعتقدان أن الشعب المصري بما فيه الفلاحون والعمال والأفندية في المدن وحتى المهنيين اقتربوا من درجة الغليان ، ويمكن دفعهم تحت النداء المناسب للثورة ، ناصر لم ير هذا الرأي ، وقد طرحت هذه النقطة بين روزفلت وممثلي عبد الناصر عندما قال أحد هؤلاء الممثلين « إن من سيحكم مصر سيواجه مشكلة تلبية المطالب العديدة للشعب المصري » . . وهنا قال رئيس المجموعة التي تنطق باسم ناصر ، أول جملة كاملة في تلك الليلة : « بالعكس . . إن مشكلتنا هي أن الشعب لا يريد كفاية » ثم استمر : « إن معظم المصريين عاشوا آلاف السنين على الكفاف ، ويمكن أن يعيشوا ألف سنة أخرى على هذا الحال » إنهم غير مهيئين للثورة ، ولا مهيئين للاستفادة القصوى من حياتهم بعد الثورة . ولذا بعد الثورة سنحاول جهدنا دفعهم لذلك ، ولكن ليس لدينا وقت لتحقيق ذلك قبل الثورة » . وهكذا لم يكن هناك مجال للحديث عن ثورة ديمقراطية أو شعبية؟[102] . وكان مفهوماً من اللحظة الأولى أن الجيش المصري سيسيطر على البلاد ، ويختار الوقت والظروف التي تضمن تأييداً سياسياً وشعبياً في المدن ، أما بقية البلد فسيجري كسبها فيما بعد . . »

---

* ألا تؤيد ملفات هيكل هذه الرواية عندما تلمح إلى الاتصال غير المباشر . . وتأمل إذا قابل زعيم حزب سياسي موظفاً في السفارة البريطانية اعتبر ذلك خيانة.فماذا عن اجتماع ضابط في الجيش سراً مع الأمريكيين ؟!

« وأخيراً تم الاتفاق على أنه في مستقبل العلاقات بين الحكومة المصرية الجديدة ، وحكومة الولايات المتحدة ، فسيقتصر استخدام عبارات من طراز « إعادة المؤسسات الديمقراطية » أو « الحكومة القائمة على تمثيل حقيقي للشعب » ستقتصر على الوثائق المتاحة للعامة ، أما فيما بيننا فيقوم تفاهم مشترك على أن شروط قيام حكومة ديمقراطية غير متوافرة في مصر ، ولن تتوافر لعدة سنوات طويلة . . وأن مهمة الحكومة الجديدة هي توفير هذه الشروط وهي :

١ ـ شعب غير أمي .

٢ ـ طبقة وسطى كبيرة ومستقرة .

٣ ـ شعور من الشعب بأن هذه هي حكومتنا ، وليست مفروضة من الفرنسيين أو الترك أو الانجليز أو الطبقة العليا المصرية .

٤ ـ إرساء قيم ومثل حقيقية ، تضمن قيام ونمو مؤسسات ديمقراطية حقيقية وليس مجرد تقليد مستورد من الولايات المتحدة أو بريطانيا .

« وقد اتفق روزفلت وممثلو ناصر (الكلام ما يزال لمايلز كوبلاند) على أن الرأي العام الأمريكي والكونجرس وبعض الصحفيين وبعض موظفي الخارجية الأمريكية ، وغالباً ما يكون وزير الخارجية نفسه من بينهم ، سيبدأون على الفور في النباح بالشعارات القديمة ، وفي نفس الوقت تأكدوا أن أية محاولة سابقة لأوانها لتطبيق الديمقراطية ستضع البلاد مرة أخرى في الفوضى السابقة ، أي انتخابات بين مرشحين مدعومين من بريطانيا وأمريكا ضد مرشحين مدعومين من الروس (لعلنا نكتشف الأصل الفلسفي لحكاية حزب تابع للشرق وحزب تابع للمغرب ج) و٢٤ مليون فلاح من ٢٨ مليوناً ، ينتخبون وفقاً لتوجيهات الإقطاع بينما يتفجر سخط المدينة في شكل اضطرابات ، وتصبح إثارة الشغب هي الوسيلة الوحيدة للحصول على نفوذ سياسي ، فينضم الشباب للإخوان أو الحزب الشيوعي كمخرج لنشاطهم المكبوت » .

« وهناك نقاط كان من الصعب الاتفاق عليها ، ولكنها شكلت ـ رغم ذلك ـ فهماً مشتركاً للدوافع التي ستكون خلف الانقلاب القادم » .

« وهناك نقطة أخرى جديرة بالاهتمام هي موقف ناصر من إسرائيل فالسياسيون والكتاب والمواطنون العاديون في أي بلد عربي ، وكذلك معظم الدبلوماسيين الغربيين الذين يزورون شتى البلاد العربية سيقولون لك إن استرداد فلسطين يأتي على قائمة الأولويات لأي بلد عربي ، حتى أن صحفياً في مستوى محرر « الديلي تلجراف » ظل لعدة سنوات يصر على أن هزيمة مصر ضد إسرائيل كانت عنصراً فعالاً في تفكير الذين دبروا « الثورة المصرية » . ولكن بعد خمس سنوات من حوار المعسكرات ، ومحادثات شخصية مع مئات الضباط قرر ناصر ومعاونوه العكس . لقد تبينوا أنه قد يكون من المفيد لخدمة هدف آخر ، الحديث عن تعبئة

موارد مصر لتصحيح ما حدث في فلسطين ، ولكن مثل هذا الحديث في ١٩٥٢ هو عمل طائش ومضر إذا ما استخدم لإثارة ثورة في مصر .

« وقد اعترف ناصر لروزفلت أنه هو وضباطه امتهنوا على يد الإسرائيليين ، ولكنه أكد أن غضبهم كان ضد : « ضباطنا الكبار » .. العرب .. الانجليز ثم الإسرائيليين على هذا الترتيب » °.

أظن أن هذه جرعة كبيرة تحتاج لوقفة طويلة جداً .

١ - في أواخر عام ١٩٥١ أو مطلع ١٩٥٢ استقر رأي لجنة الخبراء على تجربة الانقلاب في مصر وكلفت « كيرميت روزفلت » بهذه المهمة للصفات العديدة التي يتمتع بها . ومنها صلاته ومعرفته بمصر وملك مصر .

٢ - كان للمخابرات الأمريكية شبكة واسعة في مصر يرأسها شخص مصري أو يسهل اندماجه بين المصريين وهو في نفس الوقت ، رجل عبد الناصر !!

٣ - ظل كيرميت في مصر شهرين يدرس النظام القائم بحجة تدبير ثورة سلمية تحت رعاية الفاروق . واستطاع التغلغل في أجهزة الأمن وشلها أو بلبلتها ليلة الانقلاب .

٤ - اكتشفت المخابرات الأمريكية تنظيم الضباط الأحرار ، وهذا يعني بوضوح أنها لم تنشئه بل كان تنظيماً مصرياً وطنياً في مجموعه ، وإن ضم عناصر من شتى المخابرات المحلية والعالمية ، كما هو الحال في كل التنظيمات السرية .. وهذه نقطة على جانب كبير من الأهمية ، فالضباط الأحرار غير « إخوان الحرية » ، الضباط الأحرار وعلى كل المستويات ، تنظيم وطني مصري ، ضم عناصر وطنية ، لو خطر ببالهم أن بعض رفاقهم يجتمع بالأمريكان ، فضلاً عن مخابرات الأمريكان لاتخذ التاريخ مسارا مخالفا !

٥ - شعر جمال عبد الناصر ، أو أبلغ عن طريق وسطاء الخير ، باهتمام الأمريكان ، فوافق بذكائه السياسي النادر ، وشبقه للسلطة الأشد ندرة وتميزاً ، على مقابلتهم .. ومرة أخرى هذا يعني أن عبد الناصر لم يخترعه الأمريكان ولا فرضوه على التنظيم ، وإنما فرضوا انتصاره واستمراره في السنوات الأولى حتى استقر وانطلق معتمداً على تنظيماته .

٦ - تدرجت اللقاءات حتى وصلت إلى اجتماع على مستوى أكبر معاوني ناصر ، أو على الأقل الذي يتمتع بأكبر قدر من ثقته . وهي اجتماعات كانت واضحة وصريحة بين الضباط الأحرار ، أو مجموعة ناصر من جانب والمخابرات الأمريكية من الجانب الآخر للاتفاق على برنامج الانقلاب أو الثورة كما حلا لهم تسميته ..

٧ - كل اتفاق .. كل مفاوضات .. إنما تدور حول : ماذا تعطيني وماذا تريد مني .. ولا نظن أن استنتاج بنود الصفقة عسير علينا .. الضباط الأحرار يريدون دعم المخابرات الأمريكية لنجاح الانقلاب .. أما كيف ..؟ فهذه من النقاط التي حجبها المؤلف ، والتي لن يكشف عنها الستار أبداً ، لأنها سر المهنة الذي يستخدم في أكثر من بلد ، ولأنه يكشف

أسماء لا يريدون لها أن تكشف . . كذلك طلب الضباط الأحرار تقديم تأمين أمريكي ضد احتمال تدخل بريطانيا ودعم أمريكي بعد نجاح الثورة .

في مقابل ماذا ؟!

إما أن نخرج في مسيرة للسفارة الأمريكية نشكرها على اهتمامها بتحرير الشعب المصري ، أو نتساءل بجدية : ما الذي تعهد الضباط الناصريون بدفعه مقابل وضعهم في السلطة ؟

٨ ـ اتفق « المتآمرون » ـ يستحيل علينا من باب الذوق أن نصف كيرميت روزفلت بالثوري ، فهذا يسيء إليه طبعاً ولذلك لم نستطع أن نقول « الثوريون » ـ . على أن مصر غير ناضجة للديمقراطية وأنهم لن يهتموا بثرثرة المسئولين الرسميين الأمريكان عن ديكتاتورية الحكم ، فأمام الحكومة الثورية مهمة طويلة تستغرق الأجيال حتى تتوافر الظروف لقيام الديمقراطية ، مثل محو الأمية ، وخلق طبقة وسطى . . ولعل هذا يفسر حرص الثورة على عدم محو الأمية ، واهتمامها بضرب الطبقة الوسطى * !!

. . نكتة ! . .

٩ ـ فلسطين لم تكن قضية الثورة ، ولا شاغل الضباط رقم واحد ، وهذه قضية معقدة وأعترف أنني لم أستوعبها تماماً في الكتاب السابق ، فجاء تعليقي ساذجاً اعتذارياً رغم اقتناعي أن الناصرية ـ كما قلت ـ ليست إفرازاً للصراع المصري ـ الإسرائيلي غير أن ما نشر من وثائق عن تصريحات ومواقف ضباط الثورة من إسرائيل قد أكد أن هذه المجموعة كانت أقل فئات المجتمع المصري إحساساً بالخطر الإسرائيلي وعداوة لإسرائيل ، بل لا نذهب بعيداً إذا قلنا إن الملك فاروق كان أكثر إحساساً بخطر إسرائيل وأكثر تصلباً في رفض التعايش معها من محمد نجيب وعبد الناصر وسنرى ذلك بالوثائق فيما يلي من صفحات هذا الكتاب . على الأقل الملك شن حرباً ضد إسرائيل ، وهو الأمر الذي لم يفعله ناصر قط !

١٠ ـ هذا الجزء مكتوب بمكر شديد ، فهناك حوارٌ بين ناصر وكيرميت ، ولكن هناك أيضا إيحاء ولو بالسالب أن عبد الناصر لم يقابل كيرميت روزفلت ، وعلى أية حال هذه نقطة لا نركز عليها كثيراً ، كما أشرنا ، فمن المؤكد أن اجتماعاً واتفاقاً قد تم بين ناصر وكيرميت روزفلت سواء مباشرة أو عن طريق رجل عبد الناصر وموضع ثقته .

يقول :

« وعندما رجع كيرميت روزفلت من القاهرة قبل الانقلاب بشهرين (يعني مايو . ج) قدم تقريره إلى وزير الخارجية دين اتشيسون قال فيه :

١ ـ إن الثورة الشعبية التي تتحسبها وزارة الخارجية ، ويعمل لها الشيوعيون والإخوان ، ليست في الحسبان .

---

* بل إن دلاس صرح بأنه لابد من مرور فترة تتخذ فيها إجراءات سيئة . .

٢ ـ لا توجد وسيلة لمنع الجيش من القيام بانقلاب ، أحببنا ذلك أم كرهناه .

٣ ـ إن « الضباط » الذين ينتظر قيادتهم للانقلاب ، لديهم دوافع عادية ، بعكس الطموحات التي ينسبها إليهم المراقبون الدبلوماسيون . الأمر الذي يزيد من فرص انتصارهم ، بل ويجعلهم أيضاً مفاوضين معقولين بعد استيلائهم على السلطة . .

٤ ـ إن الحكومة الأمريكية ستقبل إبعاد فاروق وربما إنهاء الملكية كلها . وإن كان لا مانع طبعاً من صدور احتجاج رقيق لإراحة الضمير ! . . . To humor the pure in heart » وسيكون من المستحسن أن يبدي السفير كافري بعض الاهتمام بسلامة فاروق الشخصية . (وهذا يوضح أن نبل « كافري » كان بالاتفاق أو بالتعليمات ، وليس كما استنتج مؤلف حبال الرمال ج) .

٥ ـ بعد الانقلاب ستمتنع حكومتنا ـ ماعدا في الظاهر ـ عن حث القيادة على إجراء انتخابات أو إنشاء حكومة دستورية وما أشبه . وستقيم علاقتها مع الحكومة الجديدة في ضوء الاقتناع بأن المؤسسات الديمقراطية يجب أن تبنى من الصفر .

٦ ـ لا يجوز أن يستنتج أحد في حكومتنا من كل هذه الاجتماعات التآمرية التي تمت قبل الانقلاب ، أنه انقلابنا .

That for all these conspiratorial pre- coup meetings, no one in our Government must get the Idea that it is our coup

بل ستكون عملية داخلية Indigenous ، حرة « تقريباً » (الأقواس من عندنا) almost من نفوذنا . ويمكننا مساعدتها فقط بعدم معارضتها ، أما فيما يتعلق بالحاجة إلى عدو يوحد الجماهير فلن تكون إسرائيل هذا العدو ، بل الطبقات العليا المصرية ، وشئنا أو أبينا الانجليز أيضاً » .

« وكان لدى روزفلت الكثير ليقوله عن نوعية القائد المنشود أو بالأحرى الذي سيبرز من الانقلاب ، شئنا أو أبينا . فقال إنه يوافق مبدئياً على الحاجة إلى زعيم محبوب . ولكن ظروف مصر الخاصة في هذه اللحظة تفرض قائداً أقل جاذبية مما قدرنا ، إلا أنه قادر على السيطرة ، بل سحر مجموعة صغيرة من الرجال . وهي المجموعة التي قابل روزفلت ممثليها .

ثانياً : سواء نجح هذا الشخص في أن يكون زعيماً شعبياً ، أو ظل مجرد قائد الحلقة ، تقود بدورها البلاد ، فإن صفات هذا القائد لا يمكن أن تتفق والمقاييس الغربية لرجال الدولة . وإذا لم نكن نعرف كيف نتعامل مع هذا الطراز ، فيجب أن نتعلم . وإذا لم ينتصر الشخص الذي نراهن عليه فسيكون هناك شخص آخر من نوعه ، وآخرون في البلاد الأخرى التي تمر بنفس الظروف » . .

وقال إن كيرميت روزفلت « حاول ـ وهو أمر طبيعي ـ أن يسجل أقل المعلومات

والتفاصيل الممكنة في تقاريره المكتوبة لوزارة الخارجية الأمريكية ، لكي لا « يرعب » لجان التحقيق التي قد يشكلها الكونجرس في المستقبل » .

وهذا ما أشرنا إليه في قدرتهم على إخفاء المستندات وإن تشدقوا فترة بحرية المعلومات ، وحق الكونجرس في أن يعلم كل شيء .

ويضيف :

« ولذلك لم تكن هذه التقارير توضيحاً صريحاً لمحاولات العثور على قائد متعطش للسلطة ويتمتع بكفاءة قيادية بونابرتية ، ولديه القدرة على توحيد شعبه حول الخوف . ولكن تقارير كيرميت الشفوية كانت أكثر صراحة . فقد أخبر رؤساءه أن أي شخص متعطش للسلطة ، لن ينتظر حتى يدعوه متآمر أمريكي لهذه السلطة ، أما عن الصفتين الأخريين المطلوبتين ، فليستا من النوع الذي يظهر على السطح في اختبار كشف الهيئة . . ولكن المحصلة التي خرج بها من اجتماعاته في القاهرة هي أن : « شخصاً ما في مصر ، مرتبطاً بالضباط الذين قابلهم ، لديه فكرة متقدمة جداً لما يتطلبه الاستيلاء على السلطة في مصر والاحتفاظ بها ، وأن هذا « الشخص » سيفعل ذلك ، وأن كل ما نأمله هو أن ملاحظات روزفلت قد وصلت لهذا الشخص ، وأن تفاهماً مشتركاً يمكن تنظيمه عندما يحين الوقت ، ولاشك أن هذا « الشخص » سيفهم ماذا نريد ، وما الثمن الذي سندفعه في المقابل . . وبناء على ما تجمع لدى روزفلت من هؤلاء الضباط الذين قابلهم فإن عرضنا قد قبل عن طيب خاطر[6] eminently » . .

وتم الانقلاب

« كان كل شيء على ما يرام . . لم تصدر تصريحات عنيفة من الطراز الذي تعودناه من الانقلابات السورية ، بل كان التركيز على القضايا التي تهم أية قيادة ناضجة : محاربة الفساد ، بناء حكومة أكثر كفاءة . . إصلاح الأحزاب السياسية ، ولا شيء عن إسرائيل :[7]
« Nothing was said about Israel »

وعندما نطابق ذلك مع ما حدث فعلاً ، فإن من حقنا أن نشك في النظريات التي طرحت بعد ذلك ، عن أهمية التنمية قبل حرب التحرير ضد إسرائيل . . والتكنولوجيا قبل الحرب . . الخ . . الأمر أبسط من ذلك ، إنه اتفاق . . عقد ، وموقف . . اتخذ بناء على طلب « المنتج » الأمريكي ! . . تجميع الشعب على كراهية الأغنياء المصريين بدلاً من إسرائيل . . وإن كانت إسرائيل بعدوانها لن تتيح الفرصة أبداً لكي ينساها الشعب أو تتجاهلها « الثورة » !

يقول كوبلاند : و « قد تمادى « محمد نجيب » في حديثه فقال : إنه غير مهتم بفلسطين ، ولكنه عاد فاتصل بالسفير كافري بعد بضع ساعات ، وطلب سحب التصريح ، واستبدل به

آخر أقل رواجاً في السوق الأمريكية ، ولكنه أكثر التقاء مع ناصر وما كنا نعرف أنه ضروري لكسب الحكومة الجديدة القبول الشعبي »* .

« كان كل شيء يدل على أننا قد ضممنا إلى الفريق ، لاعباً جديداً تنطبق عليه المواصفات التي نريدها » « كانت واشنطون الرسمية سعيدة » . official washington was Delighted

وبعض الماعز عندنا لا تزال سعيدة ، فخورة بالثورة التي فاجأت الاستعمار وقلبت خططه ، وسودت ليله ونهاره ؟! هل يمكن أن تشترك في السعادة من حدث تاريخي واحد كل من واشنطون الرسمية والقاهرة الشعبية في ذلك الوقت على الأقل . . ؟!

ويقول : « ولو أن كيرميت أخذ عبد الناصر بقوله إنه ليس قائد الحركة الثورية ، إلا أن أعضاء السفارة في القاهرة ، وبالذات « وليم ليكلاند » الضابط السياسي بالسفارة اكتشف على الفور أن نجيب ليس إلا الواجهة لعبد الناصر . وقد أصبح ليكلاند صديقاً للضباط الأحرار من جماعة ناصر من خلال « محمد حسنين هيكل »** الذي أصبح فيما بعد أقرب أصدقاء ناصر ومحل ثقته ولكنه وقتها كان مجرد محرر يعمل في صحيفة يملكها صديق ناصر « مصطفى أمين »[١١] . ومن خلال هيكل قابل « ليكلاند » عدداً كبيراً من قيادات الضباط الأحرار بما فيهم ناصر . وخلال الشهور التي تلت الانقلاب كان يرحب بهم باستمرار في شقته المطلة على النيل . وبينما الشعب المصري في الخارج يهتف لنجيب ، كانت السفارة عبر « ليكلاند » قد بدأت تتعامل مع ناصر باعتباره الرجل الوحيد الذي يملك القرار » « واستمر السفير يقابل نجيب أحياناً في زيارات رسمية أو لتسليمه رسائل من واشنطون ، وخاصة إذا كانت من النوع الذي لا يهتم السفير بضياعه ! . . أما العمل الحقيقي بين الحكومتين الأمريكية والمصرية فكان يتم بين ليكلاند وناصر ، أو بالاحرى بين « ليكلاند وهيكل وناصر »[١٢] .

« بعد الانقلاب تجنب روزفلت وأعضاء لجنته الخاصة ، أي اتصال مباشر مع ناصر ، وكانوا سعداء بمراقبة التطورات في مصر من بعيد ، وكان هذا من ناحية لتجنب شبهة المؤامرة معه . ومن ناحية أخرى ، لأن الأمور كانت تجري في الاتجاه الذي خطط له . وليس إلا بعد وصول ايزنهاور للسلطة (١٩٥٣) حتى أننا قررنا أن نكرس اهتماماً مباشراً لتقدم ثورة ناصر . كانت رغبة شخصية من ايزنهاور ، أن نقوم بدراسة هذا اللاعب الجديد بدقة . أولاً

---

* ملفات الخارجية الأمريكية التي نشرت بعد كتاب كوبلاند بـ ٨ سنوات وبعد كتابنا بسنتين أكدت هذه المعلومات عن موقف محمد نجيب وسيرى القارىء ذلك .

** ليكلاند تعرف أو صادق ضباط الثورة من خلال هيكل . . هل عرفت الآن ، لماذا يتظاهر هيكل بالغفلة وينكر معرفته إذا كان ليكلاند بدأ رجل مخابرات أم جندوه على كبر ؟! . .

لنتأكد أنه يمضي كما توقعنا . وهكذا فعشية زيارة جون فوستر دلاس للشرق الأوسط قرر دلاس (. . أيهما ؟ ج) : « لقد حان الوقت لنرى : « الأولاد دول حيطلع منهم إيه » . وهكذا أمر روزفلت بإرسال : « رجل عسكري للقاهرة ليقومهم (من التقييم ج) واختار روزفلت « ستيف ميد » رجل الانقلاب السوري » .

ويبدو أن مجموعة مايلز كوبلاند لم يسعدها التدخل في شئونهم . أو التفتيش على شغلهم ، وربما دسوا للرجل عند عبد الناصر ، على أية حال كوبلاند يدعي أن « وصول ميد » أثار عبد الناصر ، إذ اعتبره دليلاً على أن وزير الخارجية دلاس يعتقد أن ثورته لا تختلف عن انقلابات أمريكا الجنوبية » .

ومع ذلك فإن دراسات ميد مثيرة والحوار « النظري » في دوائر المخابرات الأمريكية يفوق في ثوريته مناقشات هيئة التحرير في ذلك الوقت ، كما يبدو أثره واضحاً في مناقشات التنظيم الطليعي فيما بعد !!

« قال كيم روزفلت لدلاس : « لا يمكن أن تحقق ثورة بدون ثوريين » !!

أما نظرية ميد فهي : « إن سوريا لا يستقر بها انقلاب بسبب كثرة الانقلابيين . أما مصر فلم تكن ثورة ، ولا انبثقت من ثوريين ، بل نتيجة تخطيط وتنظيم عبد الناصر ولذلك سيعيش انقلابها ، وهؤلاء الفتية (أعضاء مجلس الثورة) يعتبرون أنفسهم عصابة « روبن هود » كتب « ميد » ذلك إلى روزفلت وأضاف إنه « يسعدهم أن يوصفوا بأبطال الثورة ولكن لم أجد فيهم واحداً يستطيع أن يصف لي ماهي الثورة ، إنهم غير مهتمين بالسياسة لحسن حظ ناصر ، وحسن حظنا جميعاً . . فهم يطلبون ويحتاجون لشخص يخبرهم كيف يفكرون وماذا يفعلون . . ولن تكون هناك مشكلة في التخلص منهم » .

وهذا صحيح تماماً . . ويفسر كيف تلاعب أصحاب الحظ الحسن بالدراويش من طراز بغدادي وكمال الدين حسين وأمثالهما من الذين لم تكن لهم خلفية سياسية ، وكيف « جُن » صلاح سالم فور أن تعلم السياسة ، وكيف قال ناصر بصريح العبارة الخالد : « لا مكان لك في مصر » لأنه كان يعرف « شوية » سياسة مع الكثير من السذاجة !

قال « ميد » في « فلسفة الثورة » غير المنشورة :

« إن انقلاب ناصر لم يسقط النظام بل أقامه ، فالعمل السري قبل الانقلاب لم يكن يستهدف بناء قوة ثورية تستولي على السلطة ، بل إلى وضع رجاله في مراكز السلطة حتى يمكنهم أن يصدروا الأوامر عبر التسلسل الوظائفي المشروع . وكانت المشكلة هي في ايجاد مركز له يعادل دوره في التنظيم السري ، ولكن محمد نجيب ، حل هذه المشكلة (برتبته العالية ج) وإن كان قد سبب نتائج عكسية » .

« قال ناصر للجنرال كابل نائب مدير المخابرات الأمريكية إنه اختار الاعتماد على الضبط والربط في الجيش في تنفيذ الحركة » .

«ميد الذي حاول إقناع حسني الزعيم بخلق تركيبة مرتبطة بانقلابه اعتبر ما فعله عبد الناصر يجب أن يكون دليل عمل لأي محاولة أخرى . . وهو كيف تدبر انقلاباً وكيف تدعمه بعد النجاح » .

« إن ناصر كان يعلم أن الانقلاب سيعتمد على الجيش ، وعلى قبول البلاد للجيش ، وكان يعلم أن كل أشباه المثقفين ، والسياسيين المتطرفين والمتعصبين من كل نوع سيصفقون للثورة ، ويعتبرونها فرصة لفرض « إصلاحاتهم » وإذا سمح لهم فسيتظاهرون ويعطون انطباعاً بحيوية زائدة ، بل حتى ادعاء تمثيل قطاعات من الشعب . إلا أن كبح إغراء ضمهم للثورة كان ضرورياً ، فكل قيمتهم هي في الشغب الذي يثيرونه . إن العامل المشترك في رجال الثورة ، أنهم لا ثوريون [13] . . فقد كانوا ينظرون إلى ناصر باعتباره الرجل القادر على بناء جيش قوي واعادة الضبط والربط إلى صفوفه . أي تحقيق الصورة التي كانت في أذهانهم عندما انضموا للجيش » .

« إن رجال تنظيم الضباط الأحرار يعادون المثقفين[14] ، والفوضى ، والتسيب ، وضد التحرر الاجتماعي ، والانفتاح الجنسي وغيرها من مظاهر مصر الملكية » .

« أهم عنصر ـ في رأي ميد ـ في مناعة النظام الناصري ، هو اقتناع ناصر بأن تدعيم مركزه يجب أن تكون له الأولوية على أي هدف آخر . وهذا التصميم جعل عبد الناصر يأخذ خطوات حيرت المراقبين الغربيين ، على سبيل المثال ، لقد سمح باستمرار وضع أدى إلى أضرار بالغة ، بعلاقات مصر مع السودان ، لمجرد أن ذلك يمكنه من إدانة أحد معاونيه الذي كان قد أصبح قوياً لدرجة خطيرة (هذه نقطة مهمة جداً يجب أن نرجع إليها في فصل السودان وما اكتشفه صلاح سالم من أنهم يعملون على فصل السودان . ج) ولكن « ميد » دافع عن ذلك بأنه سلوك ضروري ، ويجب ألا نتزعج من حدوثه » .

« أما رأي ناصر عن « القيادة » أو « النخبة الطبيعية » فقد وصل إلى حكومتنا ليس عن طريق « ميد » بل عبر قناة « هيكل ـ ليكلاند » . وقال عبد الناصر للسفير الأمريكي : « إن إعطاء الشعب المصري الحرية قبل الأوان ، يعادل إلقاء أولادك في الشارع » .

« كان يعتقد أنه يحتاج إلى حرية مطلقة في التصرف دون مبالاة بالرأي العام » .

« وهذه الآراء لم تزعج « ستيف ميد » خبير استمرارية الانقلابات ، ولكنها أزعجت كيرميت روزفلت ، وعندما أبلغه « ميد » أن « ناصر » يعيد تنظيم القيادة لكي يقيم ديكتاتورية فاشية عسكرية ، عمل روزفلت على إرسال « جيمس ايكلبرجر »[15] أحد علماء السياسة في وزارة الخارجية والذي كتب دراسات ممتازة عن النظم العسكرية في الدول المتخلفة . وكان روزفلت قد اقترح مساعدات اقتصادية ضخمة لمصر ، وعلى وشك أن

يطلب مساعدات عسكرية . وكان يعتقد أن الدراسة التي سيقدمها « ايكلبرجر » ستمكنه من إقناع الوزير دلاس بسياسات عبد الناصر ، وإذا لم يكن بوسعه الدفاع عن هذه السياسة فيحاول إقناع عبد الناصر بتغييرها » .

« وقد عين كافري ايكلبرجر للعمل معه مباشرة بعيداً عن جهاز السفارة ، ونظم إمداده بمعلومات الخارجية والمخابرات . وكان على ايكلبرجر أن يقدم تقرير موقف وتوصيات ، أما القرار الأخير فكان لكافري . وقد أجرى ايكلبرجر مناقشات طويلة مع أعوان ناصر من العسكريين والمدنيين ، وبالذات محمد حسنين هيكل المخبر الصحفي الذي كان خلف كتاب عبد الناصر : « فلسفة الثورة » . . ومع ناصر نفسه » .

ومن محصلة هذه الاتصالات والاستجوابات والفحوصات ـ يقول لنا مايلز كوبلاند ـ تم إعداد عدة دراسات ترجم بعضها للعربية ، وأرسل إلى عبد الناصر كأهم المشاكل التي تواجه الحكومة الجديدة وأساليب معالجتها ، وأهم هذه الدراسات ، واحدة بعنوان « مشاكل السلطة لحكومة ثورية »[١٦] (وقد وضعها كوبلاند في ملاحق كتابه ومن شاء الرجوع إليها « للإستفادة » فليفعل ج) وقال : « وترجمت للعربية ، وعلق عليها ، عدد من معاوني ناصر ، ثم ترجمت مرة أخرى للانجليزية ليضيف إليها ايكلبرجر وينقح ، وهكذا من الانجليزية للعربية وبالعكس حتى ظهرت النسخة الأخيرة منسوبة لزكريا محيي الدين ، وتقبلها العالم بما في ذلك السي آي ايه على هذا الأساس » !!

وقال كوبلاند :

« ولنتذكر أن جوهر القضية في دعمنا لناصر هو أن يصبح لنا في السلطة في واحدة من أهم الدول العربية ، القائد الذي تتوافر له السلطة الكافية لفرض قرار غير محبوب مثل توقيع السلام مع إسرائيل . ولذا فإن أول خطوة في برنامجنا وبرنامج ناصر هي فرض سلطته هذه ، ولو بالقوة »[١٧] .

وعندما اعتذر ناصر لجونسون المبعوث الشخصي للرئيس الأمريكي عن عدم استطاعته إقناع شعبه بقبول مشروعات جونسون لاقتسام مياه الأردن مع إسرائيل ، فسأله جونسون كيف يكون قائداً صالحاً إذا كان ينافق شعبه ؟! رد عبد الناصر : « إن أولى مهمات القائد هي أن يبقى قائداً ، فإذا تمكن من ذلك يستطيع وقتها أن يدبر كيف يكون صالحاً . . وأنا أعرف أن الغوغاء في بلادي إذا تركوا لغرائزهم فسيضرون أنفسهم . . ولكن هذا لا يعني أنني استطيع تجاهل عواطفهم دائماً » .

وفسر كوبلاند ذلك بأن سياسة عبد الناصر ، هي اللعب بشعارات الجماهير العاجلة التي لا تمثل مصالحها الحقيقية لكسب الوقت حتى ينمو فيهم الوعي بمصالحهم الحقيقية ، على أن يتم ذلك بالتناسق مع امتلاك الوسائل لتحقيق هذه المصالح » .

وإذا كان التعاون التنفيذي بين المخابرات الأمريكية ورجال عبد الناصر ، قبل الانقلاب ويوم الانقلاب لا يزال من الأسرار ، وربما يبقى كذلك ، خاصة إذا لم نعرف من هذا الشخص العجيب الذي كان رئيساً « لمحطة » المخابرات الأمريكية في مصر « والذي كان في نفس الوقت رجل عبد الناصر » . إلا أن المعلومات أكثر عن التعاون الوثيق بين الأمريكان ونظام عبد الناصر بعد ٢٣ يوليو ، وفي الميدان الذي يعتبر من أخص خصائص السيادة ، والذي يستحيل تصور وقوع التعاون فيه بين استعمار وثورة . . بل حتى بين دولتين تحرص واحدة منهما على سيادتها وأمنها واستقلال قرارها . . وأعني ميدان الأمن والمخابرات فضلاً عن الإعلام والعلاقات الأمريكية ـ المصرية . .

فإلى جانب الدراسات والمحاضرات والتعليمات التي يحفل كتاب كوبلاند بنماذج منها؟[١٨] . . توجد اعترافات ناصرية تؤيد هذا التعاون فبالإضافة إلى رواية حمروش التي نقلها عن فريد طولان والتي تقتصر على تقديم الأمريكان ، منذ اللحظة الأولى خبرتهم لتنظيم المخابرات ، وإنشاء المعهد الاستراتيجي في برج الجزيرة الذي دفعت المخابرات المركزية الأمريكية ثمن إنشائه (!) وكانت تدرس فيه محاضرات المخابرات المركزية الأمريكية عن طريق شركة بوز آلف هاملتون؟[١٩] لضباط المخابرات والمباحث وذلك حسب رواية فريد طولان مدير المعهد بالإضافة إلى هذه الشهادة بالجذور الأمريكية للمخابرات الناصرية ، ظهرت شهادات جديدة أكثر صراحة فقد اعترف بعض رجال المخابرات أنهم كانوا يدرسون في هذا المعهد على يد رجال المخابرات الأمريكية .

وإن « مايلز كوبلاند » كان يحضر أحياناً للتفتيش ! وكان يُرى دائماً متأبطاً ساعد « الألفة » حسن التهامي !

« كان النموذج الأمريكي هو المثال الذي تهتدي به أجهزة المباحث والمخابرات في ذلك الوقت . وقد تسربت أجهزة المخابرات الأمريكية إلى بعض ضباط هذه الإدارات ، كما حدث عندما ذهب البكباشي أحمد حلمي مدير قسم مكافحة الشيوعية بالمباحث العامة إلى أمريكا لعمل غير معروف دون استئذان أو إبلاغ الجهات المختصة ، إذ كان قد أبلغ أنه يقضي أجازته السنوية في قبرص وشوهد هناك مصادفة ، ولما علم « زكريا محيي الدين » بذلك أصدر قراراً بإحالته إلى الاستيداع ، حيث بقي لمدة عام ، وانتقل بعد ذلك إلى أجهزة البوليس العادية بغير محاكمة . حدث التسرب الأمريكي رغم أن وزارة الداخلية لم تحتفظ في المباحث العامة سوى بأربعة ضباط فقط من رجال البوليس السياسي السابقين ورغم أن العسكريين فرضوا إشرافهم على وزارة الداخلية منذ الأيام الأولى »[٨]

إن اخراج رجال السراي والانجليز من المباحث العامة ، وسيطرة العسكريين المتحالفين مع الأمريكان ، كان الشرط الضروري لتوافر المناخ الصالح للتسرب الأمريكي . وهذه غلطة قاتلة تسقط فيها هذه الانقلابات ، إذ أن الانفتاح والتعاون الصريح مع أجهزة

المخابرات الأمريكية أو الأجنبية يعطيها شعوراً كاذباً بالاطمئنان؟[٢٠] ، إن هذا الأجهزة لن تلعب من وراء ظهرها ، ولن تحاول تجنيد عناصر داخل أجهزتها المحلية ، وهذا وهم ، لأن المخابرات الأجنبية تنتهز هذا المناخ ، وهذا الانفتاح ، لزرع عناصرها ، وتدمير العناصر الوطنية المعارضة في أجهزة الأمن . . ولعل هذا يفسر لنا السهولة التي يتم بها الانقلاب الأكثر أمريكية فيما بعد ، أو حتى اغتيال رئيس الدولة أو اعتقاله من أقرب المقربين له أو من يظن أنه أخلص أعوانه . . إن فترة التعاون مع المخابرات الأمريكية ، قد أدت إلى تسرب لا يعلم أحد مداه ، من جانب هذه المخابرات داخل مؤسساتنا ، وخاصة أن الذي يقبض عليه متلبساً - إن صحت رواية حمروش - يعاقب بالاستيداع سنة ثم يعاد للخدمة معززاً مكرماً بلا محاكمة ، في وقت كان العمال يشنقون فيه لأنهم يطالبون « ثورتهم » بتحسين أحوالهم ، وكان من يضبط بتهمة إعطاء بعض الطعام لأسر المعتقلين من الإخوان يسجن ربع قرن !!*

ويقول حمروش : أرسلت الحكومة المصرية عدة بعثات تدريبية في أعمال البوليس والمخابرات مثل الصاغ حسين عرفه رئيس المباحث الجنائية العسكرية المعروفة بالبوليس الحربي الذي حصل على فرقة في معسكر كامب كوردون بولاية جورجيا . وهذا مثل وحيد لعشرات من الفرق » .

وحمروش حزين أو عاتب لأن « الثورة المحبوبة » استعانت بأسوأ العناصر ، من أعوان النظام المنهار بل النفايات التي كانت الحركة الوطنية قد عزلتهم تماماً مثل نجوم دار أخبار اليوم . . ومثل « حسين عرفة » الذي كان يتولى حراسة الملك فاروق في الكباريهات ، من خطر الضباط الأحرار . تولى بعد الثورة حماية هؤلاء الضباط من الشيوعيين ولكن بعد التدريب في أمريكا ويقول حمروش : « حاولت حركة الجيش أن تواصل لعبتها السياسية في التسرب داخل صفوف الشيوعيين ، كما فعلت ذلك مع الإخوان المسلمين ، فكلفت بذلك « حسين عرفة » رئيس المباحث الجنائية العسكرية » : « لعبت المخابرات المركزية (الأمريكية) دوراً كبيراً في إفساد العلاقة بين التنظيمات الشيوعية المعبرة عن آمال الفلاحين والطبقة العاملة وبين حركة الجيش التي فرضت نفسها بقوة السلاح ممثلة للطبقة الوسطى » .

الأمريكان وعبد الناصر يعدان بتكوين طبقة وسطى بعد عمر طويل ، والسيد حمروش يفتي بأن حركة الجيش هي حكم الطبقة الوسطى ؟!

ويستعرض حمروش نماذج شديدة النجاح في تغلغل رجال الثورة في الأحزاب السياسية وتمزيقها من الداخل ، وهو لا يريد أن يقول صراحة ، إن الفضل في ذلك لنفس القوى التي استطاعت استئصال التنظيمات الشيوعية ، لأن رجال الثورة كانوا بلا خبرة تقريباً ، فكيف يتمكنون من تمزيق أحزاب أعرق وأحفل بالخبرات ؟ بل إن التنظيم السري للإخوان كان

* قال بوب ودوارد في كتابه « المخبي » إن المخابرات الأمريكية تغلغلت في مصر على جميع المستويات .

أقوى وأكثر انضباطاً من تنظيم الضباط الأحرار ، مع فارق الدبابات والنصيحة الأمريكية . . والشيوعيون كانوا أخبر بفن التسلل . . حروش وأمثاله لا يريدون الإقرار بفضل المخابرات الأمريكية في التمكين لثورة يوليو . . وهذا من قلة الوفاء الذي انتقده « أمين هويدي » بحق ـ وإن كان هو لم يتسم بالوفاء على الوجه الأكمل ، وإلا لأشاد بالمساعدة « الأخوية » « النبيلة » التي قدمتها المخابرات الأمريكية حامية « الثورات » وقائدة معسكر الشعوب الحشاشة ! . .

وقد شهد « محمد حسنين هيكل » بواقعة مدرسة الكادر هذه التي أقيمت بإشراف وتدريس المخابرات الأمريكية ، وكانت النواة لجهاز المخابرات المصري ، تماماً ، كما حدث مع جهاز « السافاك » الإيراني إذ يقول « منصور رفيع زادة » رئيس مكتب السافاك في نيويورك وعضو الـ CIA في نفس الوقت : « في ١٩٥٧ أنشئت « السافاك » باتفاق من الـ CIA والمخابرات البريطانية والموساد (مخابرات إسرائيل) وتولى الموساد التدريب على الأعمال المكتبية وكانوا يتظاهرون بأنهم أساتذة أوروبيون أما الـ CIA فقد تولت كافة عمليات التدريب » وإن كان لا يفوته أن يقول إنه بعد التدريب لم تطأ قدم أجنبي مقر السافاك !! (ولزمته إيه الأجنبي مادام قد تم تدريب القرد ! . .) .

ويحدثنا هيكل عن الأربعة الذين تم تدريبهم على يد الأمريكيين ليقودوا مخابرات الثورة . . فيقول إنهم : « كمال رفعت » و « لطفي واكد » و « حسن التهامي » و « صلاح دسوقي » وأنهم ذهبوا إلى الولايات المتحدة لكي يحصلوا على تدريب مخابرات خاص بحيث يسهل عليهم التعامل مع أساليب الاتصال الجديدة » . « وكان ذلك باقتراح من كيرميت روزفلت وترشيح عبد الناصر » (ص ٣٢٨ ع) .

هل حدث أسوأ من ذلك أيام الحماية وملنر ؟!

ويبدي هيكل دهشته من أن « معظم هؤلاء بعد تجربتهم المباشرة مع النشاط الأمريكي في مصر تحولوا إلى أقصى اليسار بل أصبح من بينهم أبرز أقطاب اليسار في مرحلة لاحقة » .

سنترك هذه فهي ليست موضوع بحثنا ، ويكفي أن نندهش بدورنا هل كان يتوقع من « كادر » تدربه المخابرات الأمريكية للعمل في مصر الناصرية أن يعلن إيمانه بأمريكا ويؤيد غزوها لجواتيمالا ويبيع لبان تشكلتس ؟! هل هذه أصول الشغل ياكاتب « الثورة » العربية ـ الأمريكية ؟! . .

ويبدو أن عصابة الأربعة هذه مثل حكاية العميان والفيل ، ففي شتى الروايات يختلف الأربعة . . إبراهيم بغدادي أحصاهم : هو وحسن التهامي وحسن بلبل وفريد طولان وعبد المجيد فريد كانوا يتلقون محاضرات من رجال المخابرات الأمريكية CIA في مدرسة المخابرات التي أقيمت بقصر الأميرة فايزة بمدينة الزهرية »[٩] وهناك رواية أخرى .

« وأثناء تطوير وإعادة التنظيم أمكن للزميل حسن التهامي عضو المخابرات والذي كان على علاقة بأحد رجال المخابرات الأمريكية واسمه مايلز كوبلاند أن يستدعي مجموعة خبراء أمريكا (كذا) في علم المخابرات . فقامت المخابرات المصرية بتجهيز منزل أمين لهم بالقرب من شارع الهرم وتكونت المجموعة المصرية من أربعة ضباط مخابرات فقط لعقد ندوات مع طاقم المخابرات الأمريكية في جميع أوجه التخصصات لمدة ثمانية أشهر . وكان المفروض أن يتلقى حسن التهامي المحاضرات معهم ولكنه كان يحضر من وقت لآخر بمصاحبة مايلز كوبلاند وهو المؤلف المشهور لكتاب « لعبة الأمم » .

وكانت هذه المجموعة التي تدربت على يد خبراء المخابرات الأمريكية التي اقترحت « تنظيماً عرضوه على زكريا محيي الدين في ١٩٥٣/١٢/٣ » وصدر القرار بإنشاء هذا التنظيم باسم المخابرات العامة في مارس ١٩٥٤ »[١٠]

○ ويفهم من هذه الروايات أن الدراسة بدأت مبكرا جداً في أوائل عام ١٩٥٣ على الأكثر .

○ ورغم أن الصياغة توحي بأنها دروس خصوصية نظمها « الألفة » حسن التهامي ، إلا أن رواية « هيكل » الأعلم تؤكد أن المشروع كان باقتراح من كيرميت وترشيح عبد الناصر ولا أظن أن التهامي كان يستطيع إحضار مدربين أمريكان من الـ CIA لتدريب رجال المخابرات للثورة بدون علم صاحب الثورة .

○ أن مايلز كوبلاند كان موجوداً مهماً ومشرفاً من وقت مبكر جداً . .

○ أن التهامي كان يتمتع بمركز خاص مثل أبطال الرياضة في المدارس مما يسمح له بالتزويغ من الحصص ! . .

○ أن أكثر من « أربعة » كانوا يدرسون على يد الأمريكان . . أربعة كمال رفعت وأربعة بغدادي وأربعة التهامي . . الخ . . وهذا هو المفروض والمتوقع في تشكيل مخابراتي أن لا يعلم العامل فيه إلا ما يتعلق به . .

○ يبدو أن التعاون مع الأمريكان وتقبل التتلمذ على الـ CIA كان على نطاق أكبر مما تصورنا في البداية . وهذا يتطلب إعادة النظر في تقييم تنظيم الضباط الأحرار .

وربما أحس « هيكل » بما وصلنا إليه فبادر يقول : « وبشكل ما ، فإن جمال عبد الناصر لم يكن مقتنعاً بما يجري »[١١]

لعن الله من جره إلى هذا ومن أجبره ومن أقنعه بقبول هذا الأسلوب وهذا السلوك الذي أدى إلى خراب مصر وضياع العرب وربما إلى خمسين عاماً قادمة !

يقول كوبلاند : « يجب أن نتذكر دائماً ، في تعاملنا مع عبد الناصر أن قاعدة القمع هي كل شيء بالنسبة له ، ولذا يجب ألا نندهش عندما نجده بعد كارثة أبشع هزيمة في التاريخ

العسكري الحديث ، قد جلس هو ومعاونوه يفكرون لا في إعادة بناء مصر ، بل في كيفية استعادة الثقة في الجيش . . »*

هذه هي رواية « مايلز كوبلاند » عن بداية انقلاب ٢٣ يوليو . . وعن الاتفاق الذي تم قبل ٢٣ يوليو ١٩٥٢ بين المخابرات الأمريكية ممثلة في « كيرميت روزفلت » منفذ الانقلاب على مصدق في إيران - فيما بعد - وبين رجال عبد الناصر . . ثم بعض الوقائع التي قدمها عن التعاون بقلب مفتوح بين عبد الناصر ورجاله والمخابرات الأمريكية بعد نجاح الانقلاب . . ولا شك أن هذا التعاون وعلى هذا المستوى هو دليل « المعرفة السابقة » إذ أن « الثورات » عندما تصل إلى السلطة بجهدها الذاتي ورغم أنف الاستعمار والرجعية ، لا تنفتح من اليوم الأول على هذا النحو مع أخطر جهاز استعماري . .

* الحقيقة أن هذه النقطة بالذات قد روعتني خلال أحداث الهزيمة والتنحي وما بعدها ، وقد كنت على مقربة من خط النار أقصد وقف إطلاق النار ، وعلى بعد كاف من القاهرة لكي أتامل (في بورسعيد) . . وأذهلني أنه وسط أنقاض وطن وتاريخ وأمة لم يفقد عبد الناصر لحظة واحدة سيطرته على اللعبة وبراعته في تحريك القطع للتخلص من عامر وإحكام قبضته . وقتها قلت : هذا الرجل لا تجري في عروقه قطرة دم مصرية أو هو وحش سلطة لا أعصاب له !

.. شاهد نفي !!

ورغم كل الأدلة التي قدمناها على صدق رواية « مايلز كوبلاند »* . . إلا أننا أحببنا أن نعززها بمصادر أخرى ، حتى لا يبقى في النفس شك ، وقد عثرنا على كتاب مخابراتي آخر ، من جهاز منافس للمخابرات الأمريكية ، لم يقدر له شهرة مايلز كوبلاند ، وربما كان السبب في اعتقادي ، أنه أخذ جانب العرب في عرضه للصراع العربي ـ الإسرائيلي ، وحمل إسرائيل المسئولية الكبرى في إفشال محاولات السلام في المنطقة وأثبت أن إسرائيل لم تفكر يوماً تفكيراً جدياً في السلام مع جيرانها ، بل كانت تفضل مفاوضتهم بالسلاح دائماً . . ولذا كان من المحتوم أن « يدفن » هذا الكتاب ويواريه النسيان . .

والكتاب أيضاً حملة قاسية ضد المخابرات الأمريكية ، فهو يتهمها بأنها كانت أحد الأسباب الرئيسية في إفشال السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط ، بل وفيما جرى من تدهور في هذا الشرق الأوسط . . لأنها ـ في رأيه ـ تجاوزت مهمتها التقليدية ، وهي : جمع المعلومات ، وتورطت في الانقلابات ، وتغيير الحكومات ، وتوجيه السياسة الداخلية للدول العربية ، وتمثيل السياسة الأمريكية بدلاً من المؤسسات الدستورية الأمريكية العلنية ! . .

والكاتب مع « نبل مقاصده » ، أو على الأقلّ صدقه ، يتميز بالسذاجة ، فهو يتآمر مع

---

* هذا ما كتبناه من ثلاث سنوات ، وأظن بعد رسالة « مصطفى أمين » وبعد اعتراف هيكل بأن « كيرميت روزفلت » المندوب السامي الأمريكي قد جاء « بكوبلاند » لإدارة العملية في مصر ، وبعد كل النصوص التي وردت في كتب التهامي وهيكل وغيرهما عن دور كوبلاند ، لم نعد بحاجة إلى المزيد للتأكد من أهميته وحقيقة دوره وصدق رواياته .

السياسي السوري ميخائيل العليان ، على قلب الحكومة السورية ويدفع له نصف مليون ليرة لرشوة ضباط الجيش السوري والصحفيين . . ثم يسأله في براءة : « وهل سندفع أيضاً للسياسيين السوريين . . أم أن غيرتهم الوطنية وحرصهم على إنقاذ وطنهم فيه الكفاية » ؟ . .

ويعلق هو نفسه بأن المتآمر السوري ، « نظر إلي نظرة أمي عندما كنت أعملها على روحي ! »[12]

ولذلك فرغم أنه كان داخل العملية ، إلا أن المخابرات الأمريكية اعتبرته دائماً من الغرباء أو « الظهورات » يقول : « من محادثاتي مع مندوب CIA اقتنعت بأنهم يعتبروني متطفلاً يستحسن أن أبتعد عنهم » .

فهو أساساً من جهاز منافس هو « المخابرات العسكرية » التابعة لوزارة الدفاع . . وحتى في العملية الكبرى التي اشترك فيها وهي تدبير انقلاب في سوريا عام ١٩٥٦ والذي فشل فيها فشلاً مدوياً ، ودفع سوريا خطوات أبعد في الاتجاه المعادي للغرب والمصادق للاتحاد السوفيتي . . حتى في هذا الانقلاب ، أخفيت عنه الكثير من الحقائق كما يعترف هو نفسه : « استنتجت أن هناك جوانب من العملية لم أحط بها علماً ، ولم أغضب ، إذ لم يعدني أحد باطلاعي على كل ما تفعله المخابرات CIA في عملية سوريا »[13] مع أنه كان في قلب العملية ، وكان يعمل بعقد ـ وقتها ـ أو منتدباً من وزارة الدفاع للمخابرات الأمريكية . . وهو الذي كان ينقل الأموال كل ليلة إلى القصر الجمهوري في عهد شمعون لتمويل تزييف الانتخابات التي كانت السبب في ثورة لبنان عام ١٩٥٨ . . وهو الذي فاوض ناصر على قبول الدفاع المشترك وهدده بأن حلف بغداد سيضم كل الدول العربية ويترك مصر وحيدة . . وعمل في سياسة الأحلاف من عام ١٩٥٣ .

وقد فشلت مؤامراته* ، وثبت خطأ تحليلاته ، وحطم ناصر و « أصدقاؤه » حلف بغداد وعزلوا العراق ولم تعزل مصر . . وهو يعتقد أن المخابرات الأمريكية أو رجال الـ CIA هم الذين أفشلوا جهوده ، وهو يحملهم مع إسرائيل ، أو حتى قبل إسرائيل ، مسئولية فشل السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط .

---

* نميل الآن للاعتقاد أنها كانت مؤامرة « فشنك » لدفع سوريا إلى أحضان عبد الناصر منعاً لاستيلاء الشيوعيين على الحكم أو قيام حكم متحالف معهم في دمشق : فقد ارتكب في هذا الانقلاب كل الأخطاء المحفوظة . والأمريكان الذين نفذوا أول انقلاب في سوريا ، وأخرجوا عبد الناصر منها بانقلاب . . لا يمكن أن يكون هذا أسلوبهم إلا عن قصد .

وهكذا فإذا كان كتاب « لعبة الأمم » هو دفاع المخابرات الأمريكية عن دورها في الشرق الأوسط ، وبالذات عن مراهنتها على عبد الناصر و « ثورة » ٢٣ يوليو ، واعتذارها بأن مخططها كان سليماً وعبقرياً ، وكان أحرى به أن ينجح لولا أخطاء والخبطة الهواة من بيروقراطيي وزارة الخارجية والبنتاجون ، والسياسيين في الكونجرس والبيت الأبيض . . الذين أفسدوا اللعبة ودفعوا عبد الناصر إلى الصدام مع الولايات المتحدة . . فإن كتاب « حبال من رمال » الذي ألفه « ولبر كراين ايفيلاند » الذي كان يمثل جهازاً آخر منافساً هو المخابرات العسكرية ، هو وجهة النظر الأخرى فقد شن ـ كما قلنا ـ هجوماً صارخاً على المخابرات الأمريكية لأنه يتبنى وجهة النظر التي كانت هامسة في أروقة وزارتي الخارجية والدفاع خلال الخمسينيات والستينيات ، إلا أن النجاح الهائل للمخابرات الأمريكية في قلب حكومة جواتيمالا ، وإعادة الشاه إلى عرشه ، « وطرح عبد الناصر زعيماً للقومية العربية » . . كان يخرس هذه الهمسات ويطلق يد المخابرات الأمريكية ، ولكن في النصف الثاني من الستينيات بدأت الانتقادات والاعتراضات تصبح مسموعة أكثر ، حتى كانت السبعينيات ، وطرحت المخابرات CIA وعملياتها وأسلوبها للنقاش بل التجريح العلني ، وفتحت ملفاتها ، وطالب السياسيون والرأي العام بمحاسبتها . . وارتفع صوت أصحاب الشعار القديم القائل بأن سياسة الولايات المتحدة الخارجية لا يرسمها وينفذها إلا الأجهزة المسئولة أمام السلطة التشريعية ، وأن مهمة المخابرات هي جمع المعلومات فحسب . . ويرد رجال المخابرات بأن هذه بالطبع مبادىء نظرية ، فإن إغراء تحريك الأحداث بضربة مخابراتية ، مثل اغتيال زعيم مناوىء ، أو قلب حكومة لا أمل فيها ، أو دعم زعيم متعاون . . ودفعه للسلطة . . يظل أقوى من أن يخضع للاعتبارات الدستورية والتقاليد التي لم تتجاوز الكتب والبيانات الرسمية . .

وهذه الأزمة بين الواقعية والشرعية ، تتفجر عادة ، كلما قبض على الولايات المتحدة متلبسة بفعل قبيح يتنافى مع السياسة المعلنة فضلاً عن المبادىء التي يدعيها النظام الأمريكي . . مثل تشكيل وتسليح جهاز الإرهاب الليبي أو عملية إيران أو اغتيال السفير التشيلي . . الخ . .

المؤلف « ولبر كراين ايفيلاند » يعود مجدداً فيطرح هذه الشعارات عندما يقول :

« من المستحيل فهم استمرار فشل السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط ، دون أن نأخذ في الحسبان ، سوء استخدام الـCIA (من اختصار اسم المخابرات الأمريكية وسنكتبها أحيانا السي آي ايه أو CIA فعسى ألا يشق ذلك على القارىء ج) لمسئولياتها واختصاصاتها في تلك المنطقة ، وإلى أي مدى أهمل مديروها ، تقدير المعلومات التي حصلت عليها ، وإلى أي مدى اعتمدنا على قدرة المخابرات الأمريكية في تنفيذ عمليات تآمرية واستغنينا بذلك عن ضرورة وضع سياسة خارجية راسخة ، ودبلوماسية تقليدية ولذا فإن ما أكتبه عن نشاط

المخابرات الأمريكية وفشلها لا يقصد به أن يكون مثيراً بل مجرد جزء من الحقيقة حول مشكلة وجودنا في الشرق الأوسط»[14] .

ويقول : « وسرعان ما عرفت أن المخابرات الأمريكية تحت « آلن دلاس » . كان لديها قابلية محدودة للاستفادة من المعلومات عن العلاقات العربية ـ الإسرائيلية . لأنه تحت رئاسة « آلن دلاس » كان خبراء المخابرات الأمريكية مشغولين بالعمليات السياسية ، وأقل اهتماماً ، من المخابرات العسكرية ، بالمهام الروتينية الخاصة بجمع المعلومات ، عن الواقع القائم فعلاً . . إن محللي الـ CIA لا شك في كفاءتهم ، ولكنهم كانوا في المرتبة الثانية داخل الـ CIA بالنسبة لزملائهم العاملين في الخدمة السرية »[15] .

أي أن النجاح الذي حققته عمليات التآمر ، ونتائجها السريعة والمثيرة ، جعلت الجهاز كله يهتم بهذا اللون أكثر من جمع المعلومات وإصدار التحليلات . . فمادمت تملك تغيير الواقع بشراء حفنة من الضباط ، أو بعشرة آلاف دولار كما تفتخر مجموعة كيرمت روزفلت التي اشتركت في قلب حكومة مصدق ، وإقامة أقوى عميل لأمريكا لمدة ربع قرن . . أو حتى بمليون دولار كما جاء في كتاب روزفلت نفسه ، مادام يمكن تغيير الواقع بهذه السهولة ، فلماذا إنفاق الجهد في دراسة المجتمع الإيراني ، على طريقة الانجليز قبل مائتي سنة ؟! وهكذا تراجع قسم التحليل والمعلومات ، وأصبحت الشهرة والحظوة من نصيب العاملين في الميدان وفي قسم المؤامرات . . وهذا زعم المؤلف بالطبع . . ولا نملك نفيه أو إثباته وإن كنا نعتقد أن قسم المعلومات ربما لم يقصر ولكن « المتنفذ » يعلم ما يحب لا ما يدرس له !

يقول : « عندما أصبح « فوستر دلاس » وزيراً للخارجية و « آلن دلاس » شقيقه مديراً للمخابرات الأمريكية . فإن كل رؤساء المخابرات العسكرية وأيضاً ادجار هوفر (مدير المباحث الجنائية ج) تخوفوا من أن تأخذ العمليات السرية للـ CIA الأولوية على مهمة جمع المعلومات . وقد تحققت المخاوف عندما قامت المخابرات الأمريكية بتوجيه من آلن دلاس ، بتغيير الحكومة في إيران ١٩٥٣ وقلب النظام في جواتيمالا ١٩٥٤ بالإضافة إلى أن عمليات الـ CIA بدأت قبل أن يصبح آلن دلاس رئيساً ، وأصبح لها وجودها ، مما جعل من الصعب على الولايات المتحدة التخلي عنها » .

وقد ختم كتابه بأمنية تقول : « آمل أن تتفرغ الـ CIA لمهمتها الأصلية وهي جمع المعلومات ، وتجنب إغراء العلاج السريع ، بتدبير انقلاب ، وهو الأسلوب الذي كلف الولايات المتحدة غالياً في الشرق الأوسط . . لقد شبعنا من هذا الدواء » .

وسنجد خلال استشهاداتنا من كتابه ، عشرات الأمثلة على التناقض بين موقفه هو والجهة التي كان يمثلها ، وبين الـ CIA ورجالها وأساليبها . . وليس يعنينا تناقض الرجلين أو الكتابين ، وإنما نهتم بما يظهر من حقائق على ضوء خلافهما . . وقد اخترنا هذا الكتاب بالذات لأنه ينفي « في هامش إحدى صفحاته » دور المخابرات الأمريكية في قلب النظام

الملكي ، ويبريء ساحة السفير الأمريكي كافري من هذا « الغدر » بل يشيد بأخلاقياته بعبارة ، إن كان صادقاً فيها فهو حقاً شديد السذاجة ، ويستحق ما ناله من فشل في كل مهماته ، وإذا كان يخدعنا بها فهو يستحق حقاً نظرة أخرى من نظرات أمه ! إلا أن إجابة « كيرميت روزفلت » التي رد بها على سؤاله الساذج ، والتي استشهد بها هو على انعدام دور المخابرات الأمريكية في انقلاب ٢٣ يوليو . . إجابة تكشف مدى تقديرهم لتفكيره وروح الفكاهة عند كيم هذا ، وقارن إجابته هنا بإجابته على سؤال محسن محمد بعد خمس سنوات !! غير أن الرجل بلاشك صادق في رواية « مارآه » وكان الأحرى به ألا يصدر أحكاماً قاطعة فيما ليس له به علم ، ففي عام ١٩٥٢ كان هو لا يزال في المدرسة يدرس اللغة العربية ، منتدباً من القوات المسلحة للعمل في المخابرات العسكرية ، وقد رأينا أنهم في المخابرات الأمريكية لم يطلعوه على كافة أسرار العملية التي لعب فيها الدور الرئيسي ، فكيف كانوا سيطلعونه على ما لم يشهده ولا دور له فيه ؟!

المهم قال في هامش صفحة ٩٧ ـ ٩٨ التالي حرفياً :

« نسب كوبلاند في كتابه لعبة الأمم ، الفضل لكيرميت روزفلت في قصة الثورة السلمية التي مكنت فاروق من التنازل عن العرش دون أن يصاب بأذى ، ونظم إحلال سياسيين محله ، وأن روزفلت وافق على انقلاب عسكري مذعناً لرأي كافري بأن الجيش وحده يمكن أن يواجه تدهور الحالة . وهذا لا يتنافى فقط مع أخلاق كافري ولكني أيضاً عرفت أن انقلاب ٢٣ يوليو فاجأ الـ CIA تماماً ، وأول معلومات جاءت عبر ليوتانت كولونيل إيفانز مساعد الملحق الجوي بالسفارة الأمريكية ، الذي كانت له اتصالات مع ضباط مجلس قيادة الثورة . وعبر وليم ليكلاند السكرتير الثاني بالسفارة* . كافري أصر على توديع فاروق حتى خرج من مصر وبذلك حظي باحترام مجلس الثورة الذي رأي هذا الدبلوماسي البارز لا يتعامل إلا مع الرئيس الشرعي للدولة[١٦] . ولولا أن المخابرات CIA قد وجدت في « ناصر » « عميلاً آخر ممكناً » مثل الشاه . لاستمر كافري يتعامل مع نجيب ثم مع ناصر مقدماً النصح الطيب** ، الذي ربما جنب الولايات المتحدة الكوارث التي حدثت فيما بعد*** . .

---

* لاحظ ما قاله كوبلاند عن قناة هيكل ليكلاند التي نقلت رأي عبد الناصر عن النخبة وارجع إلى ما قاله مصطفى أمين عن ليكلاند هذا . . فى الثورة . . مع الاعتذار لأبي هشام ولكل ثورة . .

** لعل المستر يغير رأيه بعد الاطلاع على ما أفرج عنه من وثائق السفارة ليجد أن السفير كافري كان في مقدمة من توسموا هذا الخير في عبد الناصر .

*** فنظريته أن « الثورة » قامت بعيدة عن المخابرات الأمريكية ، ولكن بعد قيامها رأت المخابرات الأمريكية إمكانية تحويل ناصر إلى عميل مثل الشاه فدعمته ضد نجيب واستقلت بالعمل معه من وراء ظهر السفارة والسفير !

وفي عام ١٩٧٢ ناقشت مع كيم روزفلت الادعاء بأن الـ CIA رتبت سقوط فاروق . وكان رزوفلت وقتها يربح من شركة تمثل الشاه وبعض العرب في واشنطن ، وكان كيم قد أصبح متواضعاً فرد على سؤالي بأنه ما كان ليحصل على ثقة زبائنه من الملوك لو كان فعلاً خلع الملك فاروق » . . . !

هذا ما قاله . . وهو كما ترى لا يستند إلى دليل ، أكثر من عدم علمه ، فهو لم يقدم دليلاً واحداً على مفاجأة السي آي ايه بالانقلاب ، بل بالعكس إن علم إيفانز وليكلاند وهما من رجال المخابرات يجعل علم رئاستهما أمراً مؤكداً . بل إن إيفانز بشهادة محسن محمد كان يحرضهم على الثورة ولم يفسر كيف يكون الانقلاب مفاجأة أي عملية وطنية مصرية ، وكيف تجد السي آي ايه بسرعة في « ناصر » إمكانية شاه آخر ؟! . . أما رد كيم روزفلت الذي كان يعمل في استثمار أموال الملوك وتقديم الاستشارات لهم ، فهو رد طبيعي ومتوقع فما كان روزفلت بالذي يفخر في ١٩٧٢ بأنه هو الذي أهدى المنطقة « إعصار عبد الناصر » ولا كان هناك من سبب يدفعه للاعتراف بذلك لهذا الغريب الذي قرر روزفلت ـ من قبل ـ عدم إعطائه المعلومات عن العمليات التي كان ايفيلاند نفسه يقوم بها والذي أفشل رجاله في الـ CIA . . مهمته في مصر على الأقل .

ورغم ذلك فنحن نقبل ايفيلاند كشاهد نفي ، لأن روايته وشهادته بما شاهده وسمعه عن تلك الفترة تدعم رواية كوبلاند إلى أقصى حد ، وبالذات لأنه شاهد نفي . . وهو الذي قال على أية حال الآتي :

« منذ أوائل الخمسينيات جند كيرميت روزفلت ومحطة السي آي ايه في القاهرة ، ثلاثة من الصحفيين المصريين البارزين « كعملاء » للمخابرات الأمريكية هم : محمد حسنين هيكل والأخوان أمين . . مصطفى وعلي » . . وأن ناصر كان يعرف ذلك»[٢١]

وهو الذي قال إن المخابرات الأمريكية هي التي أقامت « صوت العرب » من الناحية الفنية بتزويده بالمعدات الميكانيكية ، ومن الناحية الدعائية بالخبراء في الدعاية . . وهذه أشياء رآها وسمعها بنفسه ، وبمقارنتها بما جاء في كتاب مايلز كوبلاند ، ورسالة مصطفى أمين ، وشهادات الناصريين والضباط والأحرار يستطيع أبسط الناس أن يكون فكرة عن مدى سيطرة المخابرات الأمريكية على الأحداث التي جرت في مصر ابتداء من عام ١٩٥٢ ومدى التعاون بين نظام ٢٣ يوليو وهذا الجهاز . . وكما قلنا ألف مرة ، ليس الهدف اتهام أحد ، ولا إثارة أحد ، وإنما محاولة لفهم التاريخ ، والاستفادة من دروسه وعبره»[٢٢] . .

قال في شرح ارتباط المخابرات الأمريكية بالمخابرات الإسرائيلية ونشاط كيم روزفلت في الشرق الأوسط .

« خلال عمل « جيمس انجلتون » في المخابرات (o.s.s) في الحرب العالمية الثانية ، كون علاقات مع مجموعات المقاومة اليهودية في لندن ، وتم تبادل المعلومات بعد ذلك مع الموساد ، وأصبحت الـ CIA تعتمد على الموساد (المخابرات الإسرائيلية ج) اعتماداً « كبيراً » في معلوماتها عن الدول العربية . وفي إيران كان كيرميت روزفلت خبير آلن دلاس في الشرق الأوسط منشغلاً ببناء « السافاك » لضمان عدم خلع الشاه مرة ثانية* . والآن عرفت أن إلحاح روزفلت على أن مصر ـ جمال عبد الناصر ، يمكن استخدامها لخدمة أهداف أبعد للولايات المتحدة في الشرق الأوسط ، ينظر إليه (أي لهذا المطلب ج) بحذر من قبل معظم خبراء وزارة الخارجية . ولكن الأخوين دلاس كانا موافقين على السماح لروزفلت بأن « يدبر رأسه » (أو يجرب محاولته ج) مع ناصر في الوقت الحاضر . وإذا وضعنا في اعتبارنا سيطرة فوستر دلاس على استراتيجية الولايات المتحدة الخارجية ، فقد كان ذلك يعني إعطاء موافقة حكومية على خطط روزفلت بالنسبة لناصر »[١٧]

بدون انفعال ! ماذا تعني هذه الفقرة ؟

١ ـ كيرميت روزفلت نائب مدير المخابرات الأمريكية لشئون الشرق الأوسط ومنفذ الانقلاب الامبريالي في إيران ، و « صديق » مصطفى أمين من الحرب العالمية ، والذي عن طريقه قدمت المخابرات الأمريكية خدمات لها مردود مالي « لأخبار اليوم » بنص رسالة مصطفى أمين . .

٢ ـ هذا الكيرميت روزفلت يراهن على أنه سيستخدم مصر الناصرية لمصلحة أمريكا .

٣ ـ خبراء وزارة الخارجية يشكون في نجاح هذه العملية .

٤ ـ آلن دلاس مدير المخابرات وجون فوستر دلاس وزير الخارجية ، وهما بلاشك أكثر علماً بحجج وإمكانات روزفلت ، وافقا على إعطاء فرصة لروزفلت لامتحان « اختراعه » في مصر . . ؟!

أليست هذه علاقة طيبة جداً مع المخابرات الأمريكية ؟

كيف قامت هذه الآمال إلى حد المراهنة عليها في خاطر نائب مدير المخابرات الأمريكية والرجل الذي يلعب في السياسة المصرية ، وصديق الملك فاروق منذ الأربعينيات ؟!

كيف لم تساوره هذه الآمال لا هو ولا غيره عن هوشي منه أو ماوتسي تونج أو كاسترو

---

* اعترف مدير مكتب « السافاك » في نيويورك بهذا الدور للأمريكان في إقامة السافاك وهذا الانفتاح على الأمريكان والثقة فيهم إلى حد قبول الشاه تعيين عميل للـ CIA مديراً لمحطة السافاك في أمريكا . . وقد دفع الشاه ثمن هذا التعاون غالياً ، فعندما صدرت الإشارة من أمريكا بالتخلي عنه ، وجد كل عناصر « السافاك » تعمل ضده ! ولا ندري ما الذي يجعل قبول الشاه وضباطه التدرب على يد رجال الـ CIA عمالة ، ونفس الفعل من ناصر وضباطه ثورية ؟!

وساورته ـ دون سابق معرفة ـ مع ثورة « فاجأته تماماً » ؟! . . وبلغ من قوة أسبابه في هذه الآمال أن وافق وزير خارجية أمريكا والمدير العام لمخابراتها على إطلاق يده ليستخدم « مصر ـ عبد الناصر » في خدمة أهداف الولايات المتحدة ؟! . .

بدأ اتصال المستر « ولبر كراين ايفلاند » بمصر بعد توقيع اتفاقية الجلاء ، وله فيها ملاحظة في منتهى الدقة ، إذ قال إن أول مشاريع الدفاع الغربية عن الشرق الأوسط هي المعاهدة التي وقعها عبد الناصر مع بريطانيا في ٢٤ أكتوبر ١٩٥٤ . . لأنها أعطت بريطانيا الحق في العودة إلى مصر إذا ما وقع عدوان على تركيا . . أو المنطقة العربية . . وهذه سنرجع لها في فصل الأحلاف . .

المهم يقول : « أخبر « محمود فوزي » السفير الأمريكي ، إن مصر قررت بعد دراسة مكثفة ألا تطلب سلاحاً من أمريكا (؟ج) ولكنها تطلب زيادة المعونة الاقتصادية . وقد أثار التقرير ثائرة ممثلي الـ CIA في مجلس تنسيق العمليات O.C.B وقالوا إن السفير الأمريكي ليس له مداخيل (entree) مع رئيس الوزراء ناصر . وأن جميع المفاوضات الأمريكية الخاصة بالمساعدة العسكرية ـ على حد قولهم ـ كانت تدار بين ناصر وكيرميت روزفلت بتاع الـ CIA ؟[٢٣] وأفراد محطة[١٨] الـ CIA في القاهرة . وبناء على ما ذكره « روزفلت » فإن « ناصر » يريد مناقشة صريحة لإمكانات تقديم مساعدة عسكرية لمصر . وأن الـ CIA دبرت إعطاء ناصر ٣ ملايين دولار من المصروفات السرية . وكذلك اقترحت CIA تقديم معونة عسكرية لمصر في حدود أربعين مليون دولار ، وبما أن هذه الترتيبات كلها سرية ، فإن الأمر لا يتطلب إرسال بعثة عسكرية للعمل في الجيش المصري ، كما يقضي قانون الأمن المشترك الأمريكي . على أنه وفقاً لخطة الـ CIA فإن مفاوضين باسم البنتاجون في ثياب مدنية ، سيرسلون لمناقشة عقد اتفاقية رسمية مع مصر لتأمين مساعدة عسكرية بمبلغ ٢٠,١ مليون دولار مقررة فعلاً لمصر . . » .

الشرح :

١ ـ خبر « غريب » أرسله كافري يزعم فيه على لسان « محمود فوزي » أن مصر لا تريد (في أكتوبر ١٩٥٤) معونة عسكرية . ولما عرض الأمر على اللجنة المشتركة للخارجية والدفاع والمخابرات الأمريكية ، غضب مندوبو الـ CIA ورفضوا هذه المعلومات ، وقالوا إن كافري لا يعلم شيئاً وليس له اتصال مفتوح مع ناصر الذي يعرف ويدبر كل شيء (لم يكن نجيب قد خلع رسمياً ولكنه كان قد فقد كل سلطاته حتى الشكلية من نهاية مارس ١٩٥٤)* .

---

* انظر تفاصيل أكثر عن هذا الموضوع في كتابنا هذا فصل صفقة السلاح .

٢ ـ جميع المفاوضات الخاصة بالسلاح مع ناصر لا تدار عن طريق السفارة ، بل عن طريق رجال المخابرات الأمريكية .

٣ ـ الـ CIA هي التي خططت إعطاء ناصر ٣ ملايين دولار من المصاريف السرية وبذلك تتأكد قصة مايلز كوبلاند حرفياً . وهذه هي الملايين الثلاثة الشهيرة التي بنى بها عبد الناصر برج القاهرة ، وإن كانت هناك رواية تقول إن البرج تكلف مليوناً فقط ، ولا يعرف أين ذهب المليونان .

٤ ـ المخابرات الأمريكية كانت تعرف استحالة قبول عبد الناصر بعثة عسكرية للإشراف على إنفاق المعونة ، فاقترحت إعطاءه أربعين مليوناً بطريقة ما ، لا تتطلب هذه الشروط .

٥ ـ تقرر إرسال مندوبين من وزارة الدفاع الأمريكية في ثياب مدنية للتباحث مع عبد الناصر .

قال :

« وعند إعداد توصياتي لوزير الدفاع حول اقتراحات الـ CIA أوصيت بمعارضتها باعتبارها معارضة للقانون ، وقد وافقوا على عرضي ورفع إلى اجتماع مكتب التنسيق . وكان اعتراضي الرئيسي هو أن مصر أبلغت أن حاجتها ما بين خمسين ومائة مليون دولار أسلحة كمساعدة ، ولذلك فإن الملايين المقترحة من الـ CIA كترضية أو تحلية sweetener لا أعتقد أنها ستؤثر على ناصر خاصة عندما يعلم أن ٢٠,١ مليون فقط متاحة كمنحة عسكرية . وأن من هذه الـ ٢٠,١ مليون تقترح وزارة الخارجية اقتطاع ٨ ملايين وإعطاءها لأثيوبيا ، وعلى ضوء ما رأيته من غضبة باكستانية ، لأنهم نالوا أقل مما يجب . اقترحت أن نقبل رفض فوزي خلال القنوات الدبلوماسية العادية . وإن هذه العمليات السرية قد ترتد علينا . . وفي اجتماع « مجلس تنسيق العمليات » رفضت توصياتي وانتصرت موجة الـ CIA السائدة ، وأكثر من هذا أوصى مجلس وزارة الدفاع باختيار ضابطين للتوجه سراً إلى مصر لمقابلة ناصر بترتيب من الـ CIA أما الأدميرال ديفيز الذي كان يؤيدني ، ولكنه يعرف متى يحسن الانحناء فقد قال لي : « إذا لم نقدر على هزيمتهم ، فدعنا ننضم إليهم ونفتح أعيننا على أموالنا » . وتقرر أن أكون أنا أحد الضابطين اللذين يقابلان ناصر ، وأن أرشح الضابط الآخر . . وقد وافق ديفيز على اقتراحي بتعيين الكولونيل « آلن جبر هاردت » الذي كان صديقاً لبايرود والذي كان قد نقلني إلى وزارة الدفاع . ولأن رحلتي للقاهرة تعني اشتراكي في عملية نظمتها الـ CIA ، فقد بدأت برؤية « بايرود » وكيل الخارجية المساعد ، لأسأله هل الوزارة (الخارجية ج) تؤيد فعلاً ، أن يدير رجال العمليات السرية في الـ CIA الدبلوماسية الأمريكية في مصر ؟ . . وعندما سألت بايرود إذا ما كان الأخوان دلاس يدبران فيما بينهما صنع وتنفيذ السياسة الأمريكية الخارجية ؟ . . أذكر أنه ضحك . . »

الشرح :

١ ـ واضح أنه كان يقود المعارضة ضد المخابرات الأمريكية في مكتب تنسيق العمليات . . وزارة الدفاع تبنت توصيته بإلغاء خطة الـ CIA والدخول في مفاوضات رسمية علنية مع عبد الناصر . ولكن مكتب التنسيق كان أعلم ، ولذلك رفضت توصيته ، وتقرر إرساله مع ضابط آخر لمصر للمفاوضة سراً مع ناصر بترتيب المخابرات الأمريكية وفي نطاق خططها ، وداخل إطار نفوذها .

٢ ـ كانت المعارضة منتشرة لهذا الأسلوب ، ولانفراد رجال السي آي ايه بتوجيه أو تنفيذ سياسة أمريكا في مصر فهو يقول صراحة لوكيل الخارجية المساعد والذي سيصبح سفيراً في مصر ، إن الأخوين دلاس يعملان خارج المؤسسة الشرعية أو خارج القنوات التقليدية للدبلوماسية الأمريكية . وبايرود يضحك !

وهو يقول إن « بايرود » كان معارضاً لإسرائيل فطالب اليهود بإخراجه من الوزارة ، ولكن دلاس مدير المخابرات وروزفلت اقترحا تعيينه في مصر ، حيث حولته المخابرات الأمريكية إلى « طرطور » كما يفهم من عرض كوبلاند وايفيلاند ومصطفى أمين وبغدادي . . إلخ . . قال ايفيلاند إنه سأل لويس جونز الرجل الثاني في السفارة الأمريكية بالقاهرة عن « الأحوال في سفارتنا ، فقال إن وضع بايرود شبه يائس ، وأنه يتساءل . . من يمثل الولايات المتحدة في مصر ، وفي التعامل مع عبد الناصر . . هو . . أي السفير . . أم المخابرات الأمريكية ؟! لأن مايلز كوبلاند كان يرى الرئيس المصري كلما حلا له ، وكان يعده بما يفوق قدراته على التنفيذ والطاقم الضخم للمخابرات الأمريكية في مصر يتعامل مع الحكومة المصرية على كافة المستويات تقريباً ، كما يتعامل مع الصحافة المصرية ذات النفوذ .

وقال « جونز » إنه كان من الأفضل ترك مفاوضات السلاح لكافري ثم بايرود ، لتفادي إعطاء ناصر انطباعاً خاطئاً بقدرة المخابرات CIA على اكتشاف حيلة لتفادي توقيع مصر لاتفاقية المعونة العسكرية .

وقد أورد « كوبلاند » أكثر من قصة عن إهمال وتخطي المخابرات للسفير الأمريكي بايرود ، لأنه كان من خارج اللعبة ، ولأنه كان من منتقدي سياسة الانحياز لإسرائيل ، وأشهر هذه القصص المتداولة في صحافتنا والكتب العربية عندما فوجيء السفير بوجود « كيرميت روزفلت » في القاهرة على مأدبة عشاء ، عندما دخل متأبطاً ذراع الرئيس عبد الناصر دون أن يكون لدى السفير الأمريكي (بايرود) ولا مجرد علم بوجوده في القاهرة . وقد انفعل وأثار حادثة ضرب موظف بالسفارة ، والقصة موجودة في كتاب كوبلاند (الصفحات من ١٦١ ـ ١٦٥) أما ايفيلاند فيضيف تعليقاً صغيراً يوضح طبيعة العلاقات التي كانت سائدة بين الـ CIA والسفير . . قال « وعرفت من كوبلاند أن بعض صغار الموظفين المصريين اتهموا الملحق العمالي بالسفارة بالتجسس وضربوه علقة أمام البوليس

المصري الذي وقف متفرجاً ، فسألت ايكلبرجر : هل هو من رجالك ؟ (المخابرات) قال : لا ؛ لو كان من رجالي ربما لم يكن بايرود يستاء !»

٣ ـ كانت الجهة صاحبة الكلمة النافذة في شئون مصر هي المخابرات ، ولذلك فإن الأدميرال نفسه ممثل وزارة الدفاع لم يجد ما يقوله غير « إذا لم تقدر عليهم فانضم إليهم » . .

وهنا نسأل بكل أدب . . ما السبب في إعطاء الـ CIA كل هذا النفوذ أو اليد المطلقة في مصر الناصرية . . ألا يعني ذلك أن لهم رصيداً يخولهم التحدث بهذه الثقة ، ويعطيهم الحق في طلب إطلاق يدهم ؟!

قال :

« لبسنا ثياباً مدنية ، لأن ناصر كان قد تخلص لتوه من ٨٠ ألف عسكري ، ولم يكن يتحمل وجود عسكريين أجانب جدد . وسافرت أنا وجير هاردت من نيويورك إلى لبنان حيث انتظرنا عدة أيام حتى تصل موافقة المخابرات الأمريكية على متابعة السفر للقاهرة . وقد حاولت أن أثني جير هاردت عن الحديث مع ناصر عن التحالف العسكري ، مشيراً إلى المحاولات الفاشلة السابقة لبريطانيا لجر مصر إلى قيادة الشرق الأوسط ومنظمة الدفاع عن الشرق الأوسط . . وقلت ناصر سيرفض أي حديث عن مبادلة السلاح بمحالفة الغرب . . ويجب ـ فقط ـ أن نناقش الأحلاف الدفاعية إذا ما أثار ناصر الموضوع ، وفي هذه الحالة يمكن أن نشير إلى المشاكل السياسية الموروثة في الجامعة العربية وميثاقها الدفاعي الذي من خلاله حاول العرب عبثاً أن يتحدوا في مواجهة قيام إسرائيل . والأفضل أن نناقش كيف تستخدم مصر الخمسة ملايين دولار المصروفة من المصروفات السرية لدعم مجلس الثورة وتحسين الأمن الداخلي ، ثم نستكشف مع ناصر موضوع رغبته في الحصول على الـ ٢٠,١ مليون دولار منحة سلاح التي قررتها وزارة الدفاع .

« وفي اليوم التالي عرفنا أن الرئيس نجيب اتهم في محاولة لاغتيال ناصر الذي أصبح من المتوقع ـ الآن ـ أن يتولى الرئاسة . وخمنت أن المخابرات CIA قد احتجزتنا في بيروت لأنها كانت تتوقع اضطرابات في مصر ، ورغم امتناني لقيام المخابرات بوظيفتها في جمع المعلومات إلا أنني تساءلت : ترى هل تآمرت الـ CIA مع ناصر للتخلص من محمد نجيب ؟!»

الشرح :

١ ـ كان الجو في مصر متوتراً ضد أي مظهر عسكري أمريكي أو قل ضد أي وجود عسكري غربي ، وعلى أساس أن مدنياً أمريكياً لنْ يحس به الكثيرون فقد جاءا في ثياب مدنية .

٢ ـ وصلوا إلى بيروت فاحتجزوا هناك بأمر الـ CIA ومنعوا من التقدم إلى القاهرة .

٣ ـ في اليوم التالي كانت محاولة اغتيال عبد الناصر واتهام نجيب . . إلخ . .

٤ ـ استنتج على الفور ، لأنه يفكر برأسه وليس بعصا حمزة البسيوني ، أن الـ CIA

احتجزتها في بيروت لأنها كانت تتوقع اضطرابات في مصر ، وأحس بالامتنان والشكر لأن المخابرات الأمريكية ، ما زالت تجمع المعلومات ، ومن ثم عرفت بمحاولة اغتيال جمال عبد الناصر قبل وقوعها . . وباعتبار « الانفتاح » الذي تحدث عنه « الإخوان في أمريكا » بين ناصر والمخابرات الأمريكية اشتم الرجل بحاسته المخابراتية أن شيئاً ما قد « طبخ » فتساءل هل تآمرت الـ CIA مع ناصر للإطاحة بنجيب ؟ . . وهذا الظن ، أو هذا الذي طرحه الرجل وكأنه « تخمينة » من ذكائه ، أكدته رواية خالد محيي الدين وحمروش ، بل وتؤكده رواية « مصطفى أمين » في رسالته لعبد الناصر عن قرار خبراء المخابرات الأمريكية بأن « نجيب » لا يصلح ! . .

على أية حال نطرح سؤالاً أبسط من ذلك . . هل يعقل أن المخابرات التي كانت لها كل هذه الصلات مع ناصر والتي كانت تراهن عليه ضد شكوك وتشاؤم أو تربص الأجهزة الأمريكية الأخرى ، هل يعقل أن تعلم بمؤامرة على حياته ولا تبلغه بها ليأخذ حذره ؟!! ومن ثم هل لنا أن نقول إن عبد الناصر لم يفاجأ تماماً عندما أطلقت الرصاصات إياها وهو على المنصة في ميدان المنشية ؟ .

بل بعد ما نشر من وثائق حتى على لسان « هيكل » تبين أن « كيرميت » وبالطبع جهاز الـ CIA الذي كان يرأسه كان يعطي عبد الناصر معلومات عن نشاط الإخوان في خارج مصر فهل يضن عليه بمعلومات عن داخل مصر ؟! وشهد التهامي أنه كان هناك اتفاق بين السفارة الأمريكية وعبد الناصر بإبلاغه عن أية محاولة لتنفيذ انقلاب ضده . وأخبرنا هيكل أن مندوب الـ CIA خرج مهرولاً من اجتماع مع المخابرات البريطانية ليحذر عبد الناصر من مؤامرة يدبرها الانجليز لاغتياله . . أعتقد بعد هذا كله لم يعد لتساؤلنا معنى . ولكن السؤال الجديد ، وقد عرفنا من مذكرات الإخوان أن عبد الرحمن السندي وجماعة المنشقين في الإخوان والجهاز السري التابع للسندي كان متصلاً ومتعاطفاً ومرتبطاً بعبد الناصر ، فهل نستبعد أن تكون العملية قد نظمت بالاتفاق مع هذا الجهاز ليكون الفاعل فعلاً من « الإخوان » ثم فتك عبد الناصر كما هو المنتظر بالإخوان جميعاً : الذي انصاع والذي عصى . . ؟! سؤال . . خاصة وقد جاء في اعترافات مدير السافاك السابق أنهم كانوا ينظمون مثل هذه العمليات لنشر جو من الإرهاب يمكنهم من البطش بالحريات واعتقال أو حتى إعدام المعارضين . . ولا تنس أن المدرب واحد في الجهازين السافاك الإيراني والسافاك المصري * . .

---

* يقول بعض قدامى جهاز المباحث الجنائية العسكرية ، إن الصاغ « حسين عرفة » هو الذي اصطحب « محمود عبد اللطيف » إلى ميدان المنشية ، وهو أي الصاغ الذي أطلق النار على المنصة . أو على الأقل هذا ما كان يتردد وقتها داخل الجهاز .

وقال :

« في مطار القاهرة قابلنا مايلز كوبلاند « بتاع » محطة* الـ CIA في مصر ، وخلال تمريرنا في الجوازات والجمرك والحجز لنا في سميراميس ، كان كوبلاند يستخدم اسم عبد الناصر بلا حساب أو تكليف . ومن أجل السرية انتقلنا من سميراميس إلى منزل كوبلاند في المعادي؟[٢٤] . . تحدثنا مع مايلز وجيمس إيكلبرجر عن محطة الـ CIA في القاهرة ، وعلمت أن كوبلاند يعمل تحت غطاء تجاري بعكس إيكلبرجر الذي يتستر تحت غطاء العمل في السفارة ، ما يلز يمثل شركة استشارات بوز ، آلن هاملتون الدولية؟[٢٥] . وهو الذي يتعامل باستمرار مع ناصر إلا عندما يكون كيم روزفلت في القاهرة . . ولمح كوبلاند إلى أن روزفلت هو الذي صنع رئيس مصر الجديد ، وبحث معه سياسة الولايات المتحدة أكثر مما فعل مع الشاه الذي حرص كوبلاند على تذكيرنا بأنه أنقذ بواسطة روزفلت » .

الشرح :

١ ـ مايلز كوبلاند وجيمس ايكلبرجر ممثلا أو مديرا محطة الـ CIA في مصر وهذه معلومات أكدها كتاب كوبلاند ورسالة مصطفى أمين .

٢ ـ مايلز كوبلاند يتحدث باسم عبد الناصر في مطار القاهرة والجوازات ويرهب المصريين بصلته بالرئيس المصري . .

٣ ـ كوبلاند هو المختص بالتعامل مع الرئيس ناصر ، إلا عندما يحضر المعلم الكبير روزفلت ، عندئذ يقابل روزفلت أو يتعامل هو مع ناصر ، والناس مقامات . . وهذا يختلف تماماً عن الصورة التي قدمها لنا محمد حسنين هيكل عن مايلز كوبلاند فالرجل كان ـ في تلك الفترة ـ أكثر اتصالا وأكثر قرباً للزعيم المصري من هيكل . .

٤ ـ في عنفوان مراهنة الـ CIA على الزعامة الناصرية ، وفي عنفوان التعاون بين ناصر والـ CIA وفي غرفة مغلقة ، ومع ممثلين لوزارة الدفاع ولمكتب تنسيق العمليات ، أي أعلى سلطة أمريكية في العمل السري ، يقول لهم مايلز كوبلاند إن روزفلت هو الذي صنع رئيس مصر الجديد . .

هل يعقل أن تكون هذه مجرد كذبة لا أساس لها من اختراع كوبلاند ؟!

ربما . . ولكن ما الذي رآه ايفلاند فعلاً ؟ . .

قال :

« كنت أريد أن أعرف شيئاً عن مقابلتنا مع ناصر ، فسألت كوبلاند ، إذا كان كيم روزفلت سيحضر ليرافقنا في المقابلة ، فرد على الفور : لا . . واستمر لكي يريني حجمي

---

* هذه ترجمة Station وربما كانت كلمة مركز أكثر فصاحة . ولكن « محطة » أكثر دلالة ، فهم لهم في كل بلد مجموعة مقيمة ولها رئيس واسمها محطة أو Station .

الحقيقي فقال : « إن وزير الخارجية يدخر روزفلت للمهام الكبيرة . وسيحضر عندما تتم الموافقة على إبلاغ ناصر بالمعونة الكاملة . » وعضضت على لساني لكي لا أصرخ : ولماذا يكون للمخابرات CIA دخل في المعونة ، أليس هذا من عمل السفراء الأمريكان ؟! . . وكنت لا أزال أعض على لساني عندما استمر « كوبلاند » قائلاً : « إن كيم ـ كما تعرف ـ هو الذي رتب خلع فاروق ، وهو الآن قد رفع ناصر إلى مركز القيادة للبلد » ، وبادرت بالقول بأنني لا أعرف . . ونحن هنا فقط لمناقشة[٢٦٤] كيف ستنفق مصر الملايين الخمسة على معدات الأمن الداخلي . . فرد باستهزاء . . آه !! هذه ؟! . . أحمد حسين السفير المصري في واشنطن سيسلم قائمة بهذه الأشياء للبنتاجون . .

« سألت كوبلاند عن الثلاثة ملايين المخصصة من المخابرات CIA . . . وإذا ما كان سيعتمد صرفها فعلاً للهدف الذي خصصت له ؟ . . نظر إليّ نظرة كأنني غر ساذج يحتاج لمن يعرفه حقائق الحياة وقال : بيل ! . . هذا المبلغ اعتمد فعلاً . . وأنا في انتظار إشارة من المالية في بيروت لكي يبعثوا لي المال لأسلمه لناصر في بيته ؟ . . قلت وكيف كان ذلك ومكتب تنسيق العمليات لم يوافق على المبلغ إلا منذ أسبوعين . قال : « نعم ، ولكن كيم وآلن دلاس يعرفان أنها قادمة ، وقد بعثت بالخبر لناصر لتقوية معنوياته بعد محاولة الانقلاب » . . وعندما سألت هل هانك بايرود يعرف ذلك ، على أساس أنه كسفير جديد ، ربما يود أن يكون هو الذي ينقل الخبر لناصر . . رد كوبلاند . . « إن بايرود يستطيع أن يستمر كوكيل وزارة فعلي للمنطقة بينما ناصر والمخابرات CIA يقومون بالعمل نيابة عنه » .

ورغم أنني سمعت ما فيه الكفاية فقد سألته هل يتوقع ناصر أننا هنا لنتناقش معه منحة الـ ٢٠,١ مليون دولار . فرد كوبلاند إن ناصر سيعتبر هذا المبلغ البسيط إهانة . وسيسلم لكما قائمة أسلحة بخمسين أو مائة مليون دولار . . وعندئذ تساءلت ـ مع نفسي ـ هل شجع مايلز ، ناصراً على أن يصدق أننا سنتنازل عن الرقم الذي حددناه وسنقبل التفاوض على زيادته ؟

« مهما تكن الحقيقة ، فقد أخبرت كوبلاند أن ٥,٥ مليون من هذه الـ ٢٠,١ ستذهب لأثيوبيا ، وربما تأخذ باكستان الباقي . وقال كوبلاند هناك وسائل أخرى للوصول إلى ميزانية وزارة الدفاع ، وعليك أنت و « ال » أن تكونا مستعدين للكلام في مبالغ أكبر عندما تقابلان ناصر مساء الغد » . .

الشرح :

١ ـ استمر كوبلاند يتباهى « بعملة » معلمه في مصر فهو الذي « رتب إقالة فاروق ، وهو الذي رفع ناصر إلى مرتبة القيادة في مصر » . . وربما انفعل ايفيلاند لأنه لا يعرف هذا الخبر الذي لم يعد سراً بل يذكر عرضاً وبدون اهتمام وتسبقه عبارة « زي ما أنت عارف » فصاح : « لأ مش عارف » !

٢ ـ مندوب البنتاجون أو المخابرات العسكرية غاضب لأن المخابرات CIA تتدخل في أمور المساعدات العسكرية وهي من اختصاص وزارة الخارجية والدفاع .

٣ ـ المخابرات الأمريكية كانت تعد عبد الناصر بمبالغ كبرى كمعونة لمصر وبطرق تعفيه من سخافات ومذلة الكونجرس والخارجية والبنتاجون ، وخاصة أنه كما سيقول كان يستحيل عليه وقتها أن يوقع اتفاقية دفاع مع أمريكا ، غير التي وقعها في الأيام الأولى للثورة ، ويستحيل عليه أكثر أن يقبل وجود مشرفين عسكريين أمريكيين في الجيش المصري . .

وموقف المخابرات CIA هنا لا يخرج عن أحد الاحتمالات الآتية :

أ ـ أن يكون عن اقتناع فعلاً بقدرة آلن وأخيه فوستر دلاس على إقناع المؤسسة الأمريكية بأهمية مصر الناصرية وبالتالي إطلاق يد أمريكا في الدفع والدعم .

ب ـ أن يكون هدف رجال المخابرات CIA هو كسب الوقت بتهدئة عبد الناصر بالوعود الكاذبة .

ج ـ أن يكون هناك مخطط أكبر ، للصهيونية فيه حصة كبيرة ، يهدف لاستفزاز الزعيم المصري ، عندما يكتشف أنهم خدعوه ، وأنه عومل معاملة غير شريفة ، مما يدفعه إلى أحضان السوفييت . .

٤ ـ الثلاثة ملايين الشهيرة لم تكن قد صرفت ولا وصلت أثناء وجود الرجل في مصر ، واعتمدت قبل أسبوعين فقط . وهو وصل مصر بعد محاولة اغتيال جمال عبد الناصر والحديث عن تقديم « محمد نجيب » للمحاكمة بتهمة التآمر ضد الثورة ، مما يبطل بل يفقأ عين رواية محمد حسنين هيكل التي حاول فيها أن ينكر تقديم المبلغ لعبد الناصر وهي الرواية التي تراجع هو عنها على أية حال . .

٥ ـ عبد الناصر كان عنده خبر بالمبلغ قبل وصوله . ولا نتشبث كثيراً بحكاية أنهم أبلغوه بذلك لتقوية معنوياته بعد محاولة الانقلاب . . إلخ . .

٦ ـ واضح تشبث المخابرات بسيطرتها في مصر وأنها لا تنوي أن تتيح فرصة للسفير الجديد بايرود لممارسة مهمته . . وواضح أكثر أن « ناصر والسي آي ايه » يعملان « كتيم » أو فريق واحد يعمل نيابة عن السفير الأمريكي وبكفاءة أكبر !!

قال :

« عندما عدنا إلى الفندق تجنبت أن أحدث جير هاردت بأي شيء عما قاله كوبلاند خشية أن يبرق إلى واشنطن طالباً إعفاءنا من المهمة . كنت مقتنعاً بقدرتنا على التعامل الجيد مع ناصر ، ولم أكن راغباً في تضييع هذه الفرصة ، فقط لو عرفت ماذا وعدته المخابرات CIA وما شعور « ناصر » الفعلي إزاء مهمة البعثة العسكرية الاستشارية . .

« في مساء اليوم التالي وفي الساعة المحددة ، أنا وجير هاردت قابلنا « مايلز كوبلاند » في

مدخل الفندق . وما زلنا غير متأكدين من مقابلة ناصر ، فقد سألت كوبلاند عن الترتيبات فقال : « سنقابله في بيت واحد من الصبيان Junior » . .

وتساءلت بدهشة : صبي ؟ . . من هذا بحق الجحيم . . ربما عسكري مراسلة أو حتى خدام رئيس الجمهورية ؟! . . قال كوبلاند : يستحسن أن أخبرك بعض الشيء عن هذا الصبي : هو ماجور (صاغ ج) في الجيش وأحد الذين يتمتعون بأكبر قدر من ثقة عبد الناصر ، وهو مسئول كبير في البوليس السري ، والرجل الذي ينظم اجتماعاتي مع ناصر في معقل المخابرات CIA [٢٧] . . الذي سنذهب إليه . واسم هذا « الصبي » الحقيقي هو صاغ حسن التهامي . . وستحبه . وأضاف مايلز « على ألا تأخذه على محمل الجد كثيرا . . [٢٨] .

« وعندما دخلنا الفيلا من الباب الخلفي حيانا الماجور تهامي . . ثم جاء ناصر وعامر » .

١ ـ الرواية مطابقة لرواية كوبلاند .

٢ ـ دور التهامي وصلته بعبد الناصر تحمل بعض الراحة لنفس الحاج هويدي الحائرة . .

٣ ـ اللقاء كان في بيت التهامي الذي هو CIA safe house . . مقر الـ CIA مخبأ المخابرات . . الأمريكية ؟!

جلسنا على مائدة الطعام وخلع ناصر جاكته وربطة عنقه قائلاً : إننا يحسن أن نفعل نفس الشيء حتى نتحدث في راحة ، وأخرج علبتي سجائر « كنت » وقدم لنا عامر قائمة السلاح » .

وحكاية الجاكتات وردت في رواية كوبلاند* . . وقد تحدث « الوفد الأمريكي » عن ضرورة مصاحبة السلاح الأمريكي لبعثة عسكرية ، وقال عبد الناصر : « إنه لا يمكنه الاستمرار سياسياً إذا سمح للضباط الأمريكان والجنود بأخذ مواقع على أرض مصر » . . فقد تخلصنا لتونا من ٨٠ ألف عسكري بعد ٣٢ سنة من « الاستقلال الاحتلالي » ، و « المحاولة الأخيرة للاعتداء على حياته ترجع إلى حد ما إلى الاتفاقية التي تتضمن عودة الانجليز في ظل ظروف معينة » . . « ومقتنعاً بكلامه اقترحت إرسال بعثة صغيرة في ثياب مدنية » ولكن ناصر ضحك من سخافة أو سذاجة الفكرة . .

وأخطأ جير هاردت فبدأ مناقشة حول الأمن الإقليمي والدفاع عن الشرق الأوسط ضد السوفييت ، ولدهشتي بدا أن ناصر يسحبه في الكلام ليسمع أكثر . . وخلال ٢٥ دقيقة تحدث آل عن حلف الأطلنطي ، وحلف جنوب شرق آسيا . . والحاجة إلى الدفاع عن الشرق الأوسط . . وقد قاطعه ناصر باقتراح التوجه إلى الطعام . . وبعد الوجبة الشهية التي

---

* كما تأكدت هذه الحقيقة ـ كما ذكرنا في موضع آخر ـ في تقرير وزارة الخارجية الأمريكية الذي نشر بعد ثلاثين سنة .

اشتهر بها مطبخ حسن التهامي بإجماع كل مؤرخي تاريخ الناصرية مع السي آي ايه . . قال ناصر وعامر الرأي المصري المعروف بأنه لا يمكن إقناع الشعب المصري أو الشعوب العربية بالخطر الروسي والتغافل عن الخطر الإسرائيلي الدائم الساخن يومياً . . وقال ناصر « إنه لم ير أي عداء روسي إلا لمنظمات الدفاع التي نقيمها حول الاتحاد السوفييتي » وجرت محاولة استفزازية من جانب ايفيلاند لعامر ، ولكن عبد الحكيم رد عليه رداً أسكته ، وإن كان للأسف لم يلتزم بالحجة التي قام عليها هذا الرد»[٢٩] .

إلا أننا نحب أن نضيف هنا نقطة توضيحية جاءت في كتاب « لعبة الأمم » عن هذه المقابلة : قال : « كان بيل ايفيلاند خلال زيارته للقاهرة مع آل جير هاردت قد حذر عبد الناصر من أن مصر ستجد نفسها وحدها خارج حلف الشرق الأوسط . ولكن لا أنا وَلا ناصر ولا كافري صدقناه فلما وقعت العراق الحلف (حلف بغداد) طلب مني أن أتوجه مع ايكلبرجر لإبلاغ ذلك لعبد الناصر » . . ثم تفاصيل القصة في مكانها من هذا الكتاب»[٣٠] . . المهم قال عبد الناصر بعد أن سمع الخبر : « إن جميع الأمريكيين الذين اتصلوا به بما فيهم كافري ، أقنعوه بأنهم سيتركون له الوقت الكافي لبناء منظمة عربية إقليمية غير مرتبطة « علناً » بالغرب ، ولكنها « بناءة » إلى درجة تمكنها من الانضمام سريعاً لخطط الغرب ، في حالة وقوع خطر مشترك . أما حسن التهامي الذي كان حاضرا ، فقد بدأ يفقد أعصابه ، ولكن ناصر هدأه ، وظل الاثنان جالسين صامتين حتى انصرفت أنا وايكلبرجر »*

وقال كوبلاند في نفس الصفحة « إنه هو وايكلبرجر كانا ضد حلف بغداد » .

وقال : « مشاريع الدفاع والأحلاف والترتيبات العسكرية كانت نابعة من تفكير متخلف يمثله إيزنهاور وجهازه من الرسميين ، من بقايا الحرب العالمية الثانية ، وهو توقع غزو عسكري ، كالذي شنته ألمانيا ، ومن ثم فإن الدفاع ضده يقتضي مواجهته باستحكامات عسكرية » .

وقال كوبلاند : « إن فكرة منظمة للدفاع عن الشرق الأوسط كانت قد تحولت إلى خطأ تاريخي anachronism والسبب الوحيد الذي جعلها مطروحة للنقاش ، هو أن الوزير دلاس ـ رغم ذكائه ـ لم يستطع التخلص من الفكرة » .

وكما سنرى في فصل « الأحلاف » فإن أمريكا كلها كانت ضد حلف بغداد ، وليس فقط المخابرات الأمريكية التي كان لها ـ على أية حال ـ فضل الريادة ، لأنها باعتبار طبيعة عملها هي التي تكتشف وتتوقع التغيرات العالمية المقبلة ، بينما تغيير السياسة الرسمية ، ومفاهيم الدبلوماسيين والمسئولين الرسميين التقليديين يأتي في مرحلة تالية ، وعلى ضوء تحليلات

---

* تقرير وزارة الخارجية الأمريكية عن هذا الاجتماع التزم عند نشره بعد ثلاثين سنة بالقانون الذي يحظر ذكر أسماء المتعاونين مع المخابرات الأمريكية ، لم يشر إلى اسم حسن التهامي .

المخابرات CIA . . وكانت المخابرات CIA قد توقعت « التعايش » أو الوفاق وأن المرحلة القادمة ستكون مرحلة المزاحمة السياسية وليس الغزو على الطريقة الألمانية ! . . ومن ثم لم يكن يهمها في قليل ولا كثير مسألة الأحلاف بل كرهتها كرهاً شديداً وهاجمتها ببذاءة . . وبذلت جهداً كبيراً في تحطيم حلف بغداد ، من ناحية لأنه كان يمثل نفوذاً بريطانياً ومن ناحية أخرى لأنه كان يسبب لها مشاكل مع الأصدقاء المتعاونين . .

وعذراً عن هذا الاستطراد السابق لأوانه . .

يقول ايفيلاند : « استمع لنا ناصر بصبر ، ولكني أحسست ، إما أنه يتوقع معجزة من المخابرات CIA أو أنه وافق على مقابلتنا بحكم الكرم العربي ليس إلا . . » .

« غادرنا المنزل وأنا أتمنى أن لا تكون الـ CIA قد أقنعت الرئيس بقدرتها على تلبية مطالبه دون الحاجة للتوقيع . . لأنه إذا كان ذلك قد حدث فإننا سنجد في مواجهتنا عربياً شديد الغضب ، عندما يكتشف أنه لا « كيم روزفلت » ولا « آلن دلاس » ولا حتى « فوستر دلاس » يمكنه أن يغير له القوانين الأمريكية » .

« وكما قلت إنني كنت أتمنى لو وضع حد لدور المخابرات CIA في مفاوضات المعونة العسكرية والعودة إلى الدبلوماسية التقليدية ولذا لم يكن من دواعي سروري أن أرى في اليوم التالي كوبلاند منتفخاً كعادته متباهياً أمامنا بما تفعله السي آي ايه لدعم ناصر ونظامه . ففي شقة حديثة تطل على النيل عرفنا بـ « فرنك كيرنز » ، وهو مقاتل من CIG عمل مع « مايلز » وقدمه لنا كمراسل لـ .C.B.S* . وطبقاً لما قاله لنا كوبلاند فهو جزء من محطة المخابرات CIA في القاهرة ويعمل تحت غطاء صحفي وكان واضحاً أنه لا يهتم بعمله الصحفي هذا . . » .

، « ايكلبرجر أيضاً كان حاضرا وقال كوبلاند إنه انضم إلى CIA من وكالة والتر تومبسون للإعلان . وايكلبرجر يعمل الآن « رجل الفكر » ومهمته هي اكتشاف الوسائل التي تزيد شعبية حكومة ناصر في مصر والعالم العربي . . وأضاف كوبلاند إن الـ CIA توجه المصريين في ميداني الصحافة والإذاعة . وقد أحضرت عدداً من الألمان لتدريب المصريين بما فيهم أوتوسكوروزني الشهير الذي أنقذ موسوليني . ولكن الألمان كانوا متجاهلين ولا يدفع لهم كفاية ولذلك كانوا مستائين ويريدون الانصراف .

« ومتعطشا لأخبارنا بالمزيد ، وصف لنا كوبلاند المعدات الإذاعية الجديدة التي تقيمها

---

* شبكة إذاعة وتليفزيون في أمريكا وكان المتبع في تلك الفترة استخدام الصحفيين ورجال الإعلام كجواسيس للـ CIA أو اعطاء هذه الصفة كغطاء للعملاء وقد قامت ضجة كبيرة في الولايات المتحدة بعد أن فضحت « لجنة تشرش » هذه الحقيقة ، لما تشكله من خطر على سلامة الصحفيين الأمريكيين . ولكن لا نظن أن المخابرات عموماً ستكف عن استخدامها .

المخابرات CIA في مصر ، والتي ستكون ـ كما قال ـ أقوى إذاعة في الشرق الأوسط ، وكان يقصد صوت العرب ، الذي عمل حقاً بنجاح رائع ، حتى أننا وجدنا أنفسنا في النهاية مضطرين ، إلى تمويل محطات في بلاد أخرى لمواجهة هديتنا (لمصر) التي انقلبت ضد مصالحنا . كان واضحاً أن المخابرات الأمريكية قد بدأت عملية جبارة في مصر* ، ربما أكبر واحدة من نوعها منذ إنشاء المخابرات CIA . وكنت على يقين أن الحكام المحافظين في العراق والأردن ولبنان والسعودية والسودان لن يسعدهم ذلك . .

« ويبدو أنه لا نهاية للمفاجآت التي يمكن أن يقدمها كوبلاند ، وما أزعجني حقاً هو صغر سن وطيش الأشخاص الذي كان واضحاً أن يدهم قد أطلقت في العمل . لم يكن هناك وجه للشبه بين ما رأيته في مصر ، وما تعلمته في واشنطن عن كيفية رسم وتنفيذ حكومتنا لسياستنا الخارجية . كان ما رأيته في مصر مثيراً للزعب حقاً . وتعجبت كيف يتماشى سفير من الجيل القديم مثل كافري مع هذا . . » « وعندما تحدثت في تلك الليلة مع نائب كافري في السفارة ، وهو دبلوماسي ممتاز ، أعرفه من واشنطن ، سألني إذا كنت قد رأيت عملية ايكلبرجر ـ كوبلاند . . ؟! ومن لهجة سؤاله تأكدت أنه يرى مناورات المخابرات الأمريكية مغامرة خطرة كما رأيتها » . .

نتوقف قليلاً فالجرعة كبيرة حقاً !

١ ـ أظن أن الرجل قد رد على نفسه عندما نفى أن يقدم كافري على التآمر على فاروق . فها هو يشهد بأن كافري يتعاون ويتماشى مع نشاط السي آي إيه وإن تعجب من فعله .

٢ ـ استمر المؤلف في نقد تدخل المخابرات CIA في تحديد وتنفيذ السياسة الأمريكية ، وكرر خشيته من وعود الـ CIA التي أشرنا إليها والتي أدت فعلاً لإغضاب عبد الناصر عندما لم تتحقق .

٣ ـ قال له كوبلاند وتأكد هو أن المخابرات CIA توجه الصحافة والإذاعة المصرية ، وهناك خبير مقيم (أشار إليه مصطفى أمين وهيكل) هو ايكلبرجر مهمته اكتشاف وسائل تدعيم زعامة عبد الناصر . . وأن المخابرات CIA هي التي قدمت المعدات الفنية لإذاعة صوت العرب الذي سيصبح أكبر قوة مقاتلة في تصفية الامبراطوريتين البريطانية والفرنسية ، وأمجاد ياعرب كوبلاند أمجاد .

٤ ـ وفقا لقانون اللعبة ، كما حددها كوبلاند ، فقد كان من الطبيعي أن يهاجم « صوت العرب » أمريكا ، وأن تقوم أمريكا بتزويد بعض البلاد العربية بإذاعات أخرى لمواجهة « صوت العرب » ، وبصرف النظر عن أية نتائج أخرى ، فإن مجرد انشغال الدول العربية بحرب الإذاعات فيما بينها ، لا يضر أمريكا بأية حال .

* اقتبس هيكل نفس العبارة دون الإشارة للمصدر .

٥ ـ اقتنع « ايفلاند » بما رأى وسمع ولمس في مصر ، أن المخابرات الأمريكية تقوم بأضخم عملية في تاريخها منذ إنشائها ، وهي لا يمكن أن تكون عملية تجسس طبعا ، وإلا لما تخوف من نتائجها ولا تخوف عليهم ، وأي اطمئنان على جاسوس أمريكي أكثر من رؤيته يخلع جاكتته أمام رئيس الدولة ، ويتعشى معه ، ويناديه « جمال » وهو ما لم يحظ به أمين هويدي في حياته . .

ما لاحظه وجزع منه مندوب البنتاجون هو « عملية إدارة مصر » التي كانت تقوم بها المخابرات الأمريكية (تاريخ الزيارة هو أكتوبر ١٩٥٤) . وحق له أن يتخوف فقد كانت الأولى من نوعها في تاريخ أمريكا . . والثانية في التاريخ كله ، منذ أن نظمت المخابرات البريطانية في ١٩١٦ ثورة الشريف حسين وسمتها الثورة العربية الكبرى ! . . . وجاء الأمريكان بالثورة العربية الأكبر[٣١] . . وقد شارك ايفلاند مخاوفه الرجل الثاني في السفارة بأنها « مغامرة خطرة » . إنها عملية من نوع خاص خارج نطاق أعمال المخابرات المعتادة . . كوبلاند ينظم ويسجل اجتماعات ناصر بالأمريكيين الرسميين والمخابرات تبني « للثورة » محطة إذاعة تضمن وصول الوعي الثوري إلى أقصى أرجاء الوطن العربي ، وطاقم المخابرات يوجه الصحافة المصرية . . والإخوان على المشانق والشيوعيون مضربون عن الطعام في سجن القناطر . . ومن المحيط الغادر إلى الخليج الفاجر لبيك ياعبد القادر ! . .

ولكن ما يحز في النفس حقاً ، هو جزع الأمريكي لصغر سن الأولاد الأمريكان الذين يديرون مصر الناصرية !

لعبوا بنا العيال الأمريكان ، ومكنوا صبيتهم من الفرعنة والطغيان بشعب السبعة آلاف سنة حضارة !

قال ايفيلاند :

« في اليوم التالي أبلغنا كوبلاند أنه لا ضرورة لاجتماعات أخرى مع ناصر (كوبلاند هو الذي أبلغهم ج) فالمطلوبات أرسلت للسفير أحمد حسين في واشنطن وسيتبعها طاقم من الضباط المصريين خلال أسبوع لمناقشة التفاصيل مع الفنيين ، وسألته هل غير ناصر رأيه في مسألة قبول المستشارين العسكريين ؟ رد مايلز : لقد أخطأتم بمناقشة ذلك أمام عبد الحكيم عامر لأن « الفتى » (حسن تهامي ج) هو الرجل الذي سيبعثه ناصر إلى واشنطن للحديث عن البعثة العسكرية وكيف يمكن معالجة هذا الموضوع بطريقة أهدأ . سألت هل يعني هذا أن ناصر لا يزال مهتماً ، رد كوبلاند . . بكل تأكيد . . »[٣٢]

« لم يسألنا كافري ، ولم نتطوع بإخباره عن مقابلتنا مع ناصر ، ولو كنا نثرثر أو نتباهى لاعتبرنا مثل كوبلاند ورجال الـ CIA . . واعتقد أن تقاعده القريب هو الذي جعله يتغاضى عن أعمالهم » .

١ ـ الرجل كما هو واضح مفتون بكافري يتلمس براءته بالشبهات . . فلا يسعفه الحال . . وأخيراً وصل لتفسير « أنه ضاربها صارمة » باعتباره رايح أو تارك العمل الدبلوماسي قريباً . . ويارايح كتر من المخابرات CIA !

٢ ـ وواضح أنه حاقد على كوبلاند لأسباب عديدة ، منها أن كوبلاند ، أحبط مهمته في مصر ، وألغي موعده مع عبد الناصر مع أن عبد الناصر قال له « بكرة نتكلم في اتفاقية الدفاع المشترك » ولكن هاهو « كوبلاند » يصفعه : لا داعي للاجتماع مرة أخرى مع ناصر . . وبالطبع وصلت التقارير إلى واشنطن بأن ناصر رفض أن يقابلهم مرة ثانية ، وهذا دليل فشل أوسوء انطباع المقابلة الأولى . . وتأمل كيف يلغي كوبلاند اجتماعاً أراده ناصر !!

٣ ـ ربما يكون « كوبلاند » ثرثاراً . . وربما يكون متباهياً ، أو حتى مستمتعاً بإغاظة منافسيهم من الأجهزة الأمريكية الأخرى ، ولكن هذا يجعله متهماً بإفشاء « أسرار وحقائق » ولا يمكن أن يعطي معلومات بمثل هذه الخطورة لممثلين رسميين ، لوزارة الدفاع وجهازين على الأقل من أجهزة المعلومات والتجسس لا يعقل أن يقول لهم ـ كذباً ـ نحن نوجه الصحافة المصرية ، وهو يعرف أن هذا الكلام سيثبت في تقاريرهم الرسمية ، وسيستخدم ضدهم عندما تدور المناقشات حول الدور الذي تلعبه الصحافة والإذاعة الناصرية . .

لا يمكن أن يكون ذلك محض اختلاق وكذب . . ثم نسأل أنفسنا ما الصحافة ذات النفوذ وقتها ومن كان يسيطر عليها . . ؟ مصطفى أمين وهيكل وليس فيهما من يصل إلى مرتبة زوجة قيصر ولا حتى عشيقته ! وقد جاء في اعترافات مصطفى أمين ، أن رجال المخابرات الأمريكية كانوا شبه مقيمين في « أخبار اليوم » وفي مكتب هيكل أو مكتبه هو ، معظم الوقت .

ويختم ايفيلاند ملاحظاته في القاهرة قائلاً : « بالنسبة للأسلحة التي تطلبها مصر لمواجهة هجمات إسرائيل المتصاعدة ضد المدنيين المصريين ، والمنشآت والتشكيلات العسكرية المصرية في غزة وسيناء ، فأنا واثق أن « الموساد » (المخابرات الإسرائيلية) كانت على علم تام بمهمتنا في مصر ، ونظمت عن طريق اللوبي الصهيوني في الولايات المتحدة وقف المنحة . على أية حال كنت واثقاً أن الـ CIA أقل قدرة وأقل تأهيلا من وزارة الخارجية لتحديد احتياجات الجيوش الأجنبية للمعدات العسكرية » .

هل يمكن أن نخترق قشرة الصراع الغبي للأجهزة الأمريكية ، لنتساءل بدورنا هل الموساد ، اكتفت بتحريض اللوبي الصهيوني ، لإفشال أضخم محاولة ارتباط عربي ـ أمريكي ؟ أم أنها وهي التي اعترف المؤلف ايفيلاند نفسه بتداخلها مع المخابرات الأمريكية ، دفعت الموقف من الجانب الآخر ، باستفزاز عبد الناصر ضد الولايات المتحدة ، وإغرائه بالاتجاه للاتحاد السوفيتي . . وما الدور الذي لعبه أصدقاء ناصر من موظفي محطة المخابرات

CIA في القاهرة ، وصداقة عبد الناصر مع المخابرات CIA في هذا الشأن ؟!
سؤال . .

والرجل يشهد بوجود « تلاعب » في واشنطن أدى إلى قطع المعونة عن مصر . . قال إنه بعدما سافر من مصر نسي الأمر تماماً إلى « أن مر علي تقرير دوري في مكتب تنسيق العمليات يقول إن مصر كان مخصصا لها ٣٥ مليون دولار منحة عسكرية ، وليس ٢٠,١ مليون فقط . . وأن هذا المبلغ قد ألغي لأن ناصر رفض توقيع اتفاقية المعونة العسكرية مع الولايات المتحدة . . وصحت دهشاً : هل هذه إشارة إلى تقريري ؟! وبغضب شديد رحت أبحث عبثاً عن نسخة من التقرير الذي أعددته وقدمته ليوقع عليه جير هاردت (زميله في رحلة مصر والأعلى منه رتبة ج) فلم أجد له أثراً ولا إشارة . . لا في ملفات الخارجية ولا الدفاع ولا مكتب التنسيق . . اختفى * !! ثم يأتي مكتب الشئون المصرية في وزارة الخارجية ـ الذي تمنى لي الفشل في مهمتنا ـ وينسب رسميا لناصر رفضه عرض بعثتنا ، بل ويجعله مبلغا أكبر مما كنا نعلم ! . . وقد حاولت في سنة ١٩٧٨ بموجب قانون حرية المعلومات أن أحصل من وزارة الخارجية والدفاع على وثائق عن بعثتنا إلى القاهرة وعندها تأكدت أن تقريري لم يسجل قط في ملفات وزارة الدفاع وربما لن يعرف أبدا من الذي استخدم رحلتي للقاهرة لمنع المعونة العسكرية عن مصر . . لقد فسروا لي لماذا لم يأخذوا بنصيحتي عن إيران . ولكن بالنسبة لمصر أبقوني في ظلام دامس » .

وأخيراً فقد طلبت بريطانيا في عام ١٩٥٦ وضع حد للعبة الأمم في الشرق الأوسط ، وشكلت لجنة مشتركة من الأمريكيين والانجليز للتمهيد لاجتماع قمة بين ايزنهاور وايدن ، وكان المندوب البريطاني فيها هو وكيل وزارة الخارجية البريطانية لشئون الشرق الأوسط « ايفيلين شوكبرج »** وحسب النظام البريطاني فإن هذا الوكيل يكون عادة أهم من الوزير وأكثر اطلاعا على أسرار السياسة من الوزير الذي يتغير بتغير الحكومة . . وكان الوكيل يطلب قلب نظام الحكم في سوريا وضمها للعراق تمهيدا لقلب عبد الناصر ، وبالطبع كان الأمريكان يسخرون منه كما سنرى في مكان آخر . . ولكن نورد هنا هذه القصة . . قال ايفيلاند مؤلف كتاب حبال الرمال والذي كان يتولى التنسيق مع المندوب البريطاني إنه على الطائرة قال لوكيل الخارجية البريطانية « ايفيلين شوكبرج » : « إنني قلق من محاولة العراق

---

* يعزز روايته ما جاء في ملفات الخارجية الأمريكية بعد ثلاثين سنة من أنهم عثروا على التقرير في ورقة « دشت » بلا أرقام ولا حافظة ! . .

** نشر شوكبرج هذا في عام ١٩٨٦ مذكراته التي انتهت في ١٩٥٦ فلم ترد هذه القصة ولعل العمر يطول به أو تسمح له اللوائح للتعليق وإن كانت يومياته المنشورة تؤكد رغبة ايدن المحمومة في تصفية عبد الناصر ولو بالسم أو حتى خنقه بيديه !

الاستيلاء على سوريا عبر انقلاب أو بالقوة ، فرد عليَّ شوكبرج غاضبا : « أظن أنك تفضل أن يستولي على سوريا ، ناصر بتاع السي آي ايه » وهذا هو النص الأمريكي :

Perhaps you'd prefer to have the CIA's Nasser in control of syria instead ? »

أظن أن وكيل وزارة الخارجية البريطانية لا يمكن أن يقول هذه الصفة عن رئيس أكبر دولة عربية ، وفي حديث على الطائرة مع ممثل الولايات المتحدة الأمريكية بدون أي أساس ؟! . . ولمجرد إغاظة الناصريين بعد ثلاثين سنة !

على أية حال لقد أسقط في يد المؤلف في النهاية ، فقبل الحقيقة المسلم بها داخل جميع الأجهزة الأمريكية وقتها فقال بالحرف الواحد :

« وعندما اعتصر الكونجرس آلن دلاس في سؤاله حول أسباب فشل الـ CIA في التنبؤ بانقلاب العراق ، وكيف استطاع ناصر الاستفادة من الثورة اللبنانية وإخصاء مشروع ايزنهاور . ولأن دلاس لم يكن راغبا في نقده سياسة أخيه ، كما لم يكن راغبا في الأعتراف بأن المخابرات الأمريكية ساعدت على فرض عبد الناصر كرمز للقومية العربية فإنه لم يتردد في نسبة مشاكل الشرق الأوسط لروسيا ، وتعهد بأن تبذل الوكالة (المخابرات) كل جهد في طاقتها لحصر انتشار النفوذ الشيوعي » .

That the CIA had helped to establish Nasser as a symbol of Arab Nationalism. »

وقال عن « ايكلبرجر » ولأن جيم ايكلبرجر كان أحد المجموعة clique التي تفتخر بأنها اخترعت ناصر « invent » المؤيد للغرب . فإنني لم أدهش عندما قال لي إنه ما من دليل على الإطلاق ، على أن الرئيس المصري عميل للسوفييت إلا أنني لم أقدر على معارضته عندما قال (ايكلبرجر) إننا نحتاج مع ذلك ، لمعارضة سياسات ناصر علنا ، ويجب علينا مواجهة أعماله بطريقة تترك مجالا للمناورة معه عندما يكتشف في النهاية أن الدب الروسي يمكن أن يعصره بين أحضانه » .

وقال :

« كانت الصحافة البريطانية تتهمنا (الأمريكان ج) بأننا أدرنا ظهرنا لحلفائنا البريطانيين ونتضامن مع عملائنا المصريين والسعوديين الذين تعاهدوا على إخراج بريطانيا من الشرق الأوسط » .

وقال : « في مطار القاهرة قابلني شارلس كريمانز الذي عملت معه لما كان في المخابرات CIA في وظيفة كبير محللي الشرق الأوسط في المجلس الوطني للتقديرات . قال كريمانز إن قرار فوستر دلاس غير المناسب بإرسال جورج آلن قد أغضب ناصر الذي خمن إنذاراً . . وأن المخابرات CIA تحاول الآن عبثا تهدئته » .

« ولما قال لي كريمانز إنه يتعامل مع وزير الداخلية المصري وأنه كثيراً ما يرى ناصر نفسه ، سألته مازحا إذا ما كان يعلمها كيف يسيطران على العالم العربي ، فوجئت به يرد عليّ بجدية تفوق ما كنت أتوقع ، إذ قال . . إن هذه كانت فعلا خطة المخابرات CIA الأصلية ، ولكن الوكالة CIA تحاول الآن توجيه مصر إلى ميادين مطابقة لأهداف الولايات المتحدة » .

« وفكرت في نفسي : هذا هو واحد من أهم المحللين في المخابرات CIA وأستاذ جامعي سابق في القاهرة ، والآن يشغل نفسه بالعمل السري السياسي بدلا من جمع المعلومات حول ما أهداف ناصر الحقيقية » .

هذه أقوال شاهد النفي . . وأظن أن أية محكمة في العالم حتى ولو كانت محكمة الدجوي ستكتفي به كشاهد إثبات؟[٣٣] .

المراجع

١ ـ تقرير العلاقات الخارجية المنشور سنة ١٩٨٠ ص ١٠٠٠ .
٢ ـ ن . م ص ١٠٤٦ .
٣ ـ ص ٥٢ لعبة الأمم .
٤ ـ ن . م .
٥ ـ ن . م من ص ٥٧ إلى ص ٧١ .
٦ ـ ن . م ص ٧٤ .
٧ ـ ن . م .
٨ ـ حروش .
٩ ـ التنظيمات السرية في عهد عبد الناصر ص ٢٠١ .
١٠ ـ مجلة الوطن العربي ١٩٦٨ .
١١ ـ ص ٢٣٩ ملفات السويس .
١٢ ـ حبال من رمال ص ٢٠٣ .
١٣ ـ انظر الصفحات من ١٩٩ ـ ٢٠١ ن . م .
١٤ ـ ص ١٣ وهو يقول إنه اعتمد على قانون حرية المعلومات في تأليف كتابه .
١٥ ـ ص ٦١ حبال الرمال .
١٦ ـ ن . م .
١٧ ـ ن . م ص ١٦١ .

الملاحق

م[١] ـ أقواس المؤلف الأمريكي . . وهي طبعاً غير ناضجة لهذا النموذج من الديموقراطية الذي قدموه لسوريا بانقلاب الزعيم ، ولمصر بانقلاب ٢٣ يوليو !!

م[٢] ـ وجاء في كتاب حبال الرمال أن شركة التابلاين تكونت عام ١٩٤٥ ، وعهد في تنفيذ الخط

لشركة أمريكية ناشئة في ذلك الوقت هي شركة « بكتل » التي ستصبح من كبرى شركات المقاولات العالمية (وسيتخرج منها وزير خارجية أمريكا ج) . ولكن المشروع تعثر بسبب حرب فلسطين . ثم رفضت حكومتا لبنان وسورية التوقيع على اتفاقية الخط عام ١٩٤٩ (ص ١٧٨) وحتى هذا الكاتب الشريف يتعمد إغفال الإشارة للظروف السعيدة التي أدت في النهاية إلى التوقيع السوري على الاتفاقية في عهد الزعيم الثوري بعدما رفضت في كل عهود الرجعية ! . .

وأول دفعة شحنت في أنابيب التابلاين كانت في نوفمبر ١٩٤٩ . . بعد مقتل الزعيم بحوالي ثلاثة شهور . . فهل تذكر أمريكي واحد أن يدهن قبر « الزعيم » بالزيت أو حتى ينقله إلى المقبرة الأمريكية ؟!

قلة وفاء !

م٣ ـ ويقول مايلز كوبلاند إنه ليس إلا في ظل الوحدة ، ورئاسة جمال عبد الناصر حتى أنه تم « حل الخلاف المزمن بين سوريا (الإقليم الشمالي) والتابلاين . وكان مدير و شركات النفط يقولون إنهم يفضلون التعامل مع مسئول مصري حتى ولو كان معادياً على التعامل مع العرب الآخرين ولو كانوا أصدقاء » ص ٢٦٠ .

م٤ ـ نص البرقية لم يرد في الوثائق ، ولكن ورد ملخص لها في صفحة ٩٦٢ يقول : حسني الزعيم كجزء من تسوية شاملة تتضمن تعديلات عملية في الحدود ، أبدى استعداده لقبول ربع مليون لاجيء فلسطيني إذا ما منح مساعدات أساسية للتنمية . بالإضافة إلى تعويضات للاجئين . والبرقية ٢٥٦ أضافت أيضاً أن رئيس الوزراء (الزعيم) عاد يكرر رغبته في تصفية مشكلة فلسطين باتباع سياسة خذ وهات . على شرط ألا يطلب منه إعطاء كل شيء بينما الجانب الآخر يأخذ كل شيء . « إن هناك فرصة حقيقية لتسوية سريعة للمشكلة الفلسطينية فقط إذا ما عقدت الحكومة الأمريكية العزم على دفع الإسرائيليين لمواجهة الوضع بروح المساومة المنصفة والواقعية » . (ص ٩٦٢) . ومن المثير أننا سنجد نفس الموقف تتخذه حكومة ناصر من مشكلة اللاجئين والموافقة على توطينهم مقابل مشروعات تنمية ! (انظر فصل المواجهة مع إسرائيل) .

م٥ ـ مادح نفسه ابليس ، فالزعيم لم يكن يفعل أكثر من ترديد ما يضعه كاتب الرسالة في فمه ، حتى الاعتراض وطلب تنازلات مقابلة هو من حكمة الأمريكيين وليس من وطنية الزعيم .

م٦ ـ رئيس وزراء اليونان في التسوية التي عقدت بين تركيا واليونان عقب الحرب العالمية الأولى .

م٧ ـ كنا لا نزال طلبة عندما وقع الانقلاب السوري الأول ، وأذكر يومها الصديق المرحوم ر . ش . الذي دخل معي في حوار أنهاه بقوله : مهما يكن رأيك فقد دخل « حسني الزعيم » التاريخ ، وسرعان ما قتل حسني الزعيم وعرفنا من أي باب دخل وكيف انتقل فوراً إلى مزبلة التاريخ ، ولكن أخشى أن يظن بعض الشباب أن نجاح رجال انقلاب ٢٣ يوليو والدفاع عنهم إلى اليوم ، وكذلك العز الذي يعيش فيه بعض الصحفيين الذين باعوا أنفسهم للمخابرات الأمريكية أو البريطانية أخشى أن يظن هؤلاء أن « الجريمة تفيد » ولهم أقول إذا كان هناك ثواب وعقاب ، فإن الله لا يجرم بعد الشرك به جرما أكبر من خيانة الوطن ، فإن كانت الدنيا مصالح وما نحيا إلا هذه

الحياة الدنيا ، فيبقى الشرف ، يبقى ما تتركه لأولاد وأحفاد سيحملون اسمك ويواجهون ما تكشفه الملفات ولابد أن ينكشف . . أما حياة الفرد الخائن ذاتها فهي غير مأمونة ، وقد رأينا ما أصاب بعض الذين باعوا ضمائرهم عندما كشف أمرهم أو انتهت خدماتهم ، إن المخابرات التي استخدمتهم تتخلص منهم كما نتخلص من الصراصير والذباب . . وعبرة التاريخ كله تؤكد أن الخائن هو الخاسر وأن كسب الفرد لا يتحقق من بيع الوطن . .

م[٨] ـ حتى السبعينيات كان مرتضى المراغي يعتقد كما صرح للمؤلف ج . ك أن الانقلاب كان يعد له هو !! بينما يصفه تقرير السفارة الأمريكية بأنه آخر **Ace in the hole** عند الملك .

م[٩] ـ هنا اضطراب أو لبس غير واضح . . فهو قال في المقدمة إن روزفلت يئس في مارس ، ووافق على مقابلة الضباط الأحرار وإن كنا لا نفهم لماذا يمتنع رجل مخابرات عن مقابلة الضباط الأحرار حتى ولو كان لا يزال مخلصاً للملك ؟ على أية حال نحن لا نعلق أهمية كبيرة على حكاية آماله في الملك فقد جاء بعد حرق القاهرة ، ولم يكن مجنون واحد يراهن على الملك بدولار . . المهم أنه ثابت من الوقائع أنه قابل الضباط الأحرار في مارس ، وأن الانقلاب اتفق عليه وتقرر في مايو ١٩٥٢ ويمكن مطابقة ذلك على بعض التواريخ في مذكرات الضباط الأحرار .

م[١٠] ـ معذرة لو أطلنا في نقل هذا الكلام ، ولكنه يعطي فكرة عن « ثقافة » و « فاشية » المتحدث الرسمي باسم ناصر . . كما يعطي فكرة عن طبيعة الحوار وتطور أسلوب الاستعمار ، فهم يتحدثون عن « الثورة » ويشرحون الثورات . . وهم يدبرون القضاء على الثورة والثائرين !

م[١١] ـ وهذا يعني أن معرفة « ليكلاند » بهيكل سابقة على معرفة الأمريكي بالضباط ، ونتساءل هنا هل يمكن أن يطلع عبد الناصر صحفياً في « دار أخبار اليوم » على اتصالاته بالمخابرات الأمريكية ويشركه في اجتماعاته معهم على هذا النحو ، مهما يكن حجم ونوع الصداقة التي استعرت فجأة بينهما . . إلا إذا كان « هيكل » في سر الاثنين قبل إعلانه ؟! . .

وما معنى وصف كوبلاند لمصطفى أمين بأنه صديق ناصر ومتى بدأت هذه الصداقة وحول ماذا ؟! . .

م[١٢] ـ علاقة هيكل بالسفارة الأمريكية قبل ٢٣ يوليو أكثر من معروفة وواضحة من كلام كوبلاند ولكن كيف أصبح ممثل عبد الناصر في أخطر المهام وهي العلاقات المصرية ـ الأمريكية ، وبهذه السرعة ، وبعد أن أصبح جمال عبد الناصر في السلطة ؟! هذا هو لغز أبي الهول . . هل فرضه الجانب الأمريكي كوسيط ، أم أن علاقته بعبد الناصر سابقة على ٢٣ يوليو وأن ناصر كان يعرف ويستفيد من علاقة هيكل بالسفارة الأمريكية ؟! سؤال يضاف إلى حيرات الحائرين . .

م[١٣] ـ وهم حقاً « لا ثوريون » ويتضح ذلك من سلوكهم ، فهم في البداية لم يجدوا غضاضة بل قبلوا دون اعتراض التعاون المطلق مع المخابرات الأمريكية ، وجلسوا في « براءة » يتعلمون أصول مكافحة « العدو » على يد مدربين من هذه المخابرات التي كان يعاديها كل الشرفاء والوطنيين في العالم كله . . أما هم فلم يطرف لهم ضمير في نفس الوقت الذي كانوا فيه يحكمون مصر بحجة محاربة العملاء والنفوذ الأجنبي ، وكانوا يحكمون بالسجن والإعدام تلفيقاً بتهمة الاتصال بالأجنبي الذي

يتعلمون على يديه محاربة هؤلاء الذين أعدموهم وشردوهم ! ثم يصعب جداً أن تجد شخصاً منهم لم يتقبل الفساد ويحصل على جرعة منه ولو شقة من الحراسة . ثم تأمل ما فعله الثوار في الصين وكوبا وما فعله هؤلاء بمصر ، لتتأكد من صحة تحليل المدرب : إنهم يمتازون بعدم الثورية !

م[١٤] ـ ومرة أخرى تتأكد ملاحظته أو فراسته ، فقد تعرض المثقفون المصريون لأبشع امتهان وأسوأ معاملة في ظل العسكر الناصري ، بما لم يشهده أي عصر من العصور من إعدام إلى ضرب بالسياط إلى تعيين « صول » يدير كبرى المؤسسات الصحفية ، وجعل المثقف تابعاً للضابط . . ! وأيضاً إن أكبر وأخطر تدهور ثقافي في تاريخ مصر حصل في عهدهم .

م[١٥] ـ وهو الذي سيسميه ايفيلاند أيدلوجي أو مفكر النظام الناصري والذي تخصص في زيادة شعبية الرئيس عبد الناصر في العالم العربي !!

عجبي !!

م[١٦] ـ الآن تعرف لماذا كان عبد الناصر لا يحب الأسكندرية . لأن الموقف يحتاج إلى اسكندراني أصيل ليعلق على تأليف المخابرات الأمريكية في حل مشاكل الحكومة الثورية التي تحكمنا ياولداه !

م[١٧] ـ ص ٩٣ . وقد أوضحنا أن المثل الذي يضربه باستمرار هو الصلح مع إسرائيل ، ولكن هناك قرارات أخرى غير شعبية فرضها عبد الناصر بهذه السلطة .

م[١٨] ـ دراسة « قام بها أمريكي لا أستطيع الإفضاء باسمه لحساب صلاح سالم عن الوسائل التي تعين عبد الناصر في إيقاظ مصر . وهذا الأمريكي استعان بدراسة ممتازة وضعتها سيدتان من مكتب الدراسات الاجتماعية في جامعة كولومبيا » ص ١١٢ . « في يناير ١٩٥٤ جاء إلى مصر « بول لينبرجر » أكبر خبير في البنتاجون في الدعاية السوداء والرمادية . وخلال العشر سنوات التالية كانت اكتشافات المخابرات الأمريكية يحررها لينبرجر ويحول إلى الكولونيل « حاتم » ، مع الدراسات التي قام بها الباحثون الذين اختارهم صلاح سالم ، طورت بمساهمة ملاحظات من عبد الناصر نفسه ، على ضوء خبرته وتحولت إلى دراسة ضخمة وضعها عبد الناصر في حرز حريز في درج مكتبه » . وقال إن حضور « بول لينبرجر » هذا كان بتنسيق بين ناصر وكافري وأن أول أعماله كانت تحطيم سمعة محمد نجيب . » « مدير المخابرات الأمريكية في مصر طلب من واشنطن إقناع الإسرائيليين بمدح الإخوان . باعتبارهم القوة الوحيدة القادرة على خلع عبد الناصر . وهذا ما يعرف في التاكتيك المخابراتي « بمدح العدو لتشويه سمعته » ص ١٨٥ .

م[١٩] ـ وهذه هي الشركة الوهمية التي كان يتستر وراءها « مايلز كوبلاند » رئيس المخابرات الأمريكية في مصر . وهي التي دربت رجال المخابرات والمباحث المصرية على حماية الثورة ، وتخريج « الكوادر السياسية لبناء الاشتراكية » !!

م٢٠ ـ . . وفي هذا المجال ولزيادة الاطمئنان فإن المخابرات الأمريكية بدأت علاقتها مع عبد الناصر بأن قدمت له أسماء بعض المتعاونين معها ، وتم التخلص من بعضهم بينما اتفق الطرفان على استمرار التعامل مع بعضهم كضباط اتصال موثوق بهم من الطرفين ، وقد قال مؤلف كتاب « حبال من رمال » الذي استشهد به هيكل على أهم نقطة ـ في نظره ـ في كتاب « ملفات السويس » قال إن محمد حسنين هيكل ومصطفى أمين جندتها المخابرات الأمريكية كعملاء وكان ذلك بعلم عبد الناصر وقد أشار مصطفى أمين إلى هذا الدور الذي كان يلعبه بعلم عبد الناصر في رسالته إليه . وأيد « هيكل » أن عبد الناصر كان يعلم بارتباط مصطفى أمين بالأمريكان وأنه ينقل من هنا لهناك ومن هناك لهنا . . وبقي أن يتكلم مصطفى أمين .

م٢١ ـ ص ٣٢٠ حبال الرمال ـ وفور قراءة هذا النص نشرناه وطالبنا الأستاذ « هيكل » برفع دعوى ضد المؤلف صيانة لشرفه وشرف المهنة التي ننتسب إليها . . فلم يرد ، وقد أعدنا النشر في « رسالة التوحيد » . . فلم يرد فتقدمنا ببلاغ على يد محضر لنقابة الصحفيين ، اعتقاداً منا أنه أمر يهم نقابتنا فعلاً أن تدافع عن شرف « أشهر » صحفي مصري ، وعرضنا أن تطلب النقابة من الأستاذ « هيكل » أن يرد على هذا الاتهام الصريح المنشور بأنه هو ومصطفى أمين جندتها المخابرات الأمريكية وأن يتقدم للقضاء الأمريكي ضد المؤلف والناشر يطالبهما بإثبات دعواهما أو الاعتذار ومصادرة الكتاب ودفع التعويض ، وطلبنا من النقابة إذا اقتنعت بزيف الاتهام أن تتضامن هي بدورها مع الأستاذ « هيكل » في رفع القضية مادياً وأدبياً وأبدينا استعدادنا للتبرع بما يسهل ذلك . . فلم ترد النقابة ، بل وجهت الدعوة إليه ليحاضر في الوطنية . وأخيراً استشهد الأستاذ « هيكل » بكتاب « ايفيلاند » ذاته دليل اطلاعه على الاتهام وسكوته ! . .

وأخيراً لمن سيسأل لماذا لم تطالب « مصطفى أمين » برفع نفس القضية أقول لأن « مصطفى أمين » صادر ضده حكم بذلك من محكمة مصرية ، ومن ثم سيقول له القضاء الأمريكي : ارفع قضية في مصر أولاً . .

م٢٢ ـ أشار المؤلف إلى مايلز كوبلاند في مقدمته ضمن المراجع التي أفادته وشكره على ذلك ووصفه بأنه « خريج محترف للمخابرات الأمريكية » .

م٢٣ ـ ترجمنا of the CIA إلى « بتاع » السي آي ايه لأنها أدق جداً من أية لفظة فصيحة أخرى دون أي تحيز ضد الفصحى لغتنا الشريفة الخالدة بإذن الله .

م٢٤ ـ كتبها MAHDI وهو خطأ ربما يرجع إلى إتقانه اللغة العربية الفصحى !!

م٢٥ ـ وهي التي دربت رجال المخابرات والمباحث الجنائية المصرية في مطلع العهد الثوري !

م٢٦ ـ وقال إن هذه هي طريقة كوبلاند في « تلبيس » محدثه الخبر بقوله ـ كما تعرف بالطبع ـ

م٢٧ ـ هذا هو اجتهادنا في ترجمة .CIA safe house ولم نفهم كيف يكون بيت التهامي بيت الـ CIA الأمن ؟!

م٢٨ ـ وقال ايفيلاند معرضاً بأسلوب كوبلاند في الحديث عن التهامي : « ولكي يعرف القاريء أي « فتى » كان هذا . . فقد عرفنا نحن فيما بعد أنه أكبر مساعدي عبد الناصر إلى وفاته ، ثم عين نائباً لرئيس الوزراء للقصر الجمهوري في عهد السادات ، وأخيراً هو الذي اجتمع في الرباط سراً مع موشي ديان لترتيب الاتفاقات التي سبقت رحلة السادات التاريخية في ١٩٧٧ إلى القدس . وحضر مفاوضات كامب ديفيد مع الرئيس كارتر كمستشار للسادات » هامش ص ٩٩ .

م٢٩ ـ لما سأله الأمريكي ما هي خبرته كصاغ رقي إلى لواء في قيادة الجيوش العربية ؟ قال عامر : إن العدو المستهدف هو إسرائيل ، وهذا يعني أننا ندافع عن أرضنا ، ومن ثم نحن نحتاج إلى الوطنية أكثر من الخبرة . وهذا صحيح لو أنهم فعلوا واهتموا بإطلاق الروح الوطنية للشعب المصري .

م٣٠ ـ قال كوبلاند : إنه استرق النظر إلى جواز بيل ايفيلاند وعرف أنه زار لبنان والعراق والأردن واستنتجت من معرفتي بالعلاقة الوثيقة التي تربط ايفيلاند بشمعون ونوري السعيد والملك حسين أنه عمل على إقناعهم بنوع من الأحلاف الدفاعية عن الشرق الأوسط ص ١٤٩ لعبة الأمم . لاحظ تجسسه ولاحظ أن ايفيلاند لم يخبره . . كما لم يخبرنا الوغد النبيل ولو بعد ٢٥ سنة ! .

م٣١ ـ صحيح نظمت المخابرات الأمريكية وشركات النفط وغيرها أكثر من ثورة في أمريكا اللاتينية ، ولكنها كانت محدودة وفي مجال تنفرد فيه أمريكا غالبا بالعمل ـ كما لم تحاول هذه الثورات التطلع إلى نشر زعامتها خارج حدودها ، وطواها النسيان فور اختفاء قائد الانقلاب أو انتهاء أعمال الشركة .

م٣٢ ـ هل يفهم من هذا أن عبد الحكيم عامر لم يكن داخل اللعبة بالكامل ؟!

م٣٣ ـ وقد تفضل الأستاذ « هيكل » وصحح لنا اسم هذا الشاهد فكتبه « ولبور » وله الشكر . . ثم استشهد من كتابه هذا « حبال من رمال » وهذا يعني أنه قرأ الكتاب واعتبره وثيقة في ما يرضيه ، فلا أقل من أن ينفي أو يفند أو يرد ما لا يقبله أو ينكره كما فعلنا نحن ، وفي الكتاب كما رأينا اتهامات خطيرة تخصه شخصياً وتخص عبد الناصر والتاريخ الذي يحاول تسجيله ، ولكنه آثر السلامة فلم يتعرض لذلك بحرف . .

والسكوت علامة الرضاء . . ولكن للبكر ! . .

قبل الطبع

. . . أبلغني سفير دولة عربية أن المرحوم « حسن صبري الخولي » الضابط والممثل الشخصي للرئيس عبد الناصر اعترف له أنه شخصيا (أي حسن صبري الخولي) قد حضر بعض تدريبات « محمود عبد اللطيف » على تنفيذ عملية المنشية ! أي أن محمود عبد اللطيف كان تحت إشراف المخابرات الناصرية قبل الحادث وجرى تدريبه عليه بمعرفتهم !

أما آن أن يتحرك الإخوان لإعادة فتح التحقيق في مسرحية المنشية الدموية . . أين ورثة عبد القادر عودة والشهيد يوسف طلعت بطل حرب فلسطين ومعارك القناة ؟!

الفصل الخامس

الدبة والزعيم ..
ورسالة مصطفى أمين

« . . وعرفت أن قادة الثورة يعلمون جيداً أن كل هؤلاء من المخابرات الأمريكية ولكنهم يرون المصلحة في الاتصال بهم . . »

من مصطفى . .
. . لجمال . .

وأمامنا الآن شاهد من نوع خاص ، ملء السمع والبصر . . يحتاج المرء إلى كل وطنيته وموضوعيته ليحاكمه ويدينه . . ولو كان هذا الحديث يكتب منذ ثلاثين سنة أو أكثر ، لما تردد القلم لحظة واحدة ، ولا أحسست إلا بالفرحة والنشوة وأنا أشرح جثة مصطفى أمين السياسية ، ولكن السنوات لعبت بنا جميعاً ، وقامت بيننا علاقات يمكن بكثير من التجاوز وصفها بالإنسانية ، أو الاجتماعية* ، وأصبح يحز في القلب أن توجه إليه تهمة الخيانة والعمالة ، وخاصة أن الرجل نسيج وحده ، كفاءة نادرة ، وجلد على العمل لا مثيل له في تاريخ الصحافة أو الكتابة . . ثم كانت حادثة سجنه بتهمة العمل للمخابرات الأمريكية ، وهو ما يتفق الجميع على وصفه « بالغدر » لأنه كما قلنا يومها ، إن « الثورة » التي لم تعتقل مصطفى أمين في ٢٣ يوليو ١٩٥٢ لا يمكن تبرير موقفها منه في ١٩٦٥ وبعدما كان في قلب تحركها السياسي لأكثر من عشر سنوات .

ثم إن الرجل قد بلغ من العمر عتياً ، وهو متعدد المواقف والنشاطات واشتهر بالدفاع عن الديمقراطية حتى أصبح نجماً شعبياً ، وخاصة في تحدي السلطة منذ أواخر عصر السادات . . وإن كانت هذه أيضاً محل تساؤل ، إلا أن الرجل أحد القلائل الذين أنزلوا بمصر ضرراً فادحاً منذ أن تألق في سماء الصحافة المصرية ، ولو مات أو متنا قبل أن نعرف علاقته بالمخابرات الأمريكية لصار غصة في حلوقنا . . فقد كان نجاحه على الرغم من الإرادة الوطنية المصرية ، وبدفع أمريكي كما كنا نشك وكما جاء في اعترافاته . وقبل يوليو ١٩٥٢ كان الشارع السياسي مجمعاً على خيانته وتآمره على الحركة الوطنية . . وكان كيده للوفد لحساب السراي ، عملاً يتفق ومصالح الانجليز والرجعية المصرية وضد التطلع الشعبي ، فلما قرر الأمريكان الإطاحة بالملك ، أسف في التشنيع

---

* وذلك بعد أن انكشف أمره وزال خطره .

عليه وخاصة بفضيحة أمه وأخته في أمريكا ، والتي يمكن أن نفهمها الآن ، ولو متأخراً جداً ، على ضوء ما عرفناه عن تآمر المخابرات الأمريكية ضد الملك فاروق ، فأغلب الظن أنها دبرت هذه الفضيحة ، وأغوت أخت الملك وأمه ، ثم أطلقت عليهما ، الصحافة ، وقد لقيتا في النهاية المصير التعس الذي يلقاه كل من يقع في شراك تلك الأجهزة التي لا تعرف الوفاء ولا الضمير . . غير أن سخط الناس واحتقارهم فاق كل حد عندما انهالت « أخبار اليوم » على سيرة وسمعة وتاريخ الملك فاروق نفسه بعد الثورة ، لا حباً في الملك بل لما في الموقف من خسة ونذالة ، من كاتب هو أول من مجد الملك وأكثر من أكل على مائدته . . و « مصطفى أمين » هو الذي قاد المعركة الإعلامية ضد الأحزاب وضد الديمقراطية وضد الدستور ، وهو الذي دس الأخبار الملفقة التي مكنت الديكتاتورية من البطش بالأحزاب ثم بمحمد نجيب ، وهو الذي صنع أسطورة الزعيم وشن الحملات البذيئة ضد ملوك ورؤساء العرب .

ومصطفى أمين كما تكشف الوثائق اليوم ، كتب وتعامل مع السفارة البريطانية ، وتوجه إلى تلك السفارة يوم حرق القاهرة يدبر لهم مع القصر إقالة حكومة الوفد ، وهو الذي كان حرباً على الحركة الوطنية في فترة إلغاء المعاهدة حتى كادت الجماهير أن تحرق أخبار اليوم لولا استعانته ببعض العمال المأجورين ، والذين كان يدفع لهم بسخاء من الموارد الخفية التي اعترف بها في رسالته لعبد الناصر والتي كانت تتدفق عليه بسبب علاقته بالمخابرات الأمريكية .

ومهما يكن رثاؤنا للرجل ، فلا مجال للقسوة عليه ، لأن ما جناه ضد وطنه يجعل أية عقوبة أقل مما يستحق .

اعتقل « مصطفى أمين » في ١٩٦٥ عندما وصلت العلاقات الناصرية - الأمريكية إلى الصفر ، ونال مصطفى أمين جزاء سنمار أو صدق فيه الحديث الشريف : من أعان ظالما على ظلمه سلطه الله عليه . فأممت داره الصحفية وعزل من رئاسة تحريرها ، بل ومنع من الكتابة فيها ، وراجع مقالاته غلمان الحركة الشيوعية المنحلة . . وأحس أن الأرض ملغومة ، وأنه قد يكون الكلب الذي يذبح لإرهاب القرد ، فترامى على المندوب الأمريكي للمخابرات يطلب مساعدته على الخروج وتهريب أمواله ويلح عليه في طلب المزيد من الضغط الأمريكي لإرجاع ناصر إلى صوابه . .

وكان عبد الناصر قد ضاق ذرعاً باللعبة مع الأمريكان ، وتدهورت أسهمه في بورصة الحرب الباردة وصراع النفوذ فقبض الأمريكان يدهم ، واستبد به الروس . . وحز في نفسه تصرف مصطفى أمين ، ونسى ما فعله مصطفى أمين من أجله ، وما فعله هو بمصطفى أمين فأمر باعتقاله بتهمة التجسس ، ولم يكن تنفيذ ذلك بالأمر الصعب . .

وفي التحقيق أو السجن كتب مصطفى أمين رسالة مطولة لعبد الناصر ، وإن كانت

أجزاء منها يتحدث فيها عن عبد الناصر بضمير الغائب ، مما يؤكد رأينا في أن الرسالة قد تعرضت لرقابة ما ، وأنها تجميع بين اعترافات في محضر التحقيق ورسالة استعطاف لعبد الناصر . .

وجهة ما قد تكون المخابرات العامة أو أقرباء عبد الناصر* أعطوا الرسالة لصحفي ناصري الذي نشرها في جريدة العرب بالمقدمة التالية :

« وقد كتب مصطفى أمين اعترافاً تفصيلياً في مذكرة طويلة أرسلها إلى جمال عبد الناصر ولا يمكن أن يدعي أنه كتبها تحت ضغط ، لأنها تحمل تاريخ حياته ، وقصة ارتباطه بالمخابرات الأمريكية التي بدأت قبل الثورة بسنوات ، وفيها يحكي كثيراً من التفاصيل حول الذين جندهم للعمل معه من المحررين بعلمهم أو بدون علمهم ويعدد المكاسب التي حصل عليها من المخابرات الأمريكية . . . »[1]

ونحن نوافق على هذا حرفياً ، ولا نتصور كذب مصطفى أمين على عبد الناصر في مثل هذه الرسالة وفي وقائع يعلمها عبد الناصر .

كذلك نوافق حرفياً لأول مرة في حياتنا ، على قول « هيكل » أو اعترافه بأن الأستاذ « مصطفى أمين » كان هو الصحفي المعبر عن السراي واتجاهاتها ، وقد ظل هذا الوضع قائماً حتى سنة ١٩٥٢ . »

بالضبط هذا ما قلناه قبل ثلاثين سنة فحرمنا من جائزة الملك فاروق مرتين ! وما قاله « أبو الخير نجيب » فنكلوا به تنكيلاً !

فقط . . أين كنت أنت ياأستاذ هيكل في تلك السنوات التي كان فيها مصطفى أمين يعبر عن السراي ؟ . . ألم تكن معه في « أخبار اليوم » بل نجمها الصاعد المتألق ؟ ألم تكن شريكاً في صحيفة السراي ورئيس تحرير مطبوعاتها مرة بالفرد ومرات بالجوز . . الآن فقط عرفت أن أخبار اليوم أسستها المخابرات الأمريكية ونحن كنا نتداول هذه الحقيقة على المقاهي في الأربعينيات ؟**

---

* وقد نشر « هيكل » نفس الرسالة معدلة نوعاً ما في كتابه « بين الصحافة والسياسة » وقد قمنا بتصحيح ما نقلناه عن النص القديم اعتماداً على نص هيكل باعتباره المصدر الأصلي .

** كان الأستاذ « أمين صفوت » المحامي قد عمل في دار أخبار اليوم في فجر حياته العملية ، قبل انقلاب يوليو واصطدم بالطبع مع « محمد حسنين هيكل » ورغم إعجاب علي أمين بعمل الأستاذ صفوت إلا أنه قال له بصريح العبارة : « لابد أن تعرف إن محمد حسنين هيكل هو أحد الأعمدة التي تقوم عليها هذه الدار . . » وقد هدم هيكل الدار . . أما آن الأوان أن يعيد مصطفى أمين قصة « شمسون » فيحكى القصة كاملة قبل . . أطال الله عمره وأيقظ ضميره وطهر قلبه من أوهام الوفاء لمن تركوا تلميذه ينهش لحمه وفرضوا عليه السكوت ! وقد قلت دائماً

هل يعقل وأنت الصحفي العالمى الطائر من كوريا إلي إيران محلل السياسة الدولية والفائز بجائزة الملك فاروق مرتين . . بل أنت أنت لك المجد الذي حلل الموقف عشية ٢٣ يوليو وفي سيارة ، واستخلصت أن بريطانيا لن تهاجم الثورة إذا ما قامت ، وأخذ عبد الناصر بتحليلك واتكل على الله وعليك وقام بانقلابه فغيرت مشورتك وجه التاريخ . أيعقل ياسيدى أنك لم تشم رائحة المخابرات الأمريكية في أخبار اليوم إلا فى سنة ١٩٨٤ . .

عيب !

الآن جئت تقول : « الدار دى ريحتها مستكى »!*

وأحب أن أقول إن مؤسسة ضخمة مثل أخبار اليوم . وبالهدف الذي قامت من أجله لم يكن من المعقول أن تقتصر على صحفيين عملاء ، ولكن في الفترة من ١٩٤٥ إلى ١٩٥٢ على الأقل لم يكن من المعقول أن يتألق فيها ويلمع صحفي وطني فضلاً عن ثوري يدبر انقلاباً . . أما بعد ذلك وخاصة فى نهاية الخمسينيات فقد اختلطت الأمور واستؤصلت أو أبعدت الأقلام الثورية . . وانضبط الجميع فلم يعد يهم من يكتب ماذا . . كذلك أتحدى أي مؤرخ أو محلل سياسي للفترة ما قبل ١٩٥٢. يوافق على أن ضابطاً وطنياً ثورياً يعادى الانجليز والسراي يمكن أن يتجه إلى دار « أخبار اليوم » ومحمد حسنين هيكل لخلق صلة من أية نوع . . لقد كان الوطنيون يتحاشونها كالجرب ! . .

كذلك نتمسك بنص رائع أورده العلم الخبير الأستاذ هيكل تعليقاً حول تقرير للسفير البريطاني جاء فيه : « تلقى أحد أعضاء هذه السفارة مكالمة تليفونية من علي أمين يسأل إذا كانت هناك صحة للتقارير التي تتحدث عن تحركات واسعة النطاق للقوات البريطانية » .

فعلق لا فض فوه ولا عدمنا اعترافاته :

« ليس متصوراً بالطبع أن يكون الأستاذ « علي أمين » قد اتصل بشخص في السفارة لم يعرفه من قبل ليسأله هذا السؤال الخطير ، وليس مقصوراً أيضاً أن لا يذكر السفير في تقريره اسم المسئول الذي جرى معه الاتصال . . ومن هنا يمكن استنتاج أن الشخص الذي اتصل به الأستاذ علي أمين يعمل في السفارة ولكنه ليس في الأقسام السياسية الظاهرة ، التابعة لسلطة السفير وإذن من هو وتحت أي غطاء يعمل ؟» (حرفياً من كتاب بين الصحافة والسياسة) .

= إنه ما من شيء يخفف ذنب مصطفى أمين إلا أن يكشف كل شيء وعليه وعلى أعدائه . . ليعرف الشباب الحقيقة . . فهل يفعل ؟! . .

* المثل المصري : أكل واتكى وقال دا رحته مستكى ! والمستكى في التعبير الفلاحي هي « الجلة التي تصنع من روث البهائم » أجلك الله !

وحقاً لولاك ياجرادة ما وقعت ياعصفور . .

الله أكبر !

من فمك أدينك ياإسرائيل ، روزفلت ايكلبرجر ليكلاند ايفانز جونز . . وما رأيك أن جميع اتصالات عبد الناصر بالسفارة الأمريكية وردت في مجموعة وثائق ١٩٥٢ ـ ١٩٥٤ تحت عبارة : اتصل « بموظف السفارة » أبلغني موظف السفارة أن « ناصر » أو أبلغ ناصر موظف السفارة » . . وبأي صفة كنت أنت تتصل وما الغطاء الذي كانت تعمل تحته خلية النحل المخابراتية بالسفارة وحولها . . تستكثر على « علي أمين » الذي كان يسرحك من كوريا إلى إيران أن يعرف موظف مخابرات في السفارة البريطانية وأنت قبل حرق القاهرة بثلاثة شهور تتعشى في بيت موظف بالسفارة الأمريكية وتحرضه على حكومة مصر وسياستها » ؟!

حقا اللي زي علي أمين ماتوا . .

ونزيد إن « عمالة » وارتباط مصطفى أمين بالقوى الأجنبية كانت حقيقة معروفة وشائعة ومقررة في مصر منذ ظهور « أخبار اليوم » وكان باعة الجرائد ينادون على صحيفة « أخبار اليوم » : « اقرأ جريدة السفارة البريطانية » أو « الأمريكية » ! وقلنا إن رجال الثورة لم يعتقلوا من الصحفيين في الساعات الأولى إلا مصطفى وعلي أمين ، حتى جاء الأمر من الذي عنده علم من الكتاب الإبليسي بالإفراج . . بل وأصبح مصطفى أمين كما هو ثابت من نص الرسالة التي اتفقنا جميعا على قبولها بلا تحفظ . . أصبح مستشار عبد الناصر ومحل ثقته والصحفي الأول في مصر إلى أن نازعه مكانته تلميذه والذي كان بلا تاريخ وطني ، بل تحيط به شبهة أكدتها التقارير والمذكرات فيما بعد ؟!

لماذا اختار عبد الناصر مصطفى أمين ، وأخبار اليوم من دون الصحافة المصرية كلها ليجعلها صحيفة الثورة ؟!

لماذا أعطى عبد الناصر الثقة مدة ١٣ سنة لجاسوس معروف للأمريكان ؟! هذا سؤال لم يطرحه الذين سعدوا بالرسالة نكاية في مصطفى أمين ، فقتلوا الذبابة ولكن على جمجمة الزعيم !

ooo

وهذا بعض ما جاء في الرسالة الوثيقة مما يتصل بموضوعنا :

« وأحب ياسيادة الرئيس أن أروي لكم بأمانة كيف بدأت علاقتي بالأمريكيين ففي سنة ١٩٣٥ عين والدي وزيراً مفوضاً في واشنطن وسافرت معه وأقمت في السفارة المصرية بواشنطن . . وكنت أرغب في أن أدخل كلية لدراسة الصحافة » .

« وبعد عودتي من أمريكا واشتغالي بالصحافة التقيت بالكثير من أصدقائي الأمريكيين ، وفي تلك الفترة التقيت بارشى روزفلت ، وكيم روزفلت . وكان روزفلت يؤلف كتابا عن النفط في الشرق الأوسط وكنا نلتقي باستمرار مع هؤلاء جميعا وكنا نتحدث في شئون الحرب

وشئون الشرق الأوسط . . والتقيت في ذلك الوقت بالسفير الأمريكي بالقاهرة وكان يدعوني باستمرار للغداء والعشاء معه ، وكان له عدة بيوت في القاهرة ، وكان لا يهمه أمر مصر إطلاقاً . . وفي أثناء ذلك أمكنني أن أعرف منهم عدة أخبار هامة أفادتني صحفياً . . واستمرت علاقتي واتصالاتي بالسفارة الأمريكية بالقاهرة وموظفيها وحدث في سنة ١٩٤٧ أن طلب مني المرحوم النقراشي باشا رئيس الوزراء أن أكون واسطة الاتصال بينه وبين الأمريكان .

ثم تولى مستر تاك منصب سفير أمريكا وكانت علاقتي به قوية جداً . وكنت أقابله باستمرار . وفي تلك الأيام تغيرت سياسة أمريكا وأصبحت لها سياسة مستقلة في المنطقة بعد أن كانت تعتمد على أن تكون ذيلا لبريطانيا في المنطقة . وكثيراً ما نقدت قبل ذلك سياسة الأمريكان في أنهم يتلقون تعليماتهم من السفير البريطاني في القاهرة ، وكانوا أشبه بالمنومين مغناطيسيا لا يصدقون إلا ما يقوله لهم الانجليز » !!

« ثم حدث بعد ذلك أن توثقت علاقتي بمستر كافري السفير الأمريكي الجديد وكنت أقابله باستمرار وكان مقتنعاً برأيي بأن مصلحة أمريكا هي مصلحة الشعوب العربية في الوقت نفسه وهي أن تؤيد أمريكا خروج المنطقة من النفوذ البريطاني وكان يكره الانجليز كراهية شديدة . وعندما يسمعني أنتقد تصرفات الانجليز في المنطقة ، يهتز طربا وكأنه يسمع قطعة موسيقية ولكنه يعطف على الملك فاروق . وكان الملك قد وثق علاقته به وكان يفهمه أنه يستشيره في كل المواضيع وأنه يأخذ رأيه قبل أن يفعل أي شيء » .

« ولما تولى نجيب الهلالي الحكم عرفت أن الملك فاروق أخذ رشوة مليون جنيه من أحمد عبود باشا ليقيل نجيب الهلالي من الوزارة ، وأخبرت كافري بذلك فلم يصدق ثم تحرى الخبر بطريقته الخاصة وتأكد أنه صحيح . ثم زار كافري نجيب الهلالي وقال له إنه تأكد أن الملك قبض فعلاً مليون جنيه ليقيل الهلالي من رياسة الوزارة . وعندما استقال نجيب الهلالي راح يصرح للناس بحكاية رشوة المليون جنيه وهذا الموقف هو الذي جعل كافري يغير رأيه في الملك ويرى أن بقاءه على العرش كارثة » .

ما غلطناش !!

١ ـ المنطقة في دائرة النفوذ البريطانية والأمريكان موافقون على ذلك ، ولهم اتصالاتهم بمصطفى أمين .

٢ ـ الأمريكان خلال الحرب العالمية وما بعدها بدأوا يعملون لوراثة الامبراطورية البريطانية ، واختفى الطاقم المتتلمذ على بريطانيا ، ظهر الطاقم الذي « يكره بريطانيا كرهاً شديداً » ومنهم السفير « كافري » صديق مصطفى أمين الذي هو صديق كيرميت روزفلت كما نرى من عام ١٩٤٤ .

٣ ـ كافري علاقته قوية بالملك وفاروق يثق فيه ثقة مطلقة . .

٤ ـ في وزارة الهلالي أي مارس ١٩٥٢ نفض كافري يده من الملك وقرر أن بقاءه على « العرش كارثة » . . كارثة لمن ؟ . . ولماذا هذا الاهتمام البالغ بمصر وكوارثها من السفير الأمريكي ؟ وما هذا البساط الأحمدي بين صحفي مصري والسفير الأمريكي . . ؟ . . وما العلاقة بين رأي السفير الأمريكي في العرش ومن يبقى على العرش ، بحملات أخبار اليوم ضد الملك والفساد والوفد . . ثم بما جرى للعرش بعد ذلك ومن « محاسن الصدف » أن يستمر كافري ومصطفى أمين على علاقة ممتازة بمن خلع الملك وورث العرش ومنع الكارثة !!

قال مصطفى أمين لعبد الناصر :

« وأذكر لسيادتكم أنني التقيت بمستر « كيم » ومستر « ارشي » روزفلت في عام ١٩٤٤ وذلك في مكتبي في مجلة الاثنين التي كنت أرأس تحريرها والذي قدمني لهما هو الدكتور فؤاد صروف عميد الجامعة الأمريكية في ذلك الوقت وجرى الحديث في ذلك اليوم عن أن « كيم » يؤلف كتابا عن منطقة الشرق الأوسط والبترول العربي وأنه سيستغرق عدة سنوات لإعداد هذا الكتاب . .

« وقد سألني خلال هذا الحديث عن رأيي في سياسة أمريكا في المنطقة . فقلت له إن أمريكا لا سياسة لها ، وأنها تسير في ركاب الانجليز ضد الشعب المصري .

« وكان « كيم » وقتها يرتدي ملابسه العسكرية كضابط في الجيش الأمريكي ولا أذكر رتبته ولم يتكلم « ارشيلد » في أثناء مناقشتي مع « كيم » وكان يرتدي أيضاً ملابس عسكرية كضابط للجيش الأمريكي . . » .

« وكان هذا سنة ١٩٤٤ ولم يحدث بعد ذلك أن تقابلت مع أحدهما أو مندوب عنهما كما لم يحدث في خلال هذه المقابلة أي اتفاقات أو ارتباطات بمواعيد لاحقة » . . « ثم حدث أن أقام مستر كافري مأدبة عشاء أو غداء لا أذكر ، وكان ذلك بعد سنة ١٩٥٠ فتقدم لي خلال هذه الدعوة « كيم » ويده في يد مستر كافري السفير الأمريكي وكان في هذا الوقت شخصا مدنيا . وسألني « كيم » إذا كنت أذكره وكنت في ذلك الوقت صاحب جريدة أخبار اليوم ومجلة آخر ساعة . وكنا نهاجم سياسة الوفد والنحاس ، فأجبته إنني أذكره وأن شكله لم يتغير ، وتحدثنا على ما أذكر في استنكار سياسة أخبار اليوم بمهاجمة النحاس وأن هذا يضر الموقف الدولي ، ولا يساعد على مقاومة الشيوعية في المنطقة .

فقلت له إن الفساد هو الذي يؤدي إلى نشر الشيوعية وأننا نحارب الفساد وانتهت هذه المقابلة أيضاً دون ارتباط ولكني أذكر هنا أنني شعرت بأهميته غير العادية بالطريقة التي كان يمسك بها يد السفير وكان « كافري » مشهورا بالعجرفة والرسمية . .

وبعد تشكيل وزارة علي ماهر بعد حريق القاهرة في ١٦ يناير ١٩٥٢ كنت موجودا عند

رئيس الوزراء في ذلك الوقت ودخل السكرتير يعلن وصول مستشار الرئيس ايزنهاور وقد بدا على علي ماهر الاهتمام بالضيف الكبير وطلب مني الانتظار في غرفة السكرتير حتى تنتهي زيارة هذا الشخص فإذا به كيم روزفلت ولكني لم أحضر المقابلة وعلمت بعد ذلك من رئيس الوزراء أنه كان يتحدث في موضوع استئناف المفاوضات مع انجلترا وكان هذا أول اتجاه لأمريكا للتدخل في سياسة مصر .

وذهبت بعد ذلك إلى إحدى الحفلات ووجدت أن كيم موجود فيها فتوجهت إليه بعد أن عرفت من علي ماهر أهميته وتحدثت إليه عن مقابلة رئيس الوزراء وقد ذكر لي أن أمريكا مهتمة باستئناف المفاوضات التي انقطعت بين مصر وبريطانيا وأن لندن مستعدة أن تذهب إلى نصف الطريق وانتهت المقابلة .

وكان كيم قد حضر إلى مصر في هذه المرة في مهمة قصيرة لا تزيد على يومين ثم قامت الثورة في ٢٣ يوليو ١٩٥٢ وحضر كيم إلى القاهرة أيضاً في مهمة الاتصال بقادة الثورة ولم أقابله هذه المرة ولكن عرفت بحضوره من بعض أعضاء مجلس قيادة الثورة .

وزاد تردده على القاهرة بعد ذلك في مهام قصيرة وقد قابلته في أغلب المرات والحقيقة إنني كنت أسعى إلى لقائه عندما أعلم بحضوره وكنت أجتمع به في حضور الأستاذ محمد حسنين هيكل وكنا نتغدى معا في بيتي وقد توطدت علاقتنا وكانت مناقشتنا تدور حول المشاكل التي تدور في الأذهان ، وجرى حديث أيضاً عن محمد نجيب ورأينا أنه لا يصلح وكانت هذه المرحلة خلال الفترة سنة ١٩٥٣ ، ١٩٥٤ .

وكان كيم روزفلت على اتصال وثيق بالثورة وكان يقوم بنشاط واسع في هذا المجال لدرجة أنه كان في ذلك الوقت صاحب أقوى نفوذ بين الأمريكيين في مصر بما فيهم السفير الأمريكي » .

ثبتت الرؤيا !!

١ ـ كيم روزفلت جاء إلى مصر قبل الثورة مرتين على الأقل . . مرة بعد ١٩٥٠ وارجع إلى ما قاله ايفيلاند عن تجنيد الصحفيين المصريين البارزين الثلاثة ، ومرة بعد حريق القاهرة ، وقد جاء في المرة التالية بغطاء كبير ومهم يستوجب الثقة وهو ما حدث إذ تلقاه « علي ماهر » باحترام وأخرج مصطفى أمين من الغرفة ، وهو لا يدري أنه صديق قديم لمصطفى أمين من ٨ سنوات على الأقل ! . . كما حاز ثقة الملك فاستسلم لمشروعه الوهمي عن الثورة البيضاء . . كما حاز ثقة المجموعة الناصرية في تنظيم الضباط الأحرار . . كيف لا وهو مستشار ايزنهاور ؟!

٢ ـ أما حكاية أنه أقام في مصر يومين ، فإما أنها معلومات « مصطفى أمين » أو تنقيح من « الجهاز » الذي سرب هذه الرسالة للنشر للنيل من مصطفى أمين ، والثابت من الروايات

الأخرى أن كيم روزفلت أقام في مصر من فبراير إلى مايو . . (١٩٥٢) .

٣ ـ اجتمع روزفلت ومصطفى أمين ومحمد حسنين هيكل في أغلب المرات التي زار فيها كيرميت مصر بعد الثورة . .

٤ ـ اتفق رأي كيرميت روزفلت « ممثل » المخابرات الأمريكية ، ومصطفى أمين وهيكل مثلا . . ؟! . . على أن محمد نجيب « لا يصلح » محمد نجيب يوك ! . . محمد نجيب NO good . . من هو كيرميت روزفلت ليقرر صلاحية رؤساء مصر الثورة ؟!

هل من جواب عند الثوريين ؟!

٥ ـ « كان كيم على اتصال وثيق بالثورة » .

« وكان يقوم بنشاط واسع في هذا المجال » .

« لدرجة أنه كان في هذا الوقت صاحب أقوى نفوذ بين الأمريكيين في مصر بما فيهم السفير الأمريكي » .

الراجل قضى في مصر يومين قبل الثورة . . ومخابراتي أمريكاني . . وجاء بعد نجاح الثورة ، فكيف أصبح له هذا النفوذ القوي ، وهذه الصلة الوثيقة ، وهذا النشاط الواسع ؟! . .

فجأة ؟!

لابد أن نقبل رواية مايلز كوبلاند فهي التفسير الوحيد المقنع للحقيقة العجيبة التي أثبتتها اعترافات مصطفى أمين الذي يقول أيضاً :

« استمرت علاقتي مع كيم روزفلت على هذا عندما يحضر في مأموريات قصيرة وكانت مأمورياته متعددة في مهمات تتعلق باتصالاته مع رجال الثورة وكنت في كل مرة يحضر فيها أتقابل معه وذلك إما عن طريقي بالمبادءة في الاتصال أو هو يتصل بي في بعض الحال . وكنا نجتمع أيضاً في منزلي في وقت الغداء في حضور الأستاذ حسنين هيكل وكان الأستاذ هيكل يشغل وظيفة رئيس تحرير الأخبار وأخبار اليوم في ذلك الوقت . . ولا تزال علاقتي به كما تعلمون قائمة بمعنى أنه إذا حضر اتصل بي* .

أقرر هنا أن اتصالاتي مع كيم روزفلت لم تحدث إلا في خلال فترات حضوره في القاهرة والمرات التي سافرت إلى أمريكا ـ وكنت في كل مرة أسافر فيها إلى أمريكا أحرص على لقائه . . وفي بعض المرات لم أقابله »** .

« أما بخصوص مستر ليكلاند والذي ذكر لي المرحوم صلاح سالم أنه يعتقد أنه ضابط مخابرات أمريكي والذي شككت من بعض تصرفاته وأسئلته أنه يعمل بالمخابرات وقد عرفني عليه السفير الأمريكي كافري خلال إحدى حفلات السفارة والذي كنت أتناقش معه في

---

* يعني أنه كان يحضر للقاهرة إلى ١٩٦٥ تاريخ القبض على مصطفى أمين ؟!

** لا مؤاخذة بيكون مشغول مع مصطفات آخرين !

المسائل السياسية ، وكان هذا الرجل ذا نفوذ على السفير ومصدر قوة لا تتفق مع وظيفته في السفارة وكان على علاقة وثيقة بأعضاء مجلس الثورة في مصر . استمرت مقابلاتي مع ليكلاند وكانت تتم إما في مكتبي بدار أخبار اليوم أو في مكتب الأستاذ حسنين هيكل بأخبار اليوم » .

وتعرفت أيضاً في هذه الفترة بمستر مايلز كوبلاند ضابط المخابرات الأمريكية وكان يعمل بسفارتهم بالقاهرة وعرفني به نائب مدير مكتب الاستعلامات الأمريكي بالقاهرة في ذلك الوقت وكانت علاقتي به جيدة وكان يحضر إلى مكتبي وأحيانا في منزلي .

واستمرت علاقتي مع مايلز كوبلاند كل فترة وجوده بالقاهرة وبعد أن انتقل إلى بيروت وعمل مديرا لإحدى الشركات الأمريكية هناك . . ولازلت أتقابل مع مايلز كوبلاند كما تعلمون سيادتكم في كل مرة يحضر فيها إلى القاهرة أو أتوجه إلى بيروت .

وإن كانت مقابلات بيروت لم تزد عن مرتين وكان يطلب مني خدمات وهي أن أتوسط لدى سيادتكم في مسائل تجارية ولم أتحدث إلى سيادتكم بخصوصها وهي بشأن شراء مصر لماكينات حسابات الحكومة السرية على حساب المعونة الأمريكية .

وفي بعض الأحيان يكتب إلى طالبا تحديد موعد لمقابلة سيادتكم وكانت محادثتي مع مايلز كوبلاند تتصف بنفس الأسلوب وهي المناقشات السياسية وهو يطوف المنطقة بعد سفره إلى بيروت ولاحظت عند مقابلتي الأخيرة له في بيروت أنه واسع النشاط والاتصالات وأنه ينتقل بين السعودية ولبنان ومصر وتكلم معي في موضوع وذكر أن من مصلحتنا أن ننسحب فورا من اليمن ورأيي في عمل كوبلاند الحالي أنه عملية مخابرات منظمة باسم شركة .

وفي سنة ١٩٥٦ قدمني الأستاذ محمد حسنين هيكل إلى مستر وليام دورات ميلر الملحق السياسي بالسفارة الأمريكية وهو كما علمنا فيها بعد أحد ضباط المخابرات الأمريكية وكان اتصالي به خلال فترة تأميم قناة السويس والعدوان الثلاثي وما بعدها . وكنت أطلع سيادتكم يوميا على هذه الاتصالات وكنتم سيادتكم تسمونه « ريكا » وقد أصبح الآن منذ عهد كنيدى نائبا لمدير الاستعلامات الأمريكي وهو منصب كبير جداً هناك وأنا لازلت على اتصال به عندما يحضر للقاهرة .

« وعندما وقع العدوان كنت أنا ومحمد حسنين هيكل على اتصال يومي بل وعدة مرات في اليوم بمستر ميلر وكنا على اتصال مستمر بسيادتكم . وكنا نبلغ أمريكا باستمرار أثناء المعركة بطريقة سريعة غير الطريقة الدبلوماسية وجهة نظر بلادنا وذلك عن طريق ميلر كما تعلمون وتذكرون أن فكرة البوليس الدولي ولدت أثناء اجتماعنا في أخبار اليوم بحضور محمد حسنين هيكل » .

لعل الرفيق جروميكو قد وجد الإجابة على تساؤله ولو بعد ما يقرب من ثلاثين سنة . . وهو : « ما الذي يجبر عبد الناصر على قبول البوليس الدولي » ؟!

إنها فكرة المخابراتي الأمريكي وممثلي ثورة يوليو . . مصطفى أمين ومحمد حسنين هيكل . . ولا فخر ! !

يقول مصطفى لعبد الناصر :

« ثم تفضلتم وأوفدتموني في مأمورية أثناء العدوان في أمريكا لنشر صور العدوان وفي واشنطن علمت بأن الولايات المتحدة مترددة في قبول وجهة نظرنا بالجلاء بلا قيد ولا شرط وقمت بعدة اتصالات وصلت بفضلها إلى حل ، وهو أن أكتب مشروع تصريح تدلون به سيادتكم من القاهرة ينشر في أمريكا وعلى أثره تؤيد الولايات المتحدة موقفنا ، وأرسلت لسيادتكم المشروع تلغرافيا ، وحرصت في مشروع التصريح أن يعبر عن رأي سيادتكم ، وليس فيه ذرة من التفريط في أي حق من حقوق الوطن ولكنه في الوقت نفسه يزيل المخاوف التي ترددت في الأوساط الحكومية نتيجة المناورات البريطانية والفرنسية » .

وفي أمريكا بعد وقف إطلاق النار ١٩٥٦ قال مصطفى أمين للأمريكان : « يجب أن تعمل أمريكا على الإسراع في الجلاء وبعد ذلك تقدم مساعدات لمصر وفي هذه المناقشات أقترح أن أقابل آلن دلاس مدير المخابرات المركزية حتى نتكلم في موضوع أثر العدوان في انتشار الشيوعية وقال إنه سيدبر لي هذا اللقاء .

وتقابلت مع كيرميت روزفلت وأخبرته بما حدث فقال إن هذا أمر مستحيل ثم حدث أن اتصل بي (كيم) وقال لي إن اوامس دبر موعداً لك مع مدير المخابرات المركزية وقابلت مستر آلن دلاس في مكتبه لمدة ١٥ دقيقة وقد شرحت له وجهة نظر بلادنا باختصار ورغبتنا في الإسراع بجلاء قوات العدوان في أسرع وقت وأن أي تأخير سيؤدي إلى كارثة .

وقدمت تقريراً بذلك إلى سيادتكم فور عودتي شرحت فيه كل هذه المقابلات واحدة واحدة ونص ما جرى فيها . وفي سنة ١٩٥٨ التقيت عند الأستاذ محمد حسنين هيكل بمستر جويدن يونم وهو يتولى منصب الملحق السياسي بالسفارة الأمريكية وكنا نتقابل في أخبار اليوم ونتقابل في المنزل إذا كانت معه زوجته ولكن مقابلات المكتب أكثر بطبيعة الحال . وكنت أتناقش معه في نفس الموضوعات التي كنت أتناقش فيها مع سابقيه واستمرت علاقتي معه حتى غادر مصر وفي سنة ١٩٥٨ أيضاً كنت على اتصال بمستر روبرت انشوتس وكان رئيس القسم السياسي في السفارة الأمريكية وكان يتميز على زملائه بأنه كثير الأسئلة بطريقة ملفتة وكنا نتناقش في الموضوعات السياسية والوحدة مع سوريا ولم يكلفني بإرسال أي معلومات للرئيس بل كان يقوم بهذا يونم وكان روبرت انشوتس يقابلني في مكتبي وفي بيتي ولم يحدث أن لاحظت أنه يعرف علاقتي مع يونم ولم يحدث أن تقابل ثلاثتنا معا .

وفي أثناء ذلك عرفني مراسل جريدة نيويورك تايمز بالقاهرة في فندق كوزمو بوليتان بمستر « جون سيدل » الملحق السياسي للسفارة وأعتقد أنه ضابط مخابرات أمريكي واستمر هذا في القاهرة لفترة أربع سنوات وكنا نتفق على مواعيد المقابلات . وكانت المقابلات تتم في المكتب

أو في المنزل وإن كان أغلبها يتم في المنزل وكانت مناقشتنا عن المعونة الأمريكية والشئون السياسية المختلفة .

وتذكرون سيادتكم أنه هو الذي أبلغنا بنبأ الانقلاب الذي سيقوم به زياد الحريري في سوريا قبل قيامه بوقت قصير وهو أيضاً الذي كنت أحصل منه على برقيات الشفرة التي كنت أقرأها باستمرار لسيادتكم عن الموقف في العراق وفي الدول العربية .

وعرفني مستر ميدل بضابط المخابرات الأمريكي بروس ارديل الذي حل مكانه في بيته في المعادي بعد سفر الأول » .

وهذا النص يفيد تسليم رجال المخابرات مصطفى أمين ، لبعضهم فعند انتهاء مهمة أحدهم وقدوم آخر يتسلم هذا العهدة ! . .

كما تفيد الكثير عن خفايا الاتصالات التي كانت جارية مع الأمريكان لإزالة آثار العدوان (١٩٥٦) وتحقيق أكمل نصر عربي !

وعرفنا كذب « هيكل » عندما يدعي أن عبد الناصر في ١٩٥٥ قرر وقف الاتصالات مع المخابرات الأمريكية ، فها نحن في نهاية ١٩٥٦ والاتصالات على قدم وساق بل إن القناة الحقيقية التي كانت على اتصال مع أمريكا خلال العدوان هي قناة المخابرات مع مصطفى أمين وعلي أمين أو عبرهما . . بأي صفة ؟ هه ؟!

وعرفنا من هو « مايلز كوبلاند » وكيف استمرت علاقته الطيبة مع الزعيم إلى القبض على مصطفى أمين ١٩٦٥ . .

وعرفنا أن « هيكل » بدوره يقدم مصطفى أمين لرجال المخابرات الجدد مثل « وليام دورات ميلر » و « جويدن يونم » وهو ضابط الاتصال بعبد الناصر « الـذي يوصـل المعلومات للريس » .

وعرفنا مستوى العلاقة بين « الجاسوس » مصطفى أمين كما يحلو للناصريين تسميته وبين الزعيم الخالد ، فهو يعامله كما كان جعفر البرمكي يعامل الرشيد لولا أن هارون كان حراً ورشيدا فقطع رأس جعفر وعلقها . . « مصطفى أمين » يكتب بيانا في سياسة مصر وحول سيادتها على أراضيها ومياهها ويرسله لعبد الناصر للتوقيع ! . . هل عرف ذئاب الناصرية أن أسنانهم لن تنفذ في لحم مصطفى أمين إلا عبر جثة عبد الناصر . . ؟!

وعرفنا أن « البوليس الدولي » هو اقتراح عرضه المخابراتي الأمريكي وقبله مصطفى هيكل وحسنين أمين باسم مصر . .

وعرفنا . . كذب هيكل مرة ثانية * ، عندما ادعى أن عبد الناصر أمر علي صبري بالامتناع عن مقابلة آلن دلاس وأبرزها هيكل كأنها نوبة شرف . فهاهو مبعوث عبد الناصر

---

* المرة الأولى عندما عدل أقواله في الطبعة الأفرنجية .

الشخصي يطلب ويلح وينال مقابلة آلن دلاس ويمن بها على سيده : « وقدمت تقريراً بذلك إلى سيادتكم فور عودتي » .

وعرفنا أن المخابرات الأمريكية كانت ملتحمة مع النظام الناصري إلى أوائل الستينات إلى حد تزويد عبد الناصر بأنباء الانقلابات في سوريا ، ولعل « زياد الحريري » إن كان حيا يعرف من الذي وشى به . وأن أمريكا لم تكن تتآمر مع حلف بغداد على عبد الناصر بل كانت تبلغه أخبار العراق . .

وعرفنا أيضاً أن مصر الناصرية كانت تحصل على معلوماتها عن الدول العربية من البرقيات السرية الواردة بالشفرة للمخابرات الأمريكية ؟!

يقول مصطفى أمين :

« وعرفني كافري بمستر ليكلاند . . وعندما قامت الثورة أبلغني ليكلاند أنه في ليلة قيامها أيقظ السفير البريطاني في واشنطن ، مستر دين اتشيسون وزير الخارجية (الأمريكي) من النوم وأبلغه أن ثورة شيوعية قامت في مصر وأن الحكومة البريطانية قررت التدخل العسكري فوراً وتحرك الجيش البريطاني من فايد لقمع الثورة ، وقال لي ليكلاند إن دين اتشيسون طلب مهلة للتشاور وأنه أبرق إلى كافري يسأله رأيه ، وأن ليكلاند هو الذي أعد البرقية العنيفة التي على أثرها أبدت أمريكا اعتراضها على التدخل العسكري البريطاني في مصر ، وشعرت بحكم اتصالي بأهمية ليكلاند وقوته رغم صغر سنه وأبلغت المرحوم صلاح سالم برأيي أن ليكلاند هو السفير الحقيقي ، وعقب ذلك حدث اتصال مستمر بين ليكلاند وبين الرئيس جمال عبد الناصر وصلاح سالم وبعض رجال الثورة ، وكان ليكلاند هو الواسطة بين الثورة ، والسفير الأمريكي وشعرت أن ليكلاند في اجتماعاتي معه المتكررة كثير الأسئلة .

وأنه يتظاهر بالخوف وبأنه لا قيمة له بينما شعرت أنه صاحب أكبر نفوذ على السفير وأكثر علماً بالسياسة الأمريكية من جميع موظفي السفارة الأمريكية الذين اجتمعت بهم .

وقد أبلغني صلاح سالم أنه يشعر بل يعتقد أن ليكلاند من المخابرات الأمريكية وأن رأي رجال الثورة أنه من جهاز المخابرات الأمريكية ، وطلب مني أن أسأله بيني وبينه عن ذلك فسألته عن ذلك فنفى بشدة وقال إنه طلب أن يشتغل بالمخابرات ورفض ذلك .

وكان ليكلاند يسألني أسئلة كثيرة جداً ولكنه كان يبدو متحمساً للثورة ومؤيداً لها ، ولم أشعر في علاقتي الوثيقة به أنه كان يخدعني أو يضللني أو يستغلني أو يوهمني بأنه مع الثورة وهو في الواقع ضدها . وأعتقد أنه قام بخدمات جليلة جداً في شأن علاقات أمريكا مع الثورة في بدء قيامها .

وكان ليكلاند يحضر إلى أخبار اليوم يومياً وفي بعض الأحيان يتناول الغداء معي أو أتناول العشاء عنده .

وكان أهم ما يسأل ليكلاند عنه هل هناك بين قادة الثورة من له ميول شيوعية وعرفت منه

أن الانجليز كانوا يقولون لهم باستمرار إن لديهم معلومات مؤكدة بأن عدداً من أعضاء مجلس الثورة من الشيوعيين ، وأن اتجاهاتهم كلهم ضد الغرب ، ومن ليكلاند عرفت أن الانجليز يؤكدون أن يوسف صديق شيوعي وأن خالد محيي الدين شيوعي ، بل إن أنور السادات شيوعي أيضاً . وكنت على صلة بأنور السادات فأكدت لليكلاند إنه إذا كان تفكير خالد محيي الدين مثل أنور السادات فلا يمكن أن يكون أحد في مجلس قيادة الثورة من الشيوعيين بل إنني على العكس أرى أن مجلس الثورة ضد الشيوعية » .

« وقد انزعج الأمريكيون عندما أفرجت الثورة عن المعتقلين في أول قيامها؟[1] . وكان الانجليز يؤكدون لهم أن كثيرا من الذين أفرجت عنهم الثورة من الشيوعيين وكان الانجليز يعتبرون كل من يهاجمون سياستهم من الشيوعيين .

وقال لي « ليكلاند » إنه واثق ومتأكد من أن الثورة ليس اتجاهها شيوعياً وأن الانجليز مغفلون وأنه غير صحيح أنهم خير من يعرف المنطقة وأنه جعل كافري يكتب تقارير يهاجم هذه الآراء التي كانت تقدمها السفارة البريطانية في واشنطن إلى البيت الأبيض ، وإلى وزارة الخارجية الأمريكية وشعرت بأن ليكلاند وكافري أمكنهما أن يقفا ضد كل محاولات المخابرات البريطانية لتشويه صورة الثورة أمام واشنطن .

وفي هذه الأثناء كان يحضر إلى مصر من وقت إلى آخر كيرميت روزفلت وكان كيرميت يقابلني وكان يقابل الرئيس جمال عبد الناصر وكانت مقابلاتي لكيرميت روزفلت بعلم الدولة وبموافقتها التامة .

وقد علمت من الرئيس جمال عبد الناصر أن كيرميت من المخابرات الأمريكية وأنه عضو بارز فيها وأبديت فزعي من ذلك ، ولكن الرئيس جمال عبد الناصر وافق على استمرار صداقتي بكيرميت روزفلت ، وكنت أخبر الرئيس عبد الناصر باستمرار عن كل ما يقوله كيرميت روزفلت وعن جميع الأراء التي يبديها في مقابلاته معي » .

« وكنت أيضاً على اتصال مستمر بمستر « وزرزبي » ومستر « بين » الموظفين بقسم الاستعلامات الأمريكية وكنت على صلة وثيقة ومستمرة بهما وكنت أشعر من أسئلتهما أنهما أيضاً من رجال المخابرات وعرفني مستر « وزرزبي » على ما أذكر أو المستر بين بمستر « ايكل بيرجر » وكنت على اتصال مستمر بمستر مايلز كوبلاند الذي كان على صلة دائمة بالرئيس وزكريا محيي الدين .

وفهمت من أحاديث المسئولين أن قادة الثورة يعلمون جيداً أن كل هؤلاء من المخابرات الأمريكية وأنهم واثقون من ذلك ولكنهم يرون أن المصلحة في الاتصال بهم وخاصة أنه تبين بوضوح أن المخابرات الأمريكية هي صاحبة السلطة الحقيقية في أمريكا وأنها أقوى نفوذا من وزراء الخارجية الأمريكية . وأنها قادرة على رسم السياسة فإن كثيراً من الأشياء التي كنا نطلبها من أمريكا أو يسأل عنها كانت تصلنا عن طريق المخابرات الأمريكية قبل أن نعرفها

بواسطة السفير الأمريكي في القاهرة بعدة شهور .

ومع علم المسئولين المصريين وتأكدهم بأن هؤلاء جميعاً من المخابرات الأمريكية فإنهم كان يصرون دائماً أن هذا غير صحيح وأن هذه معلومات خاطئة وأن وظيفة كيرميت روزفلت مثلا هي أنه مستشار سياسي لرئيس الجمهورية ولم يحدث مرة واحد أن اعترف واحد منهم في أي حديث لا مباشرة أو غير مباشرة بأنهم من المخابرات الأمريكية .

« وكان لدينا اعتقاد أن كثيرين جداً من موظفى السفارة الأمريكية في القاهرة من المخابرات الأمريكية وكان يحدث في بعض الأحيان أن يكون أحد الموظفين من غير المخابرات ثم تظهر كفاءته فلا تلبث المخابرات الأمريكية أن تجنده فيها » .

« وحدث في عام ١٩٥٤ أن حدثت أزمة محمد نجيب وعلمت أن محمد نجيب اتصل بشخص من المخابرات الأمريكية اسمه مستر لي* وأن هذا الشخص كان ملازماً لمحمد نجيب طوال الوقت وأفهم محمد نجيب مستر لي أن أعضاء مجلس الثورة كلهم شيوعيون وأنه يريد أن يخلص البلاد منهم وأنه يرغب في تأييد الولايات المتحدة له في معركته في مجلس الثورة .

« وكانت الحكومة البريطانية تؤيد محمد نجيب كل التأييد وتعتقد أن مصلحة بريطانيا في الخلاص من جمال عبد الناصر وأصدقائه .

« وكان كوبلاند يخبرني هو وايكل بيرجر عن تقارير تصلهم باستمرار من المخابرات البريطانية تؤكد أن جمال عبد الناصر هو الخطر الحقيقي ضد الغرب وأن مصلحة الغرب في بقاء محمد نجيب وأن المصلحة أن يبدأ انقلاب محمد نجيب بحكم مؤلف من الوفد والإخوان المسلمين والشيوعيين ثم بعد ذلك يتخلص الغرب من الشيوعيين ويبقى محمد نجيب الذي أكد لهم مستر لي أنه سيكون أصدق صديق لأمريكا ولبريطانيا وأنه إذا انتصر فريق جمال عبد الناصر فإنه سيصبح خطراً على مصلحة أمريكا وبريطانيا لا في مصر وحدها بل في الشرق الأوسط كله » .

« وقد وقفت أخبار اليوم في هذه المعركة ضد محمد نجيب ونشرت مقالات في الأخبار بعنوان (سلاطة روسي) عن مشروع حكم محمد نجيب بوزارة من الوفديين والشيوعيين والإخوان المسلمين ونشرت أخبار اليوم الحديث السري التليفوني الذي جرى بين محمد نجيب ومصطفى النحاس وقد أحدث نشر الحديث ضجة كبرى في الرأي العام وأسقط محمد نجيب بين الجماهير .

---

* « لي » هذا هو الذي قال « مايلز كوبلاند » عنه إنه ألف كتابا لـ « محمد نجيب » . . كلهم كانوا يتسابقون على أعتاب المخابرات الأمريكية كما حدث من بعض الحثالات فور وقوع الاحتلال البريطاني قبل سبعين سنة .

« وكان كوبلاند وايكل بيرجر على ما أذكر يتصلان بي في تلك الأيام باستمرار ويقابلاني يوميا . وكنت أطلع المسئولين على المحادثات التي تبذل من أجل تأييد محمد نجيب . ولقد شعرت يومها بأن نفوذ شخص مايلز كوبلاند أقوى كثيراً من عدد من كبار السفارة الأمريكية الذين كانوا يجمعون على وجوب تأييد محمد نجيب لأن الانجليز والمخابرات البريطانية أقدر على الحكم على الحالة في مصر عنهم .

« وقد حدث خلاف خطير بين الرأيين في هذا الشأن وكان في أحد الأيام أن بدا ذلك بانتصار مؤقت لمحمد نجيب وحل مجلس الثورة وأخبرني كوبلاند أن رجال السفارة البريطانية في القاهرة كانوا يتبادلون التهاني ولقد كانت واشنطن نفسها مقتنعة برأي الحكومة البريطانية بحتمية انتصار محمد نجيب وضرورة تأييده .

« وكان رأيي الذي أبديته دائماً لكل من سألني منهم أن السلاطة الروسية التي يدعو إليها محمد نجيب ستنتهي بأن يستولي الشيوعيون على الحكم وأنه من مصلحة أمريكا أن يتولى الحكم جمال عبد الناصر وهو عدو للنفوذ الأجنبي في المنطقة من أن يتولاه عميل شيوعي يحول كل المنطقة إلى مستعمرة روسية .

« وفي سنة ١٩٥٦ عندما حدث تأميم قناة السويس كنت على صلة ببيل ميلر وكان الرئيس عبد الناصر على علم بهذا الاتصال . وكان ميلر يحضر إلى مكتبي يوميا وكنت أبلغ الرئيس يوميا بما يقوله ميلر وكان الرئيس يسميه على ما أذكر ازمرلدا أو اسم آخر لا أذكره . . وسألت الرئيس لماذا يسميه هذا الاسم فقال إنه اسم رواية قرأها عن فتاة تسمع باسمها باستمرار ولا تراها .

« وكان بيل ميلر يطلعني باستمرار على كل الأنباء والبرقيات الهامة التى تصل إليه كما كان يفعل كوبلاند وايكل بيرجر الذي كان من وظيفته في السفارة أن يطلع على البرقيات السرية .

« وحدث سنة ١٩٥٤ أن أخبرني ايكل بيرجر أنه أطلع على برقية سرية جداً وصلت على التو من السفير الأمريكي في تل أبيب وألح في أن لا أخبر الرئيس بهذا الأمر وقال إنه لو عرف أن هذه البرقية تسربت فسوف يفقد عمله .

« وأسرعت على الفور وأخبرت الرئيس عبد الناصر بما حدث واهتم الرئيس بهذا النبأ وطلب معلومات أوسع عن هذه العملية الخطيرة ومكانها .

« واتفقنا أن أذهب أنا ومحمد حسنين هيكل ونقابل مستر بايرود السفير الأمريكي واستطعنا أن نعلم أن الخبر صحيح مائة في المائة .

« وأحضر بايرود البرقيات السرية التي وصلت إليه وتفاهمت أنا وهيكل أن يشغله هيكل بالحديث بينما أنا أنقل البرقية وفعلاً استطعت أن أنقل نص البرقية وقدمناها للرئيس جمال عبد الناصر فأصدر على الفور أمره إلى الجيش المصري بالاستعداد لهذا العدوان المفاجيء . وتم العدوان في موعده . وكان الجيش المصري مستعداً له ولقن الجيش المصري يومها درساً

لليهود ، وقد شكرني الرئيس جمال عبد الناصر يومها على هذا العمل الذي قمت به وقال إنني قدمت خدمة كبرى لبلادي » .

الشـــرح

١ ـ نحن هنا أمام واقعة مهمة تحسم جدلا دار طويلا حول من الذي منع القوات البريطانية من التدخل لضرب الثورة ، والملك مازال في البلاد . . مصطفى أمين « يعترف » بأن ممثل المخابرات الأمريكية في السفارة هو الذي أبرق بقوة أو بشدة يطلب شل يد بريطانيا عن ضرب ثورة « الشعب المصري التحريرية » . . ودين اتشيسون استخدم كل قوة الولايات المتحدة لمنع بريطانيا من ضرب الثورة . . ولا يوجد شارع واحد في مدينة نصر باسم المخابراتي ليكلاند ، ولا باسم دين اتشيسون . . ويحدثنا أمين هويدي عن الوفاء ؟ أين هو ؟!

يوم ٢٣ يوليو . . ضباط الجيش لا يعرفون أسماء ولا اتجاهات أعضاء مجلس قيادة الثورة باستثناء محمد نجيب وأنور السادات . . فكيف عرف هذا المخابراتي « الأعور » ميول واتجاهات هذه الثورة واطمأن على أنها تمثل مصالح أمريكا ، ومن ثم تستحق أن تجازف الولايات المتحدة بعلاقتها مع بريطانيا ، بل وبما كان لها من نفوذ في القصر الملكي ، وينصح بل يطلب بشدة التدخل لمنع الانجليز من عرقلة المسيرة ؟ كيف عرف هذا « الأعور » وخاطر بمستقبله السياسي ، ومستقبل المصالح الأمريكية ؟ حقا كل ذي عاهة جبار . . أو ربما كان هو الأعور الدجال !

٢ ـ تأكد كلام ايفيلاند بأن المخابرات الأمريكية كانت مطلقة اليد في مصر ، وتفوق السفارة نفوذاً ، وحرية في التعامل مع الثورة وتمثيل الولايات المتحدة ، وهو وضع اتفق الجميع على شذوذه ، ولا مثيل له إلا في مصر . .

لماذا ؟! . .

لصلة خاصة بين المخابرات وهذه الثورة ، حتمت وبررت إطلاق يد « الواصلين » من موظفي المخابرات CIA . .

٣ ـ أصبح ليكلاند هو الواسطة بين الثورة والسفير الأمريكي .

٤ ـ شهد مصطفى أمين أن ليكلاند كان متحمساً « للثورة » وقام بخدمات جليلة جداً في شأن علاقات أمريكا مع الثورة في بدء قيامها . .

كيف ولماذا انشرح قلب هذا « الأعور » بسرعة ، وآمن قبل أن يتبين كثير من المصريين حقيقة « الثورة » ؟

٥ ـ كانت العلاقة بين ليكلاند المخابراتي الثوري هذا ومصطفى أمين تفوق « قليلاً »

علاقة صحفي بموظف أمريكي ، فهو لا يكاد يفارقه « في تلك الأيام من بداية الثورة » يزوره يوميا وإما يتغدى هذا عنده أو يتعشى هو عنده . . يعني كما نقول ايهين في ايه . . والمخابراتي مهتم بالثورة ، فلماذا الاهتمام بمصطفى أمين ؟ لا جواب حتى نعثر على الحلقة المفقودة بين الإنسان الثوري والفرد المخابراتي ؟! وهيكل هو ثالثهما باستمرار وهذا ما قاله مصطفى أمين لعبد الناصر الذي يعلمه .

٦ ـ كان الأمريكان يعتقدون أن يوسف صديق شيوعي وكذلك خالد محيي الدين . . والحمد لله سرعان ما خرج الاثنان من مجلس الثورة وأخذا الشر وراحا . . واستطاع كافري و « ليكلاند » الوقوف ضد كل محاولات المخابرات البريطانية لتشويه صورة الثورة أمام واشنطن . . الحمد لله . . ويكفينا شر الدساسين !

٧ ـ انزعجت أمريكا من الإفراج عن المعتقلين ؟!

ليه ؟! وماذا يتوقع من ثورة إلا أن تفرج عن المعتقلين من النظام السابق ؟ على أية حال لقد خفف من انزعاجها أن الثورة احتفظت بعدد من الشيوعيين كرمز لموقفها ولطمأنة المنزعجين . .

٨ ـ في هذه الأثناء كان كيرميت روزفلت يتردد على مصر ، وكان يقابل الرئيس جمال عبد الناصر . وكانت مقابلات مصطفى أمين مع روزفلت بعلم الدولة .

وهذا بالطبع ما أكده الكتابان ، كما أن « ايفيلاند » شرح النقطة الأخيرة وهي علم الدولة ، فقد أكد علم عبد الناصر بصلة مصطفى أمين وهيكل بالمخابرات ، وأنه قبل استمرار هذه العلاقة على أن تكون بعلمه ، وهو ما يعرف في علم المخابرات « بالعميل المزدوج » مع فارق أن الطرفين بل حتى الأطراف الثلاثة هنا تعرف أن الكل يعرف . . وهي لعبة شديدة التعقيد راهن فيها كل طرف على غباء الطرف الآخر . . ويمكن القول إن العلاقة كانت مفيدة لكل الأطراف ، والمصارحة كانت ضرورية لكسب الثقة وانفتاح النظام الناصري . . كما يمكن القول إن تطور ميزان القوى داخل هذا المثلث جعل هيكل يتجاوز مصطفى أمين عند عبد الناصر ، فقد كان أقرب سنا وأكثر حيوية ، « وثقافة » إلى حد ما ، وخبثا جعله يظهر التفاني في الزعيم والإيمان به ، بينما ظل مصطفى أمين يعامل عبد الناصر كتلميذ أو حتى كما كان يعامل الملك فاروق واستمر رهانه الأكبر على الأمريكان . وتدهور وضع مصطفى أمين ، مما جعله يزداد اعتمادا على الأمريكان ، ونفوراً من عبد الناصر فانتصر عليه هيكل ، الذي عرف من أول لحظة أن مستقبله كله هنا وهناك مرهون بعبد الناصر ، فلا قيمة له عند الأمريكان إلا بقدر قربه من عبد الناصر . . حتى تربص عبد الناصر بهيكل وتوجس هيكل من عبد الناصر وتدخل القدر « العجيب » أو قوة خفية فعجلت نهاية ناصر . . ويبقى هيكل « يؤرخ » على قبره ؟!

« وافق الرئيس عبد الناصر على استمرار صداقتي بكيرميت روزفلت » .

٩ ـ الرئيس جمال عبد الناصر يعرف أن كيرميت روزفلت عضو بارز في المخابرات الأمريكية .

١٠ ـ ظهر اسم ايكل بيرجر . . ومايلز كوبلاند ، وقال مصطفى أمين في اعترافه بين يدي صلاح نصر وجمال عبد الناصر . . والرائد لا يكذب أهله وهو في السجن ! . . « وكنت على اتصال مستمر بمستر مايلز كوبلاند الذي كان على صلة دائمة بالرئيس وزكريا محيي الدين » .

يعني كوبلاند ليس بالنكرة ولا طالب وظيفة ، كما تحدث عنه « المدعو » بل كان على صلة دائمة بالرئيس . . وهذا كلام يقال للرئيس في خطاب شخصي . . فلا مفر من تصديقه . . ولا مفر من الشك في حكمة تجاهل هيكل لذلك في رده على ما يلز كوبلاند ؟! . (والشك أكثر في عدوله الآن عن هذا التجاهل) .

وأكد مصطفى أمين أن « قادة الثورة كانوا يعلمون جيداً أن كل هؤلاء من المخابرات الأمريكية ، وأنهم فضلوا التعامل مع الولايات المتحدة عن طريق قناة الـ CIA . . وهذا الموقف كما يثير التساؤل حول أسبابه ، يلقي الضوء على التطورات التي حدثت بعد ذلك ، ويعزز رواية « لعبة الأمم » و « حبال الرمال » .

وفي نفس الوقت ورغم معرفة كل الأطراف ، فإن « مصطفى أمين » يؤكد أن جميع الموظفين الأمريكان أنكروا دائما أنهم من المخابرات ، وهذا يكذب ادعاء « هيكل » بأن الحكومة الأمريكية أبلغت عبد الناصر أنها تفضل أسلوب الاتصال عن طريق المخابرات الأمريكية . . وهو قول باطل لأن « الحكومة » الأمريكية لا تفعل هذا ، لا تعترف رسميا باستخدام الـ CIA لأن ذلك ضد العرف والقوانين بل الدستور الأمريكي الذي يجعل السياسة الخارجية من اختصاص الرئيس ومن خلال وزارة الخارجية ، فهي كانت عملية سرية غير رسمية فرضتها الظروف الخاصة التي جعلت رجال الـ CIA يأتون برجال الثورة إلى الحكم ومن ثم كان من الطبيعي أن تستمر الصلة ، مع تجاهل المؤسسات الدستورية الرسمية بل وأحياناً استنكارها .

١١ ـ وهذه نقطة مهمة أخرى كان يدور حولها الهمس والتحليلات ، وهي أن « محمد نجيب » كان يتمتع بتأييد الحكومة البريطانية ، التي كانت أيضاً ترغب في التخلص من جمال عبد الناصر . وقد نقل رجلا المخابرات CIA في مصر « كوبلاند » و « ايكل بيرجر » هذه المعلومات لمصطفى أمين وهو بدوره اتخذ الموقف المنطقي بعد كل ما سبق ذكره ، هاجم محمد نجيب وجند أخبار اليوم ضده ، ونشر الحديث الذي جرى بين محمد نجيب ومصطفى النحاس وهو الحديث الذي « أسقط محمد نجيب بين الجماهير » وأكد مصطفى أمين « إن من مصلحة أمريكا أن يتولى الحكم جمال عبد الناصر » .

وتصادف أن كان هذا لمصلحة جمال عبد الناصر ومن رأي فريق المخابرات الأمريكية في مصر !!

وهذا يعطي بعدا جديدا لأزمة « محمد نجيب » فقد كانت في أحد جوانبها أو أهمها : صراعا أمريكيا ـ بريطانيا . . فالانجليز حاولوا الالتفاف وأخذ حصة في الثورة ، ولكن الأمريكان مثل الفريك لا يحبون الشريك . .

هل يفيد التذكير بحجز المخابرات الأمريكية الوفد العسكري الأمريكي في بيروت « في انتظار اضطرابات في مصر » (أكتوبر ١٩٥٤) وشكوك مؤلف « حبال الرمال » أو تمثل المخابرات العسكرية الأمريكية في « تآمر » المخابرات CIA مع ناصر للإطاحة بنجيب . وهذا هو « مصطفى أمين » يتشفع عند عبد الناصر بالدور الذي لعبه هو والمخابرات الأمريكية في ترجيحه على محمد نجيب . . ؟

وإذا كان « مصطفى أمين » قد ساهم في « المعركة » ضد نجيب بمقالاته فلماذا نتصور أن المخابرات CIA اكتفت بالدعاء للسلطان ناصر بالنصر كعميان دار السلطنة ؟!*

١٢ ـ أكد مصطفى أمين (بصرف النظر عن الحبكة الروائية والتي بدورها تثير أكثر من سؤال إذ كيف ولماذا يسمح السفير الأمريكي لصحفيين مصريين بالاطلاع على البرقيات السرية الواردة للسفارة ؟! . . إلا إذا كان البساط أحمدي جداً ؟!) . . المهم أكد مصطفى أمين رواية بغدادي وغيره على أن المخابرات الأمريكية أبلغت مصر بعدوان إسرائيلي منتظر . .

يقول مصطفى أمين :

« كان جهاز المخابرات البريطاني يعمل باستمرار على أساس أن الرئيس عبد الناصر خطر على مصالح بريطانيا الاستعمارية والاقتصادية في المنطقة وليس لأن عبدالناصر يمثل خطراً شيوعياً . . وكان مايلز كوبلاند وميلر زوبيرجر وكيرميت روزفلت يقولون لي إنهم مقتنعون بهذا الرأي وكانوا يقولون إن المخابرات البريطانية تحاول تضليل أمريكا لمصلحة بريطانيا » .

وهذه تضاف إلى نقطة الصراع الأمريكي ـ البريطاني ، وأن مصر الناصرية في تلك الفترة وربما إلى عام ١٩٦٥ كانت تمثل الطرف الأمريكي .

« وكنا في جميع اتصالاتنا بهؤلاء نعلم أنهم متصلون بجهاز المخابرات الأمريكية وكانت الدولة تعلم بهذه الاتصالات وتعرفها تفصيلا » .

« وعندما أوفدني الرئيس جمال عبد الناصر في مهمة إلى أمريكا أثناء العدوان ، قابلت كيرميت روزفلت عدة مرات في حضور الدكتور أحمد حسين سفير مصر في واشنطن في ذلك الوقت وبعلم الرئيس جمال عبد الناصر ، وعرفت أن المخابرات الأمريكية فوجئت بالعدوان وأنها لم تعلم عنه من لندن أو باريس وإنما علمت به من تل أبيب ، وفي أيام العدوان الأولى كان

---

* ستقدم بعض المعلومات والوثائق في موضوع خلع نجيب وعلاقة ذلك بالصراع الانجلو ـ أمريكي وانحياز الـ CIA لعبد الناصر .

بيل ميلر يزورنا يوميا في أخبار اليوم ، وأحيانا يقابلنا أكثر من مرة في اليوم ، وكان السؤال الذي يسأله دائماً واحداً لا يتغير وهو : هل نستطيع الصمود وكم ساعة نستطيع أن نقف على أقدامنا ، وكان يسأل هذا السؤال أكثر من مرة في اليوم . . وكان يقول لو صمدت مصر ثلاثة أيام فسوف تخسر بريطانيا المعركة » .

« وكنت على صلة مستمرة ودائمة بالليل وبالنهار تليفونيا بالرئيس جمال عبد الناصر وكنت أبلغه أولا بأول بكل كلمة يقولها « بيل ميلر » في مقابلاته العديدة المتكررة » .

« وقبل قيام العدوان البريطاني ـ الفرنسي الإسرائيلي على مصر كانت الولايات المتحدة بجميع أجهزتها على جهل تام بهذا العدوان ، وكان « بيل » يتردد علينا باستمرار في أخبار اليوم ويؤكد هذا ويقول إن أمريكا لا توافق على هذا العدوان ومادامت هي لا توافق ، فلن يقوم العدوان » .

وهذا صحيح كله . . ومن المهم الرجوع إليه في حديثنا عن العدوان . . فالولايات المتحدة فعلا جهلت تدابير العدوان ، فقد كتمت بريطانيا عنها الأنباء لأنها كانت معركة حياة أو موت ، كما لا يستبعد أن تكون عيون وأصابع « الموساد » داخل المخابرات الأمريكية قد تعامت وسدت آذان هذه المخابرات ، وجعلتها غافلة ، وربما تتحمل المخابرات CIA مسئولية استرخاء عبد الناصر ورفضه أن يصدق جميع الأنباء التي وصلت إليه من مصادر شتى عن العدوان ، مما أثار دهشة ونقد المؤرخين وتشاء حكمة الله أن تبرىء ساحة الرئيس وعلى لسان أحد ضحاياه ، فالرئيس كان مقتنعاً بمنطق « بيل » وهو أنه مادامت أمريكا لا توافق على العدوان فلن يقع ! وهذا المنطق هو إحدى خطايا الانفتاح على المخابرات CIA والقناعة بقانون « القوتين الأعظم » وأنه يتحكم في كل شيء ، أي انكار الإرادة الذاتية للقوى الأصغر وإمكانية تحركها المستقل في ظروف خاصة . . وقد أخطأ « بيل » في تقديره ، وأخطأ عبد الناصر في حساباته ، وربما كان هذا من حسن حظنا جزئيا* . . ونفس الخطأ ارتكبه الشريف حسين الذي ظل إلى أن فقد عرشه يعتقد أن بريطانيا تستطيع أن تأمر ابن سعود بالتخلي عن أهدافه وانتصاراته !

وهذه الفقرات من اعترافات مصطفى أمين تلقي الضوء على موقف أمريكا خلال حرب السويس واهتمامها بالصمود المصري لكي يفشل العدوان ومن ثم يتبين سخافة اتهام أمريكا بأنها كانت شريكة في العدوان الثلاثي وأن هذا الاتهام المتهافت إنما قصد به تغطية حقيقة العلاقة بين مصر الناصرية وأمريكا ، وأيضاً خطأ الاستدراج للمخطط الإسرائيلي الذي أراد ونجح في خلق صدام مصري ـ أمريكي بعدما وقفت الولايات المتحدة بكل ثقلها ضد إسرائيل في عدوان ١٩٥٦ . .

---

* إذ لو تخوف عبد الناصر من ردة الفعل البريطانية ربما لم يؤمم القناة .

قال مصطفى أمين :

« واستطعنا أن نعرف أن ايزنهاور غاضب من أن العدوان تم وراء ظهره ، وأن إيدن استغله ، وكانت هذه المعلومات مفيدة جداً أثناء المعركة » .

« وكانت تجرى المباحثات بشأن وقف إطلاق النار وإرسال البوليس الدولي إلى مصر في مكتبي بأخبار اليوم بحضور محمد حسنين هيكل » .

تـانـي !

« وكنا نبلغ عبد الناصر أولا بأول كل المعلومات ونقوم بمهمة الاتصال بين الرئيس جمال عبد الناصر وايزنهاور حتى إن الرئيس جمال عبد الناصر قال يومها إن أخبار اليوم أصبحت وزارة خارجية تحت الأرض ، وكنا نشعر وقتها أن رسائلنا تصل إلى ايزنهاور بهذه الطريقة أسرع كثيرا مما لو أرسلت بطريق السفير» .

وربما يفسر هذا الكثير من السلوك الغامض أثناء العدوان . . ويذكر مصطفى أمين الرئيس عبد الناصر بأنه هو الذي أمره بشن حملة شعواء على الشيوعية خلال أحداث ثورة العراق والخلاف الناصري الخروشوفي المعروف (١٩٥٨ ـ ١٩٥٩) .

« وكنت على اتصال يومي بسيادتكم وكنت أبلغكم تفصيليا كل مقابلاتي مع الرجال الأمريكيين الذين اتصلت بهم وكل ما كنت أحصل عليه من أنباء ومعلومات وأسرار بحيث كنا نعرف أولا بأول كل الأنباء التي يهمنا أن نعلم بها سواء ما يجري في أمريكا أو يجري في المنطقة العربية وكنتم سيادتكم تطلبون مني الاستفسار عن مسائل معينة أو ابلاغهم مسائل معينة وكان الأستاذ سامي شرف يتصل بي ويطلب مني أن أحصل على معلومات معينة من أصدقائي الأمريكيين وأعتقد أنني كنت أحصل على بيانات تهم بلادي في فترات عصيبة قلقة .

« وحدث بعد تعيين الأستاذ خالد محيي الدين رئيساً لمجلس إدارة مؤسسة أخبار اليوم أن قررت إيقاف اتصالي بأي أمريكي وسألت الأستاذ سامي شرف في ذلك فطلب إلي الاستمرار كما أنا » .

ويعرفنا مصطفى أمين : أن « ارشي روزفلت » ابن عم كيرميت « هو رجل الـ CIA في لندن » وهو الذي قابل مصطفى أمين عام ١٩٤٤ في مجلة الاثنين وكان واسطة الخير هو الدكتور « فؤاد صروف » عميد الجامعة الأمريكية في ذلك الوقت »* وكانت مقابلة مباركة إذ بعدها بفترة بسيطة ظهرت « أخبار اليوم » كأقوى مجلة أسبوعية في العالم العربي وبدأت مسيرة النجاح المذهل ، وإن كان مصطفى بيك قد فسر لنا بعض أسبابه في هذه الوثيقة الخطيرة ، عندما تحدث عن « ثمن الصلة » :

* وهذا يدل على أن الصلة عريقة بين الـ CIA والجامعة الأمريكية . والحق أن القليل كتب أو عرف عن دور هذا الـ « فؤاد صروف » .

« سيادة الرئيس :

وأحب أن أثير سؤالا هل كان المقابل الذي حصلت عليه من اتصالاتي بالمخابرات الأمريكية أو الأمريكيين المسئولين يساوي ما قدمته لهم ؟

والجواب على ذلك أنني لم اتقاض ثمن هذه الصلة مالاً أو مرتباً شهرياً أو سنوياً إنما جاء المقابل في الصورة الآتية فقط .

(١) أخبار أمدني بها المسئولون الأمريكيون ورجال المخابرات الأمريكية خلال هذه السنوات العديدة . وكنت أقوم بنشرها بأخبار اليوم وباقي صحف الدار وتنفرد بها دون باقى الصحف الأخرى التي تصدر في القاهرة أدت إلى زيادة توزيع صحف أخبار اليوم وبالتالي أدت إلى زيادة إيراداتها ومن هذه الأخبار خبر مفاوضات الهدنة بين الحلفاء والنازيين وكانت تجري سراً في أوروبا في ذلك الحين وكانت أخبار اليوم أول جريدة سبقت بنشر هذا النبأ ، كذلك خبر عن أول تفصيلات عن اختراع القنبلة الذرية كذلك خبر عن موعد ومكان فتح الجبهة الثانية في أوروبا وكذلك خبر عن موعد الهجوم المنتظر الذي سيقوم بها هتلر على روسيا وكذلك خبر مفاوضات إيطاليا بالتسليم للحلفاء في نهاية الحرب العالمية الثانية وكذلك أول خبر عن أن الروس يعرفون سر القنبلة الذرية .

(٢) وبهذه الصلة حصلت على امتيازات إصدار مجلة المختار . وهو يدر على أخبار اليوم مبلغاً طائلاً سنوياً وقد وافقتم سيادتكم على أن نحصل على امتياز إصدار هذه المجلة .

(٣) وبهذه الصلة حصلت على امتياز طبع مجلة الصداقة وهي تدر على أخبار اليوم مبلغاً كبيراً سنوياً .

(٤) وبهذه الصلة حصلت لأخبار اليوم وصحفها على إعلانات من شركات أرامكو وبان أمريكان وكانت كل الصحف الأخرى كالأهرام مثلا تأخذ نفس القدر من الإعلانات .

(٥) وبهذه الصلة حصلت على ورق من أمريكا لمصر بحوالي ٢ مليون جنيه وهو الذي تسلمته الحكومة المصرية ولكني كصاحب أخبار اليوم استفدت من هذا الورق لأنه وزع على الصحف بنسبة توزيعها وحصلت أخبار اليوم من الحكومة على نسبة كبيرة من هذا الورق وكان الورق الذي اشتريناه من الحكومة أرخص من ورق السوق فربحنا بطبيعة الحال .

(٦) حاولت أن أستفيد من هذه الصلة بشراء مطابع جديدة من أمريكا وطلبت منهم أن يعاونوني في أن أحصل على قرض من بنك التسليف والاستيراد الأمريكي بشراء مطبعة وكان المبلغ المطلوب حوالي ١٠٠ ألف جنيه فلم يوافق البنك لأنه يطلب ضمانات الحكومة المصرية ولأن تقاليد البنك هي عدم تقديم قروض للصحف .

(٧) بهذه الصلة أمكنني أن أوفد أم كلثوم لتعالج في أمريكا بالذرة دون مقابل .

(٨) وفي الوقت نفسه حصلت لبلادي على معلومات من الأمريكيين هامة وخطيرة عن موعد هجوم إسرائيل سنة ١٩٥٤ ونوهتم سيادتكم بفضل هذه المعرفة في كسب المعركة وجمع

الأخبار عن الحالة في سوريا بعد الانفصال وانقطاع وسائل الاتصال بالإقليم السوري وجمع الأخبار عن الحالة في العراق بعد نزاعنا مع عبد الكريم قاسم وجمع أخبار عن الموقف في السعودية بعد الأزمة التي وقعت بيننا وبين سعود وأنا الذي أبلغت سيادتكم بنبأ المؤامرة التي يقوم بها الملك سعود مع أحمد أبو الفتح وسعيد رمضان وبعد أن أبلغتكم هذه المعلومات ومصدرها عرفت من سيادتكم أنكم بوسائلكم الخاصة عرفتم تفاصيل وأسرار هذه المؤامرة » .

ويستفاد من هذه الفقرة الآتي :

١ ـ صلة مصطفى أمين بالمخابرات الأمريكية أو الأمريكان سابقة على الثورة أي منذ الحرب العالمية ، وأنهم كافأوه في تلك الفترة بالأخبار التي تدر عليه الربح ، من خلال إنجاح صحيفته وتفوقها . وهو يسمى ذلك « ثمن الصلة » أي أنه كان يقدم لهم خدمات خلال الفترة من ١٩٤٥ إلى ١٩٥٢ . ترى ما هي هذه الخدمات والتي شكلت صحيفة سوابقه التي أتاحت له كل هذه الحظوة وكل تلك الثقة في ظل الثورة ؟! أغلب الظن ـ وأغلبه إثم ـ أنه كان يجندهم للثورة وبالذات لتنظيم الضباط الأحرار !!

٢ ـ إن مكافأة الصحفي العميل ، عند هذه الأجهزة لا تأخذ ـ دائما ـ شكل أموال تدفع له ، بل خدمات تجعله الصحفي الأول بلا مجهود كبير منه ، وقد تشمل إزاحة المنافسين . وهذا بالطبع يشمل مصطفى أمين وغيره من الذين نراهم يطفون عند السطح بلا مبرر مهني .

ولنقف هنا قليلا مع الرسالة وتعليق « هيكل » عليها فنورد هذه الملاحظات :

١ ـ لا يمكن فصل هيكل عن مصطفى أمين في كل أحداث الرسالة من يوم الانقلاب إلى أوائل الستينيات ، ففي كل الاتصالات واللقاءات مع عناصر المخابرات الأمريكية يوجد « هيكل » .

« مصطفى أمين » يذكر ذلك بوضوح وصراحة ويتبعها بأن « اتصالاتنا معهم كانت بعلم الرئيس وموافقته » ، وهو بالطبع لا يعني الاتصال كمندوب للرئيس بل يعني الاتصال الذي يحاكم عليه . . ولا يمكن بالطبع أن يكذب « مصطفى أمين » على عبد الناصر في رسالة استعطاف وهو في أحلك الظروف وفي قبضة الوحش . . وحتى « المافيا » يعرفون أن الكذب مستحيل في مثل هذه اللحظات . إذ لا شك أن عبد الناصر الذي يعرف « دبة النملة » وخاصة عن هيكل لا بد أنه يعرف إذا كان هيكل يحضر أو لا يحضر اجتماعات مصطفى أمين وروزفلت أهم أمريكي يتردد على القاهرة وقتها . ومن ثم لو كان ما يقوله مصطفى أمين على هيكل ، مجرد أكاذيب ، لاستشاط عبد الناصر غضباً من هذا الذي يغرر به حتى وهو في السجن ، وأصبحت الرسالة بلا معنى ! ومصطفى أمين أذكى من أن يجهل هذا ، وهيكل أيضاً أخبث من أن يرد على هذا المطب بأنه كذب واختلاق ، وهنا استعان البهلوان بكل ما في

الجراب من حيل وكان أن أعلن أن « مصطفى أمين » كتب هذه « الأكاذيب » عن اشتراكه معه في « الاتصال » المعيب بالمخابرات الأمريكية وهو يعتقد أنه صادق !!

إزاى ؟ . . بسيطة خالص . . اتهم « مصطفى أمين » بأنه مجنون ، يكذب حته . . حته . . وفي النهاية يصدق نفسه . . ولكن اقرأ هذا الاعتذار من فم « هيكل » أحلى :

« ولكن ما أثار استغرابي هو بعض الوقائع التي استشهد بي على صحتها . . كان الأستاذ مصطفى أمين يروى قصة ، ثم يعود في اليوم التالي ليرويها وقد اختلف فيها تفصيل واحد ، ثم يعود بعد أسبوع ليرويها وقد اختلف تفصيلان وتتحول المتوالية الحسابية إلى متوالية هندسية ، وتفقد القصة في آخر طبعة منها علاقتها بالطبعة الأولى ، لكن كثرة التكرار تولد نوعا من الاقتناع الحقيقي لدى صاحبه بأن مايقوله هو صدق ، كذلك يخيل له . . وهكذا فإن الأستاذ « مصطفى أمين » حين قدم الوقائع أمام جمال عبد الناصر ـ في رسالته الوثيقة ـ لم يكن يظن أنه يكذب ـ كما قال بنفسه ـ وإنما كان يقول ما يتصور هو أنه صحيح بصرف النظر عن الحقيقة . وإذن فنحن أمام ظاهرة مثيرة للتأمل : لا تحتاج إلى مجرد رجل أمن يضبط الوقائع ، ولكنها تحتاج أيضاً إلى عالم نفسي يحلل الدوافع » .

فكل هذه الاجتماعات التي حددها مصطفى أمين باليوم وموضوع المناقشة ومن حضر من الطرف الأمريكي مع هيكل كلها تخيلات . . وحالة نفسية . . ومادام « هيكل » يكتب لقراء في مستوى « سجاح قمر » فليكتب ما يشاء* .

٢ ـ هيكل هو ابن دار « أخبار اليوم » البكر ، ففي الوقت الذي كان الشباب يتفجر وطنية التحق هو بصحيفة الاستعمار البريطاني في مصر ، ثم في عام ١٩٤٦ انضم « لأخبار اليوم » ومرة أخرى كان طلبة المدارس يعرفون أن « أخبار اليوم » هي صحيفة القصر والسفارتين البريطانية والأمريكية . . ومن ثم فعندما « يتحنجل » الأستاذ « هيكل » الآن ليقول لنا إنه « يشك » في أن تكون المخابرات الأمريكية أنشأت أخبار اليوم ، نقول له قديمة ، هذه حقيقة مقررة في جيلنا من أربعين سنة ، وأنك كنت منهم ثالثهما ووريثهما وابنهما البكر . وأنك إذ تقرر الآن « كان الأستاذ مصطفى أمين من ٢٩٤٤ إلى ١٩٥٠ الصحفي المعبر عن السراي واتجاهاتها وظل هذا الوضع حتى سنة ١٩٥٢ » نقول فلماذا رضيت أن تبقى من ١٩٤٦ إلى ١٩٥٢ أي ثلاثة أرباع المدة ، في خدمة صحيفة السراي والمخابرات الأمريكية أم عرفت ذلك الآن فقط بعد دراسة أرشيف أخبار اليوم ؟!؟

وكيف ارتبطت بهذه الصداقة الحميمة مع جواسيس ؟! . . المضحك أنه يقول الآن بعد أربعين سنة إن « مراسلي أخبار اليوم في الخارج وقت إنشائها كانوا ـ كما يبدو لنا الآن ـ طرازاً غريباً من الصحفيين » !!

---

* الغريب أن « مصطفى أمين » يروى نفس المرض عن « هيكل » الظاهر أنهم يدرسونه في مدرسة الكادر إياها !

ألم تتبين ذلك وهم يعملون كمراسلين لك وأنت رئيس تحرير آخر ساعة والأخبار وأخبار اليوم . . ولماذا مراسليها في الخارج فقط ؟ أليست المهمة الأولى لدار صحفية تنشئها المخابرات الأمريكية هي العمل في الداخل ؟!

الآن عرفت أن « فؤاد صروف » عميل ، وأن « المختار » كانت مجلة استعمارية المنشأ والهدف ؟! أتمنى أن يسأل الجيل الجديد والديه ماذا كنا نقول عن « المختار » في الأربعينيات . . وكيف لا تزال الشبهة تطارد كل من كانت له صلة بها . . وأخيرا ألم يستأذن « مصطفى أمين » من جمال عبد الناصر على إعادة طبع المختار في سنة ١٩٦٠ فوافق سيادة الرئيس ! هل من الأمانة أو احترام القارىء أن تستشهد بعمالة « مصطفى أمين » ـ وهي ثابتة ـ بأن « المختار صدرت فيها بعد عن دار أخبار اليوم » وذكر الأستاذ مصطفى أمين في رسالته ـ الاعتراف ، أن ذلك كان بين الفوائد التي حصل عليها من صلاته الأمريكية » ! وتقفز فوق « اعترافه » بأنه استأذن الرئيس فأذن الله . . ؟! أم أن هذه من التخيلات ، فلا مصطفى أمين استأذن ولا عبد الناصر وافق ، ولا المختار صدرت فعلا في ١٩٦٠ أو « فيها بعد » لكي تتهرب من التاريخ وحقائقه المخزية لكم جميعًا ؟!

٣ ـ إن الرئيس عبد الناصر وعبد الحكيم عامر وأنور السادات ، كلهم كانوا يعرفون موقف وسياسة وارتباطات « مصطفى أمين » ودار « أخبار اليوم » . ورغم ذلك أغلقت صحف مصر الوطنية وشرد من شرد وسجن من سجن حتي كتب « علي أمين » يشمت في « أبو الخير نجيب » تنكيل محكمة الثورة به . وظل هو وتوأمه يتربعان على عرش الصحافة المصرية مشرفين وموجهين للاتصالات المصرية ـ الأمريكية خلال حرب ١٩٥٦ . . لماذا ؟!

من الذي أخرج مصطفى أمين من السجن وأعطاه مقاليد الصحافة . . ؟ لماذا تحتاج « الثورة » إلى « عميل » يتصل لها بالرئيس إيزنهاور ؟! لماذا لا يتصل زكريا محيى الدين ؟! عبد الناصر لم يهتم ولا وجد وقتا ليقابل أحمد بهاء الدين ولو مرة واحدة في حياتها ! ومصطفى أمين يكتب بيانات عبد الناصر بل ويرسلها إليه للتوقيع .

لماذا هذه الثورة مشبوهة الاتصالات ، كل اختياراتها تصب فى النهاية في قناة المخابرات الأمريكية من أحمد حسين سفيرها في واشنطن إلى مصطفى أمين وهيكل والتهامي . . إلخ . .

٤ ـ ومرة أخري أو حتى عاشرة ، أعتذر لهذا الجيل الذي اختلطت الأمور عليه فلم يعد يدري معنى كلمة جاسوس وعميل . . بعد أن سيطرت على مصر حكومة جاءت بها المخابرات الأمريكية ، وأصبح اسمها حكومة « الثورة » ! . . ففقدت الكلمات معناها ، وتأمل كيف كتب « هيكل » كتاباً كاملاً يثبت فيه أن مصطفى أمين وعلي أمين جاسوسان .

مصطفى أمين خان مصر مع الأمريكيين ، واستعدى الحكومة الأمريكية ضد مصر* ، وأعطاهم معلومات ساعدت على العدوان الإسرائيلي . . أما علي أمين . بنص تصريح الزعيم « يعمل في المخابرات البريطانية »** .

ورغم ذلك ، أم نقول ، وبسبب ذلك انظر كيف التقى ممثل الناصرية بجاسوس الانجليز . .

« ووصل علي أمين إلي مكتبي وكان لقاء بعد فراق تسع سنوات حافلة ! كان فرحي بلقاء الأستاذ « علي أمين » حقيقياً وأشهد أنني شعرت بنفس الشيء من جانبه . . »

ثم طاف به مبنى الأهرام . . ثم « سألني الأستاذ « علي أمين » : « أين يستطيع أن يذهب طول نهاره ، إن جو الصحافة المصرية أوحشه . . وقلت على الفور : « إن الأهرام تحت تصرفه وسوف أخصص له مكتباً بجوار مكتبي يجلس فيه كما يشاء ويستقبل فيه من يشاء . » وقام مرة أخرى يقبلني متهدجاً بالتأثر . لم يتغير شيء من الطفل الكبير الذي عرفته منذ سنوات طويلة ! » بحروفه .

لم يتغير شيء حتى وإن كان الطفل الكبير لعب استغماية مع المخابرات البريطانية ؟! . .

وانظر ماذا كتب يوم الإفراج عن جاسوس أمريكا والمتسبب في العدوان أو المساهم فيه . .

« إن الصحافة المصرية تتلقى القرار بالإفراج عن الأستاذ مصطفى أمين بعرفان بالجميل عميق . . ذلك لأنه لا جدال في أن الدور الذي قام به الأستاذان مصطفى أمين وعلي أمين هو حلقة في حياة وتطور مهنة الصحافة في مصر » .

بعد كل ما قلته ؟! بئس الصحافة وبئس التطوير وتعس من دور . . وحقاً كما قلت : « هي مخططات قوى عظمى تلعب بمصائر ومقادير شعوب وتحاول فرض سيطرتها على الآخرين وترويض هممهم وإفقادهم الثقة بكل شيء حتى يصبحوا على استعداد للقبول بأي شيء ، ثم إعادة تشكيل أفكارهم وأحلامهم بوسائل عديدة تبدأ بالكلمة والصورة وتنتهي بالمدفع والدبابة »[٢] .

---

* من الطريف أن هذه التهمة ذاتها وجهت إلى الأستاذ « هيكل » ولكن من السفير الأمريكي السابق في القاهرة والأستاذ بجامعة بوسطن ، عندما علق على « خريف الغضب » فقال إن هيكل ذهب إلى أمريكا وحرض السياسيين الأمريكيين في اجتماع خاص ضد مصر والسادات وقال السفير : ولاشك إن المستر هيكل يعرف أنه يوجد قانون في الولايات المتحدة يعاقب من يستعدى حكومة أجنبية ضد حكومته » .

** نقل هيكل عن عبد الناصر أنه قال « إن مصطفى أمين كان من أهم مصادر المعلومات للأمريكان في الظروف التي سبقت التدبير للعدوان » صـ ٣١٢ وبالطبع يوجد شاهدان على ذلك . هما سعيد فريحة ، ومحمد محجوب . . وبالطبع متوفيان كما هو الشرط القانوني لشهود يهوه هيكل هذا

صدقت . . ولكن لا تشمت بنا . . إن كنتم قد هزمتم جيلنا بالمدفع والدبابة فقد هزمناكم بالكلمة وغداً يأتي جيل يبصق على قبوركم وصحافتكم ودبابات أتت بكم وأضاعت الوطن . .

وبعد . .

نعتقد الآن أنه باستثناء الحصول على محضر اجتماع المخابرات الأمريكية والضباط الأحرار في مارس أو مايو ١٩٥٢ ، لا يمكن أن تتوافر أدلة منطقية أقوى حجة وأبلغ دلالة مما أوردناه في هذه النصوص الثلاثة على اختلاف مصادرها . . وبقي أن نستفيد من هذه الحقيقة في تفسير قرارات ومواقف وسياسات عبد الناصر . . وإذا كان الإرهاب يستهوي الكثير من المؤرخين والمعلقين ، وهو عن حق يشكل قاعدة النظام الناصري ، والمعيار الصادق لتقييم النظم ، وهو أيضاً الحقيقة التي اتفق عليها « المتآمرون الثوريون » باعتبارها ضرورية لإجهاض الحركة الوطنية في مصر ، وفرض الزعامة المطلقة للقائد الجديد الذي سيستخدم هذه الزعامة بما يعود بالفائدة على بلده والمنطقة والأمريكان . . بل كان أول الشروط التي وضعتها المخابرات الأمريكية للقائد المنتظر ، هي أن يكون مجنون سلطة ، يعشق السلطة ولا يسمح بمشاركة فيها ، وعلى استعداد لتدمير كل شيء في سبيل أن يبقى في السلطة ، وقد ذكر كوبلاند ذلك صراحة . .

وإذا كنت قد تعرضت بالطبع لهذه الديكتاتورية ، وهذا الشبق للسلطة ، وما أدى إليه من تصفيات في القيادة ، بل إلى مناورات ومؤامرات يبدو معها ميكافيلي وكأنه أبو موسى الأشعري . . ! إلا أنني ركزت على ما يوصف بأنه « انتصارات » أو ما يحاول كتاب الناصرية ، والمخابرات الأمريكية وضعه في الكفة الأخرى ، لموازنة ما نزل بمصر والعرب من خسائر .

وأود أن أتوقف هنا لحظات لأترك بعض الوثائق تتكلم وهذه الوثائق مما نشر في الكتاب الدوري لوزارة الخارجية الأمريكية . نفس الكتاب الذي أذهل الأستاذ « هيكل » المذهولين « خلقه »؟[4] بنشر بعض من وثائقه . أما الوثائق التي سأقدمها أنا للقارىء فهي من النوع الخاص الذي قلت عنه إنه من نوع عجيب ، لا يراه الأستاذ هيكل ولا يشير إليه ، لأنه لا يرى إلا بالعين المجردة .

وأخيراً أنبه إلى حقيقة عجيبة الإيحاء والدلالة ، وهي أن هذا الكتاب الصادر عن وزارة الخارجية كسجل يومي لنشاط ومعلومات سفاراتها في العالم كله ، لا توجد فيه ولا رسالة ولا برقية ولا مذكرة واحدة في الفترة من ٢٢ يوليو إلى ٢٨ يوليو ١٩٥٢ لا من القاهرة ولا من أية جهة في العالم إلى واشنطن أو بالعكس إلا رسالة واحدة يتيمة من السفير الأمريكي في « لندن » بتاريخ ٥٢/٧/٢٣ يقول فيها إنه سمع بانقلاب في مصر وأنه يرسل عن ذلك تقريراً . . ولا أثر للتقرير !

وإذا رفضنا تفسير هذه الظاهرة المدهشة بأن الرقابة رأت أن برقيات وتقارير تلك الفترة تكشف ما لا يجوز ـ بعد ـ كشفه ، فليس أمامنا إلا قبول تفسير هزلي ، وهو أن السفارة الأمريكية بل والخارجية الأمريكية أصيبت بالصاعقة لهول « المفاجأة » فظلت مسخسخة من مساء يوم ١٩٥٢/٧/٢١ إلى ١٩٥٢/٧/٢٨ تماماً كما خلت الوثائق من أية إشارة من السفارة إلى حادث « المنشية » كأن السفير لم يسمع به ، أو قال عنه ما لا يجوز نشره حتى اليوم !

بصراحة . . نحن نتوجس شرا كبيرا من استمرار حرص الأجهزة الأمريكية على إخفاء وثائق انقلاب يوليو . .

إنا لمنزعجون مما يبيتون . .

* * *

تقرير مكتب الشرق الأدنى (الخارجية الأمريكية ١٩٥٢/٧/٢٨) .

« لا يوجد نفوذ شيوعي في الجيش أو قليل . . ولا دليل على وجود عناصر شيوعية في التحرك الأخير ، ولكن الشيوعيين عادة يحاولون استغلال أي تغيير ، الإخوان المسلمون لهم قوة في القوات المسلحة ، لابد أن يكون لهم نفوذ في الانقلاب الأخير لأن أهداف الانقلاب تتفق مع أهداف الإخوان في محاربة الفساد . ولأن عدداً من قادة الانقلاب هم أعضاء في جماعة الإخوان . أما الوفد فكان يتخذ موقف المراقب خلال الشهور الستة الأخيرة بعد حرق القاهرة ، وقد عاد النحاس وسراج الدين إلى القاهرة ووصفوا نجيب بأنه « منقذ الوطن » ولكن تبقى أن يُعرف إلى أي مدى سينقذ حزب الوفد وهو الأهم عندهما .

* * *

« إن اقتراح تشكيل « صلاح الدين » لحزب وفد جديد يتعاون مع النظام الجديد اقتراح غير مناسب لأن تنظيم الوفد وأمواله يخضعان لسيطرة حازمة من سراج الدين والنحاس وعبود (!! ج) كما أن الجيش لن يهتم بهذا الأمر طالما ظلت له السيطرة على الوضع » .

٧ أغسطس ١٩٥٢ من كافري إلى وزارة الخارجية رداً على اقتراحها .

* * *

« من السفير الأمريكي كافري إلى الخارجية الأمريكية ٧ أغسطس ١٩٥٢ « العلاقات بين الوفد والنظام الجديد ليست على ما يرام كما تمنى النحاس وسراج الدين . عندما عادا للقاهرة . والجيش الذي كان يخشى قوة الوفد في البداية بعد نجاح الانقلاب زال الكثير من هذا الخوف وأصبح الموقف يبشر بمصر بلا وفد »

وطلبت وزارة الخارجية الأمريكية من السفارة في القاهرة « دراسة عن تأثير الإخوان وإمكانية تعاون صلاح الدين والعناصر الوفدية الشابة مع النظام الجديد » برقية ٢٣٠ إلى القاهرة بتاريخ ٤ أغسطس ١٩٥٢ ورد السفير بأن « اتجاهات الحركة لا تتفق مع اتجاهات الإخوان مثل موافقتهم على الدفاع عن الشرق الأوسط ، واتجاههم للغرب في طلب السلاح

والمساعدات وقبول الأمير عبد المنعم* كأحد الأوصياء الثلاثة على العرش » .

* * *

من السفير الأمريكي إلى وزارة الخارجية ١٩٥٢/٨/٢٠ . .

بدعوة منهم ، تعشيت الليلة مع نجيب وتسعة من ضباطه الأساسيين .

١ ـ أكدوا مرة أخرى رغبتهم في صداقة الولايات المتحدة . . إلخ . .

٢ ـ ناقشت معهم الإصلاح الزراعي ، فقالوا إنه من ناحية لابد من عمل شيء وفي الحال بخصوص الفوران الشعبي بين الفلاحين . ولكن من الناحية الأخرى فإنهم يرون إمكانية إفساد الاقتصاد المصري كله لو تطرفوا في هذا الأمر أو بعبارة أخرى لا يمكن إعطاء حوالي ١٧ أو ١٨ مليون فلاح شرائح من الأرض ثم تتوقع أن ينتجوا شيئاً له قيمة ، وهم يشعرون بالحرج لأنهم تحدثوا كثيراً عن الإصلاح الزراعي علناً . .

٣ ـ اعترفوا بأنهم تسرعوا في الإفراج عن الشيوعيين وقد قاموا باعتقال بعضهم .

٤ ـ أما عن الإخوان المسلمين فقط اعترف لي « محمد نجيب » على انفراد من الآخرين ، أن هناك بعض الخطر من ناحيتهم لأن عدداً من الضباط والجنود ينتمون للإخوان ولكنه يعتقد أنه يمكنه السيطرة على الوضع .

٥ ـ أكدوا أنهم سيواصلون جهودهم لإضعاف الوفد .

٦ ـ أنهم يعتقدون أن حوادث كفر الدوار الأخيرة محركة من الخارج ، وأنهم لم يقرروا بعد إعدام الرجل الذي حاكموه وقد سألني نجيب رأيي هل يشنقه أو يغير الحكم إلى السجن المؤبد ، وقد تهربت من الجواب** .

كافري
٢٠ أغسطس ١٩٥٢

* * *

من وزير الخارجية الأمريكية إلى السفارة الأمريكية بالقاهرة :

« إننا نعتقد أن الدعم المادي والأدبي للنظام المصري الحاضر هو أفضل سياسة مدروسة يمكن اتباعها لتحقيق أهداف الغرب والولايات المتحدة في مصر والعكس أيضاً . . وهي :

١ ـ « اشتراك مصر في مشاريع الدفاع ٢ ـ حل النزاع المصري البريطاني ٣ ـ السلام مع إسرائيل . »

« أتشيسون »
١٩٥٢/٩/٣٠

* لا تنس أنه هو الذي طلب تدخل أمريكا من وزير خارجيتها في جنازة الملك جورج السادس . .

** دمه في رقبتك مرتين . .

من وزير الخارجية الأمريكي إلى مدير هيئة الأمن المشترك .
وشنطن ١٩ فبراير ١٩٥٣ سري جداً

« إننا نعتقد أن بقاء الجنرال نجيب في السلطة هو أمر حيوي للغاية بالنسبة لمصالحنا » .

جون فوستر دلاس

* * *

من وزير الخارجية الأمريكية إلى الجنرال محمد نجيب :

« إن شجاعتك في حل مشاكل مصر الداخلية والخارجية أثارت إعجاب الشعب الأمريكي ، إن حل مشكلة السودان في خلال شهور ، وهي التي سممت العلاقات البريطانية المصرية على مدى نصف قرن ، لدليل شجاعتك وصبرك وكفاءتك كرجل دولة . »

دلاس
١٩٥٣/٣/٢٤

* * *

« إن الشعور العام للشعب في هذه المنطقة (الشرق الأوسط ج) هو أكثر عداء للغرب وأكثر استعدادا للتعاطف مع أعداء الغرب بأكثر مما نحب أن نصدق » .

كافري
أول يونيه ١٩٥٣

* * *

ومرة أخرى ينقل السفير الأمريكي حديثا بين ناصر وموظف السفارة (؟!) ولكنه يضيف : « وبهذه المناسبة فقد لاحظ صحفي مصري جيد الاطلاع أن الإخوان المسلمين كانوا سيثيرون اضطراباً في المنطقة منذ مدة لولا سيطرة ناصر على الوضع » .

كافري لوزارته
١٩٥٣/٦/٢٢

* * *

« احتمالات استمرار مجلس الثورة في الاحتفاظ بالسلطة ؟ ممتازة في الوقت الحالي بافتراض أنه لا تقع اغتيالات لأعضائه البارزين وعدم حدوث تدهور اقتصادي خطير .

القوى الأساسية المؤيدة هي : القوات المسلحة ، الحرس الوطني ، هيئة التحرير ، البروليتاريا في الريف والمدينة متعاطفة مع النظام عموماً .

المعارضة : الأحزاب السياسية القديمة ، الطبقات العليا ، بعض الساخطين في الجيش والبوليس وجهاز الحكومة ، بعض التشكيلات من رجال الأعمال والعمال والشيوعيين ولكن قوات مجلس الثورة كافية لقمع عناصر المعارضة » .

كافري
٤ فبراير ١٩٥٤

من السفير كافري إلى وزارة خارجيته

القاهرة ٥ أبريل ١٩٥٤ سري

. . . .

٥ ـ لا يوجد على مدى الرؤيا حكومة بديلة يمكن أن تكون مرضية من وجهة نظر الغرب (بالغين المنقوطة ج) مثل الحكومة الحاضرة » .

ooo

قال جمال عبد الناصر اليوم في محادثة مع السفير الأمريكي « إنه يقدم لأول مرة لبريطانيا قاعدة عسكرية في مصر لأن معاهدة ١٩٣٦ لا تعطيهم قاعدة » .

١٩٥٤/٧/١٥

ooo

٢٨ سبتمبر ١٩٥٤ سري جداً

مذكرة من مسئول مكتب تنسيق العمليات . عن اجتماع لبحث مشكلة المساعدة العسكرية لمصر حضره الآتية أسماؤهم :

عن الخارجية	جون جيرنفن
	لويس نرشتلنج
	وليم بوردت
عن الدفاع	وليم جودل
عن المخابرات CIA	ريتشارد بيسيل
	كيرميت روزفلت
إدارة العمليات الخارجية	نورمان بول
مكتب تنسيق العمليات	المر ستانس
	ماكس بيشوب

« وقد قام مستر روزفلت ومستر بيسيل بعرض الوضع في مصر بإيجاز :

. . . .

. . . .

. . . . : »*

---

* هكذا وردت نصف صفحة نقط ومعناها حذفت من قبل الجهات الأمنية في الولايات المتحدة لأنها مازالت في عام ١٩٨٦ تندرج تحت البنود أو الاحتمالات التي تبيح الحذف أو توجبه طبقا للقانون وهي :

« يمكن أن تهدد المفاوضات الدبلوماسية التي قد تكون جارية » . =

وقد أشرنا إلى أنه لوحظ أيضاً اختفاء أية وثائق أو تقارير عن محاولة اغتيال « عبد الناصر » في المنشية فلم يرد عنها شيء ! . .

ولكن في ١٥/١١/١٩٥٤

من السفير (كافري) إلى وزارة الخارجية

« مما يثير الانتباه أن « الأهرام » نشرت اليوم أن وثائق الإخوان التي ضبطت تضمنت خططا لجر الحكومة إلى معركة حقيقية في فلسطين أو مع الانجليز في القنال لتمكين الإخوان المسلمين من تنفيذ انقلاب في القاهرة » .

ooo

= « يمكن أن تفقد الحكومات الأجنبية والأفراد الثقة المفترضة في وزارة الخارجية من ناحية قدرتها على حفظ الأسرار » .

« يمكن أن تسبب إساءة لا مبرر لها لأشخاص أو مواطنين من بلاد أخرى » . .

عن الانجليز ونجيب .. الخ

بعد أن نشرنا كتابنا « كلمتي للمغفلين » وكشفنا فيه مدى الدعم الذي قدمته الولايات المتحدة لانقلاب ٢٣ يوليو ضد الانجليز ، ومدى التعاون الذي قام بين رجال هذا الانقلاب والمخابرات الأمريكية ، لم يعد بوسع بياع الناصرية أن ينكر هذه الحقيقة ، فاعترف بها ولكن تحت غطاء أنها المناورة المشروعة باللعب على التناقض ، وهذا تفسير مقتبس من تحليلنا ، مع حذف جزء هام جداً ، وهو أنه لم يكن كذلك ! لأن كل حركة وطنية مطالبة وقادرة على الاستفادة من التناقضات ، على أن يكون ذلك سياسة وليس مؤامرة ، وبشرط أن تكون حقا حركة وطنية ، وليست من صنع أحد أطراف الصراع وبالذات جهاز المخابرات وقد شرحنا ذلك بما فيه الكفاية في أكثر من موضع . . وإنما نعرض هنا بعض الوقائع في ضوء ما كشفت عنه الوثائق المتاحة .

إذا كان تأييد تشرشل للانقلاب يشكل علامة استفهام في بعض الكتابات التي تعرضت لهذه الفترة . فلا جدال في أن الانجليز فوجئوا بالانقلاب ، وأنهم لم يكونوا « جد متحمسين » له . . ولكن يبدو أنهم اقتنعوا في الأيام الأخيرة باستحالة سيطرتهم على الوضع بغير احتلال القاهرة والأسكندرية والدخول في مجابهة مسلحة مع الشعب والحكومة . . ونحن نرجح أيضاً أن اتصالا تم مع تشرشل نفسه أقنعه بأنه لا يملك خياراً غير قبول الحل الأمريكي أو على الأقل ترك الأمريكيين يحرقون أصابعهم في التجربة؟ وسواء كان ثمن تأييد الانجليز للانقلاب هو ترشيح « علي ماهر » أو أن توليه رئاسة الوزارة كان مقصوداً لطمأنتهم أن الأمور لم تخرج نهائيا من جعبتهم ، لأن « علي ماهر » من النظام الذي اعتادوه واعتادهم ، وهو بلا حزب ، ومن ثم لابد أن يبحث عن سند ، في مواجهة العسكر ، وقد صح ما توقعه الانجليز ، فما إن أحس « علي ماهر » بضعفه أمام محمد نجيب وعسكره وأدرك اعتمادهم على الدعم الأمريكي حتى التفت إلى بريطانيا وتقدمت بريطانيا لمساعدته فكانت نهايته !

ففي مذكرة من وزارة الخارجية الأمريكية إلى السفير الأمريكي بالقاهرة ، تخبر الوزارة سفيرها أن بريطانيا طلبت من واشنطن تنبيه العسكر إلى ضرورة إعطاء ماهر فرصة لإجراء إصلاحات معتدلة وأن تبلغهم أن الولايات المتحدة ستستاء جداً لو اتخذوا إجراء ضد علي ماهر وأن ايدن يرى مخاطر إجراء إصلاح زراعي غير مدروس على الاقتصاد المصري والتركيب الاجتماعي كما سيفضي إلى سيطرة العناصر الأكثر تطرفاً ، كذلك لفت الانتباه إلى الاعتقال الجزافي ، وضم الوزارة لعناصر متطرفة ووفدية . . » .

وختمت الرساله بهذه النصيحة : « إن التنسيق بين سياسة بريطانيا وأمريكا أهم اليوم من اي وقت مضى وأي تصرف يفهم منه المصريون أنه مسايرة من الولايات المتحدة سيشجع المتطرفين على حسابنا . ويرى ايدن أن المصريين يعتقدون أن الولايات المتحدة قد أطلقت يدهم ببيان الخارجية في ٣ سبتمبر . وأن الولايات المتحدة تخطيء تماماً إذا تبنت توصيات كافري . إنني أرجو الولايات المتحدة أن تعيد النظر في احتمال أن يؤدي تشجيع العناصر المتطرفة في مصر في هذه المرحلة إلى تكرار أحداث الخريف الماضي . ففي رأيي أن الوضع الحالي في مصر خطير ويحتاج إلى معالجة حذرة من الولايات المتحدة ومنا » .

ولكن كافري كان « مالي يده » و « الأولاد » ـ كما كان يسمى قيادة الثورة ـ في جيبه ، لذلك جلس حقا على كرسي الأستاذية وقال : « إن تكتيكات وزارة الخارجية البريطانية خاطئة ومراراً وتكراراً تنبأت لهم بسوء العاقبة وهم في هذه المرة مخطئون أيضاً » .

كانت الأمور قد وضحت ، وعرفت بريطانيا رقم تليفون « مجلس الثورة » في واشنطن فأصبحت الشكوى والاحتجاج والنصائح توجه إلى « ولي الأمر » وعرف الانجليز أن « اللى له ظهر لا يضرب على بطنه » . . فلما شعروا بالنية لإزاحة علي ماهر تدخلوا . . وهاجموا « الإصلاح الزراعي » وهو أمر منطقي تماماً مع ما قدمناه من أسباب حول تأييد الأمريكيين لهم ، فكما أشرنا كانت ملكية الأرض والعلاقات الاجتماعية والاقتصادية القائمة عليها هي من صنع وفي خدمة النظام الاستعماري البريطاني ، ولذلك كان الأمريكان يريدون هدم ذلك كله وإحلال علاقات جديدة توافق نظامهم حتى الرغبة في إضعاف مزاحمة القطن المصري للقطن الأمريكي تفسر معارضة الانجليز ، فلا تنس أن بريطانيا كانت المستورد الأول للقطن المصري لمصانعها الذي تشتريه بالاسترليني ، أما القطن الأمريكي فلا سبيل إليه إلا بالقطع النادر ـ وقتها ـ وهو الدولار .

ولكن علي ماهر يزاح وتشكل حكومة برئاسة « محمد نجيب » أي العسكر وتبادر أمريكا على ضوء معلومات سفيرها بإعلان تأييدها للتغيير الوزاري (بيان ٣ سبتمبر ١٩٥٢) وبدون مشاورة مع بريطانيا التي لا تزال تعتبر من الناحية الشكلية صاحبة السيادة على مصر ، أو على الأقل حليفة أمريكا التي لا تجوز مفاجأتها بموقف منفرد ، بناء على مشورة كافري المضرة

جداً . . وأن هذا سيقنع المصريين بأنهم تحت الحماية الأمريكية ومن ثم يشجعهم على تحدي بريطانيا . .

ويرد السفير الأمريكي بأوضح وأوقح عبارة يعلن فيها . . إنه مسرور من إسقاط علي ماهر لأنه عرى الانجليز :

« إن سقوط علي ماهر ، جعل البريطانيين في مصر في العراء ، فالعسكر ليس فقط لا صلة لهم بهم ، بل يعتقدون أن بريطانيا تحاول تخريب حركتهم . كذلك فإن أي مدني تعامل في الماضي مع البريطانيين بروح التفاهم قد قبض عليه » . .

أما عن اتهامات الانجليز فقد فندها كالآتي :

التشكيل الوزاري والمتطرفون : « حقا . . ليس من المستحسن وجود أشخاص عريقي التطرف عديمي الخبرة مثل فتحي رضوان ونور الدين طراف في الوزارة ، أو ممثل للإخوان مثل الباقوري . . إلا أن الباقوري من الجناح الأكثر اعتدالا في الإخوان ، ورضوان وطراف مجرد اثنين من ستة عشر . وقد أبديت اعتراضا شخصياً على ضم السنهوري (موقع نداء استوكهلم للسلام) أو الشيوعي براوي . وقد احترم العسكر اعتراضي وأبعدوا الاثنين . وقد أخبرنا العسكر اليوم أن برنامجهم سينشر بالكامل خلال أيام » .

كافري ١٩٥٢/٩/٨

ثم أشفع ذلك بمذكرة أطول في ١٠ سبتمبر ١٩٥٢ برر فيها سرعة إعلان التأييد الأمريكي فقال :

« لقد كان من الضروري أن نتحرك بسرعة لتنمية العلاقات والثقة مع الحكومة الجديدة وخاصة أنه لم يقع تغيير في أهداف حركتهم الإصلاحية ، التي أيدناها في بيان وزير الخارجية . وكل ما جاء في المذكرة البريطانية هو خارج الموضوع (اشار السفير (الأمريكي ج) إلى أن مسلكية علي ماهر حتمت سقوطه) .

« أما عن أدعاء البريطانيين عن اعتقالات جزافية في القاهرة فإننا نؤكد أن الحقيقة مخالفة تماماً . لقد ضرب العسكر عدوهم الرئيسي وهو : الوفد » .

« أما ادعاء أن نجيب أسير العناصر المتطرفة فقد أخبرت البريطانيين صباح اليوم أن هذا ادعاء غير صحيح ، وكذلك ادعاء ايدن بوجود خطر تجدد الإرهابيين وسوء الفهم بين مصر والدول الغربية ، فهو مجرد تخيلات لا أساس لها من الصحة ، وبصفة خاصة نحن نتوقع أن ترفض الوزارة (وزارة الخارجية) تعريض ايدن بأن الولايات المتحدة تشجع العناصر المتطرفة في مصر . إن الولايات المتحدة تشجع حركة إصلاحية يقودها ضابط شريف* يرأس

---

* وبينما يتحدث الأمريكان عن الضابط الشريف المصلح لم ينس تشرشل مرة واحدة في خطاباته ووصف رئيس مصر إلا بلقب « الديكتاتور » وحكومة مصر « الديكتاتورية العسكرية » وذلك بالطبع

حكومة مدنية ، وهو قبل كل شيء يسيطر على الوضع في مصر . . ونعتقد أنه يمكن إقناعهم بأن مركزهم في مصر سيكون أكثر أمناً إذا ما أقامت الولايات المتحدة الآن ، ثم هم (الانجليز . ج) فيما بعد ، علاقات ثقة مع حكومة مصر » .

كافري

ولكن الحكومة البريطانية تقدم احتجاجاً رسمياً على « انفراد » أمريكا بإعلان تأييد التغيير الوزاري : « إن هناك خلافاً في تقدير الوضع في مصر وكان من الممكن جداً في الوقت الذي تمتدح فيه واشنطن النظام المصري ، أن تصدر لندن بياناً مخالفاً » .

ولم تهتم الخارجية الأمريكية بل قالت : « إنها تثق تماماً في تقديرات كافري للوضع في مصر . ولو اتبعنا سياسة التحفظ التي تطالب بها لندن ، لما كان ذلك في صالح أحد ولا البريطانيين أنفسهم . بل كنا سنلقي ماء « بارداً » على العلاقات الوثيقة القائمة ، بما يضر مصالح أمريكا وبريطانيا معا ، إن الولايات المتحدة لا ترى تطرفاً في نظام نجيب ولو أنه يتعجل الإصلاح ويستحق تشجيعنا » .

« اتشيسون »

وزيادة في توثيق العلاقات ، وطلب المزيد من التشجيع اتصل أحد المفاتيح ، القائمقام عبد المنعم أمين عضو مجلس الثورة ، الذي لم يكن من « الضباط الأحرار » وإنما أدخل ليلة الثورة وإلى قمة القيادة فوراً لصلته بالأمريكان ، كما يقول مؤرخو الناصرية بكل تبجح . . ويبدو أن المخابرات الأمريكية لزيادة التأكيد اشترطت بعض التعيينات ، لأشخاص كانوا أبعد ما يكون عن « التنظيم » . . فلما اطمأنوا إلى « صدق » تعاون عبد الناصر وسيطرته على التنظيم . . سمحوا له بأن يصفي جميع المزاحمين وخاصة في السوق الأمريكية .

وبهذه المناسبة نحب أن نوضح أننا إذا قبلنا مقولة أن عبد الناصر هو منشيء تنظيم الضباط الأحرار ، فذلك في إطار الحديث عن التنظيم الذي استولى على الحكم في ٢٣ يوليو ، لأنه كما قررت عشرات الكتب لم يكن لا التنظيم الأول ولا الوحيد . . أما التنظيم الذي نفذ انقلاب يوليو فكان فعلاً برئاسة جمال عبد الناصر وأن عدداً كبيراً من التنظيمات السابقة أو المعاصرة تحولت إلى روافد تصب في هذا التنظيم أو تبددت في الصحراء . . وحتى لو سلمنا بأن نسبة كبيرة ممن انضموا لهذا التنظيم لم ينضموا بسبب عبدالناصر بل بجاذبية الأسماء المشهورة ، أو انضموا عن طريق تنظيمات سياسية أخرى وبنية خدمة أهداف هذه التنظيمات مثل الإخوان الذين كان يمثلهم العير والوتد فلم يمثلا في مجلس الثورة . . أو الشيوعيون مثل يوسف صديق

= للتحرش بالأب الروحي الأمريكي فإذا كانت بريطانيا استعمارية فإن أمريكا ليست أفضل بل تؤيد « ديكتاتوراً » وعسكرياً كمان !

وخالد محيي الدين ، حتى لو سلمنا بأن عدداً كبيراً لم يكن يعرف عبد الناصر وانضم بانطباعات مختلفة تماماً لفكر ناصر وتصوراته وأهدافه إلا أن دخول هؤلاء التنظيم ، كان يضعهم ، ولو لم يعرفوا تحت قيادة عبد الناصر . وصحيح أنه عندما تم الانقلاب وانكشفت الأسماء لم يكن عبد الناصر لا أكثرهم ثقافة ولا جماهيرية ، إلا أنه كان أقدرهم على التآمر ، وأهم من ذلك أوثقهم صلة بالمخابرات الأمريكية ، وبالتالى وضعت تحت تصرفه قدرات هذا التنظيم الشيطاني المهول وقتها ، وهكذا أصبحت مقاومته عبثا ومعارضته انتحارا ، وانتصر بسهولة مذهلة أسطورية على قوى وشخصيات تفوقه في الخبرة والمعرفة مرات ومرات . . ولا شبيه لذلك إلا السهولة التي تم بها انقلاب السادات على كل مراكز القوي والحكم في مصر . . بنفس الحليف أو العصا السحرية . . وللمرة الثانية كان هيكل هناك !

نعود لحديث عبد المنعم أمين . . الذي توجه للسفارة الأمريكية وأبلغها الآتي بنص عبارات تقرير السفير :

« إن المجموعة العسكرية معادية تماماً للشيوعية ومع الولايات المتحدة . وإنهم على استعداد لإعطاء تعهدات سرية عن الأهداف البعيدة المدى بما فيها قيادة الدفاع عن الشرق الأوسط . وسألني ما التعهدات المطلوبة وهل تعد مقبولة لو صدرت من محمد نجيب . . وأكد مراراً وتكراراً أن مصر لا نوايا عدوانية لها إزاء إسرائيل » .

كافري

١٩٥٢/٩/١٨

وهنا جاءت وثيقة العار أو وثيقة « المكنسة » فقد ردت وزارة الخارجية :

« وبالإضافة إلى التعهدات السرية فإننا نعتقد أنه من صالح مصر أن تتخذ بعض الخطوات التي تطمئن الرأي العام في هذا البلد (أمريكا ج) وغيرها ، مثل تأييد الأمم المتحدة في كوريا ، وتعويض البلاد المعنية عن أحداث ٢٦ يناير . . وهذه الخطوات التي لن تكون صعبة في حد ذاتها بالنسبة للنظام ، إلا أنها ستكون دليلاً علنياً جديداً بأن النظام الجديد هو في الحقيقة « مكنسة جديدة » وقطع صلته بالماضى »* . . ١٩٥٢/٩/٣٠ .

وهكذا ظهرت المكنسة الثورية أو المكنسة الناصرية . . وبدأت ما سماه الناشر الانجليزي « لملفات السويس » دراما إخراج بريطانيا من الشرق الأوسط وإدخاله في دائرة الهيمنة الأمريكية ، أصبحت كل الأوراق في يد « كافري » . . الذي حدد « هيرمان فينر » مؤلف كتاب « دلاس والسويس » أهدافه في تلك المرحلة فقال : « ويعتبر كافري من السفراء

---

* بالنسبة للتعهدات السرية أعتقد كما سنرى من الوثائق أنها تتعلق بإسرائيل وبالذات إلغاء قرار حكومة الوفد بمنع مرور النفط والبضائع من وإلى إسرائيل عبر قناة السويس . فقد نفذ عبد الناصر ذلك واقترح سفيره في باريس أن توقع إسرائيل اتفاقية ١٨٨٨ التي تنظم استخدام القناة !

القلائل الذين سببوا المتاعب للانجليز فقد كان يخدم المصالح الأمريكية حسب تعليمات وزارة الخارجية وكان من بين المهام الملقاة على عاتقه المصالح المتضاربة للانجليز والعرب في مصر . وقبل كل شيء خروج الانجليز من قاعدة القناة ـ وقد التحق بالسلك الدبلوماسي في عام ١٩١١ . وفي القاهرة تأثر الرجل بالغ التأثر بالمشاعر القومية المصرية ، كما حزت في نفسه مظاهر الفساد وعدم كفاية حكم الملك فاروق . بعث كافري لوزارة الخارجية الأمريكية طالباً منها مساعدة الثورة على تحقيق أهدافها ، وقال إنه ينبغي حمل الانجليز على ترك قاعدة القناة ، وأنه ينبغي إذا لزم الأمر خروجهم من غير أي شرط لأنه ما من زعيم مصري يستطيع سياسياً منح أية امتيازات للامبرياليين » .

وفي الحقيقة إن هذا كان تقدير الأمريكيين في البداية ـ أو قل طموحهم ـ وهو إخراج بريطانيا من مصر والسودان ، من قناة السويس بلا قيد ولا شرط ، والوصول إلى تسوية في السودان تكفل صورة من صور الاتحاد مع مصر بما يسمح بالوجود الأمريكي هناك ، وما يرضي المطالب الوطنية في مصر والسودان بعض الشيء . . وعلى هذا الأساس بدأت مفاوضات السودان بين واشنطن ولندن في الواقع . . وإن كانت قد جرت بين وفد مصري وآخر بريطاني . . وكانت أمريكا في المركز الأقوى لأنها كما قال مؤرخ الناصرية « تمسك بمفتاح من أهم المفاتيح في عملية المفاوضات كلها » وهو نظام الحكم المصري . وكان « كافري » مصمما على اخراج البريطانيين عراة ، مطمئنا إلى أنهم لا يقدرون على أي تحرك مضاد في مصر . . ولكن بريطانيا لم تكن تجهل هذا الوضع ، وأيضاً لم تكن خاوية اليدين من الأوراق ، كانت هناك المصالح العالمية التي تجبر أمريكا على الوقوف عند حد معين في تصعيد صدام علني مع بريطانيا حليفها الأول ، وهناك مصالح أمريكية في مواقع أو قضايا تملك فيها بريطانيا حرية الحركة . . ولم تتردد بريطانيا في استخدام أي سلاح وهي تقاتل بحق ، ما بدا وقتها معركة الامبراطورية الأخيرة . . فهددت بالانسحاب من كوريا ، وبتصعيد خلافها مع أمريكا حول الصين ، بل والتقرب من روسيا ووصل الأمر إلى حد الإسفاف بتهديد تشرشل بأن سياسة أمريكا ستؤدي إلى انتصار الاشتراكية في بريطانيا !

وقد أورد مؤلف الناصرية بعض النصوص التي تؤكد دور السفارة الأمريكية في هذه المفاوضات ، وإحساس بريطانيا أنها تفاوض أمريكا ، وأن السفارة أو القسم المصري في وزارة الخارجية الأمريكية هو الذي يحرض ويدعم المفاوض المصري . فقد روى عن « سلوين لويد » وزير خارجية بريطانيا أنه كان يرى أنه لابد من تأجيل المفاوضات مع مصر حتى تجرى مفاوضات مكثفة مع الأمريكيين لتنسيق موقف الدولتين العظميين (بريطانيا والولايات المتحدة) تجاه مصر ، وحتى لا تتضارب المواقف بينهما لأسباب من سوء الفهم يرجع معظمها إلى تصرفات غير مسئولة كما حدث في الماضي وشرح مؤلف ملفات السويس ذلك بقوله : « وكانت الإشارة صريحة إلى دور بعض الدبلوماسيين في السفارة الأمريكية »[٣]

وقال : « كانت لندن غارقة حتى الأذنين في مفاوضات مع الولايات المتحدة » من أجل أن يختفي « عنصر كافري » كما كان يسميه ايدن »[4] ويسجل مغتبطا أنه لما « وصل ايدن إلى واشنطن وجد لديهم خططا وليس مجرد أوراق »[5]

وهكذا أصبحت واشنطن دار الخلافة وايزنهاور الباب العالي ، وكافري الباشا التركي في ذروة قوة الدولة العلية . وأصبح على من يريد حماية مصالحه في مصر أن يدفع الجزية أولا في اسطمبول ـ واشنطن ، بل إن إقامة علاقة بين حكومة الثورة والسفارة البريطانية ، أصبحت تحتاج لإذن أو ترخيص من السفارة الأمريكية وقد أشرنا إلى فضيحة لجوء الوزير البريطاني للسفارة الأمريكية لتمكنه من مقابلة رئيس مصر ، وتولى رجل المخابرات الأمريكية في السفارة « إقناع » أو إجبار الرئيس المتمنع على مقابلته . . وفي تقرير السفير كافري يوم ١٨ / ٩ / ١٩٥٢ سأله « عبد المنعم أمين » : « إذا كان الوقت قد حان لإقامة اتصال مع السفارة البريطانية وإن كان بالطبع لن يصل إلى مستوى علاقتنا ، فقلت له : أعتقد ذلك وسأطلب من ستيفنسون (السفير البريطاني) أن يعين ضابط اتصال من السفارة مع العسكر » تماما كما كان باشاوات مصر يستأذنون دار المندوب السامي البريطاني قبل اقامة علاقة مع أية دولة . . أو كما كانت تنص معاهدات الحماية مع مهرجانات الهند !

وراحت بريطانيا تهدد باحتلال مصر . . وكتب تشرشل لايزنهاور « لا مجال للظن بأننا سنحتاج دعمكم العسكري أو الأدبي أو المالي لاحتلال القاهرة والأسكندرية » .

١٨ / ٢ / ٥٣

ورد عليه ايزنهاور : « إن أي حل لمشكلة القناة يجب أن يلقى قبولا من المصريين ، وإلا فإن نجيب سيلحق بمصري آخر منفي الآن في إيطاليا » .

وقال كافري للانجليز إنهم بموجب المعاهدة يجب أن يغادروا البلاد خلال ثلاث سنوات . .

وكتب تشرشل رسالة مطولة إلى ايزنهاور ١٩ / ١٢ / ٥٣

« إنني منزعج جداً من مجرد تصور إعطاء مساعدات اقتصادية أمريكية لمصر في نفس الوقت الذي تقوم بيننا فيه خلافات حادة . إن هذا سيكون له أثر سيء جداً في بلادنا على العلاقات الأنجلو ـ أمريكية ، وقد تستخدم المعارضة الاشتراكية هذا الموقف للمطالبة بضم الصين الشيوعية للأمم المتحدة ، أو المقارنة بين مساعدة مصر والتجارة مع الصين وهو الأمر الذي يتعرض لانتقادات السناتور مكارثي غير العادلة ، مما يثير كثيراً من الرفض هنا . ارجوك أن تفكر في مصر في إطار الصورة العامة لعلاقاتنا . ونحن لن نتنازل بعد اليوم ، وقد تنشب الحرب في أية لحظة » (بين بريطانيا ومصر . ج) .

وفي اليوم التالي رد ايزنهاور :

« بناء على طلبكم لم نمنع فقط المساعدة العسكرية عن مصر بل حتى المساعدة

الاقتصادية . . وتقول إن الاشتراكيين سيشعرون بالمرارة للمساعدة الأمريكية الاقتصادية لمصر لأن أمريكا تعترض على التجارة مع الصين ، والذي أعرفه أنكم مازلتم تتاجرون مع الصين ونحن لن نحاول أكثر من مد يد المساعدة لبدء تنمية اقتصادية ، وهل أنت مستعد إذا أوقفنا المساعدة الاقتصادية لمصر أن تقف معنا بحزم في معارضة ضم المعتدين الصينيين الملاعين إلى مجلس الأمم المحبة للسلام ، ولو حتى إلى أن تسحب الصين قواتها الغازية وتتوقف عن دعم . . . الخ »

ايزنهاور ١٩٥٣/١٢/٢٠

وأبلغ ايدن واشنطن « أن مصر هي أكثر الموضوعات قابلية للانفجار في العلاقات البريطانية ـ الأمريكية »

١٩٥٣/١٢/٢٢

وعاد تشرشل يجر ناعم ويبطن تهديداته :

« إن قضية مصر تبدو تافهة بالنسبة للمشاكل الكبرى التي تواجهنا هنا ، ورغم ذلك فقد تسبب نكسة عميقة وخطيرة في العلاقات الأمريكية ـ البريطانية وهذا سيشكل كارثة بالنسبة لنا جميعا . وسواء انحزت ضدنا في مصر أم لا ، فإن هذا لن يؤثر على دعمنا لكم الذي نعتقد صوابه في موضوع الصين ، ولكن سيصبح من الصعب علينا أنا وايدن أن ندعمكم في الشرق الأقصى ، إذا ما كان علينا لا مواجهة معارضة الاشتراكيين وحدهم بل وأيضاً مواجهة شعور عام في سائر البلاد . وهناك أشياء قليلة لا نستطيع القيام بها معا . فهناك خمسون ألف بريطاني في مصر وعند مداخلها » .

تشرشل ٥٣/١٢/٢٢

ورد ايزنهاور يقترح صفقة ومساومة على حساب إيران ومصر وهكذا يفعل الامبرياليون :

« أنت تعلم بالطبع أنه إذا كان بوسعنا الوصول إلى ترتيبات كاملة وناجحة في إيران . . فهذا سيطلق يدنا هنا في مواجهة أية معارضة تحاول إضعاف دعمنا لجهودكم الهادفة للوصول إلى اتفاق مناسب في مصر » .

ايزنهاور لتشرشل ١٩٥٣/١٢/٢٣

وفي نفس اليوم تساءل الانجليز : هل يرغب المصريون في العودة إلى طاولة المفاوضات ، ورد وزير الخارجية الأمريكية بثقة من له الأمر : « نحن قادرون على إعادتهم إليها » .

١٩٥٣/١٢/٢٣

ولم يقل إن شاء الله !

كانت مصر إحدى ورقات اللعب على مائدة الامبرياليين في تقسيم العالم وإعادة توزيعه ،

وكانت الورقة في جيب أمريكا . . وبريطانيا لديها ما تعطيه وأيضاً ما تحجبه ، والضغط على مصر أسهل ، فالعسكر يعتقدون أنهم بحاجة إلى الدعم الأمريكي على جميع المستويات ، وعبد الناصر لم يدعم مركزه بعد ، وهو لا يستطيع تحدي بريطانيا وعصيان أمريكا في نفس الوقت ، ومن هنا انتهت كل الأزمات تقريباً بضغط أمريكي على مصر وتنازل العسكر لبريطانيا . ولم يكن الانجليز تحت رئاسة تشرشل يريدون اتفاقا* ، بل كانوا يأملون في سقوط النظام أو الاتفاق على التخلص منه مع الأمريكان كما حدث مع مصدق ، ولما بدأ الخلاف بين « محمد نجيب » وعبد الناصر ، واضطر « محمد نجيب » إلى الاعتماد على الوفد والإخوان بعد كل ما ارتكبه ضدهم وحاول جاهداً إقناع الأمريكيين بأنه مستعد لتلبية جميع الطلبات ، فقوبل بالرفض لأن عبد الناصر كان رجلهم المفضل ، وجد نجيب نفسه حليفاً للانجليز . . على كره من الطرفين . .

واكتشف الانجليز في « محمد نجيب » « رجلاً أعلى مستوى وأكثر عمقا من ناصر » ٦٤١ / ٧٤ / ٢ ـ ٢٥ ـ ٥٤ . ٢٥ فبراير ١٩٥٤ .

ورد عليهم كافري « إن ناصر وهو مازال في السادسة والثلاثين من عمره يعلو بكتفيه ورأسه فوق نجيب في القدرة وقوة الشخصية » .

كافري ٢٦ فبراير ١٩٥٤

وكل فتاة بأبيها معجبة ؟ أم نقول بعميلها ؟!

وبينما اعتقد الانجليز ـ بفقر معلوماتهم بعد تصفية عناصرهم** ـ أن الثورة « خلصت » وأغلقوا ملفات المفاوضات وانصرفوا (برقية ١٩٥٤/٤/٢) أكد « كافري » العليم أن النصر مضمون لناصر وانهال باللعن على « محمد نجيب » ومن يحالفه :

من السفير الأمريكي (كافري) إلى الخارجية الأمريكية

سري وعاجل ٢٦ مارس ١٩٥٤

أظهر نجيب استعداده للعمل مع أسوأ العناصر في البلاد بما في ذلك الوفديون والإخوان

---

* أيدت مذكرات « ايفلين شوكبرج » هذه الحقيقة ، وأن حاكم السودان كان بموافقة تشرشل يبذل كل جهد ممكن لمنع الاتفاق مع مصر وقد وصل تشرشل إلى أفكار جنونية مثل اقتراح إشراك الإسرائيليين في احتلال مصر ولكن الوضع تغير باستقرار الحكم لناصر وإطلاق يد ايدن الذي تبنى سياسة كسب مصر الناصرية . . لينقلب أشد جنوناً وحقداً على ناصر من تشرشل .

** اعترف « شوكبرج » في يومياته « الانحدار إلى السويس » أنه في عام ١٩٥٦ كانت السلطات المصرية قد صفت جميع عملاء بريطانيا في مصر .

ولكنه أورد نصاً غريباً يقول إنهم خلال أزمة ناصر ونجيب كانوا يأملون في الفرج على يد حكومة من عبد الناصر وعلي ماهر تخلصهم من نجيب !

المسلمون والشيوعيون للبقاء في السلطة ولذا فإن أي قرار آخر لمجلس الثورة كان يعني الصدام مع هذا الحلف غير المقدس »

كافري

كان السفير الأمريكي يفسر سبب صدور قرارات ٢٥ مارس التي تعهدت باعادة الحريات والدستور والبرلمان وإنهاء حكم العسكر ، وبينما كانت مصر كلها تصدق ، كان السفير يعلم أنها مجرد مناورة وخطوة للوراء لقفزة أو انقضاض على « الحلف غير المقدس » فكتب لحكومته :

« إن مجلس الثورة سينتهز أية فرصة للسيطرة على الوضع وتثبيت القيادات الثورية النظيفة » ١٩٥٤/٣/٢٦

« إن ناصر رجل عرف بالجرأة والمكر ، ولا تثبط عزيمته نكسة ، ويعتمد على عنصر المفاجأة »[62]

كافري
٥٤/٣/٢٣

ولابد أن كافري وأصحابه كانوا يعرفون فضل المجاهدين على القاعدين ولذلك لم يكتفوا بالدعاء لناصر والاطمئنان لكفاءته ، فقد قامت مظاهرات « صاوصاو » أشهر خائن في تاريخ الطبقة العاملة ، ومما يثير الانتباه تعدد أوجه الشبه بين هذه المظاهرات المفتعلة وبين عملية « اجاكس » في طهران التي نظمها « كيرميت روزفلت » نفسه للإطاحة بمصدق . . ويمكن لمن شاء تقصي هذا الموضوع . . أما النكتة حقا فهي رسالة كافري عن هذه المظاهرات فقد بدأ تقريره بقوله :

Good natured crowds

« جماهير طيبة القصد بدأت مظاهرة مؤيدة لمجلس الثورة » .

وامتدح براعة مجلس الثورة في عزل نجيب وهو بالطبع يقصد اللعبة التي كان لمصطفى أمين فيها دور البطولة ونعني اتهام « نجيب » بأنه رجل الأحزاب ، ولا يجوز أن يفسر إغفال « كافري » الإشادة بدور مصطفى أمين بأنه من مرض قلة الوفاء الذي يشكو منه الدرويش . . بل لأن « قانوناً صدر في عهد ريجان يحظر نشر أسماء عملاء الولايات المتحدة ! .

قال كافري : « استطاع مجلس الثورة ، بحكمة ، أن يجعل عودة الأحزاب هي القضية وليس خلافهم مع نجيب . ولذا يمكن القول إنهم حصلوا على تأييد سلبي ضد عودة

الأحزاب الفاسدة » « إن سمعة نجيب تدهورت بأنباء اتصاله مع العناصر الوفدية »*

كافري ١٩٥٤/٣/٣٠

وقد زعم « سلوين لويد » ، أن « عبد الناصر قال له : « إن نجيب لم يكن معادياً بما فيه الكفاية للانجليز ومن ثم كان عليه أن يتآمر ضده »[٦]

أما كافري فقال : « لم يخف نجيب معارضته لاتفاقية السويس ولو كان بوسعه لألغاها لتحقيق كسب شخصي » ١٩٥٤/١١/١٥

ويضرب القوى الوطنية أو المعارضة وتصفية نجيب ، واستعادة ناصر وصحبه السيطرة الكاملة على الموقف ، عاد الانجليز إلى مائدة المفاوضات وأصبح عبد الناصر أكثر استعدادا لقبول ضغط الأمريكيين وأقدر على ترضية خاطر كافري[٧] فهذا اللون من الحكم ـ للأسف ـ كلما زاد بطشه بمواطنيه كان أكثر استعدادا للتفريط في حقوق الوطن** وهكذا قبل عبد الناصر استمرار القاعدة ٧ سنوات ، أو بالأحرى وبنص عبارته ، أعطى الانجليز قاعدة لسبع سنوات ، ولم تكن معاهدة ٣٦ تعطيهم هذا الحق ، وقبول الجلاء في ١٩٥٦ هو اعتراف بعدم إلغاء المعاهدة اعتراف بانتصار الإرادة البريطانية على الإرادة المصرية ، وهكذا نكست الراية التي ارتفعت في ٨ أكتوبر ١٩٥١ عندما تحدت مصر بريطانيا العظمى وألغت المعاهدة بقرار منفرد ، تماماً كما انتكست راية الإرادة الوطنية في إيران بالإطاحة بمصدق وإعادة الشاه ومدربيه الانجليز والأمريكان . . ومن الغريب أن كيرميت روزفلت كان هنا وهناك . . كذلك خان عبد الناصر إجماع الشعب على رفض الدفاع المشترك عن الشرق الأوسط فقبل عودة الانجليز إلى القناة إذا ما وقع عدوان على الدول العربية أو تركيا . .

ورغم ذلك فقد خرج عبد الناصر أبيض الصحيفة أمام التاريخ من ذلك كله ، بل واستحق ـ عن حق ـ شرف محقق الجلاء ولو رغم أنفه ، فقد أحرقت حرب ١٩٥٦ اتفاقية الجلاء بكل عيوبها وشروطها ، إلا التنازل الأخطر والأفدح والأبقى أثراً وهو فصل السودان . .

وإذا شئنا أن نختتم هذا الحديث ، عن الحلول الأمريكي محل الانجليز ، وكيف كان الناصريون وعملاء أمريكا يرون هذه العملية ومازالوا . . فلا أبلغ دلالة وأقبح تعبيراً مما قاله « هيكل » في الطبعة الانجليزية « لملفات السويس » قال أخزاه الله ؛ بعد أن أورد حادثة لجوء عالم الآثار البريطاني إلى السفارة الأمريكية خلال العدوان الثلاثي ، وتدخلت السفارة

---

* والشكر واجب لمصطفى أمين ودار أخبار اليوم الذين روجوا هذه الأنباء ولكن أين كان هيكل . . لماذا لا يحكي لنا عن دوره في هذه الفترة ؟!

** راجع رسالة السفير الأمريكي الذي توقع تساهل ناصر بعد نجاحه في ضرب الإخوان « كما تؤكد معلوماتي عن هذا اللون من الديكتاتوريين » !!

الأمريكية لحمايته هو ومجموعاته من الآثار . . ووفرت له الحماية وهذا ما ورد في النص العربي ، كما أشرنا ، إلا أن « الأستاذ » أضاف في الطبعة الأفرنجية أن الأمريكان أخذوا مجموعة الآثار لأنفسهم ، وعلق بالآتي : « وهكذا كانت أمريكا تلبس الحذاء الذي خلعته بريطانيا »[8] !

أخزاك الله* !

جعلت مصر حذاء تتبادله أقدام المستعمرين . .

أطال الله عمر الشقي حتى يأتي جيل يعلمك ما الحذاء وفيم يستخدم . . !

الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو !

ولو أن خلاف ناصر مع الولايات المتحدة ، لا يقع زمنيا في إطار هذا الكتاب ، إلا أنني وجدت من الضروري أن أعرض بإيجاز لتطورات هذا الانفصال ، حتى تكتمل ملامح الصورة ـ فكما قلنا ـ كانت نقطة الخطأ هي في قبول دور « المكنسة » لصالح الولايات المتحدة الأمريكية ، أو قبول التعاون والتعامل من خلال المخابرات الأمريكية ، الأمر الذي أدى إلى محاولة تغطيته بخلق معارك إعلامية ضد الولايات المتحدة وسياستها المعلنة ، وبالتالي إعطاء القوى المعادية لمصر مادة لإثارة المؤسسات الدستورية والرأي العام في أمريكا ضد مصر وعبد الناصر وما يتبع ذلك من ردود فعل أشرنا إليها . . وبعد صفقة السلاح ، كانت هذه القوى المعادية تتشكل أساسا من بريطانيا وإسرائيل . . ورغم كل ما شرحناه ودللنا عليه من موافقة الـ CIA على صفقة السلاح ، بل وقبولها من جانب القيادات العليا في الولايات المتحدة ، والاتفاق التام بين عبد الناصر والمسئولين الأمريكيين سراً وعلناً ، على أن هذه الصفقة لن تؤثر على العلاقات الطيبة بين النظام المصري وواشنطن ، بل والأمل في استثمار الصفقة لتحقيق « هدف إيجابي » وهو تبريد الموقف مع إسرائيل أو إعطاء دفعة للجهود الأمريكية التي كانت جارية في هذا الوقت لعقد الصلح مع إسرائيل مع كل الآمال المعلقة على النظام الناصري في « جر » النظم العربية إلى هذا الصلح . . وكان يمكن أن تستمر هذه الآمال وتلك الجهود لولا عاملان :

○ الجماهير العربية التي تعادي الولايات المتحدة ، بوعيها الفطري السليم وبحكم تناقض مصالحها مباشرة مع المصالح الأمريكية ، أو من خلال الدعم الأمريكي للاحتلال الصهيوني للأرض العربية في فلسطين . . هذه الجماهير رأت في صفقة السلاح ، عملا « معادياً » للولايات المتحدة ، وخروجا من دائرة نفوذها ، فانفجر تأييدها معبرا عن هذا الفهم ، راغبا

* انظر فصل التاريخ البلاستيك .

في المزيد ، فارضا على « ناصر » هالة من الوطنية المعادية للولايات المتحدة ، لم تكن في نيته ولا رغبته ولكنه لم يكن بالذي يرفضها أو يصححها ، فكما قلنا كان هذا اللون من الزعامة هو رأس ماله في لعبة السلطة ، ولعبة الأمم معا . .

وقد قوبلت هذه الموجة بالقلق والتوجس من قبل « أصدقاء » ناصر في الولايات المتحدة .

○ وهنا ننتقل للعامل الثاني ، وهو أعداء « ناصر » وهم في تلك المرحلة الانجليز والإسرائيليون .

« الانجليز » كانوا يرون فيه عدو بريطانيا رقم واحد لأنه يصفي الامبراطورية في الشرق الأوسط والعالم العربي* . . والإسرائيليون لأسباب عديدة ، أهمها في تلك الفترة ، أنه يزاحمهم على مركز الصديق الأول للولايات المتحدة في الشرق الأوسط ، وأنه بسبب هذه العلاقة مع الولايات المتحدة ، يشجع الأخيرة على المضي في مشروعات الصلح والإصرار على فرض هذا الصلح على إسرائيل ، وقد ذكرنا أن أكبر خطر كان يهدد المؤسسة الصهيونية في ذلك الوقت ، هو فرض الصلح أو السلام عليها . . قبل أن تتم توسعها الأرضي . . ولذلك كان هذا المناخ الذي اجتاح العالم العربي ، والتصريحات « البطولية » في الإعلام المصري والغربي ، مادة مناسبة جداً لأعداء ناصر ، استخدموها لإقناع الرأي العام الأمريكي والمؤسسات الدستورية الأمريكية بخطورة ناصر وتأصل عداوة العرب التي لا حيلة معها ، وأيضاً في إحراج الذين يعلمون الحقيقة وإقناعهم أو إجبارهم على التسليم بخطأ لعبة المخابرات الأمريكية .

وكما قلنا ، أحس هؤلاء بما يدبره أعداء ناصر وأعداء التعاون الأمريكي ـ المصري ، وما سببه الصدى الإعلامي للصفقة من تأثيرات سلبية في واشنطن ، فاندفعوا يحذرون وينصحون . . وإليك بعض الأدلة من كتاب « هيكل » نفسه :

« نقل أحمد حسين عن السفير الأمريكي في موسكو « شارلز بوهلين » (الذي كان في زيارة عمل لواشنطن (أبريل ١٩٥٦) « أن بريطانيا وإسرائيل تحاولان إقناع الولايات المتحدة بالوقوف معهما ضد مصر بحجة أن مصر قد فتحت الباب للشيوعية في الشرق الأوسط ، ولكن حتى الآن لم تنجح جهودهما ، إلا أن المجموعة التي داخل وزارة الخارجية والتي ترى أن إسرائيل هي وحدها الصديق الحقيقي لأمريكا تكسب المزيد من الأرض ، وكذلك فإن « جيمس انجلتون » الذي ينادي باستخدام إسرائيل ، ترجح كفته الآن في السي آي ايه على كفة روزفلت الذي لا يزال يعتقد بإمكانية استخدام بعض الدول العربية »[٩] .

من حقنا أن نستعير مقولته اللاتينية ضد مصطفى أمين : بنفسه قالها ! . . نعم بنفسه . . تياران في المخابرات الأمريكية ، تيار يراهن على إسرائيل لأسباب جد معروفة ، وتيار يراهن

---

* لنا تعليق على هذه النقطة في نهاية هذا الفصل .

على مصر يتزعمه كيرميت روزفلت . . يؤمن بإمكانية « استخدام » بعض الدول العربية . . مثل من ولماذا . . يحرجه الاعتراف الصريح حتى للخواجات . .

المهم أن موقف مجموعة روزفلت المدافعة عن ناصر « بتاع الـ CIA » ـ كما سماه وكيل الخارجية البريطانية ـ أصبح حرجا ، فهم فضلا عما يواجهونه من المعارضة الدائمة من قبل اللوبي الصهيوني في الكونجرس ، يتعرضون الآن لمعارضة متزايدة ومتصاعدة من وزارة الخارجية التي تطالب بأن يصبح لها دورها الطبيعي في الشرق الأوسط ، وأن يستمع لها في تقرير العلاقة مع المنطقة ومصر ، فلا تترك لمغامرات عناصر المخابرات الأمريكية . . بل وأيضاً فإن الـ CIA ذاتها لم تعد تقف كلها خلف « روزفلت » ، فصحيح إن نجاحه في إعادة شاه إيران ، وتنصيب ناصر زعيما للقومية العربية قد أعطاه سمعة أسطورية ، أجبرت المدرسة الإسرائيلية على الانزواء فترة شهر العسل مع الناصرية ، ولكن الحملة الهيستيرية التي شنتها أجهزة بريطانيا وإسرائيل وانصارهما ، جعلت المدرسة الإسرائيلية يشتد عودها* ، وتقف على أرض أكثر صلابة وتتعالى حجتها في طلب تصفية هذه المغامرة المحتومة الفشل بحكم التناقض الأصيل بين القومية العربية وبين المصالح الامبريالية . . والاعتماد على إسرائيل ، التي هي بتكوينها وظروفها وأهدافها ، مرتبطة مع المصالح الأمريكية . . ومرة أخرى نتركه يقولها بنفسه :

« ولكن الـ CIA (المخابرات الأمريكية) وهي الأداة التنفيذية الرئيسية للسياسة الأمريكية في المنطقة أصبحت هي ذاتها منقسمة الآن . فقد نقل « كيرميت روزفلت » من القاهرة إلى بيروت (الله ! ماحدش قال لنا إن مقره كان في القاهرة ٤ سنوات من عمر « الثورة » ج) حيث رأس المكتب الذي يدير العمل في سوريا ولبنان تحت ستار مكتب استشارات ، وأخذ معه ايكلبرجر وكوبلاند » (أي نقلت من مصر المجموعة الناصرية ج) . .

ويكمل هيكل : « كان روزفلت لا يزال يأمل بدور أكثر إيجابية لمصر ولكن المسئولين الآخرين في مقر الـ CIA في واشنطن يقودهم « جيمس انجلتون » وصلوا إلى قرار بأنه لا يمكن تحقيق شيء بواسطة العرب وأن البلد المبشر بالنسبة لطموحات الوكالة (CIA) هي إسرائيل . وكان « انجلتون » قد عمل مع جماعات صهيونية خلال الحرب ، وأخيراً بعد إقامة إسرائيل ، عمل مع الموساد وكان مسئولا عن تسريب المعلومات التي مكنت إسرائيل من تنفيذ برنامجهم بنجاح »[11] والعبارة بحاجة إلى تعديل لأن مجموعة انجلتون مرتبطة

---

* وفي الوقت الذي كان الإعلام الناصري يعطي خصوم « روزفلت » كل يوم حجة على خطأ المراهنةعلى عبد الناصر ، نجد إسرائيل تدعم « انجلتون » فقد أعطته نسخة من خطاب خرتشوف السري ضد ستالين واعتبر ذلك أعظم انتصار للـ CIA في تلك الفترة وقيد بالطبع لحساب صديق إسرائيل « انجلتون » حتى أصبح من ألمع نجوم الـ CIA إلى أن سقط في السبعينيات .

وتراهن على إسرائيل من البداية وإنما فشل عملية روزفلت في مصر هو الذي رجح كفتها وحجتها عند القيادة الأمريكية . كذلك لا أقر قوله أن المخابرات الأمريكية هي الأداة التنفيذية الرئيسية للسياسات الأمريكية في المنطقة ، لأن هذه الصياغة يقصد بها تبرئة المذنب بإدانة الجميع ؛ فلا أحد يقول إن الـ CIA كانت الأداة الرئيسية لتنفيذ السياسة الأمريكية مع إسرائيل ، رغم التعاون بين الموساد والـ CIA فلم تكن واشنطن تسمح ولا إسرائيل تقبل أن تدير الـ CIA السياسة الأمريكية أو تمثل الدولة الأمريكية خارج إطار المهام المتفق عليها لأجهزة التجسس ، والتي تراقب وتضبط إذا تجاوزت الحد ، وإذا كان هناك تعاون فهو في إطار التخابر أما التعامل السياسي فمن خلال المؤسسات الدستورية . . وهذا الفارق بين دور السي آي ايه في مصر وإسرائيل هو السبب الأساسي ـ في رأينا ـ الذي أدى إلى فشل عبد الناصر ونجاح زعماء إسرائيل في إقامة تحالف مع الولايات المتحدة يخدم مصالح إسرائيل أساسا .

إسرائيل تحالفت مع أمريكا علنا ، وفي إطار استراتيجية مقبولة من المؤسسات الدستورية والأغلبية العظمى من شعبها ، أما مصر فقد تحالفت سراً وعلى شكل مؤامرة ، مازالت تؤلف المجلدات في نفيها إلى اليوم* ! ومن ثم دخلت مصر في دوامة محاولة إخفاء هذه العلاقة

---

* والحق أن بعض هذه المحاولات يهبط إلى مستوى فج من ناحية الحبكة . . وذلك لأن هيكل وسيده ، عاطلان أدبيا وفنيا من الموهبة أو الخلفية . . انظر هذا الموقف الدرامي الذي يمليه هيكل عن تلميذه وسيده :

يقول إن عبد الناصر صدم صدمة كبرى بالدور الذي قامت به المخابرات الأمريكية CIA في إيران ، وعرف أن العقل المدبر للانقلاب وبطله الحقيقي هو « كيرميت روزفلت » « الذي كان يعرفه ويلقاه كثيراً في القاهرة » وعندما اكتملت لديه صورة ما حدث في طهران فقد بدا ولأسابيع غير قادر أو راغب في أية اتصالات مع الولايات المتحدة » (٢٨٠ ع) .

ياللطهارة والبراءة !

كأن عبد الناصر يتحسر قائلاً : « ماذا جرى في الدنيا . . وماذا اعترى النفوس » ؟! ولأنه لم يكن يستطيع الحديث بالفصحى فسيكمل : « حد يصدق ياناس . . راجل محترم ابن ناس مثل « كيرميت روزفلت » قيمة وسيمة وصاحب مركز . . نائب مدير دير راهبات الساكر كير المعروف باسم السي آي ايه . . يعمل في الخير بدعم ثورة مصر التحررية . . يدني نفسه إلى حد التآمر على قلب الزعيم الوطني مصدق . . ومن أجل ماذا . . حفنة براميل من المدعوق الجاز ؟! ياللهول . . طب والنبي ما أنا مكلم حد أمريكاني . . (وبالطبع نستطيع أن نحصي لهيكل عشرات الاجتماعات التي أجراها الرئيس مع أمريكان في فترة الهجر في المضاجع هذه . . أو لعل عبد الناصر كان يجتمع بهم ويقول : إني نذرت للرحمن صوماً . . !) .

ثم نصل إلى ذروة التراجيديا الأمريكانية ـ الناصرية :

« ولم يكن لـ « جمال عبد الناصر » أن يستسلم طويلا لشعوره بالصدمة و « القرف » فالعلاقات مع أمريكا أهم من أن يضحي بها تماما من أجل ما حدث في إيران » (٢٨١ ع) .

بالمزايدة ضد أمريكا في الإعلام ، والمواقف العالمية المسرحية . . فكانت المؤسسات الدستورية الأمريكية والرأي العام الأمريكي الذي لا يعرف نشاط « روزفلت » ينحاز شيئاً فشيئاً إلى جانب إسرائيل وضد مصر استنادا إلى المواقف المعلنة . . وهو بالضبط عكس ما حاوله السادات ونجح فيه إلى حد بعيد . .

لقد عمل « انجلتون » مع الموساد ، ولكن عبد الناصر هو الذي عمل مع الـ CIA ومن ثم استخدمت إسرائيل اتصالها بالـ CIA لمصلحتها ، واستطاعت أن تعارض سياسة أمريكا وتتحداها ابتداء من قرار العدوان على مصر في عام ١٩٥٦ رغم إنذارات ايزنهاور إلى تصفية الوجود الأمريكي في لبنان بالدم كما حدث في اغتيال بشير الجميل* والمارينز وإلغاء المعاهدة التي فرضها شولتز لضمان انسحاب إسرائيل من لبنان . . الخ بينما كان « عبد الناصر » يخضع مصالح مصر الأساسية لطلبات وتوجيهات الولايات المتحدة عبر ارتباطه بالـ CIA لأن شعب إسرائيل يضع حكامه في السلطة ويخلعهم ، أما في مصر فإن المخابرات الأمريكية هي التي وضعتهم في السلطة .

وبالطبع فإن ماحدث بعد ذلك بين عبد الناصر وواشنطن ، له أكثر من سبب ، وله جذوره التاريخية والحضارية والجيوبوليتكية والدينية ، فهذه مجرد ملاحظات مادمنا بصدد الحديث عن دور رجال المخابرات الأمريكية في تقرير مصير الدول . . العربية . . طبعا !

منذ سبعين سنة والعرب يتحدثون عن نتائج هبوط أو صعود نفوذ المكتب العربي ولورنس . . وتأثير ذلك على « الثورة العربية » الهاشمية . . وهاهو يتحدث عن تأثير هبوط أسهم « روزفلت » على الثورة العربية الناصرية ! ومن يهن يسهل الهوان عليه ! ولمن شاء

= وهكذا عصر عبد الناصر على ضميره ليمونه ليذهب القرف وتابع علاقته مع كيرميت روزفلت محطم ثورة إيران ، وباني ثورة مصر ! . . وليس روزفلت بأول دكتور « جيكل » ومستر « هايد » والطريف أننا لو وحدنا هايد وجيكل في اسم واحد لكان « هيكل » !

ورغم هذه التحفة الأدبية التي رسمها هيكل عن عذاب ضمير ناصر فإننا نتوقع أن تأتي الطبعة القادمة من دائرة المعارف البريطانية خالية من اسم « هيكل » ككاتب مسرحي أو روائي ، فالذنب ذنبه لأنه غلب العاطفة القومية على شهوة الفن فواراها عن قراء الانجليزية كما تواري الستور خرأها . . وهكذا انفرد بمعرفة هذه النادرة قراء العربية الذين كتب عليهم أن يقرأوا للستور ما تواريه عن القراء المتحضرين !

* كنا قد وصلنا بالتحليل إلى أن إسرائيل هي التي اغتالت بشير الجميل بعد أن ساعدته على الوصول للسلطة لأنه ـ في رأينا ـ وقتها آثر أن يعتمد على أمريكا في مواجهة إسرائيل ليكون زعيما لبنانيا عربيا ويمحو وصمة العمالة لإسرائيل . . ولكن كتاب « المخبي » أعلن أن المخابرات الأمريكية جندت بشير هذا عندما جاء إلى أمريكا ليدرس منذ عدة سنوات وقبل ظهوره على المسرح السياسي في لبنان ، فالمخابرات الأمريكية هي التي فضت بكارته السياسية وما كانت إسرائيل لتسمح بمزاحم أمريكي في لبنان .

الرجوع لملفات الخلافات بين المكتب العربي والمكتب الهندي وآلام لورنس ويقارن تأثيرها على تاريخ العرب بالخلاف بين المجموعة العربية والمجموعة الإسرائيلية وآلام روزفلت فليفعل !

وإذا كانت هذه السنوات ـ كما قلنا من قبل ـ قد شهدت علو صوت المجموعة الانجليزية ضد عبد الناصر ، إلا أن المجموعة الإسرائيلية ، هي التي كانت تحفر بعمق . وتتابعت الأحداث بسرعة مما أدى إلى تأجيل الخلاف المصري ـ الأمريكي بل أعادت الالتحام بين واشنطن والقاهرة في أعلى صورة ، وذلك بعدوان ١٩٥٦ ، الذي كان ذروة هذا التلاحم وأيضا نقطة انحداره . .

وسنقف هنا لحظات قبل أن ننتقل للعدوان ، سنقف عند نقطة يحاول المريب أن يلعب بها ويضلل ، وهي عداوة بريطانيا لعبد الناصر ومفاوضاتها أو ضغوطها على الولايات المتحدة للتخلص منه ، فهذا الذي يكتب التاريخ « بخفة » لاعب الثلاث ورقات يخلط خلطاً معيباً ومريباً بين بريطانيا وأمريكا ، ويجعل من شكليات الدبلوماسية وطبيعة العلاقة المعقدة بين واشنطن ولندن ، مدخلا للتضليل والإيحاء بأن أمريكا وبريطانيا كانتا تريدان ـ على حد سواء ـ التخلص أو اغتيال عبد الناصر . . !
ومرة ثالثة سنتركه يقولها بنفسه :*

« ولعل مما يعطى دلالة على طبائع الأمور في هذا الوقت أن جورج آلن (وكيل الخارجية الأمريكية) (وصاحب قصة الإنذار إياها) سلم أحمد حسين (السفير المصرى) يوم ٨ مايو ١٩٥٦ ملفا عن الحملات التي ينظمها البريطانيون ضد ناصر شخصيا . وأبلغ أن هنري لوس صاحب مجلتي : « لايف » و « تايم » أخبر دلاس أنه عندما كان « لوس » في لندن قال له تشرشل إذا كان ناصر سيفقد بريطانيا نفط الشرق الأوسط فيجب أن يذهب ناصر ، « وقال أحمد حسين إن آلن يعتقد أن بريطانيا مستعدة للقتال في سبيل مصالحها مهما كان الثمن . وإن أمريكا ستضطر إلى إعطاء دعم سياسي لبريطانيا حتى لاتسلم المنطقة للروس » .[١١]

هاهي أدق اتصالات البريطانيين تبلغ للسفير المصري ليحذر « البطل » . . نعم « البطل » واقرأ هذه :

« أحد رجال السفارة البريطانية في أمريكا ألقى محاضرة في إحدى الجامعات الأمريكية وصف فيها عبد الناصر بأنه « عدونا رقم واحد » ولكن عميد الجامعة اعتذر للسفير المصري وقال له « لاتهتم بمثل هذا الهجوم على الرئيس ، فالبريطانيون استخدموا دائما هذه اللهجة في

---

* استشهدنا في مواقع عديدة من هذا الكتاب باعتراف « هيكل » بالدعم الأمريكي لعبد الناصر ضد الانجليز .

الحديث عن أبطال الاستقلال . لاتنس أن جورج واشنطن كان يوما ما عدوهم رقم واحد » .[١٢]

ولذلك فإننا نستميح القارىء عذراً ، إذا قلنا إننا نواجه مزوراً استباح كل شيء . . وذلك في تعرضنا للوثيقة التي وضعها في نهاية ملفاته ، بعد مهرجان مما اعتاده النصابون في الموالد : « فتشوني . . إديه فاضيه . . مافيش حاجة في كمي . . ! اشهدنا ياسي لافندى وإنت ياشابه . . ! الخ » . .

فقد قدم ماسماه بـ :

« تقرير مخابرات أمريكي يكشف بالكامل خطط الانقلاب والغزو والقتل » بحروف سوداء وعناوين من طراز « المرأة التى أكلت دراع جوزها » ثم مقدمة تقول بحروف سوداء خاصة :

« هذه الوثيقة من أخطر الوثائق على طريق السويس ـ أو هكذا أتصور ـ وقد وصلت متأخرة عن موعدها المقرر ولكن المهم أنها وصلت (هذه الجملة من كلام بتوع الثلاث ورقات وليس لها أي معنى ، فنحن لانعرف أن هناك مواعيد لوصول التقارير الأمريكية لهيكل ! . . وسنرى أنها وصلت قبل موعد نشرها الرسمي ! إذ أن القانون الأمريكي يمنع نشر الأوراق الرسمية قبل مرور ثلاثين سنة فموعد نشرها يبدأ من ١٩٨٦ . . ولكنها سلمت قبل موعدها ، أخرجت من ملفاتها المختومة بخاتم « سري جداً » « لايفتح قبل ديسمبر ١٩٨٦ » . . وأعطيت لهيكل ليترجمها وينشرها ثلاث مرات خلال عام ١٩٨٦ . . مرة في الطبعة الانجليزية مختصرة ومتواضعة وبدون صرخات : الحقوني يازباين . . ومرة على صفحات الأهرام وفي الملف العربي بالهيستيريا الفاجرة . . بل المضحك المبكي أننا سنرى أن هذه الوثيقة بالذات وصلت على غير موعد . . يقول : « وربما كان بين الأسباب التي تضفي أهمية خاصة هو أنها ولأول مرة فيها أعرف وثيقة داخلية من وثائق إدارة المخابرات المركزية الأمريكية ووثائق وزارات الخارجية تذاع بعد أجل معين ثلاثين سنة أو خمسين سنة ولكن وثائق إدارات المخابرات لاترى النور على الإطلاق . »*

ولأن مقدمة الوثيقة أو الإعلان عنها يفوق حجمها فلا مفر من أن نختصر ، وخاصة أنها منشورة بالعربية مرتين ؛ مرة في الأهرام ، ومرة في ملفات السويس ، لمن شاء الاستمتاع .

باختصار ما الذي يريد ايهامنا به . . ؟

يريد القول بأن اجتماعاً قد عقد للتنسيق بين الانجليز والأمريكان على مستوى المخابرات

---

* أليس السؤال لماذا أعطى العاملون في الـ CIA « هيكل » هذه الوثيقة التي يدافع بها عن عبد الناصر أكثر إلحاحاً من لماذا يؤلف موظف سابق في المخابرات كتاباً عن أمجاده في صنع زعيم الأمة العربية ؟ أم أن وثائق الـ CIA مباحة لهيكل مثل وثائق منشية البكري ؟!

في ربيع عام ١٩٥٦ (حدده في طبعة الخارج أواخر فبراير ١٩٥٦ . . وكتاب حبال الرمال أشار إلى هذا الاجتماع وهو صادر من خمس سنوات وقد أشرنا إلى ذلك في كتابنا السابق . .) وكان هدف الاجتماع هو إزالة عبد الناصر وما يريد إثباته أن الأمريكان والانجليز كانوا متفقين على هذا الهدف فكيف يكون عبد الناصر أمريكانياً . . ؟

يقول : « ولم تكن المخابرات الأمريكية على وفاق مع المقدمة ولكنها كانت متفقة مع النتيجة . . الخلاص منه . . »

وهذه سفسطة .

فالقضية هل كانت الولايات المتحدة أو بالدقة المخابرات الأمريكية متفقة مع بريطانيا على اغتيال عبد الناصر ؟!

يقول : « وفيها كما يتضح من السياق أن المخابرات البريطانية قررت العمل على قتل جمال عبد الناصر » .

وبقراءة الوثيقة لا توجد إشارة إلى قتل عبد الناصر .

ولكننا نؤكد أن تصفية عبد الناصر كانت هدفاً ملحاً في رأس ايدن وقدمنا في الكتاب السابق أكثر من دليل وتصريح على أن هذه الرغبة الجنونية كانت أهم ما يشغل بال ايدن . . وقد أثبتنا قول مسئول بريطاني : « إذا لم نتخلص من ناصر فقد يفكر ايدن في قتله هو بنفسه » ! فلا جديد يتحفنا به هيكل :

يقول : « الوثيقة تظهر الخلاف في ذلك الوقت بين مختلف هيئات المخابرات البريطانية ووكالة المخابرات المركزية الأمريكية ، والخلاف ليس على الهدف النهائي ولكن على الأساليب » .

ثم تهويشة (ألا بانضة) عن ترك الوثيقة أمانة في يد مركز الترجمة والنشر في الأهرام الذي ترأسه سكرتيرته نوال المحلاوي ـ الطاعنة في عبد الناصر ـ « ضماناً لحيدة المعاني وحتى الألفاظ » .

تمام . . هات ياحاوي . .

ماذا في الوثيقة أو الصفحة ونص إن استطعت فهمها . . ؟!

اجتماع هيستيري نظمه الانجليز لإفهام الأمريكان أن صبرهم قد نفد من رجل الأمريكان جمال عبد الناصر . . وإلا فلماذا يستأذن الانجليز من الأمريكان في قتل عبد الناصر ؟!

وقد سجل مندوب المخابرات الأمريكية في الاجتماع دهشته من أن الانجليز قالوا صراحة : « إن بريطانيا مستعدة أن تحارب معركتها الأخيرة . . وأيا كانت التكلفة فسنكون الكاسبين » .

« لماذا يوجه هذا الإنذار للأمريكان إلا لأنهم ولي أمر هذا المشاغب أو كما نقول بالبلدي . . « لم الواد بتاعك اللي أنت مسرحه وإلا حاطربأ الدنيا وزي ما يجرى » . .

وبالدبلوماسية : مصالحنا مهددة وامبراطوريتنا تنهار ونحن نعلم أنكم وراء ذلك كله معتمدين على رجلكم عبد الناصر . . فإما أن تقبلوا التفاهم وقسمة جديدة للعالم العربي وليس إخراجنا بالكامل . . وإلا فلن نقبل أن نرى الامبراطورية تصفى ونقف مكتوفي اليدين . . سنضرب في سوريا وفي السعودية سنستعين بالشيطان . . بأي وسيلة . .

وهل يعقل أن تنسق أمريكا مع بريطانيا : « وضع سوريا تحت الهيمنة الهاشمية » أو « عمل انقسام في الأسرة السعودية » . . وهل لأن هذه الشعارات نوقشت في الاجتماع مثل اغتيال عبد الناصر يعني أن الأمريكان والانجليز متفقان في هذه الأهداف وتؤخذ حجة في تفسير العلاقات والمعادلات . . ؟ ألا يتهم مندوب المخابرات البريطانية السي آي ايه في مصر بأنها تضللهم وترسل لهم معلومات هي مجرد : « زبالة » هل هذا مناخ ثقة تصل إلى حد تنسيق اغتيال ناصر . . ؟

وإذا شاء هيكل وغوغاء الناصريين والمتناصرين الجدد؟ فسنزيدهم أدلة على كراهية الانجليز وسنثير هنا نقطة جديدة فرضت نفسها على تفكيرنا منذ عام ١٩٦٧ بعد التحالف الأمريكي ـ الإسرائيلي الذي تسبب في هزيمة ١٩٦٧ والإخلال الخطير في ميزان القوى بالمنطقة لصالح الاستعمارية الإسرائيلية وضد المصالح القومية والحياتية لمصر . . وقتها كنت أول من طرح شعار التحالف مع أوروبا ، وأذكر مقالتي في أخبار اليوم التي قلت فيها : إن أوروبا التي أقامت إسرائيل لتمنع قيام قوة عربية في شرق البحر الأبيض تشكل خطراً على مصالحها في أفريقيا وغرب آسيا ، قد فوجئت بأن ما تخشاه قد تحقق ، ولكن في شكل قوة عبرية وليست عربية . . وأذكر أنني كنت وقتها في زيارة « للخليج » وكانت بريطانيا قد أعلنت قرار انسحابها من الخليج . . ورفعت قرار الحظر على دخول المصريين إلى مشيخات الخليج أو بالذات ساحل عمان . . وسعى إليَّ مندوب إذاعة الشارقة يطلب حديثا ، وكانت مؤسسة بريطانية طالما تبذلت في نفاق الاستعمار البريطاني وتبريره والتطاول على مصر وعبد الناصر وفوجيء مندوب هذه الإذاعة بأنني اقبل دعوته وأدعو إلى تحالف مع بريطانيا ، لأنه لم تعد بيننا وبينها مشكلة بعد قرار الانسحاب من الخليج وانسحابها بالفعل من جنوب اليمن ، وأن الخطر الآن ـ وقتها ـ هو شاه إيران وأمريكا وإسرائيل ومن ثم فالاستراتيجية الممكنة هي التحالف مع بريطانيا . .

لا أقول هذا من باب المن وإظهار العبقرية ، بل لأن كتاب « إيفلين شوكبرج » وكيل الخارجية البريطانية في تلك الفترة والذي صدر منذ شهور قد فجر هذه القضية في تفكيري مرة أخرى عندما قال إنه بعد اتفاقية الجلاء فكرت بريطانيا في التحالف مع عبد الناصر . .

وأعترف أن الدنيا دارت بي . .

لو أن عبد الناصر لم يكن مرتبطاً بالأمريكان ، لو أن عبد الناصر كان واعياً بالخطر الإسرائيلي ، وقبل هذا التحالف ، أو على الأقل رفض أن يستخدم كمخلب قط أمريكي

ضد بريطانيا . . هل كان يقع عدوان ١٩٥٦ وكارثة ١٩٦٧ . . تعالوا نسمع أولاً ما يقوله الانجليز .

يقول شوكبرج : في ٢٧ يوليو ١٩٥٤ كان الوفد البريطاني يحتفل مع ناصر ومعاونيه تحت سفح الأهرام ببداية مرحلة جديدة في التعاون بين البلدين » . ويقول إنه « بعد الاتفاقية بدأت بريطانيا تضع استراتيجية أساسها التحالف مع العرب أو بالذات مع ناصر وذلك يتضمن فرض صلح على إسرائيل أو دفع الأمريكان للتقدم بمشروع صلح ، ولم تكن هناك معارضة كبيرة في أمريكا ، وتم وضع خطة سميت آلفا Alpha وقبلت من الحكومتين وعرضت على ناصر من قبل السفير الأمريكي في أبريل ١٩٥٥ ولم يكن استقبال ناصر لها سيئاً .» ويقول : « إنني اعتقدت ومازلت أن « ايدن » حاول وضع سياسة في الشرق الأوسط ، على أساس تعاون مشترك مع مصر ، التي كانت وقتها أكثر الدول العربية تأثيراً ، وتسيطر على الصحافة والإذاعة وتزود الكليات والمدارس العربية بالمدرسين . وأعتقد أن تصميمه على الوصول إلى تسوية معهم حول القناة بنيت على أساس ذلك التصور . ولكن في السياسة لا يكفي وجود أفكار سليمة على المدى البعيد » ، وروى أنهم قالوا لعبد الناصر عقب توقيع المعاهدة . . « آن الأوان لتكف عن سبنا ، فقال : لابد لى من عدو وقد كنتم هدفاً مناسباً وبقي أن تجد هدفاً آخر » !!

وقد تدخل « ايدن » شخصياً لحث البنك الدولي وحكومة أمريكا لتمويل السد العالي ، وقد رأينا أنها كونت فعلاً كونسرتيوم لبناء السد وكانت ترغب بشدة في أن يكون السد من نصيبها .

وكانت خطة « آلفا » تتضمن إعطاء مصر ممراً إلى الأردن ، وكان الحديث يدور حول ممر آخر إلى لبنان ، وقد رفض اليهود أي حديث عن تنازل ، ولكن الجو العام في البيت الأبيض وهوايتهول وداونج ستريت كان معادياً ليس لإسرائيل بل حتى لليهود . . ونحن نعرف أن العواطف والأيدلوجيات في السياسة البريطانية هي التعبير عن المصالح ولخدمة الاستراتيجية المطروحة ، فكل الحب والعطف الذي تفجر من أجل اليهود في الحرب العالمية الأولى وإلى قرب نهاية الحرب العالمية الثانية أو بالتحديد إلى عام ١٩٤٣* تحول إلى ندم على وعد بلفور ، والاعتراف بأنه كان خطأ ساقتهم إليه العاطفة حتى أن « هارولد ماكميلان » قال : « يبدو أن أفضل حل هو أن نبعد اليهود عن المنطقة ونسكنهم فى مدغشقر[١٣] .

« وكير كباترك » من كبار رجال الخارجية البريطانية قال لمؤلف « الانحدار إلى السويس » : « إن اليهود محكوم عليهم بالدمار على المدى البعيد لأنهم لا يستطيعون تعلم التعايش مع جيرانهم . ويوماً ما ستتوقف الأموال الأمريكية والمساعدات الأمريكية ، كذلك

---

* لقد صدر وعد بلفور تحت تأثير عاطفي وتأثير الحرب وعدم إدراك أهمية المنطقة وكان يمكن أن نفهم ذلك عام ١٩٤٣ ولكنه لم يحدث . . ٢٦٤ من مذكرات وكيل الخارجية البريطانية .

فإن البحر الأبيض لن يكون مفتوحاً إلى الأبد ، وعندها سيكون اليهود مجرد فئران في المصيدة »[١٤] . وذهب ايدن في خطابه في « بلاك بوول » إلى حد حذف أية عبارة ثناء على اليهود من الخطاب . . وقال شوكبرج عن هذه الأيام : « في كل يوم كان نير إسرائيل حول عنقنا يجذبنا عميقاً إلى الوحل » !!

وعلى شاطيء الأطلنطي الآخر كانت الإدارة الأمريكية كما قلنا ، أكثر الإدارات رغبة وقدرة في الضغط على إسرائيل ، خاصة إذا ضمنت بريطانيا معها . . وقد أيدت أمريكا الخطة « آلفا » . . وفي الاجتماع الذي عرض فيه الانجليز تصورهم لأسلوب تنفيذ الخطة ، قال دلاس لهم : يجب إفهام العرب أنهم إذا لم يستطيعوا عقد السلام مع إسرائيل الآن فسيفقدون أفضل فرصة ، لأن جهود الأمريكيين في تبريد اليهود خلال العامين الماضيين ، لا يمكن استمرارها وخاصة عندما تقترب الانتخابات ، وأيضاً إن الضمان الأمريكي المطلوب لن يكون الحصول عليه سهلاً إلا إذا كان العرب يعملون للسلام فعلاً »

واشتكى دلاس للانجليز من نفوذ اليهود في أمريكا ، وقال لهم إن التبرعات الخاصة الوحيدة المعفاه من الضرائب وتدفع لجهة غير أمريكية هي التبرعات لإسرائيل ، إلا أنه أضاف إن لدينا ١٢ شهراً لعمل شيء قبل أن تبدأ محنة الانتخابات ويستحيل وقتها عمل أي شيء . « وايدن » بدوره اعترف بنفوذ اللوبي اليهودي في مجلس العموم »[١٥] .

أما الرئيس « ايزنهاور فقد أصر على أن يعلن « آلفا » لكي يربط بها الحكومة الأمريكية قبل الانتخابات » ، حتى يجنبها مزايدة الذين يتسوقون أصوات اليهود و « خاصة من أفريل هاريمان مرشح الديموقراطيين الذي كان يتملق اليهود »[١٦] .

كانت بريطانيا في حالة من اليأس والجزع على مصيرها ، لم تمر بها منذ كانت في انتظار أسطول الأرمادا . . زمن اليصابات أو اليزابيث الأولى ، وهذه هي نوعية التفكير الذي كان يسيطر على مخططي سياستها في عام ١٩٥٣ :

« القانون الدولي والمزاج العالمي للرأي العام كله في اتجاه معادٍ للعوامل التي جعلتنا أمة عظمى ، أعني نشاطنا خارج حدودنا . . وهانحن خطوة خطوة سندفع إلى الوراء إلى داخل جزيرتنا حيث نموت جوعاً »* .

في ظل هذا المناخ ، أو قل في ظل هذا الوضع ، وبريطانيا تواجه خطر التصفية أو الموت جوعاً ، كانت إمكانية التفاهم مع مصر قائمة وممكنة ، صحيح أنه لم يكن هناك أي أمل في « إقناع » اليهود بقبول تسوية ، ولكن المناخ كان سيتحول إلى صالح مصر والدول العربية إذا ما حاولت أن تفرض التسوية العربية ، في ظل عداء بريطانيا لإسرائيل ، وحرج أمريكا أو استيائها من اليهود . . وحتى إذا لم يثمر هذا الوضع إلا تجميد إسرائيل ، فقد كانت هناك

---

* يوميات ٧ يناير ١٩٥٣ إيفلين شوكبرج السكرتير الدائم لوزير الخارجية البريطانية وقتها .

إمكانية تسليم بريطانيا بالدور المصري المشروع في ما بقي لها من مناطق نفوذ في العالم العربي ، وقبولها أن يتم انسحابها على نحو يملأ الفكر المصري والاقتصاد المصري الفراغ الذي ستتركه . . لا أمريكا ولا إسرائيل . . ولكن .

تحركت قوتان لنسف هذه المحاولة أو الحلم كما سماه « شوكبرج » عندما قال نسفت كل خطط التحالف مع مصر بالهجوم على حلف بغداد . .

شنت مصر حملتها على حلف بغداد ونسب إليها طرد جلوب وإهانة سلوين لويد . . والتآمر في ليبيا على قلب الحكم الموالي للانجليز واحتضان إمام عمان . . إلخ . . وكان عملاً « عبقرياً » تحويل بريطانيا من راغبة في محالفة مصر وتكرار عملية الجامعة العربية في عام ١٩٤٣ على مستوى أرقى يتفق ووعي العرب ومكانة مصر في عام ١٩٥٤ . . تحويلها إلى عدو لدود يحالف إسرائيل لتدمير مصر . . !

طرد غلوب في أول مارس وفي ١٢ مارس ١٩٥٦ قال ايدن لسكرتيره : « إما بريطانيا وإما ناصر » . .

وصدر الأمر للمخابرات البريطانية ببحث كافة وسائل اغتيال عبد الناصر ذكر بعضها « بيتررايت » في كتابه الذي أثارَ وما زال أزمة في بريطانيا وهو « صياد الجواسيس » : « استخدام غاز أعصاب وقد وافق ايدن في البداية على الخطة ولكنه تراجع بعد ذلك لما حصل على موافقة الفرنسيين والإسرائيليين على الاشتراك في عمل عسكري . . فلما فشل الغزو وأجبر على التراجع عاد إلى سلاح الاغتيال ولكن في هذا الوقت كانت كل عناصر المخابرات البريطانية في مصر قد صفيت ووضعت خطة جديدة لعملية تستعين بضباط مصريين مرتدين ، ولكن الخطة فشلت . »

ها نحن ندعم حجة هيكل في رغبة بريطانيا في اغتيال « عبد الناصر » ولكن هل ذهب مندوب المخابرات الأمريكية لتنسيق هذه المهمة ؟! وهل صحيح لأنهم تحاوروا في خطر عبد الناصر ووافق الأمريكان على أنه « مضر » يعني الاتفاق في الأهداف ؟! لا . . إن كل طرف كان يعرف أن الآخر يقول غير ما يعني ـ ولكن الدبلوماسية والمصالح المتشابكة في أكثر من نقطة ، والملتحمة في بعض المناطق ، والمتناقضة إلى حد القتل في مناطق أخرى ، تجبرهم على استخدام قدر من النفاق المتبادل ، فتقول بريطانيا : رغم دور المخابرات الأمريكية في قيام ناصر وثقتها فيه إلا أن هذه السياسة ستؤدي إلى دخول الروس والشيوعية للشرق الأوسط . . بينما استطاعت بريطانيا بمكانتها وهيبتها ومعرفتها بالمنطقة والقوى السياسية فيها ، استطاعت أن تحتفظ بها منطقة مغلقة للغرب . . ولكن انظروا إلى سياستكم . . السلاح الروسي يتدفق إلى ٣ بلدان عربية والبقية تأتي . . . ويرد الأمريكان بأن السياسة البريطانية أو الاستعمار البريطاني لم يعد يلائم العصر ، وهو السبب في كل الاضطرابات ، والثغرة التي سينفذ منها الشيوعيون ، وأن عبد الناصر ولو أنه عقد صفقة سلاح مع روسيا

إلا أن سجونه تضم أكبر عدد من الشيوعيين في أي بلد وهو الذي صنع الحركة الشيوعية في مصر وحجمها إلى ما يلغي أي تأثير لها في الوطن العربي .

ولقد قلنا في كتابنا السابق ، وقبل أن تنشر هذه الوثائق ، إن بريطانيا في ذلك الوقت ، كانت تعتبر عبد الناصر والملك سعود ألد عدوين لها في المنطقة ، الأول بزعامته وقبل ذلك بمكانة مصر وامكاناتها ، والثاني برصيد عبد العزيز ومكانة الأرض المقدسة وأموال النفط . ولم يكن لدى بريطانيا قوات محلية ، تأتي لها بناصر وسعود مقيدين كما فعلت كشافة عمان في « تركي عطيشان »* وبريطانيا تعرف أن تسيير الأساطيل ضدهما يعني الصدام مع الولايات المتحدة مباشرة ، كما حدث فعلاً عندما نفد صبر بريطانيا فشنت حملة ١٩٥٦ وانتهت بكارثة لها . .

وفي هذا الاجتماع الذي يهوش به هيكل ، قال مندوب بريطانيا « جورج يونج » لـ « ايكلبرجر » مندوب أمريكا ـ ناصر : « إذا أردت الحق فإن كلاً من ناصر وسعود لابد من تصفيتهما »[١٧] . . فهل يسمح كاتب ـ حسن الخلق ـ لنفسه أن يستنتج من ذلك تآمر أمريكا على اغتيال الملك سعود ؟!

إنها طريقة من طرق المساومة . . ولقد وصل الانجليز والأمريكان فيما بعد إلى مساومة ثم تسوية ، ولكن ليس قبل انقلاب العراق . . فاتفقوا بعد الانقلاب على تطويق عبد الناصر أو كما قال كوبلاند : « لقد عملنا على تقليل نفوذ عبد الناصر . بجهد أكبر مما فعلنا عند بناء هذا النفوذ ، وكنا في هذه المرة أكثر علانية[١٨] . .

فمن الذي أنكر بغض الانجليز لعبد الناصر . . ولكن لماذا ؟ . . ولمصلحة من بعد اتفاقية الجلاء ؟! . . ونحن لا نحاول أن نجلس في كرسي التاريخ . . فإن هذه المعادلات تبدو صحيحة وسهلة بعد زمانها بثلاثين عاماً ، ولا يمكن إغفال عنصر الشعور الوطني الذي كان يشتهي مطاردة بريطانيا إلى جزيرتها ويحمل لها حقداً عمره أكثر من مائة عام منذ أن تصدت لمحمد علي . . ولا اغراء تحرير البلاد العربية ، ولكن الأمر لم يكن في اعتقادي يحتاج لعبقرية تاليران ، بل لو كان قرار عبد الناصر قراراً مصرياً لاكتشف أهمية التحالف مع بريطانيا كما فعل « بن جوريون » عدو الانجليز الأكبر الذي لم يتردد بالمخاطرة بصداقة أمريكا وحالف عدوة الأمس البعيد والقريب لكي يحقق مصلحة إسرائيل . . ولكن عبد الناصر لم يفعل ، فجر قضية حلف بغداد ، ثم صفقة السلاح وأخيراً تأميم قناة السويس ، وإسرائيل من جانبها أكملت له سياسته بالعدوان المتكرر الاستفزازي الذي دفعه إلى السوفييت . .

نعود للوثيقة التي للأسف استطاع الدجال أن يجرجرنا لمناقشتها مع أن فضح تهافت ادعائه

---

* حاكم البوريمي السعودي .

أسهل مما يظن ويكفي أن نسأل من هو مندوب أمريكا في الاجتماع وماذا فعل ؟!

والجواب : هو « جيمس ايكلبرجر الذي تبين (فيما بعد) أنه كان مسئولاً عن محطة وكالة المخابرات المركزية في مصر* وأن غطاءه الرسمي لهذا العمل كان إرساله إلى القاهرة بوصفه الوزير المفوض للسفارة الأمريكية فيها »[19] و « فيما بعد » هذه لنا عليها تحفظ . . ففي النفس منها شيء وشوية . . فقد ورد في رسالة مصطفى أمين ذكر « ايكلبرجر » هذا أكثر من مرة . . حسبك منها الآتي ـ مؤقتاً ـ :

« وكان مايلز كوبلاند وميلر وايكلبرجر وكيرميت روزفلت يقولون لي إن المخابرات البريطانية تحاول تضليل أمريكا لمصلحة بريطانيا (باتهام عبد الناصر بالشيوعية) .

« وعرفني المستر بين بمستر ايكلبرجر وكنت على اتصال مستمر بمستر مايلز كوبلاند وفهمت من أحاديثي مع المسئولين أن قادة الثورة يعلمون جيدا أن كل هؤلاء من المخابرات الأمريكية وأنهم واثقون من ذلك . ولكنهم يرون أن المصلحة في الاتصال بهم » .

« ثم سافرت أنا ومحمد حسنين هيكل إلى أمريكا في مهمة أوفدنا إليها الرئيس في أمريكا أثناء عرض مسألة تأميم القناة . . واتصلنا بكيرميت روزفلت وايكلبرجر . . وكنا في جميع اتصالاتنا بهؤلاء نعلم أنهم متصلون بجهاز المخابرات الأمريكية وكانت الدولة تعلم بهذه الاتصالات وتعرفها تفصيلاً » . . إلخ . .

هل يكفي هذا للشك في « فيما بعد » هذه . . لا . . سيتبين من رواية هيكل نفسها أن عبد الناصر كان يعلم بأن « ايكلبرجر » هو رجل المخابرات الأمريكية وقت انعقاد هذا الاجتماع ! . .

لكننا قبل أن نقدم الدور الذي لعبه إيكلبر غر في الاجتماع نحب أن نقدم المزيد من المعلومات عنه ، ومن شاهد ارتضى مؤرخ الناصرية شهادته واستشهد به في ملفاته . . وهو « إيفيلاند » مندوب البنتاغون الذي فاوض عبد الناصر عام ١٩٥٥ قال :

« ايلكبرجر هو أحد المجموعة Clique التي تفتخر بأنها اخترعت ناصر invent المؤيد للغرب »**.

هذا عن السؤال الأول . . أما السؤال الثاني فهو :

ايكلبرجر رجل بل مدير محطة المخابرات الأمريكية في مصر ، وصانع جمال عبد الناصر

---

* اعترفت الآن أن مصر كان بها محطة للـ CIA وفي كتاب قصة السويس لم تشر بحرف إلى ذلك ، فلما فضحنا وجودها وفضحنا تسترك عليها . . اعترفت الآن وقد أنكرت من قبل ؟!

** أوردناه في كتابنا « كلمتي للمغفلين » ١٩٨٥ ص ١٠٥

الزعيم . . هل حقاً ذهب يأكل « وحيده » في هذا الاجتماع ! . . أم ذهب ممثلاً ومندوباً ومدافعاً وجاسوساً للزعيم ؟!

من فمك أدينك يإسرائيل . .

« ومن الظواهر التي تستحق الدراسة أن « جيمس ايكلبرجر » عاد بعد اجتماعات لندن إلى القاهرة وحاول تسريب معلومات إلى الرئيس « جمال عبد الناصر » مقادها إن الانجليز قد يحاولون التخلص منه شخصياً ، وأنهم جسوا نبض الجهات الأمريكية المختصة فيما إذا كانت مستعدة للتعاون معهم لتحقيق هذا الهدف وأن الرد الأمريكي كان نصيحة لهم أن يصرفوا النظر عن مثل هذه التصورات الخطيرة . . ووصلت هذه المعلومات المتسربة إلى جمال عبد الناصر ودعته إلى التساؤل عن الهدف من وراء تسريب هذه المعلومات إليه وهل القصد الأمريكي هو الدس لبريطانيا أو أن الهدف هو محاولة تخويفه ؟[20]

هذا هو النص العربي ، أما النص الانجليزي فهو بلا حذلقة ولا ظواهر ولا دراسة ولا تزييف ولا إخفاء ولكن هكذا :

« ولقد انزعج ايكلبرجر بما قيل في هذا الاجتماع إلى حد أنه سرب الكثير منها إلى القاهرة وربما كان هذا آخر اتصال مفيد حصلت عليه مصر من التنظيمات السرية الأمريكية »[21] .

اعتراف هنا بأنه اتصال مفيد بصرف النظر عن آخر أو أول فكل الخاطئين إذا ضبطوا أقسموا أنها آخر مرة ! يعني عارفين ومتصلين . . وكان « ايكلبرجر » مندوبا وعينا للزعيم الخالد ، ورغم كل الاحتياطات فقد رأوا زيادة في الاطمئنان تحذير الزعيم الخالد من إصرار بريطانيا على إثبات أنه لا خلود لبشر ؟! فأرسلوا له ايكلبرجر يقول : إني أرى أن الانجليز يذبحونك ! بل لقد بلغ من قلق الأمريكان على حياة « البطل » أنهم زيادة في التأكيد ، استخدموا قناة ثانية لإبلاغ الزعيم وهو السفير المصري بواشطن : « زارني مسئول كبير مطلع ، معروف لنا بميوله الطيبة نحو مصر والعرب وفهمت منه أن الانجليز الآن في حالة خوف وانزعاج ويتصرفون تصرفات عصبية غير متزنة . . وقد ذكر لي نفس المصدر أنه لا يستبعد أن تلجأ إسرائيل لعمليات الاغتيال الاجرامية ضد القادة في مصر »[22] .

الا يحق لنا أن نعتبر المندوب الأمريكي في هذا الاجتماع كان يمثل عبد الناصر ، وبادر بإطلاعه على أهم سر في ما تصفه بأخطر اجتماع مع المخابرات البريطانية ؟! أهذه هي وثيقتك ؟!

حقاً القانون لا يحمي المغفلين ولكن قد يحمي النصابين ؟!

أرجو أن نكون قد نجحنا في إلقاء بعض الضوء التمهيدي على أسباب انهيار عملية روزفلت ـ ناصر وسنقدم المزيد في ما يلي من صفحات ، إلا أننا نؤكد هنا أننا يجب أن نرفض أي ادعاء بأن الخلاف بين عبد الناصر والأمريكان كان بسبب مواقفه التحررية أو معارضته لسياساتهم الامبريالية وإنما هو أساساً حول أسلوب معاملتهم وانتصار المدرسة الإسرائيلية في

الإدارة الأمريكية وبفعل إسرائيل التي لم تكن تريد مزاحماً على حجر الأمريكان والتي كانت ترى في استمرار ارتباط ناصر بالأمريكان أو ارتباط الأمريكان به ما يعرقل مشاريعها التوسعية في المنطقة واستراتيجيتها التي تهدف لتحطيم مصر . ومرة أخرى أرجو ألا يستنتج فقير العقل أن ناصر بذلك كان خطراً أو عدواً لإسرائيل . . بالعكس كما برهنا لو أرادت إسرائيل أن تقيم في مصر نظاماً يخدم أهدافها في تلك المرحلة ما استطاعت أن تتخيل فضلاً عن أن تقيم نظاماً أفضل من نظام عبد الناصر . ولكن العقبة الوحيدة كانت في ارتباطه بالأمريكان وكان المخرج الذي نفذت منه إسرائيل هو صيغة هذا الارتباط .

المراجع

١ ـ جريدة العرب (لندن) ١٧ يناير ١٩٨٤ .
٢ ـ ص ١٦٤ ملفات السويس .
٣ ـ ص ٢٢١ ملفات السويس عن تقرير عن مقابلة بين حقي سفير مصر في بريطانيا وسلوين لويد .
٤ ـ ملفات السويس .
٥ ـ ن . م ص ٢٢٥ .
٦ ـ سلوين لويد .
٧ ـ انظر ملفات السويس ص ١٧٦ .
٨ ـ قطع ذيل الأسد ص ١٨٣ خ .
٩ ـ ن . م ص ١٠٦ .
١٠ ـ ن . م ص ٨٦ .
١١ ـ ن . م ص ١٠٧ .
١٢ ـ ن . م .
١٣ ـ ص ٢٩٨ الانحدار للسويس شوكبرج .
١٤ ـ ن . م . ص ٢٣٧ .
١٥ ـ ن . م .
١٦ ـ ن . م .
١٧ ـ ص ٤٠٤ ملفات السويس .
١٨ ـ لعبة الأمم ص ٢٠٨ .
١٩ ـ ٩٢٤ ملفات السويس .
٢٠ ـ ن . م ٤٠٦ .
٢١ ـ قطع ذيل . . . ص ١٠٤ .
٢٢ ـ ملفات ص ٤٠٦ .

الملاحق

م[١] ـ هذه النقطة تأكدت بنشر تقرير السفير الأمريكي بتاريخ ٢٠ أغسطس ١٩٥٢ عندما تعشى بدعوة من نجيب وضباطه التسعة . . إذ قال في ملخص حديثه مع قيادة « الثورة » :

« ٣ ـ اعترفوا بأنهم أسرعوا في الإفراج عن الشيوعيين وقد قاموا باعتقال بعضهم » الخ وارجع لنص التقرير في موضعه من كتابنا هذا .

م[٢] ـ أحد أفراد مافيا الناصرية ، الذين تتذبذب مواقفهم من بعضهم البعض مثل تذبذب بندول الساعة ، يلقي الشك حول علاقة هيكل بعبد الناصر عشية وفاة الزعيم بما يوحي بأن مؤرخ الناصرية إن لم يكن قد ساهم بطريقة ما في « قتل » الزعيم فقد كانت وفاة الزعيم حدثاً سعيداً بالنسبة له ، وطاقة فرج فتحت له في مأزق صعب ساقه إليه الزعيم وشرطته . .

يذكرنا حمروش بقرار الرئيس عبد الناصر بتحجيم « علي صبري » بعدما شاع أن الاتحاد السوفيتي يتآمر معه على الإطاحة أو الأحرى وراثة عبد الناصر ، فكانت فضيحة الجمرك المشهورة ، عندما أصر موظفو الجمارك على تفتيش حقائب الرجل الثاني في مصر وقتها . . ويعلق الكاتب الناصري بهذه العبارات الصادقة للأسف : « كانت الإجراءات التي اتخذت ضد علي صبري دليلاً على أن ثقة جمال عبد الناصر فيه قد تبددت نهائياً ، وأنه آثر تحطيمه بفضيحة تتصل بالسلوك وهو الأمر الذي يثير مشاعر الجماهير . . وكان الإجراء مدبراً ومتعمداً ومثيراً لأكثر من علامة استفهام » (روزا ـ ٨٦/١٢/٢٢) .

مفهوم

رئيس عصابة أراد التخلص من معاون يتزايد نفوذه فدبر له قضية مخدرات . . ! . . وهذه الواقعة وتفسيرها تلقي الضوء على مدى شرف وإخلاص ادعاء علي صبري الناصرية والتفاف الناصريين حوله اليوم !

ولكن عبد الناصر أيضاً ، كان فيما يبدو قد قرر تحجيم هيكل وربما التخلص منه ، وكما كانت سيطرة « علي صبري » على الاتحاد الاشتراكى والجهاز المحيط بالزعيم ، هي رمز قوته ومصدر هذه القوى ، كذلك فإن رمز سيطرة هيكل ومركز قوته ، كان وضعه على رأس « الأهرام » إلى جانب وفوق الدولة ، حيث احتكر دور صوت الزعيم المعبر عن إرادته والمؤثر على فكره ، وهكذا كان « هيكل » ومصر كلها تفهم هذا الوضع ، وكان رؤساء الوزارات يطلبون من سكرتيرته موعداً ، وكانت هذه تتصرف بكبرياء وقحة ، وغرور وصلف لم يعرف إلا في معاونات لويس الرابع عشر المستمتعات بخضوع الدولة والشعب لإرادتهن . . المستمدة من رضاء الملك ـ الشمس . . وهكذا كان « هيكل » يرفض أي منصب ولو كان رئيس الوزراء لأنه في هذه الحالة سيتساوى بصدقي سليمان وعزيز صدقي . . الخ . . وكانت سكرتاريته والمقربون منه يفهمون ذلك . . وأراد عبد الناصر أمراً لا نفهمه ، ولكنه اتخذ إجراءين سنترك للناصري المدافع عن هيكل في أيام المولد تفسيرهما . .

« ربط هيكل بالوزارة (١٩٧٠/٤/٢٦) يضعف من قدرته على الحركة والمناورة ويضعه تحت سلطة الرقابة الشعبية في مجلس الأمة . وخلال هذه الفترة كانت أجهزة الأمن قد سجلت حديثاً دار في شقة لطفي الخولي ونوال المحلاوي السكرتيرة الشخصية لهيكل وهما يتبادلان مع بعض الأصدقاء حديثاً حول تعيين هيكل وزيراً يجمع بين نقد الإجراء منسوجاً ببعض السباب وأصدر عبد الناصر أوامره باعتقال لطفي وزوجته ونوال المحلاوي واستمر الاعتقال عدة شهور . وكان ذلك الإجراء

صدمة لهيكل وإضعافاً لمركزه فهو لم يستطع أن يفعل شيئاً للمعتقلين وهم من أقرب الناس إليه ولكنهم ضبطوا متلبسين بتهمة الهجوم على رئيس الجمهورية الذي يضم هيكل في كنف حمايته ولذا كان موقفه حرجاً » (حروش -روزا ٢٢/١٢/٨٦) .

وكما أوضح كان التسجيل بأمر عبد الناصر ، فلم يكن في مصر من يجرؤ على وضع أجهزة تسجيل في مسكن مدام بومبادور إلا بأمر عبد الناصر ، كذلك كان الاعتقال بأمر عبد الناصر . . أما سكرتيرة هيكل ولطفي الخولي بياع الناصرية الآن فقد سبا عبد الناصر . . يعنى شتموه لأنه ضرب « هيكل » .

وكان اعتقال سكرتيرة هيكل بعد محاولة إخراجه من الأهرام أخطر إجراء يمكن أن يتخذه عبد الناصر قبل الدخول في حرب سافرة مع هذا الذي يعرف كثيراً جداً ويذكر أو يهدد دائماً بأن أوراقه موجودة في الخارج ، وربما الذي كان أيضاً يمثل آخر قناة مازالت مفتوحة على أصدقاء الأمس أو الخصم والحكم .

وكانت هذه بالطبع نقطة تحول . . وأول منعطف في علاقة عبد الناصر بهيكل ، وفي لحظة غامضة وستزداد غموضاً في تاريخ عبد الناصر ، لحظة لا نستطيع أن نجزم هل كان وعي الزعيم يتدهور أم يبعث من رقاده . . هل كانت تصرفات ذئب جريح محاصر يتلفت حوله بفزع يتوهم في كل ظل يقترب منه خطراً قاتلاً فيبادر بَعضِّهِ . . أم عاد صفاء مرحلة الشباب وبدأت مراجعة النفس ، وقرر التخلص من الذين ورطوه وورطوا الوطن وحطموا مجده ولوثوا اسمه وتاريخه . . ؟!

لا أحد يستطيع أن يعرف فكلا الاحتمالين ممكن ، وكلا الاحتمالين له أدلته وأدلة ضده ، والذين يعرفون لن يتكلموا ، وإذا تكلموا فبهدف محو هذه الفترة نهائياً من تاريخ الناصرية أو بالأحرى من تاريخهم مع الناصرية ، ولعل مزيجاً من الاحتمالين كان يسيطر على تصرفات الزعيم . . المهم أن هذه هي اللحظة التي كان يحق فيها « لهيكل » أن يتوجس وأن يتمنى الخلاص من الزعيم وشبح مصطفى أمين وما فعله به الزعيم يتراءى له . . ويشاء العليم أو الصدف أو إله الحظ الذي يصاحب هيكل منذ بدء رحلته في صحيفة الاستعمار البريطاني ثم الدار التي نشأت بمعونة المخابرات الأمريكية ، يشاء حظ « هيكل » أن يسقط الزعيم كما مات ستالين في الوقت المناسب تماما قبل أن ينفذ مذبحة ضد اليهود ، وكما كان الباباوات يموتون قبل تطهير مجمع الكرادلة . . وتشاء « الصدف » أن يكون هيكل هو أقرب الناس إلى السادات ، و « مهندس » انقلابه كما اعترف هو متفاخراً ، هذا الانقلاب الذي وضع رجال عبد الناصر في السجن ، وأعاد مصر إلى بيت الطاعة الأمريكي الذي كان عبد الناصر بلا شك قد نشز منه في أواخر الستينيات . . (ولا ننسى أن السادات أيضاً كان قد اقترب من مقصلة الزعيم بفضيحة الفيللا إياها) .

أسئلة كثيرة لا يحاول أحد أن يجيب عليها . . لماذا ضرب عبد الناصر هيكل . . ؟! كيف كان أقرب الناس إلى هيكل يسبون عبد الناصر ؟! . . لماذا مات عبد الناصر في أسوأ مرحلة من علاقاته مع هيكل ؟ . . من الذي جمع بين هيكل والسادات ؟ . . هذا الجمع الذي كان ضرورياً لنجاح الانقلاب العجيب ، والذي لا مفسر لنجاحه إلا بتدخل قوى غير منظورة ؟! . . والذي يبدو أن

منفذيه أحسوا بهذه الشبهة فحاولوا نفيها بادعاء « الشرعية » وأن كون السادات رئيس الدولة ضمن نجاحه وتمكنه من اعتقال وزراء الداخلية والدفاع والإعلام . . وقائد الجيش والمخابرات . . الخ !! . . ولم يفسروا لنا كيف لم تنجح الشرعية في حماية فاروق ، ولا محمد نجيب نفسه* ؟! . .

ونعود إلى حرروش الذي يختم وشايته بقوله : « ويتضح من ذلك أن جميع الأقوياء في هذا الوقت لم تكن الأرض ثابتة تحت أقدامهم » . . هل يريد أن يقول إن الأقوياء اقتلعوا مصدر الزلازل ؟! ويقول : « ومن حقنا أن نتساءل : هل كان ممكناً لهيكل أن يستكين إلى علاقة ودية مع هؤلاء الذين اقتحموا مكتبه واعتقلوا بعض أقرب الناس إليه » . .

ومادمت قد أكدت أن ذلك تم بأمر عبد الناصر فمن حقنا أيضاً أن نتساءل : هل كان « هيكل » بالذي يستكين حتى يبطش به عبد الناصر ؟! . . ولو فعل به ما فعله مع مصطفى أمين لوجد استجابة عامة أكبر وقناعة بعدالة ما فعل . . فهل تغدى « هيكل » و « علي صبري » وأنور السادات وآخرون من خلفهم لا نعلمهم بعبد الناصر قبل أن يتعشى بهم ؟!

ثم لم يشأ السادات أن يكون تحت رحمة « هيكل » أو كما كان يقول دائماً في تفسير خلافه معه : « أنا مش عبد الناصر » ! فالسادات كان أكثر ثقافة من عبد الناصر وهيكل معاً . . وأيضاً كان أعرق منهما في العمل السياسي . . وأهم من ذلك أنه لم ينظر أبداً لعلاقته مع أمريكا كفعل فاضح يجب ستره ، أو نجاسة يستحب خوضها « بقبقاب » ومن ثم لم يكن بحاجة إلى وسيط . . فضلاً عن أسباب أخرى لا مجال لذكرها الآن جعلت « هيكل » ينقلب على الرئيس الذي يتحمل المسئولية الكاملة في نجاح انقلابه على الناصرية والناصريين .

وليست هذه أول مرة يقتل الكهنة الصنم ويتاجرون في الأسطورة !

م٣ ـ ولنا ملاحظة هنا : دار « أخبار اليوم » هي بالأساس المعبرة عن اتجاهات السياسة الأمريكية ولكن من ١٩٤٤ إلى ١٩٥٠ كانت هذه السياسة لا تعادي الملك ولا تختلف اختلافاً حاداً مع الانجليز ومن ثم استطاعت أخبار اليوم أن تمثل الجميع وتنطق بلسان الجميع ، ونحن لا نستبعد أن يكون « روزفلت » ـ وكان تأثيره كبيراً جداً على الملك ـ خلف الأموال التي ساهمت بها السراي في إنشاء « أخبار اليوم » وهذه طريقة « المخابرات الأمريكية » التي كشفتها التحقيقات ، وهي أمر العميل الغني بالدفع للعميل الناشيء ، أما بعد ١٩٥٠ فقد تحولت السياسة الأمريكية إلى الرغبة في القضاء على الملك ، وعداء الانجليز وبالطبع كان على أصحاب « أخبار اليوم » أن يحافظوا على علاقتهما بالانجليز والسراي لأن هذا يخدم السيد الأكبر ، ولكن « أخبار اليوم » بدأت تشن حملة على النظام كله ، وتشوه سمعة الملك ويمكن مراجعة ما نشرته حول فضيحة أخته وأمه في أمريكا . . و « مصطفى أمين » هو الذي اخترع أو وشى للسفير الأمريكي بحكاية قبول الملك رشوة المليون

---

* اعتاد « هيكل » في زمن الأمين أن يطلق أكاذيب تتلقفها الببغاوات وتتحول إلى حقائق ، منها قوله في كتاب « خريف الغضب » أن والد خالد الاسلامبولي سمى ابنه خالداً على اسم المحرر من خالد جمال عبد الناصر أي أن والد خالد الاسلامبولي الذي يسمي ابنته « سمية » ، ويعتز بتاريخ وجهاد وإسلام « سمية » ، لم يعرف خالد بن الوليد حتى يتلمس اسم خالد في خالد عبد الناصر . . خسئت ومن نقلوا عنك !

جنيه من عبود ونحن نتفق مع رأي هيكل في أن السفارة البريطانية كانت تتلقى معلومات « مصطفى أمين » بشيء من الحذر والشك لأن الانجليز كانوا يعلمون أنه يعمل للأمريكان . أما الملك فكان في غفلة الثقة بالأمريكيين وخاصة « روزفلت » .

م[٤] ـ كثر الاهتمام بما تفرج عنه الإدارات الأمريكية والبريطانية والفرنسية من وثائقها المتعلقة بالعالم العربي . . وبالتالي كثر الجدل حولها . . الذين لا تعجبهم اكتفوا بحك الجرح الوطني ، بقولهم « هل نأخذ تاريخنا من أرشيف وزارة المستعمرات البريطانية » ؟! وهو سؤال جهول ، يكمن خلفه من تصيبهم هذه المذكرات بذكر وقائع ودوا أو ظنوا أنها مُحيت من التاريخ . . أما الذين يؤيدون نشر هذه « الوثائق » فمنهم من يعتبرها وثيقة لا تحتمل الكذب أو حتى النقاش وينسى أنها « وثيقة » للجهة التي أصدرتها ، فهي وثيقة أمريكية أو بريطانية ولكنها ليست « وثيقة » عربية . . وأن ما جاء بها ليس شهادة مؤرخ ، ولا حتى رواية صحفي ، بل جزء من عملية صنع التاريخ على مزاج الطابخ المستعمر . . أي أنها عمل سياسي بالدرجة الأولى ، ومن ثم يجب الحكم عليها في إطار هذا الفهم . .

ونحن نعتقد بحق المواطن العربي ، وخاصة الدارس في الاطلاع على كل هذه « الأوراق » وليست الوثائق ، لأن هذه الأوراق ، من خلال الاستفادة منها ، والرد عليها ، أو تفنيدها ، تظهر « الوثيقة » العربية ، على أن يتسلح القارىء أو الباحث العربي بهذه الحقائق :

١ ـ أن السفير أو الموظف الأمريكي أو الأوروبي لا يكذب على حكومته وليس له مصلحة وقت كتابة الخطاب في إساءة سمعة المتعاونين معه ، فإذا قال إنه اجتمع مع محمد حسنين هيكل أو مصطفى أمين فالاجتماع حدث بنسبة تسعة وتسعين بالمائة . . وعلى من شاء أن يثبت العكس .

٢ ـ السفير أو الموظف الرسمي للدولة الاستعمارية لا يتحدث ولا يكتب « كاستعماري » في رواية مدرسية فهو لا يقول في رسائله على سبيل المثال : ومن أهدافنا الاستعمارية التفرقة بين المسلمين والمسيحيين وذلك بالدس بينهما وقد استعنت في ذلك بعميلنا فلان ، لكي ينشر شائعات مغرضة » لا . . إنهم يكتبون بروح من يؤدي رسالة لوطنهم وللإنسانية والتقدم بل وللبلد الذي يحتلونه . . وهم يكتبون وعيونهم على التاريخ ، لأنهم يعرفون أن معظم هذه الرسائل (ولا نقول كلها) ستنشر ولو بعد مائة سنة . . لذلك يكتب : « ولما كانت مسئوليتنا التاريخية والحضارية هي حماية الأقلية من طغيان الأغلبية ، فقد رأيت مساعدة جهود الكاتب المتحرر فلان ، الذي لمست فيه حباً شديداً لوطنه واعتزازاً بدينه أو طائفته وتفهماً طيباً لمسئولياتنا المؤقتة في وطنه » .

فلا يجوز أن يأتي قارىء ويأخذ من الوثيقة دليل وطنية « فلان » هذا . أو يستشهد على فساد الوفد من نص يكتبه المسئول عن محاربة الوفد في السفارة البريطانية يقول : « ولما كان الوفد غارقاً في الفساد فإنه حاول تغطية ذلك بافتعال معركة مع الدولة الحليفة (بريطانيا) . . » هذا لا يصلح للاستشهاد على فساد الوفد ، وإنما يستدل به على ضيق الانجليز من مواقف الوفد الوطنية ، وأن الصدام كان حقيقياً ، وليس من تدبير الانجليز . .

كذلك يجب ألا تؤخذ هذه الوثائق بمعزل عن ظروفها وفهم التفوق الساحق للاستعمار في ذلك الوقت وأيضاً مسئولية رجل الدولة الموجود في تلك الظروف وباختصار أن هذه الوثائق صحيحة

غالباً فيما يتعلق بالوقائع والنقل ، عرضة للنقد الشديد فيما يختص بالصياغة أو التفسير .

م٥ ـ « كلما اطلعت على الأنباء الواردة من مصر أعجبني برنامج نجيب ، ونحن لم نحصل على شيء ذي قيمة من الوفد أو الإخوان المسلمين . وقد تكون هناك سياسة مناسبة تشترك فيها الولايات المتحدة لإنجاح نجيب » تشرشل ٥٢/٨/٢٦ عن ملفات السويس .

م٦ ـ وكان « وليم ليكلاند » ما غيره قد قابل عبد الناصر في منزله يوم ١٩٥٤/٣/٢١ وأبلغ السفير أن عبد الناصر أكد له أن مجلس الثورة لن يخضع لخصومه . وأن نجيب هو أكبر مشكلة أمام المجلس وأن الصدام محتوم . ولما قلنا له إن نجيب يعارض ضم تركيا (ضمن شروط السماح للانجليز بالعودة إلى القاعدة) لوى وجهه مستهزئا وقال إن نجيب يحاول زيادة شعبيته بأية وسيلة وقال إنه سيترك الوضع يتدهور لتلقين البلد درساً وأكد أنه لن تكون هناك انتخابات » .

كافري
تقرير ١٩٥٤/٣/٢٢

م٧ ـ أما جمهور هيكل فهم :
الناصريون الذين حكموا مع عبد الناصر وشاركوا في كل جرائم نظامه ، بل كانوا هم أساساً الذين ارتكبوا هذه الجرائم وهؤلاء من ناحية يخشون المحاسبة ، ومن ناحية تأخذهم العزة بالإثم أن يعترفوا بما ارتكبوا . . وأيضاً وإن لم يكن أقل أهمية أنهم حصلوا على امتيازات مما اغتصبوه باسم السلطة ، فالذي انتقل من باب الشعرية إلى شقة أو حتى فيللا على النيل في الزمالك لا يستطيع أن يستنكر علناً نظاماً تخطى به شخصياً الطبقات وأعطاه ما لا يستحقه وما جعله إلى الآن يتميز ماديا على كل جيله بلا مبرر . . وأولاد مثل هذا الشخص هم في الغالب ناصريون أو على الأقل يعتذرون بأن سلبياتها لا تقلل من إيجابياتها ! وهم في الحقيقة يقصدون « المنجزات » التي أصابت أسرتهم وليس ما تحقق للوطن أو بقية الجيل الذي كان يعتصر في الأتوبيسات ، وهم يذهبون إلى المدرسة في سيارة حكومية يقودها صول من رياسة الجمهورية ! أو تضيق ثلاجاتهم بالفراخ فيوزعونها على ثلاجات الجيران المساكين الذين يشترون الدجاجة لمريضهم من السوق السوداء أو يضربون بالكرابيج في طابور الجمعية . . أما فراخهم فتصلهم رغداً من جمعيات القوات المسلحة أو رياسة الجمهورية . . وبينما تلقى زملاؤهم من أولاد الشعب أو الرجعية التعليم المزيف في الجامعة المجانية تعلموا هم في الجامعة الأمريكية أو في الخارج وبينما عينت الاشتراكية زملاءهم بمرتب مخجل في القطاع العام عادوا هم ليجدوا « بابا » الاشتراكي قد ترك القطاع العام المخرَّب المخرِب بالفتح والكسر وفتح مؤسسة أو شركة أو بنكا وحجز للناصري الصغير مكاناً بارزاً ومرتباً انفتاحياً . . مثل هؤلاء يحتاجون هيكل للدفاع عن إيجابيات النظام الذي فرض اشتراكية الفقر على جيلهم وميزهم هم بكل مزايا القطاع الخاص مع مرتبة الشرف في الفكر الاشتراكي ، وهذا الفريق يضم عناصر تعمل لحساب جهات أجنبية وتفكر أو على الأقل تزعم لهذه الجهات أنها تسعى لإعادة الناصرية وهي التي وصفها تقرير المخابرات في عام ١٩٧١ أن الشعب يكرهها كراهية التحريم . . ولكنهم يعتمدون على ضعف الذاكرة وقد ظهرت آثار التمويل في دور نشر فتحوها وصحف يصدرونها

ومنظمات إرهابية قالت عنها الصحافة الأجنبية إنها تدار من قبل عناصر كانت تعمل في أجهزة الأمن الناصرية .

وهناك عناصر ارتبطت بجهات عربية لا تمت للشعارات المنسوبة للناصرية بصلة ولكنها ـ أي هذه الجهات ـ تلبس رداء الناصرية الآن لمجرد الاستمرار في عداوة مصر وتبرير منع دعمها عن مصر وعزل شعبها عن مصر فهي في زمن عبد الناصر كانت تناصبه العداء لأنه اشتراكي شيوعي مخرب انقلابي طامع في بترولهم . . الخ فلما مات عبد الناصر وتغيرت سياسة مصر وفقدوا مبرر الجفوة والاستئثار بثروة النفط انقلبوا هم ناصريين واستمروا في الكيد لمصر لأنها خانت المبادىء الناصرية ! ! ولا شك أن المؤرخ بعد مائة سنة سينقلب على قفاه من الضحك وهو يسمع عن شيخ كويتي يحتج على السادات لأن صحافة مصر تهاجم عبد الناصر بينما في صحافة الكويت والصحافة المموّلة بأموال الكويت قيل إن عبد الناصر أمه يهودية . . وفي حياته ! ولم يكن لشيوخ الكويت من عدو إلا عبد الناصر في حياته ولا أظنهم أبغضوا أحداً مثلما أبغضوه . . ولكنها كما قلت استراتيجية دائمة لتبرير موقفهم النذل من مصر ومحنتها فهم مرة لا يعطون ويخذلون لأن مصر ناصرية ! ومرة لأنها خانت ذكرى الزعيم الخالد . . ويمكن القول إن بعضهم يتصرف بامتنان حقيقي للرجل الذي كان له فضل تخريب تيار الوحدة العربية ومن ثم بقيت هذه الكيانات المخالفة لكل حقائق التاريخ وكل مصالح القومية العربية والتي لا مبرر ولا هدف من وجودها إلا ملء خزائنهم بأموال يفسقون فيها ويمر بدون على أنغام فريد الأطرش يغني لهم عن المارد العربي الفحل في فراش العهر والقزم في ميدان القتال أو العطاء الحضاري . . وهؤلاء يتبنون هيكل ويفرضون الناصرية على الأقلام التي استأجروها . . وقديما قال لينين عن بعض البورجوازيين المتمركسين : إنهم يعتنقون الماركسية لتبرير حياتهم . . وحسبك من ناصري يعمل مستشارا لشيخ الكويت ويكتب خطب السادات ! ويرتعد رعباً من هيكل وحقداً على كاتب هذه السطور يتطوع بالشهادة بأن كتاب هيكل أحسن من كتابه هو ومن أي شيء سيكتبه جلال كشك واقتلوني واقتلوا مالكاً معي . . .

وقد ظهرت طبقة من الناصريين لم يكن لهم أي ذكر في عهد عبد الناصر وهم خليط عجيب . . منهم من كان يعمل في أجهزة صلاح نصر والمباحث العامة ومن ثم لم تكن لديه فرصة للظهور وخاصة أن الميدان كان مزدحماً بكبار الكتاب الناصريين فلما خلت الساحة وسمح لهم بالحركة رفعوا أعلام الناصرية وموقفهم شديد الغرابة فهم يدافعون عن صلاح نصر وناصر . . بينما ناصر وضع صلاح نصر في السجن بتهمتي التآمر والفساد والإفساد وصلاح نصر هدد علناً في بلكونة منزله بفضح حقيقة عبد الناصر وأن الوثائق الرهيبة موجودة في خزائن بالخارج وهاهي مذكراته تقول في ناصر ما قال مالك في الخمر . . فهذا الفريق يدافع عن المخابرات وصلاح نصر من باب الوفاء والمصالح والدفاع عن تاريخه أو ما تورط فيه . . ويدافع عن ناصر لتغطية عورة الدور الذي لعبه فهو يدعي أنه كان عن إيمان بدور الزعيم ورسالته . . وأيضاً لأن الناصرية الآن تدر عائداً طيباً سواء من المؤسسات الناصرية أو شيوخ النفط الناصريين وصحافتهم أو المخابرات الليبية والسورية . .

وهناك فريق يبغضون ناصر وهيكل ولكنهم يعرفون أو عرفوا أن لدى هيكل وثائق ضدهم فلزموا الصمت أو انقلبوا بشكل مفضوح من الهجوم عليه إلى مدحه بلا حياء . .

وخذ مثلاً الأستاذ إبراهيم سعدة فقد بدأ في عهد السادات ينشر حملة ضد هيكل . . وإذا بهيكل يخرج من أضابيره وثيقة تقول إن إبراهيم سعدة كان ضمن تنظيم مصطفى أمين الذي يجمع له الأخبار ، ليس هذا فحسب بل وكان في سويسرا لحساب المخابرات المصرية باتفاق مع صلاح نصر . . . وصحيح أن عودة هيكل للكتابة في أخبار اليوم كانت بموجب قرار علوي جداً جداً . . إلا أن ما نشره هيكل عن الأسلوب الذي وجهت إليه الدعوة ليكتب كان طافح الإذلال للأستاذ إبراهيم سعدة الذي فضحه هيكل بأنه كان طوال عهد عبد الناصر يعمل لحساب صلاح نصر . . بل وأفهمه أن لديه الكثير فإذا به يقبل أن يكتب عنه هذا : « قالت المحررة في أخبار اليوم للأستاذ هيكل هل تقبل أن ترد على مكالمة هاتفية من إبراهيم سعدة ورد هيكل : أنا لم أتعود أن أوصد بابي لمن يطرقه مهما كان فعله » . .

ونستمتع في هذه الأيام بعرض هزلي للنفاق والتدليس وامتهان الكلمة والمواقف عندما يشيد « إبراهيم سعده » بوطنية محمد حسنين هيكل وهو الذي سماه « مستشار السوء » عندما كان إبراهيم سعده ينافق السادات ومصطفى أمين ويهاجم عبد الناصر وهيكل ، حتى لوح له « هيكل » ببعض المستندات كما ذكرنا . . فلما تغيرت الريح وعادت تهب في شراع هيكل ، وبدأ « سعده » يقدم فروض الطاعة إذ بهيكل نفسه الذي كشف أن سعده لم يكن « صحفياً » بل مخبراً يعمل لحساب « صلاح نصر » على الأقل . . يخاطب « سعده » بهذه العبارات :

« عزيزي إبراهيم . . قرأت مقالك « عني » باهتمام شأني في ذلك شأن غيري من قرائك الكثيرين الذين تعجبهم . . ذكاؤك بادٍ وحيوية الشباب فيه يغطي والقلم مطيع . . تعرف بالطبع أنني واحد من قرائك المهتمين (قراء إيه لم يقل . . المقالات أم التقارير ؟!) . . « فمنذ أتاحت لي الظروف فرصة صداقتك » بيننا « جسور من التقدير والمودة أعرف أنها متبادلة » (أخبار اليوم ١٩/١٢/٨٧) .

ومتى كان العمل للمخابرات يفسد وداً بين هؤلاء ؟! . .

وهناك عناصر كانت في خدمة النظام الناصري مائة في المائة ولكن هذا النظام لأمر ما ، كان يستخدمها وفي نفس الوقت يبعدها رغم أنها لم تكن تفتقر إلى الكفاءة ولا التفاني في خدمة النظام وهذا أمر يحيرني ويجعلني أتساءل ماذا كان لدى عبد الناصر شخصيا ضدها ؟ و . . تساءل معي : هل تصدق مثلاً أن أحمد بهاء الدين في كفاءته ومكانته واتصالاته والمناصب القيادية الكبرى التي تولاها في الإعلام الناصري لم يقابل عبد الناصر مرة واحدة في حياته ! لم يشأ عبد الناصر أن يمن عليه بلقاء واحد خلال ثمانية عشر عاماً كان يبدو فيها ـ ولأسباب عديدة ـ المثقف الأول في الصحافة المصرية بل العربية وأكبر الأسماء بعد جيل أصحاب الصحف وهيكل . . بل هل تصدق أن بهاء هو أكثر كاتب مصري كتب عن ساطع الحصري بل أكاد أجزم أنه أكثر عربي قرأ ساطع الحصري ، وأنه إذا كان عبد الناصر قد سمع بساطع الحصري فمن كتابات بهاء . . ولكن عندما اجتمع ناصر وساطع الحصري كان الذي حضر الاجتماع هو هيكل وليس بهاء ! ولكن الأمر يصل إلى المأساة فعلاً وإلى علامة استفهام بحجم التاريخ كله . . عندما يروي لنا بهاء الليالي المذلة التي قضاها في موكب عبد الناصر في زيارة سوريا فقد تخلى جميع الصحفيين الكبار عن متابعة الرحلة وصمد ثلاثة ـ وفقاً

لرواية بهاء ـ هم : هيكل بالطبع وناصر النشاشيبي الذي كانت له مهمات خاصة يكلفه بها جهاز عبد الناصر[1] والثالث هو أحمد بهاء الدين . . وذهبوا كما يقول إلى قرى نائية ليس فيها مبنى حكومي ولا دار ضيافة فكانوا يبيتون عرضاً في أي مكان . . لا يفصله عن عبد الناصر إلا بطانية في شكل حائط . . وفي كل ليلة يستدعي عبد الناصر هيكل ويسهر معه إلى أن يغشاهما النعاس ولم يفكر ليلة واحدة في طلب بهاء المتحرق شوقاً وأملاً في أن يذكره سيده وهم في هذا الخلاء ! وانتهت الرحلة كما انتهت حياة عبد الناصر ولم يجد خمس دقائق تستحق أن يخصصها لرؤية من عينه مشرفاً على دار الهلال وروز اليوسف معاً . . ماذا كان لدى عبد الناصر ويعرفه هيكل مما يجبر كاتباً على الدفاع عن حاكم كان هذا مسلكه معه . . ؟

١ ـ أكد ناصر النشاشيبي في مذكراته هذه الواقعة ولكن مقابلات ناصر للنشاشيبي معروفة كما كلفه بتوصيل أموال ورسائل إلى لبنان .

الفصل السادس

كل القرارات لصالح إسرائيل

« . . لو كان الذي يحكم مصر يهودياً . . لما خدم إسرائيل بأكثر مما فعل عبد الناصر . . . »

ج

يأسف « هيكل »[1] في قصة السويس ، لأن الذكرى العشرين لما يسميه « حرب السويس » قد مرت دون أن يحتفل بها كما يجب ، ويرى أن السبب هو « أن التقويم السياسي الجديد في مصر يعتبر حربها هزيمة ضمن الهزائم التي لحقت بالعرب في مواجهتهم المستمرة مع إسرائيل وذلك خلط بلا نهاية » . . ولذلك قرر هو أن يحيي الذكرى ، وله الحق ، فقصة حرب سيناء كانت نموذجا للتضليل الإعلامي الذي دفعت الأمة العربية ثمنه فادحا بعد عشر سنوات ، ومن ثم فعودة المجرم إلى مكان الجريمة أمر طبيعي ومتوقع ، ويقود دائما إلى ضبطه وإدانته بإذن الله كما سنحاول . .

ويشكو فاتح ملفات السويس : « ومما يثير العجب فعلاً أن هناك في مصر من وصفوا « السويس » بأنها كانت هزيمة ، في الوقت الذي يعتبر فيه شركاء العدوان الكبار على مصر ، بريطانيا وفرنسا ، أنهم هزموا في السويس ، وأن موقعتها الكبرى كانت نهاية الامبراطورية بالنسبة لهما ، ولقد كانت النقطة التي اختل فيها التوازن هي الخشية من نسبة السويس إلى جمال عبد الناصر ، وبالتالي يكون انتصارها إذا حسب له ريشة على رأسه » ! (أهرام ١٩٨٦/٩/٢٦)

وأتمنى أن يعرفنا كاتب هذا القول بالمصري الذي قال إن عبد الناصر أو مصر هزمت أمام بريطانيا وفرنسا في معركة تأميم القناة . . أتمنى أن أعرفه !

أنا شخصيا لا أعرف أن مثل هذه الفرية صدرت من مصري أو في مصر . . وفي « ملفات » حافلة بالوثائق . . كنا نتمنى لو أنه استشهد بفقرة واحدة لكاتب مصري أو حتى لكاتب يهودي ونشرت في مصر تقول إن عبد الناصر هزم في معركة التأميم أو أن بريطانيا وفرنسا لم تهزما !

« في زمن فقد الجميع فيه المصداقية » ـ كما يقول ـ كنا نتمنى لو أمسك بخناق من زعموا هذا الزعم ودلنا عليهم ! ولكنه لم يفعل ولن يفعل ، لأنه اتهام باطل ، وادعاء مصطنع ،

بهدف تحقيق مغالطة وتضليل المصريين عن الجانب الآخر من القضية ، الجانب الذي أصبح اليوم ـ للأسف ـ هو الجانب الأهم . فإذا كان باطلا ادعاء « هيكل » أن البعض ينكر النصر في معركة التأميم حقداً ولمنع عبد الناصر من أن تصبح على رأسه ريشة ، فالحق كل الحق أن هناك في مصر من قال ، ومازال يقول إن إسرائيل لم تنتصر في حرب ١٩٥٦ . . ! . . مع أن إسرائيل تصفها بأنها كانت « النصر في حرب حق الوجود » أي أن انتصارها على مصر في ١٩٥٦ نفى الشك الذي كان موجوداً حول إمكانية وجودها واستمرار هذا الوجود . . وعبد الناصر شخصيا ، بكى على كتف عبد اللطيف بغدادي وقال : « هزمني جيشي » ! وسجلت حقائق التاريخ ، نتيجة المعركة لحساب إسرائيل : احتلال سيناء خمسة شهور . . تدمير كل السلاح المصري ـ السوفيتي ، إنزال ضربة مؤسفة بالجيش المصري وثقته بنفسه وقيادته . فتح خليج العقبة بكل ما ترتب على ذلك من نتائج . تأمين حدودها وتحييد الجيش المصري وإخراجه من المواجهة عشر سنوات . . ومع ذلك فهذا « البعض » يحاول أن ينكر هذا النصر . . والنقطة التي اختل فيها الشرف هي أن انتصار إسرائيل ، هو بطحة على رأس عبد الناصر مع أن هزيمة بحجم هزيمة ١٩٥٦ لا يمكن أن يحملها رأس فرد واحد ، بل هي أكبر وأفدح من عار فرد واحد ، إنها عار وحزن ومأساة جيل بأكمله ، ونسأل الله ألا تكون قد كتبت قدر ومصير أمة كاملة .

لقد شهد فاتح الملفات ، على نفسه ، وعلى كل من على رأسه ريشة ، عندما اعتبر « حرب السويس » كما يسميها ، مجرد حلقة في سلسلة من ثلاث حلقات هي : « حرب السويس . . حرب ١٩٦٧ . . حرب ١٩٧٣ » . وفي حدود معلوماتنا وإلى أن يثبت العكس أرشفجي التاريخ الناصري ، فإننا لم نحارب بريطانيا وفرنسا لا في ١٩٦٧ ولا في ١٩٧٣ . . ومادمنا قد زعمنا وجود سلسلة من حلقات ثلاث فلابد من البحث عن العنصر المشترك وإلا كان ذلك مجرد عبث بالقاريء وتغرير بالناشر وخلط لمعارك لا صلة بينها . . والعنصر المشترك هو إسرائيل . . وهي التي تجعل الربط ممكناً بين ١٩٥٦ و ١٩٦٧ و ١٩٧٣ . . بل هو يعتبر أن هذه المرحلة من الصراع على الشرق الأوسط انتهت بعد ما جرى في حرب ١٩٧٣ أي الصلح مع إسرائيل . . وهذا يعني أن الصراع يبدأ من إسرائيل وينتهي بإسرائيل . . وحتى إذا قبلنا حذفه من تاريخ الصراع على الشرق الأوسط حرب ١٩٤٨ . . فلا يمكن تصور تزوير التاريخ بحذف إسرائيل أو تقليل دورها وما حققته في الحديث عن « السويس » . . لا يمكن أن يكون بريئاً الاستمرار في شرب أنخاب نصر التأميم ، الذي أصبح حدثا تاريخيا ، ونواري نصر إسرائيل الذي استمر معنا وخطط مصيرنا وسيظل معنا إلى أجيال قادمة . لقد اندثرت تأثيرات ، بل ذكريات معركة التأميم من ذاكرة « هيكل » نفسه ، باعترافه ، حتى نسي ذكرى مرور ثلاثين عاما عليها كما نسي من قبل ذكراها العشرين . . حتى اضطر ناشره الانجليزي إلى تذكيره ، واستعان على إقناعه بأنها تستحق الكتابة ، « بتجنيد » الانجليز والفرنسيين والأمريكيين والألمان واليابانيين (تعذر وصول يأجوج ومأجوج بسبب السد) !

مامعنى أن نستمر في الحديث عن قطع ذيل الأسد البريطاني ، ونغفل أو نتغافل عن حديث الذئب الإسرائيلي الذي اقتحم بيتنا . . ؟! ما معنى أن نستمر في دق طبول المجد بتحويل بريطانيا إلى دولة من الدرجة الثانية لحساب أمريكا وروسيا ، ونتعمد التهوين من النصر الإسرائيلي الذي حول مصر إلى دولة من الدرجة الثانية في الشرق الأوسط ؟! . . أليس عجيبا ومريبا أن نحتفل بإخراج بريطانيا من الشرق الأوسط في نفس الوقت الذي نطالب فيه بعودتها هي وأوروبا لمعاونتنا في مواجهة أمريكا وإسرائيل المستبدتين بالشرق الأوسط ؟!

إن كتابة التاريخ إن لم تكن لتفسير الحاضر وإنارة الطريق للمستقبل ، فهي بالتأكيد لا يمكن أن تكون تزويراً للماضي . . وتضليلاً عن جذور الحاضر وقضايا المستقبل !

ولكن هيكل يخبرنا أن « انتصار السويس ـ وكان انتصاراً ـ يستحق الدراسة والتأمل » و « لعلي أزعم أنه كان « أكمل » انتصار في تاريخ العرب الحديث ، بل إنه كان أكمل انتصار في تطبيق نظريات الحرب المحدودة منذ ظهرت هذه النظريات في أعقاب التعادل النووي بين القوتين الأعظم » .

ولا ندري إذا كان يصدق نفسه بأنها كانت « أكمل » انتصار في تاريخ العرب ، بل وعلى الصعيد العالمي في تاريخ الحروب المحدودة ، فلماذا يحتاج الأمر إلى شهادته بأن يضع بين قوسين « وكان انتصاراً » ؟!

ليس هكذا يكتب المؤرخون عن « أكمل » انتصار . . ويؤلفون الكتب لإثبات أنه كان انتصاراً . . فما من كاتب فيتنامي يؤلف كتابا عن « ديان بيان فو » أوعن حرب فيتنام يبدأه بقوله إن النصر الفيتنامي « ـ وكان انتصاراً ـ » ! . . هذه جملة اعتراضية جديرة بكاتب أمريكي ، وهو يقصد بها أن أمريكا « انتصرت » في فيتنام ، ومن ثم يشرح ويحلل ويثبت أنه رغم ما يبدو من هزيمة عسكرية إلا أن الولايات المتحدة حققت . . الخ . . أو أن يكتب مؤرخ ألماني « أن نصر العلمين ـ وكان انتصاراً » ثم يشرح ويخترع . . أما المؤرخ الانجليزي فلا يحتاج لأن يقسم على أن « العلمين » كانت انتصاراً . .

بهذه الجملة اعترف « هيكل » أن الأمر موضع شك ، وأنه يحتاج إلى كتاب يقع في ٣٠٤ صفحات لإثبات أنه كان انتصاراً وليس هزيمة كما هو الشائع والمعروف والمستقر في أذهان المصريين وخاصة بعد أن كشفت بعض الحقائق بعد هزيمة ١٩٦٧ التي تجد اليوم من يقول عنها أنها كانت « أكثر انتصاراً » من حرب ١٩٧٣ . . وكله عند عرب الناصرية انتصار !

فكتاب هيكل أو دعواه خبر يحتمل الصدق والكذب وسنناقش ما جاء فيه لنرى هل نجح في إثبات أنها « ليست هزيمة من ضمن الهزائم التي لحقت بالعرب في مواجهتهم المستمرة مع إسرائيل » . . وسنكتشف أنه حكى عن كل شيء من باندونج إلى كريشنامنون بينما لم

يخصص للمواجهة مع إسرائيل في سيناء إلا ستة سطور من كتاب يضم أكثر من تسعة آلاف سطر بينما خصص لنسف خط شركة نفط العراق البريطانية* ١٢ صفحة ! . .

وعلى أية حال لقد وعدنا بكبح انفعالاتنا ومناقشة الوقائع :

وأول خطأ يقع فيه أو قفزة بهلوانية يفاجئنا بها هي نظرية الحرب المحدودة ، إذ يعلن أن نصر السويس « كان أكمل انتصار في تطبيق نظريات الحرب المحدودة » . ثم يستعرض لنا تعريفات كسينجر وكلاوزفيتز . . ويشى خلقه ويضرب لنا الأمثال فيقول : إن حرب فيتنام : كانت ـ على سبيل المثال ـ حربا محدودة ، ولم يكن هدف الشعب الفيتنامي أن يكسر إرادة المجتمع الأمريكي أو أن يفرض عليه مشيئته ، كاملة ، وإنما كان هدفه أن يرغم الولايات المتحدة على فك قبضتها عن فيتنام الجنوبية ليسهل كنس نظام « فان ثيو » وتحقيق وحدة فيتنام شمالا وجنوبا . . و « كان أسلوب الشعب الفيتنامي هو الكثير من المقاومة السياسية والكثير من التعبئة المعنوية والقدر الكافي فقط من استعمال القوة المسلحة في حمى توازن القوة العالمية حتى تصل الولايات المتحدة إلى نقطة تجد فيها البقاء في فيتنام أكثر تكلفة من الجلاء عن فيتنام » .

« وهكذا كان

(وضعها هيكل في سطر وحدها فالتزمنا بالنص ج) .

« وكانت حرب السويس من هذا النوع من الحرب المحدودة » .

فهمنا من هذا العرض أن « الحرب المحدودة » هي التي تستهدف تحقيق هدف محدود بدون « كسر إرادة الخصم أو فرض مشيئة المنتصر عليه كاملة » .

والسؤال . . ما دخل ذلك في التعادل النووي ونظريات هنري كسينجر ؟! فهذا اللون من الحروب معروف منذ بداية التاريخ . . فلم يكن التاريخ كله حروباً شعارها فناء الخصم أو تسليمه بلا قيد ولا شرط ولا حتى حروب « رأس كليب » . . فهذا الشرط لم يعرف إلا في حروب الاحتلال من دولة متفوقة على دولة أضعف بنسبة فادحة ، وكانت تنتهي بإفناء إرادة المهزوم وإلحاقه بجهاز المنتصر ، ثم طرح على ألمانيا واليابان في الحرب العالمية الثانية ، أما حروب المتكافئين فكانت دائما لتحقيق هدف محدود ، مثل تعديل الحدود ، أو الحصول على امتياز أو منع أحد الطرفين من التدخل في شئون الطرف الآخر . . أو الاتفاق أو الاعتراض على تقسيم طرف ثالث . . ومن ثم جعلها نظرية جديدة وربطها بكسينجر وكلاوزفيتز والتعادل النووي . . هي جعجعة طاحونة هواء ، طحينها الجهل والتضليل . . !

فيتنام حرب محدودة من طراز السويس . . وبما أنه قرر أن حرب السويس هي أكمل انتصار في الحروب المحدودة ، فهي أعظم من انتصار الشعب الفيتنامي على امبراطورية

---

* راجع ما ورد في كتابنا هذا عن نسف هذا الخط المزاحم للخط الأمريكي .

كانت تحتله ما يقرب من ثلاثة قرون ؛ (فرنسا) ، ثم على أكبر قوة عسكرية عرفتها البشرية وإحدى القوتين « الأعظم » : أمريكا . .

انتصار الشعب الفيتنامي كان انتصاراً ساحقاً ماحقاً ، لا مساومة في جزئية واحدة من أهدافه :

إخراج الأمريكان . .

« كنس » فان ثيو ونظامه (كنس هذه لإثبات ثورية هيكل ونفي حكاية التعاطف مع الأمريكان)*

فرض وحدة البلاد تحت إرادة ونظام الشمال .

ضم كمبوديا . . وإظهار العين الحمراء للصين .

ومع ذلك فنصر السويس أكمل من نصر فيتنام ؟!

ربما . . !! فقد حرموا من الخطب والأغاني والمقالات وهتافات : « سنقاتل » بينما الجيش قد صدرت إليه الأوامر بالانسحاب : « كل رجل على مسئوليته »[٢] ربما ينتقص من نصر الفيتناميين أنهم لم ينجبوا « هيكلا » يؤلف عن انتصار الفرنسيين ! . .

كيف يمكن أن نناقش كاتبا يقول في عام ١٩٧٧ والدم لم يجف بعد من أرض فيتنام ، « إن الشعب الفيتنامي لم يستخدم القوة المسلحة إلا بالقدر الكافي ، وإنما كان اعتماده على المقاومة السياسية والكثير من التعبئة المعنوية » ؟!

يخيل لنا أنه يتحدث عن فيلم غاندي ، أوجهاز التعبئة الذي كان يديره عبد القادر حاتم واشتكى منه عبد الناصر حتى قال له : « أنت مفروض ترفع معنوية الناس وليس تحذيري وتخويفي أنا ؟! » .

شعب فيتنام الذي قاتل عشرين سنة ، وقدم ما لا يقل عن ثلاثة ملايين شهيد وألقي فوقه عشرة أضعاف ما ألقي من قنابل في الحرب العالمية الثانية وقاتل بكل ما وصل إلى يده من سلاح وبالأظافر والأحجار والنحل والنمل والثعابين . . يقال عنه : « كان لا يستخدم القوة المسلحة إلا بالقدر الكافي » !

أين القوة المسلحة التي كانت لدى الفيتناميين ولم يستخدموها إلا بالقدر الكافي . . الكافي لماذا ؟! لهزيمة العدو أم لإثارة شفقته ؟!

أين المعركة التي هرب الفيتناميون من خوضها بحجة أنهم لن يجروا للمعركة وأن أمريكا لن تفرض علينا أرض المعركة ولا زمانها كما يقول الثوريون العرب ، والعدو داخل مخادعهم وسكينه تنحر في نخاع شعبهم ؟!

---

* ونضيف الآن أن كنس ومكنسة ويكنس وكناس مصطلحات صكت في وزارة الخارجية الأمريكية خلال التعامل مع « أبطال » ٢٣ يوليو .

هل كان بوسع الفيتناميين ضرب نيويورك بالطائرات مثلاً ولم يفعلوا لكي لا تتحول الحرب المحدودة إلى حرب شاملة ؟!

هل عرف التاريخ حربا أكثر دموية وأكثر اعتمادا على المقاومة المسلحة بين امبريالية وشعب صغير مثل حرب فيتنام .

هولا يفهم معنى الحرب المحدودة ، فتلك الحرب لم تكن محدودة ، من جانب الفيتناميين ولا كان يمكن أن تكون أكثر شمولا مما أرادوها وخاضوها وانتصروا فيها .

كان هدفهم الانتصار الكامل على أرضهم . . تحرير وطنهم وتحرير إرادتهم ورفع يد الأمريكان عن وطنهم وتصفية وجودهم وعملائهم وتوحيد هذا الوطن في ظل النظام الشيوعي الشمالي . فهي حرب شاملة .

في الهدف

وفي التطبيق

وانتهت بتحطيم إرادة الخصم فعلا وكسر إرادة النظام الأمريكي أو المجتمع الأمريكي أو ما شئت فيما يتعلق بموضوع الحرب التي يخوضها الفيتناميون ، فلا كان بوسعهم ولا من أهدافهم فرض إرادتهم على المجتمع الأمريكي لإزالة النظام الرأسمالي في نيويورك أو وقف دعم أمريكا لإسرائيل . . أو فصل فلوريدا وضمها إلى كوبا . . لم يكن هذا من أهدافهم ، ولكن لا يعني هذا أنها « حرب محدودة » أو أنها لا تهدف إلى كسر إرادة الخصم . . هذا ابتذال للغة والفهم .

الحرب المحدودة* ـ ونعلمكم ونأكل من عرق جبيننا ـ هو تعبير متداول بين العملاقين ، أي الصراع في رقعة محدودة دون السماح للقوى المحلية أو لتطور الأحداث بجرهما إلى مواجهة شاملة ، مثل الحرب في كوريا ، وفيتنام ، فهي حرب محدودة ، ولكن ليس من جانب الكوريين ولا الفيتناميين . . ومثل الحروب العربية الإسرائيلية منذ ١٩٦٧ . . فهذه حروب شاملة من وجهة نظر الفيتناميين والإسرائيليين ـ على الأقل ـ ولكنها حرب محدودة في استراتيجية وممارسة الدولتين النوويتين . . فمعظم الحروب التي نشاهدها منذ نظرية « حافة الهاوية » هي حروب محدودة ولكن من وجهة نظر الكبار وبحساباتهم . أما القول بأن فيتنام أرادتها حربا محدودة لكي لا تجر روسيا والصين لمصادمة نووية مع الأمريكان ، فهو نموذج للتفكير الذي أضاع الوطن جريا وراء السلام العالمي ! لو كانت فيتنام تستطيع جر روسيا لضرب نيويورك بالقنابل الذرية لما بخلت بثمن أو فعل لإحداث ذلك .

---

* بعد أن فضحنا جهله في تعريف الحرب المحدودة ، وأدها هيكل كما كان البدو يفعلون مع العار فلم تظهر هذه النظرية في ملفات السويس فإلى حيث ألقت .

وهكذا قبل أن ننتقل إلى الصفحة الثالثة في الكتاب نجد هذه الأخطاء والأضاليل .

١ ـ خطأ في تعريف الحرب المحدودة تاريخيا واستراتيجيا .

٢ ـ خطأ في وصف حرب فيتنام بأنها حرب محدودة من جانب الفيتناميين .

٣ ـ خطأ فادح في الزعم بأن الفيتناميين اعتمدوا على المقاومة السلمية واستخدموا المقاومة المسلحة في نطاق ضيق « بالقدر الكافي » .

٤ ـ خطأ في وصف نصر السويس بأنه أكمل من نصر فيتنام دون أن يذكر لنا وجها من وجوه النقص المزعوم في النصر الفيتنامي : هل وافقوا على تحييد ونزع سلاح فيتنام الجنوبية ووقف العمليات العسكرية أو غارات « الفدائيين » الفيتكونج عليها ؟ . . هل وافقوا على حرية الملاحة في خليج تونكين وتجميد الوضع عشر سنوات ؟!

هل تشاجر هوشي منه مع عامر جياب . . « أسحب الجيش وإلا أخليه » . .

هل ضربت طائرات فيتنام على الأرض ودمر السلاح الجوي في يوم واحد وكان العدو يقدر له ما لا يقل عن يومين ؟!

الاحترام واجب ، حتى من مثل هذا الكاتب ، للشعب الذي هزم الأمريكان وأذلهم في أكبر بل وأول هزيمة عسكرية كاملة للولايات المتحدة في تاريخها الامبراطوري باعتراف الأمريكان أنفسهم . . بما فيهم أساتذتك . . وأخيرا ما الهدف من هذا الحديث « عن الحرب المحدودة » وأهدافها ؟ هل مصر هي التي شنت الحرب على بريطانيا وفرنسا وإسرائيل حتى نقول إنها انتصرت في تحقيق هدفها بمحدودية الحرب ؟ من الذي شن الحرب على الأخر ؟ وفق تحديده تكون « السويس » فعلا أكبر نصر لإسرائيل لأنها كانت حربا محدودة وهي التي شنتها ولم تكن بنص عبارته تستهدف القضاء على عبد الناصر ولا كسر ارادته وإنما فك قبضته عن خليج العقبة وكسر سلاحه . . وقد حصل ! . .

لقد أنصف هيكل خصومه عندما فسر حزنهم ونفورهم من الاحتفال بذكرى « حرب السويس » بأنهم يعتبرونها هزيمة من سلسلة الهزائم في المواجهة العربية ـ الإسرائيلية وهذا هو بالضبط التصنيف الذي يطرحه الرأي الآخر ، وإن كنا نحن نعتبرها واحدة من أهم وأخطر هذه الهزائم ، بل لعلها كانت الحاسمة رغم ما يبدو من بشاعة ونتائج هزيمة ١٩٦٧ . . وكان المفروض إذن من مؤلف انتصار السويس أن يرد أو يفند هذه النقطة فيثبت أن حرب السويس لم تكن هزيمة مصرية في المواجهة العربية ـ الإسرائيلية لا أن يحدثنا عن انتصاراتنا في باندونج وحلف بغداد . . أو حتى أن يركز الحديث على تأميم القناة وهزيمة العدوان الأنجلو ـ فرنسي ، فلا أحد يجادل في انتصار عبد الناصر في معركة تأميم القناة ومواجهة الغزو الأنجلو ـ فرنسي وإن كان الجدل طويلا في أسباب وظروف هذا الانتصار . . وإنما السؤال المطروح وباعتراف الكاتب نفسه هو : هل انتصر عبد الناصر في المواجهة مع إسرائيل عام ١٩٥٦ . . ؟

ولذا فإن « الخلط المريب » هو الخلط بين قضية تأميم قناة السويس ومحاولة بريطانيا وفرنسا إعادة عجلة التاريخ إلى الوراء والرجوع إلى منطقة الشرق الأوسط ، التي أصبحت من حصة العملاقين النوويين ، هذا من جهة وبين الغزوة الإسرائيلية كجزء من « المواجهة المستمرة » بين العرب وإسرائيل .

هما قضيتان منفصلتان وإن اجتمعتا في الزمان والمكان لفترة قصيرة شاذة في حساب الزمن ، وخارج حركة التاريخ الطبيعية . .

تأميم قناة السويس إجراء وطني مصري تمتد جذوره إلى منتصف القرن التاسع عشر منذ أن شق في قلب الوطن نموذج الاستغلال الامبريالي في أبشع صوره وكان التأميم إجراء وطنيا في مواجهة النظام الاستعماري القديم المنحدر من القرن التاسع عشر والذي لم يعد له مكان في النصف الثاني من القرن العشرين وفي الشرق الأوسط بالذات كجزء من عملية التحول التاريخي التي بدأت في الحرب العالمية الثانية ، وهي زوال الامبراطوريتين البريطانية والفرنسية كجزء من التصفية الشاملة التي كانت تتم على يد الثورة الجزائرية وحزب الاستقلال والملك في المغرب والبرلمان السوداني ، والقصر والزعماء الفلسطينيين في الأردن وحاكم البوريمي السعودي ، وإمام عمان ، ومظاهرات الوطنيين ضد سلوين لويد في البحرين . . الخ .

والغزوة الأنجلو ـ فرنسية ، لم تكن أكثر من عمل من خارج التاريخ ، فيه كل رعب ومخاطر وسخافة الديناصور وحتمية هزيمته وانقراضه .

أما الغزوة الإسرائيلية وإن تمت تحت المظلة الأنجلو ـ فرنسية فكانت منعطفاً جديداً ونقطة تحول ذات أبعاد حاسمة وشديدة الخطورة ، قلبت موازين الصراع العربي ـ الإسرائيلي وحكمت السلوك العربي خلال العشر سنوات القادمة مما مهد بل حتم هزيمة ١٩٦٧ .

هذا ما أردنا توضيحه قبل أن نناقش معركة القناة ومعركة سيناء . .

أما الحديث عن الانسحاب الأنجلو ـ فرنسي من بورسعيد واحصاء دخل قناة السويس ثم تعميم ذلك للقول بأن « العدوان الثلاثي » لم يحقق أغراضه وأن عبد الناصر انتصر على الثلاثة . . فهذا ليس سياسة ولا تاريخاً وإنما لعب بالثلاث ورقات في زاوية مظلمة من شارع الفكر السياسي العربي .

إسرائيل لا كانت في شركة قناة السويس ، ولا كانت تريد إرجاع شركة قناة السويس ولا مصلحة لها في أن تكون قناة السويس محتمية بالمساهمين الانجليز والفرنسيين[٢] ، وإسرائيل لم تكن تمر في قناة السويس في عهد الشركة الأجنبية . ومنذ تاريخ سابق على انقلاب ٢٣ يوليو . . فقد أصرت مصر ووافقت الشركة على أن القناة كممر مائي يخضع للسيادة المصرية تماما كمدخل خليج العقبة ، ولم تستطع إسرائيل أن تمر لا في الخليج ولا في القناة قبل

« الثورة » و « التحرير » حتى فتح لها عبد الناصر الخليج ، وفتح لها رفيقه ونائبه السادات القناة .

استخدمت إسرائيل أزمة القناة ، لتحقيق أهدافها الثابتة وتنفيذ مرحلة من مخططها الدائم ، ونفذت ذلك بنجاح تام يكاد يصل إلى مائة في المائة ، بصرف النظر عن طموحها الذي استعر عندما فوجئت باحتلالها ثُمن الأراضي المصرية في مائة ساعة . . فهي التي يحق لها أن تدعي النصر الكامل والأكمل في الحرب المحدودة .

لأن إسرائيل لم تكن تطمع في هذا الوقت في فرض إرادتها على عبد الناصر في القاهرة ، ولا حتى في ١٩٦٧ فكرت إسرائيل في عبور القناة وعندما سأل الفرنسيون موشى ديان في عام ١٩٥٦ . . « هل لديك نية لعبور القناة ؟! رد على الفور بالنفي . . »[٣]

بل ونصحهم هو « بأن احتلال القاهرة يخلق تعقيدات سياسية حادة يستحسن تجنبها » وفي عام ١٩٦٧ هرع السادات فزعا لعبد الناصر يدعوه للانسحاب إلى الصعيد لأن بيانا عسكريا مصريا صدر بعبور إسرائيل القناة فرد عليه عبد الناصر بلا مبالاة : « اقعد ياأنور . . إسرائيل لن تعبر ولا تريد العبور » (انظر كتاب البحث عن الذات) .

ولم يكن لإسرائيل في ١٩٥٦ ولا في ١٩٦٧ ولا في ١٩٧٧ نية في عقد صلح أو سلام مع مصر أو العرب قبل إتمام مخططها التوسعي بضم « كل أرض إسرائيل وملحقاتها » . ولو عرض عبد الناصر عليها السلام في حرب السويس لرفضته لأن ذلك كان سيعرقل أو حتى يمنع مخططها في ضم الضفة والجولان وجنوب لبنان . . وأخيرا سيناء . . بل لعل من أهداف حملة سيناء ١٩٥٦ وأد المحاولات التي كانت تدور بخاطر الأمريكيين والانجليز لإجراء تسوية للمسألة الفلسطينية تقوم على تنازل الإسرائيليين ، فهم وحدهم كانوا الطرف المطلوب منه التنازل في هذا الوقت ، مقابل القبول العربي بوجود « الكيان » الصهيوني . . ومنذ النصر الإسرائيلي في سيناء ١٩٥٦ انتهى أي حديث عن القدس الجديدة أو المشاركة في ميناء حيفا ، أو إعادة صحراء النقب للعرب أو مشروع تقسيم ١٩٤٧ أو حتى ما احتلته إسرائيل من المناطق المنزوعة السلاح .

وصحيح أن سيناء هي أهم هدف توسعي إسرائيلي* ولكنها أيضاً وربما لهذا السبب ، آخر هدف يتحقق . . وبعد سلسلة استنزاف للقدرة العربية ، وتصفية الدور المصري والإمكانات المصرية إلى الصفر ، وهذا لا يتحقق إلا بسلسلة هزائم عسكرية وسياسية كانت السويس واحدة منها كما كانت حرب وهزيمة ١٩٦٧ .

وإسرائيل تقبل مرغمة ، الانسحاب من سيناء أكثر من مرة ولكنها لا تتخلى أبدا عن هدفها في ضمها فهي وحدها التي تكفل تحولها إلى إسرائيل الكبرى .

---

* مساحة سيناء تبلغ ضعف مساحة إسرائيل (٣٠ مليون دونم) .

والغريب أن هذا الفهم كان واضحا عند العسكريين السوريين في وقت مبكر جداً فقد جاء في مذكرات بغدادي أنه في الأسبوع الثاني من أكتوبر ١٩٥٥ حضر إلى منزل جمال عبد الناصر سعيد الغزي رئيس وزراء سوريا واللواء شوكت شقير رئيس هيئة أركان حرب الجيش السوري وكان الأمير فيصل بن عبد العزيز حاضراً (والبغدادي طبعا ج) وقال جمال إن إسرائيل لو أحبت أن تتوسع أو القيام بعمليات حربية فإنها في هذه الحالة تفضل أن يكون التوسع على حساب سوريا أو لبنان » فرد عليه شوكت شقير : « إن إسرائيل لن تقوم بهذه العمليات إلا لهدف وهذا الهدف هو إجبار الدول العربية على الصلح معها . وهي إن احتلت دمشق ذاتها فهي تعلم أن هذا لن يجبر الدول العربية على الخضوع لها وطلب الصلح معها ، ولكنها تعلم أنها لو هاجمت مصر ودحرت جيشها ، وهو أقوى جيش عربي ، ففي هذه الحالة فقط يمكنها فرض شروطها على الدول العربية »[4]

واللواء شقير معذور في تقليله أهداف إسرائيل إذ ظن أنها لا تريد أكثر من فرض الصلح وهو كان يتحدث قبل هزيمة ١٩٥٦ عندما لم يكن يخطر ببال عربي أن إسرائيل تطمح في أكثر من الاحتفاظ بما حصلت عليه . إلا أن اللواء عبر عن فهم سياسي متقدم ولو أنه بيدو بديهيا ، غير أن القيادة المصرية ـ لأمر ما ـ غفلت عنه ، وقد رد عبد الناصر على اللواء بقوله : « إن إسرائيل اليوم تفكر بدلا من المرة عشرات المرات قبل أن تقدم على مهاجمة مصر لعلمها بقوة جيشها ومدى استعداده وهي الآن لن تقامر على كيانها »[5]

واضح أن الحديث كان يدور حول « الكيان » ذاته وقد تأدب الجالسون فلم يشيروا إلى الهجوم الذي شنته إسرائيل على مصر قبل أربعين يوما[6] فقط من هذا الحديث المملوء « ثقة » بالنفس . . !

ووافق السوريون على عقد اتفاقية عسكرية مع مصر لمنع إسرائيل من « المقامرة على كيانها » بالهجوم على سوريا التي أصبحت محمية بالجيش المصري ، ولكن البغدادي « الخبيث » يقول : « ولم تمض فترة طويلة على توقيع تلك الاتفاقية العسكرية بين سوريا ومصر ، حتى أراد بن جوريون ـ على ما يظهر ـ أن يشكك سوريا في قيمة هذه الاتفاقية فدفع بقوة عسكرية من الجيش الإسرائيلي لمهاجمة بعض مواقع عسكرية للجيش السوري قرب بحيرة طبرية حوالي منتصف شهر ديسمبر ١٩٥٥ ، وقد قتل في هذا الهجوم حوالي خمسين جنديا سورياً ، وقامت مصر بإبلاغ سكرتير عام هيئة الأمم . . إن أي اعتداء (ثاني ج) على سوريا . . إلخ » .

المعزوفة المعروفة والتي لم تطبق أبداً . .

باختصار إن أي دراسة جادة تحتم الفصل بين معركة تأميم القناة ومعركة سيناء ولو أن هذه الدراسة الجادة أجريت في ١٩٥٧ وواجهنا نتائجها بشرف ومسئولية ، ربما لتجنبنا كارثة ١٩٦٧ بل ونكبة الانفصال وخطيئة حرب اليمن ، ولدخلت المواجهة المصرية ـ الإسرائيلية

ومن ثم المواجهة العربية ـ الإسرائيلية مرحلة جديدة لصالح العرب . ولكن التزوير الذي جرى عمداً في ١٩٥٧ بدق طبول النصر المزعوم يراد له أن يستمر اليوم من أجل المزيد من التخبط والتدهور في تلك المواجهة المصيرية والأبدية بل إن التزوير يمتد إلى ظروف معركة تأميم القناة بإخفاء الدور الأمريكي الحاسم في هزيمة المخطط الأنجلو ـ فرنسي .

نحن إذن ، نرفض « الخلط التام »* كما نرفض البهلوانية بالحديث عن انتصارات هوائية . . وإنما نحصر الموضوع في قضيتين : القضية التي طرحها هيكل وهي : المواجهة العربية ـ الإسرائيلية . . . والقضية الثانية هي تأميم القناة والغزو الأنجلو ـ فرنسي . . . وهذا ما سنناقشه بالتفصيل . . ولكن لنبدأ باستعراض المنطق الناصري كما يقدمه هيكل الذي مازال يحتل مركز المفلسف والمنظر لهذا المنطق رغم الجهود المنافسة لدكاترة الجامعة الأمريكية .

يقول : « إن جوائز الحرب كانت ثلاثا : قناة السويس وفي يد من هي ؟ وصحراء سيناء وفي يد من هي ؟ وقطاع غزة وفي يد من هو ؟ وبعد انتهاء المعارك كانت هذه الجوائز كلها في يد مصر . . القناة سليمة تحت سيطرتها وإرادتها وصحراء سيناء جزء من سيادتها وقطاع غزة أمانة في عهدتها ، وإذن كان انتصارها كاملاً » .

وهذه الجوائز بالطبع ونتائجها هي من إعداد مؤسسة هيكل لتصنيع وتعبئة التاريخ . وليست جوائز الحرب . الهدف الأول كما قلنا لا يجوز خلطه بموضوع التحدي الذي طرحه وهو هل كانت « حرب السويس » هزيمة في سلسلة الهزائم في المواجهة العربية ـ الإسرائيلية وسنناقشه بالتفصيل . .

أما عن المواجهة فإن هدف إسرائيل كان الآتي :

١ ـ فتح مضيق تيران أي خليج العقبة للملاحة الإسرائيلية .

٢ ـ تدمير السلاح السوفيتي الجديد .

٣ ـ تحطيم القدرة العسكرية المصرية ونقل الوضع العربي من تصور القدرة على إزالة إسرائيل ووضع المطالب باستئناف الحرب العربية ـ الإسرائيلية التي توقفت في عام ١٩٤٩ إلى وضع الدفاع واستبعاد فكرة « الهجوم » على إسرائيل .

٤ ـ نزع سلاح قطاع غزة ومنع النشاط الفدائي منه .

٥ ـ تحييد مصر عسكريا لأطول فترة ممكنة حتى يتم استعداد إسرائيل لمعركة « الامبراطورية » الإسرائيلية فحرب ١٩٥٦ كانت كما وصفتها جولدا مائير « حرب حق الوجود » أما حرب ١٩٦٧ فهي حرب « حق الهيمنة » . . كانت إسرائيل تحتاج هذه الفترة حتى تصبح المبادرة في يدها فتحدد هي زمان ومكان وصيغة المعركة .

---

* وفي تراثنا قالت : إن الخلط مثل أكل الموز بالعسل وهو من فعل بنات . . الخ » .

ونحن « نزعم » وعلينا البينة أن الأهداف تحققت بالكامل ، وأن القيادة المصرية هزمت في هذه المواجهة بالكامل . . بل وإن عبد الناصر نفسه هو أول من أدرك هذه الحقيقة يوم طاف وهو يبكي بين حطام الجيش المصري على شاطىء القناة في نوفمبر ١٩٥٦ وأراح رأسه على كتف « عبد اللطيف بغدادي » وهو يردد بالانجليزية « هزمني جيشي » . . . فهل يريدنا هيكل أن نصدقه ونكذب عبد الناصر ؟!

منذ صفقة السلاح الروسي ، والإسرائيليون يستعدون للحرب ضد مصر ، ويقول موشى ديان إنه خطب في جنوده في أبريل ١٩٥٦ فقال لهم : « ليس لدينا صفقة سلاح تشيكية ولا بريطانية ولا أمريكية . . فالبلاد التي لديها السلاح ترفض التعامل معنا ومع ذلك فهناك أمة واحدة نستطيع أن نعقد معها صفقة رابحة . . هي أمة إسرائيل . . إن ما نحتاجه هو صفقة إسرائيلية يمكنها أن تكشف القوة الدفينة لشعبنا »*

ويقول إنه كان يعد خطة لاحتلال غزة لتصفية النشاط « الإرهابي » (الفدائيون) وفتح خليج العقبة من نوفمبر ١٩٥٥ ولكن مبعوث الرئيس الأمريكي كان في ذلك الوقت يفاوض عبد الناصر وبن جوريون[٧] ولذلك طلب منه بن جوريون وقف الخطة حتى يناير ١٩٥٦[٢] .

ولم يكتف موشى ديان بالطبع بعقد صفقة مع الروح المعنوية في إسرائيل بل نجحت جهودهم في عقد صفقة مع فرنسا في نهاية يونية ١٩٥٦ للحصول « على سلاح يمكننا من مواجهة نوعية السلاح المصري الجديد إن لم يكن حجمه » . فالتسليح الفرنسي والاستعداد الإسرائيلي سابق على تأميم القناة ، لأن إسرائيل تعيش فعلاً هذه المواجهة الدائمة العربية ـ الإسرائيلية وتتحين الفرص لضرب ضربتها ، وتوظيف كل حدث لمصلحتها في هذه المواجهة ، أما نحن فنتحدث عنها فقط في الخطب وندعو الله ليل نهار أن يجنبنا إياها فلا يستجاب لنا دعاء .

ويقول : « لم يكن بن جوريون مفتونا بفكرة ضم قطاع غزة أو شبه جزيرة سيناء ، بل كل ما كان يريده هو السيطرة على الساحل الغربي لخليج العقبة ومضيق تيران أي شرم الشيخ فلو فتح المضيق للملاحة الإسرائيلية لأصبحت ايلات ميناء كبيرا وهذا يعني الحياة لكل النقب » .

وقبل سفر الوفد الإسرائيلي إلى فرنسا للاتفاق على الحملة أبلغهم بن جوريون بالتوجيه التالي :

---

* وخلال ١٧ سنة من حكم عبد الناصر عقد صفقات مع شتى أمم الأرض إلا شعب مصر وأمة العرب فلم يكن بينه وبينهم إلا التوجس والتربص وفقدان الثقة المطلق ، عبد الناصر يعتقد ويصرح أن السماح بالحرية سيصفى الثورة . وآخر مواقف الشعب من الحكم قبل حرب ٦٧ هي إشاعة الدم .

١ ـ إسرائيل لن تشن حربا بمفردها .
٢ ـ هدفنا هو السيطرة على الشاطىء الغربي لخليج العقبة . لضمان الملاحة الإسرائيلية في الممر المائي وربما نفكر في نزع سلاح شبه جزيرة سيناء ولو تحت إشراف قوة دولية »[3]
وقال الفرنسيون لليهود « إذا ما سيطرتم على مضايق تيران فيمكنكم مد خط أنابيب من إيلات إلى البحر الأبيض » .
وهو ما حدث بالضبط بعد الحرب . ومن ثم يمكن القول بأن انتصار إسرائيل كان كاملاً .
وعشية الغزو حدد اليهود أهدافهم : « بالنسبة للهدف النهائي للحملة ، فإن أهدافنا كانت واضحة كان غرضنا احتلال شبه جزيرة سيناء وإزالة القوات المصرية ، وهذا سيضمن لنا حرية الملاحة إلى إيلات ، وتحييد التهديد المباشر لإسرائيل من قبل الجيش المصري ويوقف العمليات الإرهابية من قطاع غزة » .
وقد تحقق ذلك بالكامل :
١ ـ احتلوا شبه جزيرة سيناء خمسة شهور .
٢ ـ أزالوا التهديد العسكري المصري بتدمير الجيش المصري وصفقة السلاح الروسي .
٣ ـ ضمنوا حرية الملاحة إلى إيلات ومن إيلات .
٤ ـ أوقفوا العمليات الفدائية من قطاع غزة .
٥ ـ نزعوا سلاح سيناء فعلياً ، بوضع البوليس الدولي الذي جمد الحدود من الجانب المصري عشر سنوات .
ويقول : « نحن أيضاً كنا نتمنى أن يحل نظام جديد محل عبد الناصر يصنع علاقات سلام مع إسرائيل ولكن هذا لم يكن جزءاً أساسياً من أهدافنا العسكرية التي ستتحقق حتى لو بقي ناصر في السلطة » .
ونحن نضيف ولا حتى كان من أهدافهم أو أمانيهم السياسية[4] في تلك المرحلة ، لأن أي سلام مع إسرائيل في هذا الوقت كان سيصادر طموحها ومخططها التوسعي ، ومندوب الرئيس الأمريكي الذي كان يفاوض بن جوريون في هذا الوقت ـ كما أشرنا ـ كان يبحث في إعطاء ممر بري بين مصر والأردن في صحراء النقب لا الحدود الآمنة وتعديلات في صميم الأرض المصرية والأردنية والسورية كما سيطرح بعد عشر سنوات[5]
ولخص موشى ديان نتيجة الحرب بقوله : « ولقد تحققت أهداف إسرائيل الثلاثة من الحملة :
حرية الملاحة الإسرائيلية في خليج العقبة ، نهاية الإرهاب الفدائي . . تجميد خطة الهجوم المشترك المصري ـ السوري ـ الأردني على إسرائيل وقد قبل عبد الناصر مبدأ حرية الملاحة من وإلى إسرائيل . وقبل وضع حد للإرهاب ضدها »[8] .

ويقول هيكل نفسه « نقلا عن مذكرات موشى ديان عن معركة سيناء » (ولاحظ أن هذه هي المرة الوحيدة التي وردت فيها سيناء بدون صفة « صحراء » في كتاب هيكل والسبب هو أمانته في النقل عن موشى ديان الذي لا يمكن أن يقول عن جوهرة الشرق الأوسط « صحراء » كما يفعل الأمين على الناصرية ج)* إنه قابل بن جوريون في اليوم التالي لعودته من باريس وعقد معه اجتماعا طويلا ، ثم يقول ديان « وفي نهاية الحديث صدر إليّ الأمر بأن أكون مستعدا للاستيلاء على تيران لتأكيد حرية الملاحة الإسرائيلية في خليج العقبة والبحر الأحمر » .

ويشعر هيكل أن هذا النص ينسف دعواه عن « الجوائز » فيهرع إلى وثائق بن جوريون التي أصدرها باروزهار سنة ١٩٦٨ ليثبت أن « دافيد بن جوريون طلب في نفس الاجتماع مع ديان ، أن تكون هناك خطط إضافية لاحتلال قطاع غزة وللسيطرة العسكرية الكاملة على سيناء »[٩] .

موافقون

ولكن ماذا يعني ذلك ؟

يعني أن الأمر الصادر بتحديد هدف الخطة أو « الحرب المحدودة » هو فتح خليج العقبة والبحر الأحمر للملاحة الإسرائيلية لا إسقاط عبد الناصر ولا إقامة حكومة موالية في القاهرة ولا فرض التسليم بلا قيد أو شرط ، ولا حتى ضم سيناء وكل هذا وارد في الخطة كما قلنا ولكن في حينه .

الإضافة التي وردت في رواية « باروزهار » طبيعية ومنطقية جداً . . فإن احتلال تيران وفتح الملاحة في خليج العقبة لإسرائيل مهمة تختلف كثيراً عن عملية مطار « عنتيبي » ضد عيدي أمين ، أو تدمير طائرات طيران الشرق الأوسط في مطار بيروت . . إذ لابد من حسبان المقاومة المصرية ، الأمر الذي يستلزم تصفيتها أولا ، قبل الاطمئنان لفتح الملاحة . وهذا يعني احتلال غزة وتحطيم القوة المصرية العسكرية في سيناء . . حتى تصبح تحت السيطرة الإسرائيلية أو على الأقل يزول تحكمها للملاحة في خليج العقبة .

وقد فازت إسرائيل بهذا الهدف الكامل الذي حدده بن جوريون قبل تأميم القناة وحرب القناة بعام كامل !

وهيكل ينسى كذبه ولذا يعود ويقرر بعضمة لسانه أن هدف إسرائيل لم يتجاوز فتح خليج العقبة يقول : « كانت إسرائيل ـ كما رأينا ـ قد قررت وحسمت واستدعى بن جوريون

---

* هذا الممسك على هيكل أفاد في تقويمه فوصف سيناء مرة في « ملفات السويس » : « شبه الجزيرة » ونعرف أنها صعبة عليه ولكن لا بأس من التكرار ليتعلم . . . .

تلميذه وصفيه موشي ديان من أجازة في باريس وطلب إليه أن يتولى رئاسة أركان حرب الجيش الإسرائيلي ووضع خطة للهجوم على سيناء بقصد احتلال شرم الشيخ وفتح خليج العقبة » .

هذا هو هدف حملة ١٩٦٧ إلى جانب ما ذكرناه من أهداف أخرى . أما اختراع هدف لإسرائيل وهو « ضم سيناء » ثم الصياح بأننا انتصرنا لأنها إنسحبت والسكوت على مكاسبها الأخرى فلا يشار إليها بحرف ، فهو تضليل وتهريج . . والغريب أنه يصدر من نفس المدرسة التي تردد أن استرداد سيناء بعد ١٩٦٧ لم يكن مشكلة ولا انتصاراً لأن إسرائيل كانت دائما مستعدة لإرجاعها . . كيف تكون إسرائيل غير راغبة في ضم سيناء أو غير قادرة على هذا الضم في مرحلة الامبراطورية وتتطلع لذلك في ١٩٥٦ . . ؟!

وقد قامت مصانع « هيكل » لفبركة التاريخ ، بإصدار طبعة معدلة من أهداف « بن جوريون » .

وإليك بعض ملاحظاتنا عليها :

الهدف كما أورده هيكل	النتيجـــة
ضرب قواعد الفدائيين في سيناء	تحقق بالكامل ومن ١٩٥٦ إلى ١٩٦٧ لم يقع حادث واحد من سيناء ضد إسرائيل .
العمل على تفريغ سيناء بما يؤدى إلى إنهاء خطر أي هجوم مصري محتمل . أي تجريد سيناء من السلاح حسب تعبير بن جوريون	تحقق عمليا بقبول عبد الناصر وضع البوليس الدولي على الحدود ، فانتهى خطر أي هجوم مفاجيء مصري ، إذ أصبح على مصر أن تطلب سحب البوليس الدولي وإخطار الأمم المتحدة أو طوب الأرض أننا سنحارب ولا يهم عندئذ إن كان الجيش في العريش أو القنطرة فقد زال عنصر المباغتة .
فتح خليج العقبة	تحقق بالكامل
تأمين مشارف إيلات بالسيطرة على منطقة طابا	كأنه يتحدث عن أهداف كامب ديفيد !! هذا الهدف غير مفهوم . فمادام البوليس الدولي عند مدخل ومخرج الخليج . . المفتوح للأسطول الإسرائيلي فما أهمية طابا ؟! وعلى أية حال حصلت على طابا ومشارف إيلات إلى قناة السويس في الغزوة الثانية ١٩٦٧

طرد مصر من قطاع غزة وعدم السماح بعودتها	تحقق عسكريا بإنهاء أي وجود أو استخدام عسكري للقطاع أما عن الحكم المصري وعودته ، ففي النفس شيء حول حقيقة هدف إسرائيل هل كانت فعلا في هذا الوقت تريد القطاع بربع مليون فلسطيني ؟ . . على أية حال اقرأ ما كتبناه في هذا الموضوع وكيف أجبر شعب غزة التاريخ على العودة للوراء فأعاد مصر للقطاع إلى أن تمكن منهم ناصر وسلم القطاع مرة أخرى لإسرائيل في ١٩٦٧ .
تحطيم وحدة المعسكر العربي بضرب مركز مصر	في اعتقادنا أنه تحقق إلى حد كبير جداً لأن عبد الناصر رفض أن تكتب هذه الوحدة بالدم والسلاح محاء الخطايا وموحد الأمم ، بل فضل « المشاعر » فسهل التزييف ، واستمر العملاء في السلطة وعلى السطح . . ونظرة إلى العالم العربي في سنة ١٩٥٩ مثلا وواقعه عام ١٩٥٥ نرى أن هذه الوحدة فعلا تمزقت . . ولا يجوز بسبب فشل حملة ايدن أن نقلل من أهمية تصريحه عندما سئل ماذا حقق بحرب السويس فقال : « منعنا الوحدة العربية » إنه تصريح بحاجة إلى دراسة ثانية .
إسقاط الطاغية	لم يتحقق . . وإذا كنا نعتقد أنه كان للدعاية وتبرير الحرب ، تماماً كما ادعى كل استعماريي أوروبا ، أنهم غزوا بلادنا لمحاربة الفساد وتخليصنا من حكم الطغاة . . وما مكنهم من بلادنا إلا هؤلاء الطغاة ، ولا مكن الطغاة في بلادنا إلا هؤلاء الغزاة . . وبن جوريون يقول : « إن تغيير النظام لم يكن جزءا أساسيا من أهدافنا العسكرية بل ويؤكد أنه سيحقق هذه الأهداف حتى لو بقي عبد الناصر في السلطة (ص ١٥٣ كلمتي للمغفلين) و « هيكل » قال في موضع آخر من ملفاته إن « شيمون بيريز » حدد أهداف إسرائيل في غزوة ١٩٥٦ يقوله : « إن سويسنا Our Suez هي إيلات ، ثم إن أية عمليات

تقوم عليها إسرائيل سوف تكون بهدف فتح الممرات الملاحية ص ٤٨٢ ع .

أي لا إسقاط الطاغية ولا شرب الطافية ! . .

على أية حال لو كانت إسرائيل أرادت فعلا إسقاط عبد الناصر في ١٩٥٦ ، فحقاً إن بني إسرائيل يثابون رغم أنوفهم .. وهم يظنون بالله ظن السوء .. ولو علموا الغيب لاختاروا الواقع .. فلو تحقق هدفهم في ١٩٥٦ وحكم مصر فؤاد محرم أو « موشي ديان » أكانت إسرائيل ستحقق بعد عشر سنوات أفضل مما حققته بفضل استمرار الطاغية في الحكم ؟!

لسوء حظ العرب وحسن حظ إسرائيل أن الطاغية لم يسقط فسقطت سيناء والجولان والضفة . . ولم يبدأ استرجاع بعضها إلا بعد موته بثلاث سنوات ! . .

نعود لهيكل الذي يستعرض لنا انتصارات « حرب السويس »[62]

يقول هيكل : « كانت حرب السويس تجربة هائلة من تجارب العمل القومي العربي وقدرته وإن من غير تنسيق مسبق بين الأطراف » .

ولأننا تعاطينا جرعات هذا الإعلام الناصري فتخدرنا بمثل هذه الجمل الإنشائية من مدح الذات والرضا عن النفس وهدهدة الأطفال جلبا للنعاس بالخرافات ، فقد ظل العمل العربي إلى اليوم « يفتخر » بأنه يمر بتجارب هائلة من غير تنسيق مسبق وبمجرد الفزعة البدوية ومحاولة القفز في القطار أو القيام بأي عمل لإثبات الوجود وتبرئة الضمير أو التنفيس عن الوطنية الحقيقية !

والدليل أن مؤرخ النصر لم يجد مثلاً يضربه عن الوقفة العربية المساندة لمصر إلا نسف مجموعة السراج لخط الأنابيب البريطاني وهو عمل مجيد بلا شك ولكن مجموعة انصار جورج حبش نفذته بعد ذلك ولكن في الخط الآخر وأثبتت أنه لا يحتاج لأكثر من مجموعة فدائية ولا يمكن أن تنحصر فيه مساندة دولة عربية في حجم سوريا ، ومواقعها ـ وقتها ـ في الجولان كانت تمكنها من انزال ضربة موجعة إن لم نقل قاصمة بإسرائيل التي قذفت بكل جيشها إلى سيناء ولم تكن قد أصبحت بعد المارد الذي يحارب على ثلاث جبهات . .

إن هيكل كثير الصخب حول ضربة نسف أنابيب النفط ، ليس حبا وعرفانا لدور السراج . فما ناله السراج على يد هيكل والنظام الناصري يضيف صفحات مرعبة لملحمة

العزيز سنهار . . ولكن في عام ١٩٨٢ يتفضل هيكل على عبد الحميد السراج في محنته باعلان أن : « السراج كان مضبوطا على نفس موجة عبد الناصر » .

ولكن هذا « المضبوط » انفرط عقده فور أن دخل في الفلك الناصري وألغيت كل سلطاته وحول إلى « طرطور » في القاهرة كما سنرى ، وعزل عن قواعده في سوريا وهو الذي كان يحكمها بقبضة حديدية ، انتهى به الأمر بسبب هذا « الانضباط » إلى أن اعتقل وأهين على يد ضباط الانفصال الذين كانوا يرتعدون من مجرد التفكير في تحديه قبل أن يطحنه النظام الناصري . . فالإشادة بنسف الأنابيب ليست تحية للسراج ، وإنما الصخب هنا هو لإخفاء سؤال رهيب مازال يطل برأسه بين الحين والحين ، وسيظل يطل برأسه ينشد الجواب الصريح مهما بدا أن الإعلام الناصري قد نجح في كتم أنفاسه إذ لم يطرح أبدا على بساط البحث الجاد . . ولم تعرف الإجابة السليمة عليه .

ذلك السؤال هو : لماذا أمرت القيادة المصرية الأردن وسوريا بعدم دخول الحرب ؟!
لنرجع قليلاً إلى الوراء :

منذ عام ١٩٥٣ قام تحالف مصري ـ سعودي وثيق كان تطوراً نشطاً وأكثر فعالية للتحالف المصري ـ السعودي الذي تم بين الملكين الراحلين عبد العزيز وفاروق منذ عام ١٩٤٦ والذي مكن من قيام الجامعة العربية ، ووحدة الموقف العربي ، بصرف النظر عن النتائج ـ حول قرار تقسيم فلسطين والحرب العربية ـ الإسرائيلية الأولى . . وقد تطور هذا التحالف في ظل الملك سعود والقيادة المصرية الجديدة لحركة ٢٣ يوليو بحيث أصبح أكثر تركيزاً على تصفية الوجودين البريطاني والفرنسي من المنطقة . . وإذا كان الفرنسيون قد قبضوا في خلال ٢٤ ساعة على باخرة مصرية تحمل السلاح للجزائر (الباخرة آتوس) وعلى شيك سعودي بعشرة ملايين دولار مع مجموعة بن بيلا عندما أنزلت طائرتهم واعتقلوا . . فإن التحالف المصري ـ السعودي كان أكثر وضوحاً في شرق البحر الأبيض أو المشرق العربي ضد بريطانيا حيث العدو التقليدي والمباشر للسعوديين والمصريين . . وكانت المملكة على خلاف بل وصدام مع الانجليز سواء من خلال العرش الهاشمي في العراق ، والملك عبد الله في الأردن ، أو بالعدوان البريطاني على البوريمي السعودية . . وجميع حدود المملكة مع جيرانها الخليجيين . . بينما كانت مصر بالطبع في صدام مسلح مع الانجليز في مصر وصراع في السودان ، وخلاف تقليدي بين القاهرة من ناحية ، وبغداد وعمان من ناحية أخرى . . أما سوريا التي ظفرت باستقلالها حديثا من فرنسا ، بمساعدة بريطانية ، ونفوذ بريطاني في السنين الأولى ، فقد تحولت إلى أرض الصراع لشتى القوى في المنطقة بين شركة نفط العراق وشركة أرامكو حول مد أنابيب النفط إلى البحر ، وبين العراق والسعودية ، وبين مصر والعراق . . وبين بريطانيا وفرنسا . .

واستطاع الذهب السعودي والإعلام الناصري أو كما يقول سلوين لويد مشوهاً : « إن رياح القومية العربية التي تهب من مصر تفوح منها رائحة الذهب السعودي »[٧٢] . . استطاعا أن يوجها الموجة القومية والوطنية ، الأصيلة في عدائها للاستعمار البريطاني والجادة في التحرر من هذا الاستعمار ، استطاعا توجيهها لكيل الضربات لهذا النفوذ ، فتمت حماية سوريا من مؤامرات نوري السعيد ـ البريطانيين وتم طرد غلوب من الأردن ، وقيام حكومة ناصرية في عمان وتطويق ثم هزيمة حلف بغداد ، وأي تأريخ لتلك الفترة يحاول إنكار المساهمة السعودية الفعالة في تحقيق هذه الأهداف ، هو تزوير مفضوح للتاريخ ، في اعتقادنا لا ينجم فقط عن نكران الجميل ولا الرغبة في إبراز الدور الخاص ، ولا لتبرير الافتراءات والتطاول على الملك الراحل سعود ، بل وأيضاً لسبب آخر لا يقل أهمية ويتعلق بفهم « طبيعة » هذه المرحلة وحقيقة التيارات والمصالح التي حكمت التحرك الناصري فيها ووفرت له النجاح وهو ما سنشرحه بالتفصيل وبالصراحة الكاملة في موضعه .

المهم أنه نتيجة هذه الجهود ، بدأ يتشكل حلف سعودي ـ مصري ـ سوري ـ يمني . . وركز جهوده على جذب الأردن . . بعيداً عن العراق الذي وقع حلف بغداد مع تركيا في ٢٤ فبراير ١٩٥٥ وانضمت إليهما بريطانيا في ٤ أبريل ١٩٥٥ ثم تبعتها إيران وباكستان (يوليو وأكتوبر ١٩٥٥) .

ففي أول مارس ١٩٥٥ وقع في دمشق اتفاق مصري ـ سوري وفي ٦ مارس ١٩٥٥ أيدت السعودية الاتفاق المصري ـ السوري وأعلن عن تشكيل قيادة عسكرية مشتركة للأقطار الثلاثة . وفي ٢٧ أكتوبر ١٩٥٥ وقعت اتفاقية لتوحيد القيادة العسكرية بين مصر والسعودية . وفي ١٢ مارس اختتم مؤتمر ثلاثي في القاهرة بين عبد الناصر والملك سعود وشكري القوتلي ، دام أسبوعاً ، وصدر بيان مشترك بإقرار جميع الإجراءات الضرورية لإقامة جبهة موحدة ضد إسرائيل ، وشجب حلف بغداد « لأنه يضعف الموقف العربي » وتقرر إرسال مبعوث عن المؤتمر إلى الملك حسين مع عرض بدفع قيمة المعونة البريطانية للأردن إذا ما ألغى معاهدته مع الانجليز (قدم العرض في يناير ١٩٥٦ وسافر المبعوث لتأكيده) . .

ويقول سلوين لويد وزير خارجية بريطانيا وقتها إن « الحملة ضد غلوب في الأردن كان يقوم بها عملاء ناصر والسعوديون »[١٠] وإن « إخراج غلوب قد تم بالدعاية المصرية ، ومال الملك سعود »[١١]

وفي أبريل ١٩٥٦ وقعت الاتفاقية المصرية ـ السعودية ـ اليمنية . وأقرضت السعودية عشرة ملايين دولار لليمن . « وأعلنت الحكومة المصرية ترحيبها بالحلف كضربة لبريطانيا وجزء من خطة طرد البريطانيين من شبه الجزيرة العربية . واعترف خروشوف أنهم (الروس) يبيعون سلاحا لليمن »[١٢] ويتكلم هيكل بنفس لهجة سلوين لويد عن استغلال

مصري للسعوديين فيقول : « إن عبد الناصر استعان بالأسرة المالكة السعودية ضد حلف بغداد »[13] ويكتفي بهذا النطق السامي دون تفسير ! . ولا يقول لنا إذا كانت معركة حلف بغداد هي أبرز منجزات السياسة الناصرية الثورية ضد الاستعمار الأمريكي وشركاه فكيف قبلت الأسرة السعودية ـ واتهامات هيكل لها معروفة ـ أن يستعان بها في تحقيق هذا الإنجاز الثوري التاريخي ؟!*

ويشهد بغدادي أنه في أكتوبر ١٩٥٥ طلب الأمير فيصل بن عبد العزيز تشكيل لجنة عسكرية مصرية ـ سعودية لشراء أسلحة للمملكة من دول الكتلة الغربية كما يشهد بغدادي أن الرئيس شمعون وسط عبد الناصر لدى السعودية لوقف الحملة عليه في صحف لبنان . ولكن فيصل (بن عبد العزيز) قال إن شمعون « انجليزي » ويعمل على تنفيذ سياسة الانجليز »[14]

في أول مارس ١٩٥٦ طرد « غلوب » باشا أو الحاكم الفعلي البريطاني للأردن وقائد الجيش الأردني والقصة معروفة حول وصول خبر الطرد أثناء مأدبة العشاء لسلوين لويد في القاهرة مع عبد الناصر وعامر . واندفع المد الوطني العروبي في الأردن فاستقال الوزراء الفلسطينيون الأربعة خلال زيارة الجنرال تمبلر للأردن ، وهي الزيارة التي كانت آخر محاولة من بريطانيا لإقناع الملك حسين بالانضمام إلى حلف بغداد وسجل سلوين لويد في مذكراته عن الوزراء « ومن المعتقد أنهم تلقوا رشوة ضخمة من السعوديين » . . وأن الملك حسين قد « أحاط به قرناء السوء »**

في ١٠ مارس عرض نوري السعيد على سلوين لويد تنفيذ انقلاب في سوريا إذا ما حصل له على ضمانة بعدم تدخل تركيا أو إسرائيل . . وحصل له سلوين لويد على وعد بذلك من تركيا وإسرائيل وكان الموعد المحدد لتنفيذ الانقلاب هو الفترة ما بين ٣٠ سبتمبر و ١٥ أكتوبر ١٩٥٦ .

ووصل المد الوطني في الأردن إلى ذروته بإجراء الانتخابات وفوز حكومة سليمان النابلسي بالأغلبية الساحقة ، وقيام مجلس نيابي ناصري ـ سعودي ، وتوقيع اتفاقية الدفاع المشترك بين مصر وسوريا والأردن ، ووضعت القوات العسكرية الثلاث تحت تصرف القائد المصري عبد الحكيم عامر ، فهو الذي يأمرها بدخول الحرب ويوجه تحركاتها العسكرية تماماً كأنها جيش واحد .

ولا شك أن هذه كانت أعلى مرحلة في التضامن العربي ، والتنسيق العربي العسكري ، ولكن « هيكل » لا يشير إليها أبداً في سجل الانتصارات ، بل يقفز عليها للحديث عن نسف

---

* بل أجبر في « ملفات السويس » على الاعتراف بأن أول معارضة للحلف جاءت من السعودية .

** هذه إشارة لنشاط أمريكي ـ ناصري سنتعرض له في موضع آخر .

« ماسورة » النفط ، ولأمر ما ، جدع قصير أنفه ، واشترت المرأة السمسم غير المقشور بالمقشور . . !

اكتفى هيكل بإشارة غريبة إلى هذا الاتفاق ، وإلى الهدف الذي كان يُرجى منه عندما قال أن السراج « كان يأخذ ميثاق الدفاع المشترك والقيادة المشتركة بين مصر وسوريا والأردن ، وهو اتفاق وقع قبل العدوان الإسرائيلي بأيام قليلة مأخذ الجد » (!!! ج) .

العفو ! ما هو كان « صغير » وربما لم يكن قد انضبط ـ بعد ـ على كل الموجات العاملة مع القاهرة !

ويقول إنه اكتشف في سوريا خطة سرية « لعمل انقلاب في سوريا يتوافق مع غزو مصر ، وكان هدفها أن تمنع اشتراك الجيش السوري في المعركة مسانداً لمصر ، إلى جانب الهدف الدائم وهو السيطرة على قلب دمشق » ، ولكن الخطة اكتشفت وأحبطت .

المؤامرة صحيحة وقد اعترف بها سلوين لويد وغيره ولكن هل صحيح أدى كشفها إلى إحباط الهدف ؟ وهو منع الجيش السوري من الاشتراك في المعركة ؟!

هل اشترك الجيش السوري في المعركة ؟

ومن الذي منعه ؟ ليس نوري السعيد ولا حلف بغداد ولا الرجعية . . بل أمر صريح من عبد الحكيم عامر* القائد العام للقوات المشتركة المصرية ـ السورية ـ الأردنية .

لماذا ؟

ويمكن لأي قاريء ملم بأوضاع تلك الفترة أن يقدر مدى التحول في الموقف الذي كان يمكن أن يحدث لو أصدر عبد الحكيم عامر أمره للجيشين الأردني والسوري بالهجوم على إسرائيل خلال استغراق جيشها في أضخم حرب واجهته منذ قيام إسرائيل ، وهي غزو سيناء التي تعادل مساحتها ضعف مساحة إسرائيل ، فالجيش الأردني كان بشهادة الجميع وقتها ، عالي الكفاءة من الناحية العسكرية ، ومتفجر الوطنية شديد الرغبة في غسل عار معارك ١٩٤٨ والاتهامات التي كيلت له بسبب خيانة قادته الانجليز ، والجيش الأردني ، كما يذكر المعمرون ـ كان وقتها على بعد طلقة مدفع من البحر ويستطيع أن يقسم إسرائيل إلى شطرين بطابور دبابات وتأملوا الخريطة . . والجيش السوري كان لا يزال بكراً لم تمزقه الانقلابات والمؤامرات والحزبية ، ومواقعه في الجولان كانت تعطيه تفوقاً ساحقاً اعتبر أنه غير قابل للهزيمة « عسكريا » . . وكان السلاح الجوي الإسرائيلي مازال في بدايته .

نتمنى أن يذكر لنا ناصري واحد ما الخسائر المحتملة عسكرياً أو سياسياً التي أراد القرار المصري تجنبها بمنع الأردن وسوريا من فتح جبهتين ضد إسرائيل في عام ١٩٥٦ والتي لم تكن

---

* بل من عبد الناصر كما اعترف هيكل في « ملفات السويس » .

محتملة في ١٩٦٧ عندما طلب منها الدخول رغم اختلاف الظروف تماماً بحيث كان المكسب في ١٩٥٦ محتملا والخسارة في ١٩٦٧ مؤكدة بعد ضربة الطيران المصري . . ؟! ألا يذكرنا هذا بسؤال مايلز كوبلاند عن « اللغز » في إحجام عبد الناصر عن الحرب مع توافر عوامل النصر ، والانجرار إليها إذا كانت الخسارة مؤكدة ؟!

من الناحية العسكرية كان الوضع أفضل بالنسبة للعرب في ١٩٥٦ .

من الناحية السياسية كانت إسرائيل معتدية باتفاق العالم كله لأول وآخر مرة وبقرار إدانة أمريكي ! وكانت مصر وسوريا والأردن أعضاء في قيادة مشتركة تلزمهم جميعاً بالحرب إذا ما اعتدي على أحد الأطراف الثلاثة ، ومن ثم لا لوم ولا مؤاخذة دولية . . بل إعجاب وزرع لهيبة العرب على المستوى الدولي ، وتعريف العالم أن التضامن العربي والاتفاقيات العسكرية العربية أمور جادة . .

مؤكد أن الوضع العسكري لم يكن ليصبح أكثر سوءًا لو صدر الأمر إلى سوريا والأردن بالهجوم على إسرائيل في ٢٩ أكتوبر ١٩٥٦ .

هذا من الناحية العسكرية التي لا تحتاج لكثير إثبات ، ولكن ، هناك عنصر سياسي خطير ، يتغافلون عنه ولم يطرح أبداً ، وهو ما كان يقلق بال الانجليز واليهود والأمريكان ونوري السعيد وغيره . . خلال فترة الإعداد لغزو مصر . . فالمعروف أن الأردن كان مرتبطاً بمعاهدة دفاعية مع الانجليز ، وباتفاق مع العراق يتضمن دخول الجيش العراقي الأردن في حالة تعرضه لعدوان إسرائيلي ، وذلك بعدما تصاعد عدوان إسرائيل على الأردن قبيل الهجوم على مصر ، حتى ساد الاعتقاد بأن إسرائيل تدبر غزو الأردن لا مصر . . وكان المفروض في حالة وقوع حرب شاملة بين الأردن وإسرائيل أن تصبح كل من بريطانيا والعراق في مأزق حرج . . فإذا كان الجيش العراقي سيجد نفسه مضطراً بحكم الضغوط العربية والشعبية على حكومة بغداد ، أو بحكم وطنية ضباطه ، مشتركاً في المعركة ، فإن بريطانيا كانت ستواجه مأزقاً خطيراً لأنه فضلاً عن استحالة محاربتها لإسرائيل ، كانت في هذا الوقت بالذات تخطط لغزو مشترك مع إسرائيل .

يصور لنا موشى ديان هذا المأزق بعد عشرين عاماً بقوله : « خلال المفاوضات (لتدبير العدوان الثلاثي ج) كان من الضروري أن نعمل على تجنب وضع قد نتزلق فيه إلى صدام مع بريطانيا ، قد يؤدي إلى عمل عسكري بريطاني ضدنا . وذلك من جراء العلاقة البريطانية ـ الإسرائيلية المعقدة . فبريطانيا لها معاهدات مع عدة دول عربية قد تهرع لمساعدة مصر ، ولو حدث ذلك فقد ينشأ وضع نكون فيه نقاتل مع بريطانيا في جبهة ، وفجأة نجد أنفسنا مصطدمين معها في جبهة أخرى مع الأردن حيث سيقدم له البريطانيون مساعدة عسكرية بموجب معاهدة الدفاع الأنجلو أردنية »[١٥] .

« وكان رأي بن جوريون أن إسرائيل لن تهاجم الأردن إلا إذا هاجمها الأردن ، ومادام لا يسمح للقوات العراقية بالدخول في أراضيه وكان بن جوريون يعتقد أن بريطانيا لديها من النفوذ ما يمكنها من ضمان حياد الأردن وبذلك تمنع تعقيدات لا ضرورة لها ستتبع دخول القوات العراقية في الأردن »[١٦] .

« وكان العراق والأردن قد أنشآ قيادة عليا مشتركة في يونيو ١٩٥٦ تقرر بها وضع فرقة عراقية متقدمة على الحدود العراقية ـ الأردنية تكون مستعدة لمساعدة الأردن في حالة الطوارىء ، ثم اجتمع الملكان حسين وفيصل بن غازي لبحث نقل هذه القوات ذاتها للأردن ، وقد أعلن بن جوريون عن عزمه على التصرف عسكريا لو حدث ذلك »[١٧]

إسرائيل كانت مصممة على التصرف عسكرياً لو دخل الجيش العراقي الأردن ، والمعاهدة التي يرتهن بها شرف العرش العراقي ، ونوري السعيد ، والمراهنة على صداقة النظام العراقي معلقة على تنفيذ بند الدخول العراقي في حالة الحرب بين الأردن وإسرائيل . والمعاهدة البريطانية الأردنية ، والبريطانية العراقية وسمعة بريطانيا ، وثقة أصدقائها ، وادعاءات عملائها كله معلق على امتحان موقفها إذا ما حدث القتال المسلح بين الأردن ثم العراق وإسرائيل « **كذلك كان علينا أن نعرف هل ستنفذ بريطانيا معاهدتها مع الأردن وتتقدم لمساعدته إذا ما هاجم إسرائيل أو إذا تحركت إسرائيل إلى الضفة الغربية رداً على دخول القوات العراقية الأردن** » ؟ .

وجاء في مذكرات « هيوجتسكيل » زعيم المعارضة البريطانية خلال معركة القناة أنه أثناء حفل العشاء الشهير الذي كان مقاماً على شرف الملك فيصل العراقي ليلة التأميم سأل الأمير عبد الإله الوصي على العرش العراقي عن الأحوال فرد الوصي العراقي (١٩٥٦/٧/٢٦) : « إن الوضع خطير ، والأردنيون قد يقدمون على إجراء « سخيف » ويهاجمون إسرائيل فنجد أنفسنا ننجر إلى الصراع . إن هذا مثير للقلق »[١٨] .

أزمة فعلاً . . ومشكلة خطيرة . . وبن جوريون يراهن على الضغط البريطاني على الأردن لإنقاذ الغرب وإسرائيل والنظم الصديقة من هذه الورطة ـ الكارثة . . ولكنها مراهنة غير مضمونة ، فالأردن في أكتوبر ـ نوفمبر ١٩٥٦ لم يكن بالأرض الصالحة لقبول مثل هذا الضغط البريطاني بل الأحرى أن الملك حسين بذكائه المعروف كان سيرفض تنفيذ مثل هذا الطلب ، أما عن الجيش الأردني بقيادة علي أبو نوار الناصري ـ وقتها ـ واللاجيء السياسي في القاهرة بعد ذلك ، والحكومة الأردنية حكومة سليمان النابلسي وهو غني عن التعريف فكان يستحيل تصور استجابتها للضغط البريطاني ورفض تنفيذ اتفاقية الدفاع المشترك .

ورطة حلت بأبسط وأهون ثمن . . مصادفة عجيبة جعلت « الضغط » يأتي من آخر جهة يمكن أن ترد على الخاطر ومن جهة لا يمكن اتهام من يطيع أمرها بالخيانة . . من القيادة المصرية المغزوة أرضها ؟!

لماذا ؟

نتمنى أن نسمع تفسيراً . .

بالطبع لا نريد تفسيراً سوقياً حاقداً من طراز « أمه يهودية » أو عبد الحكيم عامر أصله « ايللي كوهين » هذا سخف لا يستحق حتى مجرد السماع فضلا عن المناقشة . .

التفسير الذي وصلنا إليه ، أن صفقة تمت بين أمريكا وعبد الناصر ، طالبت فيها أمريكا عبد الناصر ألا يوسع النزاع ، أن يمنع دخول الأردن وسوريا الحرب وهي تتعهد بالباقي . . وقد نفذ الطرفان . . ولكن ربح اليهود وخسرنا على المدى القريب والبعيد !

ويلاحظ أن « سلوين لويد » قد أورد قرار عبد الحكيم عامر للجيشين الأردني والسوري بعدم دخول الحرب ، ولكنه لم يعلق بحرف على أسباب القرار ![19]

وهكذا لم يكن أمام الضباط السوريين ، إلا ماسورة النفط ينفثون فيها غيظهم ، ويرفعون في نفس الوقت سعر النفط الأمريكي بقطع أكبر شريان للنفط الانجلو - فرنسي على البحر الأبيض وأقرب شريان لغرب أوروبا إلى جانب سد قناة السويس[82] . .

إن المساندة العربية الأساسية التي كانت يمكن أن تشكل قاعدة العمل العربي ، ونموذجاً للتضامن ينمو مع الأيام ، ويحسب له العدو حسابه في المستقبل ، المساندة التي كانت ستكتب سطور الوحدة العربية بالدم ، منعها عبد الناصر ، وبالتالي لم يبق إلا المساندة بالخطب والأغاني والبرقيات ، والنداء « هنا القاهرة » من إذاعة عمان ودمشق عندما ضربت الإذاعة المصرية واستقر في ذهن العرب أن « قطع » النفط هو آخر الدواء والحلقة المفرغة التي ترقص حولها الأمة العربية دون أي تقدم .

والمسئول عن ذلك هو المؤامرة الإعلامية التي أرادت إخفاء السر وراء عدم تنفيذ اتفاقية الدفاع المشترك في أول امتحان للتضامن العربي في ظل ٢٣ يوليو . . بالصخب حول الدعم العربي والتضامن العربي ، وبسالة الجيش السوري الذي نسف أنبوب النفط وكأنه جماعة إرهابية مطاردة من السلطة ؟!

لو طبق الميثاق لعرف العرب قيمة هذه الاتفاقيات و « أخذوها مأخذ الجد » ولعرف العدو قيمتها « وأخذها مأخذ الجد » كما يسخر هيكل من سذاجة السراج ؟!

أيمكن أن يقول كاتب جاد « مؤمن » بعبد الناصر والوحدة العربية أن السراج « كان يأخذ ميثاق الدفاع المشترك مأخذ الجد » ؟!

يعني ايه ؟!

اتفاقية عسكرية وقع عليها رؤساء ثلاث دول والقائد العام في كل جيش وأقرتها السلطة التشريعية في كل بلد . . فأي عجب أو غرابة أن يأخذها السراج على محمل الجد ؟! إلا لأن كاتب هذا الكلام يعرف أن الأمر كله نصب في نصب ؟!

على أية حال هيكل أعفى نفسه من تقديم أي تفسير للسبب الذي لم تنفذ من أجله

الاتفاقية رغم اكتشاف المؤامرة الاستعمارية الرجعية التي كانت تستهدف منع تنفيذها ؟!

هذا ما كتبناه في « كلمتي للمغفلين » وقد قبل « هيكل » التحدي ، فتقدم بتفسير في « ملفات السويس » يبرر فيه لماذا منع عبد الناصر الأردن وسوريا من دخول الحرب ضد إسرائيل فأضاع فرصة نصر « محتملة » كما يقول كوبلاند ، ومرجحة في رأينا . اضطر هيكل للرد علينا فقال الآتي :

« لقد فضل جمال عبد الناصر أن تخوض مصر المعركة العسكرية وحدها لأنها لا تستطيع أن تتحمل مسئولية ما يمكن أن يجرى على أرض عربية أخرى قد لا يستطيع أن ينجدها بقوات مصرية في الوقت المناسب ، وكان تفضيله أن تقف الأمة العربية كلها مع الشعب المصري بمشاعرها وبما تستطيع عمله دون القتال المسلح »[20]

نشاطركم الأحزان .

وهو كلام لا يستحق الرد ، كلام مريب مشبوه . . كأن عبد الناصر كان يخوض حرباً من أجل ميراث جده في بني مر ، أو كأن الحرب مع إسرائيل قضية مصرية خاصة ومن ثم يتحمل عبد الناصر مسئولية توريط العرب . . وماذا كان سيصيب العرب أسوأ مما أصاب مصر باحتلال ثُمن أراضيها ؟! ولماذا لم يفكر على هذا النحو في ١٩٦٧ عندما استخدم حتى الكذب لإدخال الأردن في الحرب الخاسرة بل التي كان قد خسرها فعلاً ويعلم ذلك يقيناً !

يرد هيكل . . إنه منع الأردن من الدخول لأنه كان يعلم بتربص إسرائيل بالضفة الغربية أو أجزاء منها وكان مصمماً على حرمانها من أية فرصة في هذه الظروف[21] .

في انتظار ظروف أحسن ! . . لأنه هو نفسه تخلى عن هذا التصميم واستخدم الكذب لحث الملك حسين على دخول حرب ١٩٦٧ المحتوم فيها خسارة الضفة . .

ففي ١٩٥٦ كان احتلال إسرائيل للضفة محتوم الفشل ، فالأردن كانت تربطه معاهدة دفاعية مع بريطانيا والعراق ، وأهم من ذلك أن العالم كله بما فيه أمريكا كانت ضد احتفاظ إسرائيل بأية أرض تحصل عليها بالحرب ، وأنت نفسك قلت إن بن جوريون قال : « ليس لإسرائيل صديق واحد في الأمم المتحدة »[22]

وأنت أيضاً نقلت عن ايزنهاور قوله : « إننا لا نستطيع أن نجد أمام العالم أي مبرر سياسي أو قانوني يعطي لإسرائيل حق البقاء في سيناء . إن العالم كله سيتعاطف مع ناصر إذا قرر مواصلة الحرب ضدهم وستكون إسرائيل وحدها بعد خروج الانجليز والفرنسيين من بور سعيد »[23]

الحمد لله ايزنهاور يفكر مثلنا . . فما الضرر لو كانت إسرائيل فعلا احتلت الضفة في البداية مثلما احتلت سيناء واشتركت الأمة العربية كلها « بالسلاح » وليس بمشاعرها يافاجر الادعاء . . ما الضير إذا استمرت المعركة على ثلاث جبهات وامتدت خطوط إسرائيل من

سوريا إلى القناة إلى الأردن ، وخرج الانجليز والفرنسيون واستفرد العرب بإسرائيل خاصة وقد قلت إننا استرجعنا ما خسرناه من سلاح في الحرب (أي حرب ؟ من الذي حارب ؟!) . .

ألم يكن انسحاب إسرائيل مؤكداً في ١٩٥٦ . . ومحل شك كبير في ١٩٦٧ و ١٩٨٧ . . هل يمكن أن نلغي عقولنا ونقبل ادعاء خوف عبد الناصر على الضفة كمبرر لمنعه شن الحرب الشاملة على إسرائيل في المرة الوحيدة التي كانت عوامل النصر أكثر من عوامل الهزيمة ؟!

وانظر ما كتبه «ارسكين تشايلدز» في كتابه : « الطريق للسويس » تدرك خطورة الوضع على إسرائيل والولايات المتحدة وبريطانيا والنظام العراقي ، وفداحة ما ارتكبه عبد الناصر في حق مصر والعرب والمواجهة مع إسرائيل بقراره الذي أفرغ الموقف من كل عناصر الخطر قال تشايلدز :

« فالصورة الظاهرية للوضع ، تتمثل في أن إسرائيل قد أقحمت نفسها في هذه الحرب الصحراوية ودفعت إليها بالقسم الأكبر من قواتها كلها ، لتواجه دولة عربية واحدة لها حليفتان عربيتان أخريان ترتبط معها بالتزامات عسكرية ثابتة وهما سوريا والأردن ، بينما تقوم وراءهما دولة عربية ثالثة هي العراق لا تستطيع تحت تأثير شعبها الوقوف مكتوفة اليدين في أية حرب عربية إسرائيلية شاملة »[٢٤]

وهذا هو تأثير العلاقة المريبة مع المخابرات الأمريكية ، فلاشك أنها هي التي نصحت بتطويق « الأزمة » ولن نقول تحت تأثير أصدقاء إسرائيل في الـ CIA بل لأنه لم يكن من مصلحة الولايات المتحدة ، اتساع الحرب ودخول أطراف جديدة ، مما كان يحمل إمكانية جادة في انهيار النظام الاستعماري بأكمله في الشرق الأوسط . لو كانت علاقة عبد الناصر بالأمريكان علاقة سياسية مفتوحة ، حتى ولو كانت علاقة تحالف ، مثل إسرائيل ، لكان القرار في يده ، ولو كان ممثلوه مع الأمريكان ، هم الدبلوماسيون المصريون أو حتى من العاملين في المخابرات المصرية وليس المخابرات الأمريكية ، ما كان ليتخذ هذا القرار الصارخ الضرر بمصلحة مصر . . فليكفوا عن القول بأنه استخدم هذه العلاقة الشائنة لمصلحة مصر فقد كانت أولا لمصلحة أمريكا* . . وإسرائيل .

نعود لقائمة الانتصارات :

« إن جو السويس كان هو الاختبار الذي نجح ونضج فيه جيل الخمسينيات في العالم العربي ، جيل جمال عبد الناصر وأحمد بن بيلا وهواري بومدين وعبد السلام عارف

---

* ويلهث تابعه قفة فيلتقط تفسير « هيكل » ليدسه في كتابه . ومن ثم فلا حاجة للرد على الظل ، وقد أشبعنا سيده رداً . . ويكفينا أن التابع في تسجيل ملحمة عبد الناصر والعرب رأى ـ تأدباً ـ حذف إسرائيل وضمها إلى كتاب « خريف عبد الناصر » وهذا وحده يكفي لمن أراد الفهم .

وجماعات الضباط الوحدويين في سوريا والطلائع الملتزمة من حزب البعث العربي الاشتراكي في منطقة الهلال الخصيب ، وهو جيل كتب عليه أن يكون جسرا تمشي ـ وتدوس أحيانا ـ عليه أمة بأسرها من مرحلة إلى مرحلة في النضال . كان هذا هو الجيل الذي فتح الطريق تحت شعارات « الحرية والاشتراكية والوحدة » و « من المحيط إلى الخليج » و « بترول العرب للعرب » و « نصادق من يصادقنا ، ونعادي من يعادينا » و « نحن جزء من حركة الثورة الوطنية في العالم » إلى آخره إلى آخره (هو اللي بيقول إلى آخره وليس أنا . ج) وربما كان أقسى نقد يمكن توجيهه لهذا الجيل أنه كان يعرف ما لا يريد بوضوح ولكنه لم يكن يعرف ماذا يريد بنفس هذا الوضوح » إلى آخره إلى آخره وأنا الذي أقولها هذه المرة !

وليسمح لنا أن نضيف إلى قائمة جيل الخمسينيات : عبد الكريم قاسم الذي لا شك أن أثره في العراق ، وفي التاريخ العربي أكبر من أثر عبد السلام عارف الذي جاء وذهب وجاء وقتل ولا أحد اهتم بماذا يريد وماذا لا يريد . . وإن كان النظام المصري يحمل القسط الأكبر في مسئولية مصيره التعس وفشله ، ولا شك أنه كان يتفجر وطنية ، وإخلاصاً وتديناً ، والحمد لله الذي جعل « هيكل » يسجله في قائمة الشرف ، وقد كان هذا الهيكل شجى في حلق عبد السلام عارف في حياة هذا المسكين .

أما بن بيلا فلا شك في إخلاصه وحماسته وثوريته ، ولا شك أيضاً في أنه بدأ ثورته قبل السويس . . وتعلم مما يتلوه الناصريون في بابل ما فرق بينه وبين الشعب الجزائري ، فتمكن منه هواري بومدين ابن جيل الخمسينيات ، الذي استطاع بمساعدة مقالات هيكل الاستفزازية ، المتباكي اليوم على بومدين ، والمهاجم له يوم كان رئيس الجزائر ، المهم استطاع بومدين أن يحول الجزائر إلى أكبر قوة معادية لمصر وعبد الناصر ، وهو البلد الوحيد الذي ضرب فيه المصريون بعد هزيمة ١٩٦٧ واعتدى فيه على السفارة المصرية؟! . . وتحولت الجزائر من حلم وبهجة وأمل كل عربي ، بل ومن « أكمل نصر عربي حقاً » تحولت على يد الأصفر الحقود إلى شجى في حلق الأمة العربية ، ومصدر الفرقة والتزييف الدائم حتى اليوم في المغرب العربي !

أما جيل ضباط الوحدة في سوريا والطلائع الملتزمة في حزب البعث ، فحدث ولا حرج من الحريري إلى أمين الحافظ وصلاح جديد وياخوس والجندي ولا تنس كمال أمين ثابت . . وعلى صالح السعدي ونايف كذا . . والحبل على الجرار . .

أما أنه لم يجد لهذا الجيل ما يسجله له إلا الشعارات (باستثناء بن بيلا) فلا نناقش ، فقط نذكر المواطن العربي بما تحقق منها . . كل تلك الحريات التي يرفل فيها المواطن العربي والوطن العربي وكل الاشتراكية التي تغمر الأسواق العربية والتي تفوح من سيجار هيكل وبيوته الثلاثة في مدينة القاهرة كما ذكر للمحقق ، وخمس عربات تنتظر على بابه ! أما عن الوحدة من المحيط إلى الخليج فلا ينكرها إلا جاحد لفضل حرب السويس !

وقد ـ والله ـ احتار فينا الصديق والعدو ، ولم نجد عند الضيق صديقاً له قيمة يأخذ بيدنا أو يعطينا ربع ما يعطيه العدو لإسرائيل . . أما بترول العرب للعرب الذي لم يتحقق إلا بعد أن خفتت أصوات هذا الجيل وزالوا من على المسرح ، وتقلص ظلهم من الساحة العربية ، وتحقق على أية حال على يد « شيوخ » لا وجه للشبه بينهم وبين جيل الخمسينيات هذا . . !

إذا كانت هذه هي الانتصارات فأين الهزائم ؟

يقدم لنا هيكل قائمة أخرى من الانتصارات من طراز استطاعة « الاتحاد السوفيتي أن يحقق ويعلن تعادله مع أمريكا » . ويحتار الصراف أين يصرف هذا الانتصار بالعملة المصرية ، خاصة وقد أضاف تفسير هيكل حيرة إلى الحيرة إذ قال وهي « التي فتحت باب الوفاق » ! فهل كان الوفاق لصالحنا ؟!

ويصر على أن يسجل علينا في قائمة الانتصارات : «انقسام العالم بين روسيا وأمريكا ، وقرار فرنسا والصين بناء قوة نووية مستقلة ، وتحول بريطانيا وفرنسا إلى دولة من الدرجة الثانية ، وسقوط الجمهورية الفرنسية الرابعة ، وتدعيم الاتجاه نحو السوق الأوروبية ، وتحرير المستعمرات في أفريقيا وأمريكا اللاتينية وظهور لومومبا ونكروما ونيريري (؟! ج) وفيدل كاسترو ، وأن السويس كانت آخر صراع شارك فيه العمالقة « في ميدان القتال كان هناك جمال عبد الناصر من ناحية ، وعلى الناحية الأخرى دافيد بن جوريون ، وأنطوني ايدن وجي موليه » وطبعاً لا أحد يقول إن« جي موليه » كان عملاقاً ، ولا أحد يذكر اسمه الآن إلا بالعدوان على مصر . . وايدن سماه عبد الناصر « الخرع » فمن أين جاءته العملقة ؟!

كلام وحذلقة وخلي يتفكه بآلام الشجي المصري !

على أية حال هذه لم تكن سوى المقدمة . . والكتاب في ثلاثمائة صفحة ! ويبدأ الفصل الأول بالحديث عن إسرائيل ، وهو ما نحمده له ، فهي حقاً جوهر القضية ، ولب المعركة . . ويقرر لنا أن « شركاء الحرب ضد مصر في سنة ١٩٥٦ كانوا أربعة ولم يكونوا ثلاثة كما هو شائع في تعبير العدوان الثلاثي »[٢٥] .

الله أعلم بعدتهم ! والله على الذي حاول إخفاء الشريك الرابع عشرين سنة . . وأطلق على الحرب اسم « العدوان الثلاثي » وغنى له « ٣ دول متقدمة يابور سعيد . . » الخ والشريك الرابع الذي يكشف عنه هيكل الستار ، هو أمريكا بالطبع ، الذي يؤكد لنا أنها : « سارت شوطاً على طريق السويس ، ثم تخلت عنه إلى طرق أخرى ظنتها أسرع نفاذاً إلى القاهرة » وهذا هو الخلط حقاً . . خلط نتائج صحيحة بمقدمات خاطئة ، ومقدمات معروفة بنتائج مزورة ، وسنشرح ذلك بالتفصيل ، فالولايات المتحدة كانت نافذة إلى القاهرة . . ولكن بغير هذه الصيغة السوقية المضللة ، والحق أن « هيكل » لا يقدم جديداً فاتهام أمريكا بالمساهمة في العدوان الثلاثي وحلف بغداد وجميع المؤامرات ضد السلطة المصرية في تلك

الفترة مطروح في الإعلام الناصري بوضوح منذ عام ١٩٥٧ وبشكل متقطع ومتحفظ أحياناً قبل ذلك وبالذات منذ ١٩٥٥ .

يقول : « كانت إسرائيل أمام الجميع على طريق السويس بحكم اهتمامها الذي لا يدانيه اهتمام بكل ما يجري في مصر » .

وهذا صحيح ألفاً في المائة . . والكارثة أنهم يعرفون ، وإن كنت تدري فالمصيبة أعظم . ألم يكن الواجب ولو من باب المجاملة أن نهتم بمن يهتم بنا ؟!

وسنؤجل حديث « الاهتمام » وإنما نكتفي حالياً بذكر عدة نصوص :

« كان لدى المخابرات المصرية تقرير من تقدير المخابرات البريطانية جاء به : « ليس لدى مصر أية نية في الاعتداء على إسرائيل ، وأنها ليست مستعدة لذلك بخلاف موقف إسرائيل واستعدادها »[٢٦] .

في سنة ١٩٥٥ وبعد ما قطع بن جوريون عزلته في مستعمرة سدبوكر بالنقب ليعد العدة لضرب مصر الضربة القاتلة . . يقول هيكل : « كان عبد الناصر يقول إنه لا يشغل نفسه بإسرائيل ، وإنما يركز على التنمية الداخلية في مصر وأنه لذلك خفض ميزانية القوات المسلحة بخمسة ملايين جنيه عن السنة الماضية ، لاعتقاده ـ كما قال عبد الناصر نفسه ـ أن إسرائيل ليست خطراً على مصر إلا لأن مصر ضعيفة اقتصادياً واجتماعياً »[١٠٢]

فالرئيس عبد الناصر :

١ ـ لا يشغل نفسه بإسرائيل .

٢ ـ لا يفكر في مواجهة عسكرية معها ، لا ابتداء من جانبه ، ولا حتى في احتمال أن « تجن » هي وتهاجمه ولذلك بدأ يضعف قدرة مصر العسكرية بخفض ميزانية القوات المسلحة ، وسيحدث هذا ـ للمصادفة ـ مرة أخرى في نفس السنة السابقة على حرب ١٩٦٧ وسيلغي بند بناء الدشم التي تحمي الطائرات المصرية لتوفير النفقات اللازمة للحرب في اليمن* . . !

٣ ـ ونحن نعرف أن الزعيم الخالد لم يصمد طويلاً على هذا التصور ، وهو الرغيف قبل المدفع ، أو المصنع قبل الدبابة ، لأنه بعد قليل من ذلك الإعلان والخفض في ميزانية التسلح ، عقد صفقة السلاح السوفيتي التي قدرت الدفعة الأولى منها بستين ضعف ما خفضه لزيادة التنمية الاقتصادية والاجتماعية . . ومع ذلك فنحن نعتقد كما سنثبت أن صفقة السلاح الروسي كانت تهرباً من المواجهة وليست سعياً لها . . المهم أن القيادة الجديدة لمصر جاءت إلى السلطة وهي غير منشغلة بإسرائيل واستمرت على عدم شغل البال هذا حتى

---

* حكومة ما قبل الثورة اعتمدت ٥٢ مليون جنيه للتسلح .

قذفتها إسرائيل بالقارعة تلو القارعة . . فقررت أن تشغلنا بإسرائيل بدلا من أن تنشغل هي بإسرائيل . .

في ١٩٥٥ قال « محمود فوزي » الذي يسيء إليه هيكل بالثناء عليه ، ولا ندري لماذا ؟ . . قال فوزي لسلوين لويد « ما من حكومة مصرية سيصل بها الجنون يوماً إلى حد شن هجوم مسلح على إسرائيل » .

بعد الشر عليكم من الجنون . . والمجنون راح والحمد لله . .

ويقدم لنا هيكل خطة مصر ضد إسرائيل . . آسف هذه لا وجود لها . . أقصد يقدم لنا خطة إسرائيل ضد مصر ، التي كانت تتوقع أن تستمر مصر ، قائدة العالم العربي والوحيدة القادرة على شن هجوم عليها إلى نهاية هذا القرن .

ونقرأ الخطة ونحتار هل كانوا فعلاً يعرفون ذلك ففعلوا كل ما يؤدي إلى تحقيق خطة إسرائيل ؟ . .

فهذه خطة إسرائيل وأهدافها بالنسبة لمصر كما أوردها فيلسوف الناصرية وصوتها الداوي :

١ - إبقاء مصر ضعيفة متخلفة غير قادرة على إقامة البناء الاقتصادي الزراعي والصناعي المتطور ، وباختصار أن يظل الإنسان المصري كياناً مقهوراً مطحوناً عليلاً غائباً عن الوجود الحضاري بكل قيمه ، تماماً كتلك الصورة التي رسمتها جولدا ماثير في كتابها حياتي الذي وصفت فيه الناس داخل محطة سكة حديد القاهرة حين وصلت إليها في العشرينيات في طريقها إلى فلسطين . . أكوام من اللحم والعظم المغطى بالتراب والذباب » .

أليست هي جولدا ماثير التي زعمت الرواية المصرية أنها قالت عن مصر الناصرية : « لما يتعلموا يركبوا الأتوبيس نبدأ نخاف منهم » هل كانت حالة مصر عند وفاة عبد الناصر أفضل بكثير منها قبل ثلاثين سنة . . هل كانت أكوام اللحم داخل وخارج وعلى سلم وفوق سطح الأتوبيس أفضل ؟ هل تقدمنا بانتقال أكوام اللحم من المحطة إلى سطوح القطارات تحصدها أعمدة الكباري وتلقيها على جانبي القطار للذباب ؟! هل كانت القاهرة في العشرينيات كما تركها عبد الناصر « أقذر » عاصمة في العالم العربي ؟! هل مرت فترة كان فيها المصري كياناً مطحوناً عليلاً غائباً عن الوجود الحضاري بكل قيمه مثلما أصبح في الفترة التي مرت به من ١٩٥٢ إلى ١٩٦٦ . . ؟!

٢ - « إبقاء مصر معزولة عن بقية العالم العربي . . »

وهي عناوين وضعنا فيها مؤلفات ، ولكن يكفي أن نقدم صورة لوضع مصر والعالم العربي في عدوان ١٩٦٧ .

كانت مصر قد انسحبت من مؤتمر القمة العربي لأنه « أصبح مظلة للرجعية العربية » وانسحبت من مؤتمر القمة الأفريقي « بعد أن تأكد لها أن استمرار حضورها أصبح غير ذي

فائدة »[27] وأعلن عبد الناصر أن القوات المصرية باقية في اليمن ، ووصل الخلاف مع السعودية إلى ذروته ، وعشية هجوم إسرائيل كان عبد الناصر يسب الملك فيصل في « القاعدة العسكرية المتقدمة » في سيناء ويطالبه بأن يطلب من صديقه شاه إيران . . الخ .

وعندما وصل الملك حسين إلى القاهرة في ١٩٦٧/٥/٣٠ كانت علاقاته متدهورة مع مصر[112] إلى حد أن داعبه عبد الناصر بقوله « ما رأيك لو قمنا باعتقالك » ؟

وكانت هناك أزمة حدود مع السودان بسبب حلايب ، أوشك الجيش المصري أن يتدخل فيها كما صرح زكريا محيي الدين وذلك في الأسبوع الأول من مايو ١٩٦٧ !! والعلاقات مقطوعة مع تونس وفي أسوأ حالاتها مع المغرب بعد أن حاربناها من أجل الجزائر ورفعنا شعار الحسن والحسين . . الخ ثم خاصمنا الجزائر من أجل بن بيلا .

هذا بعض من فيض يؤكد أن هدف إسرائيل رقم ٢ في خطة هيكل ، قد تحقق ربما بما يفوق أحلامها !

يقول : « كانت إسرائيل تريد أن تظل اهتمامات القاهرة متجهة إلى الخرطوم في الجنوب على أقصى تقدير تحت ضغوط وادي النيل أو أوهام وحدة التاج بين مصر والسودان ، وفي نفس الوقت تبقى صحراء سيناء عازلاً يفصل ما بين المشرق العربي في آسيا والمغرب العربي في أفريقيا ، كان لابد للصحراء العازلة أن تكون فراغاً من أي قوة ، ومنذ ذلك الوقت المبكر اتخذت الاستراتيجية الإسرائيلية من صحراء سيناء مقياساً للأمن والخطر ، إذا كانت **الصحراء** فارغة من مظاهر القوة فهو الأمن ، وإذا امتلأت **الصحراء** فهو الخطر » .

الحروف السوداء من عندي وهي لإبراز أنه في أقل من ستة سطور وصف سيناء بالصحراء خمس مرات ، لم يخطىء مرة واحدة ويقول « سيناء » وهي المحافظة الوحيدة في مصر التي تضم البحر والجبل والخليج .

نناقش هذا الافتراء . .

١ ـ هل صحيح كانت مصر تنحصر اهتماماتها في الاتجاه للخرطوم ؟ . . ومن الذي أنشأ الجامعة العربية ؟! وهل قدم النظام الناصري مؤسسة أو صيغة للعمل أكثر عروبة وأفضل نتائج من الجامعة العربية ؟! ما هي ؟!

الجمهورية العربية المتحدة ؟ . . التي قصفت في عمر الورود وأخرت قضية الوحدة إلى نهاية هذا الجيل على الأقل . . وأصابت التضامن العربي بأمراض لم يشف منها إلى الآن ؟! أما سخرية هيكل من وحدة مصر والسودان فتلك قصة أخرى ، والحديث ذو شجون سنتلو عليكم نبأها في فصول أخرى ويكفي أن نقول هنا إنه يوم صدور مراسيم إعلان وحدة مصر والسودان تحت التاج المشترك التي هزت قلب كل مصري من الأعماق . . كان هيكل هو الوحيد الذي هاجمها في منزل مندوب المخابرات الأمريكية ، وهاجم الدور المصري في السودان ، وقال « إن السودان لا يكسب شيئاً من علاقته بمصر بل هو يخسر ومصر تكسب »

حتى تعجب السفير الأمريكي ، ونقل دهشته لحكومته ، أن يصدر هذا عن مصري حتى ولو كان هيكل ![١٢]

هل صحيح كانت إسرائيل تريد وحدة وادي النيل ، لننشغل بها عن الوحدة العربية ولكي تبقى « صحراء » سيناء فارغة من القوة ؟!

لماذا تصرفنا وحدة وادي النيل عن العمل العربي ؟ بالعكس إنها تعطي مصر عمقاً طبيعياً يجعلها أقوى في مواجهة إسرائيل وأكثر قدرة استراتيجياً ، ويلقي عليها مسئولية أكبر ، وتقديراً أكبر لأهمية العمل العربي ودورها القيادي فيه ، ويجعل لهذا الدور قبولا أكثر وحجة أقوى . ويجذب إلى ساحة العمل العربي في الشمال ، طاقات السودانيين البكر ، ورجولتهم ، ونقاءهم وحماستهم ، وإيمانهم القومي والديني . ويحقن دم العروبة في شرايين الوجود الأفريقي . .

وتخيل دولة وادي النيل جذورها في قلب أفريقيا وفروعها ممتدة من خليج العقبة إلى ليبيا ومن العريش إلى السلوم على البحر الأبيض وتسيطر على ساحل البحر الأحمر الشرقى كله تقريبا وتضم مايقرب من مائة مليون ورقعة زراعية أكثر من ٢٠٠ مليون فدان . .

تخيل أن هذا ما كانت تتمناه إسرائيل لمصر لكي تشغلنا عن التعاون مع جورج حبش وعلي صالح السعدي ؟! ولكي نحرم من حوار مباحثات الوحدة الثلاثية ؟!

إن أول خطوة لعلاج التدهور الثقافي في مصر هو تشكيل لجنة تقصي حقائق لبحث التكوين العقلي لقراء هيكل* !

على أية حال ، الحمد لله الذي اختص بالحمد على المكروه ، فشل كيد بني إسرائيل وانصرفت اهتمامات القاهرة عن الخرطوم ، وتحررنا من « ضغوط وادي النيل » وهي من باب « صاحت العتاريف وحبظلم » . . إذ لا أحد يفهم ماذا يعني بضغوط وادي النيل ، وكأنها غازات والعياذ بالله !

وزالت أوهام وحدة مصر والسودان مع زوال التاج المشترك .

فماذا تحقق ؟!

هل ملأنا « صحراء » سيناء بالقوة ؟

هل زال وضع « الصحراء » كعازل بين آسيا وأفريقيا ؟!

ما الذي اتخذته الناصرية من إجراءات للقضاء على هذا العازل ؟!

كم عدد المستوطنات التي أقامتها مصر في سيناء من ١٩٥٢ إلى ١٩٦٧ ؟

كم عدد السكان الذين نقلتهم إلى هناك ؟!

كم مدينة جديدة بنتها . . كم من المطارات المدنية وخطوط الطيران التي كانت تطير من

---

* بل لقد كتب هيكل أكثر مما كتب المثقفون العرب مجتمعين . . فهل له مقال واحد حول أهمية وأسلوب تعمير سيناء ؟ نتمنى أن يدلنا أحد . .

العريش لعمان ولبنان والرياض وكم عدد الخطوط البحرية بين شرم الشيخ وبور سودان وجدة والعقبة ؟! ما الروابط التي أقامتها مصر في سيناء لتربط بين المشرق العربي والمغرب الأفريقي عبر « الصحراء » ؟!

ما العازل ؟ وإلا : « إنشا ورص كلام » كما كانت تقول أغنية أعياد النصر ؟!

وكيف يبقى العازل وكيف يزول ؟!

إسرائيل عندما أرادت أن تزيل سيناء كعازل فعلت الآتي :

١ ـ أقامت خط بارليف لكي لا يعبر المصريون من أفريقيا إلى آسيا فهل أقمنا خطاً مماثلاً عند حدود إسرائيل مع سيناء أم وضعنا البوليس الدولي ؟!

٢ ـ فتحت الحدود بين إسرائيل وسيناء فأصبح اليهودي يتنقل من تل أبيب إلى شرم الشيخ والعريش بلا إذن مرور .

فهل ألغت الثورة هذا . . أم حتى يونية ١٩٦٧ كان المصري يدخل سيناء بترخيص خاص وكان الجمرك عند « حدود مصر » أي قناة السويس !! وحتى مايو ١٩٦٧ قامت أزمة كبرى مع أهالي سيناء لأن الحكومة طالبتهم ببطاقات شخصية للنساء وهو ضد تقاليدهم ، وإلا منعوا من عبور القناة و « دخول مصر » ! ألم تكن لسيناء إدارة خاصة في جاردن سيتي تصدر إذن الدخول للمصريين ؟!

٣ ـ أقامت إسرائيل المستوطنات وأسكنت فيها اليهود فهل فعلنا ذلك ؟ أم صرفنا انتباه المصريين عن سكنى سيناء باختراع أوهام تصرف نظر المصريين تماماً عن سيناء لكي تبقى فارغة حضارياً وبشرياً في انتظار « الموعود » ومنذ العشرينيات أو الثلاثينيات والمصريون واللبنانيون والسوريون يصرخون : عمروا سيناء ، عمروا جنوب لبنان . . عمروا الجولان لكي لا تأخذها إسرائيل « أرضاً بلا سكان » ولكن حكومات ما قبل يوليو كانت مشلولة الإرادة بفعل ثمانين ألف عسكري أجنبي . . أما حكومة الثورة فمرة تخرج علينا بمديرية التحرير ، ومرة تصرعنا بالوادي الجديد وأن به نهراً يضرب نهر النيل على عينه . . كل هذا لحرف الأنظار عن أهمية وإمكانية سكنى سيناء وتعميرها وهو ما أثبت اليهود أنه ممكن وأن الماء متوافر والإنتاج سهل ومربح .

من الذي أبقى سيناء خالية وحاجزاً . . وهل يمكن أن تكون « الصحراء » إلا خالية وحاجزاً ؟ هل وضع مليون عسكري فيها يلغي الحاجز ؟! اقرأ مايكتبه اليهود على اختلافهم من غزل ومعرفة بكل حجر في سيناء . . وقارن هذا بإصرارك على أنها « صحراء » وماكتبته بيمينك أنت وصبيتك على أنها « عبء »[١٣]

٤ـ إسرائيل أقامت الفنادق والشركات السياحية ، والمصايف والمشاتي في سيناء . . فهل فعلنا ذلك ؟ إسرائيل ربطت سيناء بشبكة مواصلات إسرائيل البرية والجوية والبحرية فهل فعلنا ذلك ؟

إسرائيل درست ودرست تاريخ سيناء وجغرافيتها ، ووضعت لها أسماء مزورة حتى « تيران » اكتشف بن جوريون عشية غزوها في عام ١٩٥٦ وهو في الطائرة المتجهة إلى باريس لتنظيم العدوان الثلاثي ، اكتشف أنها كانت مقر مملكة يهودية في القرن الخامس الميلادي اسمها « يوتفات » والثعلب فات فات !! وأنت لاتكف عن نعتها بالصحراء . . ومن يهتم بالصحراء ؟!

من الذي قال إن امتلاء سيناء بالقوة يعني الحشد العسكري الذي سرعان مايتبخر عند أول هزيمة . . وتبقى « الصحراء » وحدها لاتجد من يحميها . . لو كانت الثورة أسكنت ثلاثة ملايين مصري في سيناء ـ وهو هدف ممكن جداً ـ لاستحال على إسرائيل غزوها أو البقاء فيها آمنة مايقرب من ١٥ سنة ؟!

نتابع خطة إسرائيل تأليف محمد حسنين هيكل :

ـ يقول إن إسرائيل كانت تفضل أن تبقى مصر في دائرة النفوذ الغربي « وكان المكروه باستمرار أن تكون لمصر صداقات دولية خاصة ، وبالذات مع القوى العظمى البارزة ، وفي وقت من الأوقات خشيت إسرائيل من صداقة خاصة بين مصر والولايات المتحدة ، ولكنها لم تلبث أن اطمأنت بفهمها أن مثل ذلك ضد حركة التاريخ في المستقبل المرئي على الأقل ، ثم تحولت خشية إسرائيل إلى صداقة خاصة بين مصر والاتحاد السوفيتي » .

أما أن إسرائيل كانت تخشى أن تقوم صداقة بين مصر والولايات المتحدة ، أو بمعنى أدق علاقة خاصة بين مصر وأمريكا فهذا صحيح . . أما أنها حضرت أرواح التاريخ ورأت أن ذلك ضد حركة التاريخ ، فهو تضليل ، بل عملت بجهد خارق في الولايات المتحدة ، وعلى الحدود ، وفي شوارع القاهرة والأسكندرية (عملية لافون مثلا) وفي جهاز الحكم المصري ، كما ستكشف الأيام ، لنسف هذه الإمكانية .

أما أن إسرائيل كانت تخشى قيام صداقة خاصة بين مصر والاتحاد السوفيتي ، فهذا صحيح شرط أن نحدد معنى « خاصة » أما الصداقة التي قامت في ظل الناصرية بين مصر وروسيا فهي عين وصميم ماأرادته إسرائيل وسنشرح ذلك بالتفصيل في موضعه . .

ثم يروي لنا قصة دارت بينه وبين « انورين بيفان » النجم الساطع في حزب العمال البريطاني (غير عملية النجم الساطع التي قام بها الجيش الأمريكي بالاشتراك مع القوات المصرية ج !!) والسردار بنكارسفير الهند وقتها .

وهي قصة مريبة تثير علامات استفهام غريبة ، فهو يقول إنه قضى ليلة كاملة في السفارة يحاول إقناع بيفان بأن ينصح الإسرائيليين بالاهتمام بما يجري في مصر !!!

حتى ضاق بيفان به ذرعاً (وهذا نص كلمات هيكل ، ويكاد المريب يقول خذوني) « وراح بيفان » أمام « بانيكار » يسألني باستفزاز : « لماذا تريدهم هناك في إسرائيل أن يحسبوا حساباً لما جرى هنا . لست أرى أمامي هنا في مصر ثورة ، ماأراه هو واجهة ثورة ، وليس

مضمون ثورة ، وهذه هي البيانات الصادرة عن النظام الجديد ، وهذه وثائقه أمامنا فأرني فيها أية اتجاهات ثورية تخيف عدواً أو تثير ـ بجد ـ اهتمام صديق »[٢٨]
بحروفه .

لماذا قضى هيكل ليلة كاملة في السفارة الهندية يحاول إقناع من وصفه هو بأنه « كانت صداقته مع دافيد بن جوريون وثيقة » . . لماذا كان يحاول إقناعه بأن ماجرى في مصر يشكل خطورة ، أو مصلحة لإسرائيل ، ومن ثم يجب أن تهتم إسرائيل بذلك وتحسب حسابه ؟! لماذا ؟ ولمصلحة من ؟ . . وخوفاً على من ؟ . . أو خوفاً على ماذا ؟ كان يخشى أن تهمل إسرائيل شأن مايجري في مصر ؟! . . فتضيع الفرصة ؟!

الوطني العادي يدعو الله أن يعمي عين إسرائيل حتى يتم أمره !

تفسير واحد ، هو أنه كان مكلفاً أو متطوعاً بإغراء بيفان صديق إسرائيل بأن يبلغهم بأن صفحة جديدة قد فتحت في مصر ، يمكن أن تقوم معها علاقات جديدة حتى ينشغل البلدان « في التنمية والعدالة الاجتماعية » ؟!

أم هل يمكن تقديم تفسير آخر ؟!

وهنا يطرح هيكل واقعة وقفنا طويلاً أمامها ونحن نحاول أن نفهم ماذا يقصد من إثارة الغموض والحيرة إن لم نقل الفزع حول تاريخ الزعيم الخالد في حرب فلسطين * . . فهو يقول : إن بن جوريون بدأ يطلب معلومات عن عبد الناصر ، فتقدم إليه اثنان في إسرائيل كلاهما قابل جمال عبد الناصر على نحو أو آخر » . .

لماذا هذا التعبير بالذات « على نحو أو آخر » ؟! لماذا ؟! ما النحو . . وما الصرف . . أو وما الآخر ؟!

« أولهما ضابط مخابرات إسرائيلي اسمه « يوريهان كوهين » والثاني ضابط إسرائيلي كبير أصبح الآن نائباً لرئيس وزراء إسرائيل ووزيراً للخارجية وهو ايجال آلون » .

وقال إن ضابط المخابرات « يوريهان كوهين » اتصل عدة مرات بعبد الناصر الذي لفت نظره (أي لفت نظر المخابراتي اليهودي ج) خصوصا عندما سأله عبد الناصر في أثناء استراحة للجنة الاتصال عن « الأساليب التي استعملتها الجماعات الإسرائيلية المقاتلة ضد الانجليز في فلسطين ما بين نهاية ١٩٤٦ ومنتصف سنة ١٩٤٨ »[٢٩] .

وإيراد الرواية بهذا الشكل يوحي ، أو يقصد بها أن توحي بأن الجو صار من نوعية خاصة بين جمال عبد الناصر « أركان حرب الكتيبة السادسة المشاة المتمركزة ما بين عراق المنشية والفالوجا في حرب فلسطين ١٩٤٨ » وبين ضابط المخابرات الإسرائيلي ، إلى درجة نسيان

---

* الحقيقة أنها لم تعد غامضة تماماً الآن ، إذا ما استرجعنا انهيار علاقته بالزعيم قبل وفاته وتربص كل منهما بالآخر .

نفسية القتال ، وظروف اللقاء ، والحديث في القضية الوطنية ثم طلب الخبرة الإسرائيلية في مقاومة العدو « المشترك » . . الاستعمار البريطاني . . إذ لا يعقل أن أركان حرب العدو المحاصر سيستوقف ضابط مخابرات العدو قائلاً : « تسمح من فضلك كنتم بتحاربوا الانجليز ازاي ؟! » . . لابد من تعارف وحديث وانفتاح ومصارحة حتى يصل الأمر إلى طلب عبد الناصر نصيحة المخابرات الإسرائيلية في تنظيم إخراج الانجليز . . !! وهذه خبرة لا تقال على فنجان قهوة في استراحة ما بين جلسات المفاوضات . .

ولا تقتصر رواية هيكل على هذا اللقاء ما بين عراق المنشية والفالوجا أي في منطقة القتال أو الأرض الحرام ، بل يؤكد لنا هيكل أن عبد الناصر وكوهين التقيا مرة ثانية « داخل إسرائيل » حيث قضى عبد الناصر ليلة كاملة بنهارها أو بنص تعبيره « ٢٤ ساعة في الأرض المحتلة من النقب » . .

والسبب أن عبد الناصر ذهب إلى هناك ليرشد اليهود إلى مقبرة كانت قواته في الحرب قد دفنت فيها أكثر من أربعمائة وخمسين جثة .

على أن رواية هيكل القصة على هذا النحو لا يمكن أن تكون بريئة القصد ، إذ أنها تثير أكثر من سؤال . . فما دخل رئيس الأركان في المقابر ؟ هل دفن عبد الناصر الأربعمائة وخمسين قتيلاً وحده ؟! ألم يشاركه فيها ضابط برتبة صغيرة أو صول . . حتى لا يعرف أحد المكان غيره فيذهب بعد سنتين ليرشد اليهود عنه ؟! حتى لو أضاف هيكل أنه « ذهب بتكليف من قيادة الجيش المصري » . .

المهم أنه من « محاسن الصدف » أن يجد عبد الناصر نفس الضابط « يوريهان كوهين » في انتظاره ويمضيان ٢٤ ساعة كاملة داخل إسرائيل . . ؟!

ولم يضف هيكل شيئاً عما جرى من حوار في تلك الليلة ، لعله احتفظ به ضمن أوراقه التي قال إنها محفوظة خارج مصر* . . وهذا هو « النحو » الذي عرف فيه كوهين عبد الناصر أما « النحو الآخر » عن لقاء ايجال آلون فلم يذكر عنه شيئا[١٤] . . !

ويختم حديثه هذا بقوله : « وكان بن جوريون على استعداد لأن يسمع كل من يستطيع أن يضيف إلى معلوماته شيئاً عن جمال عبد الناصر » ثم سطرين نقط ؟!

ولا حاجة للنقط والغموض . . فحتى لو حكم مصر محمد حسنين هيكل أو جمال سليم لكان على رئيس وزراء إسرائيل أن يسمع عنه كل شيء فهذا ليس الدليل على أهمية عبد الناصر ولا أهمية الثورة ، فتلك قضية لا تحتاج لشهادة بن جوريون ، ولكنه دليل أهمية

---

* ربما يستخدمها لتهديد عائلة عبد الناصر مقابل وثائق عند هذه العائلة ضده . . على أية حال لقد عقدنا فصلاً خاصاً حول علاقة عبد الناصر بإسرائيل في موضع آخر من هذا الكتاب بعد الوثائق الجديدة التي نشرت .

مصر ، ودليل يقظة وتنبه الحكم في إسرائيل . . ولا ينتقص من أهمية إسرائيل أن حكام مصر كانوا عنها في شغل بسماع كل ما يمكن أن يضيف إلى معلوماتهم شيئاً عن فؤاد سراج الدين أو تنظيم الإخوان السري ، أو محمد نجيب ؟! ثم نوري السعيد وشمعون . . الخ . .

بن جوريون أو ب . ج ـ كما يسميه الكاتب الظريف ويعرفنا أنه اختصار اسمه ـ كان يعيش في « هم » مصر ٢٤ ساعة وهو خارج الحكم حتى أنه « حول مستعمرة « سدبوكر » إلى مركز قيادة عليا سياسية وعسكرية . . » بينما يورد هيكل بالمقابل النص الذي أشرنا إليه من قبل على لسان عبد الناصر الذي يقول فيه : « إنه لا يشغل نفسه بإسرائيل » ! . . ثم يكرر « مع سنة ١٩٥٤ كان بن جوريون ووراءه القيادة السياسية والعسكرية في إسرائيل مشغولين بجمال عبد الناصر قبل أية ظاهرة أخرى في المنطقة » .

صادق !

كل القيادة السياسية والعسكرية في إسرائيل لا تنام الليل من التفكير في عبد الناصر وبالمقابل لا أحد يفكر في بن جوريون أو إسرائيل وبالذات في عام ١٩٥٤ العام الحافل بالإنجازات الثورية . .

فماذا كانت النتيجة . . ؟

للأسف . . إنها معروفة لأنها حدثت . .

يقول هيكل :

« في سنة ١٩٥٤ كان بن جوريون في مستعمرة سدبوكر ـ لا يزال يمطر رئيس الوزراء موسى شاريت بالمذكرات المكتوبة يسأله : « هل اتخذت الحكومة الإسرائيلية كل الاحتياطات الواجبة عليها إزاء مثل هذا التطور (جلاء الجيش البريطاني عن مصر . ج) .

هل عرفنا ما الأشياء ؟ . . أسلحة ومعدات ومخزون عسكري ، التي تركها البريطانيون في القاعدة . . هل أخذت بريطانيا تعهدات كافية لحرية ملاحة إسرائيل » الخ الخ . .

في الحقيقة كانت سنة ١٩٥٤ حاسمة في إسرائيل ، وكان الخلاف في القيادة بين بن جوريون وتيار الصقور من ناحية وبين موشي شاريت وتيار الحمائم كما يسمونهم : بين بن جوريون وشاريت ، وبين لافون وموشي ديان ولكنه كان خلافاً على مصر والعرب . . ولجأ بن جوريون إلى عزلته ليعد العدة لتطهير إسرائيل من أمراض وأوهام الطفولة ، جماعة الحالمين بالتعايش مع العرب ، والعاطفين على الاتحاد السوفيتي وحركة السلام . . تأكيد وحدة إسرائيل والقضاء على إية امكانية للانقسام قبل سحق قوة العرب العسكرية واستئصال حتى مجرد طموحهم في مقاتلة إسرائيل . . ولم تتم هذه التصفية بالمعتقلات والسجون بل بتصعيد المواجهة مع العرب ، وخاصة مصر ، لأن الوحدة الوطنية لا تتحقق إلا في مواجهة العدو الوطني . . وفي هذا الوقت ألف مناحيم بيجين كتابه الذي قال فيه : « في إسرائيل لا يوجد عمال ولا رأسماليون بل وطنيون فقط » .

لقد استطاع بن جوريون في الفترة من يناير ١٩٥٤ ـ عندما اعتزل الحكم إلى فبراير ١٩٥٥ عندما عاد بدرجة وزير دفاع وهو مؤسس إسرائيل ، ولكنه لم يهتم بالألقاب والأقدمية ، التي كانت الشغل الشاغل لمجلس الثورة . . استطاع أن يضع استراتيجية الامبراطورية الإسرائيلية التي نفذت خلال الثلاثين عاماً التالية .

ترى ما الاهتمامات المقابلة للقيادة المصرية في عام ١٩٥٤ . . نسمع شهادة بغدادي :

بدأ عام ١٩٥٤ والخلاف على أشده بين محمد نجيب وجمال عبد الناصر ، بعدما حلت الأحزاب وقبض على القيادات السياسية المدنية وألغي الدستور . .

يختتم بغدادي تاريخه لعام ١٩٥٣ بتقرير أن سياسة جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر « قد أدت إلى إفساد الجيش مما ترتب عليه نتائج وخيمة عسكرية وسياسية مما سيتضح للقارىء من خلال هذه المذكرات »[٣٠] .

وهذا بالطبع نتيجة وسبب « لعدم الانشغال بإسرائيل » . . وانشغلت القيادة المصرية في صراع مصيري ، على السلطة فيما بينها ، وفيما بينها وبين بقية القوى السياسية المصرية وكانت المؤامرات على جميع المستويات .

« جمال عبد الناصر تكلم مع هيكل وأحمد أبو الفتح ، وطلب منهما عدم نشر أحاديث وصور محمد نجيب . وأنور السادات لمح هو الآخر إلى « أحمد الصاوي محمد » بجريدة « الأهرام » وسأل بغدادي عن مدى علم مصطفى أمين وعلي أمين بذلك الأمر « فأبلغني جمال عبد الناصر أن هيكل أبلغهما ، وأنه ـ أي جمال ـ يثق بهما »[٣١] .

وكان محمد نجيب لا يزال رئيس الجمهورية الشرعي . . !

« وفي اليوم التالي لهذا الحديث مع جمال (عبد الناصر) كنت أتحدث مع زكريا وحسين الشافعي عن هذا الخلاف الذي بدأ يستفحل وهذا الهجوم السافر على صفحات الجرائد وأن ذلك له ضرره ولا يحقق مصلحة لأحد (لماذا لم يقل ذلك لعبد الناصر نفسه في اليوم السابق ج ؟) فعلق زكريا على ذلك بقوله : إنه التنافس على السلطة Power ولكنهما استاءا معي لما علما بموضوع حديث جمال مع الصحفيين » .

ومن تسجيل البغدادي نفسه نكشف موقفه المنافق ، فليس في ما أورده عن جلسته مع جمال عبد الناصر ما يوحي بأي استياء ، أو اعتراض ، بل بالعكس أراد إكمال حلقة الحصار الإعلامي حول محمد نجيب فسأل وماذا عن مصطفى أمين وعلي أمين . . هل أخبرهما أحد ؟ فطمأنه عبد الناصر « إنه معمول حسابهما » !

« اقترح جمال عبد الناصر عقد اجتماع من وراء ظهر محمد نجيب » وكان واضحاً أن الهدف هو أن يصبح اجتماع يوم الأحد (الاجتماع الرسمي لمجلس الثورة ج) ما هو إلا اجتماع صوري فقط ، حتى يمكن شل وعزل محمد نجيب ويصبح وكأنه في جانب والمجلس في جانب آخر » وتحمس جمال سالم وكان الأمر قد بيت بليل واقترح تفويض عبد الناصر في اتخاذ

القرارات نيابة عن المجلس ، أي قبل تفويض مجلس الأمة الشهير بـ ١٣ سنة ! . . على أن يأخذ موافقة الأعضاء تليفونياً .

« اجتمع مجلس الثورة لبحث كيف يمكن مقاومة الإخوان المسلمين والقضاء على جماعتهم » « ورؤي تركهم لزيادة الانشقاق بينهم » فهذه « هي الوسيلة لإضعافهم وتفكيك صفوفهم » و « كان قرارنا هو العمل على زيادة الانشقاق الموجود بينهم والعمل أيضاً على زعزعة ثقة من يتبعهم في أشخاص قياداتهم »* .

ثم تقرر « حل الإخوان واعتقال مرشدهم وما يربو على ٤٥٠ معتقلاً** ، وفصل بعض الطلبة والموظفين المنضمين للجمعية وكان قد أحيل ضباط البوليس المنتسبون إليها إلى المعاش وكذا تم اعتقالهم » .

وكانت جماعة الإخوان هي آخر تنظيم سياسي يحل ويعتقل أعضاؤه في مصر ، فهي التنظيم الذي اعتمد عليه ضباط وحركة ٢٣ يوليو ، وكلفه عبد الناصر بالتصدي للانجليز إذا ما هجموا من ناحية السويس . . (لنا رأينا في هذه الرواية وارجع إلى ما كتبه مصطفى أمين في فصل :في البدء جاء الأمريكان .) ولكن لم يمر أقل من عامين حتى كانوا في السجون وكان الفصل والتشريد والتجويع للمواطنين بسبب آرائهم السياسية .

« جمال عبد الناصر يبلغ المجلس أنه اتصل بإسماعيل فريد ياور محمد نجيب وسب له ولعن رئيس الجمهورية ، وطالب إسماعيل فريد أن ينقل إلى رئيس الجمهورية هذه الشتائم وأعتقد أن جمال قصد بهذا إرهاب الرجل ، وأنه من المستحسن له أن ينزوي ويخضع » . الكلام لبغدادي .

« واقترح جمال سالم أن يقتل هو محمد نجيب ويحاكموه . . »

وهذا بالطبع في مواجهة عبد الناصر أما من ورائه فإليك نموذج من الحوار الهامس الذي كان يدور بين الجماعة التي شاء القدر أن تكون على رأس السلطة المصرية وإسرائيل تعمل ليل نهار لخوض معركة « حق الوجود » .

يقول بغدادي :

« يوليوس قيصر :

وكنت قد سافرت إلى مدينة الأقصر بالطائرة يوم الجمعة ١٩ فبراير ١٩٥٤ لافتتاح المطار الجديد بها ، وقد رافقني في هذه الرحلة حسن إبراهيم . ودار بيننا حديث حول فيلم يوليوس قيصر الذي شاهدناه في اليوم السابق . . وذلك الشبه الكبير بين ما دار في ذلك الفيلم .

---

* هل آن أن يحقق الإخوان في تاريخ الذين كانوا ينفذون في هذا الوقت خطة مجلس الثورة في الانشقاق وذلك بالثورة ضد المرشد العام ؟!

** أو ما يقارب عدد الجثث التي سلمها عبد الناصر لضابط المخابرات الإسرائيلي !!! ها ! ها !

وما كان يتمثل على أرض مصر من صراع وتطاحن من أجل السلطة . وعلى أن هذه هي سنة الحياة . وأن هذا الصراع سيظل يتمثل على مسرحها مادام هناك بشر وحياة . وجرنا الحديث عن الفيلم ـ إلى الحديث عن مجلس قيادة الثورة والتطور الذي حدث به ـ وبعد أن كان هناك توازن في القوى والرأي داخله دام قبل قيام الثورة وبعد قيامها لمدة عام تقريباً إلا أن هذا التوازن قد انتهى . وأخذنا نبحث عن أسباب هذا متعرضين لموقف جمال سالم وانحيازه إلى رأي جمال عبد الناصر المستمر* ، وأن ذلك الموقف منه غير ما كان عليه حاله من قبل . ومتعرضين أيضاً لأشخاص المجلس وكيف كانوا وما أصبحوا عليه . وكذا موقف جمال عبد الناصر وما يهدف إليه من محاولة تركيز السلطة في يده وذلك بغرض أن ينفرد بها في النهاية . ولقد شكا حسن أنه غير ممكن أن يعمل وحتى عمله في هيئة التحرير غير محدد . وكان جمال عبد الناصر هو الأمين العام لها وكان يتعاون مع إبراهيم الطحاوي وأحمد طعيمة في إدارة تلك المنظمة السياسية متخطياً حسن ، علماً بأن قرار المجلس بتعيين حسن بها قصد به أن يقوم بمتابعة نشاطها وإدارتها نظراً لانشغال جمال عبد الناصر في مسائل أخرى .

وكان حسن إبراهيم يتمنى أن يعفيه المجلس من عضويته نظراً لهذه الظروف ولكن الخوف على وحدتنا وتماسكنا وبالتالي على الثورة كان عامل ضغط على كل منا في ضرورة الاستمرار دون التنحي » .

والغريب أننا سنجد « حسن إبراهيم » هذا يلعب دوراً رئيسياً في تصفية محمد نجيب ، وتنغيص حياته في الوقت الذي يشتكي فيه هو من الاستبداد !

وفاجأهم محمد نجيب باستقالته التي « كان لها وقع الصاعقة » (بغدادي) وصدر الأمر إلى رئيس الجمهورية ورئيس مجلس الثورة بعدم مغادرته منزله حتى تصدر إليه أوامر أخرى من « المجلس » ... ! ويقترح جمال عبد الناصر أستاذ التاكتيك غير العسكري « أن نرضي محمد نجيب الآن ونقبل جميع شروطه ونخضع له حتى نفوت الفرصة عليه ونعمل على إقناعه بسحب الاستقالة ، وبعد شهر ـ أي في يوم ٢٣ مارس ١٩٥٤ نتخلص من محمد نجيب » وأنه هو الذي سيقوم بعمل الترتيبات اللازمة لتنفيذ هذا الأمر »

وواضح أن الحديث كان يدور حول الاغتيال وليس الإقالة إذ رفض بغدادي ذلك وأعلن أن أي عمل « سيتخذ وأجده ضاراً بهذه الثورة فلن أستمر في العمل معهم » واعترض صلاح سالم أيضاً لسببين ، الأول اسبرطي وهو أن الجريمة هو ما يكتشف وليس ما خالف الأخلاق فقال : « إن الأمر لابد أن يكتشف ويعرف أن المجلس هو الذي دبره ، وهذا سيكون كفيلاً بالقضاء على سمعة المجلس » أما السبب الثاني فقد بين للمجلس « الأضرار التي ستنتج عنه

---

* ارجع لملاحظة خالد محيي الدين عن أمريكية جمال سالم وأنها سابقة حتى على تآمرك عبد الناصر وقد

بالنسبة للوضع في السودان وذلك لمحبة الشعب السوداني لمحمد نجيب » « ورأى المجلس استبعاد اقتراح جمال عبد الناصر » .

ورغم ما أورده بغدادي عن حديث مع زكريا وحسين حول صراع السلطة ، وما جرى بينه وحسن إبراهيم من تعليق على يوليوس قيصر فقد كان للأعضاء من قدرة على إخفاء المشاعر ما يكفي للحديث أمام بعضهم هكذا : « واجتمعنا في منزل جمال عبد الناصر وقد بدأ هو الحديث بقوله : « إن هذا الخلاف ليس تطاحناً على السلطة والسلطان وإنما هذا التطاحن من أجل المبادىء والمثل ، وتكلم صلاح أيضاً عن هذه المثل ، وتكلم جمال سالم في نفس المعنى كذلك » .

واستدعى الوزراء المدنيون للاجتماع بعد أن هدد أعضاء المجلس بالاستقالة واضطروا للرجوع تحت ضغط الضباط الأحرار . . ويصف بغدادي حالة وزراء مصر هكذا « وكان الوجوم مخيماً على وجوههم ، بل كان الرعب ظاهراً في أعين البعض منهم » .

وإذا كان الرعب يطل من عيون الوزراء ، فهذا يعطيك فكرة عن ماذا كان يطل من عيون الشعب وصغار الموظفين ، وويل لدولة ، ينطق الرعب في عيون وزرائها . . وأين لدولة تزرع الرعب في عيون وزرائها أن تنشغل بعدو فضلاً عن أن تخيفه . .

وقال الضباط الثوار إن « الشدة مطلوبة » لا ضد إسرائيل بل ضد المصريين فاقترح الوزراء المرعوبون اقتراحاً خبيثاً للنجاة بجلدهم قالوا : مادام الشدة مطلوبة فأنتم لها . . « شكلوا حكومة عسكرية ، وخلونا نروح نبوس ايدك يابيه . . » ولكن القيادة أوضحت لهم : « أن انسحابهم في هذه الظروف يعطي معنى عدم موافقتهم على تلك السياسة » .

وأنت عارف ياشاطر اللى ما يوافقشي بنعمل فيه ايه ؟ خصوصا والوقت وقت الشدة !

وبلع نور الدين طراف رعبه ، وهو من المجموعة الانتهازية التي أتلفها بغض الوفد فأسقطها في براثن الحكم الاستبدادي ولوثت اسم الحزب الوطني . . الذي تحول إلى ممسحة لكل من أراد الاعتداء على حقوق الشعب من خلال محاربة الوفد؟[15] .

طالب نور الدين طراف بالصمود ! الصمود ضد الوفد ومحمد نجيب بينما كانت إسرائيل تبحث الصمود والتصدي والتعدي ضد العرب ومصر بالذات ! .

قرر مجلس الثورة أن يتحول إلى جهاز لإطلاق الاشاعات ضد رئيسه محمد نجيب . . « على أن يتم ذلك عن طريق ذكر هذه الخلافات لكل من نعرفهم ، وهم بدورهم سيقومون بنقلها إلى غيرهم ، كما طلب من الجمهورية والأخبار الكتابة عن المثل والمبادىء » .

ويقول بغدادي إنهم قرروا معاملة محمد نجيب معاملة لائقة برئيس الجمهورية وقائد الثورة . . الخ ولكنه أيضا بسذاجة نادرة يسجل واقعة حدثت أثناء الاجتماع تعطى فكرة عن نوعية المعاملة التي كان يلقاها محمد نجيب ، والغريب أنه لا يعلق ولا يستنكر ولكن بعد عشر سنوات عندما ستفرض الحراسة على أموال أخيه ، سيعتبرها عملا لا أخلاقي مع أن

أخاه لا من الثورة ولا من التسعة المشهود لهم ولا كان لديه هذه الأموال قبل أن يصبح أخوه « الكاهن » الأكبر للأشغال والمقاولات .

الواقعة أن رئيس الجمهورية المحددة إقامته في منزله بعث يطلب الإذن لطباخه الخاص بالخروج والدخول إلى المنزل دون اعتراض ليحضر المأكولات اللازمة للمنزل « ومذكرة أخرى يطلب فيها السماح بذبح عجل من الماشية كان لديه بالمنزل لنفاد العليقة الخاصة به وكان قد اشتراه لذبحه وتوزيعه على الفقراء قبل سفره إلى السودان لحضور افتتاح البرلمان السوداني الجديد » .

وهكذا في الوقت الذي كان فيه بن جوريون ـ (بشهادة) هيكل ـ يحاول أن يعرف كل صغيرة وكبيرة عن النظام الجديد في مصر وعن نتائج الانسحاب البريطاني من مصر ، كان رئيس جمهورية مصر مهدداً بالموت جوعاً ، ولا يملك حق الإذن بذبح العجل الذي تعرض بدوره للتجويع . . ومجلس الثورة يبحث موضوع عجل أبيس هذا ؟! وإذا كان بوسع المؤرخ أن يستنتج السماح لمحمد نجيب بالأكل ، من واقعة استمراره حياً حتى دفن معظم أعضاء مجلس القيادة ، فإن السؤال الحائر إلى اليوم ، والذي لم يجب عليه بغدادي هو مصير العجل . . هل لحقوه وحللوه بالسكين ؟! أم نفق جوعاً ؟!

سؤال من ضمن الأسئلة الحائرة في ضمير السيد أمين هويدي !!

وحفرت الهوة التي ازدادت اتساعاً كل يوم بين الشعب والجيش والتي لا يمكن تصور انتصار الوطن في ظلها . . فالجيش الذي كان أمل ورمز وقرة عين المصريين قبل الثورة والذي احتضن الشعب ضباطه وجنوده في الأسبوع الأول من الثورة وصل الحال إلى أن قال ضباط سلاح الفرسان لعبد الناصر : « أصبح الشعب ينظر إليهم وكأنهم خونة بعد استقالة محمد نجيب بل وإنهم على حد قولهم يبصقون عليهم أثناء سيرهم في الشارع ويوجهون إليهم كلاماً جارحاً وأن هذا يؤلمهم ويجرح شعورهم »

أهذا مناخ انشغال بإسرائيل ؟! أو الأمن القومي كما يقول أمين هويدي ؟!

والذي يراجع مذكرات « بغدادي » وتصريحات أعضاء مجلس الثورة أمام عبد الناصر وما كانوا يقولونه في لقاءاتهم الخاصة مع من يثقون به يكتشف ظاهرة رهيبة هي أن هذه المجموعة لأمر ما فقدت طهارة البكارة والصدق مع النفس وقرر كل منها أن يبقى على السطح الساخن أطول مدة ممكنة لأن السقوط يعني الموت بالحياة كما وصفه صلاح سالم . . وهاهو وضع رئيس المجلس عبرة لمن يعتبر . . . والرعب في أعين الوزراء « ومن ينسحب يعني أنه لا يوافق » . . فآثروا السكوت . وفي مثل هذا المناخ لا يمكن معرفة الحقيقة ، ولا اكتشاف الأخطاء ، وسنرى أنهم استمروا يستبعدون الخطر الإسرائيلي إلى أن نزل جنود المظلات الإسرائيليون في سيناء وعرفوا النبأ في حفل عيد ميلاد أحد الأنجال . وظلوا يستبعدون الغزو البريطاني إلى أن صعد عبد الناصر على سطح بيت سفير الهند ورأى الطائرة البريطانية بعينه ! . .

نعود إلى اهتمامات القيادة المصرية في مارس ١٩٥٤ . .

« قام سلاح الطيران المؤيد لجمال عبد الناصر بالتحليق الإرهابي فوق سلاح الفرسان المؤيد لمحمد نجيب وخالد محيي الدين وأعلن عبد الحكيم عامر أنه غير ملتزم بقرار مجلس الثورة وأنه سيدك سلاح الفرسان إن لم يخضع لأوامره وعلى المجلس أن يحاكمه بعد الانتهاء من المعركة » !

والمعركة المقصودة هي ضد سلاح الفرسان المصري ! ولو أن عامر اتخذ هذا القرار الشجاع مرة واحدة في ١٩٥٦ أو ١٩٦٧ . . أعني دك إسرائيل على مسئوليته وليحاكموه بعد المعركة . . لتغير التاريخ . . ولكن هيهات !!

« وأصدر أمره لوحدات المدفعية والمشاة بأخذ مواقعها التي حددت لها » .

« وفي أثناء ذلك حضر إلينا اليوزباشي كمال رفعت واليوزباشي حسن تهامي[١٦٢] وهما من الضباط الأحرار وأبلغانا أنهما قاما من تلقاء أنفسهما بإلقاء القبض على محمد نجيب وهو في منزله ونقلاه إلى ميس سلاح المدفعية »[١٧٢] .

اجتمعوا بعد ذلك واتهم صلاح سالم ، خالد محيي الدين بأنه (أي خالد) هو الذي دبر عصيان سلاح الفرسان .

وعلمنا من جمال عبد الناصر أنه قد أمر باعتقال الكثيرين من الإخوان المسلمين والشيوعيين وأساتذة الجامعات خاصة جامعة الأسكندرية بصفته الحاكم العسكري . ذلك لأن أساتذة تلك الجامعة كانوا قد اجتمعوا وقرروا بأن تتولى كل طائفة عملها ، وهم يعنون بذلك عودة ضباط الجيش إلى ثكناتهم . . كما أبلغنا أنه قد أمر بتشكيل محاكم عسكرية خاصة لمحاكمتهم » .

كان واضحاً فشل المخطط الإسرائيلي فشلاً ذريعاً ، ونعني به الهادف إلى شغل القاهرة أو مصر بالسودان وأوهام وحدة وادى النيل ، بل أصبح واضحاً أن بريطانيا هي التي سقطت في المخطط الإسرائيلي إذ كانت الدبلوماسية البريطانية ، والإدارة البريطانية ، تعمل ليل نهار لفصل السودان عن مصر ، ومجلس الثورة في مصر إما غافل تماماً عما يجري هناك لا يعنيه مصير السودان ولا يشغل باله بأوهام وحدة وادي النيل ، ولا يعاني أية ضغوط من وادي النيل إلا ما يتمثل في مكانة « محمد نجيب » واهتمامات صلاح سالم الذي ارتبطت وحدة وادي النيل بشخصه ومستقبله السياسي ، والذي كان من المجموعة الوطنية التي تعتبر فقد السودان كارثة وخيانة وطنية لا يجرؤ رجل ولا نظام ولا حتى ثورة على مواجهة الشعب بها بله مواجهة ضميره . . أما مجلس الثورة فكان بعضه منشغلاً بتدبير تصفية محمد نجيب وبعضه يتعاون مع الانجليز ومرتبطاً معهم بفصل السودان كما اكتشف « صلاح سالم » في آخر لحظة ، ففقد عقله حرفياً وليس بلاغياً كما وضحنا في فصل السودان في كتابنا السابق .

ومن محاولة اغتيال محمد نجيب ، وإرهابه على يد سلوين لويد والحاكم العام وعصابات

عملاء الانجليز في السودان ، إلى إذلاله وامتهانه وتهديده في القاهرة إلى حد تعلقه بعباءة الملك سعود وهو يودعه في المطار ، يرجوه أن يأخذه معه ولا يتركه تحت رحمة رفاقه رجال مجلس الثورة ، ويعتذر الملك سعود وما إن تطير به الطائرة حتى يسقط رئيس جمهورية مصر وهو يبكي ويصرخ : « البلد رايحة في داهية . . يارب بتعذبني ليه . . موتني ! . . انفضحت يامحمد نجيب . . حاكموني . . » ثم يغمى عليه فيحملونه حملا ويكتبون في مذكراتهم إنه تظاهر بالإغماء !!

كان النظام الديمقراطي القائم على فصل السلطات ترسخ قواعده في دولة العنصرية الاستعمارية ، وكان رئيس مجلس الدولة يضرب علقة في القاهرة التي عرفت احترام القضاء منذ سبعة آلاف سنة . .

في عام ١٩٥٤ وقعت حادثتان غريبتان متشابهتان ، الأولى : من تدبير وتنفيذ جمال عبد الناصر والثانية : من تدبير « لافون » وزير دفاع إسرائيل وتنفيذ شبكة جاسوسية وتخريب يهودية في مصر .

الأولى نقلا عن مذكرات عبد اللطيف بغدادي أحد أبرز رجال مجلس الثورة قال : « في الاجتماع المشترك (مجلس الثورة + مجلس الوزراء مارس ١٩٥٤) أشار جمال إلى أن هناك ستة انفجارات قد حدثت في نفس اليوم وكلها في وقت واحد وفي أماكن متفرقة ، واحد منها في مبنى محطة السكة الحديد ، واثنان بالجامعة وآخر بمحل جروبي . وكان غرضه من الإشارة إلى هذه الانفجارات هو توضيح أن هذا قد حدث نتيجة لسياسة اللين والميوعة الظاهرة في موقف الحكومة وكان محمد نجيب مصراً على اتخاذ الإجراءات العادية ومعارضاً في اتخاذ أية إجراءات استثنائية » .

والحادثة الثانية في يوليو ١٩٥٤ قامت وحدة إرهابية إسرائيلية بزرع عدد من القنابل في مؤسسات أمريكية بريطانية في القاهرة والأسكندرية وقد اعتقلت المجموعة وانتحر أحد أفرادها في السجن واعدم* اثنان في يناير ١٩٥٥ .

يقول موشى ديان « وثار الرأي العام الإسرائيلي وطالب بمعرفة المسئول عن هذا العمل ؟ . . هل هو الضابط المسئول عن الوحدة (الإرهابية ج) أم وزير الدفاع ؟ . . وأصر الضابط على أنه تلقى أمراً شفوياً من الوزير في اجتماع ضمهما وحدهما . بينما ادعى لافون أن الضابط تصرف على مسئوليته . وشكلت لجنة تحقيق بأمر رئيس الوزراء تضم رئيس المحكمة العليا وأول رئيس أركان للجيش الإسرائيلي وكان قرارها أنها لا تستطيع أن تجزم على وجه اليقين من الذي أعطى الأمر ، وهذا ألقى ظلاً من الشك على كل من الضابط ووزير الدفاع ، ولذا قرر رفاقه في الحكومة وقيادة حزب الماباي أن لافون يجب أن يذهب .

---

* راجع ما اعتذر به هيكل عن اعدامهما في فصل التاريخ البلاستيك .

وكان قد قدم استقالته في ٢ فبراير ١٩٥٥ وقبلتها الحكومة في ٢٠ فبراير وفي هذا اليوم رجع بن جوريون إلى منصب وزير الدفاع » .

ويبدأ في التاريخ الإسرائيلي ما يعرف باسم « فضيحة لافون » وقد كتبت الصحافة العربية الأكوام عنها ، وعن فساد النظام الإسرائيلي الذي يزرع القنابل في القاهرة بدون موافقة السلطات الدستورية . . ؟! ولكن لا الصحافة الإسرائيلية ولا المصرية اهتمت بالبحث عن من زرع القنابل الأخرى في عاصمة مصر وفي أماكن شديدة الزحام ولا يتجمع فيها إلا المواطنون من أبناء الشعب باستثناء جروبي . . الذي كانت قد زحفت إليه الطبقة الوسطى لأن الباشاوات والرجعية كانوا في المعتقلات .

ومر ربع قرن دون أن يفتح أحد فمه ، حتى مات سليمان وانطلق الجن يتحدثون ويعترفون ويتذكرون وأخبرنا عبد اللطيف بغدادي بالآتي :

« اعترف جمال عبد الناصر في اليوم التالي وهو على فراش المرض ، أن الانفجارات التي حدثت في اليوم السابق وأشار إليها في اجتماع المؤتمر ، إنما هي من تدبيره لأنه كان يرغب في إثارة البلبلة في نفوس الناس . . الخ وليشعروا بأنهم في حاجة إلى من يحميهم على حد قوله » .

تشابه غريب في مشاغل القيادتين المصرية والإسرائيلية . كلتاهما تريد إثارة البلبلة في العاصمة المصرية . . وكلتاهما تزرع القنابل في القاهرة . . مع فارق أن المدبر الإسرائيلي عوقب بالطرد ، من الحياة السياسية الإسرائيلية والمنفذين لقوا حتفهم في سجون مصر . .

أما الفاعل المصري فسيقام له حزب في مصر وأقترح أن يسمى « حزب البلبلة » !

« برر الرئيس عبد الناصر رشوة « الصاوي محمد الصاوي » رئيس نقابة عمال النقل بالقاهرة بمبلغ أربعة آلاف جنيه « ليدفع عمال النقل إلى الإضراب بعد قرارات ٢٥ مارس ، ولكن جمال ذكر أنه أراد بذلك أن يسبق خالد محيي الدين ويوسف منصور صديق لأنهما كانا ينويان عمل نفس الشيء على حد قوله » .

« اقترح جمال سالم التخلص من كل ضابط في الجيش غير موالٍ للثورة والإبقاء فقط على الموالين لها حتى لو أصبح عددهم ٣٠٠ ضابط فقط . كما أعاد اقتراحه الذي يردده كثيراً وهو عزل الأفراد والذين يهمهم عزل هذه الثورة عن الشعب مهما كان عددهم ووضعهم في الواحات » .

صدر قانون يحرم الوظائف العامة والحقوق السياسية على جميع السياسيين الذين شغلوا مناصب قيادية في مصر منذ بدء الخليفة حتى ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، وقيل صراحة إنه يقصد به عزل السنهوري من مجلس الدولة !! حرمت مصر من كل خبرة رجالها لفصل رجل واحد . .

فلما اعترض وزير قال له جمال عبد الناصر : « إن مجلس الثورة قد وافق على القانون وهو يعرض عليهم للعلم فقط »* .

كان بن جوريون يجري اتصالاته ويتم ترتيباته لقيام حكومة ذات كفاءة عالية وقادرة على النجاح في انتزاع « حق الوجود » لإسرائيل . . وكانت مصر تحكمها مجموعة أقل ما توصف به علاقاتها أنها تفتقد الثقة ، يتربص كل منهم بالآخرين ، ويتوقع الغدر منهم وعلى حساب المصلحة العامة . . انظر كيف فسر عبد اللطيف بغدادي اختيار عبد الناصر له ليكون وزيراً « للشئون البلدية والقروية » :

« واقترح أن أتولى وزارة الشئون البلدية والقروية ، وأن الغرض ـ كما قيل ـ هو أن يشعر الشعب بأعمال الثورة في المدن والريف ، وأن الاختيار قد وقع على لهذا الغرض ، ولكنني أحسست أن الغرض من توليتي هذه الرسالة هو العمل على إضعافي سياسياً لضمان فشلي بها فشلاً ذريعاً وخاصة أن الاقتراح جاء بعد خلافي مع جمال عبد الناصر » .

ويقول بغدادي إنه لما نجح رغم توقعات أو تدبير الرئيس جمال عبد الناصر ، استاء عبد الناصر من ذلك « وبدلا من أن يكون ذلك موضع شكر وتقدير من جمال لأن ما تؤديه تلك الوزارة ونجاحها ما هو إلا تدعيم للثورة وإثبات لوجودها ، شن عليّ حملة محاولاً التشكيك في أهدافي عند إخواني أعضاء المجلس وقصص أخرى كثيرة واردة في يومياتي ولا محل لذكرها في هذا المجال » .

ستتوقف الآن عن استعراض « مشاغل » القيادة المصرية التي صرفتها عن « الانشغال » بإسرائيل ، هم مصر الأول والأخير . . لنعود إلى هيكل لنتابع معه الانتصارات ، على أن نعود مرة أخرى لصيغة المواجهة المصرية التي أدت لهزيمة ١٩٥٦ .

---

* استثني من القانون رجل مثل أحمد حسين ، اعترفوا الآن بأن اتصالاته بالمخابرات الأمريكية تمت في وقت مبكر جداً !! ربما كانت هذه شهادة الطهارة في ذلك العهد الملوث !

مراجع وملاحق الفصل السادس

من صفحة ٣٤٥ إلى صفحة ٣٩٢

المراجع

١ ـ قصة السويس : آخر المعارك في عصر العمالقة : محمد حسنين هيكل . شركة المطبوعات للتوزيع والنشر . الطبعة الثانية ١٩٨٢ .

٢ ـ ن . م .

٣ ـ موشي ديان : قصة حياتي ص ٢١١ .

٤ ـ مذكرات بغدادي ج ١ ص ٣٠٩ .

٥ ـ ن . م .

٦ ـ العدوان على غزة ١٩٥٥/٨/٣١ .

٧ ـ موشي ديان ص ١٩٢ .

٨ ـ ن . م .

٩ ـ قصة السويس ص ٣٠ .

١٠ ـ سلوين لويد : السويس ١٩٥٦ ص ٤٨ .

١١ ـ ن . م ص ٥١ .

١٢ ـ ن . م ص ٦٦ .

١٣ ـ هيكل : قصة السويس ص ٢٤٠ .

١٤ ـ انظر مذكرات بغدادي جـ ١ .

١٥ ـ موشي ديان ص ١٩٨ .

١٦ ـ ن . م ص ٢٠٢ .

١٧ ـ ن . م ص ٢٠٤ .

١٨ ـ يوميات هيوجيتسكيل بقلم فيليب وليامز .

١٩ ـ سلوين لويد ص ١٧٥ .

٢٠ ـ ملفات السويس ص ٥٦٣ .

٢١ ـ ن . م ص ٥٦٤ .

٢٢ ـ ن . م ص ٥٨٣ .

٢٣ ـ ن . م ص ٥٨١ .

٢٤ ـ ترجمة خيرى حماد : ص ٢٨٣ The Road to suez

٢٥ ـ قصة السويس ص ١٧ .
٢٦ ـ بغدادي جـ ١ ص ٢١٢ وذلك في أواخر عام ١٩٥٥ .
٢٧ ـ تصريح محمود رياض ٤ مارس ١٩٦٦ .
٢٨ ـ قصة السويس ص ٢٠ .
٢٩ ـ ن . م ص ٢١ .
٣٠ ـ بغدادي ج ١ ص ٧٨ ـ ٨٧ .
٣١ ـ ن . م ٨٧ .

الملاحق

م١ ـ يحاول « هيكل » أن يثير « الضباب » حول موقف الحكومة المصرية قبل انقلابه ، من قناة السويس بنص غامض حول ادعاء الشركة أنه لابد لها من علاقات مع إسرائيل !

ولكن الحقائق أقوى من أن تحجب . .

لقد منعت مصر واستجابت الشركة أو رضخت لمنع سفن إسرائيل من المرور في القناة ، وكذلك صدر قرار بمنع مرور السفن غير الإسرائيلية التي تحمل النفط للمصفاة البريطانية في حيفا من عبور القناة ، وبذلك أغلقت هذه المصفاة ، كما منع مرور السفن من وإلى إسرائيل حتى ولو لم تكن إسرائيلية أو تحمل العلم الإسرائيلي . وفي يوليو ١٩٥٠ لضمان تنفيذ هذا القرار فرضت الحكومة المصرية على جميع السفن التي تعبر القناة أن تحصل على شهادة وصول من القنصلية المصرية في البلد المتجهة إليه . وكما سترى كان عبد الناصر هو الذي ألغى هذا القرار وسمح للسفن بالإبحار من وإلى إسرائيل عبر قناة السويس فلما طلب « بن جوريون » من عبد الناصر من خلال الوسيط الأمريكي زيادة خيره والسماح للسفن الإسرائيلية ذاتها بالعبور ، اعتذر عبد الناصر بأنه لا يستطيع أن يسمح بما منعته حكومات ما قبل الثورة وفي ظل الاحتلال البريطاني . .

كذلك قوله أن حكومات البلاد العربية كانت غافلة عن شركة قناة السويس وشركات النفط غير صحيح ، على الأقل في حالة مصر ، لكنها كانت تعرف أنه لا سبيل إلى هذه الشركة فضلاً عن إزالتها إلا بعد جلاء الانجليز . . تماماً كما عرف عبد الناصر ذلك وصبر أربع سنوات على الشركة .

م٢ ـ أشارت الوثائق الأمريكية المنشورة في هذا الكتاب إلى محاولات هذا المبعوث ترتيب مقابلة بين عبد الناصر وبن جوريون ولكن كما قال مؤلف حبال الرمال : « كان بن جوريون يفضل التعامل مع مصر بالسلاح وليس بالمفاوضات » .

م٣ ـ موشي ديان ص ٢٠٧ ومن غريب توارد الخواطر هو أن أمنية بن جوريون أوحيت أو نطقت على ألسنة مصطفى أمين وهيكل وممثل المخابرات الأمريكية فاقترحوا البوليس الدولي ؟! وتذكر محاولات إسرائيل لتلفيق علامات نبوة بن جوريون !! و « هيك » نبي . . لابد له من « هيك » حواريين !

م٤ ـ في مهرجان السويس ، دبج . ع . أنيس تحليلاً طويلاً قال فيه : « وكان من الواضح أن إسرائيل لا تريد تنفيذ اتفاقية جلاء بريطانيا عن مصر دون اتفاق للصلح مع إسرائيل . وعندما وقعت اتفاقية الجلاء في ٢٧ يوليو ١٩٥٤ كانت إسرائيل قد فقدت الأمل في أن تنحاز قيادة الثورة إلى صف التفاهم مع إسرائيل » .

ثم يفسر العدوان الإسرائيلي على غزة (فبراير ١٩٥٥) بأنه كان يهدف إلى دفع النظام (الناصري) إلى أحضان واشنطن »!(١)

وصحيح أن الكاتب الماركسي لابد أن يكون فقير العقل مختل التحليل ، لديه دوافع مكبوتة لإثبات أن إسرائيل تريد السلام والعرب هم الذين يرفضون ، مصاب بحول يجعله يظن أن هدف إسرائيل هو إقناع العرب بمحالفة أمريكا ! . . إلا أن هذا التحليل تجاوز الحد المسموح به من الخبل . .

* نحن بداية نرفض القول بأن إسرائيل كانت حقيقة تخشى جلاء الانجليز عن مصر أو تعارضه بهذه الصيغة السوقية المبسطة التي يضعها الدكتور الماركسي من ناحية لأن إسرائيل هي المخفر الأمامي للمصالح الأمريكية ، ومصلحة أمريكا الأولى في هذا الوقت كانت إخراج الانجليز من المنطقة بدءاً من مصر . . ومن ناحية لأن إسرائيل أقدر على تحقيق أهدافها التوسعية في مواجهة مصر منها في مواجهة بريطانيا التي ستكون في حالة استمرار وجودها في مصر مسئولة عن حماية حدود مصر ، وهو ما حدث فعلاً في عام ١٩٤٨ عندما أجبرتها بريطانيا على الانسحاب من الأراضي المصرية وهناك عوامل عديدة تحكم موقف إسرائيل من هذه النقطة لا مجال لمناقشتها ، ولكن لا يجوز إطلاق القول بهذه البساطة . . مادامت إسرائيل تكره لنا الخير . . فهي تريد بريطانيا في مصر ومصر في أحضان أمريكا . . الخ الخ !

* نحن نرفض وبإصرار القول بأن إسرائيل كانت تريد الصلح مع مصر أو العرب قبل ١٩٦٧ . . ونظرة واحدة إلى المشروعات التي عرضت على عبد الناصر قبل ١٩٥٦ أو طالب بها زعماء بريطانيا وأمريكا تكشف أنها كلها كانت ستكون على حساب إسرائيل . . إسرائيل ١٩٤٩ وليس إسرائيل الآن . . فلم تكن هناك أية مصلحة للمؤسسة الاستعمارية الصهيونية في مصالحة مصر وقد بذلت إسرائيل كل جهد ممكن لمنع هذا الصلح وتبديد آمال الأمريكيين فيه . . وقد نجحت فلا تحملوا مصر مسئولية ذلك ياوكلاء إسرائيل . .

* نحن نرفض بازدراء الزعم بأن إسرائيل كانت تريد دفع النظام في أحضان واشنطن (أكثر من كده ؟!) ولا نستطيع أن نفهم كيف يكون زرع القنابل في المؤسسات الأمريكية بالقاهرة دفعاً للنظام في أحضان واشنطن ، ولا كيف يكون كشف عجز النظام عن صد العدوان الإسرائيلي دفعا للنظام في احضان واشنطن التي بسبب الضغط الصهيوني ، لا تستطيع أو لا تريد أن تسلح هذا النظام للدفاع عن نفسه . .

المنطق يرفض . .

---

(١) الأهالي ٤ مارس ١٩٨٧ .

والواقع يكذب فقد أدت الغارات إلى دفع النظام لأحضان موسكو بصفقة السلاح وكان ذلك أعظم نصر سياسي واستراتيجي حققته إسرائيل ضد مصر والعرب في لعبة المعادلات الدولية .
متى ستتعلمون الماركسية يامهابيل الشيخ ماركس ؟!

م٥ ـ بل في ٩ نوفمبر ١٩٥٥ اقترح ايدن ـ كما يقول « هيرمان فينر » : « سلاماً بين إسرائيل وجيرانها العرب على أساس تسوية عامة للحدود وايدت الولايات المتحدة هذه المبادرة ولكن اقتراح تعديل الحدود كان مطلباً قاسياً بالنسبة لإسرائيل لأن معناه أن تتنازل عن جزء من أراضيها »[١]
أيد ايدن أيضاً حق العرب في استخدام ميناء حيفا واتصال بري بين مصر ولبنان ، ومصر والأردن والعودة إلى حدود التقسيم تقريباً .
هذا هو الوضع قبل حرب ١٩٥٦ والذي حوله « ناصر » إلى تنازل مصري ثم عربي . . الخ . .
فأي قول عن أن إسرائيل كانت تريد السلام وعبد الناصر منع ذلك هو لغو ، بل واتهام جديد لعبد الناصر لم نطرحه نحن* . . وسنتعرض لهذا الموضوع بتفصيل أكبر .

م٦ ـ قلنا مرة من يقرأ لهيكل يظنه كاتباً أجنبياً ففضلاً عن تلذذه وتأنقه في الحديث عن الكوارث المصرية ، فهو يستخدم مصطلحات الأجانب مثل « حرب السويس » يعني حرب ١٩٥٦ التي تعرف عند المصريين والعرب إما بحرب القناة أو حرب بور سعيد عند العامة وحرب سيناء . . أو العدوان الثلاثي في الإعلام المصري .

ملحوظة ثانية في غاية الأهمية ، وهي أن « هيكل » لا يخطيء مرة واحدة ويسمي سيناء ، إلا باللقب الذي اخترعه وهو « صحراء سيناء » للتقليل من شأنها وتتفيه أمرها . سواء خسرها عبد الناصر أو استردتها مصر . . بينما سيناء في كتب الجغرافيا هي شبه جزيرة ، وليست كلها صحراء ، وهي تشكل ثُمن مساحة مصر ، وحلقة الوصل بين المشرق والمغرب في الوطن العربي وأساس انفراد مصر بأنها الدولة الأفروآسيوية الوحيدة في العالم وأهم مركز استراتيجي في البحر الأحمر بل وعلى أرض سيناء سيتقرر مصير مصر وإسرائيل والوطن العربي كله . . في يد من ستكون سيناء . . ستكون الدولة الكبرى في المنطقة ، وهي الحل الوحيد الذي يمنع تحول مصر إلى بنجلاديش ، ففيها الإمكانات الهائلة على جميع الأصعدة ، وهي مصدر النفط الوحيد لمصر حاليا ، ولا حد لما يمكن أن تتفجر أرضها الطيبة عنه . . واقرأوا غزل اليهود فيها ، ثم قارنوا هذا بموقف هيكل العجيب الذي لا يسميها إلا « صحراء » سيناء . . ولا مرة واحدة تفضل عليها بإلغاء صفة الصحراء هذه ؟! . . بعد نشر قولنا هذا تراجع هيكل ووصفها مرة « شبه الجزيرة » في كتابه « ملفات السويس » انظر ص

ومن الغريب أن يستهل « أنيس منصور » حملة دعاية للوادي الجديد بإعلان أن مستقبل مصر ليس في سيناء (أهرام ١/٢/٨٨) لماذا الطعن في سيناء وما الذي يمنع من الاهتمام بالاثنين !!

---

(١) دلاس والسويس : هيرمان فينر .
* راجع ما ذكرناه عن اقتراح ايدن في موضع آخر .

م[7] ـ سلوين لويد : ص ٣٠ ونفس الكلام ردده ايفيلاند مؤلف حبال الرمال ، وإليك بعض النصوص التي وردت في يوميات شكوبرج المنشورة تحت عنوان : Descent to Suez . . وهو كما قلنا كان وكيل وزارة الخارجية لشئون الشرق الأوسط ثم سفير بريطانيا في إيطاليا :

« السعودية تبتلع المشيخات بالخليج الفارسي » ص ٦٣ .

« وضعنا يتدهور على يد السعودية » ص ٦٧ .

« الكل هنا يعتقد أن الرشوة السعودية متحالفة مع الشيوعيين يدمران الشرق الأوسط ويفسدان الحياة السياسية في دول الشام » ص ٣٠٤ .

« المؤامرة السعودية ـ الشيوعية » ص ٣٠٥ .

م[8] ـ هنا مغالطة خبيثة من مفبرك الناصرية ، إذ يكتب وكأن السوريين نسفوا كل « أنابيب » النفط إذ يقول : « وبتوقف الملاحة في قناة السويس ثم بنسف خط أنابيب البترول ، توقف بترول الشرق الأوسط تماماً عن بريطانيا وعن كل أوروبا الغربية » ص ٥٤٩ ع .

وفي موضع آخر يدعي أن « كيرميت روزفلت » توسل لعبد الناصر كي يطلب من السوريين عدم نسف الخط . .

والمغالطة هي في تعمد إغفال وجود خطين . . خط انجليزي وهو خط شركة نفط العراق وخط أمريكي وهو التابلاين ، وهذا الخط لم يمس وإنما نسف الخط الانجليزي وبذلك قطع بترول الشرق الأوسط « الانجليزي » وهذا كان في مصلحة أمريكا تماماً ، سواء على الصعيد الأدنى وهو زيادة مبيعات النفط الأمريكي أو الصعيد الأعلى وهو إحكام قدرة الضغط الأمريكي على بريطانيا . ولذلك إذا صدقنا أن « روزفلت » جاء برسالة من هذا النوع لعبد الناصر فإما أنه جاء يذكره بقطع الخط إذا كان قد نسي . . أو تسديد خانة وتبييض وجه مع الانجليز بعدما كان الخط قد قطع فعلاً . .

م[9] ـ اقرأ ما كتبه مصطفى أمين لهيكل عن استفزاز عامر للجزائريين وكراهيتهم له ولعبد الناصر بعد الانقلاب البومديني . (رسالة مصطفى أمين) واقرأ اعترافات الديب عن كفاحه ضد الجزائريين في ليبيا وهو الذي كان مسئولا عن ثورة الجزائر !!

م[10] ـ صفحة ٢٢ هيكل : السويس . . . وطابق ذلك على ما أورده مايلز كوبلاند وأشرنا إليه حول الاتفاق بين المخابرات الأمريكية والضباط الناصريين على استبعاد إسرائيل من برنامج الثورة .

م[11] ـ وكانت مقطوعة مع دمشق ولم تستأنف إلا يوم ١٩٦٧/٥/٣١ ووقعت اتفاقية الدفاع المشترك مع مصر يوم ٦/١ ومع العراق يوم ٦/٤ ونفذت يوم ٦/٥ . . وكل هذا تم في أقل من أسبوع !

م[12] ـ انظر التقرير السري للسفير الأمريكي في الوثائق الأمريكية عن الشرق الأدنى وجنوب آسيا لعام ١٩٥١ المنشور في عام ١٩٨٢ وقد نشرنا نص ذلك في مجلة أكتوبر ولم ينبس هيكل بحرف !

م[13] ـ أذكر في منزل الدكتور الشريف وزير المعارف الليبي سنة ١٩٧٢ أنني لأول مرة في حياتي كدت أعتدي باليد على المدعو : ف . هـ المحرر وقتها في الأهرام ، لأنه كان يحاول إثبات أن سيناء عبء « ولا أهمية لها » ! وكان وقتها هيكلياً ناصرياً وهو الآن من جماعة السافاك المسلمين !

م١٤ ـ هناك رواية غريبة تنقل عن عبد المجيد إبراهيم صالح وهو صف الضابط الذي دفن الجثث الإسرائيلية في عراق المنشية ، إذ يزعم من نقل لي الرواية وهو الأستاذ أ . ط . الذي لا شك في وطنيته ، وتعاونه إلى أقصى حد مع الثورة في سنواتها الأولى ، قال إن الرئيس عبد الناصر طلب منه أن يبلغ المختصين أن عبد الناصر هو الذي دفن الجثث وهو الذي يعرف مكانها ، وأنه بناء على ذلك أرسل لإسرائيل حيث بقي في هذه الرواية حوالي الأسبوع . وعلى ضوء معلومات هيكل لا نستبعد ذلك وأن هدف الرئيس عبد الناصر كان الاطلاع على المزيد من خبرة رجل المخابرات الإسرائيلية في محاربة الانجليز وهو ما كان يشغل باله دائماً . . وفي الحديث اطلبوا العلم ولو في الصين ولم يقل ولو من جيش الروم !

وبعد ـ فقد قلنا ـ إننا لم نحاول فرض اقتناع مسبق على القارىء . بل حاولنا دائما أن نلتزم بالدليل المادي والمنطقي . وقلنا إن هذه الأدلة المادية يتتابع ظهورها بمضي الزمن بالإفراج عن الوثائق بعد المدة القانونية التي تعتقد الدول أنها كافية لإزالة آثار كشف الحقيقة . . أو بنشر مذكرات من بلغوا سن اليأس . . أو بجهود المخلصين والأوفياء لشرف الكلمة التاريخية . . ونحن رفضنا في كتابنا السابق حتى مناقشة اتهام عبد الناصر باليهودية أو العمالة المباشرة لإسرائيل .

وكان رفضنا حاداً وجارحاً للذين يرددون أو رددوا هذا الاتهام ، لا عن حب لعبد الناصر ولا لأنه فوق الشبهات ، بل لأننا ، كما قلنا ، لم نجد دليلاً واضحاً يعزز هذا الاتهام ، وصحيح أننا وقفنا طويلا عند الشبهات التي أثارها « هيكل » حول سيده ، وعلاقاته بالإسرائيليين ومخابرات إسرائيل ، وقد أثبتنا الواقعة* ، وتساءلنا ما الذي يهدف إليه هيكل من إثارة الشبهة حول وجود علاقة بين عبد الناصر ومخابرات إسرائيل سابقة على الانقلاب ، وخلال حرب فلسطين الأولى وبعد انتهائها ، ولم نستبعد أن يكون هدفه مساومة جهة ما وابتزازها . . ولما استرجعنا بعد نشر الكتاب ـ علاقة هيكل المتدهورة بعبد الناصر قبيل وفاته ، وأنه كان يتوقع شراً من قبل « الزعيم » أو على الأقل اقتنع بأن حظوته معه قد انتهت ، مما جعل اتباعه يهاجمون الزعيم وهو حي ، والزعيم يسجل لهم . . الخ قلنا ربما كانت نفثة حقد من هيكل على عبد الناصر . . وبعد وفاته التي جاءت في وقتها تماماً لمصلحة هيكل .

وخلال الفترة التي انقضت ما بين تأليف الكتاب الأول ، وإعداد مادة هذا الكتاب ، ظهرت وثائق وحقائق تعزز حجة القائلين بأن عبد الناصر خدم المصالح الإسرائيلية أكثر مما خدم المصالح الأمريكية وأنه ما من قضية تناقض فيها الموقف الأمريكي والموقف الإسرائيلي ، إلا اتخذ عبد الناصر قراراً يرجح كفة الإسرائيليين . . ومع ذلك فقد تمسكنا بتفسيرنا ، وهو أن مصدر الخطأ والخطيئة هو ارتباط عبد الناصر بالمخابرات الأمريكية وليس الإسرائيلية . .

إلا أن المؤرخ المحايد إن كان لا يتمسك برأي ضد وقائع التاريخ ، لمجرد أنه تبنى هذا الرأي فترة من الوقت فبنفس القوة ، لا يجوز له أن يتشبث برفض حقيقة أو احتمال لمجرد استنكاره ، أو لمجرد أنه قد غفل عنه ، ولست أزعم ، أنني وصلت إلى اقتناع في هذه القضية ولكني أمام الوثيقتين بل بالأحرى الوثائق التي كشف عنها الستار بعد مرور ثلاثين سنة على « الانقلاب » أجد نفسي مضطراً إلى إعادة النظر في تحليلي السابق ، لأقول إن البعد الإسرائيلي كان موجوداً في عناصر اختيار أو

ترشيح المخابرات الأمريكية لعبد الناصر لقيادة الانقلاب فقد ثبت أن السفارة الأمريكية في مصر «كانت تعرف من مدة أن لعبد الناصر صديقاً داخل إسرائيل» .

أما الوثيقة فهي مما أفرجت عنه وزارة الخارجية الأمريكية واشتريناها من السوق فلا فضل لنا إلا الدقة في القراءة والبحث والشرف في المعرفة والتعريف أو قل الالتزام بآداب المهنة التي لخصها لأول مرة سلفنا الصالح الشيخ القلقشندي .

وساضطر لترجمة الوثيقة بنفسي فليس لدي سكرتيرة تشرف على مكتب ترجمة «عاخص» وترجمتها قطاع عام يعمل لغرض خاص . ولكن من له ترجمة مخالفة فليذهب بها إلى القضاء .

من مدير مكتب الشرق الأدنى (هارت) إلى السفير في مصر (كافري)

سري للغاية　　　　　　　　　　　　　　　　　　　إبلاغ رسمى

١٥ يونية ١٩٥٣

عزيزي :

شكراً لك على خطابك المؤرخ ٥ مايو ١٩٥٣ الذي حللت فيه الموقف الحالي في مصر إزاء إمكانية تحقيق تسوية سلمية مع إسرائيل . وأن الأفكار التي عرضتها مشابهة للغاية لتلك التي قدمها السفير «دافيس» في حديثه مع الإدارة . وكلها تتفق مع مخاوفيّ من أن العرب قليلو الاهتمام بحل هذا المشكل المتعب .

على أية حال ، فإن تطوراً وقع أخيراً ، يمكن أن يرفع درجة التفاؤل قليلاً ، هذا إذا كانت معلوماتنا صحيحة . وهذه المعلومات حصل عليها ممثل للوزارة بصفة سرية للغاية من موظف بالسفارة الإسرائيلية هنا ، وقد زعم هذا المصدر أن الكولونيل جمال عبد الناصر قد كتب خطاباً إلى unspecified Israeli addressee جهة إسرائيلية يلتمس مساعدة إسرائيل في تنفيذ «أهداف مصر» والخطاب لم يحدد ولا ناقش قضايا معينة . وقد تم الاتصال والرد في باريس .

بالنسبة لي هذا أمر مدهش للغاية ، وخاصة أن عبد الناصر يجب ألا يتورط كتابة في مثل هذه الأمور . . وسأكون مقدراً لرأيك حول مدى صحة هذا التقرير وأي معلومات أخرى حول هذا الموضوع قد تصل للسفارة .

وهناك مؤشر آخر على موقف مصري طيب ، هو استعداد مصر لتوقيع اتفاقية الإغاثة (الخ) .

«باركر هارت»

لتتمسك بهدوء الأعصاب إلى النهاية . .

فالقضية كلها . .

١ - إبلاغ من السفارة الإسرائيلية لمسئول في الخارجية الأمريكية له اتصال فوق المعتاد بهم . . فهو ليس تبليغاً رسمياً .

٢ - عبد الناصر يرسل خطاباً إلى «عنوان» في باريس . . وهذه هي طريقة التراسل المعروفة بين الجواسيس ومخابرات إسرائيل ورجاء مراجعة فيلم «الصعود إلى الهاوية» .

٣ ـ تم تسليم الرسالة وتم الرد عليها في باريس ، فهي بالطبع لم ترسل بالبريد . .

٤ ـ طلب مساعدة إسرائيل في تحقيق « أهداف مصر » يرن بعض الأجراس منها رواية هيكل عن اهتمام عبد الناصر خلال الحرب الفلسطينية الأولى بسؤال ضابط المخابرات الإسرائيلي عن كيفية « تحقيق أهداف مصر » . .

ومع ذلك فالأمر كله يمكن أن يكون أكذوبة إسرائيلية لهدف ما . .

أو . .

هناك وثيقة أخرى تشير إلى تبادل مجلس الثورة الرسائل مع إسرائيل عبر باريس ، وربما علم المصدر الإسرائيلي أو الأمريكي بهذه الواقعة فنسج عليها هالة من الألغاز ، وإن كانت لهجة المسئول الأمريكي أكثر من أبوية ، وواضح فيها الحرص على حماية الزعيم أو عدم إحراقه « لا يجوز أن يتورط » في كتابة « هذه الأمور » لأنها بالطبع يمكن أن تستخدم ضده !

وقد شرحنا رأينا في قيمة هذه « الوثائق » وانها ليست تنزيلاً ولا تاريخاً . . ومن هنا فإن هذه الوثيقة في حد ذاتها لا تشكل قضية ولا كانت تحتاج لوقفة منا . . إذ يمكن إسقاطها فور الدفع بأنها أكذوبة إسرائيلية انطلت على الأمريكيين .

ولكن . .

رد السفير بالآتي :

السفير في مصر (كافري) إلى مدير مكتب شئون الشرق الأدنى (هارت)

سري جداً القاهرة ٢٣ يونية ١٩٥٣

إبلاغ رسمى

عزيزي بت

« قرأت باهتمام مذكرتك بتاريخ ١٥ يونية حول الخطاب الذي يفترض أن جمال عبد الناصر كتبه لجهة إسرائيلية ونحن نعلم منذ مدة ان ناصر له صديق في إسرائيل منذ ايام الحرب الفلسطينية . ولذا فقد كلفت أحد موظفي السفارة ليسأله بصراحة وإن تكن بصفة غير رسمية إذا ما كان هناك أي أساس للقصة . وكان رد عبد الناصر : « إنني لم أكتب أية خطابات منذ ٢٣ يوليو (١٩٥٢) ويمكن أن تكون حقيقة الأمر أنه كتب مثل هذا الخطاب في الماضي . . ولكن إذا كان قد فعل فبصفة شخصية بحتة . ومازلت أعتقد أن الإمكانية ضعيفة في موافقة العرب . . الخ .

ويفهم أيضاً من الرسالة أن مجلس الإنتاج القومي المصري وافق على مشروع أمريكي لتوطين اللاجئين الفلسطينيين في سيناء .

مرة أخرى نلتزم هدوء الأعصاب فهذه الرسالة أخطر بكثير :

١ ـ السفارة الأمريكية استجوبت عبد الناصر وأفهمته أنها تعرف اتصالاته في إسرائيل . . ولا ندري ماذا يقول مؤرخ عن طبيعة العلاقة بين « موظف السفارة » هذا وزعيم ثورة مصر ؟ هذه العلاقة التي تسمح له أن يسأله بصراحة : يارئيس مصر وزعيم ثورتها . . هل ترسل خطابات إلى إسرائيل . . ؟ ولماذا تخفي السفارة اسم هذا الموظف اللذي له من العلاقة ما يسمح له باستجواب زعيمنا بصفة غير رسمية وله من المكانة في السفارة ما يؤهله إلى أن يؤتمن على هذه المهمة الشديدة الحساسية . . سؤال زعيم دولة عربية ثورية عن علاقاته السرية مع إسرائيل . . ليس أمامنا إلا

تفسير هيكل في حديثه عن اتصالات مصطفى أمين مع السفارة البريطانية . حيث قالها بنفسه : « إن تعبير موظف بالسفارة يعني مندوب المخابرات » .

٢ ـ المهم عبد الناصر لم يغضب ولا طلب ترحيل الموظف . . بل أجاب ـ إنه لم يكتب خطابات منذ ٢٣ يوليو . . وتمسكاً بالحيدة التامة نتطوع بتفسير ذلك بأنه قد يعني أنه بسبب مشاغله لم يكتب خطابات من ٢٣ يوليو لا لعرب ولا ليهود . . ولو أن الرد الطبيعي كان يفترض أن يكون نفياً واستنكاراً أن يظن أحد أن عبد الناصر يكتب خطابات لإسرائيل . . ومن هنا تأتي مظنة أن الرد قد يعني . . أنه منذ تولى السلطة أصبح في وضع لا يسمح له بالاتصال بالصديق الإسرائيلي .

٣ ـ أكدت السفارة لوزارة الخارجية الأمريكية أنها من مدة تعرف أن لعبد الناصر صديقا في إسرائيل . ولا نستطيع تكذيب السفارة لأنها لا تكذب على وزارة الخارجية من ناحية ولأن هيكل أكد هذه المعلومة بل جعل أصدقاء ناصر أكثر من واحد ، منهم ضابط مخابرات . . وما يعلمه هيكل يعلمه بالضرورة السفير الأمريكي . . ومن ثم أصبحنا أمام قضية جديدة تتضاءل أمامها حكاية هل أرسل خطاباً في يونيو ١٩٥٣ أم لم يرسل فالثابت الآن هو :

○ عبد الناصر له صديق في إسرائيل .
○○ وله مراسلات معه .
○○○ وذلك كان في علم السفارة من مدة .

فهل نذهب بعيداً إذا قلنا أن ذلك العلم عند السفارة كان من ضمن المؤهلات التي زكته كزعيم مطلوب لقيادة العرب نحو الصلح مع إسرائيل ؟

م[١٥] ـ وإليك ما كتبه « فتحي رضوان » وتعليقنا عليه كما نشرناه في رسالة التوحيد نوفمبر ١٩٨٥ ، وهو يعرفنا أن « محمد نجيب » لم يكن يعرف أسماء الوزراء وهو يخطرهم تليفونياً بتعيينهم فيخطيء في أسمائهم وعبثا يصحح الحاضرون » (وتفسير ذلك الآن بعدما عرف من حقائق أن بعض الاسماء جاءت من جهة خارجية ، ومادام كافري يملك الاعتراض فالاقتراح أسهل قبولاً) .

ويقول عن تشكيل أول مجلس وزراء للثورة « برئاسة محمد نجيب » :

« فها نحن أولاء في أعقاب ثورة ضخمة ، ولكنا ، مع ذلك حينما نتكلم في تأليف وزارة تبدو المطامع الشخصية والحزبية . . حينما ندعو الناس للوزارة ، لا نجد مظهراً للمباديء وحينما نتهيأ لتشكيل حكومة وطنية ، ترانا مضطرين إلى جمع عدد من الناس من هنا وهناك . . دون أن تربطهم علاقة من رأي ، ولا صلة من جهاد سابق ، بل دون أن يجلس بعضهم إلى بعض ولو لمدة نصف ساعة ، يتساءلون : « ماذا سيفعلون » . ثم يجيبون على هذا السؤال . . ولو بكلمتين .

● عيدي أمين أيضاً كان له صديق داخل إسرائيل منذ كان يتدرب هناك وكان أيضاً يستشيره في مكافحة الانجليز . . وهذا الصديق هو الذي تولى مهمة شغله بمكالمة تليفونية حتى أتم اليهود عملية مطار عنتيبي . فهل ياترى كان صديق عبد الناصر على التليفون يوم الخامس من يونية . . أو حتى يوم ٢٩ أكتوبر ١٩٥٦ . . ؟!

إن بعض الوزراء في هذه الوزارة ، لم يكن يعرف أسماء بقية أعضائها !! . بل لعله لم يسمع بها من قبل . وبعضهم لو قيل له ـ قبل دخوله الوزارة بنصف ساعة ـ أنه سيشتغل بالسياسة ، لاستلقى على قفاه من الضحك !! ومنهم من لو قيل له أنه سيشترك ـ مع بعض الذين زاملهم في الوزارة ـ في رحلة راحة واستجمام ، لرفض أن يسير معهم في طريق . وقد كان من الوزراء من دخل هذه الوزارة ، لأن صديقاً ذا نفوذ رشحه لها . . كل هذه المعاني جالت في خاطري ربما بوضوح أقل ، ولكنها لا بد أن تكون قد عبرت إلى وجداني فألقت فيه غير قليل من القتامة (ص ٥٢) .

تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى ! . .

وزراء لا يجمعهم مبدأ ولا هدف ولا تنظيم ولا حتى احترام أو ثقة متبادلة ، قبل ربع ساعة كانوا يرفضون الخروج معاً في نزهة ، ولكن أمام « عضمة » السلطة يهزون ذيولهم ويبصبصون بأنوفهم ويقولون للعامة إنهم قيادة الشعب نحو بناء مستقبل أفضل وسياسة أشرف !

هل مر على مصر مجلس وزراء بمثل هذا الزيف والكذب والوصولية ؟! هل حدث أن جمع وزراء لحكم مصر بهذه الطريقة التي شكلت المجلس « الثوري » وهل من سياسي يحرص على اسمه أو له شرف وعقيدة بل حتى مجرد كرامة يقبل أن يشترك في هذا الجمع فضلاً عن الاستمرار فيه ؟!

إذا كنت قد قرأت وصف اجتماع « الديوان » في عهد كليبر عقب فشل ثورة القاهرة كما سجله الجبرتي ونقلناه في كتابنا « ودخلت الخيل الأزهر » فستذكرك تلك الصورة بمنظر وزراء الجنرال عبد الناصر وهي صورة للرعب الذي حكم مصر ١٨ سنة ، وأيضاً لهذه الحكومات التي كانت رجالا قبل أن تعتصم بخشبة السلطة هرباً من حبل المشنقة ! وقارن بين حالة الوصولي المرعوب ، ورجل المبادىء ـ حتى ولو كان « رجعياً » ـ المحتفظ بكرامته ، الذي قال : « لا » وهو يعرف ما ينتظره . . ومتى كان المثقف المصري يرهب سيف فرعون ، أو يشترى بذهب المعز . .

ولا يشوه صورة المثقف المصري ، حفنة مرتزقة باعوا الكرامة واشتروا الرعب والذلة والإهمال ببضع سنين أو شهور . . اقرأ وصفه لمجلس الوزراء « الثوري » المرعوب :

« دخلت القاعة التي كان يشغلها رئيس مجلس قيادة الثورة ، لأرى فيها مشهداً عجيباً . أناس مدعوون للوزارة ، وعلى وجوههم من علائم الخوف والفزع ، ما لم يعل وجه مصري دعي للوزارة من قبل فقد تصوروا أنهم مقبوض عليهم . إذ أن الدعوة التي وصلتهم لم تبين لهم لماذا دعوا إلى « مجلس قيادة الثورة المخيف » . وبعضهم أدرك أنه مرشح لتولي منصة الحكم . ولكنه أشفق من هذه الدعوة ، فالملك لم يكن قد غادر البلاد إلا منذ أقل من شهرين . وأمور السياسة لا تستقر على حال . . وقد يعود الملك إلى مصر ، فسيعتبر من تولى أمور الحكم استجابة لدعوة الثورة . . متمرداً ، وخائناً . وقد يساق إلى المشنقة . . بوصفه ثائراً ، وخارجاً على مليكه وفي أحسن الظروف قد يودع السجن وإن هو خرج منه . . فنصيبه التشرد والجوع ثم . . من يضمن أن الاعتذار عن دخول الوزارة ، لن يفسر بأنه رفض للتعاون مع الثورة ؟ . وقد تستقر هذه الثورة أو يطول عمرها . فيكون هذا الرفض مخاصمة لها تعرضه للمكاره والتضييق !! .

ولقد رأيت أحد المرشحين متجهاً إلى القاعة ومن خلفه ضابط من الشرطة العسكرية . . و « المرشح المسكين » يتلفت حوله ، وكأنه يطلب الغوث والنجدة ولما رآني ـ وكان يعرفني ـ هتف

باسمي ، واندفع نحوي . . ولولا الحياء لألقى بنفسه على صدري !! ولكن المرشحين اللذين سبق لهم أن شاركوا في الحكم قبل الثورة دخلوا القاعة هادئين ، وعلى وجههم قرار ظاهر مقروء :

(نحن لن نشترك في هذه الوزارة . . لأننا لا نتفق مع مبادئها . . وفي مقدمتها : الإصلاح الزراعي ، وتناول الأمور بروح ثورية تقلب عاليها سافلها) . . وكان في مقدمة أصحاب هذا القرار : محمود محمد محمود والمهندس حامد سليمان ومريت غالي . . وإبراهيم بيومي مدكور وكان من المعتذرين صاحب شخصية غريبة لا تعرف بواعثها ولا تطمئن إلى مفاجآتها . . ذلك هو « الباشا » حفني محمود ـ شقيق صاحب المقام الرفيع محمد محمود (باشا) رئيس حزب الأحرار الدستوريين ـ حزب الأرستقراطية المصرية وقد انتهى به الأمر إلى أن يكون نصيراً للسلام ، وصديقاً للشيوعيين ويسارياً » ص ١١٦ .

مجلس الرعب هذا ، كان أول من يعرف أن ليس له من الأمر شيء ، وأنهم خشب مسندة ، لا يعصون الضباط أمراً ويقضى الأمر في غيبتهم ولا يدرون شيئاً وهم شهود ، وهاهو يصف لنا سلوك الوزراء في الاجتماعات التي كانت « الدعاية » التي أشرف سيادته عليها ، تصورها لطولها بأنها الحدث والتغيير والشباب والقدرة والإنجاز . . اقرأوا وصفه الآن عندما واتته الشجاعة بعد ١٥ سنة من وفاة الوحش :

« وقد ترتب على هذه الجلسات الطويلة أن عدداً من الوزراء كان يستغرق في النوم أثناءها !! وكان المرحوم إسماعيل القباني وزير المعارف (التربية والتعليم) لا ينام فقط . . وإنما يسمع له « شخير » عالٍ . . وهذا لا ينفي أنه كان عالماً فاضلاً . ومواطناً شجاعاً . . يدافع عن رأيه وكرامته بلا هوادة . . وقد كان الرئيس يحتاج في بعض الأحيان إلى إيقاظ الوزراء من نومهم ، ليأخذ آراءهم في المسائل المعروضة . . ولهذا أصبح من فكاهات المجلس المتداولة ، عبارة قلتها مرة ، وهي : « الموافق من حضراتكم يصحى . . » بدلا من « الموافق يرفع يده » !! لم يكن السهر مقصوراً على جلسات مجلس الوزراء ، وإنما شمل لجانه الفرعية . . وفي إحدى اللجان ـ وكانت برئاسة المرحوم جمال سالم ـ سهرنا حتى الصباح تماماً لمناقشة قانون المرور ! ولكن مندوبي الصحف الذين ناموا على مقاعد مبنى مجلس الوزراء ، كانوا يظنون أن هذه اللجنة تبحث مسألة من أخطر مسائل الدولة . فلما خرجنا لنستقل السيارات إلى منازلنا ، كان منظر هؤلاء الصحفيين ، أشبه بصرعى ميدان قتال . . فمنهم من انكفأ على وجهه على منضدة إلى جواره . ومنهم من تمدد على ظهره . . ومنهم من افترش أرض المجلس ، وراح في نوم عميق وهادىء!! » (ص ٥٤) .

أما إذا كان هو يدعي أنه نجح في البقاء متيقظاً ، فإن صح ذلك فعلى حساب قواه العقلية فقد روى أنه خرج من هذا الاجتماع « وقد طار النوم من عينيه من فرط الإجهاد العصبي » فاختلت قواه العقلية وخيل له أن السماء فتحت فيها ليلة القدر على شكل كلمة يارب بالنيون ! . . وعلى الفور أصدر بياناً إعلامياً من بيانات وزارة الإرشاد فقال لمرافقه « ألا ترى أن السماء قد أضاءت بلفظ الجلالة إنها ظاهرة لها دلالتها » وقبل أن يندفع في الفتوى ، ويربط بين السماء إذا انشقت والثورة إذا اكتملت وأذنت لأمريكها وخضعت . . والحقيقة انبطت ! . . عاجله مرافقه : صح النوم « دا اعلان محل يهودي اسمه ديارب » !!

هذا الصاحي في مجلس الوزراء . . يبقى النايم أحسن ! نوم الظالم والمذعور عبادة !

والوزراء المدنيون بعدما جمعهم جمال سالم على أسوأ حال وأبلغهم بقرار عزل رئيس الجمهورية الذي أقسموا أمامه يمين الولاء ، خرجوا وهم يقولون « ربنا يستر » كأنهم ولايا وليسوا وزراء العهد الثوري ! (انظر ص ٢٩) .

م[16] ـ لابد من مراجعة ما قدمناه في فصل الأمريكان عن التهامي هذا ، وموقف المخابرات الأمريكية من محمد نجيب لتفهم حماسته ومبادراته باعتقال محمد نجيب لحماية الثورة من الانحراف حتى انتهى إلى الاجتماع مع موشى ديان .

م[17] ـ وهل تندهش إذا عرفنا أن الضابطين اللذين قاما بهذه المبادرة « الثورية » في اعتقال « محمد نجيب » وتدعيم ناصر ، هم من الأربعة غير الراشدين الذين تلقوا تدريباً خاصاً على يد أساتذة المخابرات الأمريكية وأحدهما أشهر في التخابر الأمريكي من « بديعة مصابني » في مجالها . . فماذا عن الآخر ؟ . .

الفصل السابع

انتصارات عبد الناصر وخسائر الوطن

« .. و « مصادفة » جاء الإعلان عن صفقة السلاح في اليوم التالي مباشرة لإلغاء المحاكم الشرعية .. »

ج

ولأن هدف كتاب هيكل هو صرف الأنظار تماماً عما جرى في « صحراء » سيناء ! فإن الكاتب سيسود عشرات الصفحات في الحديث عن انتصارات « باندونج » و « حلف بغداد » و « صفقة السلاح » وهي الأسطوانة المشروخة التي صدعت رأس المواطن العربي ١٥ سنة حتى تحطمت واحترقت في نيران ١٩٦٧ ولكن هاهو من يريد أن يسقينا مرة أخرى من البئر التي بصق فيها الجميع . . يعود ليحدثنا عن انتصارات الخطب والمؤتمرات الدولية وقد قرأنا تحليل جولدا مائير عن بن جوريون وأنه لم يكن يهتم إلا بما يضيف للقوة المادية اليهودية ، ولا يهتم قلامة ظفر بالمؤتمرات الدولية والصحافة العالمية .

ولنبدأ من « باندونج » .

فقد أثار الإعلام الناصري ويثير ضجة حول اشتراك عبد الناصر في مؤتمر « باندونج » ، ويبدو للناصريين الجدد ، أن عبد الناصر ارتكب المحظور والمحرم وفتح الطلسم وتحدى أمريكا وبريطانيا بذهابه إلى مؤتمر ينادي بعدم الانحياز . . الأمر الذي كان دلاس يعتبره « جريمة أخلاقية » . .

كما قبل عبد الناصر وحده ، أن يظهر مع أشخاص « مشبوهين » مثل شوان لاي وتيتو وسوكارنو . . بل حتى نهرو . . ومن ثم ـ فعند هؤلاء ـ أن مجرد الاشتراك في باندونج كان عملاً بطولياً نادراً في شجاعته ، وتحدياً وصفعة للامبريالية الأمريكية بالذات . . لا تأتي إلا من ثوري مثل فتى بني مر ! . . بينما منعت الامبريالية الاشتراك فيه عن سائر الدول غير الثورية التحررية . . الخ !

ولن نتمسك كثيراً بالرواية المثيرة التي أثبتها « مايلز كوبلاند » والتي تزعم أن خطة عمل الوفد المصري في مؤتمر باندونج ، وضعها خبراء من واشنطن . وراجعها ونقحها رجال المخابرات الأمريكية في القاهرة . . ومع ذلك فلا بأس من إثبات ما رواه قال :

« قبل سفر عبد الناصر إلى باندونج كان أصدقاؤه الأمريكان منتعشين ، وكانوا أيضاً يشجعونه على الاعتقاد بأنه سيجد لنفسه مكاناً في نادي الكبار . .

وجاء خبراء من واشنطن لكتابة ورقة عمل ، وترجمت هذه الورقة للعربية بواسطة « علي صبري » الوزير بدون وزارة في الرئاسة ، على أساس أن يستعير عبد الناصر بعض ما بها من أفكار . كما جرى تلقين مساعدي عبد الناصر ، بعض ما يمكن أن يصادفهم من شوان لاي والشيوعيين . كما قدمت معلومات هائلة لعبد الناصر عن الوضع السياسي في أندونيسيا وهو موضوع كان هاماً جداً للولايات المتحدة ، ولعبد الناصر في نفس الوقت من ناحية أن سوكارنو كان أحد منافسيه في المؤتمر . ولما كان الخبراء الذين جاءوا من واشنطن على اتصال فقط بالسفير بايرود ، فإن اطلاعنا على ترجمة « علي صبري » لما كتبوه أثار حماستنا ، فقد وصلت إلينا مكتوبة على ورق من رئاسة الجمهورية ، بدون إشارة إلى أنها مجرد ترجمة لأصل أمريكي . . بل بدت كأنها تعرض الموقف الذي ينوي عبد الناصر فعلاً أن يتخذه ، وعندما ترجمها المسئول السياسي . في السفارة « بيتر تشيس » إلى الانجليزية ، وقدمها لبايرود ، قال له « بيتر » إنها أذكى ما قرأ لأي حكومة في الشرق الأوسط . وأن الحكومة الأمريكية ربما تجد في ناصر ، **عنصراً مهماً في التأثير على دول أفريقيا وآسيا لكي تصبح محايدة حقاً ، بدلاً من أن تحايد إلى جانب الشيوعيين كما بدأ شعار الحياد الايجابي يعني فعلا »**[1]

بصرف النظر عن واقعة « ورقة العمل » وإن كنا نعتقد بصحتها ، فإن ما أورده يثبت الآتي :

١ ـ لم يكن اشتراك مصر « رغم أنف » أمريكا ولا على جثتها بل رحبت به ونظمت مساعدة الوفد المصري بكل ما أورده ، وما لم يورده . .

٢ ـ كانت خطة أمريكا في منتهى البساطة كما سنشرحها بالتفصيل ، إرسال زعيم تثق فيه وفي عدائه للشيوعية ليعطي « الحياد » نكهة غير شيوعية . . لأن الموجة السائدة والتيار كان يعطي الحياد لوناً شيوعياً . .

ومع ذلك كما قلنا لن نتمسك بهذه الرواية لأنها « أفظع » من أن تصدق ! . . ونعود لبداية الحديث . . فنسأل أي شجاعة أو غرابة في الاشتراك في المؤتمر ؟!

المؤتمر اشتركت فيه كل من : سوريا ولبنان والسودان العراق والأردن والسعودية وليبيا واليمن ؟!

أي جميع الدول العربية المستقلة وقتها ، والمرتبطة بمعاهدات أو قواعد سواء مع بريطانيا أو أمريكا ؟! فلماذا يكون اشتراك مصر عجباً وحده ؟! . . ونصراً يسجل ، ويوازي ما جرى من كبت وهزائم ؟! ما العجب في اشتراك مصر ؟! ما الإنجاز التاريخي ، والتحول العالمي ، والموقف الوطني الذي تجلى بمجرد السفر إلى باندونج ؟!

كلهم سافروا : ليبيا إدريس السنوسي ؟! وعراق نوري السعيد . . بل حتى إسماعيل الأزهري الذي عاد من لقاء ملكة بريطانيا ليشن حملة شعواء على عبد الناصر لم يتأخر عن حفلة باندونج . . بل كان بارزاً هناك في مناكفته للوفد المصري ، بل قيل إن « شوان لاي »

دافع عن حقه في التحدث باسم السودان . . عندما قال : « أعتقد أن هذا الأسود هو أحق من في القاعة . . بالحديث عن السودان » .

فلماذا ينفرد « عبد الناصر » بالثناء التاريخي ويحرم منه الملك إدريس ونوري السعيد والإمام أحمد . . الخ ؟!

سيقول الناصري . . ليس المهم الاشتراك ، وإنما المهم المكانة البارزة التي كانت لعبد الناصر في المؤتمر ؟!

وهذه المكانة هي من شقين : شق من صنع الإعلام المصري الذي قال عنه سلوين لويد إن « جويلز يحسد عبد الناصر عليه » وكانت هذه تلميحة منه للخبراء الألمان الذين جاءت بهم المخابرات الأمريكية لمساعدة الإعلام المصري . والذي يمكن القول إنه كان أقوى إعلام في تلك الفترة في العالم الثالث كله ، والذي كان يبذل وقتها ـ جهداً خاصاً بمعونة « أهل الخبرة »[٢] لرفع شعبية عبد الناصر بعد اتفاقية الجلاء وتأكد انفصال السودان ، ومذبحة الإخوان المسلمين ، وتحويل الوطن إلى سجن كبير لشتى القوى السياسية من اليمين إلى اليسار . . وقصة الخلاف حول تنظيم الاستقبال الشعبي للقائد من باندونج معروفة ، وقد طارت فيها رأس جمال سالم الذي كان نائباً لرئيس الوزراء ، أي حاكم مصر في غياب عبد الناصر أو هكذا كان يعتقد ، وأراد أن يكون استقبال عبد الناصر عند عودته من باندونج « استقبالا عفويا وبمبادرة الجماهير » وكان ذلك يعني أن عبد الناصر سيصل للمطار ويتوجه إلى بيته دون أن يدرى أحد ، كما حدث لكل الوفود التي اشتركت في مؤتمر باندونج ، فلم يكن المصريون قد تخدروا بعد بأمجاد النصر الخالد الذي حققوه باشتراكهم في « باندونج » ولكن الأجهزة الخفية التي كان يحكم بها الرئيس مصر ، كانت ترى في ذلك فرصة كما قلنا لكسب شعبية ، وتغطية الاعتراضات المطروحة من المصريين . . فقرروا تحدي جمال سالم . يقول بغدادي : « ولكن هيئة التحرير والمسئولين بها : إبراهيم الطحاوي وأحمد طعيمة لم يلتفتا إلى أوامره واتخذا ترتيبات أخرى مخالفة لتلك التي أمر بها (جمال سالم) بل وتم نشر الترتيبات التي اتخذاها على صفحات الجرائد اليومية دون إذن منه . وكان جمال سالم يرى أن يكون استقبال جمال عبد الناصر الشعبي نابعاً من الجمهور نفسه دون تدخل من الأجهزة الرسمية للدولة ، ولكن المسئولين عن هيئة التحرير قاموا بالعمل على نقل العمال إلى المطار ومناطق أخرى متعددة بغرض التجمع بها . وعلى طول الطريق الذي سيمر به جمال عبد الناصر وهذا التصرف ضايق جمال سالم . . الخ »[٣]

وقد عوقب جمال سالم بنزع اختصاصاته كنائب رئيس وزراء فور عودة عبد الناصر ، عقاباً له على الاعتماد على « مبادرة الشعب » .

هذا عن العنصر الأول في أسطورة نجم « باندونج » أما العنصر الثاني والحقيقي ، فهو مكانة مصر التي جعلت نهرو خلال زيارته لمصر يتحدى عبد الناصر ويصر على مقابلة الرئيس مصطفى النحاس المحددة إقامته وقتها ، لأنه كما قال : « إن الحركة الوطنية في الهند تتلمذت

على حزب الوفد . . » .

وإلا كيف تفسرون استقبالات أندونيسيا ؟ كيف يمكن تفسيرها بشخصية عبد الناصر ؟ الذي لا يتحدث الأندونيسية ولا الهولندية ؟! ولا كان وقتها قد حقق إنجازاً واحداً يبرر أن يستقبله الشعب الأندونيسي هذا الاستقبال المفرط في الحماسة . . ؟!

هل كانت معاهدة الجلاء إنجازاً أكبر مما حققه سوكارنو بتحرير أندونيسيا ؟!

هل كانت يسارية وتقدمية عبد الناصر هي السبب وهو الذي لم يسافر إلى باندونج ، إلا بعد أن شن أكبر حملة اعتقالات ضد الشيوعيين المصريين ، صفى فيها تنظيم « الراية » (الحزب الشيوعي المصري) بينما كانت أندونيسيا تضم أكبر حزب شيوعي في آسيا بعد الصين ؟

هل كان الشعب الأندونيسي لا ينام الليل متابعاً معركة حلف بغداد بين عبد الناصر ونوري السعيد . . ولذلك خرج إلى الشوارع يحي بطل ضرب حلف بغداد ؟! حتى هذه لم تكن قد اشتعلت بعد . .

ماذا كان عبد الناصر يمثل في أبريل ١٩٥٥ للشعب الأندونيسي حتى يكون استقباله هناك « أشد حماسة من استقبالاته في القاهرة والأسكندرية . . فكان ظهوره على منصة الخطابة أو في الأروقة أو الشوارع يقابل بمظاهرات حارة جداً » .

والمتمركس ناقل النص يلقي كعادته بنصف التفسير ثم يعدو هارباً خوفاً من الناصريين الذين يحلو لهم دائماً أن يجعلوا عبد الناصر أكبر من مصر فهو يقول : « كانت هذه أول رحلة لجمال عبد الناصر خارج مصر ، ظهر فيها كنجم بارز يمثل دولة ذات حضارة عريقة ولها دور قيادي في الدول العربية التي كانت تشكل ثلث أعضاء المؤتمر »[4]

طبعا كاتب مثله لن يشير إلى الإسلام ولكنه اعترف بأن بروز عبد الناصر كان لوقوفه على منصة مصر وليس العكس كما يروج أو يسجل صبية الناصرية ، مكسب « باندونج » على حساب مصر !

ما من تفسير واحد لشعبية وتألق عبد الناصر في أندونيسيا إلا أنه القادم من مصر « عش العلماء » وبلد الأزهر الشريف الذي منه هذا الشيخ المعلق بركاب عبد الناصر . وأيضاً بلد ثورة ١٩ وإلغاء المعاهدة . . الخ .

ونضيف عدة ملاحظات لمن يريد التوسع في دراسة باندونج وفكرة عدم الانحياز وقتها :

عدم الانحياز لم يكن شعاراً موجهاً بالدرجة الأولى ضد المعسكر الغربي . . أو على الأقل لم يكن موجهاً ضده وحده !

فالمعسكر الشيوعي كان لا يزال متأثراً بنظرية ستالين ـ زادنوف عن انقسام العالم إلى معسكرين : معسكر الاستعمار ، ومعسكر السلام . « ولا أحد يستطيع أن يجلس على السور ، فإما أن تقع في هذا الجانب أو ذاك » .

ومن ثم فظهور نظرية ، بل وتنظيم يؤكد أن السور ، ليس فقط ، يتسع لمن يريد الجلوس عليه ، بل هو المكان الطبيعي لدول العالم الثالث ، أي أنه ليس من الضروري لكل من أراد التحرر من الاستعمار أن يقع في أحضان الروس مثل هذه النظرية موجهة بالدرجة الأولى ضد روسيا ، ضد التيار الذي كان يجذب حركات التحرر الوطني نحو موسكو ، حتى وإن نجح الروس في تطويقها وامتصاصها فيما بعد . . ولم يكن مصادفة أن تكون نجوم المؤتمر هي الصين ويوغوسلافيا وأندونيسيا . . والهند . . وكلها كانت تخوض صراعاً متفاوت الحدة والعلنية ضد « الهيمنة السوفيتية » أما عبد الناصر فهو كما ـ وصف بحق ـ الرجل الذي قضى على الشيوعية في العالم العربي ودعك من هستيرية دلاس فالقوى الأكثر اتزانا في الإدارة الأمريكية ، كانت تعيش التطور الجديد . وكانت تؤيد « اتزان » الحياد ووقف اندفاع الدول الآفروآسيوية للاتحاد السوفيتي باسم « الحياد الإيجابي » .

الوجود العربي في المؤتمر (٩ من ٢٩ دولة) كان بلا شك عنصراً ملطفاً في مواجهة أية حماسة يثيرها شوان لاي ولم يكن مما يغضب الأمريكيين أن ينتزع عبد الناصر عدو الشيوعية الأضواء في المؤتمر من « شوان لاي » أو سوكارنو المشاغب مع الأمريكان وضحيتهم في النهاية .

وإذا أضيفت إلى قائمة المكاسب رفع شعبية عبد الناصر في المنطقة حيث كانت الولايات المتحدة لا تزال تراهن عليه في تصفية الوجود البريطاني وأيضاً في تحقيق التسوية السلمية مع إسرائيل ، وهو الهدف الذي لم تتخل عنه قط . . كذلك اكتشف الأمريكان ، كما اكتشف الإعلام المصري ، وجود ميدان آخر يمكن كسب انتصارات فيه وتجريعها للجماهير لكي تنسى ميدان المكاسب الحقيقية وهو الصراع ضد إسرائيل .

إسرائيل لم تشترك في « باندونج » ولم يخطب بن جوريون في « بالي » ولا قام فيها مقر المؤتمر الآفروآسيوي ، ولكن ذلك لم ينتقص من مكانتها العالمية ، والدليل : أن العالم كله كان معها عشية عدوان ١٩٦٧ وضد عبد الناصر الذي لم تفده مكانته الدولية ولا باندونج ولا عدم الانحياز ولا الحياد الإيجابي ، ولا آسيوى ـ أفريقي . كل هذه الفقاقيع التي استخدمت على أوسع نطاق لتخدير الجماهير المصرية والعربية . وحرف أنظارها عن مواجهة إسرائيل . . التي كانت تعمل ليل نهار لتحطيم القدرة العسكرية المصرية . .

وهكذا كانت المهرجانات تقام باسم باندونج ، والقصائد أو المقالات تدبج في بطل باندونج ، وإسرائيل تحتل المنطقة المنزوعة السلاح في العوجة والكونتللا وتذبح الجنود المصريين والمواطنين الفلسطينيين في غزة ! وتشحذ آلة الحرب استعداداً لعدوان ١٩٥٦ وقد لخص « المعلم » مايلز كوبلاند النجاح المصري في عالم الآسيوي ـ أفريقي وباندونج . . الخ فقال :

« فشل ناصر في تحويل الدول الأفريقية ضد إسرائيل ، وهو لم يكن هدفاً جاداً من أهدافه على أية حال (؟! ج) ولكنه نجح في كسب تأييد واسع آسيوي ـ أفريقي للقرارات المضادة

للامبريالية في الأمم المتحدة وغيرها ، وكذلك تأييد حق تقرير المصير ، ودور متزايد في العالم الآسيوي ـ الأفريقي مما أدى إلى تقديم الانجليز والفرنسيين والأمريكان مساعدات أكثر لمصر في محاولة لشرائه » .

باندونج كانت المهرجان والنشاط آسيوي ـ الأفريقي كان من لزوم المهرجان ولا علاقة له بالمواجهة المصرية ـ الإسرائيلية إلا بالسلب . وربما كان كاتب متمركس نصف ناصري يشير إلى حكاية شرائه هذه عندما قال إن عبد الناصر كان يريد شل المؤتمر الآسيوي ـ الأفريقي عندما جاء به إلى القاهرة ومنعه من أن يلعب دوراً سياسياً إيجابياً ، ولذلك تعمد أن يُفرض عليه « عسكري » ليس له أية اهتمامات سياسية ـ في رأي هذا الكاتب ـ مما أدى إلى تحول المؤتمر إلى « مقر هامشي بلا فعالية أو أثر وربما كانت الخشية من زحف الأفكار اليسارية « الخ »[5]

فنشاط مصر في المؤتمر الآسيوى ـ الأفريقي استهدف شله وتفريغ فعاليته !

إلا أن « باندونج » كان بداية تطور جديد للناصرية ، ومن هنا أهميته الحقيقية ، لا كانتصار لمصر . . ولكن كتغيير في المعادلة . . فالروس باعتبارهم يتحركون على موجة واحدة ، وليس بين أجهزتهم هذا التناقض أو التفسخ الموجود في الأجهزة الأمريكية ، نصبوا شباكهم لهذا المتعطش للزعامة ، والقادم من أهم بلد في آسيا وأفريقيا ، وقتها ، وكما رأت الولايات المتحدة في عبد الناصر قوة صدام وحاجزاً ضد الشيوعية ، كذلك رأى السوفيت فيه إمكانية لدخول قصر لعبة الأمم في الشرق الأوسط ، يقول كوبلاند : « في باندونج سر ناصر الطرفين ، الأمريكان لأنه خفف الحملة على الغرب ، والروس بتأييده الحملة على الاستعمار » إلا أن الموقف اختلف لأن الروس لم يتحفظوا في مدح سلوكه ، بينما كانت لنا نحن تحفظاتنا ، كذلك أقنعه الروس أنه وصل (القمة) أما نحن فلم نقل له ذلك »[6]

وهذا طبيعي فالأمريكان كانوا يتوقعون من « صديقهم » أكثر مما كان بوسعه أن يقدم ، والروس كانوا ينتظرون من « البكباشي » الفاشي معتقل الشيوعيين « عميل » الغرب أسوأ بكثير مما حدث . . فكان أن عتب هؤلاء وابتهج أولئك . . وعبد الناصر تصرف التصرف الطبيعى ، فلم يكن بوسعه أن يزاحم شوان لاي ونهرو وسوكارنو . . إذا اتخذ موقف شارل مالك أو نوري السعيد . . فهو لم يكن مسحوراً « بشوان لاي » كما « دس » له شارل مالك عند المسئولين في المخابرات الأمريكية ، بل كان يحاول إبطال سحر شوان لاي ، كانت الموجة هي سب الاستعمار ، أما مهاجمة « الهيمنة السوفيتية » فلم يكن شعارها قد طرح بعد ، وإن كان في صدور الرجال مثل « تيتو » و « شوان لاي » .

ويعتقد « مايلز كوبلاند » أن البيروقراطيين في واشنطن لم يفهموا ذلك ومن ثم ضاق صدرهم بعبد الناصر ، بينما التفسير الأخبث ، يقول : إن الرؤساء في واشنطن الذين يديرون لعبة الأمم ، رأوا أن إظهار غضب أمريكا وهزيمتها . يساعد على نجاح

عبد الناصر ، ويضاعف مكاسب اشتراكه في المؤتمر . . بينما التفسير الأقرب للعقل ، هو أن الأجنحة الأمريكية المعادية للشيوعية عداء صليبياً ، وكانت أمريكا غير معترفة بالصين وحديثة عهد بالمكارثية ، لم تلتئم جراحها بعد من حرب كوريا . . هذه العناصر التي ستقود أمريكا إلى حرب فيتنام ، كانت ضد أن يظهر أو أن يصافح موظف في دائرة نفوذها ، الزعيم الشيوعي الصيني شوان لاي . . ومن ثم غضبت من عبد الناصر . .

وهناك أيضاً المدرسة الإسرائيلية في السياسة الأمريكية التي كانت تعمل ليل نهار لنسف العلاقات الناصرية ـ الأمريكية ، وإحباط مشروع اعتماد مصر ـ عبد الناصر ، كالوكيل أو الاحتياطي الأمريكي في المنطقة ، وهذه المدرسة سلاحها المفضل ، هو اتهام عبد الناصر بالشيوعية ، ووسيلتها هي استفزازه لكي يندفع أكثر في اتجاه الشيوعية .

وربما يكون التفسير الصحيح هو مزيج من هذه التفسيرات جميعاً . . بل أغلب الظن أنه كذلك !

المهم يرى « كوبلاند » أن الروس كانوا أذكى في قبول خطوة عبد الناصر في اتجاههم والترحيب بها والشد على يده ، ومعاملته كزعيم عالمي . . والتغاضي عن خطواته في الاتجاه المضاد .

يقول : « وقد انتقل برودنا إلى مصر في أكثر الأشكال استفزازاً فأولا لم يظهر السفير بايرود في مطار القاهرة في استقبال عبد الناصر عندما عاد عودة الفاتحين من المؤتمر ، وعندما وصل عبد الناصر إلى منزله كان أول تقرير يتلقاه هو أن بايرود لم يكتف بمقاطعة الاستقبال ، بل ونصح كل سفراء الغرب الآخرين بتبريد الدخول الظافر . . والحقيقة هي أن « بايرود » تحدث مع السفير البريطاني وسأله ما البروتوكول المفروض ، فنصحه بترك سفراء الدول الأفروآسيوية ينعمون بيومهم . فلما اتصل عدد من سفراء الدول الغربية يسألون بايرود هل أنت ذاهب رد عليهم بأنه يعتقد أن وصول عبد الناصر يجب أن يبقى آسيوياً ـ أفريقياً . . وأن عبد الناصر سيسعده أن نبقى نحن البيض بعيداً » .

وهذا لغو ، لا أهمية له ، وإن كان قد حرص على « تلبيس » المسئولية للسفير البريطاني ! . . إلا أن « اللعبة » كانت تبدأ بالاتفاق مع الأمريكان ، ولكن البطل لكي يندمج في الدور ويثير حماسة رواد « المهرجان » كان عليه ، وغالبا ما ينجح ، إغضاب الأمريكان الذين بسبب نظامهم وارتباطهم السرطاني بإسرائيل ، سرعان ما يطورون هذا الغضب « الصحي » ، إلى فشل سياسي ، بالنسبة لهم ، ومظاهرة ناصرية ـ سوفيتية !

وفي النهاية ماذا بقي في يدنا من باندونج ؟

ماذا افادت باندونج ميزان الصراع المصري ـ الإسرائيلي . . ؟*

سيقفز الجواب من حلوقهم . . صفقة السلاح . . فقد كان حديثها في باندونج من شوان لاي . . وكانت باندونج بداية المسيرة في اللعب على حبال الوفاق والتناقض بين الغرب والشرق . .

---

* ويجبرنا حمروش على الضحك رغم ثقله عندما يسجل مأثورة أخرى لباندونج فيقول : « أراد دلاس أن يلقن مصر درسا (لاشتراكها في باندونج) فأعاد بن جوريون إلى منصب وزير الدفاع الإسرائيلي » ! كأن إسرائيل « مشيخة » دلاس يعيد ويعزل حكامها ؟!

.. وحلف بغداد

وإذا كان هيكل قد اضطر إلى الاعتراف بأن معركة حلف بغداد لم تكن مع الولايات المتحدة بل لمح إلى عجز بريطانيا عن فهم السياسة الأمريكية فـ « الأحلاف كانت سياسة أمريكية ، ومع ذلك ترددت أمريكا في الانضمام لحلف بغداد »[٧] إلا أن الغبار مازال يغلف قصة حلف بغداد ، والشائع عند السوقة ، أنها كانت معركة مصيرية خاضتها مصر وحدها وأحيانا بدعم العناصر الوطنية في سوريا ضد الحلف الشيطاني الأمريكي ـ الإسرائيلي ـ البريطاني ـ العراقي ـ التركي . . الخ !

والصورة الحقيقية بعيدة كل البعد عن ذلك وهي باختصار :

كانت بريطانيا وحدها وعملاؤها من العرب مع الحلف . .

وكانت أمريكا وإسرائيل ومصر والسعودية وسوريا ضد الحلف ! وقد يبدو هذا مزعجاً وصدمة للناصريين القدامى الذين سكروا بخمر « معركة الأحلاف » ومخيباً لآمال الناصريين الجدد الذين يتطلعون لاستئناف هذا اللون من المعارك القليل الخسائر ! . . ولكن هذه هي الحقيقة . .

وفكرة الأحلاف أو محاولتها سابقة على قيام حركة ٢٣ يوليو ووصلت إلى شكلها الواضح المحدد في عامي ١٩٥٠ ـ ١٩٥١ . . ورفض مصر لها وتعرضها للضغط لقبولها ، وخلافها مع بغداد حولها سابق على ٢٣ يوليو . . ويرجع إلى هذا التاريخ . . وفي أوراق وزارة الخارجية الأمريكية عن عام ١٩٥٠ / ١٩٥١ مطلب عراقي ـ بريطاني بنصح مصر بالكف عن تحريض الدول العربية على رفض الانضمام للحلف المقترح من قبل العراق » !!

ومن المعروف أن بريطانيا وأمريكا وفرنسا وتركيا ، قرروا تشكيل قيادة للشرق الأوسط في عام ١٩٥١ على أن تضم مصر « وربما دولا أخرى من الشرق الأوسط » . .

وكانت الخطة هي ترضية المشاعر الوطنية في مصر والعراق بل وحتى الأردن بإلغاء المعاهدات الثنائية التي كانت تربط هذه الدول ببريطانيا والتي كانت تعتبر في نظر الوطنيين العرب معاهدات حماية واحتلال وسيطرة ومن ثم ترضي مشاعر هؤلاء بإلغاء هذه المعاهدات ، وفي نفس الوقت يتم تشكيل تنظيم جديد ، أو طرح صيغة جديدة تنتقل إليها كل الامتيازات العسكرية ، وبالتالي السيطرة السياسية ، ولكن تحت اسم أقل « بريطانية » وأكثر مداعبة لغرور هذه الدول ، وأكثر قابلية للدفاع عنه من العملاء المحليين . . أو كما جاء في مذكرة بتاريخ ٨ سبتمبر ١٩٥١ (أي قبل الثورة بعشرة شهور) من واشنطن تحمل عبارة سري جداً وعاجل : « تقرر أن يقترح على مصر الاشتراك في قيادة الشرق الأوسط وستصبح مصر عضوا في هيئة رئاسة الأركان وسيضم مكتب القيادة العليا ممثلا عن مصر وستشجع مصر على قبول مقر القيادة في أراضيها ، وتعطي مكانا مهما في تلك القيادة ، وتوفر لها التدريبات والمعدات لقواتها من الدول القادرة على ذلك في القيادة ، وتحول القاعدة البريطانية الحالية في مصر إلى قاعدة للحلفاء تحت إشراف قيادة الشرق الأوسط مع الاشتراك الكامل لمصر في إدارتها في الحرب والسلم . وتنسحب كل القوات البريطانية التي لن تنخرط في قيادة الشرق الأوسط وكل ما يبقى في مصر من قوات بريطانيا في الحرب أو السلم ، سينضم للقيادة وستضمن مصر للحلفاء في حالة الحرب أو التهديد بالحرب كافة التسهيلات والمساعدات التي تشمل استخدام مواني مصر وطائراتها ووسائل مواصلاتها »[٨] .

أي استبدال الاحتلال البريطاني باحتلال مشترك بريطاني ـ فرنسي ـ أمريكي . . أما تركيا فهي لربط الحلف بحلف الأطلنطي وكانت قد انضمت إليه تركيا في وقت سابق . .

وبالطبع رفضت حكومة مصر الاقتراح جملة وتفصيلاً وشنت عليه حملة شعواء في الصحافة المصرية . . ثم كان إلغاء المعاهدة وانهيار أي حديث عن تسوية مصرية ـ بريطانية ، وخاصة بعد أن صدرت مراسيم وحدة وادي النيل تحت التاج المشترك ، وأصبح من المستحيل على أية حكومة ولو برئاسة سائق السفارة البريطانية إلغاء هذا القانون ! . .

وكان الحل هو إلغاء « التاج المشترك » وهكذا بإلغاء الملكية في مصر سقط القانون وسقطت آثار القرار الوفدي الشجاع بإلغاء المعاهدة . .

وحلت مشكلة السودان . .

أما مشكلة الجلاء ، فكان من المستحيل على أية حكومة مصرية قبل ٢٣ يوليو أن تقبل « الدفاع المشترك » مع بريطانيا ، بمعنى استمرار الوجود البريطاني في مصر ، وإن ذهب بعضها إلى إمكانية قبول عودة الانجليز في حالة الحرب أو العدوان على مصر أو حتى البلاد العربية ، أما إدخال « تركيا » فكان مرفوضاً من جميع الأحزاب والحكومات حتى أكثرها رغبة في التعاون مع الانجليز . . وهذه العقدة أصرت عليها بريطانيا في مفاوضاتها مع عبد الناصر واضطر هذا إلى قبولها . . وبذلك لم يكن هناك مفر مع الضغط الأمريكي على بريطانيا ـ من

توقيعها الاتفاقية لتبدأ على الفور في محاولة الاستمرار في صيغة جديدة ، بل وأن تتسع هذه الصيغة لترضية العراقيين وخاصة نوري السعيد المطروح منافساً لمصر ، والذي يتحتم تقديم صيغة جديدة لارتباطه ببريطانيا بعد أن حصلت مصر على الجلاء وإلغاء معاهدة ١٩٣٦ . . وهكذا أوعزت بريطانيا بقيام حلف بين العراق وتركيا .

ونترك سلوين لويد وزير خارجية بريطانيا يحكي لنا القصة :

وسلوين لويد ، كما هو معروف ، هو وزير خارجية بريطانيا وقبلها وزير الدولة ، خلال السنوات التي سبقت وشهدت معركة القناة ، وحلف بغداد ، فهو من هذه الناحية شاهد عيان ، وهو أيضاً رئيس الدبلوماسية البريطانية الذي شاهد أو ساهم في تحويل بريطانيا العظمى إلى دولة من الدرجة الثانية ، هو آخر أجيال الامبراطورية ، وأول من شاهد واعترف مرغماً بحتمية قبول مقعد في الصف الخلفي في لعبة الأمم التي يتصدرها الأمريكان والروس .

ولكي نختصر كتابه الذي يقع في ٢٨٢ صفحة نقول إنه في هذه الفترة التي يحكي عنها كانت الولايات المتحدة تعمل بهمة لتصفية الوجود أو النفوذ البريطاني والفرنسي في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا . . تصفية ووراثة الامتيازات النفطية الأنجلو ـ فرنسية في المنطقة وما يستلزمه هذا وما يتبعه من مراكز استراتيجية ونفوذ ومصالح اقتصادية أخرى . . ولم يكن من الممكن لاعتبارات كثيرة أن يأخذ هذا الصراع صيغة الحرب العالمية الأولى أو الثانية أي القتال المسلح بجيوش الأطراف المتصارعة ، وإنما كان عليهم أن يتقاتلوا من وراء الأقنعة ، وبالقفازات من خلال القوات المحلية في الأجزاء النائية ، أو من خلال الانقلابات في سوريا ، انقلاب يوقع اتفاقية التابلاين وانقلاب يجمدها ، أو من خلال المحاور العربية حول حلف بغداد . أو بالدعم المصري ـ السعودي لثورة الجزائر والحركة الوطنية في المغرب .

ونرجو ألا يُسيء القاريء الفهم . فلا شك أن الخلاف حول « البوريمي » كان مطلباً وطنياً سعودياً مشروعاً . . وأن المقاومة البريطانية لهذا الحق كانت من أجل الإمكانات النفطية الهائلة المؤكدة في المنطقة وإن لم يكن في الواحة ذاتها ، ولكن باعتبار أن الولايات المتحدة لها مركز خاص في النفط السعودي وقتها ـ فإن أية إضافة للثروة النفطية للمملكة يضاف بصيغة ما ، إلى الرصيد النفطي الأمريكي في السوق العالمية ، ومن ثم كانت لأمريكا مصلحة ما في ترجيح وجهة نظر السعودية في صراعات الحدود مع البريطانيين أو المحميات البريطانية . . فكونه يمثل تعارض مصالح عالمية ، لاينفي واقعيته المحلية . . كذلك الدعم العربي لثورة المغرب والجزائر وتونس هو موقف قومي ومصيري ، ولكنه في نفس الوقت يتفق مع الاستراتيجية الأمريكية الراغبة في طرد فرنسا من شمال أفريقيا وهكذا كما سنرى ، كانت أمريكا ضد حلف بغداد ، ضد أي تشكيل يبقي الوجود البريطاني في المنطقة أو يجر إلى قبضتها الدول التي أفلتت من هذه القبضة وأصبحت صديقة أو في دائرة النفوذ الأمريكي أو تترك بابها مفتوحاً . . كان العالم يودع نظاماً هزم ، وهو الهيمنة الأنجلو ـ فرنسية ، ويستقبل نظاماً جديداً هو الهيمنة الأمريكية ـ الروسية . وإليك ما قاله خبير الأحلاف الأمريكي في تلك

الفترة ، والرجل الذي كان يتولى تنسيق جبهة العراق ـ الأردن ـ لبنان قال : « كان « هربرت هوفر » وكيل الخارجية الأمريكية يكره حلف بغداد والسد العالي لما ستستفيده بريطانيا منهما »[٩] . . ووكيل الخارجية الأمريكية هذا ، كما سترى في يوميات معركة العدوان الثلاثي ، أقوى وأهم وأفهم من المختل فوستر دلاس . . وهو ضد حلف بغداد فأي مخاطرة أو مجد أن يكون عبد الناصر أو شكري القوتلي ضد هذا الحلف ؟!

وقال سلوين لويد عن هوفر هذا : « إن الولايات المتحدة لم تنضم لحلف بغداد تحاشيا للصدام مع النفوذ الصهيوني في الولايات المتحدة ، ولم يهتموا بما يصيب النفوذ البريطاني ، وهذا أهون التفاسير ، أما أسوأها فإن « الماكجيين (من ماك جي سفير أمريكا في إيران ج) في إيران وجماعة سويني في السودان والكافريين (سويني المندوب الأمريكي في السودان خلال مرحلة تصفية الحكم البريطاني ـ وكافري السفير الأمريكي في مصر الشديد العداء للانجليز ج) وأرامكو في السعودية ، قد أظهروا عداوتهم لبريطانيا علانية . وهربرت هوفر الابن وكيل وزارة الخارجية الأمريكية كان غارقاً في عداوة البريطانيين إذا ما حكمنا بما قاله وما فعله » .

« كانوا في وزارة الخارجية الأمريكية يعتقدون أن أي ارتباط علني مع المستعمرين الامبرياليين البريطانيين ، سيسبب ضرراً ماحقاً ، إن دلاس لم يقبل أبداً الانضمام إلى حلف بغداد تحت أي ظرف من الظروف » .

هذا هو باختصار ، واقع الزمن الذي طرح فيه حلف بغداد ، على أن نراعي ـ كما قلنا ـ أن هذا اللون من الصراع ، شديد التعقيد ، وهو لا يحكمه أو يحكم تصرفات اللاعبين فيه ، قانون بسيط اسمه التناقض الأمريكي ـ البريطاني ، كما كان بؤساء « حزب التحرير » « وحدتو » يفسرون كل شيء بمفهوم أن كل القوى المحلية مجرد دمى ، بعضها يلبس العلم البريطاني وبعضها الراية ذات النجوم والأشرطة ويحرك البعض الأول جون بول بينما يحرك البعض الآخر العم سام ؟! هذا تصور ساذج وتبسيط سوقي ، وليس في السياسة شخصيات مسطحة ، ولا مواقف مبسطة ، فهناك أكثر من قانون وأكثر من علاقة تربط الدولتين وتحكم تناقضهما وتصرفاتهما وهناك علاقات كل دولة بالقوى العالمية الأخرى ، وهناك المصالح والإمكانات للقوى المحلية . . وهناك الدبلوماسية التي تغطي ذلك كله بالحديث عن المبادىء والقيم والمثل والمصالح المشروعة ، والسلام العالمي ومحاربة الشيوعية والحياد الإيجابي والسلبي . . الخ . . حتى ترى « سلوين لويد » يتحدث عن حماية بريطانيا للسودان من الاستعمار المصري ! وشوكبرج يتحدث عن مؤامرة سعودية ـ شيوعية !!

كذلك ستعجب لتناقض الموقف الأمريكي ، أو تناقض تصريحات دلاس وزير خارجية أمريكا مع سلوك حكومته ، بل مع مواقفه هو نفسه العملية . . وستلمس فارقاً كبيراً بين موقف « دلاس » « المتدين » الذي يكره عبد الناصر ، وبين موقف موظفي الجهاز المحترف

سواء في المخابرات الأمريكية أو وزارة الخارجية الذين يراهنون على الزعيم الشاب لتصفية بريطانيا والشيوعية من المنطقة . . وقد فعل . .

وقد شهد سلوين لويد « أن حكام مصر الجدد قدموا تنازلاً لم تقدمه حكومة مصرية من قبل وهو حق السودانيين في تقرير المصير . وقد مدحهم ايدن في البرلمان « لأنهم فضلوا التركيز على محاربة الفساد في بلادهم وحل المشاكل الدولية التي ورثوها من الحكومات السابقة ، كما أشاد بقبولهم مبدأ حق تقرير المصير »[10]

وقد ظهرت فكرة حلف بغداد بالتنازل الثاني الذي قدمته الثورة كما قلنا ، عندما اعتبرت تركيا في دائرة الدفاع الإقليمية وأن العدوان عليها يبيح للانجليز العودة إلى قواعدها العسكرية في مصر ، تماماً كالاعتداء على السودان أو السعودية ، ومن هنا نؤيد قول ممثل وزارة الدفاع الأمريكية أن أول دولة عربية وقعت حلفاً عسكرياً مع الغرب هي مصر الناصرية وليس عراق نوري السعيد ، ولا جدوى من تزوير التاريخ . . بل وثاني دولة وقعت معاهدة عسكرية مع الولايات المتحدة هي مصر الناصرية في ديسمبر ١٩٥٣ . .

وبقبول مصر الدفاع المشترك عن تركيا ، أو الحلف البريطاني ـ المصري ـ التركي ، ظهرت فكرة ربط تركيا عضو حلف الأطلنطي بالمنطقة العربية بضم العراق والأردن ، على ضوء التوصية القديمة (١٩٥١) « بأن تتخلى بريطانيا عن معاهداتها السيئة السمعة مع الأردن والعراق إذا ما توافرت الترتيبات البديلة » أن تبقى قوات بريطانيا ولكن بموجب الحلف ، وتلغى المعاهدة لإسكات المعارضين .

يقول سلوين لويد :

« فوقعت معاهدة دفاعية بين تركيا والعراق في ٢٤ فبراير ١٩٥٥ بتشجيع أمريكي كبير . ونحن أيضاً كنا نؤيد ذلك لسببين الأول أنه يقوى الدفاع عن الشرق الأوسط ضد الخطر السوفيتي ، والثاني أن المعاهدة العراقية ـ البريطانية الموقعة في عام ١٩٣٠ كانت ستنتهي في عام ١٩٥٧ . والحلف الجديد إذا دخلنا فيه يمكن أن يحل محل المعاهدة دون إثارة معارضة عراقية »[11] .

هل صحيح شجعت أمريكا الحلف ؟ . . فلما بادرت بريطانيا أو بالأحرى هرولت للانضمام إليه (في ١٤ أبريل ١٩٥٥) أي قبل انقضاء أربعين يوماً على قيامه ، وكان هذا آخر قرار وقعه تشرشل الذي هو بدوره آخر أسود الامبراطورية ، الذي مات وهو يعض بأسنانه المتآكلة على ما بقي من نفط الشرق الأوسط ؟ . .

ما هو موقف أمريكا فعلاً . . ؟

يقول « ولبر كران ايفلاند » ممثل البنتاجون وعضو « مكتب تنسيق العمليات للشرق الأوسط » والمسئول عن تدبير مؤامرة سوريا ١٩٥٦ وعضو اللجنة المشتركة مع المخابرات البريطانية عام ١٩٥٦ لبحث الموقف في الشرق الأوسط يقول :

« بنفوذ بريطانيا وقعت باكستان معاهدة دفاعية مع تركيا في أبريل ١٩٥٤ الأمر الذي فاجأ وزارة الخارجية الأمريكية تماماً ، وفي البداية لم تنطق . . ولكن في نهاية السنة بدأ فوستر دلاس يصف هذه الخطوة من مسلمي الشرق بأنها مكسب . . »[١٢]

ويقول إن « أصل فكرة حلف بغداد كانت بريطانيا ، كمحاولة لتجديد المعاهدة العراقية مع بريطانيا دون تكرار مأساة ما جرى مع مصر »[١٣] « ودفعت بريطانيا العراق لتوقيع المعاهدة مع تركيا ، ومرة أخرى فإن وزارة الخارجية أخذت على غرة . . was caught out of balance وخاصة عندما أعلنت بريطانيا عزمها على الانضمام إلى التحالف العراقي - التركي ، وحثت أمريكا على أن تحذو حذوها فوراً . . وهكذا أخذ صناع السياسة الأمريكية على غرة بحلف بغداد ، وكان عليهم أن يتصرفوا في إطار ردود الفعل ، بدلا من أن تكون لديهم بدائل مجهزة سابقاً ، ثم جاء تعقيد أكبر ، وهو انضمام الولايات المتحدة للحلف كما تطالب بريطانيا ، وهذا معناه أن الولايات المتحدة ستصبح عضواً في تنظيم يضم دولة عربية وهي العراق ، وهذا يحتم عليها إما أن تصدر تعهداً بالدفاع عن إسرائيل ، أو أن تصر على انضمام إسرائيل أيضاً إلى الحلف » .

« وكان واضحا مما سمعته من الأدميرال دافيز وفي مكتب الوزير « أندرسون » أننا اندفعنا لخلق سياسة تتماشى مع سياسة الأمر الواقع التي فرضها علينا الجهاز البريطاني . وكانت إيران هي الثغرة الباقية في الإطار الشمالي كما تخيله وزير الخارجية . وقررنا أن تسد هذه الثغرة بمبادرة منا . وكنا قادرين على تحقيق ذلك بما لدينا من نفوذ ، أولاً بما أصبح بعد ذلك « أشهر سر » تتباهى به المخابرات CIA وهو دور آلن دلاس وكيرميت روزفلت في إعادة الشاه إلى عرشه عام ١٩٥٣ بما عرف باسم عملية اجاكس »[١٤] .

والمسئولون عن مصر في المخابرات الأمريكية كانوا ضد حلف بغداد : « أنا وايكلبرجر كنا ضد حلف بغداد »[١٥] وقد سافر كوبلاند رئيس المحطة (CIA) في مصر إلى واشنطن حيث عارض حلف بغداد ونجح في استصدار قرار أمريكا بعدم الانضمام للحلف . .

فما تفسير قول « سلوين لويد » إن أمريكا كانت مؤيدة ، وما حقيقة موقف عبد الناصر ؟! لقد أشرنا في فصل « الأمريكان باريس » إلى اختلاف وجهتي النظر داخل الإدارة الأمريكية حول « الأحلاف » . . البيت الأبيض أو بالأحرى ايزنهاور ، وجون فوستر دلاس ، وبقية الجهاز التقليدي كانت ترغب في الأحلاف ولا يمكن أن نقدم أفضل من هذا التفسير لمايلز كوبلاند : « إن مشاريع الدفاع والأحلاف والترتيبات العسكرية كانت نابعة من تفكير متخلف يمثله ايزنهاور وجهازه الرسمي ، من بقايا الحرب العالمية الثانية ، وهو توقع غزو عسكري مماثل للغزو الألماني ، ومن ثم كانت الاستراتيجية هي مواجهته باستحكامات عسكرية . . »[١٦] .

وقال « إن فكرة منظمة للدفاع عن الشرق الأوسط كانت قد تحولت إلى فكرة خارج التاريخ والسبب الوحيد الذي جعلها مطروحة للمناقشة هو أن الوزير دلاس رغم ذكائه لم يستطع التخلص من الفكرة »[١٧] .

وقلنا[١٨] : إن الأجهزة المتطورة كانت قد اكتشفت زوال عهد الأحلاف والاستحكامات العسكرية والغزو « الروسي » . . ولذلك تولت تحرير « الوزير الذكي » من عقده ، وشن « صوت العرب » الذي أقامته المخابرات الأمريكية ولو من الناحية التكنولوجية حملته المشهورة على الحلف . .

كذلك كانت الولايات المتحدة لا تريد منظمة تتربع فيها بريطانيا يحف بها عملاؤها أو الحكومات المتعاونة المرتبطة ببريطانيا ، مثل باكستان والعراق والأردن وشمعون . . الخ . .

كان التفكير والتدبير هو ما أشار إليه كوبلاند في شكوى عبد الناصر من خرق الأمريكان لاتفاقهم وشرح هذا الاتفاق ـ على لسان عبد الناصر ، بأنهم وافقوا على تركه يدبر الأمر فيخلق حلفاً عربياً غير مرتبط علناً مع أي من الدول الغربية الكبرى ، ولكنه قادر على التجاوب والتكامل مع خطط الدفاع الغربية وقت الحاجة[١٩] . فنسفت بريطانيا المشروع سواء بتعجلها « التحفظ » على العراق والأردن ، قبل أن تخرجها أمريكا من هناك ، أو لرغبتها في نسف المشروع الأمريكي ـ الناصري . .

وأخيرا عقدة العقد وهي « إسرائيل » فالولايات المتحدة لا تستطيع الدخول في معاهدة عسكرية دفاعية مع دولة عربية ، في حالة حرب مع إسرائيل ، دون تقديم ما يوازن ذلك لإسرائيل . . ومن السخف طبعاً تصور حلف عربي ، أمريكا عضو فيه ، في نفس الوقت الذي ترتبط فيه أمريكا بمعاهدة دفاعية مع إسرائيل أو الاقتراح الجنوني بضم إسرائيل للحلف . .

من هنا حق لنا أن نقول إن الولايات المتحدة كانت ضد حلف بغداد وكان يتمشى مع مصالحها تمام التمشي ، تحطيم هذا الحلف أو شله على الأقل ، أما صياح « دلاس » والصحافة الأمريكية فلا يزيد على « هتاف » الناصريين ضد أمريكا للاستهلاك المحلي ، ولضرورات النفاق الدبلوماسي مع « الحلفاء » . . وأخيرا لإعطاء معركة ناصر ضد الحلف نكهة أقوى ، من عصير محاربة الاستعمار مما أدى إلى النهاية المتوحشة « الأمريكانية » لكل رجالات حلف بغداد !.

ولعله من المفيد أن نثبت هنا ، رأي « هيرمان فيفر » :

« كان من المتوقع أن ينضم دلاس إلى الحلف ، غير أن الذي حدث هو أنه قال لايدن في أثناء اجتماعهما في مؤتمر القمة الذي عقد في جنيف في يونيه ١٩٥٥ إنه لن ينضم وشعرت الحكومة البريطانية باليأس وامتلأت حقداً وغضباً لتخلي أمريكا عن انضمامها للحلف . . بل إن الانجليز عبروا عن استيائهم البالغ حين تواترت الشائعات التي تفيد أن السفير

الأمريكي في القاهرة جيفرسون كافري يبرم صفقات مع « ناصر » وأن من بين نتائج هذه الصفقات عدم انضمام أمريكا للحلف . ورد دلاس على تذمر ايدن بأنه من الخير له ألا ينضم بدلاً من أن ينضم ثم يعود إلى الانسحاب في المستقبل . وشعر دلاس بالخوف من الصيحة التي ترددت أصداؤها في الشرق الأوسط ضد العراق . لقد كان يخشى أن يؤدي إغضاب عروبة « ناصر » إلى ضياع المساعدة الضخمة التي يمكن أن تقدمها مصر والسعودية ضد الاتحاد السوفيتي ، وربما خشي غضب بن جوريون كذلك لو زادت قوة العراق نتيجة انضمام أمريكا ، ومعروف أن لدى إسرائيل من الأسباب ما يحملها على التوجس من ازدياد قوة أي بلد عربي . « وفي نهاية أبريل عام ١٩٥٦ صرح دلاس لمجموعة المراسلين في اجتماع خاص في واشنطن بأن الانجليز قد « حرفوا » فكرته حول حلف يضم الدول التي تواجه الشمال فقط ، وذلك حين أشركوا العراق في الحلف لأنهم بذلك قد أثاروا عداوة الدول العربية الأخرى » . « ويجدر أن نضيف أن اهتمام دلاس بحلف بغداد كان بنسبة عشرة بالمائة »[٢٠] .

وفي الاجتماع التمهيدي لمؤتمر القمة الأمريكي ـ البريطاني سألوا وكيل الخارجية البريطاني مستر « ايفلين شوكبرج » عن حلف بغداد ، فقال : « نحن لا يعنينا إلا النفط ، وما حلف بغداد إلا صيغة تمكن بريطانيا من الاحتفاظ بقواعدها في الأردن والعراق بدون تجديد المعاهدة وليس له أهمية حربية »[٢١] .

« وقال وكيل الخارجية البريطانية إن السعودية هي عدو بريطانيا الأول أو الشخصي Bete noire وهو يريد أن يبحث معنا كيف تحدث تغيرات أساسية في حكومة السعودية . . وقد كتبت في مذكراتي يومها ، يبدو أن بريطانيا تريد تنظيم انقلاب يلغي النظام الملكي السعودي ، بمساعدة أو دون مساعدة المخابرات* CIA » . « ولما حدثوه عن الخطر الشيوعي في الكويت » التي كانت محمية بريطانية لم يهتز وإنما قال : « إن الخطر الحقيقي في الأردن ، حيث المال السعودي والنشاط المصري »[٢٢] .

وهيوجيتسكيل زعيم المعارضة البريطانية ، وأقوى مدافع عن خط الانضواء تحت المظلة الأمريكية والكف عن محاولة العودة « غير المشروعة أمريكيا » للمنطقة شرح لنوري السعيد أسباب معارضته أي جيتسكيل لحلف بغداد قال : إنني أعارض السياسة البريطانية التي اتخذت من حلف بغداد أساسا لسيطرتها في الشرق الأوسط والتي تهدف إلى السيطرة على المنطقة عن طريق حلف بغداد »[٢٣] .

سلوين لويد يحمل الأمريكان بصريح العبارة مسئولية فشل الحلف إذ يقول : « إن نقطة الضعف في (حلف بغداد) كانت تكمن في موقف الولايات المتحدة ambrguity ذي الوجهين ، فقد ظل دلاس يتحاشى العضوية الكاملة ، قائلا إنه لا يمكن الحصول على أغلبية

---

* تأكدت هذه الأقوال عندما نشر شوكبرج نفسه ، يومياته عام ١٩٨٧ وهي تطفح حقداً على السعودية في تلك الفترة .

الثلثين المطلوبة في الكونجرس للانضمام الرسمي . لم يكن يعتقد أن الرأي اليهودي في أمريكا سيحبذ ، ولكن إذا ما تحقق ما وصفه بالتسوية الفلسطينية فإن الوضع سيختلف وعندها سيوصي بعضوية أمريكا الكاملة . (يعني في المشمش ا ج) ولكنه وافق ـ على أية حال ـ على ارسال مراقبين عسكريين وسياسيين لحضور الاجتماعات (وربما كان هؤلاء هم الذين يزودون خصوم الحلف بأسراره . ج)[٢٣] .

ويعود فيقول : « كانت أهدافنا ألا تبقى علاقاتنا مع العراق على الأسس القديمة فإن وجودنا العسكري كان سيصبح تحت مظلة حلف بغداد ، مع تركيا وإيران وباكستان ودعم الولايات المتحدة ، فإن مثل هذا الحلف لم يكن من السهل اتهامه بأنه أداة للاستعمار البريطاني . ولكن الولايات المتحدة كانت يوماً حارة ويوماً باردة ، دلاس رحب بحلف بغداد ولكنه رفض الانضمام إليه . ويبدو أن الغيرة القديمة من بريطانيا سادت بكل تأكيد على مشاعر بعض مساعديه . فالأمريكان في الظاهر كانوا حليفاً مخلصاً يوثق به ، ولكن في العمق ، كان كثير من الأمريكيين تمتلىء قلوبهم بكراهية الاستعمار ، والنفور من الاعتراف لنا بأية سلطة موروثة من أيام امبراطوريتنا ، وسرور نصف خفي ونصف ظاهر برؤيتنا نهوى إلى القاع »[٢٤] .

هل تريدون أوضح من ذلك ؟!

ومن الإهانة لعبد الناصر ، القول بأن بريطانيا أقامت الأرض وأقعدتها لكي تضمه إلى حلف بغداد وهي التي طلبت من مصر في عام ١٩٥٠ أن تكفي خيرها شرها ، فتمتنع عن تحريض الدول العربية ضد مشاريع الأحلاف التي تسعى إليها العراق ، ولا أحد يطالبها بالانضمام إلى هذه الأحلاف . فبريطانيا كانت تريد حلفاً تسيطر عليه وتسوره حول أفراخها في الشرق الأوسط لكي لا يخطفها النسر الأمريكي ، ولم تكن تسعى إلى حلبة صراع مع المصريين ورجال المخابرات الأمريكية الذين تعج بهم القاهرة . ولكن الأمريكان ما كانوا ليسكتوا على بناء هذه الحظيرة البريطانية وعيونهم جاحظة لنفط العراق ، وغارقة في نفط إيران . . .

ويعكس الفكرة الشائعة بين الناصريين ، عن أن عام ١٩٥٥ كان عام الضغط الأمريكي على عبد الناصر للدخول في حلف بغداد ، فإننا نجد أن هذا العام قد شهد الضغط البريطاني في جميع المناسبات لإقناع الولايات المتحدة بتأييد الحلف ، وتملص الولايات المتحدة من هذا الموقف ، بل إن سلوين لويد يتهم أمريكا بأنها قتلت الحلف مجاملة « لناصر والدول العربية التي تفكر مثل ناصر » وهي السعودية وسوريا واليمن وقتها . ويشمت فيه بقوله : « ولكن دلاس لم يكسب شيئاً برفضه الانضمام لحلف بغداد ، وقد ثبت ذلك عندما اشترى عبد الناصر السلاح من تشيكوسلوفاكيا وأعلن ذلك في سبتمبر ١٩٥٥ » .

وقد عقد اجتماع قمة بين ايزنهاور ودلاس من جهة وايدن وسلوين لويد في محاولة لتصفية

الخلافات أو لوقف ما سماه وزير خارجية بريطانيا بصريح العبارة « محاولة طردنا من المنطقة قبل الأوان » .

ونوقشت في المؤتمر القضايا الرئيسية التي توتر العلاقات وهي :

١ ـ الصين . . ومعروف أن بريطانيا بسبب « هونج كونج » والمصالح الأخرى ، قد اتخذت موقفاً مخالفاً للموقف الأمريكي من الصين الشيوعية وكانت تحاول في هذا الوقت مجاملة لروسيا والصين ، وابتزازاً للأمريكان ، إعطاء الصين مقعد مجلس الأمن بدلاً من فرموزا وقد رد الأمريكان في الاجتماع على هذه المناورة برد حاسم لوقف الابتزاز أو المساومة البريطانية : « أخبرونا أنهم سينسحبون من الأمم المتحدة إذا ما حدث هذا » !

فانقطع الحديث ولكن ليرد الانجليز بنفس الأسلوب في النقطة الثانية :

« وكانت هناك مناقشة طويلة؟ حول واحة البوريمي التي تقع في أراضي سلطان مسقط الذي كانت لنا معه معاهدة وكان الاعتقاد بوجود نفط هناك ، وقد تحرك السعوديون لاحتلال الواحة في ١٩٥٣ . ولكن صدوا بمساعدة قوات ساحل عمان والأمير زايد شقيق حاكم أبو ظبي . وكان هناك تحكيم ولكننا انسحبنا منه محتفظين بمواقعنا في الواحة ، التي أصبحت شوكة دائمة في علاقتنا مع السعودية . ولكن لم يكن بيدنا حيلة لمعالجة ذلك دون أن نتخلى عن أصدقائنا (اهه ؟!؟ ج) . . وكانت الحكومة الأمريكية بسبب قاعدتهم الاستراتيجية في الظهران وأهمية المصالح النفطية لأرامكو في السعودية ، كانت تضغط باستمرار علينا للتسليم للسعوديين . وقد بذلنا جهدنا لإقناع دلاس وايزنهاور أن هذا الموضوع غير قابل للبحث . .

« وفي النهاية بدا أنهم فهموا وضعنا ، وتبينوا ، أيضاً ، أن الملك سعود يستخدم أمواله بغباء وبطريقة ستدمر الغرب وتساند الشيوعية . كما أكدوا لنا أن الولايات المتحدة لن تنضم لحلف بغداد ، ولو أنهم وعدوا بمساعدات »[٢٥] وفي الاجتماعات التمهيدية لهذا المؤتمر قال وكيل وزارة الخارجية وبعد جولة قام بها في بغداد وطهران وأنقرة وطرابلس أبرق من تل أبيب إلى ايدن : « يجب أن يظهر الأمريكان دعمهم لحلف بغداد » كما اقترح انقلاباً في سوريا »[٢٦] .

« وفي ٨ مارس ١٩٥٦ قال لي دلاس إن الولايات المتحدة ستهتم أكثر بالشرق الأوسط . . فسألته كيف ؟ . . قال إنه لم يصل إلى رأي بعد ، فبادرته قائلاً : يمكنكم أن تبدأوا بالانضمام إلى حلف بغداد . . فرد قائلا : إن هذا مستحيل تماماً ، ولم أنهم أبدا السبب الحقيقي ، إذ كان يشير ـ عادة ـ إلى اللوبي الإسرائيلي وصعوبة الحصول على موافقة الكونجرس ولكني لم أعرف أبداً إذا ما كان هناك أمر آخر يخفيه في نفسه »[٢٧] وما يخفيه دلاس في نفسه يظهره كوبلاند وايفيلين ويلمح له لويد . .

وفي منتصف مارس ١٩٥٦ قدم تقريراً إلى مجلس الوزراء بعد جولة في الشرق الأوسط قال فيها : « يجب أن نبذل محاولة أخرى لحث الولايات المتحدة على الانضمام لحلف بغداد . .

يجب أن نعمل على التقريب بين العراق والأردن ومحاولة عزل السعودية عن عبد الناصر بتوضيح أطماع عبد الناصر للملك سعود . واتخاذ إجراءات ضد عبد الناصر مثل تجميد الأرصدة . وسحب تمويل السد العالي ، وخفض المساعدات الأمريكية لمصر . . ووقف الإمدادات العسكرية ، ولكن ذلك كله يحتاج لدعم حكومة الولايات المتحدة . ولذا فإن المهمة الأولى هي الحصول على اتفاق أمريكي ـ بريطاني » .

وأخيراً توسل وزير خارجية بريطانيا لدلاس : « وعندما أخبرت دلاس بصفة شخصية جداً ولمعلوماته فقط أنني لا أعتقد أن نوري (السعيد) يمكن أن يعمر طويلاً ما لم يتخذ إجراء حاسم يثبت أن سياسته في دعم حلف بغداد تعود بالفوائد على العراق ، لم يظهر على دلاس أنه أخذ كلامي على محمل الجد ، مما جعلني أشعر أن عداء السعودية للعراق انعكس على نصائح وزارة الخارجية الأمريكية لدلاس » .

وأكثر من ذلك أن « سلوين لويد » يكشف سراً غريباً ، له علاقة بالرواية التي يذكرها هيكل وإن أخطأ في تواريخها وهي الاتفاق المبدئي الذي جرى بين سلوين لويد وعبد الناصر على وقف حملات صوت العرب ضد حلف بغداد مقابل تعهد بريطانيا بوقف محاولاتها لضم دول عربية جديدة إليه . هذا الاتفاق تقدم به دلاس إلى سلوين لويد إذ قال له : « إنه يعتقد بإمكانية إجراء مساومة مع عبد الناصر بأنه لن تنضم دولة عربية أخرى للحلف مقابل وقف الحملة على الحلف . وقد رد سلوين لويد أنه عملياً لن تنضم دول عربية في المستقبل القريب ولكنه لا يستطيع أن يجري هذه المساومة مع عبد الناصر لما يمكن أن يكون لها من تأثير على دول الحلف وخاصة على نوري (السعيد) . وكان ذلك في لقاء دلاس ولويد في كراتشي في مارس ١٩٥٦ .

أمريكا لم تكن مع حلف بغداد ، بل كانت ضده ، وأقل ما يوصف به موقفها هو أنها لم تعترض على النشاط المضاد له ، والذي قام به الحلف المصري ـ السوري ـ السعودي . . ففور سقوط الحكومة الموالية لبريطانيا والعراق سافر صلاح سالم إلى دمشق حيث وقع بياناً مشتركاً مع خالد العظم (وزير الخارجية) يدعو إلى رفض حلف بغداد وإقامة حلف عربي ، وقد بادر الملك سعود بإصدار بيان يؤكد موافقة المملكة على البيان المصري السوري . .

ويفسر كاتب متمركس ذلك بأن « السعودية كانت في نزاع شديد مع بريطانيا حول أحقيتها في واحة البوريمي »[٢٨] .

وهذا صحيح ، ولكنه يقف عنده لا يتقدم خطوة ، لأنه يعرف أنه يمشي على رمال متحركة ، فلو تقدم خطوة واحدة لوجد نفسه أمام الصراع الأنجلو ـ أمريكي الذي طالما حاولنا تلقينه إياه في صدر شبابه ، لينكره في شيخوخته . . لكي لا يضطر لوضع « الناصرية » في مكانها في دائرة هذا الصراع . .

وما يمكن قوله في هذا الموضع من الحديث . . أن السعودية كانت لها مصلحة حقيقية ، بل وسياسة قديمة في معارضة بريطانيا ، ومعارضة العراق الهاشمي الذي أصبح أكبر قوة موالية لبريطانيا في المنطقة ، وقاعدة نشاطها وخاصة بعد الانسحاب البريطاني من مصر والسودان . . فالعداء السعودي ـ الهاشمي قديم . والمصالح البترولية ـ السعودية ، مرتبطة بالمصالح الأمريكية وبابتعاد سوريا عن القبضة البريطانية ـ العراقية وباسترداد واحة البوريمي وما حولها من نفط من الانجليز ، وكما كانت السعودية راغبة في استخلاص أراضيها المغتصبة من قبل الانجليز ، فإنها كانت بشكل أقوى تشعر بأمن أكبر إذا مازال الوجود البريطاني من المنطقة كلها . والسعودية في هذا الموقف مع استقلال سوريا ضد بغداد الانجليزية ، مع تحرر الخليج من الاستعمار البريطاني ، مع سياسة مصر . . .

وفي تلك المرحلة لم تكن سياسة مصر تتعارض مع السياسة الأمريكية ، كان عبدالناصر يعمل على تصفية الاستعمار البريطاني من المنطقة ، لأن هذا هو الضمانة الأولى لتحرير مصر ووقف مؤامراتهم في مصر والسودان وليبيا . . ولم يكن مستعداً ولا قادراً على أن يدخل في حلف تتزعمه أو تتصدره بريطانيا ، وقد كادت اتفاقية الجلاء تكلفه حياته ، إن صح أن هناك مؤامرة حقيقية لاغتياله ، ولكنه يعلم أن أكثر من وطني كان يتمنى وقتها نهايته جزاء « خيانة » اتفاقية الجلاء ! . . كذلك لم يكن ليقبل أن تكون بغداد مركزاً لتنظيم إقليمي للشرق الأوسط؟ . فهو والملك سعود كانا يتحركان من موقف وطني تاريخي استراتيجي واضح المصلحة لمصر والسعودية والعرب وضد بريطانيا* . . وأيضاً يتفق والاستراتيجية الأمريكية للمنطقة . . كذلك فإن اللوبي الصهيوني في السياسة الأمريكية لم يكن ليرحب بقيام حلف عربي ـ تركي ، لأنه في النهاية قد يوجه ضد إسرائيل بطريقة مباشرة أو غير مباشرة . . ولو من خلال تقليل الخلافات بين الغرب والدول العربية ، وإتاحة الفرصة للتعرف وربما الحصول على أسلحة متفوقة للدول العربية وأيضاً جذب تركيا إلى اهتمامات وهموم العالم العربي ، وما قد يؤدي إليه من ارتفاع في النبض الإسلامي ، الخافت منذ سقوط الدولة العثمانية . . فكل دول الحلف المقترح إسلامية . . وقد رأينا كيف شنق عدنان مندريس جزاء اهتمامه بالعالم العربي ، ومحاولته التودد للعرب والشعب التركي ببعض الإفراجات عن دين الجماهير التركية المعتقل منذ أتاتورك . .

وإذا كانت المنطقة قد شهدت منذ حلف بغداد ثلاث حروب ضد إسرائيل ولم تشهد حربا واحدة ضد الاتحاد السوفيتي فإن إسرائيل هي المعنية بالدرجة الأولى بكل ما يدور حول التنظيمات العسكرية في المنطقة . وهي بصراحة ضد أية منظمة دفاعية إقليمية وخاصة إذا كانت مع الغرب ، ويمكن مراجعة موقفها من صفقات السلاح الغربية للسعودية ومن

* نود أن نضيف هنا أن هذه الاستراتيجية أو التحليل كان صحيحاً إلى الاتفاق على الجلاء عن مصر ثم تبدلت خريطة المنطقة أو كان يمكن أن تتبدل .

مشروع قوات الانتشار الأردنية ـ الأمريكية ، حيث كانت هي التي وأدت المشروع .

وكما لاحظ المخابراتي الأمريكي بذكاء أوبعلم سابق : « إذا درس أحد حملات ناصر ضد الغرب يجد أنه يركز على القوات الأجنبية والقواعد ، منه على دورنا نحن (الأمريكان) في إقامة إسرائيل »[٧٩] .

حلف بغداد كان مشروعاً بريطانياً ، على غير هوى الأمريكان ، وضد سياسة إسرائيل وفي هذا الإطار يمكن فهم الحملة عليه ، وتقييم « النصر » الذي أحرزناه عليه . . ولكن هيكل يحاول أن يكشف فائدة لمعركة حلف بغداد يمكن أن يضيفها إلى كفة مصر في المواجهة مع إسرائيل فيقول :

« لو نجح نوري السعيد في ضم سوريا والأردن ولبنان إلى حلف بغداد لتم عزل الشرق العربي عن مصر وعن بقية المغرب العربي وبمعنى أدق ترك مصر وحدها في الميدان أمام إسرائيل » .

دعنا من حكاية المغرب العربي فلم تكن قد قامت له قائمة بعد برغم الحركات الوطنية الباسلة هناك ، وتلك لا يعزلها حلف ولا أحلاف . . لا يعزلها إلا الحكم « الثوري » كما رأينا فيما بعد . .

أما عن المشرق العربي ، فالحمد لله لم ينجح نوري السعيد في ضم سوريا ولا الأردن ولا لبنان للحلف ، فهل غير ذلك من حقيقة ترك مصر وحدها في الميدان أمام إسرائيل ؟! ومن هرع إلى نجدتها في حربها أمام إسرائيل عام ١٩٥٦ . . هل كان الحلف سيمنع حفنة ضباط أو وطنيين من نسف الخط ؟ الوطنيون منعوا بريطانيا من استخدام قاعدة الحبانية في العراق أو القواعد البريطانية في ليبيا . وأبناء ولي عهد دويلة خليجية منعوه من دخول قصره . . . فاضطرت بريطانيا لاستخدام قبرص حيث أعلن ثوار ايوكا وقف العمليات العسكرية في كل الجزيرة خلال فترة الحملة !! رغم كل التأييد الذي منحته لهم مصر . .

فلما وقع العدوان ، وسلمت بريطانيا بأنه قد آن الأوان لطردها من المنطقة وسلمت بالوجود الأمريكي وانحصرت آمالها في الوجود بإمارات الخليج وعدن وملحقاتها تخلت عن فكرة حلف بغداد ، وطواه النسيان حتى ووري التراب مع نوري السعيد[٤٠] ، إلا أن الإعلام الناصري مازال يحدثنا عن معركة حلف بغداد ، ويسجلها هيكل في حيثيات إثبات أن « نصر السويس » كان أكمل نصر في الحرب المحدودة !

أو هذا على الأقل ما كان في كتاب « قصة السويس » ولكن بعد أن فندناه بما فيه الكفاية كما يرى القاريء ، فإن مؤرخ الناصرية ، اضطر إلى التسليم بأن المعركة ضد « حلف بغداد » لم تكن بالموقف الثوري الوطني الموجه أساساً ضد الولايات المتحدة كما ظل يفترى ثلاثين عاماً ، ولذلك سنسمع نغمة أقل صخباً في « ملفات السويس » وسنجد وثائق أكثر دلالة . .

سنجده يقول : « الرياض أول من أحس بنذر العاصفة القادمة » . . وأول رسالة ضد

الحلف كانت من الملك سعود ، وأول تحرك على النطاق العربي ، وأول حملة ضد الحلف موجهة للرأي العام العربي كانت سعودية ، بل والذي فات هيكل ذكره ، أن موقف مصر كان غامضاً ورجل عبد الناصر ، « صلاح سالم » أوشك أن يوافق على الحلف في خلال اجتماعه مع نوري السعيد ، وذلك لأن موقف أمريكا لم يكن قد اتضح بعد ، أو أن التعليمات لم تكن قد وصلت بوضوح إلى القاهرة* ، بينما تحرك الملك بالحس السياسي السليم ، حس صاحب المصالح الحقيقية ، فأي تحرك للعراق وباكستان ذلك الوقت لابد أن يكون انجليزياً ، وكل ما هو انجليزي ضار بالمملكة ويمكن القول بأن رسالة الملك سعود إلى عبد الناصر ، كانت الأساس في دعاية صوت العرب ضد الحلف : « ونعتقد أن الدافع (لقبول العراق للحلف ج) هو الضغط الأمريكي ـ الانجليزي للتفاهم مع إسرائيل وقد أصبحت المسألة الآن مهمة لا تحتمل التغافل ولا سيما أن البلاد العربية في حالة تهديد ، فقد أصبحت المسألة مهمة وخطيرة ويجب تعاضدنا وتفاهمنا » .

ولم يتحرك ناصر !

فأرسل إليه السفير السعودي مع رسالة أخرى حول الشكوك التي أثيرت في العراق عن موقف مصر من الحلف . . وتحريض ضد العراق الذي بقبوله « عدم استخدام السلاح ضد إسرائيل التي لا يوجد غيرها عدو للعرب لما يدل على خروجهم عن الضمان الجماعي ، وربما يكون وراء هذه الخطوة ما هو أعظم منها وهو انضمام العراق إلى الحلف التركي ـ الباكستاني والسير وراء المستعمر لتحقيق مصالحه »**

ولا يستحي هيكل أن يقول : « وكان الملك سعود قد فقد اعصابه ووجه نداء عاماً إلى الشعوب العربية كلها قال فيه : « إن ما أقدم عليه حكام بغداد خيانة عظمى والسكوت عليه جريمة » ويعترف هيكل متأخراً جداً « بأن نوري السعيد استمزج رأي السعودية قبل مفاتحة عبد الناصر حول حلف بغداد فرفضوا الحلف » وقال إن عبد الناصر سأل (الملك) فيصل : هل ستقبلون حلف بغداد ؟ فقال الأمير : معاذ الله ! لن يكون ذلك أبداً***

على الأقل اعترفوا أن الملك سعود كان أكثر عنفاً في مهاجمة حلف بغداد؟° .

وتتتابع اعترافات « هيكل » : فينقل أن « ايزنهاور لم يكن متحمساً من البداية لضم الأردن إلى حلف بغداد لأن إسرائيل من حقها أن تقلق من أن يصبح أحد جيرانها المباشرين

---

* قبل الطبع ، عثرنا على وثائق تفسر موقف مصر الغامض من الحلف في البداية وما جرى في العراق بين نوري وصلاح سالم فأضفناها إلى الملحق رقم واحد في هذا الفصل نرجو الرجوع إليها الآن .

** ص ٣٢٤ ع نقلاً عن وثائق عبد الناصر . . وبالطبع لم تكن هذه الوثائق متاحة لنا بعدما أعطاها من لا يملك إلى من لا يستحق ، ولكن الحمد لله سيرى القارىء أننا وصلنا إلى نفس تحليل موقف السعودية وبدون أرشيف البكري ومنشيته في كتابنا « كلمتي للمغفلين » .

*** ص ٥٧ خ ولعل عبد الناصر فهمها ، لأن فتحي رضوان يقول إنه اضطر أن يشرح له معنى يأبى الله ورسوله ذلك ! . . فهل سيفهم معاذ الله !

عضواً في حلف بغداد بينما هي بعيدة عنه » ورددايدن : جنرال أحمق لا يفهم شيئاً في السياسة وقال : « إسرائيل لم تكن متحمسة لاشتراك أمريكا في حلف بغداد » .

لنا سبق الفضل عندما قلنا من سنوات إن إسرائيل كانت ضد حلف بغداد ، وأنه لا يجوز أبداً تضليل « العامة » بتسجيل حلف بغداد في قائمة أهداف إسرائيل والانتصار عليها في قائمة هزائم إسرائيل وانتصارات القومية العربية ! . .

ثم نعرج على بقية « الانتصارات » . . ونبدأ بحلف ايزنهاور .

وحلف ايزنهاور ولو أنه مسجل على أهرامات الناصرية ، إلا أنه لا يستغرق منا وقفة طويلة ، إذ يكفي أن نطرح هنا رأي « المعلم » « مايلز كوبلاند » أو بالأحرى رئيس الوردية فالمعلم الحقيقي هو كيرميت روزفلت ! قال كوبلاند مندوب المخابرات الأمريكية في مصر : « في ١٩٥٧ كنت في واشنطن أعمل في لجنة المفروض أن تكون مسئولة عن كل ما له علاقة بعبد الناصر ، وأذكر أنني حضرت يوماً إلى المكتب صباح يوم من أيام شهر يناير لأعرف أن « مبدأ » (مشروع ايزنهاور) قد أعد للإعلان وهو يسبب المتاعب لكل خصوم ناصر ولا يقدم لهم ما يحتاجونه فعلاً للوقوف ضد حملات ناصر التي كان من المؤكد سيشنها ضدهم . مشروع ايزنهاور اقترح على الكونجرس في مارس ١٩٥٧ . والمشروع يخول للرئيس ايزنهاور استخدام الجيش الأمريكي في الدفاع عن أية دولة في الشرق الأوسط مهددة بعدوان مسلح من أية دولة تسيطر عليها الشيوعية الدولية ، وتقديم المساعدات الاقتصادية لمثل هذه الدولة لبناء وسائل دفاعها . وحتى اليوم لا أعرف من الذي زرع الفكرة هل هو دلاس أو بيل راونتري . . كل ما أذكره أنها لم تكن من اختراع لجنة تخطيط سياسة الشرق الأوسط (المكونة من المخابرات CIA + وزارة الدفاع + وزارة الخارجية ج) ولا أحد من موظفي مكتب الشرق الأدنى وأفريقيا لهم أية علاقة بالمشروع . ونحن جميعاً من موظفي الخدمة السرية ، كنا على يقين أن المشروع لا معنى له على الإطلاق . وعلى ما أتذكر فإن كل المسئولين عن الشرق الأوسط بالإجماع كان هذا رأيهم ، وعندما سئل ممثل المخابرات الأمريكية في لجنة التخطيط السياسي للشرق الأوسط إذا ما كان يفكر في إرسال أحد مساعديه ليشرح المشروع للحكام العرب رد قائلاً : « نحن لا نستطيع أن نربط أنفسنا بكل فكرة مخبولة تظهر »[٣٠]

ونحن لا نستطيع الآن أن ننجح في ما فشل فيه عضو لجنة التخطيط السياسي للشرق الأوسط فنعرف من الذي زرع فكرة الحلف في رأس ايزنهاور ولا من الذي زرع فكرة الحملة الصليبية ضد الحلف في رأس عبد الناصر ولكن عملاً بقانون « ابحث عن المستفيد » نجد أن إسرائيل قد سعدت بتطويق ونسف أول تعاون علني عالمي وإقليمي بين الولايات المتحدة ومصر . . فبعد كل ما تعرض له ايزنهاور من اتهامات وضغوط بأنه باع الحلفاء الدائمين بريطانيا وفرنسا وإسرائيل من أجل مغامر عدو للغرب يميل للشيوعية ، بل واتهامه بأنه معادٍ

للسامية* حاول عن حسن نية وغباء أو بإيعاز من « خبيث » أن يظهر العين الحمراء للشيوعية وعملاء الشيوعية في المنطقة ، وآخر ما كان يتوقعه هو هذا الهجوم من النظام الذي انقذه ايزنهاور من أخطر ما تعرضت له دولة صغرى في القرن العشرين .

وكان أنصار مصر أو المدرسة العربية في السياسة الأمريكية على وعي بخطورة الوضع بعد الانحياز الأمريكي الكامل ضد إسرائيل وبريطانيا ، وحساسية الرأي العام الأمريكي ، والجهد المضاعف لإسرائيل وبريطانيا لإثبات خطأ سياسة « ايزنهاور » ولذلك حاولوا تحذير مصر من استفزاز الرأي العام الأمريكي أو تحقير إيزنهاور بالاستجابة إلى إغراء الحرب الإعلامية وتسجيل البطولات على أمريكا . . كما . . أو كما كان « صلاح چاهين » يؤلف : « والأمريكان ياريس » ! . . وينقل « هيكل » أن « لوي هندرسون » حذر السفير المصري « أحمد حسين » بأن الظرف الحالي هام إلى اقصى درجة بقدر ما هو دقيق ، وأن التصرفات خلال الشهور القليلة القادمة سوف تكون حاسمة في شأن العلاقات بين الولايات المتحدة ومصر . وأن الفرصة سانحة أمام مصر لكي تتبوأ مركزاً قوياً ممتازاً ، وفي نفس الوقت فالخطر قائم في أن يسوء مركز مصر وتضيع كل ثقة فيها . وأن الولايات المتحدة لا تضمر سوءاً لمصر . ، وأنها ترغب في التفاهم ولكن على أساس سليم ومن الجانبين وبنسبة مائة في المائة » (٥٨٧ ع) .

ولكن عبد الناصر ـ لأمر ما ـ رفض كل هذه النصائح واختار أن يدخل معركة استفزازية ضد إيزنهاور تحت شعار محاربة الأحلاف مع أن مبدأ ايزنهاور لم يكن حلفاً ولا يطلب انضمام أحد . . وهنا قد يرى أنصار التفسير الإسرائيلي لظاهرة الناصرية ، في موقف عبد الناصر من ايزنهاور ، حجة تدعم رأيهم بأن ناصر كان يخدم مصالح إسرائيل بالدرجة الأولى . أما نحن فمازلنا عند تفسيرنا ونعتقد أن عبد الناصر الذي كان قد توامم مع استراتيجية « استثمار » حملاته ضد الامبريالية ، أو بإيعاز من « خبيث » آخر على الجانب المقابل ، اندفع في مهاجمة ايزنهاور ومشروعه . . وكذلك عاد الصفاء بين بريطانيا وأمريكا بعد ما ثبت بالدليل القاطع أن « عبد الناصر » لا يحفظ وداً وانتصرت المجموعة الإسرائيلية التي راهنت على فشل الاستثمار الأمريكي في مصر وأكدت دائماً أنه لا حليف يعتمد عليه إلا إسرائيل .

وربما يكون موقف المخابرات الـ CIA المعارض لمشروع ايزنهاور « السخيف » كما وصفوه قد شجع عبد الناصر على أن يستفيد من معارضة المشروع وهو مطمئن إلى فشله** . .

---

* سنشرح هذه النقطة بتفصيل أكثر

** على أنه لا يحق لأي ناصري أن يفتخر بتحطيم مبدأ ايزنهاور فقد طبق المبدأ حرفياً باحتلال لبنان عام ١٩٥٨ ولم ينبس عبد الناصر بحرف ولا استطاع أن يطلق طوبة في اتجاه قوات الغزو الأمريكية وهي تهبط إلى أرض لبنان وسط استقبال حافل ! وبعد الإنذار الأمريكي الذي قال حرفياً لعبد الناصر : « إذا أطلقت طلقة واحدة على جنودنا في لبنان فسننسفكم » . . فلزم الصمت !

وربما حرضوه على مهاجمة المشروع تدعيماً لوجهة نظرهم !

ربما . . والغريب أننا كافأنا أمريكا على تأييدها الحاسم لمصر في ١٩٥٦ بحملة عداء ظلت تتصاعد حتى وصلت للقطيعة ، مع ازدياد الود والتقارب مع السوفييت ، وكافأنا أمريكا عقب تأييدها السافر العلني لإسرائيل في حرب ١٩٧٣ والذي كان العامل الحاسم في احباط نصر عربي قوى الاحتيال . . كافأتها قيادة ٢٣ يوليو بالارتماء في أحضانها وقطع العلاقة مع روسيا ؟!

عجبي !

صفقة السلاح !

تحطيم احتكار السلاح !

« إن العالم العربي اعتبر الصفقة قراراً بتحرير الإرادة العربية » .

وقعت كالصاعقة على الغرب الذي لم يتصور إمكانية حدوثها فضلاً عن أن يكون قد علم بها ! وجن جنون دلاس ، وزلزلت موازين القوى ، وقسمت الشرق الأوسط إلى قوى وطنية ، وقوى رجعية . . وكانت ضربة معلم ، لم يفكر فيها ولا كان يمكن أن يفكر فيها إلا زعيم ثوري صلب لا يساوم ولا يخاف مثل جمال عبد الناصر !

هذا هو ملخص رأي الإعلام الناصري الذي أطعموه للأمة العربية أكثر من عشرين سنة ! ومازال يتردد إلى اليوم في الدوائر الفكرية المتخلفة . .

وملخص رأينا الذي بلاشك سيصدم الناصريين والمتناصرين هو :

- إن عبد الناصر لم يكن أول من حاول الحصول على سلاح من الاتحاد السوفيتي بل الأحرى أن يقال : إنه آخر من حاول ذلك وأنه بذل كل جهد في طاقته لمنع ذلك ففشل !
- إن الصفقة كانت بعلم ورضا إن لم نقل بتحريض المخابرات الأمريكية .
- إن الصفقة كانت أهم خطوة اتخذتها الدول العربية لصالح إسرائيل وحتى لا يسقط ناصري ناشيء في غيبوبة من هول ما أقول . . نبدأ بالوقائع والتحليل . . فالذي هو أفضل منا جميعاً ، لم يستطع الصبر على ما لم يحط به علماً . .

ونبدأ بالضابط نصف الناصري نصف الماركسي الذي يفتتح شهادته بإعلان من راديو موسكو :

« لم يدخل السوفييت إلى المنطقة غزاة ولم يتقدم علمهم خلف التجارة كما فعلت انجلترا في الصين »[٣١] .

وحقا يكاد المريب يقول خذوني ! فهذا هو بالضبط ما حدث في حالة الروس فقد بدأوا بالتجارة غير المشروطة ، وانتهوا والراية الروسية ترفرف على سبعين ألف عسكري كانوا في مصر بعد « التجارة » وبسبب التجارة !

ماعلينا !

تبدأ قصة السلاح مع الاتحاد السوفيتي عندما حظرت بريطانيا تصدير السلاح إلى مصر في اعقاب الحرب الفلسطينية الأولى وتدهور العلاقات مع بريطانيا في عهد حكومة الوفد (١٩٥٠ ـ ١٩٥٢) التي كانت أول حكومة مصرية تعترف بالاتحاد السوفيتي وذلك في عام ١٩٤٢ « وطلبت حكومة الوفد سلاحاً من يوغوسلافيا وتشيكوسلوفاكيا والاتحاد السوفيتي ، ولكنهم رفضوا ذلك » وقد فسر فؤاد باشا سراج الدين ذلك الموقف لأحمد حمروش بأن « الروس كانوا حريصين على عدم استفزاز الغرب » . وقد تأكد صدق قول سراج الدين بما نشر هذا العام فقط من وثائق الخارجية الأمريكية فقد جاء في محضر اجتماع بتاريخ ١٩٥٠/١٠/١٧ بين وزيري خارجية مصر وأمريكا أن الوزير الوفدي محمد صلاح الدين قال للوزير الأمريكي : « إن مصر قد تضطر ازاء الحصار الذي تفرضه بريطانيا على تسليحها ، قد تضطر إلى التحول للكتلة السوفيتية المتعطشة لتقديم السلاح لمصر . . » .

وفي أغسطس ١٩٥٣ سأل حسن رجب وكيل وزارة الحربية لشئون المصانع حكومة تشيكوسلوفاكيا في توريد الأسلحة ، فكان الرد بعد الدراسة هو : نحن بلد نحب السلام ولا نعطي أحداً سلاحاً » .

« ديسمبر ١٩٥٣ تساءل محمد نجيب (في لقاء مع السفير السوفيتي (بنيامين سلود . . ج) عن احتمالات تسليح الاتحاد السوفيتي لمصر » .

« السفير المصري في موسكو عزيز باشا المصري استفسر من السوفييت أيضاً عن احتمالات تسليحهم لمصر بمبادرته الخاصة خلال عام ١٩٥٤ »[٣٢] .

« أحمد لطفي أكد بحث هذا الموضوع مع مستشار السفارة السوفيتية بالقاهرة » .

« في عام ١٩٥٥ طلب حسين عرفه مدير المباحث الجنائية بالبوليس الحربي من « كامل » البنداري (الباشا الأحمر . ج) (بإيعاز من عبد الناصر في رواية حمروش ج) أن يتصل بالسفير السوفيتي ليسأله عن إمكانية تقديم السلاح لمصر وجاء الرد السوفيتي بأن تقديم السلاح لمصر والجنود البريطانيون يحتلون القناة سيكون معناه في النهاية تسليم السلاح للبريطانيين .

ويروي محمد نجيب أن « سولود زاره في منزله في يناير ١٩٥٤ وأبلغه أن الاتحاد السوفيتي وافق من ناحية المبدأ على بيع السلاح لمصر . وقد أبلغ محمد نجيب ذلك كتابة لعبد الحكيم عامر قائد الجيش المصري وطلب منه أن يعد قائمة بالأسلحة المطلوبة . . » .

ويستنتج حمروش أو يعلق على إهمال عامر وناصر لهذا الأمر في حينه بقوله : « إذا صحت هذه الرواية فهي لا تعني أكثر من اندفاع نجيب في مطالبته للسلاح من السوفييت ، في وقت كان جمال عبد الناصر يعتقد فيه أن الوقت لم يكن ملائما بعد لاتخاذ هذه الخطوة الجريئة التي تعني احتمال حدوث صدام مع انجلترا وأمريكا في وقت لم تكن فيه اتفاقية الجلاء قد وقعت بعد » .

حتى « حسين فهمي » رئيس تحرير الجمهورية اشتغل سمسارا لهذه الصفقة ، وحصل على موافقة السوفييت وأبلغ ذلك جمال عبد الناصر فكان « الصمت هو الجواب » .

ويؤكد حمروش أن صلاح سالم هو الذي طلب السلاح من شوان لاي وليس عبد الناصر كما هو شائع . . وهذه هي الرواية :

« قال لي صلاح سالم إن الفيللا التي أقام بها كانت قريبة من سكن شوان لاي رئيس وزراء الصين الذي شاركه عبد الناصر في دائرة الضوء . . (الخ) وفي إحدى الزيارات المتبادلة صارحه سالم بحاجة مصر إلى السلاح لمقاومة تهديدات إسرائيل وبناء جيش قوي قادر على تثبيت مبادىء الحياد الإيجابي وسأله عما إذا كان يمكن للصين أن تقدم له (للجيش ج) حاجته من السلاح . واعتذر شوان لاي قائلا : إن الصين تستورد سلاحها من الاتحاد السوفيتي وأنه إذا وافق صلاح فسيبذل جهده للاتصال بالسوفييت ، ومعرفة رأيهم في موضوع توريد السلاح لمصر . . ووافق صلاح فوراً . . » .

ويحرص حمروش على تأكيد أن عبد الناصر لم يوعز لصلاح بذلك إذ يقول بطريقة مستترة « والشيء المقطوع به أن صلاح سالم لابد أنه أبلغ جمال عبد الناصر بحديثه مع شوان لاي » .

« وبعد العودة لمصر وفي شهر مايو ١٩٥٥ اتصل دانيال سولود السفير السوفيتي بصلاح سالم وأبلغه بموافقة الاتحاد السوفيتي على توريد ما تشاء مصر من أسلحة . أبلغ صلاح سالم جمال عبد الناصر بحديث السفير السوفيتي ، وأن صلته انقطعت بعد ذلك بالموضوع ، فقد تولى مسئولية الاتصال بعد ذلك ، علي صبري مدير مكتب جمال عبد الناصر » .

نلخص هذه الوقائع :

١ ـ كسر « احتكار السلاح » بطلبه من الاتحاد السوفيتي لم يكن مبادرة عبقرية فريدة في زمانها ، غريبة في مصدرها ، خارج حدود عصرها ، بل هي خطوة طبيعية ، وتفكير سابق على الثورة وعلى عبد الناصر . . تقدم به الوفد ، ثم محمد نجيب وعزيز المصري وأخيرا صلاح سالم وكلها مبادرات لا دخل لعبد الناصر فيها . . ويبدو أن الناس نسيت الضجة التي اثارها « معروف الدواليبي » عندما قال إنه سيحصل على السلاح من روسيا وكان رئيسا لوزراء سوريا ، بل وفي هذا الوقت بالذات وقبل الإعلان عن الصفقة المصرية اتفق نهرو مع الروس على صفقة طائرات اليوشن ٢٨ . ولم تؤلف فيها الأغاني والنظريات بل لا يكاد يعرفها أحد .

٢ ـ أن العقبة في تلك الفترة لم تكن في « رجعية » ولا « عمالة » الجانب المصري ورفضه شراء السلاح من الاتحاد السوفيتي ، بل في رفض الاتحاد السوفيتي تقديم هذا السلاح لكي لا يفتح جبهة جديدة في الحرب الباردة ، ويشهد بذلك الكاتب المتمركس نفسه إذ يقول إن الرفض الروسي كان سببه « سياسة ستالين التي كانت تقضي بعدم تقديم أية مساعدات عسكرية أو اقتصادية لأية دولة غير شيوعية » وأن قبول الاتحاد السوفيتي بيع السلاح لمصر « كان تغييراً حقيقياً في سياسة الاتحاد السوفيتي بالمنطقة وكان الاتحاد السوفيتي قد قطع علاقته الدبلوماسية مع إسرائيل في فبراير ١٩٥٣ عقب إلقاء قنبلة على مفوضيته في تل أبيب » « السفارة الروسية » وقال : « إن وصول مثل هذه الأسلحة الحديثة إلى بلد غير شيوعي ، من الاتحاد السوفيتي ، ما كان يتم لولا وفاة ستالين وحدوث تغيير في سياسة الحزب الشيوعي ظهرت واضحة في قرارات المؤتمر العشرين الذي عقد في فبراير ١٩٥٦ وقرار الانفتاح على شعوب آسيا وأفريقيا ودعم حركات التحرر الوطني » .

وهذا المدح في خرشوف الذي كانت زيارته لمصر سبباً في تولي حروش رئاسة تحرير روز اليوسف ، والسب في ستالين من مظاهر قلة الوفاء التي يشكو منها أمين هويدي . . فالاتحاد السوفيتي في عهد ستالين كان يدعم حركات التحرير وإلا لما غنى له الحدتاويون في عيد ميلاده : « عاش ستالين . . عاش ستالين . . عيد الشعوب وعيد الأمم » ولكن الدعم يختلف شكله من مرحلة لمرحلة . . فهو في مرحلة بناء الدولة السوفيتية يكتفي بالتخريب الذي يحدثه الشيوعيون في مؤخرة العدو ، أما بعد أن تم بناء الدولة وظهرت الامبراطورية وتطلعت إلى حصة في السوق العالمية ، ونصيب في عائدات السعر العالمي الظالم أو دم الشعوب الذي يتغذى به « داركيولا » الامبريالي تاجر السلاح . . هنا يأخذ الدعم شكل صفقات سلاح وديون وفوائد للديون وخبراء بمرتبات وامتيازات ، وكله عند العرب دعم ! . . !

المهم من ذلك كله هو أن الرفض كان من جانب الاتحاد السوفيتي ولأربع سنوات كاملة وأن التغير أو الانقلاب الثوري الجذري لم يكن من جانب مصر التي لم تكف عن طلب السلاح من أيام فؤاد باشا وصلاح الدين باشا ، بل كان من جانب الاتحاد السوفيتي ، وبسقوط ستالين وليس سراج الدين ومجيء خرشوف وليس عبد الناصر . . تمت الصفقة .

٣ ـ إن عبد الناصر كان أقل المتحمسين خلال تلك الفترة لطلب السلاح من الاتحاد السوفيتي ، فقد أهمل تماماً اتصال محمد نجيب ، الذي طلب السلاح لمواجهة حتى الانجليز ، فلم يكن اتفاق الجلاء قد وقع ولا الانجليز خرجوا من مصر . . ولكن عبد الناصر كما يقرر الكاتب الناصري رفض لكي لا يستفز الانجليز والأمريكان . بينما لم يحسب محمد نجيب حساباً لذلك . ولا يجوز أن نصف قرار نجيب بالتسرع ، فإذا فعله عبد الناصر أصبح عملاً عبقرياً وضربة مؤقتة حاسمة . .

٤ ـ وأخيراً عندما وافق الاتحاد السوفيتي على بيع السلاح لمصر ، وجاء كما يقال بشيك على بياض لمصر . . هل بادر عبد الناصر بعقد الصفقة وإتمام الاتفاق ؟! إذا كان القرار قراره ، ومن منطلقات ثورية تحررية اشتراكية واعية . . فلماذا التردد ؟! . .

وقائع التاريخ تؤكد أن جميع من سبقوا عبد الناصر على طريق السلاح السوفيتي كانوا جادين في طلبهم ، إلا عبد الناصر ، فلم يكن يفكر في أكثر من مساومة الغرب والضغط عليه . . فهو اعتبر العرض الروسي ورقة مساومة وإغراء لإثارة غيرة أمريكا وبريطانيا ، إذ كان يفضل أن يحصل على السلاح منهما ولا يتورط في علاقة مع الروس ، وهذه حقيقة أعلنها في خطبه عشرات المرات ، وهو يعتذر عن « خطيئة » شراء السلاح من الروس مؤكداً أنه فعلها مكرهاً غير باغ ولا شارحاً للروس صدره . .

قال حمروش :

« ومع وجود هذا العرض المفتوح من جانب السوفييت ، والذي تم الاتفاق عليه مع جمال عبد الناصر فإن التعاقد لم يوقع عليه وينفذ ، فقد كان جمال عبد الناصر شديد الحذر في اتخاذ هذه الخطوة التي تعني صداماً مباشراً مع الأمريكيين والبريطانيين الذين مازالت قواتهم في منطقة القناة ، لم ترحل بعد » « واستخدم جمال عبد الناصر اتفاقه مع السوفييت كقوة ضغط على الغرب في محاولة أخيرة لإجبارهم على توريد السلاح . . اتصل جمال عبد الناصر بسفيري أمريكا وبريطانيا ، وأبلغهما بنبأ الصفقة وحذرهما من اضطراره لقبولها ، إذا لم تصله أسلحة من الدولتين . . وأقبل شهر يونيو دون أن يتلقى جمال عبد الناصر رداً عليه من السفيرين ، في الوقت الذي كان فيه السفير السوفيتي يستعجل معرفة رد مصر لإبلاغه لموسكو » .

وجاء شبيلوف إلى مصر وتم الاتفاق على صفقة السلاح . . ومع ذلك ظل الاتفاق سراً غير معلن وغير موقع لأن جمال عبد الناصر ظل متردداً بأمل حدوث تغيير في الساعة الحادية عشرة في موقف الغرب كما يقول ناتينج . واستدعى جمال عبد الناصر الملحق الجوي وأبلغه أن هناك مشروع اتفاق نهائي لم يوقع بعد بصفقة أسلحة مع السوفييت وأن عليه إبلاغ المسئولين في واشنطن باضطرار مصر للحصول عليها إذا ظلت أمريكا في موقف الرفض . ولكن كل هذه المحاولات انتهت إلى لا شيء . . ولم يكن هناك بد من توقيع الصفقة والإعلان عنها » . .

عبد الناصر إذاً أجبر إجباراً على « كسر احتكار السلاح » أو لم « يجد بداً » بعدما رفض الأمريكان كل محاولاته ومساوماته . . وتركوه عن وعي واختيار وسابق علم لكي يتعامل مع السوفييت . فأعفونا على الأقل من مسرحية « الفالج » الذي أصاب الغرب ، والجنون الذي حل بدلاس والإنذار الذي حمله آلن . . فالأمريكان كان عندهم علم ومن أوثق المصادر . . من عبد الناصر نفسه بوجود العرض ، ثم الاتفاق . .

وكذلك يمكن القول إن قرار عبد الناصر لم ينبع من إدراك واع لحتمية المجابهة مع الغرب

للارتباط العضوي بين هذا الغرب وإسرائيل ، ولا عن قناعة بضرورة تحرير الإرادة المصرية ، ولو بالمفهوم الضيق ، ولا عن قناعة بحتمية الصدام مع الغرب للدور التحريري الذي لابد أن تقوم به مصر في المنطقة انطلاقاً من نظرية الدوائر إياها ؟! . . بل كانت خطوة أجبر عليها .

وإليك رواية المصادر الأمريكية :

« في الأيام الأولى ، عندما كان عبد الناصر يطلب معدات عسكرية لم يكن وارداً احتمال استخدامها لهدف كبير مثل حرب مع إسرائيل أو اليمن أو ما أشبه . . ولا حتى كان طلبه كبيراً ، فالحاجة كانت مركزة على الأهداف الأمنية الداخلية . وقد أوضح ناصر بجلاء لسفرائنا أن نظامه يعتمد على الجيش في تأمينه . وهو يؤمن أن جيشاً هزيلاً هو جيش غير مخلص . وقد بدأت طلباته من أمريكا بأربعين مليون دولار ثم وصلت إلى عشرين مليوناً وأخيراً نزلت إلى مجرد مليونين أو ثلاثة ملايين ثمن معدات استعراضية . . طاسات ، وحمالات مسدسات . . وغيرها من المعدات حسنة المظهر في الاستعراضات » « بايرود كرجل عسكري كان يعرف أن السلاح الذي يطلبه عبد الناصر لا يمكنه من الإضرار بمصالحنا بأية حال » .

ولفهم موقف الأمريكان نعرض الآتي :

عندما وصل العسكر إلى الحكم كان من الطبيعي أن يتطلعوا إلى الدعم الأمريكي بكافة أشكاله ، وبالذات المعونة العسكرية ، أي الأسلحة ، والمعونة الاقتصادية . وقد وضع الأمريكان خططاً لذلك بالفعل ، وكان عبد الناصر مستعداً لقبول شروط المعونة العسكرية وهي توقيع اتفاقية الأمن المتبادل ، ولكن الانجليز تدخلوا كما رأينا بكل حيلة في يدهم من ذكريات تشرشل مع ايزنهاور إلى التهديد بانتصار الاشتراكية في لندن ! واستجاب الأمريكان للضغط ومنعوا الدعم العسكري بل حتى الاقتصادي . . فلما وقعت اتفاقية الجلاء بمعظم الشروط التي وضعتها بريطانيا ، لم تكن هناك ـ كما بدا ـ مشكلة في تنفيذ الوعود الأمريكية بإمداد مصر بمعدات عسكرية ، بالطريق العلني المعتاد الذي يقتضي توقيع معاهدة الأمن المتبادل ، ولكن عبد الناصر كان قد وقع لتوه معاهدة مرفوضة من الشعب ، ويخوض معركة إبادة ضد الإخوان المسلمين « العملاء » . . ولذلك رأى كما أبلغ المتصلين به من الأمريكان أنه لا يستطيع أن يوقع اتفاقيتين عسكريتين مع الغرب في عام واحد ، ولكن رجال الخارجية الأمريكية ، سواء كراهية أو منافسة لرجال الـ CIA أو لاقتناعهم بأن « ناصر » الذي يخوض حرباً مع شعبه ، وارتبط باتفاقية عسكرية مع بريطانيا لا يملك الخروج عن طاعتهم أو الإضرار بهم ، أو ربما كان موقف الخارجية الأمريكية هو مجرد موقف بيروقراطيين ، لا يرون أبعد من اللوائح والنظم ويخشون لو أعطوا عبد الناصر امتياز الحصول على سلاح بدون اتفاقية ، ما يسيء إلى مركز الدول التي خضعت للشروط الأمريكية ، أو لشيء من ذلك كله

صمم رجال الإدارة الأمريكية ، على ضرورة أن يتبع ناصر القوانين ويوقع اتفاقية المساعدة العسكرية وذهبت جهود أصدقاء ناصر في المخابرات عبثاً . . وسنقدم هنا وثيقتين :

مذكرة من هيئة تنسيق العمليات Radius

إلى نائب وزير الخارجية

واشنطن ٢٨ سبتمبر ١٩٥٤ سري للغاية

الموضوع : المساعدة العسكرية لمصر

مرفق الملحق Tab A كتبه مستر جيرنجان نائب وزير الخارجية المساعد لشئون الشرق الأدنى وجنوب آسيا وأفريقيا . .

حضر الاجتماع ممثلو : الخارجية والدفاع والمخابرات CIA وإدارة العمليات الخارجية .

١ ـ سوف نتابع ، كما هو جارٍ حالياً ، محاولة دعم التنمية الاقتصادية لمصر في حدود ٤٠ مليون دولار .

٢ ـ . . . . . . (محذوف) يجب أن ننصح رئيس الوزراء ناصر بأننا لا نستطيع تنفيذ برنامج مساعدة عسكرية شاملة ، إلا عندما يصبح قادراً على توقيع اتفاقية المساعدة العسكرية التقليدية ، ولكن نظراً لصداقتنا الخاصة ورغبتنا في مساعدة نظامه على البقاء ودعم مركزه ، فنحن على استعداد لتقديم مساعدة اقتصادية متواضعة إضافية بطريقة تمكنه من توفير قدر من الدولارات لشراء معدات عسكرية أمريكية وسيكون ذلك بصفة سرية جداً وهذا ينطبق فقط على السنة المالية الحالية وسيبلغ ناصر بوضوح كامل أن أية مساعدة أخرى في المستقبل يجب أن تتم بالطريق المعتاد .

٣ ـ إذا وافق ناصر فيمكن تحويل عشرة ملايين دولار من وزارة الدفاع إلى إدارة العمليات الخارجية بند المساعدات الاقتصادية وتضاف إلى الأربعين مليوناً المقررة للمساعدة الاقتصادية الأصلية .

٤ ـ قرار تحديد المواد التي ستباع لمصر والإجراءات اللازمة لذلك ستتم علنا وبالطريق المعتاد وكأن المبالغ المعنية جاءت أساساً من مصادر مصرية .

وأخيراً « فإنني أعتقد بوجود شيء من المصداقية في دعوى الـ CIA بأن ناصر يؤمن فعلاً بأننا قد التزمنا نحوه ببعض المساعدات العسكرية . وأعتقد أيضاً أن (عبد الناصر) يمكن أن يكون مفيداً جداً في الشرق الأوسط ، إذا ما دعمناه وتعهدناه cultivated . . ولذا أعتقد أن لفتة خاصة من هذا النوع تستحق المحاولة . . وعلى أية حال إذا رفض ناصر هذه الترتيبات ، فأنا أوصي بالعودة إلى موقفنا الأصلي وهو : لا مساعدة عسكرية بأية صورة حتى يكون مستعداً لتوقيع الاتفاقية المعتادة . وأرى أن يثار هذا الأمر في اجتماع .O.C.B (هيئة تنسيق العمليات في ٢٩ سبتمبر) » اهـ .

وقبل أن ننتقل للوثيقة الثانية نقف هنا عند نقطة أشرنا إليها في كتابنا السابق ولكنها لم تكن واضحة ، وهي مازالت شديدة الغموض ، وكُتّاب الناصرية يضنون علينا بتفسير رغم إفراطهم في الكتابة . ففي هذا الوقت ذهب « محمود فوزي » إلى السفير الأمريكي وأبلغه أن عبد الناصر أو مصر لا تريد سلاحاً من أمريكا ؟! وقد ورد ذلك في برقية من كافري إلى وزارته برقم ١٣٥٧ بتاريخ ٢٩ أغسطس ١٩٥٤ « ٢٦٨ - زارني وزير الخارجية أمس وأخبرني أنه بعد دراسة دقيقة ، فإن الحكومة المصرية قررت ألا تطلب مساعدة عسكرية من أمريكا في هذا الوقت لأن المصريين تيقنوا أن القوانين الأمريكية تتطلب توقيع اتفاقية الأمن المشترك وأن هذا القرار (عدم طلب السلاح . ج) لن يؤثر على سياسة الحكومة المصرية في التعاون الوثيق مع الغرب ، وإنما لأسباب داخلية ، وطلب رفع حجم المساعدة الاقتصادية » .

وتضاربت المواقف بشكل مثير . . هيئة الأمن كتبت مذكرة في ١٩٥٤/٩/٨ أعربت فيها « عن سرور الخارجية الأمريكية لقرار مصر بعدم طلب السلاح نظراً للاحتجاجات الإسرائيلية الأخيرة » .

واحتجت الـ CIA في واشنطن وقال ممثلوها إن السفير ليس له مداخلة مع عبد الناصر وأيدهم السفير المصري في واشنطن الذي شك في النبأ واتصل بعبد الناصر تليفونياً ، الذي أذن له أن يبلغ وزارة الخارجية « أبلغنا السفير المصري هنا على ضوء مكالمة تليفونية أجراها مع ناصر أنه بعكس ما صرح به فوزي فإن ناصر لم يتخذ قراراً نهائياً بعد في موضوع طلب المساعدة العسكرية وأنه يرغب في إبقاء الأمر معلقاً حتى يحل مشاكله الداخلية » ١٩٥٤/٨/٣١

هل كانت مناورة من وراء ظهر عبد الناصر ، أم بعلم عبد الناصر لأحكام الخطة التي نقلت إليه عن زيادة حجم المساعدة الاقتصادية العلنية ، بما يوفر عملة لمصر تشترى بها سراً المعدات العسكرية أي من السوق الأمريكية نقداً ودون حاجة لشروط المساعدة . . ؟! ثم تدخلت الـ CIA فجعلته يغير موقفه ؟! الحق أننا لا ندري . . وعلامات الاستفهام تتزايد حول شخصية « محمود فوزي » .

الوثيقة الثانية :

ملحق ب . . سري جداً

٢٨ سبتمبر ١٩٥٤

مذكرة من مسئول مكتب تنسيق العمليات (ستاتسي) .

عقد الاجتماع لبحث مشكلة المساعدات العسكرية لمصرَ وحضره الآتية أسماؤهم :

عن الخارجية	جون جيرنغن لويس فرشتلنج وليم بوردت
الدفاع	وليم جودل
المخابرات CIA	ريتشار بيسيل (المدير العام) كيرميت روزفلت نائب المدير للشرق الأوسط
إدارة العمليات الخارجية	نورمان بول
مكتب تنسيق العمليات	المرستاتس ماكس بيشوب

وبدء مستر جيرناجن الاجتماع بأن وجود التزام أمريكي بإعطاء مصر مساعدات عسكرية واقتصادية . وأن وزير الخارجية المصرية أبلغ السفير كافري أنه بسبب الظروف الحالية ، فإن مصر لا تريد توقيع اتفاقية المساعدة العسكرية في هذا الوقت . وبما أن تعهد الولايات المتحدة بتقديم المساعدة العسكرية لمصر لا ينطوى على حالة خاصة ، ومن ثم يجب أن يتخذ الطريق المعتاد . . ولكن نظراً لعدم رغبة مصر في الحصول على المساعدة العسكرية في هذا الوقت . فقد رؤى أنه من غير المرغوب فيه أن نثير مشكلة حول إقناع المصريين بضرورة قبولهم اتفاقية المساعدة وأنا استحسن على ضوء المناقشات الأخيرة في مكتب تنسيق العمليات ، أنه لو أمكن ايجاد حيلة لإعطاء مصر ما لا يزيد عن عشرة ملايين دولار مساعدة عسكرية لمصر تحت (. . . . .) (وردت هكذا ج) بعض الترتيبات مثل مساعدة اقتصادية ، فإن مستر « جيرنجان » يعتقد أن مثل هذا الترتيب سيكون مقبولاً سياسياً ولن يسبب لنا أية مشاكل .

واستعرض مستر « ستاتس » ومستر « جودل » المناقشة التي جرت في اجتماع هيئة تنسيق العمليات في اجتماعها الأخير يوم الأربعاء ٢٢ سبتمبر (بالرجوع إلى الملفات لم تجر مناقشة المساعدة العسكرية لمصر في ذلك الاجتماع) وقال مستر « جودل » إن وزارة الدفاع قد اعتمدت ما يزيد قليلا عن عشرين مليون دولار للمساعدة العسكرية لمصر وأن جزءاً من هذا المبلغ يمكن أن يحول لإدارة العمليات الخارجية إذا ما رأت الـ OCB (مكتب

التنسيق . ج) ذلك ضرورياً ومرغوباً فيه . وأكد مستر « جودل » في نفس الوقت أن هناك احتياجات أخرى لهذا المبلغ » .

« ثم تحدث « مستر روزفلت ومستر بيزل (رجلا المخابرات CIA ج) فوصفا بإيجاز الوضع في مصر : .... » .

(هذا الجزء اختفى ! حذف من ملفات الخارجية ولن تتاح أبداً معرفته ! ج)

ثم استمر التقرير :

« وجرت مناقشة مكثفة Considerable حول نوعية المواد التي يريدها المصريون في هذا الوقت واتفق على أنه من المستحسن إرسال ضباط أمريكيين لمصر لنصح المصريين حول المواد التي يجب أن يحصلوا عليها وليروا إذا كان ممكناً تلبية طلبات الولايات المتحدة ؟ وصرح المستر باول أن هيئة المعونة الخارجية يمكنها خلال وقت قصير إعداد برنامج مساعدة اقتصادية بأربعين مليون دولار و (محذوف) خطة بعشرة ملايين يمكن للمصريين استخدامها لشراء إمدادات عسكرية من الولايات المتحدة « واتفق على أن المجموعة ستقترح على OCB في اجتماعها القادم ٢٩ سبتمبر برنامج العمل التالي :

١ ـ (محذوف) يتصل بالكولونيل ناصر و (محذوف) يبلغ الأخير أنه ولو أن المساعدة العسكرية المنحة ، يمكن تقديمها فقط في ظل اتفاقية مساعدة عسكرية فإنه قد يكون من الممكن أن يوضع تحت تصرفه (محذوف) مبلغ في حدود عشرة ملايين يمكن أن يستخدمها في شراء إمدادات عسكرية من الولايات المتحدة . وأن هذه المساعدة هي « كل » ما يمكن له أن يتوقع في السنة المالية الحالية . وأنه إذا حاز هذا البرنامج قبوله فعليه أن يطلب من وزير خارجيته الاتصال بالسفارة الأمريكية لطلب المساعدة » . « وتقرر في هذا الاجتماع إرسال فريق دراسة من العسكريين بملابس مدنية لنصح المصريين بما يشترونه بالعشرة ملايين » .

ooo

ولكن حدث تطور جديد يعكس الصراع الذي كان دائراً وقتها بين مجموعتين ، مجموعة وربما كان السفير الأمريكي فيها ، التي ترى أنه يستحيل على واشنطن إعطاء أسلحة بحجم يرضي ناصر إلا إذا خضع للتنظيمات القانونية المتبعة في أمريكا وفريق « المخابرات » الذي رأى أن توقيع عبد الناصر على اتفاقية عسكرية مع أمريكا سيؤثر على الدور المرجو له كزعيم العالم العربي وقائد ثورة التحرير .. الخ .. واستمر الشد والجذب وانعكس ذلك في قرارات مصرية متناقضة :

في ٢٧ أكتوبر ١٩٥٤

« ابلغ السفير المصري ، الخارجية الأمريكية أنه بسبب القبول الحسن للمعاهدة مع الانجليز ، وتحسن الوضع السياسي الداخلي لذا فإن كولونيل ناصر يرغب في استئناف المفاوضات حول المعونة العسكرية » .

في ٢٩ أكتوبر ١٩٥٤ .

« أبلغوا « ناصر » أن الحكومة الأمريكية مستعدة لاستئناف مفاوضات السلام وأن ترسل فوراً لجنة تقصي حقائق عسكرية في ملابس مدنية لتناقش مع ناصر ما يتعلق بالاتفاقية العسكرية (. . . . . . . محذوف ج) وإمداد مصر (. . . . محذوف) بحوالى ثلاثة ملايين دولار لشراء معدات عسكرية أمريكية لرفع الروح المعنوية واستئناف السفارة في القاهرة المفاوضات على أساس اتفاقية على طراز الاتفاقية المبرمة مع العراق » .

وهذه الوثائق تؤكد تماماً ما سجله « ولبر ايفيلاند » في كتابه « حبال من رمال » فعلى ضوء قرار هذا الاجتماع تشكل وفد منه و « جير هاردت » وسافرا إلى مصر حيث اجتمعا بناصر ، ولكن كتاب « ايفيلاند » أكثر معلومات ، ذلك أنه حدد الأشخاص الذين حضروا الاجتماع وفيهم كوبلاند والتهامي ولكن كما أشرنا هناك قرار بحذف أسماء الذين لهم علاقة بالمخابرات الأمريكية ويمكن أن يضرهم سياسياً أو أمنياً الإشارة إلى نشاطهم . . ولذلك حذف من تقرير الاجتماع اسم « كوبلاند » الذي لم يرد في الوثائق إطلاقاً ! وكذلك حذف اسم « التهامي » وقيل « وواحد من السكرتارية الخاصة لرئيس الوزراء » .

وأغلب الظن أن المقصود هو التهامي وليس كوبلاند (ها ها ! ج ؟!) . . كذلك سجل تقرير الخارجية الأمريكية عن الاجتماع مع ناصر ٢٣/١١/١٩٥٤ نفس الملاحظة التي اتفق عليها كوبلاند في « لعبة الأمم » وايفيلاند في « حبال الرمال » وهي « إن الجو كان ودياً ومسترخياً »* .

وقال ناصر : « إنه لا يقدر أن يوقع معاهدة مع الانجليز واتفاقية عسكرية مع الأمريكان في وقت واحد » . .

ورد التقرير كالآتي : « في ٢٣ نوفمبر ، اجتمع جير هاردت ، ايفيلاند (محذوف ونعتقد أنه اسم كوبلاند) مع عبد الناصر وعامر وعضو من السكرتارية الخاصة لرئيس الوزراء (ناصر ج) » .

وجاء في التقرير أن ناصر أبلغ الأمريكيين أنه يتوقع « تصفية الإخوان خلال شهرين ، وفي هذه الحالة وعلى ضوء تدعيم قبضة مجلس الثورة يمكن أن يعيد النظر في توقيت الاتفاقية المطلوبة .

وفي يوم ٣١ ديسمبر ١٩٥٤ كتب مستر جيرنجان الوكيل المساعد للخارجية الأمريكية مذكرة جاء فيها :

---

* حكاية خلع الجاكتات ، ومناداة الرئيس باسمه الأول جمال بدون ألقاب . .

تسلمنا رسالتين (. . . محذوف ج) من رئيس الوزراء ناصر يقول : « إن الحاجة إلى المساعدة العسكرية ماسة » . نظراً للحالة المعنوية الحاضرة للجيش ، وهو يطلب البحث عن وسيلة لتقديم مساعدة عسكرية مجانية بدون توقيع اتفاقية برنامج مساعدات الدفاع المشترك . وهو يسأل إذا كان خطاباً شخصياً منه للرئيس الأمريكي يكفي لتغطية اشتراطات القانون ويشكل بديلاً عن الاتفاقية . . ؟! » .

وردت المذكرة :

١ ـ إن اعتمادات المساعدة لمصر حولت لأغراض أخرى وبالتالى فإن أية مساعدة ستعتمد على تخصيصات الكونجرس التي بدورها ستتأثر بموقف الكونجرس والرأي العام الأمريكي إزاء سياسات المصريين وخاصة فيما يتعلق بإسرائيل .

٢ ـ في جميع الأحوال سيطلب من مصر أن توقع الاتفاقية .

٣ ـ نحن على استعداد لدراسة طلبات شراء في إطار اتفاقية المساعدة الحالية . .

« وكما تعلمون فإن خططنا نحو تحقيق تقدم في حل المشكل العربي ـ الإسرائيلي ، يعتمد أساساً على مصر كالقائد المحتمل لتسوية مع إسرائيل ولإقناع ناصر لقبول هذا الدور يجب :

١ ـ مساعدته على تقوية مركزه في الداخل .

٢ ـ إقناعه بأن هذه السياسة ستحقق عائداً وبالخطة المقترحة سنلوح له « بجزرة » إمكانية المساعدة العسكرية وهو الأمر الذي يحتاجه بشدة . . بينما نقول له بوضوح إن ذلك لن يعطى له مجاناً بل لابد أن يدفع مقابله وذلك بتحسين موقفه من إسرائيل . وقد نوقش ذلك في ٣٠ ديسمبر (١٩٥٤) مع مستر هوفر ، مستر مورفي ، وأندرسون نائب وزير الدفاع وآلن دلاس (مدير الـ CIA) » ا هـ .

وبهذه الرسالة الخسيسة الأهداف والوسائل « الجزرة »* كان يمكن أن يتجمد الموقف أو يدخل في مرحلة اكتشاف جديدة لإمكانية الحل السلمي للصراع العربي ـ الإسرائيلي ، في ضوء توقعات المراهنين على عبد الناصر وأيضاً المدرسة « العربية » في الإدارة الأمريكية وهي التي كانت تضم القوى التي استهانت بالنفوذ الصهيوني وجهلت الأطماع الصهيونية الحقيقية ، فقد رأت هذه القوى بعد إنهاء المشكل المصري ـ البريطاني ، أن الفرصة متاحة لوضع السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط على قدميها بالمراهنة على القوة الكبرى والطبيعية بل والشرعية الأصيلة وهي العرب . . وبالذات مصر التي كان يحكمها شباب معجبون بالأمريكان باعتراف هيكل أو مرتبطون بالأمريكان في اتهامات خصومهم . . ولو تحقق هذا التصور لواجهت إسرائيل مأزقاً حقيقياً ، لا لأن أمريكا كانت ستتفق مع العرب على إزالة

---

* إشارة إلى السياسة التي وضعها روزفلت الأول « تيودور » في إخضاع أمريكا اللاتينية عندما سألوه عن سياسته فقال : كيف يتحكم الجندي في الحمار : يعلق له « جزرة » يسعى إليها دائماً ولا ينالها ويستحثه أو يرهبه بالعصا ! . . وعرفت باسم سياسة العصا والجزرة . .

إسرائيل ، بل كانت ستجبر إسرائيل على عقد صلح مقبول للعرب ، وهذا يعني زوال إسرائيل في نظر الفكر الصهيوني الامبراطوري . . وقد حاول اللوبي الصهيوني ، بكل قواه أن يمنع تسليح مصر ، ولكنه كان يعرف أن هذا مستحيل الاستمرار ، وخاصة إذا ما نجح الحكم في مصر في إثبات استقرار الحكم ولو في صيغة ديكتاتورية تعتمد على صغر سن الزعيم ، وفي خلق جبهة عربية ملتفة حوله ، إذ لابد أن يقوى اللوبي الأمريكي ويطلب ترك أطراف المنطقة تحسم أمورها دون تدخل من جانب الولايات المتحدة ، مادامت النهاية لصالح الولايات المتحدة في كل الاحتمالات . . ولمنع ذلك كان لابد أن تفرض إسرائيل على المنطقة واقع أنها الصديق الوحيد للولايات المتحدة وإقناع الرأي العام الأمريكي بأن إسرائيل هي القوة الوحيدة في الشرق المضمونة الولاء للولايات المتحدة والغرب ورأس الرمح في محاربة النفوذ السوفيتي في المنطقة وليس المهم أن تصدق الإدارة الأمريكية ذلك أو تتظاهر بالتصديق فمن تخادع لك فقد خدعته . أو بالأحرى إن مجرد رواج هذا المفهوم لدى الأمريكان يسهل على الإدارة الأمريكية تنفيذ مطالب اللوبي الإسرائيلي الشديد التنظيم وصاحب القوة الانتخابية التي يسيل لها لعاب السياسيين الأمريكان . . وقد اتبعت إسرائيل في ذلك الآتي :

١ ـ تبني سياسة معادية للسوفييت على مستوى الشعارات بل واستفزاز الروس لمعاداة إسرائيل وذلك بإزالة المسحة الشيوعية التي صاحبت فترة بناء إسرائيل وظهور الدولة والتي كانت ضرورية في ذلك الوقت لكسب اليسار الأوروبي ، وشل المعارضة الروسية لإنشاء الدولة ودفع الاتحاد السوفيتي للتحلل من الالتزام النظري الذي ظل يكرره نصف قرن بأن الصهيونية حركة رجعية شوفينية ، وأهم من ذلك المبدأ الأساسي في النظرية الشيوعية أو الماركسية ، وهو رفض قيام أمة على أساس الدين أو العرق . . وأيضاً لضمان وصول السلاح من تشيكوسلوفاكيا والمتطوعين من شرق أوروبا . . وأخيراً لتغطية صهيونية قادة الأحزاب الشيوعية في العالم العربي وكلهم من اليهود .

وقد وصلت عملية الانسلاخ ذروتها بإلقاء القنبلة على المفوضية الروسية في تل أبيب ، واستفزازات جولدا مائير السفيرة في الاتحاد السوفيتي ، وإثارة قضية اليهود السوفييت . . وقطع العلاقات مع روسيا .

٢ ـ إثبات أن إسرائيل أجدر بالمراهنة عليها لقوة جيشها وكفاءة مجتمعها وأيضاً لديموقراطية نظامها وليس هذا عن ولع الأمريكان بالديموقراطية بل لأن النظام الديموقراطي يضمن الاستمرارية والاستقرار ووحدة الجبهة الداخلية والدول لا تحب أن تبني استراتيجيتها على الحالة الصحية أو المزاجية لشخص واحد؟! .

٣ ـ ولكن ذلك كله لم يكن يقدر له النجاح إلا بتوفر عنصر ثالث أكثر أهمية ، بل هو شرط نجاح هذا المخطط ألا وهو إفساد علاقة دول المواجهة ـ على الأقل ـ مع الغرب ، بل ودفع

هذه الدول إلى الارتباط بالاتحاد السوفيتي ، وتضخيم هذه العلاقة في الإعلام الأمريكي لإثارة جنون المواطن الأمريكي الذي مازال إلى اليوم ورغم سنوات الوفاق وتحول أمريكا إلى مزرعة القمح الروسية ، مازال يفقد السيطرة على أعصابه كلما لوحوا له براية حمراء !

وهكذا كانت كل خطبة وكل زيارة وكل إشارة عربية في اتجاه السوفييت تقابل بصيحات اللوبي اليهودي . . والأمريكيين السذج ، بطلب الدعم لإسرائيل ، كتيبة الصدام التي تقف وحيدة تدفع من دم ابنائها ثمن حماية العالم الحر وأمريكا بالذات من الخطر السوفيتي !!

كان لابد إذاً من دفع مصر إلى أحضان السوفييت ، وهو ما سميناه بفرض التحالف مع الطرف الأضعف في المحالفة الدولية ، على الخصم المحلي .

والكاتب الماركسي شم رائحة اللعبة ، ولكنه كما قلنا لا يطيق مواجهة الحقيقة . لذا نراه يقول : « والذي يتابع أخبار الصحف في هذه الفترة التي امتدت من يوم الغارة على غزة في ٢٨ فبراير (١٩٥٥) حتى شهر سبتمبر (١٩٥٥) يجد أن مانشتات الصحف لم تتوقف خلالها عن الإعلان عن اعتداءات إسرائيلية واشتباكات مع الفدائيين وقوات الجيش المصري ، الأمر الذي كان يستهدف الضغط على مصر ، والذي كان يدفعها في نفس الوقت دفعاً إلى محاولة الحصول على السلاح دفاعاً عن أرضها واستقلالها وحيادها أيضاً » .

وهذا الذي استطاع حمروش أن يكتشفه ، لابد أن نفترض وجود إسرائيليين في مستوى ذكائه عرفوا أيضاً أن هذا الاستفزاز والضغط يدفع مصر دفعاً لطلب السلاح . . فهل كان اليهود يتحرقون شوقاً لحصول مصر على السلاح من أمريكا ولذا كانوا يدفعون جنودهم لإراقة دمهم في الاشتباكات مع المصريين لدفع عبد الناصر دفعاً للحصول على السلاح من الولايات المتحدة أو الغرب وإقناع أمريكا باعتداءاتهم بحاجته للسلاح ؟

مد بصرك إلى الأمام قليلاً يارفيق . . وستجد أن إسرائيل كانت - فعلاً - تضغط عسكرياً على عبد الناصر لتأزيم قضية التسليح وجعلها تحتل المرتبة الأولى من اهتماماته ، وبما أنها تعلم أن الولايات المتحدة لن تلبي طلبه ، لأن كل نفوذ إسرائيل سيجند لمنع ذلك ، ومن ثم لا يبقى أمامه من حل إلا اللجوء للاتحاد السوفيتي وتخريب جسوره مع الغرب والولايات المتحدة . . وأن هذا الهدف كان حيوياً لإسرائيل وأشرف بن جوريون نفسه على تنفيذه بخروجه من عزلته وعودته إلى وزارة الدفاع وشنه الغارة الأولى على الفور عقب عودته بأيام ثم استمر في التحرش لدفع عبد الناصر دفعاً في هذا الطريق .

وقد علق البغدادي على العدوان الإسرائيلي الكبير الذي وقع على سوريا في منتصف ديسمبر ١٩٥٥ على معسكرات الجيش قرب حدود طبرية وقتل فيه أكثر من خمسين جندياً وذلك بعد توقيع اتفاقية الدفاع المشترك مع سورريا علق بأن هذا الاعتداء « دفع » سوريا في اتجاه الاتحاد السوفيتي « كما سبق واتجهنا » وكان الأحرى به أن يقول كما سبق « ودُفعنا » !

وقد نجح المخطط وفتحت ترسانات الغرب لإسرائيل واستمر التطوير في هذا الاتجاه حتى

أصبح المواطن الأمريكي يعتبر إسرائيل ولاية الحدود الأمريكية . . وبلغت هذه السياسة ذروة نجاحها في حربي ١٩٦٧ و ١٩٧٣ التي كانت إسرائيل تملي فيها شروطها وطلباتها على أمريكا وكأنها تقاتل حرباً أمريكية وإليك شهادة خبير من أهل البيت :

« ولو أن آلن دلاس كان سعيداً لأن سوريا قد عادت إلينا تطلب السلاح إلا أنه قال لي إن بريطانيا تعارض الآن أية مبيعات سلاح للشرق الأدنى باستثناء العراق عضو حلف بغداد وأن أخاه فوستر دلاس وزير الخارجية ـ يفكر في الاقتداء ببريطانيا . هذه الأنباء أزعجتني وخاصة عندما أكد لي ما كنت قد سمعته عن مبيعات سلاح ضخمة من فرنسا لإسرائيل . هذه المبيعات كان يتغاضى عنها الانجليز والأمريكان . أما فرنسا فأعلنت أنها لن تنضم لحلف بغداد ، مكتفية بإرسال هذه الأسلحة لإسرائيل لتقوي ولو بشكل غير مباشر القدرات الدفاعية للغرب في المنطقة . وتجاهل دلاس سؤالي وهو : كيف تستطيع إسرائيل ، وهي محاصرة بمحيط من العداء العربي ، وتشكو دائماً من انعدام الأمن على حدودها الأمر الذي يهدد وجودها كيف ستتمكن من المساهمة في الدفاع عن المنطقة ضد الهجوم السوفيتي ؟! تجاهل آلن دلاس سؤالي هذا ، وفضل التحدث عن مصر ، فشرح لي أن المخابرات CIA على يقين تام الآن أن ناصر عنده وعد قاطع من الروس بتزويده بأسلحة ثقيلة مقابل محصول القطن المصري . وأن الرئيس المصري الآن يقول إنه ظل يتفاوض على سلاح أمريكي لمدة عام فلم ينل إلا المماطلة والتأجيل . وعبر دلاس عن تعاطفه مع موقف ناصر ، بأن شرح لي كيف أن سياسة إسرائيل إزاء مصر هي منع أي اتفاق سلاح أمريكي ـ مصري . فهي ـ كما أفضى لي وكسر فيما بيننا ـ حاولت أن تنسف مكاتب أمريكية في القاهرة على أن تنسب ذلك لإرهابيين مصريين . . ولكن ثبت أن « الموساد » هي التي نفذت هذه العملية (عملية لافون ج) وأكثر من هذا قال دلاس إن عمليات الردع الإسرائيلية ضد هجمات الفدائيين المصريين الذين يعملون من غزة وسيناء قد تصاعدت فوق أي مبرر . فالهجوم الإسرائيلي الأخير على موقع عسكري مصري في غزة تخلف ٥٤ قتيلاً مصرياً وخمسين جريحاً . . وأدى إلى إدانة جماعية من مجلس الأمن الإسرائيلي ، كما أدى إلى تجميد مؤقت للمساعدات الاقتصادية الأمريكية التي كنا قد وعدنا بها إسرائيل كما أثار نداءات من الأمم المتحدة بوقف إطلاق النار بعد أن أرسلت إسرائيل قواتها مرة أخرى للمنطقة . وقد أبلغ الرئيس ناصر الولايات المتحدة أنه لن يستطيع مقاومة ضغط الرأي العام المطالب بالرد ، بل قد لا يستطيع الاحتفاظ بمنصبه ، إلا إذا وافقت أمريكا على بيع السلاح الذي طلبته مصر منذ فترة طويلة ، ثم سألني دلاس عن رأيي في ردة فعل سوريا إزاء صفقة السلاح المصرية ـ السوفيتية فقلت : إن كلا من السفير (الأمريكي ج) مورس وأنا على ثقة بأن سوريا هي الأخرى ستتجه إلى الروس وسألت دلاس عن مصير الطلب المصري للسلاح . فقال لي ـ مرة أخرى لمعلوماتي الخاصة ـ إن المخابرات CIA قد نظمت اتصالاً على أعلى مستوى في حكوماتنا مع الممثل الشخصي لعبد الناصر الصاغ حسن التهامي وفي الوقت الذي نتحدث فيه فإن « كيم روزفلت » يطوف

« بالتهامي » على مكاتب المسئولين في واشنطن . . وباختصار . . قال « آلن دلاس » إنه يأمل في جهود روزفلت وأن تقديرات المخابرات CIA حول نتائج صفقة السلاح السوفييتية ـ المصرية ستكون مؤثرة .

ومن الواضح أنني لم أكن في موضع يمكنني من التعبير عن مشاعري الحقيقية في الموضوع ، إلا أنه خطر لي في هذه اللحظة أن الأخوين دلاس يؤثران سلبياً على السياسة الأمريكية فلو أن رجلاً آخر كان يرأس المخابرات الأمريكية ، ولديه الشجاعة للمخاطرة بسمعته ووظيفته فإنه كان سيمارس مسئولياته الدستورية بتحذير الرئيس بأن سياسة وزارة الخارجية تفتح الباب للروس لكي يشكلوا قوة مؤثرة في مستقبل الشرق الأوسط . ولكن إخلاص آلن دلاس لأخيه فوستر دلاس ، وقف في طريق قيامه بواجبه وقال كوبلاند إن الجناح الإسرائيلي عارض أية علاقة (أمريكية) مع ناصر ، وأن السفير الأمريكي بايرود أبلغ المسئولين في أغسطس ١٩٥٥ بوجود عرض سوفيتي لتزويد مصر بالسلاح وأن ناصر يمكن أن يقبل » .

ماذا نفهم من هذه الأقوال :

١ ـ نفهم أن المفاوضات المصرية ـ الأمريكية للسلاح كانت تسير في طريق مسدود ، في البداية كانت بريطانيا تعارض بيع السلاح لمصر أثناء المفاوضات ثم تركزت المعارضة في اللوبي الإسرائيلي في الولايات المتحدة .

٢ ـ كانت المخابرات الأمريكية ومن ثم القيادة الأمريكية على علم تام بصفقة السلاح ومن ثم لا مجال للحديث عن مفاجأة وضربة وصاعقة . . فقد أحيطوا علماً بها من جمال عبد الناصر نفسه كما أحيطوا علماً بأنه سيضطر لقبولها إذا لم يسعفوه بالسلاح . وخاصة بعد اعتداءات إسرائيل التي كشفت ضعف الجيش المصري وأثارت ثائرة المصريين والفلسطينيين واستغلها خصومه العرب . . فأصبح استمراره في السلطة مهدداً مع كل ما يترتب على ذلك من انهيار لخطط هذه الأجهزة ، وللسياسة الأمريكية التي تعتمد على وجوده .

٣ ـ يتهم « ايفيلاند » « آلن دلاس » بالتستر على سياسة أخيه الخاطئة في منع السلاح عن مصر ، ويعتقد أنه لو لم يكن شقيقه ، لقام بواجبه نحو تنوير الرئيس الأمريكي بخطورة هذه السياسة لأنها ستدفع عبد الناصر لشراء السلاح من روسيا . لأن آلن دلاس مدير المخابرات ، كما يرى ايفيلاند ـ على وعي تام بمخطط إسرائيل لإفساد التحالف الأمريكي ـ الناصري ومنع السلاح عن مصر ، ايفيلاند لا دليل عنده على أن آلن دلاس لم يخبر الرئيس ايزنهاور بذلك ولكن لا ايزنهاور ولا دلاس الوزير ولا دلاس المدير كان بوسعهم حل المشكل ، خاصة بعد الهجمات الإسرائيلية التي جعلت إعطاء أي سلاح لمصر يعني دعماً مباشراً للمجهود الحربي ضد إسرائيل في ظروف قتال . . ولذلك فشلت تقارير المخابرات CIA وجولة كيرميت بالتهامي على مكاتب المسئولين٣٧ ، فقد نجح اللوبي الصهيوني في سد الطريق الأمريكي . . ولم يبق أمام عبد الناصر سوى ممر واحد مفتوح وهو الطريق إلى سيبيريا . . فما الحل ؟

ليتخيل القاريء وضع آلن دلاس ويفكر ما الحل الذي يمكن أن يصل إليه في هذه المشكلة :

١ ـ المخابرات الأمريكية تدير أكبر عملية في تاريخها في مصر والوطن العربي من خلال سلطة عبد الناصر .

٢ ـ هذه السلطة مهددة بالسقوط إذا لم يحصل عبد الناصر على أسلحة لتهدئة جيشه والرأي العام لا للقتال مع إسرائيل .

٣ ـ لا سبيل لحصول ناصر على السلاح من أية دولة غربية .

٤ ـ صفقة السلاح الروسي ستنقذ سلطة ناصر ، وتدعم شعبيته وتزيل التوتر الناجم عن الاعتداءات الإسرائيلية لفترة قد تتمكن فيها المخابرات الأمريكية من معالجة الموقف أو كسب الوقت في انتظار حل آخر .

ماذا يختار آلن دلاس ؟

سقوط عبد الناصر أم قبول الصفقة ومحاولة الاستفادة القصوى منها ؟!

ولماذا نخمن ؟ إليك ما جاء في الوثائق قال كوبلاند :

« في منتصف سبتمبر تسلم « كيرميت روزفلت » (نائب مدير المخابرات الأمريكية والمسئول عن الشرق الأوسط ومدبر انقلاب ٢٣ يوليوج) رسالة شخصية من ناصر بأنه سيوقع اتفاقية مع الروس للسلاح ، وأنه إذا كان روزفلت يريد إقناعه بالتخلي عن ذلك فأهلاً وسهلاً به في القاهرة . وفي اليوم التالي سافرت وكيرميت إلى القاهرة . وقابلنا في المطار معاونو عبد الناصر وأخذونا رأساً إلى شقة عبد الناصر في أعلى مبنى مجلس الثورة وكان عبد الناصر في جو « ألم أقل لكم » . . وشديد المرح مستعداً لسماع حجج روزفلت ضد الصفقة ، ولكن روزفلت فاجأه ، فبدلاً من القول بأن عبد الناصر يجب ألا يقبل الأسلحة قال روزفلت : إذا كانت الصفقة كبيرة كما سمعنا فسوف يزعج ذلك البعض ولكنها ستجعلك بطلاً كبيراً* فلماذا لا تستفيد من هذه الشعبية المفاجئة للقيام بتصرف حكيم ؟ فلن ينتقص من شعبيتك أن تصدر تصريحاً تقول فيه : « إننا نحصل على هذه الأسلحة لغرض دفاعي فقط ، وإذا كان الإسرائيليون يريدون الاشتراك في جهد مشترك لتحقيق سلام دائم في المنطقة فسيجدون مني الترحيب بذلك . . ووافق عبد الناصر على الفور ، وقال إنها فكرة جيدة . . « وناقشنا الاقتراح إلى منتصف الليل واتفقنا على أن يعلن عبد الناصر الصفقة في بيان رزين نبيل يستثير الهتاف ليس فقط من المتطرفين بل من العناصر المحافظة ، وبعدها يبدأ مبادرة بموقف حيادي من القضايا الدولية ، وستكون مقبولة من الجميع ، بينما يمضي في حل مشاكله الداخلية الملحة بالمعونة الأمريكية . واتفق على أن أكتب أنا (مايلز كوبلاندج) الفقرة المطلوبة في

* اعترف التهامي أن عبد الناصر بعثه لأمريكا حيث تأكد من موافقة المخابرات الأمريكية على الصفقة .

خطاب عبد الناصر (عن إسرائيل ج) على أن ينقحها عبد الناصر وروزفلت في اليوم التالي .

وتدفق علينا في الفندق الناصحون بماذا يجب وماذا لا يجب أن نضع في خطاب عبد الناصر من أمثال مصطفى أمين ، ومحمد حسنين هيكل والوطني المتطرف حسن التهامي وهو كبير مساعدي عبد الناصر وجيمس اكلبرجر* وأحمد حسين السفير المصري في واشنطن .. وكلهم كانوا يعرفون أن صفقة سلاح عقدت مع الروس » .

« وقرأت أنا وكيم مسودة الفقرة المقترحة لعبد الناصر في الساعة الثامنة مساء اليوم التالي مرة أخرى في شقة عبد الناصر في مجلس قيادة الثورة ، المواجه للسفارة البريطانية وأعجبت المسودة ناصر .. وقال إنه يمكن أن يضمنها خطابه بسهولة ، إلا أن اعتراضه الوحيد ، أنه لا يستطيع أن يقول عبارة « سلام مع إسرائيل » ولذا يقترح بدلاً منها « تخفيف حدة التوتر بين العرب وإسرائيل » وقبل روزفلت** ذلك وأحضر ناصر زجاجة ويسكي يحتفظ بها لكبار الزوار وفي هذه اللحظة دق التليفون وقال الضابط المناوب في أسفل المبنى ، إن السفير البريطاني سير همفري تريفليان يطلب مقابلة عاجلة .

سألنا جمال : ماذا يريد ؟

أجبناه : سيحدثك في الصفقة !

سأل : كيف عرف فالمفروض أنها سر !

ورد عليه روزفلت : جمال ؟! حتى إذا افترضنا أن الخبر لم يتسرب من جماعتك فإن الروس سيسربونه فليس من مصلحتهم أن يبقى سراً ؟!

« سأل ناصر : ماذا أقول له ؟ .. قال روزفلت .. حاول تهدئته إلى مساء الغد ، موعد الإعلان عن الصفقة قل له : إن الأسلحة من تشيكوسلوفاكيا باعتبار أن تشيكوسلوفاكيا هي المصدر الرئيسي للسلاح لإسرائيل أيضاً » .

ثم قصة مسلية لمن شاء الرجوع إليها حول تلذذ رجال المخابرات الأمريكيين بغفلة السفير البريطاني وجهله أنهم في الداخل يسكرون !.

وجاء زكريا وعامر وأخذوهم للعشاء في منزل السفير أحمد حسين حيث كان بايرود مدعواً وفوجيء برئيس الدولة يدخل محاطاً بروزفلت وكوبلاند .. إلى آخر القصة المعروفة عن

---

* مندوب المخابرات CIA وقد سبقت الإشارة إليه .. وهذه النخبة أو التشكيلة التي تنضح أمريكية تعدل وتنقح في خطاب رئيسنا .

** الجيل الناشيء قد لا يصدق أن مدير المخابرات الأمريكية لابد أن يوافق على خطاب الزعيم الخالد ، ولكن لا يجب أن ننسى أن صانع « الصنم » لا يحس بنفس القدسية التي يحسها العابد المخدوع . وفي بداية الثورة كتب الأمريكان ـ كما أخبرنا هيكل ـ مشروع رسالة على لسان قائد الثورة ليوجهها لأمريكا ! ..

انفجار بايرود وانسحاب ناصر من العشاء . انظر لعبة الأمم ص ١٦٠ إلى ١٦١ .

ولكن الأمور لم تسر وفقاً لخطة المخابرات الأمريكية ولا شك أن الاستراتيجية الإسرائيلية كانت تتطلب أن يصاحب عقد الصفقة حتى معادية للولايات المتحدة والغرب ، والمزيد من أدلة شيوعية مصر .

وتدخل القدر أو « يهوه » أو أخطاء الدبلوماسية الأمريكية كما يقول كوبلاند ، أو اللوبي الصهيوني لإفساد مخطط المخابرات وتسميم الجو . . وإليك أولاً رواية « مايلز كوبلاند » عما عرف بعد ذلك بقصة « الإنذار » الأمريكي والذي مازال الأفاقون يتشدقون بها إلى اليوم .

بعد الأزمة التي حدثت على العشاء بين السفير الأمريكي والرئيس ناصر حول حادثة ضرب الأهالي الملحق العمالي الأمريكي أبرق روزفلت وايرك إلى واشنطن يطلبون سحب بايرود لأنه فقد توازنه العقلي؟[9] . عندها قرر دلاس أن يرسل إلى القاهرة « جورج آلن » نائب وزير الخارجية للتحقق من سلامة قوى بايرود العقلية وفي نفس الوقت أعد الوكيل المساعد وليم راونتري مسودة خطاب شديد اللهجة stern من دلاس إلى ناصر يشير فيه إلى مخاطر قبول السلاح الروسي . وسرب « بعضهم » للصحف أنباء عن الموضوع كانت كافية لتنشرها هذه الصحف تحت عنوان « آلن يتجه إلى القاهرة لتقديم إنذار لعبد الناصر » وانتقلت القصة إلى تيكر الأسوشيتدبرس في القاهرة الساعة السادسة مساء بتوقيت القاهرة ، الحادية عشرة صباحاً بتوقيت واشنطن؟[10] . وفي الساعة السادسة والنصف عندما ذهبنا لمقابلة عبد الناصر كان محاطاً بمعاونيه ، وكان يأمر أحدهم بحذف « هذه الفقرة السخيفة » ويضع مكانها شيئاً مضاداً للأمريكان ، ويأمر بالاتصال بوزارة الخارجية ويبحث معهم إجراءات قطع العلاقات مع دولة كبرى . ويأمر ثالثا بحجز إذاعة القاهرة لإذاعة بيان هام على الشعب ، ورابعا بطلب سيارة متواضعة واصطحابي وروزفلت إلى المطار . . « ويجب أن نسجل شكرنا لمصطفى أمين الذي أعاد جو الهدوء وأقنع عبد الناصر بأنه لن يخسر شيئاً إذا قابل « كيم روزفلت » فقط لسماع ما لديه قبل اتخاذ كل هذه الإجراءات . ووافق عبد الناصر على أن يصعد إلى أعلى حيث كان روزفلت في انتظاره غير عالم بما أذاعته الاسوشيتدبرس لأن وزارة الخارجية لم تهتم بإبلاغ السفارة في مصر بقدوم آلن سواء بإنذار أو بدون إنذار . . وبعد شهور قال عبد الناصر في خطبه إن أمريكياً ، جاء يحذره من إنذار أمريكي . . وهذا محض افتراء من ناصر ونفاق عربي ، فكل ما قاله روزفلت هو : لماذا لا تتسلم الانذار أولاً . . ثم تصرخ . . ربما غلطت الاسوشيتدبرس . . ولكن عبد الناصر أصر على أن الاسوشيتدبرس لا يمكن أن تخطيء وكل ما كان بوسع روزفلت أن يقوله هو : « لو سلمك انذاراً فتصرف كما ترى ، ولكني لا أظن أن دلاس سيرسل إنذارا من غير أن يخبرني عنه . وهدأ عبد الناصر ووافق على تأجيل كل الإجراءات إلى أن يتسلم الإنذار ، ولكنه حذف الفقرة إياها من خطابه . وعندما قابلته وكيم بعد الخطاب بدقائق التفت إلينا قائلا : « الخطاب لم يكن تماماً

كما أردتما ولكن مازال في الوقت متسع ، وفي صباح اليوم التالي وصل آلن ، وكان في استقباله حشد من المتظاهرين يهتفون ضد أمريكا . . وتلك هي الصورة النموذجية للناصرية التي يحبها العرب . . وقبل أن يقترب منه أي مراسل لسؤاله أي سؤال كان حسن التهامي قد اخترق كوردون مشاة الأسطول (مارينز) الأمريكان ، لتسليمه رسالة من روزفلت وجونسون : « أنكر الإنذار . . أو على الأقل لا تشر إليه حتى نتناقش »*

أما حكاية الإنذار الحقيقية فيعرضها كالآتي :

« قال وزير الخارجية عرضاً : « آلن . . مادمت ستذهب لمصر ، فانتهز الفرصة وقل لناصر رأينا في صفقة السلاح التي عقدها ، وأنت يابيل . . اكتب شيئاً ما » . . وبما أن أمر الوزير واجب التنفيذ ، فإن « آلن » رغم اتفاقه مع روزفلت في الليلة السابقة على تبريد العملية ، إلا أنه كان مضطراً لتسليم الرسالة ، ولكنه عندما ذهب لمقابلة عبد الناصر اكتفى بقراءة بعض فقرات منها محاولاً جعلها هادئة ثم انصرف لمناقشة أشياء أكثر سروراً وهو ماذا ستفعل مصر بالأربعين مليون دولار التي سنقدمها لها ، وفي النهاية لم يكن هناك إنذار وإنما ساهمنا في رفع شعبية ناصر في العالم العربي » .

وقال ايفلاند إنه سأل « آلن عن الانذار فقال له إنه لم يحمل أية تهديدات » .

وقال : « وصلت برقية إلى بيروت تفيد أن وكيل الخارجية جورج آلن قد أرسله وزير الخارجية دلاس للقاهرة للتباحث مع ناصر وذلك لخلق إحساس بأن صفقة السلاح الأمريكي ـ التشيكي لا تعنينا ، ولذلك وصفت الرحلة بأنها زيارة روتينية لعدة بلدان لمناقشة القضايا الجارية »[٣٣] .

ويضيف أن آلن « عقد اجتماعاً للسفراء الأمريكيين في الدول العربية لمجرد إظهار أن رحلته لم تكن مخصصة لمصر وصفقة السلاح » !

يبدو أنه كان إنذاراً سرياً تهمس به أمريكا في أذن ناصر بينما تظهر للعالم كله أنها غير مهتمة بصفقة السلاح !

أما رواية « هيكل » فهي تحكي عن إنذار خطير ، كان في طريقه إلى مصر وعن محاولات كيرميت روزفلت منع عقد الصفقة ولكن عبد الناصر هدد باتخاذ إجراء عنيف ضد المبعوث الأمريكي حامل الانذار المزعوم مما جعل أمريكا تسحب الإنذار وتعود ذيلها بين رجليها ! ولا يمكن استنتاج إنذار من تصريح آلن في المطار عن حق مصر المشروع في شراء السلاح كما سنرى .

وفي اعتقادي أن حكاية « الإنذار » إذا رفضنا التفسير البسيط فإنها لا تخرج عن أحد هذين الاحتمالين أو هما معاً .

---

* انظر فصل هيكل والتاريخ البلاستيك .

١ ـ إما أن رؤساء « روزفلت » في أمريكا أرادوا المزيد من احتلاب الفكرة الجهنمية بتسخير الصفقة لخلق شعبية واسعة لعبد الناصر تمكنه من المضي خطوات لا يجرؤ عليها حاكم عربي منذ مصرع الملك عبد الله وحسني الزعيم . . ولا شيء يزيد الشعبية ـ حتى اليوم ـ أكثر من الحديث عن هلع أمريكا وانهيار بريطانيا وإغماء إسرائيل وإنذار أمريكي بضرورة إلغاء الصفقة وتمزيق عبد الناصر الإنذار أو تحطيمه في الجو بإنذار مضاد ، والمضي قدماً في طريق المجد بعقد الصفقة وإثبات أن « أرض العروبة نار » وهو ما حدث تماماً .

٢ ـ وإما أن أنصار إسرائيل في سراديب الحكومة الأمريكية خشوا فعلاً نجاح مخطط روزفلت والمجموعة الناصرية في المخابرات الأمريكية في استصدار هذا التصريح السلامي من عبد الناصر الذي كان سيحقق المزيد من دعم العلاقات المصرية ـ الأمريكية ومحاصرة نوايا إسرائيل الحربية ، ولذلك سربوا شائعة « الإنذار » للصحافة لاستفزاز عبد الناصر إلى مواقف تؤدي إلى توتر العلاقات مع أمريكا وإلغاء اللهجة السلامية ، والمزيد من الاندفاع للسوفييت . وهذا ما كانت إسرائيل تحاوله باعتداءاتها خلال عامي ١٩٥٤ و ١٩٥٥ حتى تحقق بصفقة السلاح ، ولم يكن من المعقول أن تترك جهودها تنهار بإعلان ناصر خطوة سلامية مع تسلمه سلاح القتال ! فهذا يقلب كل خططها إذ يصبح عبد الناصر رجل سلام ويتسلح من روسيا وعلى علاقة طيبة مع أمريكا ، وهي الصورة التي كان الأحباء في المخابرات يحاولون رسمها بجهد خارق الذكاء . . ولإحباط خطتهم سرب عملاء إسرائيل شائعة الإنذار . . وقد حدث ما توقعوا .

المهم أن رواية هيكل مناقضة لرواية مايلز كوبلاند الذي أكد أن عبد الناصر شخصياً هو الذي كان يبحث « الأزمة » مع كيرميت روزفلت وأن الجو كان ودياً للغاية ، وموضوع الحديث الرئيسي كان السخرية من غفلة الانجليز . ومحاولة الاستفادة القصوى من الشعبية التي سببتها الصفقة لعبد الناصر في مصر والوطن العربي من أجل خطوات بناءة نحو السلام والاستقرار في المنطقة .

أما رواية عبد اللطيف بغدادي عن الحوار بين كيرميت وعبد الناصر فمثيرة للغاية وكانت ولا تزال تستوجب أن يعكف على تفسيرها وتحليلها كل من يعنيه الأمر .

قال كيرميت لجمال عبد الناصر إن مستر آلن موفد برسالة من دلاس نفسه ، وأنه يعتقد أن دلاس (وزير الخارجية ج) هو الذي أملاها شخصياً كما يعتقد أن الانجليز هم الذين أشاروا عليه بهذا* لأنها عنيفة جداً وأنه يجب عليك (يقصد جمال) أن تحزن ولكن لا تغضب be sorry but not be angry وأن تمسك أعصابك حتى يمكننا أن نحل هذا المشكل فيما بعد كما ذكر له أنه لو كان هناك في الولايات المتحدة وقت كتابة هذه الرسالة لمنع إرسالها بهذه

* استنتاجه سليم ، فقد كشفت وثائق تلك الفترة ، أن الانجليز كانوا هم الذين يشنون الحملة ضد الصفقة في واشنطن ويطاردون المسئولين الأمريكيين مطالبين بإجراء .

الصورة ، ومما قاله كيرميت لجمال أيضاً : « إنك ستجرح في كبريائك ولست أقصد كبرياءك الشخصية ، بل كبرياء بلدك « Not your Pride but the pride of your country » .

ورأيي حتى تمر هذه الأزمة دون اتخاذ أية إجراءات action من جانبنا ، أن تكون صبوراً وأن تطلب منه أن يعطيك فرصة للدراسة ، وأن تكون كأب حليم وهو كابن أو أن تقبل ما في الرسالة »[٣٤] .

هل يمكن أن يكون هذا الحوار بين مسئول أمريكي ورئيس دولة ؟! هل هذا الذي يتكلم كأنه الأخ الكبير أو God Father على طريقة بغدادي في استخدام التعابير الانجليزية ـ يمكن أن يكون مجرد موظف أمريكي حتى ولو كان يبلغ إنذاراً إلى زعيم ثورة ؟! هل يمكن أن يتحدث مندوب المخابرات الأمريكية هكذا مع كاسترو أو هوشي منه أو حتى علي ماهر ؟!

ستهان في كرامة وطنك ! لكن اياك والغضب ! مسموح لك بالحزن فقط ؟! هذه مؤامرة بريطانية غرروا فيها بوزير خارجيتنا لنسف علاقتنا . أمسك أعصابك ، وعامل « الأبله » القادم من وزارة خارجيتنا كابنك حتى ينصرف راضياً ، واترك الباقي علي أنا ؟!

هذه تعليمات أو نصائح موجهة ضد جزء من الإدارة الأمريكية برغبة احتوائها لا الصدام معها ، وأيضاً إفساد أو إفشال كل ما تحاوله بهذه الرسالة التي أرسلت بها مبعوثاً خاصاً وبإملاء من وزير الخارجية نفسه . . ولكن هاهو أكبر مسئول في المخابرات الأمريكية بالمنطقة ينظم لعبد الناصر أسلوب إفشالها ؟! ويهون عليه نتائجها ، ويؤكد أنها لن تغير شيئاً في علاقتهما .

علاقة عجيبة وحوار أعجب ، لا يمكن فهمه إلا على ضوء العامل الذي أشرنا إليه وهو وجود علاقة خاصة بين قيادة ٢٣ يوليو والمخابرات الأمريكية ، قبل « الثورة » وبعدها ، وأن هذا الجانب « المحترف » من الإدارة الأمريكية كان أكثر علما وأكثر تأثيراً في الاستراتيجية والقرارات الأمريكية . . وهو الجناح الذي كان يصفي عن وعي الوجود البريطاني في المنطقة . . وأن الانجليز لم يخطر ببالهم أن اللعب الأمريكي يمكن أن يصل إلى حد فتح أسواق الشرق الأوسط للسلاح الروسي ، وهذا بدوره يلقي الضوء على ما سنراه خلال معركة القناة من بعض المواقف المتناقضة من جانب دلاس وزير الخارجية الأمريكي ، وحيرة سلوين لويد وزير خارجية بريطانيا في تفسيرها . . وأيضاً غلطة العمر التي ارتكبتها بريطانيا ، عندما ظنت أن تناقضها مع المصالح الأمريكية ، لا يمكن أن يصل إلى حد تآمر أمريكا ولو في صمت مع روسيا ضدها . .

على أية حال يبدو أن كيرميت قد نجح نجاحاً باهراً في تطويق الأزمة الجاهلة التي سببها دلاس تحت تأثير الانجليز . . فالدرس الذي أعطاه للمسئولين المصريين عن « آداب السلوك في معاملة رسل الملوك » أتى أثره في ضبط مشاعرهم من ناحية والموافقة على استقبال المبعوث بحنان ممزوج بالحزن المهذب ، وأيضاً بعث مدير المخابرات هذا بورقة ، إلى المستر

آلن هذا فيها على ما يبدو « الاسم الأعظم » ! وإذا بهذا الـ « آلن » يفاجيء الجميع بتصريح يفوق ما كان يتمناه الرئيس المصري إذ قال : « إن مصر دولة ذات سيادة ، ولها مطلق الحرية في شراء السلاح من أية جهة تشاء » فهل هذا حامل إنذار ؟!

وعتب المستر « آلن » على عبارة وردت في إذاعة صوت العرب ، تقول إن أمريكا تنبح كالكلب ، فجرى تحقيق على الفور وتبين أنها ترجمة سيئة لعبارة « ترغي وتزبد » وضحك الجميع . . وصافي ياآلن !

فكل ما قيل عن كارثة نزلت بالغرب من صفقة السلاح وطعنة قاتلة للأمريكان . . ومطالبة برأس ٢٣ يوليو بسبب صفقة السلاح مجرد كلام في كلام لتضليل الأنام الذين هم في غفلتهم نيام !

ونحن نعد هذا الكتاب الذي بين يديك (ثورة يوليو الأمريكية) ظهرت وثيقة فاقعة الدلالة تثبت حقاً أن الأمريكان كانوا في تلك الأيام يمارسون التعذيب الصيني مع الانجليز . . فكما أشرنا كان الانجليز ـ لأسباب عديدة ـ هم الذين أقاموا الدنيا وأقعدوها حول صفقة السلاح وتعامل عبد الناصر مع الروس ، وراحوا يطاردون الأمريكان مطالبين بإجراء صاعق مع تلميذهم عبد الناصر ، والاتصال بالاتحاد السوفيتي ومناشدته العدول عن الصفقة ، وقد فاتحوا « مولوتوف » فعلاً في هذا الأمر فنظر البلشفي العجوز إليهم نظرة القط لفأر يحتج على المساواة وقال : « لا أفهم بالضبط ماذا تريدون ؟ هل تطلبون منا أن نمتنع وحدنا عن بيع سلاح وإقامة علاقات في الشرق الأوسط ؟! » .

أما ايزنهاور فكان أبدع وأبرع وإليك القصة كما رواها وكيل وزارة الخارجية البريطانية ايفلين شوكبرج :

« وراح الرئيس ايزنهاور يلقي علينا درساً فلسفياً مثيراً حول أسلوب معالجة الموقف فقال : « إذا كان من حقنا زيارة موسكو والحديث مع الروس وقبول التعامل بين الشرق والغرب . . **فكيف يحق لنا أن نشكو أن تفعل نفس الشيء ، دولة صغيرة مثل مصر ؟!**

ربما كان علينا أن نتعايش مع حد معين من التغلغل السوفيتي في مثل هذه البلدان ، حتى يأتي الوقت الذي يشعر فيه الروس بفداحة ما جنوه على أنفسهم . على أية حال ليس لدينا كبير اختيار مادامت مساعدات أمريكا للدول الأجنبية أصبحت بسبب توسعها ضئيلة إلى هذا الحد ، فنحن لا نستطيع منافسة الروس ، إذا ما قرروا التركيز على بلد معين مثل مصر . . انتظروا حتى يكتشف الروس أن حقنة مساعدة واحدة لمثل هذا البلد قليلة الجدوى إذا لم يتبعها دعم باهظ مستمر »* .

---

* التردى إلى السويس : ايفلين شوكبرج .

والآن نعيد النظر في صفقة السلاح على ضوء هذه المعلومات التي طرحناها ، وسنجد أنه لا هستيريا ولا مفاجأة بل خطوة محسوبة جاءت في توقيتها وفي ظروفها العالمية والإقليمية ، وأرادها ووافق عليها كل الفرقاء :

فريق المخابرات الأمريكية الذي أيد الصفقة رأى فيها حلاً يرضي جميع الأطراف ولو مؤقتاً* ، فهو يعفي أمريكا من إلحاح عبد الناصر في طلب السلاح ، مع تعذر تلبيته بسبب الضغط اليهودي الذي أشرنا إليه ، والذي نجح في إلغاء موافقة البيت الأبيض والخارجية والدفاع ، وكلها كانت موافقة على تسليح مصر . . كما كانت الصفقة تسعد النظام المصري وتخفف من توتر احتياجه للسلاح ، وخاصة بين صفوف العسكريين الذين كانوا يتعرضون للمهانة والخسائر على يد الجيش الإسرائيلي . . وهو وضع لا تحمد عقباه في جيش ذاق طعم الانقلابات . .

تسهل على الإدارة الأمريكية التوسع في إمداد إسرائيل بالمعونات بحجة التوازن مع الوجود السوفيتي ، وتضعف حجة الدول العربية الصديقة للغرب في الاحتجاج على الدعم الإسرائيلي . . وهذا بدوره يؤدي إلى ترضية اللوبي اليهودي . . وقد تحقق ذلك فعلاً حتى أصبح الشعار في حرب ١٩٧٣ « لا يجوز أن يهزم السلاح السوفيتي ، السلاح الأمريكي وهبطت طائرة عملاقة تحمل الدبابات والطائرات في مطار اللد كل ربع ساعة » وفي الشرق الأوسط ، فإن حديث صفقة السلاح والانتشاء بنصر « التعاقد » لشراء السلاح ، ينقذ القيادة من إحراج « الصقور » في معارك استخدام السلاح ، ويجعلها تتفادى مطالب الجماهير « باستخدام » السلاح ضد إسرائيل . وإذا كان سلوين لويد قد علق ساخراً : « لحسن حظ إسرائيل ، كان العرب مقتنعين أن امتلاك السلاح يغني عن إتقان استخدامه » فإنني أصحح العبارة إلى « أمكن إقناعهم أن امتلاك السلاح يعفيهم من استخدامه » !

وهو ما حدث . . فاختفت كل النتائج الإيجابية التي كانت ممكنة للاعتداءات الإسرائيلية ابتداء من العدوان على غزة (فبراير ١٩٥٥) إلى أكتوبر ١٩٥٦ . . ضاعت في أفراح صفقة السلاح ! . . وألهت الجماهير عن المطالبة والقيادات المخلصة عن التفكير في استراتيجية مواجهة حقيقية مع إسرائيل تعتمد على بناء القوة الذاتية للعرب فظنت أن شراء السلاح والمزيد من السلاح هو الحل ، حتى أصبح مجرد شراء السلاح ومن أية جهة ، هو كل برنامج المواجهة ، ودون أي تفكير في استخدامه ، ولا في استراتيجية هذا الاستخدام ، حتى رأينا منظمة التحرير الفلسطينية تشتري دبابات . ولم يحدث « تحطيم » احتكار السلاح « أو الاندفاع في شرائه أي تغيير في ميزان المواجهة العسكرية بين العرب وإسرائيل من ١٩٥٥ إلى

---

* وقد اعترف « هيكل » أخيراً للقراء الانجليز أن صفقة السلاح لم تنسف الجسور مع أمريكا بل قال : « إن الولايات المتحدة رأت أنه لا يليق بها أن تتخلى عن مصر بعد كل ما أنجز فيها » ٨٣ خ ياترى ما الذي أنجز ؟ بصراحة نحن لا نعرف فقد كنا ضمن المنجزات . . في السجن !

١٩٧٣ إلا إلى الأسوأ ولصالح إسرائيل ، وبمعدلات تتضاعف مع تضاعف حجم المشتريات .

فتحت الصفقة السوق المصرية للسلاح الروسي ومن خلفها السورية واليمنية .. الخ وهذه حلت مشكلة تصريف السلاح القديم في روسيا . وكان من المتعذر قيام الوفاق ، بدون حل مشكلة تجدد الترسانة السوفيتية ، وتجربة سلاحها والتخلص من المتخلف منه ، وهذا لا يتم إلا بإحدى وسيلتين : إما فتح جبهات قتال حقيقي بين الروس والأمريكان . أو تصديره لطرف ثالث يدفع ثمنه مما يخفف عن المواطن السوفيتي مالياً واقتصادياً ، ويتيح تجربة السلاح بدماء المتخلفين ومن ثم يستمر التطوير الذي يريده الجنرالات الروس ولا يكلف ذلك الأمريكان مالاً ولا دماً .. إن الوفاق لا يطلب لذاته .. وقد كانت صفقة السلاح من بداية الوفاق الأمريكي ـ السوفيتي ، بداية التعايش ، بداية إعادة تقسيم العالم بين روسيا وأمريكا على حساب بريطانيا وفرنسا ، وسيأتي المؤتمر العشرون ثم العدوان الثلاثي على مصر ، حيث تقف روسيا وأمريكا معاً في الأمم المتحدة وكأنهما توءم .. في التصويت وفي الإنذارات بينما كان السلاح الروسي يتم تحطيمه في سيناء ، والسفن الروسية تنقل قطن الفلاح المصري لتبيعه في أسواق أوروبا بدلاً من « المستغل الاستعماري » البريطاني ، فيزداد دخل المواطن الروسي من الثمن الذي تتقاضاه الدول العظمى أو المتقدمة من دم ومال المتخلفين وإلا فما فائدة القوة السوفيتية الجبارة إن لم تأخذ حصة في ثروة العالم الثالث .. وكيف تستمر بريطانيا وفرنسا بل وبلچيكا في نهب شعوب آسيا وأفريقيا ، وهي بلا قدرة عسكرية بل ترتعد رعباً من صواريخ روسيا .. هذه إذن قسمة ضيزى ، لابد أن تلغى أو أن تعدل ، ولم يكن للاتحاد السوفيتي من مدخل لأسواق وأموال آسيا وأفريقيا إلا السلاح ، وكانت البداية في مصر . وهذه الصورة التي لم تكن واضحة في هذا الوقت ، بل وبدت غريبة وشاذة ، سنجدها عادية بل وبشكل أكثر افتضاحا مع تطور الأيام فالشركات الأمريكية تعطي ليبيا الدولارات من إنتاج النفط ، وليبيا تعطيها لروسيا ثمناً للسلاح المحظور استخدامه في أية بقعة تهدد المصالح الأمريكية الحقيقية ، وروسيا بدورها تعيد الدولارات إلى أمريكا ثمناً للقمح .. وملخص الدورة : أن أمريكا تأخذ نفط ليبيا بالقمح الفائض الذي إذا لم تبعه فستحرقه ، وروسيا تحصل على القمح الأمريكي بالأسلحة التي إذا لم تتمكن من بيعها ، فستلقى في العراء بمجرد اكتشاف الغرب سلاحاً أكثر تطوراً .. وبشيء من التبسيط يمكن القول إن روسيا تحصل على القمح شبه مجاني ، وأمريكا تأخذ النفط بثمن بخس وكل هذا بدأ بفكرة عبقرية نبتت في مكان ما خارج مصر حيث قال أحدهم : اتركوه يشتري السلاح من روسيا!! ..

كذلك قدر هؤلاء الخبراء أن صفقة السلاح ستعطي عبد الناصر شعبية في العالم العربي تمكنه من تحقيق حلم أمريكا وهو فرض التسوية السلمية في المنطقة .

وأخيراً إن فتح منفذ لمصر لشراء السلاح من الاتحاد السوفيتي سد احتمالاً خطيراً كان لابد

أن يطرح في حالة سد جميع الأبواب ، وهو احتمال الاعتماد على النفس ، وهو الحل الجذري بل الوحيد لتحقيق التحرر الحقيقي ، وحسم المسألة الصهيونية نهائياً لصالح العرب .

والاستعمار يفضل دائماً أن تقع الدولة الصغرى في دائرة نفوذ منافسه على أن تستقل بإرادتها الاستقلال الحقيقي وما يحمله هذا من مخاطر على استقرار النظام العالمي ، واحتمال ظهور منافس ثالث . .

وهنا نقول رأينا في الموقف المفترض للقيادة الوطنية ، عندما اتضح من غارات إسرائيل أنها مصممة وقادرة على ضرب الجيش المصري . . ومن ثم تنبهت إلى أن هذا هو الصراع المصيري الذي سيقرر مستقبل المنطقة . .

كان المفروض أن تركز على هذا التناقض ، وبالتالي على بناء قوة مصر الذاتية للارتفاع بمستوى القدرة في المواجهة وصولاً إلى ترجيح الإرادة المصرية .

وهذا يتطلب وحدة الجبهة الوطنية ، لأن الصراع ضد إسرائيل يجب أي هدف آخر ، وهذا يستلزم إطلاق الحريات وتشكيل جبهة وطنية من جميع القوى تحت استراتيجية واحدة هي المواجهة المصرية ـ الإسرائيلية .

وضع استراتيجية عربية قومية تفرض التعاون الحقيقي مع كل القوى العربية تحت شعار واحد لا يتبدل ، وهو المواجهة العربية ـ الإسرائيلية ، يحدد على ضوئه الموقف من كل القوى ، ومن ثم لا يبقى لأية قوة حجة في ادعاء أنها تعارض الاستراتيجية المصرية لأسباب أخرى أو لأنها لا تعمل ضد إسرائيل . .

ونفس الشيء بالنسبة للقوى العالمية ، بحيث يتحدد موقفنا منها على ضوء علاقتها بهذه المواجهة اساساً إن لم نقل فقط . . لا أن نهاجم جولد ووتر لأنه ضد اليهود !!! ونحتفل بسارتر لأنه فيلسوف ويساري وسار على رأس مظاهرة في مايو ١٩٦٧ تهتف : « اقتلوا المسلمين . . الموت لعبد الناصر » ! . . وجمع أربعة مليارات فرنك للمجهود الحربي الإسرائيلي ! . .

أن تؤمن حقاً بأنه « لا صوت يعلو على صوت المعركة » شرط أن نعني المعركة مع إسرائيل لا مع جمال سالم أو فؤاد سراج الدين أو المحاكم الشرعية* أو أهالي كمشيش . . الخ . .

ـ وضع استراتيجية لتحقيق الكسر الحقيقي لاحتكار السلاح بإنتاجه . وأظن أنه لا أحد يجادل الآن ، في أنه لا كسر حقيقي لاحتكار السلاح ولا تحرير لإرادة أمة إلا بإنتاجها للسلاح ، وهو مطلب يثير الرعب في الدوائر الاستعمارية والصهيونية وعملائهم ، وأذكر أنني عندما طرحت هذا المطلب عام ١٩٧٠ قال عميل مجلة حوار التي كانت تصدر مباشرة من خزينة المخابرات الأمريكية إن مطلبي هذا « نكتة ثقيلة الدم » ! . .

---

* مما هو جدير بالملاحظة أن مهرجان الإعلان عن صفقة السلاح جاء (صدفة ؟!) في اليوم التالي لإلغاء المحاكم الشرعية الذي كان آخر إجراء في عملية إزالة الصفة الإسلامية عن الدولة الناصرية .

وهذا صحيح ! ثقيلة على قلب الامبريالية ، وعملائها ، ولكنها ضرورة أساسية ، لا مفر منها إذا ما أردنا أن نمتلك حرية الإرادة في بلادنا وفي المنطقة ، فالخروج من دائرة السلاح الغربي إلى السلاح السوفيتي لا يعني كسر احتكار السلاح بل الانتقال من تبعية إلى تبعية ، بل قلنا مرة إن الاحتكار السوفيتي أكثر إحكاما وأكثر قسوة ، بسبب سيطرة الدولة ، ووحدة المصدر ، بينما المعسكر الغربي بتعدده ، وتناقضاته وثغراته وفساده . . قد يعطي مجالاً للمناورة ولو محدودة . . وقد رأينا كيف تحطم قلب عبد الناصر وهو يسافر ذهاباً وإياباً إلى روسيا لإقناعهم ببيع السلاح له خلال حرب الاستنزاف ، وكيف اضطر هواري بومدين لحمل المال معه للدفع نقداً لكي يشتري لمصر من روسيا دبابات في حرب ١٩٧٣ . . !

كسر الاحتكار الحقيقي هو إنتاج السلاح . . أما أن هذا الهدف ممكن فلن نقول انظروا إسرائيل والصين بل والبرازيل . . بل انظروا تجربة هيئة التصنيع الحربي العـربية ، وما أنتجته من أسلحة استخدمت في حرب إيران والعراق وما يقال عن إمكانية إنتاجها لدبابات وطائرات (بعد الصلح مع إسرائيل كما توقعنا وتلك قصة أخرى)[١٣٤]

كل هذا يجعلنا نقول لو أن الحكومة المصرية في ٢٨ فبراير ١٩٥٥ اتخذت قرار إنتاج السلاح ، ووضعت خطة تلاحم عربي ، لإنتاج هذا السلاح بالخبرة والطاقة البشرية المصرية والمال والتضامن العربي لتغير التاريخ . . ولكانت الصفقة الروسية مجرد حل مؤقت ومفيد في هذا الإطار . . ولكننا استخدمنا الصفقة لتخدير أنفسنا وشعوبنا . .

منذ أن تمت الصفقة دخلت إسرائيل في تحالفات عالمية كفلت لها الدعم الكامل في مواجهتها مع العرب . إذ استطاعت محالفة فرنسا وبالتالي بريطانيا ، فلما انتقلت للمواجهة الساخنة كانت تتمتع بأكبر غطاء غربي يمكن أن يتوافر لدولة صغيرة ، بريطانيا وفرنسا أكبر امبراطوريتين في هذا الوقت بعد روسيا وأمريكا . .

فماذا استفادت مصر من نشاطها الدولي . . ؟ لا شيء ! إلا إذا اعترفنا بالسر المكنون وهو أن الولايات المتحدة الأمريكية هي التي أنقذت النظام من العدوان الثلاثي وأزالت له آثار العدوان . .

من حقنا إذن أن نعجب للنتيجة التي خرج بها الكاتب المتمركس :

« وهكذا أدت صفقة الأسلحة إلى انقسام الموقف في الشرق الأوسط إلى دول وطنية متحررة تشتري السلاح من الاتحاد السوفيتي بلا قيود أو شروط . ودول أخرى تابعة للامبريالية ومرتبطة معها إما بأحلاف عسكرية أو بقبول ما ورد في مشروع ايزنهاور »[٣٥] .

سوق السلاح أصبح سيف اصف بن برخيا ، أو الصراط المستقيم الذي يميز المتحرر من الرجعي . . من يشتري من الاتحاد السوفيتي فهو وطني متحرر . . ومن يقاطع البضاعة الروسية عميل ! . .

هذا كلام سوقة . . لا ينهض عليه أي دليل ، فالأسلحة السوفيتية لا حررت ولا حمت

استقلالاً وطنياً . ومواقف الدول العربية في مواجهة إسرائيل لم تختلف كثيراً ما بين مشترٍ للسلاح من موسكو أو لندن . . وثالث دولة دخلت السوق ، كانت المملكة اليمنية المتوكلية ، الإمام أحمد حميد الدين عقد صفقة سلاح مع الروس ، وصفقة مصانع مع الصينيين ، وابنه الإمام (القادم) محمد البدر أشرف على الشراء والشحن ، والإمامان كما يدرس في مدارس الثورة ، هما رمزا الرجعية والعمالة . مما برر استنزاف قدرات مصر بل والتضحية بمستقبلها السياسي في المنطقة بهزيمة ١٩٦٧ لتحرير اليمن من الإمامين ، اللذين جاءا بالسلاح الروسي الذي سار على الطريق الصيني ! . .

إذن فليس كل من اشترى السلاح السوفيتي تقدمياً وطنياً متحرراً . . والعكس أشد خطأ ! . .

ورغم مرور ٢٤ سنة شهدت هزيمتين ونصفاً للأسلحة السوفيتية ورغم اتضاح أبعاد المأساة التي سببتها هذه الصفقة ، أو بالأحرى اعتمادها كمنهاج في حل المواجهة المصرية ـ الإسرائيلية . . رغم مرور ربع قرن ، فإن الكاتب شبه الناصري يقدم لنا ـ دون أن يدري ـ فكرة عن الهدف الذي حققته الصفقة إذ يقول :

« هدرت في شوارع القاهرة يوم العرض العسكري احتفالاً بعيد الجلاء لمدة أربع ساعات دبابات ستالين وقاذفات اللهب ، والمدفعية الخفيفة والثقيلة وغطت السماء أسراب طائرات الميج النفاثة وقاذفات القنابل الأليوشن . .

« وانبهرت الجماهير بما رأته من تسليح حديث ، وزغردت النساء وتأثر العرب الذين حضروا العرض العسكري مشاركة لمصر في احتفالها التاريخي . . أرسل الأردن كتيبة من الفيلق العربي وأرسل لبنان مجموعة من جنود التزحلق ، واليمن جماعة من تلاميذ المدارس الحربية ، وليبيا والسعودية وسوريا وحدات نظامية .

كان يوماً حافلاً بالنشوة والابتهاج ، وخاصة للعسكريين الذين حققوا هدفاً من أعظم أهدافهم ، ولم تعد استعراضاتهم العسكرية هزيلة أو متخلفة »* .

هذه هي باختصار قصة الأسلحة السوفيتية :

الدبابات تهدر في شوارع القاهرة ، وتغطي سماء القاهرة طائرات الميج وقاذفات اللهب . لم تهدر دبابة واحدة في شوارع فلسطين المحتلة . . واحدة ! . . لم تسقط قنبلة واحدة . . واحدة . . خلال ٢٥ سنة من شراء السلاح السوفيتي فوق مدينة إسرائيلية واحدة . . واحدة .

لم تخترق طائرة مصرية واحدة . . واحدة . . المجال الجوي الإسرائيلي ولو خطأ ! كله للاستعراض في شوارع القاهرة وسماء القاهرة . .

* وبينما كان الجيش يجري استعراضاً سميناً لا هزيلاً قامت إسرائيل العجفاء باحتلال مثلث العوجة رغم قرارات الأمم المتحدة ومازالت هناك إلى اليوم . وكان احتلالها في سبتمبر ١٩٥٥ وفي الشهر التالي احتل الانجليز البوريمي ونزوى .

كله من أجل أن « تنبهر » الجماهير فلا تفكر ، حتى تنتقل من الانبهار بالتسليح الحديث لجيشها الثوري إلى الذهول من هزيمة هذا الجيش أمام العدو القومي .

تزغرد النساء فيختفي تحيب وصراخ واحتجاج الجنود والمواطنين الذين قتلوا في الاعتداءات الإسرائيلية المتكررة* وستنقلب هذه الزغاريد بعد ٤ شهور ليس إلا ، إلى تحيب وأسى وارتياع في بيوت جنودنا القتلى والأسرى والمفقودين في معركة ١٩٥٦ وسيتأثر العرب ويهرعون للاشتراك في « الاستعراض » في شوارع القاهرة ، فإذا جد الجد وجاءت الحرب ، سيطلب منهم عبد الناصر عدم التدخل ، ويبقى ذلك اللغز الحائر الذي لا يفسره مفتي الناصرية ولا الدراويش .

وكان يوماً حافلاً بالنشوة والابتهاج والتخدير وخاصة للعسكريين الذين فرحوا بأن « استعراضاتهم » لم تعد هزيلة أو متخلفة ، وإن استمرت قوة ضربهم الحقيقية كذلك . .

من أجل هذا وافقت الولايات المتحدة على صفقة السلاح الروسي ، ومن أجل هذا ظلت إسرائيل تدفع العسكريين باعتداءاتها المتكررة ، دفعاً نحو عقد هذه الصفقة . .

وإليك هذه الشهادة : بعد أن أعلنت مصر عن أضخم صفقة سلاح أعطيت لدولة في الشرق الأوسط مع الاتحاد السوفيتي ، قام بعض المسئولين الأمريكان ومنهم السفير الأمريكي في دمشق بجهد محموم لمنع سوريا من عقد صفقة مماثلة ، وإقناع المسئولين السوريين بانتظار قرار أمريكي لصالحهم . . ولكن هذا ما سجله ممثل وزارة الدفاع الأمريكية والمسئول عن جذب أو قلب حكومة سوريا لصالح الولايات المتحدة قال :

« ومع اقتراب نهاية السنة لم تكن واشنطن قد اتخذت قراراً بعد في طلب سوريا للسلاح ، واقترح السفير مودس « السفير الأمريكي في دمشق » أن أسافر إلى واشنطن فربما أنجح أكثر في تحريك الموضوع . وبينما كنت أرتب سفري ، جاءت الأنباء بوقوع هجوم إسرائيلي كبير على سوريا ترك ٥٦ قتيلاً سورياً و ٣٠ إسرائيلياً (يناير ١٩٥٦ ج) . وخلال مناقشة الحادث مع السفير مودس ، عبرت عن اقتناعي بأن السياسيين اليساريين وضباط الجيش السوري وجدوا كل ما يحتاجونه بهذا العدوان لتبرير عقد صفقة سلاح مع روسيا ، بعد أن تعهدت حكومة سوريا بأنها لن تؤخذ على غرة مرة أخرى إزاء هذه الهجمات ، ولكن السفير (الأمريكي في دمشق ج) ذهب أبعد من ذلك ، إذ قال : **إن الإسرائيليين تصرفوا عن وعي كامل بأن سوريا ستتجه إلى روسيا في طلب المساعدة ، لأن ذلك سيبرر طلب إسرائيل للسلاح من الغرب ضد الشيوعيين وليس ضد العرب**»[٣٦] .

إسرائيل بشهادة الأمريكان . . دفعتنا دفعاً إلى شراء السلاح من روسيا . . أما نحن فقد

---

* اقرأ تفاصيل عملية التمويه أو التبريد هذه في كتاب « ويلتون وين » : « ناصر أو البحث عن الكرامة » عندما قارن بين زغاريد احتفالات السلاح ونواح تشييع ضحايا العدوان الإسرائيلي .

رقصنا على « طبلة » العملاء والمخابرات ، ونشرنا المانشتات الحمراء : « هلع في إسرائيل » « تزايد الهجرة من إسرائيل بعد إعلان الصفقة » . . .

نامت الجماهير على موسيقى الاستعراض العسكري ، واستغلت المخابرات الأمريكية « شيوعية » السلاح في عزل مصر عن حلفائها الطبيعيين ، فهذا الذي كان أكثر من صديق لناصر وراعياً للنظام المصري كيرميت روزفلت ، كان يعمل على تحريض الحكام العرب ضد ناصر في نفس الوقت الذي كان الناصريون ، والإعلام الناصري بخبراء كيرميت روزفلت يستغل « انبهار الجماهير » في تمزيق العالم العربي ، وإرهاب الحكومات العربية ، التي كانت راغبة ومستعدة للتعاون مع ناصر المصري العربي ، ولكنها لا يمكن أن تقبل التعاون فضلاً عن الفناء لناصر الشيوعي ، المحرض لجماهيرها . . وهكذا كانت اللعبة تدار ببراعة نادرة ، لعزل مصر ، ودعم زعامة حاكم مصر ، بتخويف الحكام والنظم والطبقات المالكة العربية ودفعها إلى طلب حماية الولايات المتحدة ، ولو كان الثمن التغاضي عن دور هذه الولايات المتحدة في قيام واستمرار إسرائيل . . بينما تعمل إسرائيل ليل نهار لتدمير مصر وصولاً إلى العرب . . .

يقول « سلوين لويد » إن البعض في « الغرب » كان يرى ترك عبد الناصر للروس بعد صفقة السلاح ، إذ كان هذا البعض يعتقدون أن وجود عدد كبير من الروس في مصر سيثير ضدهم المصريين ، كما أن هذا الوجود سيخيف العائلة المالكة السعودية مما يؤدي إلى فتور العلاقات المصرية ـ السعودية »[٣٧] .

قال هيكل إن نبأ صفقة السلاح « تفجر في إسرائيل كالقنبلة » .

ولكنهم على أية حال لم يتبددوا أيدي سبا ولا جروا في اتجاه البحر ، بل قرروا غزو مصر !! وسيخبرنا دون أن تطرف عينه ، كيف بدأت إسرائيل تبحث عن السلاح والغطاء الدولي ، وكيف نجحت في تحقيق أضخم صفقة سلاح في تاريخها دون خطبة واحدة من مسئول يهودي ، ولا هتاف في الشارع ، ولا استعراض عسكري يبهر الجماهير ولا تعليق عن « القنبلة » التي انفجرت في مصر بسبب الصفقة التي ضمت :

٢٩ طائرة مستير .

١٩ طائرة فوتور قاذفة مقاتلة .

٢٠٠ مدفع .

٩٠ دبابة ايه ام اكس .

وتوالت الشحنات . . . .

نعم توالت الشحنات في صمت ، بلا خطب ولا مطولات من هيكل إسرائيلي ، وأنى لإسرائيل مثل هيكل .

ولأنهم هناك كانوا يطلبون السلاح للقتال به ، والقتال يعني الجدية والسرية . . أما نحن

فأردنا قعقعة السلاح . « دعاية » السلاح لتجنب القتال . . وهذا يتطلب الاستعراض والعلنية المفرطة . وقد حقق كل طرف ما أراد وسنرد على موقف إسرائيل ولكن نتوقف هنا لحظة عند محاولة خبيثة من « هيكل » لتشويه موقف مصر « القومي » وتشويه أهداف ودوافع عبد الناصر نحو الثورة الجزائرية إذ يلخص الموقف بين فرنسا ـ إسرائيل ـ مصر ـ الجزائر هكذا :

« زادت شحنات الأسلحة الفرنسية لإسرائيل وزادت مساعدات مصر للثورة الجزائرية ! . . بل وينسب زوراً لعبد الناصر أنه قال لتيتو : إننا نريد أن نجعل فرنسا تحتاج كل قطعة سلاح ترسلها إلى إسرائيل ولذلك نساعد الثورة الجزائرية » .

لماذا كل هذا الحقد على مصر والحرص على سلبها كل فضيلة . . . الفكرة الشائعة والحقيقية ، هي أن فرنسا حالفت إسرائيل بسبب دعم مصر للثورة الجزائرية . . وليس العكس ، أي أننا دفعنا ثمن موقفنا القومي العربي . . ومهما قيل في فداحة الثمن الذي دفعته مصر فإن المحصلة النهائية رابحة ومجزية وهو استقلال بلد عربي وحرية شعب عربي ، عبد الناصر ومصر من قبله ومن بعده على حق في دعم ثورة الجزائر مهما كانت النتائج . .

ولكن « هيكل » يقلب الصورة ، فيجعل مصر تدعم ثورة الجزائر نكاية في فرنسا ؟! يااللافتراء والعار . . ؟!

وبالمناسبة ، فقد يتساءل البعض هل كان من مصلحة مصر إثارة عداء فرنسا وتعريض أمنها الوطني واستقلالها للخطر من أجل تحرير الجزائر ؟! ثم ماذا كسبنا من ثورة الجزائر . . ضرب المصريون في شوارع الجزائر ، وامتهنوا وطردوا . . وناصبتنا حكومة الجزائر العداء وقادت جبهة الصمود والتصدي والمزايدة ضدنا . . ؟!

هذا الكلام وإن كان يمكن أن يتردد في المناقشات البيزنطية ومن جانب الذين لايريدون أن ينسب فضل للناصرية ، إلا أنه لايجوز وطنياً ولاقومياً ، بل ولاعقلياً . . لأن استقلال الجزائر كما قلنا بأية صيغة هو إنجاز إسلامي ـ عربي ، وبالتالي فهو مكسب وطني مصري . . ولايجوز الندم أو الشك لحظة واحدة في صوابية وشرف الدعم المصري للثورة الجزائرية . . ولكن لابد أن نطرح هذه الملاحظات :

١ ـ أن الدعم المصري للحركة الوطنية الجزائرية بل للحركة الوطنية في المغرب العربي ، وهي التي فجرت ثورة الجزائر ، سابق على عبد الناصر ، ولو لم يكن عبد الناصر في الحكم لجاء ثوار الجزائر أيضاً إلى مصر ، واتفقوا على الدعم ونالوه من أية حكومة مصرية ، ربما كان حجم الدعم سيختلف وفقاً لمدى حرية الحركة لهذه الحكومة سياسياً ، ومدى حريتها في التصرف في موارد مصر . . ولكن جوهر الموقف لايختلف .

٢ ـ أن الأسلوب المتدني للأجهزة الناصرية في التعامل مع الحكومات العربية والحركات الوطنية ، هو المسئول إلى حد كبير عن نجاح القوى المعادية لمصر والعروبة في السيطرة على الأوضاع في الجزائر ، ومن ثم في تأليب دول المغرب العربي كله ضد مصر التي كانت كعبة

آمالهم ومركز حبهم وتطلعهم وهم في المعارضة فتحولت إلى العدو رقم واحد عندما أصبحوا في السلطة . . ولا يجوز اتهام حكومة بومدين وحدها بالجفاء لمصر ففي عهد عبد الناصر كانت علاقتنا متردية مع كل دول المغرب من إدريس السنوسي إلى بومدين مروراً « بالأستاذ » والقصر الملكي في المغرب . أو « الحسن أخو الحسين » كما كنا نقول في صوت العرب عن ملوك العرب* .

فنحن إذا كنا قد خسرنا فرنسا ، فقد كان ذلك حتمية تاريخية لا يمكن تجنبها ، لأن قدرنا ودورنا ومبادئنا كانت تحتم علينا الوقوف مع ثورة المغرب العربي . . إلا أن خسارتنا حكومات مابعد الاستقلال لم يكن له ما يبرره وكان الأمر يمكن تجنبه لو كنا نتمتع بجهاز حكم ديمقراطي تتحكم فيه الكفاءات لا المخابرات . .

٣ ـ السلاح الفرنسي لم يهزمنا في ١٩٥٦ حتى يأسف البعض على دعم الثورة الجزائرية . . فالغزو الفرنسي هزم وتراجع ، أما النصر الإسرائيلي فكانت له أسبابه المصرية . .

المهم نجح الجهد الإسرائيلي في تحطيم « احتكار السلاح » ويسجل هيكل ذلك بقوله : « لقد فتحت أبواب فرنسا . . كل أبواب فرنسا لإسرائيل » .

وقد عجمت روسيا عود الغرب ، وكشفت كذب الصياح الإعلامي ، عندما عرضت في مؤتمر القمة في لندن « فرض حظر سلاح على الشرق الأوسط كله » فرفضت الدول الغربية .

ولم تكن هذه نهاية العالم ، بل أعقب صفقة السلاح الروسي على الفور ، قرار أمريكي بتمويل السد العالي وقال فوستر دلاس في رسالة لعبد الناصر : « الروس يعطونكم سلاحاً للموت ، أما نحن فسنبني لكم السد العالي للحياة » . .

وربما كان هذا الموقف الهادىء « المتفهم » من الغرب ، هو الذي جعل الإعلام الناصري يتشبث كالغريق بحكاية الإنذار ، إذ لاتكاد توجد واقعة ، ولا شاهد ، على مظهر آخر من مظاهر غضب الولايات المتحدة ، فضلاً عن جنونها من صفقة السلاح بل كانت برداً وسلاماً على إسرائيل ، ومن يعنيهم أمر إسرائيل .

واستمر الأمريكان يخدعون القاهرة بمساعي السلام ومشاريع اللقاء بين بن جوريون وعبد الناصر ، معتمدين على نوايا « ناصر » السلمية إزاء إسرائيل ، وأنه كما سنرى ، لم يفكر قط قبل ١٩٦٧ في محاربة إسرائيل ولكن السلام لم يتحقق ، لأن إسرائيل لم تفكر قط في مسالة مصر قبل أن تحقق امبراطورية إسرائيل .

يقول ايفيلاند : « في عام ١٩٥٦ (أي بعد صفقة السلاح . ج) كان الأخوان دلاس يرتبان لقاء بين بن جوريون وناصر ولو أن تصرفات بن جوريون أوحت أنه يفضل التعامل

---

* واقرأوا مذكرات « فتحي الديب » المندوب السامي الناصري سترى أنه لم يكن له هم في ليبيا « الثورة » وفي عهد عبد الناصر إلا محاربة الجزائر والعراق . . حيث يحكم تلاميذ « ثورة » يوليو ! !

مع ناصر بالسلاح عن التفاوض حول مقترحات السلام التي أقنع بها شاريت حزب ماباي »[٣٨] .

وهذا التاكتيك الإسرائيلي المعروف عن ادعاء خلاف في القيادة أقنعوا به عبد الناصر ولعلنا نذكر تصريحه الذي مدح فيه ميول موسى شاريت !

وقال ايفيلاند إن « العنصر الرئيسي في جهودنا من أجل تجميع دعم عربي للسلام مع إسرائيل . . كان هو الرئيس المصري »[٣٩] وتساءل « هل تبحث الـ CIA مشروع سلام مع ناصر بدون علم السفير الأمريكي في القاهرة بايرود »[٤٠]

السد العالي

وإذا كنا لن نناقش السد العالي كمشروع مصري في هذا الموضع من الحديث فإننا نحب أن نلقي الضوء على بعض النقاط التي لها علاقة بموضوع حديثنا هذا . . والتي تحتاج إلى تأمل ودراسة مفصلة . .

الأولى : أنه بعكس الشائع والذائع عن أن « سحب » تمويل السد العالي كان عقوبة على صفقة السلاح ومحاربة حلف بغداد . . الخ . . وهذا غير صحيح ، بل الغريب أن قرار « تمويل » وليس سحب التمويل هو الذي اتخذ في أعقاب صفقة السلاح ، فقد قررت أمريكا وفي ذيلها بريطانيا الرد على « الخطوة الروسية » وما أثارته من شعبية ، بمظاهرة غربية مضادة ، وهي تمويل السد العالي ، وبدأوا الدراسات والأبحاث في هذا الأمر ويعث دلاس ببرقيته لعبد الناصر والتي تقول « الروس يعطونكم سلاحاً للموت ، ونحن سنعطيكم السد العالي للحياة » كما أورد هيكل متأخراً جداً تصريح ايزنهاور المشهور في ١٩ ديسمبر ١٩٥٥ بأنه سيطلب من الكونجرس اعتماد مائتي مليون دولار على عشر سنوات للسد العالي* .

ولكن العرض سحب لعدة أسباب . . ذكر « سلوين لويد » بعضها في قوله « قال لي (يوجين) بلاك (مدير البنك الدولي) إن الأمريكان يمكنهم تمرير تمويل السد العالي من الكونجرس ، ولكني رأيت ذلك تفاؤلاً لا مبرر له فاللوبي الصيني كان غاضباً لاعتراف ناصر بالصين الشيوعية في مايو ، ولوبي القطن كان ضد هذا القرض بسبب اتفاق ناصر مع روسيا

---

* وأفرج « هيكل » عن ورقة من ملفات مصر المنهوبة يقول فيها ايزنهاور لعبد الناصر : « إن الولايات المتحدة تغلبت على صدمة صفقة السلاح وتجاوزت ذلك وبدأت صفحة جديدة بإعلانها عن استعدادها لتمويل السد العالي » . ٣٨٧ ع .

على القطن المصري (ليس صحيحاً . . بل بسبب توقع زيادة المساحة المزروعة قطناً في مصر ومنافستها للقطن الأمريكي ج) واللوبي الإسرائيلي ضده على أساس أنه يقوي أحد أعدائهم الرئيسيين . إلى جانب الطلبات التي انهالت على الولايات المتحدة من أصدقائها في الشرق الأوسط يطلبون مساعدات ، وحجتهم جميعاً أن الصداقة هي التي يجب أن تكافأ لا العداوة ، وأن اعطاء مساعدة لمصر لبناء السد هو العكس تماماً وضرب مثلاً « بن حليم » رئيس وزراء ليبيا الذي كان مشبعاً بحب الغرب (بالغين المنقوطة ج) الذي كرر عليّ ما سمعته في المنطقة وهو أن أصدقاء الغرب يجب أن يكافأوا بسخاء أكثر من عبد الناصر الذي يكافأ على عداوته ، وكانت هذه إشارة واضحة منه إلى اعتزامنا تمويل السد العالي » .

ويذهب سلوين لويد إلى أن الكونجرس كان بسبيله إلى سن قانون يقيد صلاحية الحكومة في منح القروض إذا ما أصرت على تمويل السد العالي ، ودلاس خشي أن يصدر هذا القرار الشامل ، مما يضر بالمعركة الانتخابية للرئيس ايزنهاور فبادر بتهدئة الكونجرس بإعلان سحب التمويل . وقال دلاس لايزنهاور في ١٥ سبتمبر ١٩٥٦ إن القرار لم يكن مفاجأة للمصريين فقد كان لديهم علم به . . ويؤيد هذا رواية محمد حسنين هيكل وسلوين لويد عن الوزير العراقي الذي نقل أخبار مناقشات حلف بغداد إلى عبد الناصر « فعرف منها أن الدول الغربية لن تمول السد العالي » .

ويدعي سلوين لويد أن أحمد حسين هدد أمريكا بأنه إذا لم تمول أمريكا السد العالي فالاتحاد السوفيتي جاهز للدفع ، ورد عليه دلاس في ١٩ يوليو (١٩٥٦) بأن أمريكا لا تبتز ولا تهدد ، وسحب العرض[132] . ويبدو أن دلاس اتخذ القرار بسرعة فلم يستشر أحداً ولا ناقش القرار مع موظفي وزارة الخارجية ، واستشار الرئيس الأمريكي في صباح نفس اليوم ، وأبلغ السفير البريطاني « ماكينز » قبل الإعلان بساعة . ولم أكن أعلم بهذا القرار السريع . فقد ناقشنا الموقف في مجلس الوزراء وكلفت بعمل مذكرة حول كيفية إبلاغ المصريين بانسحابنا »[41] .

والأمر كله لم يستغرق إلا أسابيع ما بين قرار التمويل وقرار سحب التمويل ، كما جاء في لجنة الشئون الخارجية للكونجرس الأمريكي . .

ومسألة الدور الذي لعبه الاعتراف بالصين في استفزاز الولايات المتحدة لسحب القرار ، مسألة معقدة في المنطق الناصري ، فصحيح أن اللوبي الصيني كان مستاء من عبد الناصر ، ولكن ليس إلى الحد الذي يمكنه من استصدار قرار بهذا الحجم . . والمؤرخ الناصري يحتار في قضية الاعتراف بالصين ، فهو يسجلها في قائمة الانتصارات العالمية « كمبادرة جريئة من مصر ، فلم تكن هناك دولة في الوطن العربي أخذت هذا الموقف في وقت كانت حكومة الولايات المتحدة فيه كالنمر الهائج ضد كل ما هو صيني ، حتى أن جوازات سفر الأمريكيين كان يصرح فيها بالسفر إلى كل دول العالم عدا الصين وكوريا الشمالية » . . وبعد ٤ صفحات

ليس إلا ، نجده يرد على « بعض الجهات المعادية التي تحاول الإساءة لموقف عبد الناصر وتصويره بمظهر المستفز الذي يجبر خصمه على اتخاذ خطوات عنيفة وذلك بزعم هذه الجهات المعادية أن الاعتراف بالصين الشعبية هو الذي أثار جنون أمريكا وجعلها تسحب التمويل . . » ويلقم هذه الجهات المعادية حجراً بأن يقلل من أهمية تلك « المبادرة الجريئة » بل يثبت تفاهتها بدليل « أن إسرائيل ربيبة أمريكا اعترفت بالصين الشعبية عام ١٩٥٠ دون أن يحدث ذلك صدى في علاقتها مع واشنطن »[١٤٢] .

ونحتار في هؤلاء . . خطوة قامت بها إسرائيل منذ خمس سنوات ، وهي ربيبة أمريكا ولم يهتز لها جفن أمريكي ، كيف تصبح مبادرة جريئة وتحدياً للنمر الأمريكي الهائج بعد خمس سنوات عندما يقوم بها عبد الناصر ؟!

وأيها أكثر تهييجا للنمر الأمريكي : الاعتراف بالصين ، وكل حلفائها في أوروبا اعترفوا بالصين ، أو رفض مصر في عهد حكومة الوفد التصويت مع أمريكا أو تأييدها في حرب كوريا وكل العالم غير الشيوعي وقف مع أمريكا في حرب كوريا . . ؟!

والمصادر الأمريكية المتاحة الآن ، تؤيد رواية سلوين لويد حول معارضة اللوبي اليهودي ، ولوبي زراع القطن في ولايات الجنوب ، وأيضاً اللوبي المعادي للانجليز ، فقد جاء في كتاب « حبال الرمال » : «كانت هناك معارضة متوقعة من أعضاء الكونجرس من ممثلي الجنوب زراع القطن الراغبين في إبقاء القطن المصري بعيداً عن السوق ، ومن أنصار إسرائيل ، وأيضاً من وزير المالية الذي شعر أن الشركات والمقاولين الانجليز سيستفيدون فائدة هائلة بينما ستكون مساهمتهم رمزية ، كما كان على مصر أن تسوي مشاكلها مع السودان حول المياه »[٤٢] .

كذلك كان « هربرت هوفر » الابن وكيل الخارجية والمشبع بكراهية الانجليز ضد المشروع بسبب دور الانجليز فيه* ، ولا نظن أن أمريكا كانت في مزاج إعادة بريطانيا إلى مصر وبمشروع بمثل هذا الحجم بعد كل الجهد الذي بذله « الكافريين » و « السونيين » لإخراجها من هناك . وقد أوضحت بريطانيا فيما بعد أنها فوجئت بالقرار الأمريكي بسحب التمويل .

وهناك ملحوظة غريبة ، لا ندعي أننا قد فهمنا أبعادها الحقيقية ، وهي أن الأمريكيين كان لديهم اقتناع بأن المشروع سيثير كراهية المصريين . لماذا ؟ . . لا ندري !

التفسير الشائع أنه بسبب ما يتكلفه المشروع من مال ، لابد أن يرهق المصريين ؟! . . وهو تفسير متهافت لأن المفروض أن التمويل الخارجي ، سيعفي المصريين من العبء المالي ، وحتى إذا كان على شكل قرض فإن السد العالي سيحقق زيادة في الدخل تكفي لسداد

* جاء في كتاب « الانحدار للسويس » ١٩٨٧ : « بريطانيا كانت تأمل أن يكون السد من نصيبها » .

القرض وتحقيق فائض . . وإذا كان الضرر مالياً ، والكراهية سببها المال . . فكيف يكون الحل هو نصح مصر بأن تمول هي السد بدلاً من جلب الكراهية على الدولة التي ستموله . . هل التمويل الداخلي أقل عبئاً من التمويل « الكريم » من الاتحاد السوفيتي ، أو قرض دولي ؟! . .

كلام غير مفهوم !

الذي حدث برواية هيكل أنه « في محادثات محمود فوزي ـ دلاس ٦/ ١٠/١٩٥٦ » أشار دلاس إلى أن الشعب المصري سيكره من يبني السد العالي ، لذلك فلا مانع لديه من أن يقوم الروس[٤٢] بذلك » ! وقد ذكر محمود فوزي في رسالته أن دلاس برر ذلك بالإرهاق الاقتصادي . .

وقد كرر دلاس مع المصريين مرتين اقتناعه بكراهية الشعب المصري المنتظرة للمشروع . . مرة في اقتراح « تلبيسه » للروس ومرة عندما قال « إن مصر تستطيع ـ في رأيه ـ تمويل السد العالي عن طريق دخل قناة السويس لأن هذا أسلم وسوف يجنب أية دولة تقديم المال اللازم لمشروع يثير كراهية المصريين ورددت عليه في هذا الموضوع بوجهة نظرنا »[٤٣] .

ويا ليت فوزي ، أو هيكل ، عرفنا أحدهما « بوجهة نظرنا » لنفهم ما الذي كان يشير إليه دلاس وهو يتحدث عن « إثارة السد لكراهية المصريين » .

ونفس الفكرة كررها دلاس مع هيوجيتسكيل زعيم المعارضة البريطانية ، إذ جاء في يوميات جيتسكيل : حاولت أن أستفهم من دلاس عن أسباب سحب تمويل السد العالي فأجابني إجابة غير مفهومة أهم ما فيها : « إن الولايات المتحدة كانت تأمل أن يؤدي سحب قرار التمويل الأمريكي إلى مسارعة السوفييت بتقديم عرض لتمويل السد ليتحملوا العواقب الوخيمة بأنفسهم على المدى البعيد برغم أنهم سيحققون مكاسب سياسية آنية »[٤٤] .

ما الكارثة الخفية في موضوع السد ؟ والتي رأت أمريكا أن تورط الاتحاد السوفيتي في عواقبها الوخيمة ، ببناء هذا السد ، وأنها أي هذه الكارثة ، ترجح المكاسب السياسية التي عادت عليها وقتها ولعدة سنوات تالية ؟!

وقد فندنا القول بأن الإرهاق الاقتصادي هو المقصود ، فلم يبق إلا تفسير واحد وهو أن الأمريكان قد اكتشفوا عيباً خطيراً في السد ، وتوقعوا أن يثير كراهية المصريين في المستقبل !

إن كان ذلك صحيحاً ، وكتم دلاس والأمريكيون ذلك عن مصر ، فهو دليل وحشية وإجرام هذه الحضارة الغربية ، وإن كان الجانب المصري قد أبلغ بذلك فلم يهتم من أجل الأهداف السياسية للمشروع ، فما من لفظ في اللغة يمكن أن يصف هذا الفعل ! . .

ومرة أخرى نحن لا نجزم بشيء فالإشارات ما تزال غير مفهومة . .

وملحوظة ثالثة حول حوار دلاس ـ فوزي ، إذ يفهم من الحديث الذي رواه هيكل ـ أنه في الأسبوع الأول من أكتوبر ١٩٥٦ أي قبل العدوان الثلاثي بثلاثة أسابيع ، وقبل هزيمته

بأربعة أسابيع كان دلاس قد قرر ووثق أن القناة ستصبح ملكاً خالصاً لمصر وأنها تستطيع إنفاق دخلها على تمويل السد ، أوما شاءت من مشاريع ، وإن كان قد نصح بتمويل السد العالي . وكان فوزي وعبد الناصر يعرفان أن هذا هو اقتناع الأمريكان . وهذه نقطة مهمة سنحتاجها في تفسير موقف الولايات المتحدة خلال معركة التأميم* . .

على أية حال . . واضح أن دلاس لم يكن ضد بناء السد ، ولا كانت هناك مؤامرة أمريكية لمنع بنائه « لما يحققه من طفرة في اقتصاد مصر ويوفر لها من أمن غذائي . . الخ » بل إن سحب التمويل كان في حدود الأسباب المعروفة لعوامل داخلية في أمريكا . موقف الكونجرس المتأثر بلوبي القطن ولوبي إسرائيل ، وكراهية مساهمة بريطانيا فيه . ولعوامل أخرى غير معروفة هي التي تدور حول قول الأمريكيين إن المشروع سيثير كراهية المصريين لمن يبنيه ، وهي كما قلنا نقطة غامضة حتى الآن . وربما أوردها « هيكل » خصيصاً لتبرئة الأمريكان من آثار السد العالي فعندما تعالت الهمسات ، بعد موت سليمان وفتح القمقم ، حول أضرار السد العالي . دافع المتورطون في المشروع بأن صلاحية المشروع لم يقرها الروس وحدهم بل الفنيون المصريون والدول الغربية . . وقد أقسم « حسن إبراهيم » عضو مجلس الثورة لأحمد حروش أنه يوجد نموذج كامل للسد العالي في قرية جرينوبل بفرنسا تم بناؤه عندما تعاونت مصر في مجال البحث مع إحدى الشركات الفرنسية » . واعتبر مدير الفرقة القومية للمسرح ، وكذلك حسن إبراهيم أن ذلك « دليل على سلامة المشروع » . ولا شك أن كل شركة عالمية يطلب منها دراسة مشروع في حجم السد العالي ، تكون الخطوة الأولى هي عمل نموذج له ، تستعين به في الدراسة والوصول إلى قرار حول فوائد وأضرار وصلاحية المشروع ، فالنموذج في حد ذاته ليس دليلاً ولا شهادة ، وإنما المهم هو التقرير . . ماذا قالت الشركة ؟ هذا ما لم يهتم عضو مجلس الثورة ، ولا مؤرخ ما بعد الثورة بالحديث عنه ، أو حتى التعرف عليه !

وكذلك الاستشهاد برغبة أمريكا وبريطانيا فى تمويله ، على صلاحيته ، لا يقدم دليلاً مقنعاً ، لأن سحب التمويل كما قلنا تقرر بعد أسابيع قليلة من القرار وحتى إذا أخذنا التواريخ المعلنة فهي من نوفمبر ١٩٥٥ إلى يوليو ١٩٥٦ . . فهل شهدت هذه الفترة أية دراسات أمريكية على الطبيعة حتى يقال إنهم وافقوا على المشروع فنياً ورفضوه سياسياً ؟! هل كان دلاس يعرف نظام الدورة الفيضانية الرائعة التي كانت السبب في ظهور مصر وتميزها عن الواحات . . فمصر لم تصبح مصر بمجرد توافر الماء ، بل بنظام الفيضان الذي كان يغسل أرضها مرة كل سنة فيحمل الأملاح إلى البحر ثم يعوض النقص في التربة بإلقاء طبقة جديدة

---

* وهذه أيضاً تثبت تفاهة الوثيقة المزعومة التي يهوش بها هيكل بأن مسئولاً أمريكياً قال لأحمد حسين إنه « بعد أسبوع لن تكون هناك مصر ! » خسئت وخسيء من قالها . . وهاهو أكبر مسئول في أمريكا بعد رئيسها يخطط لمستقبل زاهر لمصر من دخل القناة !

من الطمي والمعادن المفيدة للأرض كل عام ، أي ملايين الأطنان من المخصبات الطبيعية ، والطمي بلا تكلفة وفي أتقن عملية رش . . بل اكتشفنا اليوم أن الفيضان كان يغرق جحور الفئران ويقتل منها العدد الذي يبقيها في إطار التوازن الطبيعي ، فلما منعنا الفيضان وخرجت الصحف تبشرنا بعنوان لا ينسى وهو : « هذا العام : هو آخر فيضان للنيل » !

انتصرنا على النيل ، ونمت الفئران وتكاثرت ، حتى أكلت ما زرعه الفلاح بماء السد وما قبل السد ! . .

هل قامت مؤسسات أمريكية وبريطانية بهذه الدراسات ، وقدمت التقارير التي تؤكد أنه لا خطورة من احتفاظ مصر ببحيرة معلقة فوق رأسها إذا ما ضرب السد أو سقط بفعل زلزال ، وهو الذي كما قيل يمكن أن يغرق مصر إلى القاهرة ، وبارتفاع الدور الرابع ! . .

وهل قالت هذه التقارير إن فوائد السد ترجح أضراره . . حتى نقول اليوم إن العالم كله وافق على بناء السد ، فإذا ثبت ضرره فالعالم هو المسئول ، ونحن لا ذنب لنا ؟!

بناء السد العالي ، بصرف النظر عن أية نتائج ، يجب أن تحدد طبيعته ، فهو قرار سياسي من شخص غير ذي دراية فنية ، لم يقرأ كتاباً في حياته بعد الثانوية العامة إلا ما يكفي للتخرج من كلية الطيران ، وليس فيما عرفناه عنه ما يعطي ملامح مثقف ، ولا علامة تحضر . والروايات الناصرية مجمعة على اتهامه باختلال عقلي ، استوحى الفكرة من يوناني وصف السادات له[٤٥] يوحي بخبله هو أيضاً[١٦] ، وقد رفض « المهندسون » قبل الثورة الاهتمام بفكرته ، إلى أن اصطاد لها مجنون مجلس الثورة جمال سالم « ففتنه المشروع وتبناه حتى أن أحداً من أعضاء مجلس قيادة الثورة لم يبذل جهداً لمعرفة تفاصيل المشروع »[٤٦] !! وهذه شهادة متحمس للسد !!

تبناها جمال سالم ، وطرحها مجلس الثورة في سوق الشعارات المصرية ، مثل مديرية التحرير والوادي الجديد ، واستخدمته الدول الخاطبة لود مصر مثل قول دلاس : « سنعطيكم السد من أجل الحياة » إلى أن سقط في حجر الروس .

كان المفروض أن يطرح المشروع للمناقشة الفنية في أوساط المهندسين[١٧] والجيولوجيين والزراعيين وخبراء الثروة البحرية ، والأمراض المستوطنة ، ومجلس الأمن القومي . . حول مكاسب ومخاطر المشروع من إمكانات الزلازل واحتمالات ضربه من العدو إلى مستقبل الكائنات البحرية والنحر عند المصب . . ثم يطلب رأي المؤسسات العالمية الخبيرة . . ثم يطرح التقرير النهائي للمشروع أمام اللجنة العليا « الفنية » لا السياسية . . لتقرر قبول المشروع أو رفضه أو تعديله فليس هذا من اختصاص مجلس الثورة ولا من أعمال السيادة ، مجرد خزان على النيل* . . ثم يعرض الأمر على البرلمان للمناقشة فهناك خبراء غير ممثلين في

* في وثائق الخارجية الأمريكية أن الولايات المتحدة عرضت على الملك فاروق بناء خزان في أسوان إذا منع مصر من دخول حرب فلسطين الأولى ورفض الملك .

الأجهزة الحكومية والمناقشة العامة المفتوحة تتيح الفرصة لشتى الاجتهادات والتنبيه إلى ما يفوت الخبير الفني . .

ولكن ذلك كله كان مستحيلاً لأن المشروع أصبح جزءاً من قدسية الثورة ، يحيط به إرهابها ورهبتها . . وارتفاعها فوق مستوى النقد والمناقشة ، وكل نقد له خيانة وعمالة للاستعمار تؤدي إلى إسقاط الجنسية . . ؟! وحتى الآن ، فإن الحديث عن الزلزال الذي هز أسوان ، يفسر على الفور بأنه « مؤامرة للنيل من ذكرى الزعيم الخالد ، والتقليل من المساعدة الأخوية للاتحاد السوفيتي زعيم المعسكر الاشتراكي . . الخ » .

حتى الروس لهم عذرهم ، فقد انساقوا إلى الحمى التي انتابت الدولة المصرية ، وهي تغني « حنبني السد » . والروس يهمسون الآن أنهم نبهوا للأخطار المحتملة ، ولكن لا أحد سمع لهم . فقد عولج الأمر بالأسلوب « الثوري » الذي يهتم أولاً وأخيراً بالكسب السياسي العاجل ، ولا يفكر أبعد من عمر الحاكم .

من الثابت إذاً ، أن كل الأطراف عالجت موضوع السد سياسياً . . الغرب أراد أن يرد على صفقة السلاح* ، وربطه بالصلح مع إسرائيل . . وكجزء من برنامج عام للمنطقة ، والاتحاد السوفيتي تبناه تحت إلحاح مصر نكاية في الدول الغربية وكسباً لشعبية في مصر والمنطقة . والثورة أساساً أطلقت الشعار وتورطت فيه ، للتغطية على السلبيات في الحريات ، أو كما قال عبد الناصر : « حاجات بيضاء . . وحاجات سوداء » .

وفي مثل هذا الجو . . يتعذر بحث الجوانب الفنية . . وهي الأساس في الخزانات . . لا الشعارات !

والآن وقد تبين أن السد العالي فشل حتى في أن يكون خزانا للمياه ، وهي المهمة الوحيدة التي تشبثوا بها في مواجهة كل الأضرار الفادحة التي أنزلها بمصر . . أعني ادعاءهم أنه يحمي مصر من خطر الجفاف على مستوى القرن ، تبين أنه لا يكفي لمواجهة الحد الأدنى من الجفاف ، المعروف من أيام سيدنا يوسف وهو سبع سنوات ، فما قيمته ، ولماذا بددنا كل هذه الأموال عليه ، وضحينا بالطمي والسردين والمنشآت على النيل وشواطيء الدلتا وورد النيل والفئران . . والكمية الهائلة التي تفقدها بحيرة ناصر بالبخر وبلاد النوبة . . الخ . . !

ما قيمته إذا كنا مهددين بالعطش والبوار وجفاف النيل حتى لا تستطيع السفن أن تسبح فيه ! . .

إنهم يتنبأون بحرب ضارية في الشرق الأوسط حول الماء ، وقتها سيتذكر الشرفاء ، كيف مزق ناصر وصحبه وحدة وادي النيل ، وتخيلوا لو أن حكومة واحدة كانت مسئولة عن مصر

---

* هذا وقد وردت أول اشارة عن السد في الوثائق الأمريكية في رسالة للسفير الأمريكي بتاريخ ١١ ديسمبر ١٩٥٢ . ولكن فكرة خزان في أسوان أو توسيع طاقة خزان أسوان الأول وردت كما أشرنا في عام ١٩٤٨ كجزء من صفقة لمنع حرب فلسطين الأولى .

والسودان منذ عام ١٩٥٤ . . كم من سدود ، كم من مشاريع ، كم من مياه كنا سننقذ ونوفر وندخر للسنوات العصيبة ، وللوطن الكبير والشعب في مصر والسودان ، بل هل كنا نستبعد أن تتحد أو حتى تشترك كل الدول المرتبطة بنهر النيل في تلك المشاريع التي تنفذها دولة وادي النيل الكبرى ؟! ولكن الذين مزقوا الوطن الواحد وفصلوا بذلك بين النيل ومنابعه ، حاولوا ستر هذه الجريمة بالضجة حول السد العالي وهانحن نتبين أننا به أسوأ حالا على الأقل في الكهرباء ، فلو أننا أقمنا بدلاً منه عدة قناطر وسدود صغيرة ، لما ارتبط انتاجنا الكهربائي بمصدر واحد غير ثابت هو مستوى الماء في بحيرة فاشل . . أو ناصر .

ولكن متى كان هؤلاء يهتمون بمصر أو يتحرون الصدق في سبيلها .

مراجع وملاحق الفصل السابع

من صفحة ٤٠٥ إلى صفحة ٤٧٢

المراجع

١ ـ لعبة الأمم ص ١٨٧ والأحرى أن يسميه خيبة الأمم .
٢ ـ انظر فصل في البدء جاء الأمريكان .
٣ ـ عبد اللطيف بغدادي : جزء أول ص ٢٢٢ .
٤ ـ حمروش عن جان لاكوتير ص ٤٣ .
٥ ـ انظر حمروش في مجتمع عبد الناصر ص ١٦٤ ـ ١٦٥ .
٦ ـ لعبة الأمم ص ١٨٧ .
٧ ـ ص ٩٨ هيكل : قصة السويس .
٨ ـ تقرير السياسة الخارجية المنشور عام ١٩٨٢ .
٩ ـ سلوين لويد ص ٧٠٨ .
١٠ ـ سلوين لويد ص ١١ .
١١ ـ ص ٢٦ سلوين لويد .
١٢ ـ لعبة الأمم ص ٨ .
١٣ ـ ن . م . وهو يقصد طبعا معركة إلغاء المعاهدة التي شنها الوفد .
١٤ ـ حبال الرمال ص ١٠٩ .
١٥ ـ لعبة الأمم ص ٢١١ .
١٦ ـ ص ١٣٢ / ١٣٣ لعبة الأمم . .
١٧ ـ ص ١٤١ لعبة الأمم .
١٨ ـ انظر فصل في البدء جاء الأمريكان .
١٩ ـ انظر ص ٢١٠ من لعبة الأمم .
٢٠ ـ دلاس والسويس تأليف : هيرمان فينر .
٢١ ـ حبال الرمال ص ١٥٨ .
٢٢ ـ ن . م .
٢٣ ـ يوميات جيتسكيل .

٢٤ ـ سلوين لويد ص ٣٦ .
٢٥ ـ سلوين لويد : السويس ١٩٥٦ ص ٤١ ـ ٤٢ .
٢٦ ـ ن . م ٥٨ .
٢٧ ـ ن . م ٦١ .
٢٨ ـ مجتمع عبد الناصر الجديد ص ٤١ .
٢٩ ـ ص ١٥٩ لعبة الأمم .
٣٠ ـ لعبة الأمم ص ٢١٦ .
٣١ ـ حمروش : مجتمع عبد الناصر ص ٥١ .
٣٢ ـ حمروش نقلاً عن مراد غالب سفير عبد الناصر في موسكو . .
٣٣ ـ حبال الرمال .
٣٤ ـ عبد اللطيف بغدادي : المذكرات ص ٢٠٨ الجزء الأول . . ويشفع للبغدادي أخطاؤه الانجليزية ما تمكسه من صدق وأنه سجلها كما سمعها وقتها من عبد الناصر وبانجليزيتهم ـ وقتها ـ
٣٥ ـ حمروش : مجتمع عبد الناصر .
٣٦ ـ ص ١٥١ حبال الرمال .
٣٧ ـ سلوين لويد : السويس ١٩٥٦ ص ٢٩ .
٣٨ ـ حبال الرمال ص ١٥٧ .
٣٩ ـ ن . م ص ١٥٨ ولاتنس أن هذا هو الذي نفى دور المخابرات في قيام الثورة !!
٤٠ ـ ن . م ص ١٥٩ .
٤١ ـ سلوين لويد : السويس .
٤٢ ـ حبال الرمال .
٤٣ ـ رسالة منسوبة لمحمود فوزي إلى الرئيس عن هيكل ـ قصة السويس ص ١٨٢ / ١٨٣ .
٤٤ ـ مذكرات هيوجيتسكيل إعداد فيليب وليامز ـ نشرتها مجلة المجلة .
٤٥ ـ اسمه « ادريان دانينوس » .
٤٦ ـ حمروش .

الملاحق

م[١] ـ وقد خجلنا والله من كثرة المن على القراء بسبق تفسيرنا للواقعة ، ثم تأكد صحة التفسير بالوثائق التي تظهر فيما بعد . . وليس في الأمر عبقرية ، وإنما نظرية صحيحة تفسر الظواهر ، وتأتي المستندات والوثائق فتؤكد صحة التحليل أو التفسير وبالتالي صحة النظرية .

وقد قلنا منذ سنوات إن الولايات المتحدة هي التي نسفت حلف بغداد ، ولم يكن عبد الناصر إلا أداتها المنفذة . . وقد عارضت أمريكا الحلف حماية لإسرائيل ورفضاً للنفوذ البريطاني .

وهاهي مجموعة وثائق يفرج عنها لأول مرة ، ووصلت إلينا « بطريقة أو أخرى ، المهم أنها وصلت »* (وننشر صورتها في قسم الملاحق ونأمل أن يعكف باحث شاب على استكمال وقائع هذه القضية وملابساتها) .

هذه الوثائق الأمريكية تكشف سر اتفاقية « سرسنك » بين نوري السعيد وصلاح سالم ، وسر سقوط صلاح سالم أو أحد أسرار سقوطه ، كما تكشف بوضوح وجلاء أن قرار إعدام حلف بغداد صدر أول ما صدر من وزير الخارجية الأمريكية بتاريخ ٢٣ أغسطس ١٩٥٤ وكان الجلاد الذي تولى التنفيذ هو « جمال عبد الناصر » . .

ففي ١٣ أغسطس ١٩٥٤ وصل صلاح سالم إلى بغداد على رأس وفد مصري ضخم واجتمع مع نوري السعيد والوصي في « سرسهنك » أو سرسنك . . وعرض عليه « نوري » السعيد ، العدول عن فكرة حلف تركيا ـ باكستان أو الحزام الشمالي كما كان يسمى واقترح توسيع اتفاق الأمن الجماعي بين الدول العربية ليشمل تركيا وبريطانيا وباكستان والولايات المتحدة . . وصرح نوري باشا للسفير الأمريكي « أنه اندهش من ترحيب المصريين بهذا الاقتراح » . (رسالة القائم بالأعمال الأمريكي في بغداد إلى وزارة الخارجية ٢٢ أغسطس ١٩٥٤) .

وقال نوري السعيد للقائم بالأعمال الأمريكي في بغداد « إن صلاح سالم سيبلغ ذلك الموقف للسفيرين كافري (الأمريكي) وستيفنسون (البريطاني) . وطلب نوري السعيد رأي الولايات المتحدة في هذا التطور ، مما يؤكد أنه لم يكن اقتراحاً أمريكياً ، ولا حتى بعلم الولايات المتحدة . وموافقة صلاح سالم تجعل من الصعب إن لم نقل من المستحيل ، افتراض وجود موقف واضح محدد داخل القيادة المصرية ضد الأحلاف مع الدول الغربية وخاصة بريطانيا وأمريكا . . فقد عارض صلاح سالم اشتراك باكستان ، كما عارض إشراك فرنسا ، وقبل انضمام أمريكا وبريطانيا . . وليس دخول حلف موسع إلى هذا الحد بالقضية التي يأخذ فيها صلاح سالم موقفاً منفرداً . . أو التي يجهل أهميتها .

وقد أبلغ نوري السعيد ، السفارة الأمريكية في بغداد ، « أنه إلى أن تصل موافقة الولايات المتحدة وبريطانيا فلن تأخذ العراق أو مصر أي موقف أو تحاول الاتصال بأي بلد عربي آخر . . » « وستجتمع العراق ومصر في القاهرة في ١٥ سبتمبر (١٩٥٤) لدراسة رد الولايات المتحدة وبريطانيا » .

وقال نوري السعيد للأمريكان . . إنه « يعتقد أن بريطانيا ستوافق على الانضمام للحلف الجديد ، لأنه سيمكنها من استعادة نفوذها في العالم العربي ودول الخليج » .

وتحمس القائم بالأعمال الأمريكي في بغداد وكتب لوزارة الخارجية الأمريكية يثني على المشروع ، ولكنه في نفس الوقت كان يعرف حقيقة مشاعر حكومته فوضع تحفظاً قال فيه :

---

* اشتريناها بعشرة دولارات من ع الرصيف في واشنطن !

« إن الرفض الفوري من جانب الولايات المتحدة قد يسبب استياء شديداً ، خاصة لو فكرت بريطانيا في الانضمام » . (رسالة رقم ٢٢٤ - ١٩٥٤/٨/٢٣) .

ولكن وزارة الخارجية لم يكن لديها وقت للمجاملات في مثل هذه القضية الخطيرة ، إذ سرعان ما جاء رد وزير الخارجية جون فوستر دلاس في نفس اليوم حاسماً باتراً بالرفض . .

« . . . والآن يأتي هذا الاقتراح بانضمام مصر لتقوية اتفاقية الأمن العربي الجماعي . . بصراحة أنا لا أحب ذلك وأعتقد أنها تتعارض مع اتفاقية الأمن المتبادل مع العراق مما قد يدفعنا إلى إعادة النظر في معونتنا العسكرية للعراق . . . . الخ » .

(رسالة دلاس إلى بايرود ٢٣ أغسطس ١٩٥٤)

وتحركت الأجهزة .

وفي رسالة وكيل الخارجية الأمريكية لسفارتهم في القاهرة ، كان واضحاً أن المعارضة تنبع من الخوف على أمن إسرائيل ، أما ما لم يذكر صراحة ، فهو « أيضاً » الخوف من ذات السبب الذي برر به نوري السعيد المشروع ، وأعني استعادة بريطانيا لنفوذها . .

المهم انقلب موقف القاهرة رأساً على عقب . .

السفارة الأمريكية في القاهرة ، تطوعت بإعلان أن صلاح سالم لم يكن مخولاً صلاحيات ربط الحكومة المصرية بأي شيء وأن « ناصر » لم يكن مستعداً للمضي مع العراق في التعاون مع الغرب إلى الحد الذي يبدو أن صلاح سالم أوحى باستعداد مصر لقبوله .

(برقية السفارة الأمريكية بالقاهرة رقم ٢٦٠ بتاريخ ٢٧ أغسطس)

أعلنت بريطانيا ترحيبها بالاتفاق المصري - العراقي ، وصرح متحدث بريطاني أنه بعد الاتفاق على الجلاء من السويس فإن بريطانيا أصبحت أكثر تفاؤلا بالاعتماد على الجامعة العربية وأقل حماسة لمشاريع الحزام الشمالي . .

وفي ٣١ أغسطس ١٩٥٤ . . كتب وزير الخارجية دلاس إلى سفارته في العراق « نظراً لرفض الحكومة المصرية مقترحات نوري السعيد - صلاح سالم ، التي ما كانت لتقبلها الحكومة الأمريكية فيما يتعلق بتعديل اتفاقية الأمن العربي الجماعي . نرجو إبلاغ نوري السعيد أن يركز على الحلف التركي - الباكستاني الذي نعتقد أنه القاعدة الوحيدة العملية والفعالة للدفاع عن الشرق الأدنى » !

آكو . . أوامر !

أمر صدر . . أمر ينفذ . .

أما نوري السعيد فقد كان تحت حماية المصفحات البريطانية فلم تصل إليه يد « العدالة » الأمريكية . . وقتها على الأقل . .

وبقي المسكين صلاح سالم الذي هو في القبضة مأسور . .

واجتمع مجلس الوزراء المصري يوم ٨ سبتمبر (١٩٥٤) وقرر إعطاء صلاح سالم أجازة شهراً بدون إبداء الأسباب ولكن السفارة الأمريكية قالت في تعليقها : « إن هذا الإجراء يعلن بوضوح أن سالم قد تجاوز سلطاته في محادثات سرسنك ، ونعتقد أن القرار يهدف إلى إبلاغ نوري السعيد أن الحكومة المصرية لا ترى نفسها ملتزمة بأي قرار اتخذه صلاح سالم » .

برقية السفارة الأمريكية

من القاهرة ٧٨٠ / ١٩٥٤/٩/٥

وفي ٨ سبتمبر ١٩٥٤ كتب السفير الأمريكي كافري إلى حكومته ، أن السفير العراقي في القاهرة أبلغه نقلاً عن صلاح سالم أن عبد الناصر أبلغ (صلاح) مرتين أنه علم من « مصادر أمريكية يعول عليها » أن الولايات المتحدة تخلت عن فكرة ضم العرب للحلف التركي ـ الباكستاني . وأضاف السفير أن مصادر مصرية قريبة من ناصر أكدت رواية « الراوي »

(السفير العراقي نجيب الراوي)

(رسالة السفير رقم ٢٢٨)

والظاهر أن ناصر استمر يدهش زواره بهذه المعلومات المثيرة التي نقلتها له « مصادر أمريكية موثوقة » عن معارضة أمريكا في السر للحلف الذي تؤيده ـ إلى حد ما ـ في العلن ، وتسربت بل ذاعت « الأنباء المثيرة » الأمر الذي جعل وزير الخارجية يكتب محتداً للسفير الأمريكي في القاهرة لكي يلم عبد الناصر لسانه . .

« إن الوزارة تلاحظ بانزعاج أن عبد الناصر في مرتين (في حدود معلوماتنا) خلال لقائه مع قادة عرب تصرف على أساس أن الولايات المتحدة قد تخلت عن فكرة ضم العرب للحلف التركي ـ الباكستاني وأنها تؤيد مبادرة ذاتية عربية بدون اشتراك الغرب . . . . »

رسالة وزير الخارجية الأمريكية

للسفارة الأمريكية ١٩٥٤/١٢/٣١

عبد الناصر كان يعلم وأمريكا تعلم أنه يعلم . . واحسرتاه على ما تبدد في معركة حلف بغداد !

No. 223

674.87/8-2254 Telegram

The Chargé in Iraq (Ireland) to the Department of State [1]

SECRET BAGHDAD, August 22, 1954—10 a. m.

105. Conversations with Prime Minister Nuri and members of his government indicate that Nuri and Iraqi Government following Iraqi-Egyptian conversations and agreements are moving away from Turk-Pakistan pact and multilateral arrangements involving Pakistan, Great Britain (Embtel 86, August 17, 1954) [2] toward plan invoking Arab Collective Security Pact modified in accordance with Article 51 of the UN charter and expanded to permit membership to non-Arab states. This proposal, given in more detail below, is to be placed before UK and US for their consideration and comments before action by Iraq and Egypt.

As background, Nuri said Egyptians at Sersank had indicated that with signature of Anglo-Egyptian agreement, [3] their hostile attitude toward Iraq and to cooperation of Arab states with west had altered. They now saw merit in cooperation with west and were even ready to work toward it.

Egyptians at Sersank opposed Turk-Pakistan pact as well as multilateral arrangements with Pakistan which Nuri admitted he had in mind (reftel). They argued in particular that Pakistan was neither militarily nor geographically analogous any Arab state. When Egyptians asked for alternative proposal as basis for Arab cooperation with west, Nuri said he had brought forward Arab collective security pact, to be suitably modified to meet spirit of Article 51 of UN charter and to permit membership of non-Arab states as Turkey, Great Britain, Iran and Pakistan and even United States. He said he had been surprised at welcome given his proposal by Egyptians.

---

[1] Repeated to Cairo, Ankara, Karachi, London, Amman, Beirut, Damascus, Jidda, Jerusalem, Tehran, and Tripoli. Transmitted in two parts.

[2] Telegram 68 from Baghdad, Aug. 9, reported the Egyptian Minister of National Guidance, Maj. Saleh Salem, was expected to arrive in Baghdad on Aug. 13 with a party of about 20. They planned to visit the King and Crown Prince at Sersank for a few days and then go to Baghdad. (674.87/8-954)

Telegram 86 reported that Nuri intended to review Iraq's foreign policy, not just "Arab policy" with Salem. He intended to propose alteration of the Arab League Collective Security Pact to permit the inclusion of Pakistan, Great Britain, and the United States. If Egypt refused to accept that, Nuri would counter with a proposal that would leave Iraq free to set up a regional defense plan, initially with Pakistan, but later to be expanded to include the Arab States, the United Kingdom, and possibly the United States. (674.87/8-1754)

[3] Regarding the Heads of Agreement between Egypt and the United Kingdom, signed on July 27, 1954, see Document 1348.

الوثيقة رقم ٢٢٣

أول تبليغ من السفارة الأمريكية في بغداد لواشنطن عن اتفاق الوفد المصري مع نوري السعيد على حلف بغداد .

No. 224

674.87/8–2354 Telegram

The Chargé in Iraq (Ireland) to the Department of State [1]

SECRET BAGHDAD, August 23, 1954—4 p. m.

110. Embassy aware that Iraqi-Egyptian proposals regional defense scheme (Embassy's 105, August 22) [2] lack essential details, propose undertakings without indicating how they may be implemented, and give no indication exact degree of agreement between Iraq and Egypt re their firm intentions. Proposals are also disappointing in light of Nuri's previous forthright support for Turkish-Pakistani pact (Embassy's 590, April 5).[3] Nevertheless, proposals have merit of committing Egypt to cooperation with West, of being plan indigenously initiated by countries in area, and of opening prospect accomplishing our policy objectives in this area along lines discussed in NIE 30–54. [4]

Department will, therefore, doubtless wish to give its careful consideration to proposals for these and for additional reasons below:

1. Plan possesses valuable psychological advantages in Arab States because of its indigenous origin.
2. Egypt and Iraq have taken US and UK into their confidence from the beginning. Outright rejection by US could cause high resentment, particularly should UK consider participation.
3. Nuri genuinely wants our ideas on modifications text ACSP. Opportunity thus given US to shape pact and to prevent it at least from having unacceptable features whether or not we adhere. Moreover, Iraqi and Egyptian reaction to our specific suggestions should provide measure of their real willingness to work toward effective regional defense organization.
4. Our presence as member or associate in new grouping would enable us, in company with other non-Arab participants, to restrain and guide Arabs re Israel more effectively than heretofore and should thereby allay fears of Israel.
5. If new pact really provides basis for peace with Israel, attention whole area could then be turned toward Soviet threat. Although Iraqi-Egyptian conditions re peace with Israel as given by Nuri still represent obstacle, acknowledgement of necessity for peace with Israel deserves recognition and encouragement.
6. Turkish-Pakistani pact will continue to exist. If new scheme bogs down after reasonable period of time we would still be in strong position to argue forcefully that, in view unsuccessful Egyptian and Iraqi efforts to create regional defense group including

---

[1] Repeated to Cairo, Ankara, Karachi, London, Amman, Beirut, Damascus, Jidda, Jerusalem, Tehran, Tripoli, and Tel Aviv.

[2] *Supra*

[3] Document 202.

[4] Document 209.

الوثيقة رقم ٢٢٤

السفارة الأمريكية تنصح بأن الرفض الفوري لحلف بغداد قد يثير حساسية وخاصة إذا قررت بريطانيا الانضمام .

Arab as well as upper tier states, adherence to Turkish-Pakistani pact is only realistic solution to ME regional defense problems.

IRELAND

No. 225

780.5/8-2854

Memorandum by the Secretary of State to the Assistant Secretary of State for Near Eastern, South Asian, and African Affairs (Byroade)

SECRET WASHINGTON, August 28, 1954.

I am greatly disturbed over the report that Iraq is planning a security pact with Egypt and is moving away from the idea of joining up with Turkey and Pakistan.

We bought the idea of military aid to Iraq on the theory that it was going to tie up with the northern tier countries and not merely build up the Arab League as against Israel.

When the Iraqi Prime Minister was here, he told me of the projected union with Syria and Lebanon, and I told him that because this would bring their influence to the Israel border, I thought it should be preceded by their moving along with Turkey and Pakistan. I understood him to indicate that he would do so. Now this proposal of joining with Egypt to strengthen the Arab Collective Security Pact comes up. I frankly do not like it and I believe it might cause us to invoke the Iraq Mutual Security Agreement provision that we may review our military aid in the light of the international situation at the time.

JOHN FOSTER DULLES

No. 226

674.87/8-2254 Telegram

The Acting Secretary of State to the Embassy in Egypt [1]

SECRET WASHINGTON, August 27, 1954—11:14 a. m.

330. We wish explore cautiously all aspects Iraq Egyptian suggestions for area defense arrangements based on revised Arab Collective Security Pact with western adherence (Baghdad's 104 and fol-

---

[1] Drafted by Burdett and cleared by NE and NEA. Repeated as telegram 108 to Baghdad, 1136 to London, 258 to Ankara, and 261 to Karachi

الوثيقة رقم ٢٢٥

رفض صريح وقاطع لحلف بغداد من جون فوستر دلاس .. « وأنا بصراحة لا أحبها » وتهديد بقطع المعونة العسكرية عن العراق .

lowing).[2] Adoption proposal would involve abandonment our present policy of basing area defense on northern tier concept and Turk-Pakistan pact. We need particularly precise information re manner and timing association western powers and Turkey and Pakistan and nature any moves contemplated on Israel issue. Our attitude necessarily will depend largely on whether Arabs prepared reverse previous anti-Israel orientation Arab League and we therefore especially interested Nuri statement one function new pact would be prepare for peace with Israel. Does Egypt understand arrangements in same manner as Nuri and is she willing proceed at this time?[3]

When approached by Egyptians (Baghdad's 105)[4] Embassy Cairo should endeavor obtain details but refrain from indicating US attitude.[5]

Embassy London requested query Foreign Office.[6]

SMITH

---

[2] Dated Aug 21, not printed It concerned a conversation with Nuri Said on the Iraqi-Egyptian talks (674.87/8–2154)

[3] Telegram 107 from Baghdad, Aug. 23, reported Salem said time would be needed to erase Egyptian suspicions of Great Britain, while Nuri Said claimed he expected Great Britain and the United States to be associated with the pact from the beginning. (674 87/8–2354) Telegram 244 from Cairo, Aug. 23, suggested differences existed between the Egyptian and Iraqi interpretations on the nature and extent of agreement reached, and had suggested caution until the situation was clarified (674.87/8–2354)

[4] Document 223.

[5] Telegram 260 from Cairo, Aug. 27, reported that Salem and Nuri Said did interpret the Sersank conversations differently. Salem had not been authorized to commit the Government of Egypt to anything, and Nasser was not prepared to go along with Iraq in cooperating with the West to the extent that Salem had apparently indicated that Egypt might. (674 87/8–2754)

[6] Telegram 1113 from London, Sept. 1, reported some confusion about what had happened at Sersank. On the basis of available information, the Foreign Office was inclined to welcome the Iraqi-Egyptian proposals on the grounds that a lessening of tension between Iraq and Egypt was a good sign. They considered it encouraging that non-Westerners were suggesting a regional organization that would invite Western participation. A British official commented that the Suez settlement had made Great Britain more optimistic about building on the Arab League and less favorable to the northern tier concept, although it did not necessarily consider the two inconsistent (780 5/9–154)

الوثيقة رقم ٢٢٦

بالهامش : توضيح من السفارة الأمريكية بالقاهرة بأن صلاح سالم لم يكن مخولاً بالموافقة على حلف بغداد ـ وتصريح لمسئول بريطاني بأن بريطانيا بعد اتفاقية الجلاء أكثر تفاؤلاً بالتعاون مع الجامعة العربية وتخلت عن فكرة الحزام الشمالي .

it was premature to approach US and UK before Egypt and Iraq had reached full agreement between themselves and had consulted other Arab states on plans for revision ALCSP.

He said Salah Salim had pointed out that Iraq desires early action to strengthen its Northern defenses and that Sarsank proposals would have advantage (a) of providing substitute for present Anglo-Iraqian treaty and (b) avoiding involvement in Turkey-Pakistan pact.

Ambassador said Nasir twice told Salah Salim he had been informed by "reliable American source" that US had given up idea of Arab adherence to Turkey-Pakistan pact. After some inconclusive discussion, Nasir said Egyptians would have to discuss matter further among themselves and would get in touch with Iraqian Ambassador again soon.

We of course, assured Ambassador that Nasir had not had his information from us and made it clear there has been no change in US thinking re Turkey-Pakistan pact.

Egyptian source close to Nasir confirms substance of Al Rawi's account. Source states however that Salah Salim walked in on meeting unexpectedly with result that full extent his commitments at Sarsank finally revealed to Nasir, who terminated meeting in order permit GOE get its lines straight.

CAFFERY

regional security plans, but had asked the Iraqi Ambassador in Cairo to see the Egyptians and review the situation. (780.5/9-754)

No. 229

651.87/9-1654 Telegram

The Ambassador in Egypt (Caffery) to the Department of State [1]

SECRET CAIRO, September 16, 1954—8 p.m.

358. Iraqi Prime Minister told me this evening that during conversations with Egyptians yesterday and today, their attitude has been that they do not disavow the Sarsank conversations [2] but that due to present attitudes on part of Communists and Moslem Broth-

[1] Repeated to London, Baghdad, and the Arab capitals.

[2] Telegram 319 from Cairo, Sept. 9, reported the Egyptian Cabinet the previous evening had granted Maj Salah Salem a month's leave. No public explanation was given, but the Embassy considered the move a clear way of facing the fact that Salem had exceeded his authority in the Sersank talks. It suggested the action was a way of putting Nuri Said on notice that the Egyptian Government did not consider itself bound by any commitments made by Salem (780.5/9-954)

الوثيقة رقم ٢٢٨

السفير العراقي يشكو للسفير الأمريكي من تكرار عبد الناصر القول بأن الأمريكان أبلغوه رفضهم لحلف بغداد . وفي الهامش مايفيد إعفاء صلاح سالم من وظائفه .

م٢ ـ طويلة جداً فقد استغرق بحث موضوع واحه البوريمي يومين كاملين من اجتماعات القمة الأنجلو ـ أمريكية بينما خصص للنزاع العربي الإسرائيلي نصف يوم ! (حبال الرمال ص ١٥٨) ولما انتهزت بريطانيا حالة اللخبطة التي أثارتها صفقة السلاح المصرية مع روسيا ، وقامت باحتلال « البوريمي » و« نزوى » حاولت أمريكا الاحتجاج فاتهمهم شوكبرج هذا بأنهم « يرقصون على طبول موسكو ويتجافون لمبادىء العدالة ! »

م٣ ـ لقد استطاع الإعلام المصري ـ السعودي أن يجعل من حلف بغداد « الخطيئة الأولى » والجريمة التي لا تغتفر من الناحية المبدئية ، وقد استخدم هذا الشعور بالإثم ضد ما أسموه « الحلف الإسلامي » والذي كان هيكل هو أول من زرع فكرته في رأس عبد الناصر . . وما نود قوله هنا أن موقف مصر من الأحلاف لم يكن بهذه الطهارة ، فاتفاقية الجلاء في الحقيقة جعلت مصر حليفاً أساسياً لبريطانيا وتركيا ، وليس في شروط حلف بغداد أكثر من الشروط التي ربطت مصر في اتفاقية الجلاء إلا إضافة العراق ، أقصد إن بريطانيا لها حق احتلال مصر إذا وقع عدوان على تركيا أو على بريطانيا . . فهل الخطيئة والعيب في انضمام العراق لهذا البند ؟! . .

وإنما عارضت مصر كما قلنا انطلاقاً من سياستها التقليدية في رفض المزيد من العلاقة مع بريطانيا ، والمنافسة التقليدية بين القاهرة وبغداد ، كما زرعها المفهوم الاستعماري ، والتي لا مبرر لها ، والتي جعلت مصر كما أشرنا تتصدى لنفس الفكرة قبل ظهور عبد الناصر بأكثر من سنة . . ولأن ذلك كان متطابقاً مع الخط الأمريكي . أما حكاية الحلف الإسلامي فقد زعم هيكل أنه اجتمع مع الجنرال اولمستيد رئيس برامج المساعدة الأمريكية العسكرية في البنتاجون الذي اقترح على محمد حسنين هيكل الموظف في دار أخبار اليوم وفي نوفمبر ١٩٥٣ عمل « حلف إسلامي » من تركيا وباكستان ومصر . . وقد يكون هذا دليلاً على أن « هيكل » كان موضع ثقة كبيرة جداً لدى البنتاجون الأمريكي لكي يطلعه الجنرال على هذا المخطط الذي لم يكشف عنه الستار للملوك والأباطرة إلا بعد ١٤ سنة ! وهو لم يكن وقتها أكثر من موظف في دار أخبار اليوم ، أو هذا هو الظاهر للمصريين . . غير أننا نضع تحفظاً واحداً وهو أن الأمريكي لا يمكن أن يتحدث عن « حلف إسلامي » يريدون تكوينه . فالأمريكان لا يقيمون أحلافاً تحت أسماء دينية ! والحكومة الأمريكية لا تستطيع إقناع شعبها أو كونجرسها بدعم ، فضلاً عن اتخاذ مبادرة إنشاء « حلف إسلامي » والإسلام كان ولا يزال هو العدو الأول في الغرب ومحاربة الإسلام لا مخالفته هي التي تثير حماسة الأمريكيين . وجون فوستر دلاس يتحدث عن « حلم كل مسيحي » (انظر هيكل قصة السويس ص ٧٣ !) . أعتقد الجزء الخاص بالحديث مع الجنرال مجرد فبركة ، أما واقعة تبليغ هيكل لعبد الناصر بوجود مؤامرة « حلف إسلامي » فأعتقد أنها صحيحة ، ومن تدبير هيكل أو جهة كان لديها مصلحة في زرع الشك في ذهن البكباشي الشاب القادم من محيط الإخوان والذي كان يتحدث عن الدائرة الإسلامية ، ويؤدي القسم على المصحف أمام « شادي » ويزور قبر حسن البنا كل سنة ! . .

وما أكثر ما ستكشف عنه الأيام عن هيكل . وأخيراً فقد أشار كوبلاند إلى محاولة أمريكية لاستخدام أو خلق زعيم ديني مسلم ولكنها فشلت .

م ٤ ـ وبعد ثلاث سنوات من تقريرنا هذه الحقيقة يأتي هيكل بنص لدلاس يعلق فيه على هزيمة بريطانيا في بور سعيد : « إن بريطانيا انتهت في الشرق الأوسط ، وبنهايتها فإن حلف بغداد سوف يصبح واحداً من مخلفات التاريخ » (٥٨٦ ع) . .

هل يعني هذا القول إلا أن الحلف كان بريطانياً ومات مع بريطانيا ، وأن ناصر وإعلامه كانوا يحاربون معركة أمريكا « لإنهاء بريطانيا في الشرق الأوسط » ! . .

م ٥ ـ ولعلها مناسبة للتعليق على ما أورده مفبرك الناصرية عن السعودية ؛ لا لإثبات افترائه وتلونه بل لإلقاء الضوء على المعركة التي دبرتها المخابرات الأمريكية والبريطانية والإسرائيلية لتمزيق التحالف المصري ـ السعودي ، الذي حقق نتائج باهرة في الفترة من ١٩٤٦ ـ ١٩٥٦ . . وكيف كان للإعلام الناصري والعناصر المريبة هنا وهناك دورها في إحداث هذا التخريب (انظر كتابنا : قيام وسقوط امبراطورية النفط) ولعله من الأمور الجديرة بالتأمل الشديد ، أن « السعودية » كانت هي العدو الذي يشغل بال عبد الناصر عشية الغزو الإسرائيلي لمصر ، لدرجة أنه استدل على عمالة « علي أمين » من حضوره حفلاً أقامه السفير السعودي في لندن ! (ص ٢٩٩ بين الصحافة والسياسة : هيكل) .

والسعودية كانت أول دولة أصدرت بياناً بالتأييد الكامل بلا تحفظ لتأميم قناة السويس ، وذلك بعد أن وقفت مع مصر في جميع معاركها من ١٩٥٢ إلى ١٩٥٦ . . ويحاول أن يغطي البطحة فيدل عليها عندما يقول : « إن الملك سعود رجل طيب وإن التعاون معه ممكن حتى في ظل العلاقة الخاصة بين السعودية والولايات المتحدة الأمريكية » ولا يستحي من الاعتراف بأن « احتلال البوريمي كان انتقاماً من تمويل السعودية للتحرك المصري في المنطقة العربية »[1]

وإن كنا لا نأخذ بهذا التفسير السوقي فاحتلال بريطانيا للبوريمي كان لأسباب أخرى أهمها حماية المشيخات النفطية وإبقاؤها بعيداً عن الاندماج في السعودية ، للاستفادة من كيانها الهزلي في سلب نفطها ودخلها وهو ما حدث .

ويعترف : « وانحصرت المعركة في النهاية بين « شكري القوتلي » تؤيده مصر والسعودية وبين خالد العظم تؤيده العراق ووراءها بريطانيا »[2] .

فالسعودية شريكة في كل معارك عبد الناصر « الثورية » في الفترة التي أشرنا إليها . .

إلى أن قررت « الإدارة » الأمريكية أنه لم يعد من مصلحتها استمرار التحالف المصري ـ السعودي ، وهذا مفهوم تماماً من وجهة نظر السياسة الاستعمارية عموماً ، وعلى ضوء التطورات التي حدثت في المنطقة بهزيمة بريطانيا في حرب ١٩٥٦ وتسليمها بزعامة أمريكا ، ومن ثم فقد عبد الناصر أهميته في العالم العربي ، باستثناء دوره في منع الحرب ضد إسرائيل ، وطالبت شركات النفط بإبعاده عن آبار النفط ، وما كان يمكن أبداً أن تأتي القطيعة من جانب السعودية ، فهم لا يبدأون بلداً عربياً أو غير عربي بالتحرش ، وهم كانوا دائماً يؤمنون ويرغبون في علاقة طيبة مع

---

(١) ملفات السويس .

(٢) ن . م . ص . ٣٧٠ ع .

مصر ولذا كان لابد أن يأتي التحرش من مصر . . وقد سافر « كيرميت روزفلت » إلى السعودية محاولاً إقناع الملك بأن عبد الناصر يغشه ولكن « الملك سعود نسف اللعبة » فكان أن بدأ التحرش من مصر . . فإن صح « الحوار » الذي ينسبه مؤلف الناصرية إلى الملك سعود وعبد الناصر ، فمن حقنا أن نقول إن الملك « البدوي » استطاع أن يكيل « للعسكري » ضربة تحت الحزام وأن يلخص في نفس الوقت الفرق بين أسلوب عبد الناصر وسياسة السعودية التي تتحالف أو حتى تحتمي بأمريكا علناً وعلى المكشوف لمواجهة الخطر البريطاني وانطلاقاً من المصالح السعودية . . فقد ذكر هيكل أن عبد الناصر « تشجع » وسأل الملك سعود عن العلاقات مع الولايات المتحدة . . وألمح جمال عبد الناصر إلى محظور أن يستغل الأمريكان قضية البترول لكي يفرضوا على السعودية سياسة لا تتناسب مع مصالحها ولا مع المصلحة العربية . . ورد الملك سعود : إن العيب ليس عيب الأمريكان ولكنه عيب الآخرين الذين يريدون الدخول تحت عباءتهم » وأضاف هيكل بإحساس المبطوح : « وكان واضحاً أن الملك يشير إلى الهاشميين » وأظن أن الملك سعود أو أي عربي معاصر أو دارس للتاريخ ، سيكون الهاشميون هم آخر من يخطر على باله في الحديث عن الدخول تحت عباءة الأمريكيين .

ويلاحظ أن هذه الواقعة تتمتع بالشاهدين التقليديين لهيكل : اثنين ميتين !!

ولما أسف الإعلام الناصري نصح الملك الرئيس « بأن تترفع الإذاعات والصحف عن الشتائم »[1] فلم يستجب . . وكانت نصيحة مخلصة لأن عبد الناصر خرج من حرب ١٩٥٦ بالحق أو بالباطل « زعيماً عالمياً » مرموق التصرف والخطوات . . في مركز الوصي على العالم العربي ، ومن ثم كان السباب والشتائم ينتقص من مكانته ويجر حتماً إلى الرد فيكون هو الخاسر بالتأكيد ، كما حدث عندما استلمته إذاعة بغداد « الثورية » عام ١٩٥٨ . .

والغريب أن جميع المصادر حذرت عبد الناصر من مؤامرة استعمارية لفصم علاقته مع السعودية ، فلم يهتم بل بالعكس حرص على استفزاز الملك وإهانته خذ مثلاً هذه الواقعة التي يرويها هيكل ، فبعد انتهاء العدوان الذي وقف فيه الملك وأخوته موقفاً رائعاً فاق موقف بعض أعضاء مجلس قيادة الثورة ، ورغم أن السعودية خاطرت بكل طاقاتها وإمكانياتها مع مصر ، وكان المجد كله من نصيب عبد الناصر وحده . . ورغم أن هيكل يشهد بأن عبد الناصر تسلم تقريراً يؤكد أن ايزنهاور تخلى عن عبد الناصر وأن تركيزه الشديد الآن ينصب على سحب الملك « سعود » بعيداً عنه . . في هذا الظرف بالذات يتوسط الملك والأمير فيصل ولي العهد على جميع المستويات بأن يتكرم الأخ الرئيس ظل الله على الأرض وخاقان البحرين فيقابل رئيس وزراء باكستان الذي وسط العرش السعودي لتدبير هذه المقابلة . . انظر ماذا يكتب هيكل بعد ثلاثين سنة ليجدد الجراح :

« وتجاهل جمال عبد الناصر « إلحاح » الملك سعود على مقابلة رئيس وزراء باكستان »[2] . .

تجاهل وإلحاح ! عبد الناصر كان يعامل الملوك كأنهم عبد اللطيف بغدادي أو شعراوي جمعة ؟! ملوك ورثوا الملك عن أبطال تحرير ووحدة حقيقية لم تأت بهم مخابرات ولا انقلابات ويعرفون

---

(١) ملفات السويس .

(٢) ن . م . ص . ٦٠٢ ع .

تاريخهم وأصولهم ، ويعرفون أيضاً ماذا على الجانب الآخر ، ثم وقفوا كل المعارك التي خاضها ناصر وأكثرمنها (وقوف السعودية في مواجهة العدوان الانجليزي في البوريمي والتحرشات على طول الحدود الطويلة جداً مع الانجليز) وتدعي أنك تعلم أنهم يحاولون إيغار الصدور عليك . . فماذا كان سيحدث لو قابلت رئيس وزراء باكستان وبيضت وجه رفيق المعركة ثم خلال المقابلة تمسح البلاط بهذا الضيف الملحاح . . ماذا كان سيكسب رئيس وزراء باكستان بالتشرف بطلعتك ؟! ألم يخطر ببالك أنها لعبة محسوبة من المخابرات والأجهزة التي تعرف نفسيتك وتفهم أخلاقيات السعوديين ، فألحوا عليهم ، وأوحوا إليك ببعض أعوانهم أن ترفض ، ثم ذهبوا يضخمون « التجاهل » « الإهانة » ويوغرون النفوس وينسفون العلاقة . .

والملك مازال مصراً على الود والتعاون وينصح نصيحة عاقل بألا نستفز المشاعر بدق طبول النصر في الإعلام المصري « فالعاقل إذا انتصر يفهم عدوه بأنه انهزم » بل ويوافق على أن رئيس وزراء باكستان « ملعون » .

وإذا وقع لقاء بينه وبين الوصي العراقي بادر بطمأنة « أخيه » عبد الناصر وائتمنه على سره فقال له إن الوصي جاء « تفوح منه رائحة الخمر »[1] .

أنت تتجاهل الملك سعود ، بينما ايزنهاور شخصياً يخرق التقاليد التي تقضي باستقبال رؤساء الدول عند البيت الأبيض ، بل يرضخ ويتوجه لاستقبال الملك سعود بالمطار . . لأن ايزنهاور يفكر ويتحرك في اطار مصلحة أمريكا ، أما عبد الناصر في أحسن التفاسير ظناً ، لا يفكر ولا يحركه إلا « زعامته » و « مكانته الشخصية » ولو ذهبت مصر والعروبة إلى الجحيم . .

وحتى لا يتنفخ ناصري بحجة كرامة الزعيم ، فهناك موقف مشابه تماما رفض الزعيم « إلحاح » سفارة بريطانيا لمقابلة وزير بريطاني لأن الوزير صهيوني . . فلجأ الوزير إلى السفارة الأمريكية فأمرت موظف المخابرات بها أن يحدد له موعدا مع عبد الناصر فانصاع وتم اللقاء . . هل كان على سهروردي أن يتصل بولي الأمر ! الأمريكي وليس مَنْ ظنه الصديق أو الأخ العربي كما كان سعود ينادي جمال عبد الناصر !!

م٦ ـ يقول « شوكبرج » إن إسرائيل « انتهزت هذه الفرصة الذهبية (صفقة السلاح . ج) لتقول للغرب إن مصالحه ومصالحها متطابقة . وأفرج « هيكل » عن وثيقة تقول إن « أحمد حسين » حذر من الصفقة لأن إسرائيل تعمل منذ فترة لتقديم الحجة بأنها الدولة الديموقراطية الوحيدة في الشرق الأوسط وأنها سند الغرب الوحيد فيه » ص ٣٥٤ ع . .

وراجع تحليلنا لنتائج صفقة السلاح الذي نشرناه قبل إفراج هيكل عن وثائقه بثلاث سنوات ، بل كان هذا التحليل هو الذي أجبره على تغيير موقفه فاعترف ـ ولو على مضض ـ بأن الصفقة كانت في مصلحة إسرائيل بطريقة ما .

م٧ ـ واشتكى كوبلاند لـ « ولبور ايفيلاند » : « إن البنتاجون كان هو العقبة ، فما من أحد من العسكريين صدق أن « الفتى » (حسن التهامي . ج) يقدم لهم فعلاً آخر رجاء من ناصر لمساعدته على تجنب الصفقة مع الروس » ص ١٤٨ حبال من رمال .

م^٨ - لاحظ أن الروس كانوا يلعبون أيضاً لعبتهم ، فهم يعرفون أن عبد الناصر يتعامل معهم كارهاً مضطراً ، وأنه يتحين الفرص لإلغاء الاتفاق أو الرجوع عنه ، ومن ثم فإن إشاعته يجعل مركزه حرجاً ، والتراجع يكلفه غالياً على الصعيد السياسي . . لأن الجماهير سيتساءلون أو على الأقل ضباط الجيش . . لماذا نرفض عرضاً روسياً بتسليحنا ؟!

م^٩ - في هذه الواقعة أورد « هيكل » في الطبعة الأفرنجية قصة مثيرة ، تثير ألف علامة استفهام حول علاقته بالأمريكيين وعبد الناصر في تلك الفترة فهو على حد قوله ، يجمع بين عبد الناصر وكيرميت روزفلت في بيته (بيت هيكل) وهو - أي هيكل - يذهب إلى منزل « ايكلبرجر » أحد أساطين المخابرات الأمريكية في القاهرة فنجده جالساً مع « كيرميت روزفلت » نائب مدير المخابرات الأمريكية للشرق الأوسط و « اريك جونستون » . . مبعوث الرئيس الأمريكي ليس على مائدة الإفطار ، أو عشرة كوتشينة في الترسينة . . بل يعدان برقية تطلب عزل السفير الأمريكي في القاهرة ! . .

عمل من صميم أعمال السيادة الأمريكية الذي لا يعلم به ولا حتى السفير الأمريكي ذاته . . ولكن . . « ايكلبرجر » رجل المخابرات الأمريكية يدخل « هيكل » عليهما وكأن « ايكلبرجر » هذا خدام فلبيني غرير . . وإذا بأكبر مسئول في الإدارة الأمريكية عن الشرق الأوسط بعد وزير الخارجية من الناحية الرسمية ، وأكبر مسئول على الإطلاق من الناحية العملية . . يقول لهيكل ببساطة : نحن نكتب برقية إلى واشنطن بطلب عزل بايرود !

ما دخل صلة هيكل بعبد الناصر ونفوذه على رئيس مصر ، وحصوله على جائزة فاروق ثلاث مرات . . ما دخل ذلك بإطلاعهم له على أدق أسرار الحكومة الأمريكية كيف يتعاملون بهذه الطريقة مع « صحفي » إلا إذا كان البساط أكثر من أحمدي والرجل من أهل البيت ، بل من عظام الرقبة !

وفي النص العربي : « قال لي الاثنان إنهما فرغا الآن من كتابة برقية بتوقيعهما إلى « جون فوستر دلاس » مؤداها « أنه لم يبق مجال لترك هنري بايرود سفيراً في القاهرة » ووضعها بين مزدوجين دليل النقل الحرفي . أما في الطبعة الانجليزية فقال : « وجدتهما يعدان برقية لدلاس ، وكانا متحفظين على محتوياتها ولكن قرآ لي الفقرة الأولى منها وهي أن بايرود . . الخ ص ٧٨ خ .

وتخيل صحفياً أمريكياً يدخل على مدير المخابرات المصرية ، فيجده يكتب برقية فيقول له : ماذا تكتب ؟ ويرد الآخر : مش حاقولك . . سر . .

لازم تقول

مش قادر أقولك . .

لحسن أخاصمك . .

طيب أقرأ لك حتة . .

أية مهانة لعقول قارئيه . . وأيهما أكثر غرابة . . روايته هذه أم رواية مصطفى أمين عن بايرود وبرقية العدوان الإسرائيلي . . على الأقل السفير الأمريكي كان له مصلحة في تحذير مصر من عدوان إسرائيلي فلا يستغرب إطلاعهما على البرقية بطريقة أو أخرى ؟!

م[10] ـ لطش « هيكل » هذه الملاحظة ، ولكنه وقع في خطأ فادح عندما حولها إلى سيناريو ، فقال : إن عبد الناصر اتصل به كعادته في السادسة « صباحاً » وقال له إنه سمع خبر الإنذار من لندن نقلاً عن الأسوشيتدبرس (٣٦٤ ع) والخبر كما نرى من رواية كوبلاند لم يخرج من واشنطن إلا الحادية عشرة صباحاً أي السادسة « مساء » في القاهرة فكيف سمع به ناصر في السادسة صباحاً ؟!
قصص وحكايات !

م[11] ـ وإذا كان تحويل ناصر لمصر من سوق للسلاح الغربي إلى سوق روسي قد احتاج للعدوان الإسرائيلي وباندونج ومسرحية صفقة السلاح فإن الاتفاق الروسي ـ الأمريكي في ١٩٧١ على إطلاق يد روسيا في ليبيا مقابل طردهم من مصر ، وبالتالي تحويل القذافي من ألد عدوّ للشيوعية وروسيا إلى يساري وأكبر زبون للسلاح الروسي ، لم يتطلب أكثر من غمزة عين من الأمريكان فانقلب الأخضر أحمر ، وبلا مقدمات ، وكأنه إنسان آلي !

م[12] ـ ويبدو أن المعارضة الصليبية لتصنيع السلاح عربياً مازالت مستمرة ، ومن جهات عديدة بعضها يعي ماذا يعارض ولماذا يعارض ، وبعضها عن جهل أو دوافع خاصة ، وإذا كان لي شرف تبني والدفاع عن هيئة التصنيع العربية في أحلك الظروف ، حتى أصبحت كتاباتي هي المرجع الذي يسطو عليه من أراد الدفاع عن صناعة السلاح العربية في مصر بعد الهنا بسنة ! فقد تصديت للمعارضين الجدد وفيما يلي واحد من المقالات التي كتبتها للرد على الوزير السابق وأحد أكبر المدافعين عن ناصر . . الحاج « أمين هويدي » الذي مهما فعل أكن له محبة خاصة . .

الرد على هويدي

تألمت أشد الألم من هذا القول الذي نسب للحاج أمين هويدي وزير الحربية الأسبق . حتى فزعت منه إلى الكذب كما يقول المتنبي . متمنياً لو لم يكن هو قائله وانتظرت طويلاً لعله يصحح أو يكذب هذا الذي نسب إليه في صحيفة التجمع ضد صناعة السلاح في مصر . . وفي النهاية لم أجد بداً من أن أرد حتى لا تتسبب سمعة الحاج هويدي الطيبة في دعم رأي خاطيء وحملة مشبوهة الاتجاه ! مفضوحة الدوافع ، تستهدف منع مصر وبالتالي العرب من إنتاج السلاح . هذا الإنتاج ـ الذي كما قال أمين هويدي نفسه ـ هو : جوهر الاستقلال . . وقبل مناقشة موضوع هذه التصريحات التي انتزعت انتزاعاً من العسكري السابق الذي لا شك في وطنيته . تجدر الإشارة هنا إلى هذا النوع من الإكراه الذي يقع على المفكرين المصريين فيجبرهم على ترديد فكر المنحرفين ، أو حتى تبنيه ، وذلك من خلال الخطة الخبيثة التي وضعها السادات ومستشاروه من رجال المخابرات الأمريكية بفرض نماذج معينة على العمل السياسي في مصر ومنحها وحدها ترخيص أو احتكار تمثيل التيارات واحتكار اصدار الصحف المدعومة من الدولة واحتكار تراخيص الأحزاب . . ومن ثم يستغلون حاجة الشرفاء المشروعة للتعبير في أي منبر لفرض آرائهم المنحرفة عليهم ! فقد سأل المحرر ، الوزير السابق عن رأيه في تصريحات وزير الدفاع الحالي عن نجاح مصر في إنتاج بعض الأسلحة . . وعلى الفور أجاب الرجل الإجابة المتوقعة من أي مصري وطني شريف عاش مآسي احتكار السلاح وما جرته على العرب منذ قال لورانس في الحرب العالمية الأولى : اعطوا العرب البنادق فقط ولا تمكنوهم من المدافع وبذلك يبقى القرار لنا . . إلى أن « كسر الروس قلب عبد الناصر . . » بنص تعبير الزعيم الشيوعي شوان لاي ـ إذ ماطلوه وأذلوه وأجبروه أكثر من مرة على ترك مسئولياته هنا بعد هزيمة ١٩٦٧ للسفر إليهم يستجديهم بعض ما تغدقه أمريكا على إسرائيل ! واشتراطهم عليه إعادة « علي صبري » معززاً مكرماً بعدما كان قد قرر تصفيته وأعد له كميناً وضبطه متهرباً من الجمارك بشحنة من السجاد الصيني الفاخر أتى بها من الخارج ، مما جعل سياسياً صينياً يسخر منا قائلاً : لقد قدمنا للمصريين كل مساعدة ممكنة ولم نبخل عليهم بسر ولكنهم يرفضون اطلاعنا على الدور الخطير الذي يلعبه السجاد الصيني في حرب الاستنزاف !

قال أمين هويدي بالحرف : « بالطبع نحن نمتلىء فخراً وعزة وكرامة حين ننتج أسلحة من صنع بلدنا لنقاتل بها . . ذلك أن تصنيع السلاح يعني تحرير القرار السياسي ويعني الاكتفاء ذاتياً من الأسلحة والذخائر ، ثم هناك الحافز الاقتصادي . فالإنتاج المحلي أقل تكلفة وهو يعوض النقص في ميزان المدفوعات ويتيح فرصاً أفضل للعمالة » .

هذه هي الإجابة العفوية والواعية لوطني شريف ولكن الذين سلمتهم حكومتنا الصحافة والأحزاب ، وحرمتها على الوطنيين لا ترضيهم هذه الإجابة ، ولا سعوا إليها ، ومن ثم يستمر المحرر (غير المعروف ولعله ينتحل اسماً حركياً ومن حق مثله أن يتخفى) . . يستمر في اعتصار السيد أمين هويدي حتى ينتزع منه تصريحاً بمعارضة إنتاج السلاح إذ سأله : وهل الاقتصاد المصري مهيأ لذلك فعلاً . . ؟ ويتنازل الوزير عما سبق أن قاله فيقول إن إنتاج السلاح ينقسم لثلاثة أقسام من ناحية التكنولوجيا ويحدد نوع التكنولوجيا التي تقتحمها مصر بأربعة عوامل رئيسية (يقفوا اتناشر !) هي وجود قاعدة صناعية ضخمة وقاعدة تكنولوجية عالية ووجود تمويل كافٍ وإمكانية التسويق والتصدير وعلينا ألا نتعجل أمورنا فلا نبدأ خطوة إلا بعد أن نكون قد أقمنا القاعدة الوطيدة حتى لا ننتكسُ » .

وإلى هنا فلا بأس فهي مبادىء وإرشادات من مرتبط بالتجربة الناصرية وما فيها من تكسات وأكاذيب وقد كنا نظن أنها بنت القاعدة الصناعية وطمحت إلى إنتاج الصواريخ فإذا به يثبت بطلان ذلك ويشفق علينا من خطوة متعجلة . . ولكن المحرر المسعور ضد إنتاج مصر للسلاح يبادر فيصرخ مهللاً :

- أفهم من هذا أنك ضد تصنيع الدبابة والطائرة في مصر ؟

تأمل السؤال الذي لا يمكن أن يصدر عن مصري . . فهو ليس ضد بعض الأخطاء ولا ضد ممارسات أو أسلوب بل هو ضد مبدأ « إنتاج » مصر للدبابة أو الطائرة من أساسه وبالطبع الصاروخ والمدفع إلا إذا كان يفرض علينا إنتاج أسلحة دفاعية فقط وكأنه ممثل الحماية البريطانية أو الوصاية الامبريالية الجديدة أو خليفة لورنس ! فهو ضد تصنيع السلاح في مصر . .

هنا كنت أتمنى أن يسكت أمين هويدي وهو أضعف الإيمان ولكنه انزلق وراء المحرر فقال أو نُسب إليه لا أدري : « بالطبع . . إلا إذا توافرت لدينا الإمكانات اللازمة لذلك وإلا فإن ارتباطنا بدولة المنبع وهي الولايات المتحدة سيكون وبالاً علينا وستصبح كإسرائيل مجرد ذبابة في بيت العنكبوت (. . !!) ولا تنس قضية التسويق ذلك أن سوق السلاح العالمي خاصة منتجات الدول الصغرى المنتجة للسلاح مثل إسرائيل والأرجنتين والبرازيل وتايوان تعاني من كساد حقيقي بسبب انهيار الاقتصاد العالمي . . إن دخولنا في صناعات سلاح مشتركة مع أمريكا يزيد من تبعيتنا ويفقدنا حرية قرارنا الاقتصادي والسياسي » .

نحن إذاً أمام موقف مبدئي يعارض من الجوهر إنتاج الدبابة أو الطائرة في مصر وليس خلافاً على التفاصيل أو الأسلوب أو الشريك أو شروط المشاركة . . لا . . إنهم يعادون الفكرة والمبدأ من الأساس وللأسف جروا الرجل الفاضل معهم !

وإذا كنت سأتعرض للاعتراضات المثارة ضد صناعة السلاح العربي في مصر إلا أنني لا أستطيع إلا أن انتهز فرصة الشهر المفترج ، فأدعو أن يتقبل الله من الحاج هويدي وأنا أعرف أنه طاهر القلب

والسلوك أن يتقبل منه فنصبح فعلاً مثل إسرائيل قول : انشا الله ياحاج !

إذا كنت سأبدأ باعتراضات السيد أمين هويدي ضد صناعة السلاح تلك التي استصرحته إياها صحيفة المتجمعين إلا أنه من الضروري التنبيه إلى أن الاعتراض على تصنيع السلاح في مصر يصدر من جهات شتى عالمية ومحلية ، وهي رغم ما بينها من تناقضات وعداوات إلا أنها تجمع على موقف واحد هو الإصرار على إفشال وتدمير محاولة مصر خرق الحصار الامبريالي الغربي والسوفيتي وتحرير الإرادة السياسية العربية أو المسلمة بتحطيم احتكار السلاح التحطيم الفعلي لا الشعاراتي وذلك بإنتاجه وليس استيراده ، ولم تكن مصادفة أنه فور إعلان مصر عن نجاحها في إنتاج الدبابات أن تنشر العديد من الصحف بشرى انتهاء عصر الدبابة ! وكأننا نتنجها لنبيعها لروسيا وأمريكا ؟! ولو استسلمنا لهذا المنطق فإن كافة أنواع السلاح المعروفة لا قيمة لها في حرب الكواكب أو السموات التي تتسابق إليها الدولتان الأعظم !

قال وزير الحربية الأسبق إنه لابد لقيام صناعة سلاح من أربعة عوامل رئيسية هي :

وجود قاعدة صناعية ضخمة ووجود تكنولوچية عالية وتمويل وتسويق .

وبالطبع فإن هذه العوامل لازمة لمعظم الصناعات أو على الأقل العوامل الثلاثة الأخيرة ، فحتى إذا أرادت شركة الشريف طرح شباشب بلاستيك في السوق فلابد أن تدرس التكنولوچيا والتمويل والتسويق !

إلا أننا نقول إنه بالنسبة لشرط القاعدة الصناعية والتكنولوچية فهو من قبيل وضع العربة أمام الحصان ، وهو من الشروط المعجزة التي يطرحها أعداء تصنيع شعوب العالم الثالث لنشر اليأس وإعطاء الحجة للمثبطين والفاشلين . . إذ أنه لا يمكن تعلم السباحة إلا في الماء ولن تحصل على القاعدة الصناعية إلا ببناء المصانع وإدارتها وهذه القاعدة الصناعية لا يشترط أن تبدأ أولا في الصناعات السلمية بل بالعكس ، قد يكون طريق التصنيع وامتلاك القاعدة الصناعية الضخمة هو الانطلاق من صناعة السلاح فلا شك أن السلاح هو أكثر الصناعات تطوراً وأكثرها استيعاباً للتكنولوچيا الحديثة ولاشك أن الناصريين يذكرون كيف أنتجت مصانعنا الحربية في عهد عبد الناصر البوتاجازات والثلاجات فالمصنع الذي يستطيع إنتاج طائرة أو سيارة مدرعة لن يعجزه إنتاج سيارة أتوبيس والعامل الذي يحسن إنتاج موجه الصواريخ لن ينتج البطاريات المصدية التي تنتج حالياً ، وصناعة السلاح لعوامل عديدة أسهل في تجميع إرادة وطنية خلفها وفي توفير التمويل اللازم . ويفترض أن إدارتها أكثر جدية وتصميما على استيعاب التكنولوچية المتقدمة لأن الإهمال أو الخطأ فيها قاتل ومن ثم فإن مباشرتنا إنتاج السلاح يعني أننا نبني فعلا القاعدة الصناعية ونكتسب أحدث التكنولوچيا العالمية ، هذا إذا كنا سننتج حقاً سلاحاً للاستعمال والبيع وسيجرب في حروب فعلية . والحمد لله أن إنتاجنا قد جرب في أشرس حرب عرفتها المنطقة ونجح رغم تمنيات وتشنيعات أعداء استقلال مصر أو استقلال صناعة السلاح العربية . وقد استطاعت إسرائيل والصين والهند والبرازيل اقتحام عصر الصناعة من خلال إنتاج السلاح وقد أذاعت الأنباء في هذه الأيام إن إسرائيل تحتل الآن المرتبة الثالثة في الدول المصدرة للسلاح بعد الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة . . ولكن على قدر أهل العزم تأتي العزائم ولو انتظر الإسرائيليون حتى يضمنوا القاعدة الصناعية الضخمة والسوق والتمويل لانتهى بهم الحال إلى الكتابة في صحيفة التقمم . . ولو

اطمأنت الصين للمساعدة الأخوية للاتحاد السوفيتي وقبلت نصيحته المسمومة بالكف عن إنتاج القنبلة الذرية لأن الأخ الأكبر يمتلكها فلا حاجة لتبديد الموارد . . لكانت قد تمزقتها الدول مرة أخرى ولكنها قطعت علاقاتها مع روسيا وتحملت كل العقوبات التكنولوجية والاقتصادية والسياسية والتخريبية ووسط حصار عالمي شامل من الغرب والشرق أنتجت قنبلتها وسلاحها بلا قاعدة صناعية ضخمة مسبقة ولا تكنولوجيا بارزة وإنما إرادة صادقة وفكر حر غير عميل . .

طرح وزير الحربية الأسبق مشكلتي التمويل والتسويق كعقبات تمنع مصر من إنتاج السلاح وتثبت خطأ حكومتها في محاولة هذا الإنتاج وأذكر هنا أنني عندما طرحت مطلب تصنيع السلاح في كتيب : « ماذا يريد الشعب المصري » وكان خطاباً مفتوحاً للرئيس الراحل السادات ، كتبته فور إعلان وفاة الرئيس الأرحل جمال عبد الناصر . وقلت فيه : إن تحطيم احتكار السلاح يكون بإنتاجه وليس باستيراده ومن ثم لابد أن ننتج السلاح وأن ذلك كان ممكناً منذ الخمسينيات . وفور نشر الكتيب تصدى لنا مراسل مجلة حوار وهي المجلة التي كشفت تحقيقات الكونجرس في الولايات المتحدة أنها صدرت بترتيب وتمويل من المخابرات الأمريكية ـ تصدى لنا قائلاً : إن الدعوة لإنتاج السلاح في مصر أو العالم العربي ليست إلا نكتة سخيفة ! ونحن نضيف أنها أيضاً ثقيلة على قلب المخابرات الأمريكية والروسية والناطقين باسمها وكما أن الروس كان هدفهم منع تسلح الصين ـ كما أشرنا ـ رغم الروابط « الأخوية والعقائدية » ! فهم أيضاً ضد تسلح أية دولة إسلامية ، وهم لم يتورعوا عن تقديم إنذار امبريالي وقح لباكستان يوم ٢١ يونيو الماضي (١٩٨٦) يقولون فيه : إن إنتاج باكستان قنبلة ذرية يشكل خطراً على جنوب الاتحاد السوفيتي لا يمكن أن يقف هذا الاتحاد السوفيتي أمامه مكتوف اليدين . . ولماذا لا تكون الترسانة النووية السوفيتية خطراً على شمال باكستان ولماذا لا يحتج الاتحاد السوفيتي على قنبلة الهند . . إن قنبلة باكستان التي لم تولد بعد ، خطر على من هند واحد من مفاعلاته العالم كله ! تماماً كما كانت طوابي الأسكندرية خطراً على أمن حكومة لندن في عام ١٨٨٢ . والاتحاد السوفيتي هو العدو الأول لأية محاولة لظهور قوة إسلامية مستقلة قوية لأن مستعمراته الإسلامية هي التي تكون ما يسمى بالاتحاد السوفيتي ولو تحررت هذه المستعمرات لما بقي إلا الروسيا الفقيرة في كل شيء والمستنكرة في أوروبا وذات التاريخ الدموي في آسيا . . من هنا نفهم معارضة الروس وعملاء الروس لأي تطلع إسلامي لامتلاك صناعة السلاح . . أما أمريكا فمصالحها وارتباطاتها مع إسرائيل تجعلها بالطبع تتخذ نفس موقف الاتحاد السوفيتي . ومن خلال سيطرة الدولتين على العالم العربي كان التفكير في إنتاج السلاح من المحرمات ولا يخطر ببال . . إلا أنه حدث ذات يوم في لحظة صفاء عربي نادر وبعكس كل القوانين التي تحكم تصرفات العرب وارتباطاتهم ، حدث أن اتخذ الملك فيصل والرئيس السادات القرار التاريخي بإنشاء صناعة السلاح العربية ، وسارع بعض العرب بالمساهمة بينما تربص بها بعض المستعربين والقوى الامبريالية العالمية ، وفي مقدمتها إسرائيل بالطبع . ولاشك أن المشروع كان سيحل مشكلتي التمويل والتسويق وإذا راجعنا الأرقام الفلكية التي أنفقها العرب على شراء السلاح لعرفنا أن مشكلة التمويل لا توجد إلا في الضمائر والنوايا ، أما المال فهو نهب بين مصانع السلاح العالمية وبعضها إسرائيلي وبين السماسرة والمختلسين ! وما أنفق على شراء السلاح بل حتى عمولاته كان كافياً لبناء صناعة سلاح عربية من الدرجة الأولى . . إلا أن المتربصين بصناعة السلاح العربية

سرعان ما وجدوا فرصتهم في « كامب دافيد » فاتخذوا أغبى قرار في التاريخ العربي وهو الانسحاب من هيئة التصنيع العربية وحاولوا سحب أرصدتهم فيها ، لولا أن صمدت مصر ولم تبخل بالمال كما لم تبخل بالدم من قبل واستمرت الصناعة ويمكن القول الآن والكامب يمتد ليشمل الكثير غير مصر ، فلم تعد المقاطعة مقبولة عملاً بالمثل القائل لا تعايرني ولا أعايرك والكامب أو الهم طايلني وطايلك . . وبعد أن عاقب الله العراق التي تزعمت حملة مقاطعة مصر بغياً وعدواناً بل رياء عاقبها بأن كانت أول مستفيد من صناعة السلاح التي قامت في مصر . . وبعدما اقتنع ذوو النوايا الحسنة أن مقاطعة مصر كانت لصالح أعداء العرب أقول أصبح الجو مهيئاً للأمل في استعادة التمويل العربي وخاصة بعد أن تأكد نجاح التجربة وبعد أن نؤكد لهم أنها مربحة وأنه يمكن حتى صرف عمولات فيها ! وقد سمعنا أن دولة عربية وقعت اتفاقاً مع البرازيل للتعاون في إنتاج الأسلحة الصغيرة كما ستمول الدولة العربية التجارب البرازيلية لإنتاج صاروخ برازيلي بحر ـ بحر ينافس الصاروخ الفرنسي exocert وكذلك إنتاج البرازيل لقواعد إطلاق الصاروخ « استروس » والدبابة « أوسوريو » ٤٢ طناً وطائرات التدريب توكا . تو . . أي باختصار دولة عربية ستمول صناعة السلاح البرازيلية ونحن على ثقة أن هذه الدولة أكثر رغبة وأسرع تلبية لتمويل صناعة السلاح المصرية بل العربية في مصر ، إذا مازالت المعوقات وشرط أن نؤمن نحن أولاً بصناعتنا وأن نسكت تلك الأصوات المخربة التي تحاول تفليس هذه الصناعة لإبقاء العرب تحت رحمة العسكرية الإسرائيلية والاحتكار الدولي للسلاح . أما عن التسويق فالمفروض أن تكون فرصة مصر العربية المسلمة الأفريقية ، أكبر في تسويق سلاحها من إسرائيل الغربية والمعادية لذلك كله . . انطلاقاً من فلسفة : « جحا أولى بلحم ثوره » وهو الشعار الرائج في الخليج منذ الستينيات أو من واقع الإيمان بالتضامن العربي الإسلامي الأفريقي أو من ناحية الاطمئنان لمعاملة الأخ ونصيحته أو حتى من الناحية التكنولوجية البحتة وأشير هنا إلى ملاحظة ذكية قالتها صحيفة أمريكية في معرض إطلاق نفير الخطر ضد صناعة السلاح العربية إذ قالت بالحرف : « إن مصر تنتج أيضاً أسلحة ذات تكنولوچيا منخفضة وهي التي تحتاجها الدول النامية » وهذا صحيح ويذكرني بما قيل في تحليل هزيمة باكستان أمام الهند ، فقد قال المحللون إن من بين أسباب الهزيمة أن الطائرات الأمريكية التي كان الباكستانيون يستخدمونها كانت أكثر تطوراً أو تقدماً من الطائرات السوفيتية التي يستخدمها الهنود ولذلك كان الهنود أكثر تحكماً في طائراتهم . .

ولا شك أن الدول النامية لا تضع في خططها الحرب مع الدول العظمى ، وهي إن حاربت هذه الدول فلن تعتمد على التكنولوچيا في الانتصار عليها ومن ثم فهذه الدول النامية تحتاج للسلاح لأمنها الداخلي وتحسباً للمنازعات مع جيرانها وأيضاً لصد محاولات الدول العظمى التدخل في سيادتها من خلال تحريض وتسليح قوة إقليمية ، أي دولة أخرى من دول العالم النامي ومن ثم فالسلاح المصري أو العربي المصنع في مصر يسد هذه الاحتياجات . .

أما قول الوزير السابق : « ولا تنس قضية التسويق ذلك أن سوق السلاح العالمي خاصة منتجات الدول الصغرى المنتجة للسلاح تعاني من كساد حقيقي بسبب انهيار الاقتصاد العالمي » ! قوله هذا دليل على طهارته وأنه لم يصفق في الأسواق مثل أبي هريرة رضي الله عنه وأنه أيضاً مثله

لا يفهم في الاقتصاد المعاصر ! فالسلاح ليس كرافتات ارجنتس ولا بارفان تنكمش سوقه وتستغني عنه الدول في فترات انهيار الاقتصاد العالمي ، بل لعلنا لا نذهب بعيداً إذا قلنا إن تجارته تروج وتنشط في تلك الأزمات الاقتصادية لأسباب عديدة ، لعل بعض العاملين في الصحيفة التي استصرحته مازالوا يذكرونها .

إن محاولة التشكيك في جدوى صناعة السلاح المصري تحت ستار مشاكل التمويل والتسويق يمكن أن تشل أية رغبة في دخول مجال التصنيع ، فنفس الحجج يمكن إثارتها ضد أية صناعة بل هي ضد الصناعات السلمية أقوى منطقاً إذ يمكن القول : من الذي سيشتري منسوجاتنا والولايات المتحدة وبريطانيا تطالبان بفرض حماية جمركية داخل حدودهما ضد إغراق المنسوجات القادمة من الصين وهونج كونج وتايوان لأسواقهما ؟ ومن الذي سيشترى سياراتنا وأمريكا عاجزة عن منافسة السيارات الصغيرة اليابانية بل حتى الكورية داخل أمريكا . . الخ فمن يريد الهروب من الحتميات المصيرية لا يعجزه المبرر ، ولكن الدول التي تقرر شق طريقها في الغابة الدولية تعرف أنه لابد من إنجاز المستحيل . خذ مثلاً صناعة السلاح في البرازيل التي لا يستحون من الاستشهاد بها وكأن البرازيل كانت أكثر تقدماً من مصر في الخمسينيات . . وإنما ساق الله إليها عسكرا وطنيين بنوا اقتصادها وصناعاتها وزاحموا بها العالم المتقدم ، ونحن ابتلانا الله بالناصريين الذين لا صنعوا ولا يريدون لمصر أن تصنع الآن . . صناعة السلاح البرازيلية بدأها منذ عشرين سنة مغامر من الهواة في قصة أشبه بفيلم سينما وهو « جوسيه لويزو ريبيرو » الذي عندما صمم أول دبابة برازيلية حملها على سفينة شحن استأجرها من قبرصي وطاف بها على موانى العالم يحاول تسويقها ! وطوال الرحلة كان القبرصي بياع البسطرمة يحاول إقناعه بعبث المشروع ، وأن الحل الأمثل هو إلقاء الدبابة في البحر والنصب على شركة التأمين وقبض البوليصة . . ولكن البرازيلي رفض منطق البلطجية المتخلفين حتى وصل إلى طرابلس في ليبيا وعقد أول صفقة سلاح وكان ذلك في عام ١٩٧٣ واليوم تحتل البرازيل المركزالسادس بين الدول المصدرة للسلاح وليبيا مازالت في مركزها بين المستوردين والمستهدفين للمغامرين . . والمرء حيث يضع نفسه وكذلك الأمم . . وحجم صادرات البرازيل في عام ١٩٨٥ من السلاح : ألف مليون دولار وهي تنتج حالياً مقاتلات نفاثة بسرعة تفوق سرعة الصوت وطائرات تدريب ، ودبابات خفيفة وثقيلة وزوارق حراسة وقنابل وألغاماً . . وذخائر صواريخ وأطقم إطلاقها وكلها مصنعة في البرازيل أما الهاوي الذي رفض إلقاء دبابته في البحر فيمتلك الآن صناعة يعمل فيها عشرة آلاف عامل وأحدث تحدياته دبابة تزن ٤٢ طنا يتنافس بها الدبابة الأمريكية M - 1 (وهذا يعزز رأينا في أن جوهر مشكلتنا هو استبعاد القطاع الخاص صاحب المبادرات والفعاليات والاقتصاد العلمي) نجحت البرازيل واليوم يتسابق العرب على الشراء منها . . أما الذين يريدون الانتظار حتى تمتلك قاعدة صناعية ضخمة فلن يروا في بلادهم إلا قاعدة للروس أو الأمريكان ومن يدري ربما أسوأ من ذلك وأكثر مذلة (قامت محررة صحفية بلطش هذا الجزء من كتابنا : « قيام وسقوط امبراطورية النفط » وقد رفعنا الأمر للقضاء) .

والحمد لله أن وهب الله مصر رجالاً من نوعية أخرى قرروا إنشاء صناعة السلاح والمضي فيها ، وقد كتبت منذ ما يقرب من ثلاث سنوات أقول : إن صناعة السلاح المصرية وصلت إلى ما يسمونه

مرحلة الانطلاق ، وإن القوى المعادية بدأت تتخوف منها فقد كتبت صحيفة أمريكية بتاريخ ١٨ نوفمبر ١٩٨٤ تقول : « المصريون سيصبحون أكبر منتج للسلاح في الشرق الأوسط . فهم يشترون خطوط إنتاج كاملة من الشركات العالمية لإنتاج الأسلحة الصغيرة والذخيرة ومدافع المورتر والميدان وطائرات الهليكوبتر حتى قال سمسار سلاح فرنسي : ربما خلال خمس سنوات سنحمل حقائبنا ونرحل نهائياً من الشرق الأوسط . لأن المصانع المصرية ستسد حاجة السوق . وقال « سيرج داسو » ابن مارسيل داسو مصمم الميراج « إن المشاريع المشتركة مع مصر تشكل استثماراً ناجحاً . وأنه يعمل حالياً في مشروع مشترك للدفاع الجوي . يعتمد على مدفع مصري (سوفيتي الأصل وأدخلت عليه تحسينات مصرية ـ وقد وصفت صحيفة التقدم هذا العمل بأنه غير أخلاقي !!) . « والكترونيات جوية وأجهزة رادار . ورغم أن مصر تقيم مشاريع مشتركة لإنتاج أسلحة متطورة مع أكبر وأشهر مصانع السلاح العالمية إلا أنها ـ تقول الصحيفة ـ تنتج أيضاً أسلحة ذات تكنولوجية منخفضة وهي التي تحتاجها الدول النامية » (اتلانتا جورنال) وهذا ينقلنا لحديث المشاريع المشتركة ، ولكن قبل أن ننتقل لحديث المشاركة والتبعية ننبه إلى نغمة يروجها البعض في الإعلام العربي هي الدعوة « لإنشاء » صناعة سلاح عربي !! وهم بالطبع لا يجهلون أنها أنشئت فعلاً منذ أكثر من عشر سنوات . . وإنما الهدف هو استغلال أمل الشعوب العربية واللعب على النزوات الإقليمية والمصالح الخاصة لإفشال الفكرة من أساسها ، ولأن الله لا يستحي من الحق نقول للعرب ولكل من يعنيه الأمر إنه لا إمكانية لقيام أية صناعة سلاح إلا في مصر وبالمصريين ولكن لنا الله إذا كان المصريون هم الذين يشككون في قدراتهم . . حقا من بيت أبي ضربت !!

نختم حديث السلاح بالفرية السمجة التي يرددها أعداء التصنيع وهي الزعم بأن إنتاجه في بلادنا يزيد من تبعيتنا !! وربما كان هذا هو السبب الذي جعلهم يقتصرون على نصف شعار : « من الإبرة للصاروخ » فأنتجوا الإبرة ونسوا الصاروخ خوفاً من أن تزداد تبعيتنا للروس لو طالبوهم وقتها بإثبات أنهم يختلفون عن الامبرياليين الغربيين وأنهم مع تصنيع الشعوب بأن يبنوا في مصر ومع مصر مصنعا للصواريخ تحمي سماءنا ، وقد أعطوا هم الروس حلم عمرهم بالدخول في الشرق الأوسط وكمحررين للشعوب . . ! ولأن جهدهم في تحطيم احتكار السلاح اقتصر على شرائه فهم يهاجمون تصنيعه اليوم . إذ صرح السيد أمين هويدي أو استصرح بأن : « دخولنا في صناعات سلاح مشتركة مع أمريكا يزيد من تبعيتنا ويفقدنا حرية قرارنا السياسي والاقتصادي وقد يصل بنا إلى ما وصلت إليه إسرائيل والعياذ بالله ! التي وصفها بأنها ذبابة في بيت العنكبوت الأمريكي (ويبدو أنه قرأ تحليل مصطفى محمود عن العلاقات العائلية في بيت العنكبوت) !!

وقول الوزير كان يمكن ترديده في عصر قالت النكتة عنه : إن المصريين فيه كانوا يخلعون أسنانهم من أنوفهم لأنه لا أحد يجرؤ على فتح فمه . . أما وحرية القول مكفولة فهو قول بلا أساس فلا أحد يقول إن الدولة التي تنتج سلاحها في مصانع على أرضها وفي إطار سيادتها الوطنية ومتناول قواتها المسلحة والشرطة العسكرية بل حتى الأمن المركزي لا أحد يقول إنها أكثر تبعية ـ بسبب مشاركة أمريكا ـ من الدولة التي تستورد سلاحها في صناديق من أمريكا ذاتها !! لا . . لا . . واسمح لنا ياحاج أمين وأنت تعلم أننا لا نكن لك إلا كل احترام وامتنان لما سلف لك من يد عندنا ، ولكن كما قيل نحبك ونحب مصر أكثر ، اسمح لنا أن نصف هذا القول بأنه من النوع الذي يدفع المثقفين إلى

الكفر بشرف الكلمة . فالمشاركة في إنتاج السلاح في مصر لا تحرر الإرادة المصرية السياسية والاقتصادية مائة بالمائة كما نريد ولكنها لا تزيد التبعية أبداً بل تنقصها بنسبة ما يتم تصنيعه داخل البلد الصغير .

وكل الصناعات الثقيلة أو العالية التقنية (التكنولوجيا) في الدول النامية لابد أن تبدأ بنوع من المشاركة مع الدول المتقدمة فحتى لينين زعيم البلاشفة أنشأ صناعة نفط مشتركة مع يهودي أمريكي هو صاحب شركة أو كستندال وكل صناعات اليابان وألمانيا الحديثة نشأت بمشاركة مع الاحتكارات الأمريكية ثم زاحمتها إلى حد الموت والإفلاس . فالشركات الكبرى في الدول المتقدمة تحاول تصدير التكنولوجيا للبلدان المتخلفة بحثاً عن العمل الرخيص وهرباً من الضرائب وقوانين ونقابات العمال في بلادها وكنوع من إغلاق السوق في وجه المزاحمين وأحياناً لخفض نفقات التجارب فتنشأ المشروعات المشتركة وبالطبع تفكر الدولة المتقدمة في السيطرة والربح ومنع الدولة الصغرى من كسب كل المعرفة والخبرة ، ولكن هذا الصراع طبيعي ومفهوم ومصيره يتوقف على جدية ووطنية الشعب والمسئولين في الدولة الصغرى وعلى الصيغة التي تتم بها المشاركة بحيث تحقق أكبر عائد للدولة النامية وأسرع استيعاب للتخلص من الشريك الذي ما من شراكته بد .

أما قول الصحيفة على لسان محررها إن السلاح الذي تبيعه مصر الآن هو من السلاح السوفيتي القديم فأظن أن هناك خطأ في الترجمة ، فالعالم كله يعرف أنه لم يتبق لدينا الكثير من السلاح السوفيتي فقد سلم بالكامل مرتين لإسرائيل ، وهكذا أصبحت إسرائيل كما تؤكد جميع المصادر أكبر مصدر للسلاح السوفيتي وارد مصر تسليم سيناء عامي ١٩٥٦ و ١٩٦٧ ـ الشاحن : جمال عبد الناصر ـ عامر وشركاه « لا يمتد » أبداً بإذن الله ووعي الشعب .

م[١٣] ـ الروايات الأمريكية والمصرية تقول إن أحمد حسين ذهب إلى دلاس ومعه تعليمات بقبول كل الشروط التي قد يعرضها أو قد يطالب بها الوزير الأمريكي . ورواية أمريكية أخرى تقول إن أحمد حسين قال مازحاً للوزير . . « إذا لم تدفعوا ، الروس جاهزين . . فانفعل الوزير الخ » .

غير أنه لا يجوز تحميل « أحمد حسين » وحده مسئولية « ابتزاز » الأمريكان فقد صرح عبد الناصر لصحيفة نيويورك تايمز في أبريل ١٩٥٦ بأنه إذا رفض الغرب تمويل السد العالي فإن مصر ستضطر بكل تأكيد إلى الموافقة على العرض السوفيتي لتمويل هذا المشروع » حمروش : مجتمع عبد الناصر ص ٧٨ وهناك أكثر من محاولة من هذا النوع .

م[١٤] ـ ص ٧٣ وفي الحقيقة فإن إسرائيل هي وحدها التي استفادت من قرار مصر الاعتراف بالصين وفقاً لما قاله هيكل نفسه فقد قال بالحرف الواحد : « وكان رد دلاس على قرار مصر بالاعتراف بالصين الشعبية أن صرح لفرنسا بإعطاء إسرائيل ثلاثة أسراب من أحدث طائرات « الميستير » التي كان إنتاجها يتم في فرنسا لحساب حلف الأطلنطي وعلى نفقة الولايات المتحدة » هيكل ص ١٠٢ قصة السويس . وفي الوثائق التي نشرت حديثاً ما يفيد أن « كافري » توقع في يناير ١٩٥٤ أن يعترف عبد الناصر بالصين الشيوعية وألمانيا الشرقية إذا تأكد أننا لن نقدم له مساعدة اقتصادية .

م[١٥] ـ وهنا وقفة مهمة ، فإن « هيكل » بإحساس : « يكاد المريب يقول خذوني » توقف عند الإشارة لتمويل الروس المشروع ودق على صدره مندهشاً وقال لم يكن تمويل روسيا مطروحاً بعد فكيف فكر دلاس في ذلك ؟ ومن النظرة الأولى تبدو دهشة مصطنعة وسؤالا ساذجاً . . فمنطق الأحداث يؤكد أن الروس يقفزون كلما تراجع الأمريكان وهذا واضح في صفقة السلاح . . ومن ثم لا غرابة أن يتوقع دلاس تقدم الروس بعد انسحابهم من تمويل السد . . بل أنتم تزعمون أن سفيركم نفسه هدد بالذهاب للروس ! . .

ولكن الأمر أعمق من هذا ففي الوثائق التي نشرت قبل تأليف هيكل لملفاته . . والتي ثبت اطلاعه عليها ، وثيقة كانت كافية لإعفائه من هذه الدهشة وهذا السؤال . . وهذه هي الوثيقة ولأمر ما غفلت عينه عنها :

وثيقة رقم ١٢٨٢
من السفير في مصر (كافري) إلى وزارة الخارجية (الأمريكية)
القاهرة ١٢ فبراير ١٩٥٤ الساعة الثانية مساء

٩٠٢ سري

مصدر مصري موثوق به أبلغ بصفة سرية جداً مسئولاً بالسفارة (هذا التعبير كما علمنا هيكل يقصد به رجل مخابرات يتنكر وراء وظيفة بالسفارة : انظر بين الصحافة والسياسة . ج) إن وزير التجارة السوفيتي ، قدم للبعثة المصرية الاقتصادية التي كانت في موسكو (١٦ يناير ١٩٥٤) عرضاً مغرياً لمساعدة مصر في بناء السد العالي . وقد أبى المصدر أن يقدم تفاصيل ، ولكنه أبلغ أن الروس كانوا من الذكاء بحيث جعلوا العرض رهناً بموافقة عبد الناصر الشخصية ، وقد عاد عضوان من البعثة المصرية إلى القاهرة لنقل العرض لناصر بينما انتظرت بقية المجموعة في موسكو . وقال المصدر (الجاسوس المصري الذي يبلغ السفارة . ج) الذي كان حاضراً عندما قدم العضوان تقريرهما

لناصر . قال إن الأخير (ناصر . ج) استمع لهما بانتباه وحماسة لتفاصيل العرض الروسي . . وبعد سماع المندوبين ، علق ناصر : هذا مثير . . ولكن يجب علي أن ألقي القبض عليكما لأنكما رجعتما شيوعيين . وأعطى عبد الناصر أمره باستبقاء العضوين في القاهرة ، على أن تعود البعثة بمعلومات كاملة عن المقترحات الروسية التي ستلقى تقديراً دقيقاً (رئيس البعثة حسن رجب) . أما مبلغنا الذي هو شخصياً يعارض أي نشاط سوفيتي في مصر فقد أكد شكوك حكومة مصر في مقاصد الروس وأحابيلهم إلا أنه قلق على أية حال ، لأن العرض الروسي يبدو مغرياً » .

مين ياترى الذي أبلغ الأمريكان بالعرض الروسي في فبراير ١٩٥٤ ولماذا يندهش « هيكل » من معرفتهم في يونية ١٩٥٦ ؟!

هل من فتى من عضوي الوفد اللذين أبلغا عبد الناصر هذه الواقعة يستجمع وطنيته ويخبرنا من هذا الذي كان حاضراً مقابلتهم ! . .

م[١٦] ـ وهذا عرض « هيكل » لفكرة السد كيف تطورت :

« مشروع السد العالي فكرة نادى بها ودعا إليها خبير زراعي (زراعي ؟! ج) يوناني اسمه « دانينوس » وقد قدم مشروعه إلى بعض وزراء الأشغال في مصر قبل الثورة ، ولم يلتفت إليه أحد . . وبعد الثورة قدمها إلى مجلس الثورة فحولت إلى جمال سالم ثم دعا ناصر دانينوس إلى لقائه واستمع منه إلى عرض تفصيلي عن المشروع » ! ص ٢٧٩ ع .

خبير زراعي

وجمال سالم

ثم عرض تفصيلي من خبير زراعي جريكي لمدرس بكلية أركان حرب ! . .

وعلى ضوء ذلك تقرير سد النيل وإغراق النوبة ومنع الفيضان وحبس الطمي . . وتعليق بحيرة فوق رأس مصر في عصر الصواريخ .

م[١٧] ـ رفضه كبار المهندسين المصريين مثل « عثمان محرم وعبد العزيز أحمد » فحوكم الأول بتهمة الإفساد وأسقطت الجنسية عن الثاني !

الفصل الثامن

روسي وأمريكي ع الدفة !

« تأخر الغزو البريطاني يوماً كاملاً بسبب تعرض ومضايقات الأسطول السادس . . »

« الانحدار للسويس ! »

ويبدأ « المفتي » رحلته مع بريطانيا على طريق السويس ولا يفوته أن يحكي لنا قصة « سلوين لويد » وطرد جلوب . . والنبأ الذي وصل إلى « سلوين لويد » وهو يتناول العشاء مع عبد الناصر مما جعله يظن ـ وهو غبي حقاً ـ أن عبد الناصر كان على علم بالنبأ بل وقته توقيتاً ليصل إلى سلوين ما بين الاسكلوب بانيه ، والسلطة ، وكأن الأردن محافظة مصرية . . ما علينا من غباء سلوين لويد . . رواية هيكل تتضمن « معلومة » غريبة وخطيرة . وهي أن عبد الناصر نفسه كان آخر من يعلم . . بل إن سلوين لويد والسفارة البريطانية والعالم كله أحيط خبرا بإقالة « جلوب » إلا عبد الناصر !؟[12] .

هذا ما يقوله « هيكل » الأمين على تراث الزعيم . . فقد دخل سكرتير السفارة البريطانية ، بل اقتحم العشاء اقتحاماً ، ودس ورقة في يد السفير البريطاني الساعة التاسعة مساء ، ودسها هذا في جيبه بعد أن قرأها وأصبح واضحاً على وجهه وحديثه أن أمراً خطيراً قد وقع . . ثم انصرف السفير والوزير البريطاني ، وكل هذا الذي حدث لم يلفت انتباه عبد الناصر ليسأل أحد معاونيه ـ إيه يا جماعة اللي حصل . . اسألوا الوكالات يكون في خبر . . وإلا اسألوا أقسام البوليس تكون أم السفير ماتت ؟!

أبداً . . وفق رواية هيكل لم تتحرك شعرة استفهام في رأس الزعيم !

بل توجه عبد الناصر إلى فراشه ونام قرير العين عن شواردها . . حتى أيقظه هيكل ـ ومن غيره يوقظ الغافل ؟! ـ في الساعة التاسعة من صباح اليوم التالي .

التاسعة ؟!

ـ عندي خبر يجنن ياريس ياكبير القلب . . عارف جلوب بتاع الأردن . .

ـ ماله ؟ أو اشمعنى . . ؟!

. . إلخ ما يمكن أن يتضمنه سيناريو مسرحية هزلية حول تلك الصورة البشعة التي يقدمها هيكل عن الزعيم الذي كانت أبرز مميزاته هي « المعلومات » وخاصة من هذا الطراز ! . .

والذي كما تجمع كل الروايات لم يكن ينام قبل أن يسمع جميع إذاعات العالم ولكن في رواية هيكل نجده معزولاً .

لا سفارة تبلغ ؟!

ولا ملحق عسكري ؟!

ولا مخابرات ؟

ولا مراسل صحفي ؟!

ولا أحد يسمع راديو ترانزستور . . فالخبر كان قد أذيع من جميع محطات العالم وبجميع اللغات حتى السواحلي . . والزعيم لا يدري حتى يبلغه هيكل الذي بدوره سمعه من مراسل « رويتر » في مصر ! الذي اتصل بهيكل يطلب تعليقاً على الخبر ولم يخطر بباله أنه لا هيكل ولا سيده قد سمعا بالخبر . . ؟!

« أن يظل المصري غائباً عن الوجود الحضاري . . الخ * »

وهكذا كانت تحكم مصر . . وتقود العالم العربي !

دعنا من هذا الهذر ولننتقل إلى حديث يبهج النفس حقاً :

الاجتهادات حول الوقت الذي طرأت فيه فكرة تأميم القناة على خاطر عبد الناصر كثيرة ومتباينة ، ومتفاوتة الذكاء والإسفاف أيضاً ، ومن هذا النوع الأخير زعم « هيكل » أنه هو الذي أوحى لسيده بتأميم القناة ، على الأقل إن الفكرة خطرت لهما في وقت واحد ! وإليك رواية هيكل .

استيقظ محمد حسنين هيكل صباح ٢١ يوليو وقناة السويس في رأسه ، الحمد لله وليس شرم الشيخ . . وإلا لأعاد مجد الإسكندر !

« واتصلت به (الهاء تعود على عبد الناصر . ج) تليفونياً في غرفة نومه ، وكانت الساعة الثامنة والربع صباحاً وتبادلنا حديثاً عادياً مما يتبادله الأصدقاء في الصباح (من طراز أكلت إيه امبارح يا حمادة ؟ جبنة وبطيخ ياجيمي . . معرفش ليه رجلي بتنمل . عاملين إيه الأولاد . . ياصبر أيوب ! ج) **ثم قلت له : « إنني فكرت طويلاً فيما تستطيع أن تفعله إزاء القرار الأمريكي وقال (اللي هو عبد الناصر . ج) : وهل توصلت إلى شيء ؟**

وقلت : هل تذكر ما كنت تقوله عن انتظار فرصة ملائمة للتقدم فيها بطلبنا للمشاركة والحصول على نصف دخل . . الخ » .

وهو بذلك يقلد « مايلز كوبلاند » الذي ادعى في كتابه أنه اقترح تأميم القناة قبل عبد الناصر في تمثيله دور عبد الناصر في قصر « لعبة الأمم » .

وأغلب الظن أن « عبد الناصر » وصل للقرار عقب سحب تمويل السد العالي وما أحاط

---

* نص عبارة هيكل عن خطط وأماني إسرائيل لمصر .

به من صورة قاتمة ، إذ اعتبر في الدوائر « المعنية » قراراً بسحب الثقة من عبد الناصر ، وأن أمريكا لا يمكن أن تعامله بهذا الشكل إلا إذا افترضنا أنه حالة ميئوس منها أو كما صور هيكل الموقف بأنه بعد « سحب تمويل السد العالي جاءت النهاية وأوشك الستار أن ينزل على قصة عصر عبد الناصر وصعوده في الشرق الأوسط » .

وهذا بالطبع فهم أو تصور له أسبابه الخاصة ، وهو الاعتقاد بأن النظام مسنود من الأمريكان ، وإلا فإن الشعب المصري لم يكن يربط بين عبد الناصر والسد العالي ، فهو ليس مهندساً ، أو وزيراً تبنى مشروعاً مائياً ويسقط وينتهي عصره بفشل المشروع ؟!

عبد الناصر الذي احتفل قبل شهر بخروج آخر جندي بريطاني ، لماذا يسدل الستار عليه لأن أمريكا ترفض تمويل واحد من مشاريعه ؟!

ومهما يبدو ذلك غريباً الآن ، فقد كان الشعور وقتها في أوساط أنصاف السياسيين في الخارج والمتنفذين في مصر والعالم العربي . . إن الأمريكان قرروا فعلاً إسقاط عبد الناصر[3] ، وأنهم قادرون على ذلك باعتبار دورهم في ظهوره واستمراره . وكان لابد من إجراء « دراماتيكي » يجبر إدارة المسرح على استمرار رفع الستار ، ويبقي المتفرجين في مقاعدهم بمنطق الممثلين . الذي يحكي به هيكل .

والدليل على أن القرار كان مفاجئاً أنه لم تكن هناك دراسات جادة لردود الفعل الممكنة في بريطانيا وفرنسا . . وأن عبد الناصر كان قد وقع اتفاقية جديدة مع شركة قناة السويس قبل شهر واحد تتضمن اعترافاً بشرعية الشركة ولو كان الهدف هو التغطية لأمكن للوفد المصري إطالة المفاوضات حتى يصبح قطعها حجة للتأميم . . ولم يكف سلوين لويد عن استخدام هذه الاتفاقية للتأكيد بأن مصر لا تحترم اتفاقياتها ، وتستخدم منطقاً تبريرياً في اتهام الشركة . . يتناقض مع موقفها من شهر واحد . . الخ[4] .

ولكننا إذ نقول إن القرار كان مفاجئاً وابن وقته ، وكرد فعل على سحب تمويل السد العالي ، فإننا نؤكد أن الفكرة ذاتها ، كانت دائماً في رأس جمال عبد الناصر ، وكانت على رأس قائمة المنجزات التي حلم بتحقيقها حتى قبل أن يصل إلى السلطة .

فما من مأساة كانت تعتصر قلب الطالب المصري ، مثل قصة قناة السويس ، وماجرى فيها من غبن وتغفيل واستغلال لمصر .

وإلى ما قبل هزيمة ١٩٦٧ . . لم يكن هناك ثأر يحلم به المصري ، مثل انتزاع القناة من المستغلين الذين حفروها بأموال ودماء المصريين وأجسادهم حقيقة لا مجازاً . . ثم استولوا عليها مجاناً وبأسلوب لصوصي يكفي لدمغ تاريخ أوروبا والغرب كله بالعار . . حتى إسماعيل باشا بدأ تاريخه السياسي بشعار أريد « القناة لمصر لا مصر للقناة » ففي هذا الوقت المبكر ، وقبل أن يتم حفر القناة وقبل أن تقبض الشركة منها جنيها واحداً ، كان واضحاً أن

القناة هي نزيف في قلب مصر تنزح منه ثروتها واستقلالها وسيادتها ، ويكفي أن تعرف أن القناة عند التأميم كان دخلها حوالى ثلاثين مليون جنيه استرليني ، حصة مصر منها مليون واحد والباقي لبريطانيا وفرنسا وأخلاط الأوروبيين ، بل كانت القناة في قلب مصر والسفن البريطانية والفرنسية تدفع الرسوم في لندن وباريس !!

وكانت الشركة تتصرف كمؤسسة استعمارية عنصرية استعلائية تعيش في القرن التاسع عشر ، كل جهازها الإداري من الجنس الأبيض ، تتفاوت مراكزه بتفاوت بياضه ، وعند القاع فئة خاصة من المصريين . . وبعدما قامت حركة الجيش ، واستولى الضباط على الحكم ، بل وباتوا في فراش الأميرات . . استمرت شركة قناة السويس تمنعهم من دخول نادي شركة قناة السويس كسائر المصريين ! لأن شعب القناة دون مستوى المالطيين والكورسكيين العاملين بها ! ويروي كتاب مجتمع عبد الناصر أن قائد معسكر الجيش المجاور لشركة القناة اضطر لإرسال جنوده يسبحون عراة بجوار نادي الشركة ، ففزع المسئولون هناك وسمحوا لهم بالاشتراك في النادي[1] ، ربما بعدما اجتازوا امتحان كشف الهيئة !!

كانت نموذجاً للامبريالية في أبشع صورة وما كان يمكن أن تستمر لحظة واحدة في بلد مستقل ، بل كان تأميمها يقترن دائماً في خاطر الحركة الوطنية بتحقيق الجلاء .

وفي السنوات التي سبقت عبد الناصر طرح شعار التأميم في عدة مصادر :

١ ـ منشورات فتحي الرملي وهو اشتراكي من الرواد المصريين ومن أوائل الذين تنبهوا إلى خطورة التغلغل اليهودي في الحركة الشيوعية المصرية . . فكان جزاؤه الإقصاء التام من المجري العام لهذه الحركة ، وإبعاده عن الصحافة ما يزيد على ربع قرن بتهمة الشيوعية في نفس الوقت الذي كان فيه سكرتير الحزب الشيوعي متربعاً في كرسي الوزارة !

٢ ـ برنامج الحزب الاشتراكي بزعامة أحمد حسين .

٣ ـ برنامج الحزب الشيوعي المصري الصادر عام ١٩٥٠ .

٤ ـ كتاب « الجبهة الشعبية » لمحمد جلال كشك الصادر عام ١٩٥١ والذي حكمت المحكمة بمصادرته لدعوته إلى قلب نظام الحكم القائم وقتها . . ثم كان من حيثيات تقديمه للنيابة وتوقيفه لمدة عامين في عهد « الثورة » !

أما « مصطفى الحفناوي » فلم يطرح أبداً مطلب التأميم . ولما بلغه عبد الناصر بالقرار أصابه الهلع وقال لعبد الناصر : « إنه يسمع بأذنيه أزيز الطائرات التي ستهجم علينا »[2] .

على أية حال كان أبعد نظراً أو أصدق توقعاً من عبد الناصر . ولكن عبد الناصر كان أكثر وطنية وأجدر بالزعامة عندما اتخذ قرار التأميم .

تأميم القناة . . إذن ، كان مطلباً وطنياً مصرياً ، بل وعلى رأس الأماني المصرية . . وعبد الناصر كان مصرياً وطنياً وقائداً وزعيماً عندما اتخذ هذا القرار ، الذي لا ينتقص من شأنه ، الغزو الأنجلو ـ فرنسي . حتى ولو انتصر الغزاة واستردوا القناة ، بل واحتلوا مصر ،

لفاز عبد الناصر بمكانة وتقدير المصريين « لأحمد عرابي » ـ على الأقل ـ فالوطنية ليست جائزة تمنح للمنتصرين وحدهم .

ولا ينتقص من قدر عبد الناصر أنه كان متأكداً من دعم الأمريكيين؟[٥] ، أو حتى كان على اتفاق معهم ، فإن الزعيم الوطني مطالب بالتحرك في ظل مظلة دولية لصالح وطنه ، تزيد احتمالات الانتصار وتقلل حجم الخسائر؟[٦] .

وقد دبرت عملية التأميم بإحكام ، وأخفيت عن الأطراف المعنية أي الشركة والانجليز والفرنسيين ، ونفذت بإبداع ودون خسائر على الإطلاق ، وأديرت ببراعة فائقة بعكس توقعات المخرف الانجليزي الذي جعل بريطانيا تراهن بعض الوقت على عجز المصريين عن إدارة القناة . . ونلاحظ أن عملية الاستيلاء على شركة القناة ومكاتبها ومعداتها وإدارتها تمت بإشراف ضابط مهندس لا من مجلس قيادة الثورة ولا من الضباط الأحرار البارزين ولا من الجهاز الحاكم . . ولأمر ما لم يعهد عبد الناصر بمهمة بهذا الحجم للقوات المسلحة تحت إشراف عامر وشمس كما سيعهد لهما بعد ذلك بالأوتوبيس ! ولا إلى كمال الدين حسين أو بغدادي أو حسن إبراهيم . . وإنما اختار واحداً وقعت عينه عليه بالصدفة خلال « حفل افتتاح خط أنابيب البترول بين السويس ومسطرد يوم ٢٣ يوليو ! . . » وكان اختياره موفقاً وياليته عرف من هذه التجربة أن الكفاءات الحقيقية توجد « أيضاً » خارج الصفوة المختارة !

ياليته اختار ضابطاً بمحض الصدفة وكلفه قيادة معركة سيناء . . إذن لكانت النتيجة أفضل ! إذ يستحيل أن تكون أسوأ مما حصل !

ومرة أخرى يعزز رأينا في أن « القرار » وليس الفكرة كان ابن يومه ، ومفاجئاً وأنه لم تتح الفرصة لدراسته دراسة كافية . . إنه لم تتخذ إجراءات مثل سحب جانب مهم من الأرصدة المصرية في بريطانيا وأمريكا . . (١١٢ مليون جنيه استرليني في بريطانيا + ٦٠ مليون دولار في أمريكا تم تجميدها فور التأميم *) وكان يمكن إصدار الأوامر إلى أربع مدمرات مصرية بالخروج من المواني البريطانية حيث كانت وحجزتها الحكومة البريطانية بعد التأميم .

وعلى أية حال هذه تفاصيل ، ويمكن القول أن الحرص على المفاجأة كان يستلزم المخاطرة بالمال والسفن حتى ولو لم يكن سحبها يثير حتما شكوك الانجليز لأن الجو كان متوتراً ولم يكن يخطر ببالهم فكرة التأميم .

والقضية التي سننتقل إليها الآن ، هي إثبات دور « الكارت » الأمريكي في نجاح عملية التأميم وهزيمة بريطانيا وفرنسا . . فقد خاضت الولايات المتحدة كما سنرى « معركة » ضد بريطانيا وفرنسا على جميع المستويات وراء الكواليس وأمام منبر الأمم المتحدة ، وفي المؤتمرات الصحفية وفي اجتماعات حلف الاطلنطي ، وفي المظاهرات الانتخابية ، وتعاونت مع

---

* أكد « هيكل » ذلك عندما زعم أن عبد الناصر قال للقيسوني في اجتماع يوم التأميم « تقدر تسحب حاجة ياقيسوني . . قال حا حاول »

الاتحاد السوفييتي لأول مرة منذ قيام إسرائيل ، تعاوناً مثيراً . ولكن لا يجوز أن نحمل التناقض الأمريكي ـ البريطاني ، وحده ، الفضل في النصر المصري ، ولا أن يكون هذا الدور الأمريكي سبباً في انتقاص دور القوى المحلية الوطنية . . فهذه التناقضات بين الدول الكبرى هي مجرد عامل مساعد ، مهما كانت أهميته ، أما النتيجة الحاسمة والدائمة فتقررها العوامل المحلية . . فالتناقض العالمي لا ينصر من لا يريد أن ينتصر . .

كان لابد من شجاعة عبد الناصر أو مخاطرته ، لاتخاذ القرار بالتأميم ، وكان لابد من كتمان الأمر عن الانجليز والشركة . . ثم كان لابد من نجاح الإدارة المصرية في تسيير القناة في الفترة ما بين التأميم والغزو . . ولو حدث أن تعطلت الملاحة أو سُدت القناة ، أو انهارت الإدارة الجديدة ، لضعفت الأوراق المصرية ، بل ولضعف موقف أمريكا .

ولو حدث أن سقطت الإسماعيلية والسويس أو ظهرت في بور سعيد ومنطقة القناة حركة عميلة متعاونة مع الغزاة ، أو لو وقع انقلاب في القاهرة ، وقد كان ذلك ممكناً جداً وأعضاء مجلس الثورة يهربون أولادهم ، وخياراتهم ما بين ابتلاع السم أو التسليم للسفارة البريطانية !! لو حدث ذلك لانهار كل شيء ، ولأسقط في يد الأمريكان ، ولاضطروا ـ كما كان الانجليز يخططون ـ لقبول الأمر الواقع ، أي قسمة جديدة للشرق الأوسط بشروط أفضل للانجليز والفرنسيين والكف عن « طردنا من المنطقة قبل الأوان » * .

ولكن الوطنية المصرية العريقة ، تسامت فوق أحزان ومآسي وأخطاء وتنكيلات أربع سنوات وكشفت عن معدنها الأصيل في اللحظات المصيرية ، والتفت حول عبد الناصر ، حول مصر التي كان يمثلها عبد الناصر في تلك اللحظة . ولم تهتز شعرة في مصري والطائرات تضرب القاهرة ، والمظليون يهبطون في بور سعيد . والمصريون يرون أحداثاً من خارج عالمهم . . وغزواً تقوم به أضخم امبراطوريتين . . وقوات دولتين كان اسم احداهما يثير الرعب في آسيا وأفريقيا ، وإنذار منها يكفي للاستسلام ! .

فالاعتماد على القوى العالمية ، أو وضعها في الحساب ، ممكن ، بل وضروري أحياناً ، شرط أن يكون واضحاً أن الكلمة الحاسمة هي للقوى الذاتية أو المحلية .

وبنفس القوة لا يجوز أن نزور التاريخ ونتعامى عن الحقائق ، مما يؤدي إلى الجهل والتجهيل ليس فقط بتاريخنا بل لحسابات المستقبل . . ومن ثم فعندما يصر هيكل على أن أمريكا كانت الشريك الرابع لبريطانيا وفرنسا وإسرائيل « في معركة القناة . . » وهو من هو . . علينا أن نتحسس رؤوسنا ونتساءل ماذا يقصد . . ؟ وماذا يريد فعلاً أن يُخفي بهذا التزوير المفضوح . . ؟

---

* كما حدث في البوريجي حيث كانت القوة المحلية أضعف من أن تقدر على مواجهة العمل المسلح البريطاني .

إن عداء أمريكا لمصر وإضرارها بمصر أكبر وأوضح من أن يحتاج لتزوير ويكفي دورها في قلب انتصارنا الوحيد على إسرائيل في عام ١٩٧٣ إلى هزيمة . . وإن كل مصري قتل منذ ١٩٦٧ إلى كامب ديفيد قتل بدولار أمريكي وسلاح أمريكي وربما يهودي أمريكي مرخص له بالقتال في جيش إسرائيل مع الاحتفاظ بجنسيته الأمريكية ، وأن المواطن الأمريكي تقتطع من ضريبته أية مبالغ يتبرع بها لجيش إسرائيل الذي يقتل المصريين ، ويسد طريق مستقبلهم ، بل ويدمر فرصتهم في هذا المستقبل .

نحن لا نحتاج إلى تزوير التاريخ إذن لنكره الاستعمار الامريكي . . ولكن « هيكل » وأمثاله يريدون أن يخفوا حقيقة يفزعهم ظهورها وهي أن المصالح الأمريكية والروابط الأمريكية كانت موجودة وملتقية ومتفقة مع السياسة الناصرية في الفترة من ١٩٥٢ وربما إلى ١٩٦٥ بدرجات متفاوتة ، ومع استمرار تباعد محوري التلاقي ، الذي بدأ ملتحماً في ١٩٥٢ ووصل ذروة التعانق في ١٩٥٦ في معركة القناة . . ثم بدأ في الانفراج والتلاقي المضطرب إلى أن تمت القطيعة في ١٩٦٥ .

أما فريق الماركسيين فهم يريدون من ناحية تغطية خطيئة تعاونهم بل فنائهم في النظام الناصري ، ومن ثم يزعجهم الاعتراف بأنهم حلوا تنظيماتهم استجابة لمطالب نظام بدأ مع الأمريكان . . كما يرون ـ عن حق ـ أن إبراز الدور الأمريكي في معركة القناة ، يقلل من أسطورة الإنذار الروسي ، ومن التأييد الحقيقي الذي قدمه ، الاتحاد السوفييتي لمصر والذي لم يكن ليحقق أكثر من الذكرى الطيبة لولا الموقف الأمريكي ، ومن ثم فهم يخفون الموقف الأمريكي لأسباب روسية .

وهكذا نرى مؤلف مسلسل « ثورة ٢٣ يوليو » يتحلى بحياء العذراء الحامل وهو يحلل الموقف الأمريكي قائلا : « ولكن السياسة الأمريكية لم تكن تجاري حدة الرغبة الفرنسية والانجليزية في الوصف (هكذا وربما كانت صحتها العنف العصف وفسدت من الاضطراب في نفسية الكاتب وهو يعرف أنه غير صادق مع نفسه أو عاجز عن فهم الموقف ج) بجمال عبد الناصر لاقتراب موعد الانتخابات الأمريكية وحرص ايزنهاور على عدم الدخول في مناورات تعرض موقفه الانتخابي للضعف » .

ما تأثير عبد الناصر في الانتخابات الأمريكية ؟!

بالعكس إن جميع الدراسات والتحليلات تؤكد أن ايزنهاور خاطر بتحدي قوى لها وزنها في الناخبين بتأييده عبد الناصر في معركة القناة . . ومعارضة بريطانيا وفرنسا . . وإسرائيل بالذات .[٩٢] . ومازال يضرب به المثل ، على أن « اللوبي اليهودي » ليس بالقوة الحاسمة في الانتخابات الأمريكية ، ـ كما هو الشائع ـ إذا ما وجد رئيس أمريكي قوي ، يتبنى مصالح أمريكا الأساسية والحقيقية . . تلك المصالح التي كانت تتفق تمام الاتفاق مع طرد بريطانيا وفرنسا من المنطقة في ذلك الوقت . وقد راهن ايزنهاور على « أصحاب المصالح الحقيقية »

الذين كانوا مع انتزاع القناة من الاستعمار القديم كتصفية أخيرة لهذا الاستعمار في شرق البحر الأبيض وإزالة سيطرته على ممر حيوي عالمي ، وممر أساسي للنفط الأمريكي ـ الخليجي .

ويظهر تهافت محاولات هيكل عندما يحاول تفسير الموقف الأمريكي بأنه كراهية شخصية بين دلاس وايدن فيقول : « كان ايدن لا يثق بدلاس ، بل كان يكرهه ، وكان الشعور بين الاثنين متبادلاً » .

ولن نقول إن سياسة الدول الكبرى لا توجهها الأمزجة الشخصية * . بل سنقدم الأدلة على أن دلاس بالذات كان أكثر الأمريكيين قرباً للموقف البريطاني ، وأكثرهم تحمساً ضد عبد الناصر وأنه ما أفلت مرة من قبضة « الجهاز الأمريكي » إلا ولخبط السياسة الأمريكية بتعاونه مع الانجليز والفرنسيين !** .

ويعود هيكل فيعلن حيرته :

« كان موقف الولايات المتحدة الأمريكية في مناقشات مجلس الأمن باعثا على الحيرة ، فالولايات المتحدة كانت تتبنى مواقف بريطانيا وفرنسا المعادية لمصر ولجمال عبد الناصر ، ولكنها كانت تحاول إفراغ المواقف من احتمال استعمال القوة المسلحة ، لأن ذلك قد يؤدي إلى تصادم بينها وبين الاتحاد السوفييتي ثم إنه كان يسيء إليها عربيا ودوليا أن تؤيد عملية عسكرية يحركها منطق القرن التاسع عشر ، ويحكمها أسلوب « دبلوماسية مدافع البوارج » .

وهذا تزوير ومحاولة خبيثة لتبرئة ساحة الأمريكان من الأطماع واستعمارية القرن التاسع عشر ودبلوماسية البوارج . . وأي صورة أنبل للموقف الأمريكي من أنه كان منطلقاً من « الحرص على السلام العالمي » ورفضاً لدبلوماسية البوارج !

والولايات المتحدة لم تتردد في المخاطرة بحرب عالمية في كوريا قبل سنوات ، بل وكان الشبح المخيم على عملية التأميم هو الخوف من دبلوماسية البوارج التي استخدمتها أمريكا ضد جواتيمالا . . حتى فقد عبد الناصر أعصابه وصرخ في أحد زواره « هل ستحدثني أنت أيضا عن جواتيمالا » ؟

فأحدث نموذج لدبلوماسية البوارج ومنطق القرن التاسع عشر كان النموذج الأمريكي . . بل كان الانجليز يستشهدون بعملية جواتيمالا كلما حذرهم الأمريكان من دبلوماسية البوارج .

الولايات المتحدة لم تكن تخشى أو تتوقع صداماً مع الاتحاد السوفييتي في مصر ، فلم يكن المطلوب منها أن تتدخل عسكرياً ، حتى تتوقع مجابهة مع روسيا ، بل كان يكفي أن تترك الانجليز والفرنسيين يقومون « بالمهمة القذرة » وما من دليل واحد على أن الاتحاد السوفييتي

---

* انظر أيضا أبحاث « هيكل » حول دور زوجة ايدن وعجزه الجنسي في حرب القناة !!

** أشرنا في فصل السد العالي إلى رأى المخابرات الأمريكية في تعاطف دلاس مع الانجليز .

كان جاداً في استخدام القوة ضد بريطانيا وفرنسا في معركة القناة . . وإنما كان الأمر كله تصعيداً في المواجهة السياسية ، والإنذار السوفييتي إياه لم يقدم إلا بعدما تأكد أن الولايات المتحدة معارضة للتحرك الأنجلو- فرنسي بكل قواها ، بل وبعد أن نجح هذا الموقف الأمريكي في إنهاء العمليات العسكرية . . وهذا كلام عبد الناصر نفسه ولا يفتي هيكل وعبد الناصر في المدينة . . أو هكذا المفروض .

ولو كان الغزو الأنجلو- فرنسي ، يخدم المصالح الأمريكية ، لما ترددت الولايات المتحدة في دفع بريطانيا وفرنسا لاستخدام القوة المسلحة ، ويكفيها الاستنكار أو اتخاذ موقف سلبي لشل الاتحاد السوفييتي ، وهي لم تتردد في استخدام القوة المسلحة في جواتيمالا . . ثم أرسلت البوارج إلى لبنان مع إنذار بتدمير مصر إذا ما تعرضت لسلامة جندي أمريكي واحد ، وأيدت النزول البريطاني في الأردن عندما لاح خطر الوحدة العربية الحقيقية (١٩٥٨) ولم تهتم بمخاطر حرب عالمية ثالثة . ولا نطق الاتحاد السوفييتي بحرف ! فهو يعرف جيداً متى يصمت ومتى يحلو توجيه الإنذارات . ونفس الشيء في حرب ١٩٦٧ والاتحاد السوفييتي يرى انهيار كل استثماراته في العالم العربي ، على يد إسرائيل الغازية وتحت المظلة الأمريكية ، فلم يحرك ساكناً .

هذا المنطق الهيكلي يهدف إلى إخفاء علاقة الناصرية بالأمريكان في هذه الفترة ، ويهدف أكثر إلى تبرئة ساحة الأمريكان من النزعات الاستعمارية . . أما التفسير الصحيح ، فهو أن الولايات المتحدة كانت تريد وراثة الشرق الأوسط بتصفية الاستعمار القديم ، وإخضاعه للاستعمار الجديد ، وما كانت لتسمح بعودة الاستعمار القديم . . وهدم كل ما حققته أمريكا في ١٣ سنة منذ رحلة روزفلت إلى العالم العربي . . وهذا ما قاله شبيلوف لمحمود فوزي : « الأمريكيون يريدون الحلول محل الانجليز والفرنسيين » ؟ وما قاله سلوين لويد « يريدون طردنا من المنطقة قبل الأوان » .

ولكن الفكر المتأمرك والمتمركس يلتقيان في نفي شبهة المصلحة الاستعمارية عن الأمريكان تحت غبار سب الولايات المتحدة واتهامها بالتآمر والخداع . . الخ وفي النهاية نجدها طاهرة الذيل ، عارضت العدوان حماية للسلام العالمي ، أو لأجل كسب انتخابات الرئاسة أو رفضاً لدبلوماسية البوارج . . وينسى الماركسي ما قاله شبيلوف ، ويخفي المتأمرك شهادة سلوين لويد والوثائق الأمريكية ذاتها . .

نقف أولاً أمام نصين من مذكرات « سلوين لويد » يبدو فيهما شديد البراءة أو البلاهة في محاولة مفضوحة لستر الحقيقة . . فهو يعلق على خطاب عبد الناصر يوم التأميم :

« في ٢٦ يوليو بالأسكندرية ، كانت بريطانيا هي الهدف الرئيسي لهجومه ، مع أن أمريكا هي التي وجهت الصفعة . وهذا التركيز على بريطانيا يثبت أن الخطاب كان معداً منذ وقت طويل » .

ويمكن القول إنه كما كان التأميم مجرد تعلة للقرار البريطاني المسبق بضرب مصر وعبد الناصر ، فإن سحب تمويل السد العالي كان أيضا مجرد حجة بالنسبة لقرار التأميم المسبق .

والصدام البريطاني ـ الناصري سابق على التأميم ، وسلوين لويد هو الذي قال « يجب ردع عبد الناصر إذا كنا نريد بقاء نفوذ بريطانيا في الشرق الأوسط وشرق أفريقيا » [4] .

فالقضية لم تكن أسهم بريطانيا في شركة قناة السويس ، بل الوجود البريطاني كله في الشرق الأوسط وشرق أفريقيا . . وعبد الناصر أخرج الانجليز من مصر والسودان ، وسلوين لويد قد نسب لعبد الناصر ـ وهذا صحيح إلى حد كبير دون إغفال الحركة الوطنية الطبيعية المتصاعدة منذ نهاية الحرب العالمية الثانية والتي فجرها قرار حكومة الوفد بإلغاء المعاهدة ، ثم تأميم مصدق للنفط الإيراني ـ كل متاعب بريطانيا ، وكل الإذلال الذي نزل بها من طرد جلوب ، إلى إلقاء التراب في وجه سلوين لويد ، واختفائه في البحرين حتى أمكن تهريبه ليلاً إلى المطار ! . . والسفير البريطاني في مصر كتب لوزير خارجيته (لويد) قبل التأميم يقول : « في حياتي لم أقرأ سباً وإهانة لبريطانيا مثل المنشور في الصحافة المصرية خلال الشهور الأخيرة » .

وسلوين لويد هو الذي قال إن « عبد الناصر هو العدو الأول لبريطانيا » . . وكل عملاء بريطانيا في المنطقة كانوا يجأرون بطلب ضرب عبد الناصر ، وإلا فإن سلطتهم بل حياتهم مهددة بالخطر طالما ظل رعاياهم يسمعون هذا الصوت العربي يسب بريطانيا ويهين حكومتها ، ويسجل عليها الانتصارات ولو بالخطب ويبقى سليماً بل وتزداد مكانته ويخطب وده . . وهم ـ كما يعرف رعاياهم ـ يلعقون أحذية الانجليز .
مستحيل .

ولذلك فإن قرار المواجهة كان سابقاً على التأميم . . والمنطقة لم تكن تتسع لعبد الناصر والاستعمار البريطاني بصيغته القديمة ، وعملائه من طراز نوري السعيد والمنتصر واسكندر ميرزا . . وعبد الناصر كان يعرف أنه لا يستطيع التوقف عن تصفية الوجود البريطاني . . ومن ثم فلا غرابة في أن تكون بريطانيا هي المستهدفة في خطاب الأسكندرية (١٩٥٦/٧/٢٦) وأن تتخذ بريطانيا على الفور قراراً بالغزو . . أي الوصول بالمواجهة إلى الذروة . وصلنا إلى رأي في هذا الموضوع نعتقد أنه يستحق المناقشة سنعرضه في نهاية هذا الحديث .

وهو سلوين لويد الذي قال : « الذين يقولون إن السويس كانت مزلقاً في تاريخنا ، لأننا تصورنا أن بريطانيا تستطيع أن تتصرف عالمياً بإرادتها المنفردة ، يخطئون . فنحن لم نكن نجهل حقيقة وضعنا أما الخطأ الوحيد الذي وقعنا فيه ، فهو أننا لم نتوقع أبداً الإجراءات التي يمكن أن تتخذها الولايات المتحدة ضدنا ، فقد كنا تحت تأثير صداقتنا مع ايزنهاور خلال

الحرب ، ونعتقد أن خلافاتنا تدور في نطاق العائلة ، ولا يمكن أن تصل إلى حد تحطيم الروابط العائلية . . فلم يخطر ببالنا أبداً أن الأمريكان يمكن ألا يقفوا في صفنا أو على الأقل يتخذون موقف الحياد الودي » * .

وقد يبدو وزير خارجية بريطانيا هنا مغفلاً . . وهو الذي يعرف بالانقلابات المضادة التي دبرتها بريطانيا وأمريكا ضد بعضهما في سوريا ، وبالخلاف حول « البوريمي » الذي رفض الانجليز مجرد الحديث فيه ، وفي مواجهة ايزنهاور شخصياً ! . . وهو الذي أشار إلى العداء والتنافس الامبريالي مع الأمريكان في أكثر من موضع كما ترى . . قد يبدو مغفلاً تماماً وهو يتحدث عن « الخلاف العائلي » ولكن الحقيقة ، أن السياسة البريطانية أخطأت الحسابات إذ راهنت على توريط الأمريكان أو فرض الأمر الواقع عليهم . . في ظل قواعد الصراع داخل عائلة « حلف الأطلنطي » أو العالم الحر كما كانوا يسمون أنفسهم ، والتي تقتضي عدم الضرب تحت الحزام ، وحفظ مظاهر « التضامن » .

بريطانيا كانت تعرف أنها تقاتل في حرب القناة ، معركتها الأخيرة للبقاء في المنطقة ومنع الأمريكان من « إخراجهم منها قبل الأوان » والذي تجلى في زيارة روزفلت لمصر واجتماعه بالملك فاروق والملك عبد العزيز ، وملاحقة تشرشل له على نحو كوميدي . . ثم تصريح ترومان عن فتح باب الهجرة لفلسطين ، ثم إخراجهم من فلسطين وسياط اليهود على مؤخرتهم ، وما من قوة كانت تخرج بريطانيا من فلسطين إلا الضغط الأمريكي . . ثم الضغط عليهم لقبول الجلاء عن مصر والتخلي عن السودان الذي كان الانجليز لا يفكرون في قيام حكم ذاتي فيه تحت إشرافهم قبل عشرين سنة ! . . كانت بريطانيا تحلم بضرب أو وقف هذا الزحف الأمريكي بإعادة احتلال مصر ، ووضع الأمريكيين أمام الأمر الواقع ، فيضطرون إلى « الحياد » أو حتى التأييد اللفظي . . في انتظار جولة أخرى . . ولكنهم أخطأوا الحساب ، فالوضع لم يكن بالسوء الذي ظنوه بين الروس والأمريكان . . والولايات المتحدة لم تكن أقل منهم وعياً بخطورة الوجود البريطاني في قناة السويس ، أو بالأحرى مصر . . كما كانت على وعي بضعف بريطانيا وفرنسا ، وعجزهما عن اتخاذ إجراءات انتقامية ضد الولايات المتحدة أو حتى حلف الأطلنطي ، وقد رفض أعضاء مجلس الوزراء البريطاني حتى التعليق على اقتراح سلوين لويد بعد الهزيمة ، بالانتقام من أمريكا ببناء أوروبا المستقلة .

لهذا لم يتردد الأمريكان في العمل علناً على إفشال الغزو البريطاني ، ولم يهتموا حتى بشكليات العلاقة العائلية ؟! . .

وكان هذا من حسن حظ مصر والأمة العربية وعبد الناصر بالطبع . .

أما من ناحية الأمريكان فهم أيضاً في البداية لم يتوقعوا أن تكون ردة الفعل البريطانية بهذا الحجم . . أو كما يقول سلوين لويد : « وفي اعتقادي أنه في ٢٧ يوليو بدا لكثير من الأمريكيين أن (التأميم) مجرد صفعة لمؤسسة استعمارية عجوز . ولم يكن يعنيهم أي إجراء

يحسن وضعنا مع الدول العربية ، أو يدعم مركز فرنسا في الجزائر . . وكان ايزنهاور يكن شعوراً متناقضاً نحو بريطانيا بحكم روابط فترة الحرب ، ومن ناحية أخرى تسيطر عليه كراهية عميقة متأصلة لسجلنا الاستعماري »[٦] .

ورغم مرور ربع قرن فإن الوطني المصري يحس برعشة اللذة وسلوين لويد يبكي . . قائلاً :

« سجل مورفي (روبرت) ـ وهو أكثر دبلوماسي أمريكي استقامة واعتدالاً واتزاناً تعاملت معه ـ في كتابه المناقشات التي دارت في واشنطن يوم الجمعة ٢٧ يوليو بعد خطاب عبد الناصر (التأميم ج) فقال إن دلاس كان في « بيرو » فاجتمع ايزنهاور وهربرت هوفر الابن وكيل وزارة الخارجية ومورفي ، اجتمعوا لبحث ما حدث . وقد كتب مورفي إن ايزنهاور لم يكن مهتماً كثيراً ولم يفكر أحد في أن الأمر يحتاج استدعاء دلاس ، فالشرق الأوسط لم يكن يعتبر ذا أهمية أولوية للولايات المتحدة (؟؟!! ج) والاستثمارات الأمريكية في شركة قناة السويس لا تذكر . . بل كان بوسعي أن أسمع هوفر؟[٩] يقول ذلك (!) . . وتقرر أن يذهب مورفي إلى لندن ليرى ما هذه الضجة ؟ وعلام ؟ . . وليسيطر على الوضع . . » .

« وهكذا بعد ستة أشهر من حواري مع دلاس حول ناصر؟[١٠] والخطر في الشرق الأوسط ، فإن هذه اللامبالاة من جانب ايزنهاور كانت كافية لدفع المرء للبكاء » .

سلامة قلبك ياخواجة لويد . . السياسة هكذا . . قطع قلبه الأمريكان !

ويقدم لنا شوكبرج صورة تثير البكاء حقاً ، للأسلوب الذي عامل به الأمريكيون الانجليز في قضية « ناصر » فقد روي أنه في خلال اجتماع قمة بين ايزنهاور وايدن ، (٣٠ يناير ١٩٥٦) أبلغهم « أنه يفكر في تحريك القوات الجوية والبحرية في البحر الأبيض كرادع لإسرائيل يثنيها عن العدوان . وكان واضحاً أنه يستمتع بذلك . . ثم ناقش رئيس الوزراء وايزنهاور موضوع ناصر وهنا قال الرئيس : جنسه ايه ؟ ناصر ده ؟! » فرد سلوين لويد : إنه طموح يطمع في امبراطورية من الأطلسي للفارسي تحت قيادته . . ورد ايزنهاور : وهل يتوافق ذلك مع رغبة العرب الآخرين . . على أية حال السؤال المهم هو هل ناصر مع السوفييت ؟ لأنه إذا ثبت ذلك فإما أن نساعد إسرائيل أو نساعد العرب الذين لا يحبون مصر . . » .

وتصل الملهاة ذروتها عندما ينتهز ايدن الفرصة ، فيشير إلى خطاب ناصر السيء الذي ألقاه بالأمس ويؤكد أنه رجل يصعب التعايش معه . .

فيرد ايزنهاور : ربما ليس لديه مساعدون أكفاء يراجعون خطبه ! »

ويقول شوكبرج : وساد الصمت !

وهذا الذي يسميه « سلوين لويد » « لا مبالاة أمريكية » بالشرق الأوسط يطرح له « مورفي » تفسيراً آخر ذكره في كتابه « دبلوماسي بين محاربين » عندما قال : « كان ايزنهاور

مصمماً على ألا تستخدم الولايات المتحدة كمخلب قط لحماية امتيازات بريطانيا النفطية » ويعلق سلوين لويد على هذه الفقرة بقوله : « وكان هذا هو الموقف الذي حز في نفوسنا » !!

ويعود فيقول إنه رغم جهوده في توضيح « خطورة عبد الناصر » الذي إذا لم يردع فإنه يستطيع أن ينزل الدمار بمصالح الغرب . « إلا أن ايزنهاور وقتها كان متأثراً بمشاعره المعادية للاستعمار وبتحيز « هوفر » ضد الامتيازات (البريطانية ـ الفرنسية) في الشرق الأوسط » .

وقد اجتمع حلف الأطلنطي وحرصت الولايات المتحدة على عدم الاشتراك فيه على مستوى وزير الخارجية ، بل أرسلت موظفين عاديين ، يقول سلوين لويد إنهم لم يتحدثوا ولا علقوا . . واستطاعت بريطانيا وفرنسا انتزاع قرار من حلف الأطلنطي بعدم دفع الرسوم لمصر والتزم بالقرار بريطانيا وفرنسا (وهما من الأصل يدفعان خارج مصر) وهولندا والنرويج وألمانيا ، ولكن أمريكا نسفت القرار ، فقد رفضت تنفيذه أو الالتزام به ، وأعلن دلاس « أن قناة السويس لا تحتل مركزاً رئيسياً من اهتمام الولايات المتحدة » .

وكان هذا بالطبع أول تأييد علني لعبد الناصر ، ففيه اعتراف بالتأميم ، وفيه تسفيه للهستيريا الأنجلو ـ فرنسية التي كانت تصرخ بأن هتلر مصر وضع أصبعه على القصبة الهوائية للغرب . . إلخ فجاء دلاس يعلن أن أمريكا غير مهتمة بالموضوع بل وسمحت الحكومة الأمريكية لرعاياها بالعمل كمرشدين في قناة السويس المؤممة ، بعدما أمرت الشركة الاستعمارية مرشديها بالانسحاب بأمل تعطيل القناة ، وكانت « مشكلة » المرشدين تصور وقتها وكأنها جوهر المعركة . . وأنها تحتاج لخبرات هائلة يستحيل توفيرها . . وهو تصور ثبت أنه مبالغ فيه ولكنه جعل مصر تطلب من كل أصدقائها إمدادها بالمرشدين ، فجاءوا من روسيا ويوغوسلافيا واليونان . . وأمريكا . . وعمل المرشدون السوفييت والأمريكان « على الدقة » جنبا إلى جنب؟[11] ، وهو تعاون لم يشهد العالم له مثيلاً إلا عند قيام دولة إسرائيل ، ومكافحة شلل الأطفال ! وستتسع دائرة هذا التعاون في الأمم المتحدة والانذارات لحسم مستقبل الشرق الأوسط ، ووضعه تحت هيمنة العملاقين حقاً ، لا تاريخياً !!

وقد تجلت « لامبالاة » الأمريكان في دعوتهم لدفع الرسوم لمصر . . ورداً على هذه « اللامبالاة » اتخذ الانجليز تكتيك « تخويف » الأمريكان وإقناعهم بأنهم جادون في استخدام القوة لإجبارهم على الدعم أو الضغط على عبد الناصر ولما تأكد الأمريكان أن الانجليز (والفرنسيين) مصممون على اللجوء إلى السلاح . . اتبعوا معهم تكتيك كسب الوقت ، على اقتناع بأنه كلما مر الوقت واكتشف العالم أن القناة تعمل كما كانت بالنسبة لدورها كممر عالمي ، وشريان النفط والتجارة لغرب أوروبا ، مع الدعاية الأمريكية والروسية ، والانقسامات الحزبية داخل فرنسا وبريطانيا ، فإن مبررات استخدام القوة ستتناقص وكذلك التأييد لها من قبل الأمن العام الأوروبي . .

وهذا ما يفسر تاكتيكات الطرفين في الفترة من التأميم إلى مجلس الأمن . . مع حرص الأمريكان على تقوية المعارضة لقرار استخدام القوة بالتأكيد على انفصال الموقف الأمريكي وتناقضه مع الموقف البريطاني ـ الفرنسي ، وأيضاً الحرص على دعم موقف عبد الناصر ضد أي ضغوط بريطانية ـ فرنسية . .

« في لندن أبلغهم مورفي أن الرأي العام الأمريكي غير مستعد لقبول فكرة استخدام القوة . وأنه يعتقد أن السفن الأمريكية يجب أن تدفع الرسوم لمصر . . فهي رهينة » .

وينفي سلوين لويد ما يقال عن « نجاح مورفي في كبح جماحنا » . . وهويغالط . . فهولم ينجح في « منعهم » ولكن أخر الإجراء عندما نقل إلى ايزنهاور الجو المحموم في لندن ، والحديث عن الحرب ، وعندها تقرر أن يرسل دلاس إلى لندن فوراً . . وشعر الانجليز بالرضا عن النفس لأنهم نجحوا في « تخويف » الأمريكان وإثارة اهتمامهم . وسجل « ماكميلان » في يومياته يوم ٣١ يوليو ١٩٥٦ : « يبدو أننا نجحنا من خلال إفزاع مورفي ، الذي لابد أنه رفع تقريره بالروح التي أردناها . لأن فوستر دلاس قادم الآن على عجل . وهذا تطور مهم جداً . » وبعدما قابل ماكميلان دلاس كتب في يوميات أول أغسطس ١٩٥٦ يقول : « يجب أن نبقي الأمريكان خائفين ، يجب ألا نترك لديهم أي وهم . . وعندها سيساعدوننا في الحصول على ما نريد دون حاجة لاستخدام القوة » .

موقف إلقاء ماء بارد على الأزمة الذي لجأ إليه الأمريكان في البداية لم ينجح . . وأيضاً لم ينجح الانجليز في إرهاب أو إخضاع الأمريكان ، وإن نجحوا في إثارة قلقهم ، ودفعهم إلى تغيير خطتهم ، فأرسلوا « دلاس » نفسه وبخطة واضحة هي المماطلة وكسب الوقت ، ومنع « الحلفاء » من التصرف أو اللجوء إلى الحل الوحيد الذي يعيد لهم ما فقدوه في الشرق الأوسط . . وهو « دبلوماسية البوارج »

وهذا ما سجله « سلوين لويد » نفسه بعد عشرين سنة عندما قال : « كان واضحاً أن « دلاس » يلعب لكسب الوقت » .

طار « دلاس » إلى لندن يوم ٣١ يوليو ، وحضر في اليوم التالي إلى وزارة الخارجية البريطانية وسلم رسالة « لايدن » من « ايزنهاور » اعترف فيها أنه قد يكون من الضروري استخدام القوة لحماية الحقوق الدولية ، ولكنه يأمل أن يتمكن مؤتمر الدول الموقعة لاتفاقية ١٨٨٨ والدول البحرية الأخرى من تحقيق الضغط المطلوب على المصريين من أجل ضمان كفاءة تشغيل القناة في المستقبل . وأكد على خطأ الإصرار على استخدام القوة في الوقت الحاضر . أما إذا تدهور الوضع إلى الحد الذي يتحتم فيه استخدام القوة ، فسيلزم دعوة الكونجرس قبل استخدام القوات الأمريكية العسكرية . على أن يقتنع الكونجرس بأن كل الوسائل السلمية لحل الصعوبات قد استنفدت . وأضاف إنه فهم من الرسائل التي أرسلها له ايدن وماكميلان أن قراراً باستخدام القوة قد أقر بالفعل من جانب الحكومة البريطانية وأنه

لا نهائي ولا رجعة فيه . ولكنه (ايزنهاور) يأمل إعادة النظر فيه ولذلك أرسل « دلاس » إلى لندن » .

ويضيف « سلوين لويد » : « لم أصدق أن دلاس ، فكر لحظة واحدة ، أننا سنستخدم القوة في الحال ، ولذلك كان تناوله للموضوع معقولاً ، فقد قال إنه لابد أن « يطفح » عبد الناصر القناة التي ابتلعها ، وأنه لا يعقل أن تخضع القناة لسياسة دولة واحدة بدون رقابة دولية . ولابد من اكتشاف وسيلة لإجبار عبد الناصر على تسليم القناة ، ولكن القوة يجب أن تكون آخر وسيلة . وإن كانت الولايات المتحدة لا تستبعدها ، إذا ما استنفدت كل الوسائل الأخرى . . « ولكن لما انتقلنا إلى مناقشة التفاصيل ، كان واضحاً أنه يلعب على كسب الوقت ، فقد كان يعتقد أن المؤتمر سيحتاج لثلاثة أسابيع للإعداد له . ولم يكن يتصور أنه يجب أن ينعقد في لندن أو باريس أو واشنطن . . وكان متشككاً في جدوى إصدار بيان ثلاثي عقب محادثاتنا هذه . أما عن عضوية المؤتمر فكان مصمماً على دعوة الدول الموقعة على اتفاقية ١٨٨٨ إلى جانب آخرين » .

جاء « دلاس » لكسب الوقت والمماطلة ، وهذا يتطلب بالطبع بعض التأييد اللفظي ، وإن كان قد قاوم إلى آخر لحظة إعلان ذلك في بيان ثلاثي ، وكانت « اللعبة » التي جاء بها هي اقتراح مؤتمر لندن ، بأمل أن يستغرق الإعداد له والخلاف حول المقر ، والدول المشتركة ، وبرنامج العمل ، ورئاسة المؤتمر[١٢] . . ثم الخطب بداخله . . ما يكفي من الوقت لتبريد الانفعال البريطاني ، كذلك دق دلاس أو الدبلوماسية الأمريكية ، إسفيناً ممتازاً في المؤتمر بالإصرار على دعوة الدول الموقعة لاتفاقية ١٨٨٨ وهذا يعني ، كما فهم الانجليز ، دعوة روسيا ، التي وقعت هذه الاتفاقية عام ١٨٨٨ بينما كان الانجليز يريدون المؤتمر ـ إذا كان لابد من مؤتمر ـ مقصوراً على الدول الغربية ، أو الدول التي تعتمد أساساً على القناة ، وهذا يستبعد روسيا المؤيدة لعبد الناصر . . وهذا الإصرار الأمريكي على تمثيل روسيا في مؤتمر لندن مؤشر مهم لفهم دبلوماسية المرحلة لمن أراد أن يفهم . .

وإذا كان « دلاس » قد سقاهم من طرف اللسان حلاوة ، بالحديث عن « تطفيح » عبد الناصر القناة والبحث عن أسلوب يرغمه على إرجاعها لهم ! . . إلا أن رسالة ايزنهاور « المكتوبة » كانت واضحة :

١ ـ الرجوع عن قرار استخدام القوة .

٢ ـ هدف المؤتمر والضغوط على المصريين هو ضمان « كفاءة تشغيل القناة » لا إلغاء التأميم ولا « تطفيح » عبد الناصر القناة . . ولا إرجاعها لهم . .

ونجحت الخطة الأمريكية وبدأ الإعداد للمؤتمر ، ولكن الدبلوماسية البريطانية نجحت في تخفيض الوقت الضائع ، بل والخروج من المؤتمر بنتائج أفضل بكثير مما توقع الأمريكان لهم . .

وقد لخص سلوين لويد الانطباع البريطاني حول مؤتمر لندن ، أو اقتناعهم بأنهم كسبوا الجولة ضد الأمريكان بقوله :

« بعد انتهاء مؤتمر لندن جاءني دبلوماسي صديق من دول الكومنولث وسألني . . لماذا تركتم زمام القيادة للأمريكان . . ففتحت عَيْنَيَّ وهمست لنفسي بالمثل القائل : Artest celar artem « أي الفن الحقيقي هو الذي لا يظهر الفن فيه » فالحقائق كانت كالتالي :

« ١ ـ المؤتمر عقد في لندن ، وهو ما كنا نريده ولا يريده الأمريكيون .

٢ ـ توليت رئاسة المؤتمر وهو ما كنا نريده ولا يريده الأمريكيون .

٣ ـ دفعنا دلاس إلى عرض القرار الثلاثي وهو آخر ما كان يفكر فيه قبل عشرة أيام .

٤ ـ وكانت نتيجة المؤتمر قراراً مرضياً تماماً لنا ، وبأغلبية ١٨ صوتا من اثنين وعشرين .

وهذه النتيجة جاءت بفضل جهد كبير في الإعداد والمعالجة الحذرة للوفود (عملت الدبلوماسية البريطانية والمخابرات البريطانية والضغوط في العواصم المعنية والرشوة عملها وأيضاً غموض الموقف الأمريكي أو على العكس ظهور الوفد الأمريكي في مظهر المؤيد للانجليز ولكن أهم ما في عرض وزير الخارجية البريطاني أنه قائمة بما أحرزه من انتصارات على الأمريكان . ج) .

انتهى المؤتمر في ٢٣ أغسطس ١٩٥٦ بما يمكن وصفه حقاً بانتصار بريطاني ـ فرنسي . . بقرار ضد مصر في شكل إنذار تبلغه لجنة دولية تتكلم باسم ١٨ دولة من اثنتين وعشرين ! . .

وسواء قلنا إن دلاس قد سايرهم كسباً للوقت ، فالقرار على أية حال كان للتفاوض وليس بالحرب . . أو أن الدبلوماسية البريطانية استطاعت تطويقه[١٣٢] وزحلقته خطوات أكثر مما تقتضيه لعبة كسب الوقت . . فإن الإدارة الأمريكية سرعان ما أصلحت الموقف ونسفت كل نتائج مؤتمر لندن . .

اندفع « لويد » يضاعف كمية الصابون تحت قدم « دلاس » فأبرق إليه يشكره على معالجته الأستاذية لقضيتنا في مؤتمر لندن ، وأضاف : « تحت قيادتك اعتقد أننا سنحرز المزيد من النجاح » .

كان نجاح بعثة « منزيس » يتوقف على اقتناع عبد الناصر بحقيقتين : أن بريطانيا وفرنسا مصممتان على استخدام القوة . وأن الولايات المتحدة لا تعارض ذلك . . وهذا هو عين ما حرصت الولايات المتحدة على نفيه علناً !

وإليك القصة كما يرويها سلوين لويد :

« اجتمع منزيس بعبد الناصر في ٣ سبتمبر (١٩٥٦) وفي اليوم الثاني في مساء ٤ سبتمبر قدم له منزيس الموضوع باسم اللجنة ، واستمع إليه عبد الناصر . وكان منزيس قد قرأ في الصحف أن عبد الناصر أبلغ قياداته العسكرية أن الحشود الانجليزية والفرنسية هي مجرد تهويش . فطلب منزيس الاختلاء به ، وقال له إنه لا يهدده ، ولكنه يحذره من أنه يرتكب

خطأ فادحاً ، لو استبعد إمكانية العمل العسكري . . ورد عبد الناصر إنه لا يعتبر هذا تهديداً من منزيس وأنه سيضعه في اعتباره . وفي صباح اليوم التالي كانت الصحف تحمل العناوين المثيرة . فقد سئل ايزنهاور في المؤتمر الصحفي عن إمكانية استخدام القوة ، فرفض ذلك بتاتاً وبلا قيد ولا شرط (أي لا حل أول ولا حل أخير . ج) . وسئل ماذا يحدث إذا رفض ناصر المقترحات الحالية (التي قدمها منزيس) قال (الرئيس الأمريكي) : عندئذ يجب تقديم مقترحات أخرى ، وقال نحن ملتزمون بحل سلمي للنزاع ولا شيء آخر . وهذا بالطبع دمر أية فرصة كان يمكن أن تتاح لنجاح مهمة منزيس » .

نجح منزيس في إقناع عبد الناصر أن الانجليز والفرنسيين سيستخدمون القوة ضده ، وأنه يخاطر بكل شيء إذا لم يقبل مقترحات لجنة الـ ١٨ . . ووعد عبد الناصر بالتفكير والرد . .

وعبد الناصر لا يخشى إلا استخدام القوة ، إذ أن أية وسيلة أخرى لن ترغم مصر على تسليم القناة أو إلغاء التأميم أو الانتقاص من فعاليته . . وهنا وقبل أن يتسع الوقت لعبد الناصر للتفكير يهرع « ايزنهاور » إلى مؤتمر صحفي علني ، يبلغ فيه عبد الناصر بل يلتزم فيه أمام العالم أجمع برفض استخدام القوة مهما حدث ، وبالذات إذا رفض عبد الناصر مقترحات منزيس . .

وبالفعل « رفض عبد الناصر مقترحات ١٨ دولة في ٩ سبتمبر واقترح تشكيل هيئة مفاوضات » .

لا يمكن للمؤرخ حسن النية ، أن يستبعد هذا العنصر في إفشال مهمة لجنة منزيس ، وفشل مؤتمر لندن وسقوط المرحلة الأولى من المخطط الأنجلو- فرنسي . وتسمية أمريكا « الشريك الرابع » في حرب السويس ، وأنه كان تقسيم أدوار . . أو خوفاً من حرب عالمية ثالثة ، أو لحماية السمعة الطيبة لأمريكا غير الاستعمارية . . وغير ذلك من حجج العملاء . . الذين يمارسون لعبة ساذجة ، هي مدح أمريكا في صيغة الذم !

إنه صراع لصوص ، ولما اختلف اللصان فازت مصر بالقناة ولا شيء آخر . .

بل تأمل كلمة مندوب الولايات المتحدة في لجنة منزيس أمام عبد الناصر كما أوردها هيكل :

« أريد أن أوضح أن أمريكا ليست دولة استعمارية . وهذه هي سياستنا المعلنة منذ مدة . ولن نقبل الاشتراك في أية خطة استعمارية . وإني متأكد أنه لو شعرت الحكومة الأمريكية أن هذا الحل الغرض منه فرض حل معين على مصر لما اشتركت في هذه اللجنة . وكل ما في الأمر أننا نريد حلاً سلمياً بالمفاوضة يتمشى مع السيادة المصرية » .

ولو راجعت كلمات مندوب أثيوبيا وإيران لوجدت مندوب أمريكا أكثر ثورية . بل لو كان هذا النص منسوباً لمندوب روسيا لما ظهر فيه كبير اختلاف . .

فهو يصنف بريطانيا وفرنسا كدول استعمارية ويبريء أمريكا من هذا الدنس . . ويشير إلى خطط استعمارية وهي التي تحاول فرض حل معين على مصر . . ويعلن أنه يبحث عن حل سلمي يتمشى مع سيادة مصر ولا يشير إلى « حقوق » أو ادعاءات أي طرف آخر ! حتى تحفظ حرية الملاحة الذي أورده مندوب أثيوبيا لم يتمسك به المندوب الأمريكي ولا طرحه !

ويقول « لويد » مرة أخرى والمرارة في فمه إن « ايزنهاور » بعث برسالة إلى « ايدن » يوم ٢ سبتمبر (١٩٥٦) يقول له فيها : يجب ألا يتخذ أي إجراء عسكري قبل استنفاد جهود الأمم المتحدة ، فالرأي العام الأمريكي يرفض بلا مناقشة فكرة استخدام القوة ، وخاصة عندما يبدو أننا لم نستنفد كل الوسائل السلمية التي يمكنها أن تحمي مصالحنا الحيوية . إن استخدام القوة العسكرية ضد مصر الآن قد يترتب عليه نتائج أكثر خطورة من مجرد تجميع العرب حول ناصر » . . ويضيف « سلوين لويد » بأن « ايزنهاور » كانت لديه الجرأة أو إن شئت الوقاحة ليقول في رسالته « إننا لسنا غافلين عن حقيقة أنه قد لا يكون هناك مفر من استخدام القوة » . . وذلك قبل ٢٤ ساعة من وصول « منزيس » إلى القاهرة ليقدم لعبد الناصر أول مقترحات منذ التأميم ، ولكن « ايزنهاور » رغم كل ما قاله (في رسالته لايدن) يقدم على عقد مؤتمر صحفي علني ، يعلن فيه رفض استخدام القوة إطلاقا . وهذا التصريح دفع « عبد الناصر » إلى رفض دراسة المقترحات . وكذا إشارته إلى هيئة المنتفعين والأمم المتحدة . إذ بعد أيام قليلة بدأ « دلاس » يؤخر الحديث عن مجلس الأمن ، ويتراجع عن أي دعم سبق تقديمه لهيئة المنتفعين » .

كما تسلم « لويد » رسالة من « دلاس » قال له فيها « إن الرأي العام العالمي سيتأثر لغير صالحنا بالأنباء التي أصبحت شائعة عن استعدادات عسكرية بريطانية ـ فرنسية وخطط لإجلاء الرعايا » .

« رفض ايزنهاور أن يدعم خطاب دلاس في مؤتمر لندن . ورفض أن يبذل أي جهد لاتهام ناصر بأنه يسعى للمتاعب ، بل خفف عنه الضغط في أحرج لحظة » (لحظة تقديم إنذار الـ ١٨ دولة) .

« لو أن مسئولاً أمريكياً بارزاً أو اثنين تحدثا « لعبد الناصر » خلال وجود « منزيس » في القاهرة لكان ذلك كافياً لنجاحنا . ولكنهم ضللونا بمشروع جمعية المنتفعين وخانونا كما أكد « مورفي » في كتابه » .

أما مشروع هيئة المنتفعين ، فقصته أنه بعد أن أفشلت أمريكا نتائج مؤتمر لندن ومهمة لجنة منزيس ، وأنذرت وحذرت من اللجوء للقوة ، تقدمت بمشروع جديد لكسب الوقت ، وهو جمعية المنتفعين . . أي تشكيل جمعية من الحكومات المنتفعة بالقناة ، تتولى إدارة القناة وتحصيل الرسوم . وهو الاقتراح الذي قيل إن دلاس خرج به من خلوته في جزيرة « ديوك » وورد في رسالة ايزنهاور . . وقال دلاس على رواية لويد « إن الجمعية ستحصل الرسوم ،

وهكذا لا يستفيد ناصر من القناة ، بل يرى المال يتسرب من يديه (وهو يغني : يارب هل يرضيك هذا الظلم ؟ ج) . . وبصرف النظر عن تشويه « لويد » لفكرة « دلاس » أو اقتراحه إلا أنه على حق عندما يقول إنه كان مجرد كسب للوقت . .

قال « لويد » : « كنت على استعداد لقبول هذا الاقتراح على شرط أن نتأكد أولاً أن « دلاس » لا يجرجرنا من اقتراح إلى اقتراح حتى يصبح من غير الممكن شن عملية عسكرية » .

« إن الدافع « لدلاس » لتقديم مشروع جمعية المنتفعين هو ما وضحه « مورفي » في كتابه صفحة ٤٦٧ وهو أن « دلاس » كان يعمل في ظل تعليمات صارمة بمنع التدخل العسكري . ومن ثم كان عليه أن يبتكر مشروعاً يؤخرنا ، وبالذات عن التوجه لمجلس الأمن » « في ١١ سبتمبر أبلغ « ايدن » مجلس الوزراء البريطاني أن « عبد الناصر » رفض المقترحات جملة وتفصيلاً . وأن أمريكا تعارض بشدة استخدام القوة ، كما تعارض اللجوء إلى مجلس الأمن . ولذلك لم يبق إلا تجربة جمعية المنتفعين ولكن نقطة الضعف في مشروع الجمعية ، أنها قد تكون ببساطة ، مجرد خدعة من « دلاس للتأخير » .

وقبلت بريطانيا ـ مكرهة ـ مجاراة خدعة « دلاس » في جمعية المنتفعين ولكن بتفسيرها ، وهو أن الجمعية ستحصل كل الرسوم وذلك وحده يدفع « عبد الناصر » إلى رفضها ، والشرط الثاني أنها ـ أي الجمعية ـ ستستخدم القوة في فرض فكرتها وهي الاستيلاء على القناة وإدارتها ، وشق السفن طريقها في القناة رغم إرادة مصر ودون دفع رسوم لمصر . .

ولكن « دلاس » تراجع . . ورفض هذا التفسير . . وأبلغ « لويد » أنه يرى أن تدفع جمعية المنتفعين تسعين بالمائة من الرسوم لعبد الناصر ولم تكن مصر في هذا الوقت ـ وبعد التأميم ـ تحصل أكثر من ٣٥٪ بل وأعلن أن جمعية المنتفعين « هذه ولدت وستبقى بلا أسنان . . وأن السفن الأمريكية لن تشق طريقها بالقوة ، بل ستطوف حول رأس الرجاء الصالح إذا ما سدت مصر القناة في وجهها . . ولذا اقترح « هيوجيتسكيل » ساخراً أن تسمى « هيئة المنتفعين برأس الرجاء الصالح » !!

يقول لويد « إن المأساة التي لعبت دوراً في إحباط المرحلة التالية كانت في تصديقنا أن « دلاس » يتصرف عن حسن نية باقتراح جمعية المنتفعين وليس أنه مجرد طبخ حصى لتعطيلنا »[١٤٢] .

وهو كذاب لأنه لم يصدق دلاس لحظة واحدة وإنما تخادع لـه . . واستمر الحشد العسكري .

« أن يقترح دلاس تقسيم الرسوم بنسبة تسعين بالمائة لناصر ، الأمر الذي سيجعل ناصر يضحك على الدول الغربية ويدعي ـ عن حق ـ أنه حقق نصراً كاملاً . . جعلني شديد التشاؤم من المستقبل ، إذ فيما يختص بموضوع الضغط على ناصر ، كانت الولايات المتحدة

هي الحلقة المكسورة رغم كلمات دلاس الشجاعة في مارس عن إسقاط عبد الناصر في ستة شهور وتطفيحه القناة على حد قوله في أغسطس » .

« لقد خلص ايزنهاور ودلاس ، ناصراً ، من أي قلق من إمكانية اتخاذ الولايات المتحدة موقفا قويا ضده . وأصبح بوسعه أن يلعب آمنا على التناقض الروسي - الأمريكي » .

وظهر عبد الناصر على التليفزيون الأمريكي « ويشر » دلاس « صديقه » سلوين لويد أن عبد الناصر قد « ترك أثراً طيباً » !

ربما قالها له وهو يخرج لسانه !

نجح تكتيك جمعية المنتفعين في تأجيل ذهاب الأنجليز والفرنسيين لمجلس الأمن وهي الخطوة قبل الغزو مباشرة في مخطط الدبلوماسية الانجلو - فرنسية . . « كنا نهدف إلى التوجه لمجلس الأمن في بداية الشهر (سبتمبر) ولكن اضطررنا للتأجيل بسبب اقتراح هيئة المنتفعين . فقد حاولنا أن نلعب بإنصاف مع دلاس » وكان دلاس قد وافقهم على اللجوء إلى مجلس الأمن إذا ما رفض عبد الناصر مقترحات لجنة منزيس ، بشرطين : ألا يعني ذلك التزام الولايات المتحدة باستخدام القوة ، وأن يكون الذهاب لمجلس الأمن بنية شريفة للوصول إلى حل » .

وهذا يقول عنه الفقهاء تعليق الشرط بمستحيل ! فأنى لمثل ايدن وسلوين لويد ومولييه بالنوايا الشريفة ؟!

ولكن بعد تقديم اقتراح جمعية المنتفعين ، عارض دلاس بقوة في التوجه لمجلس الأمن ، حتى يحسم أمر جمعية المنتفعين . . ! التي كانت قد بدأت اجتماعاتها يوم ١٩ سبتمبر في لندن وحضرها ١٣ وزير خارجية من ١٨ دولة اجتمعت ، بل وأرسلت كل من نيوزيلندا واستراليا ممثلاً بدرجة رئيس وزراء سابق ، ويعلق سلوين لويد بخبث « أصحابنا كانوا يأخذون الأمر على محمل الجد » !

ولكن بريطانيا وفرنسا كانتا تعلمان باللعبة الأمريكية ، وقررتا أن الوقت قد حان للتصرف المنفرد ، وأن ذمتهما قد أبرئت . . فتوجهتا إلى مجلس الأمن يوم ٢٣ سبتمبر (١٩٥٦) وردت مصر في اليوم التالي بتقديم شكوى هي الأخرى حول الإجراءات العدوانية . .

وقابل ماكميلان ايزنهاور لاستمزاج رأيه في خطوة الذهاب إلى مجلس الأمن فحدثه ايزنهاور في كل شيء « ولكنه لم يشر بحرف إلى قرار التوجه لمجلس الأمن » ! وإذا كان ايزنهاور قد تعفف عن الحديث في هذا الفعل الفاضح ، فإن دلاس كال الصاع صاعين لماكميلان : « لقد توجهتم إلى مجلس الأمن دون مشاورة معي . . وأنا أحس أنني عوملت بشكل سيء » . . « وإننا لن نجني إلا المتاعب في نيويورك (الأمم المتحدة) وأننا نسعى إلى كارثة . وكان يتحدث - على حد تعبير ماكميلان - كمن يحذرنا من دخول بيت للدعارة ! » . ويكمل سلوين لويد : « كان من الصعب أن نصدق أن دلاس صادق مع نفسه فهو الذي قال يوم ١٣

سبتمبر في برنامج تليفزيوني : إننا يجب أن نحصل على برنامج من الأمم المتحدة لحسم الأمر . وقال في جمعية المنتفعين إن حكومة الولايات المتحدة تتحرك سريعاً نحو الأمم المتحدة وتحدث معي بالتفصيل حول هذا الأمر . . إن دلاس لا يمكن أن يثير هذا الغبار ، إلا لأن « مورفي » كان صادقاً عندما قال إن دلاس كان يتصرف تحت تعليمات صريحة من ايزنهاور بمنع التوجه لمجلس الأمن . كان اقتناعه هو خطأ هذا التوجيه ولكنه شعر بضرورة الالتزام به » .

ونظرة ايزنهاور كانت أصدق لعدة عوامل . . منها أن مجلس الأمن كان آخر إجراء في تبرئة ذمة الانجليز والفرنسيين قبل استخدام القوة . . ولذلك كان يريد منعهم من اجتياز هذه العقبة حتى يستمر في تسليتهم بمشروعات جديدة من طراز جمعية المنتفعين . .

○ لأن ايزنهاور كان يعلم أن طرح النزاع في مجلس الأمن سيعطي الاتحاد السوفيتي الفرصة لتقديم « الدعم » الذي يتقنه والذي غذى عليه العرب منذ ذلك التاريخ . . وهو الدعم الأدبي بالتصويت والخطب في الأمم المتحدة ، وهي دعاية للروس ـ في ظروفهم الحرجة وقتها (المجر) ـ أمريكا في غنى عنها . .

○ أن ايزنهاور كان يدرك موقف الولايات المتحدة المحتوم في مجلس الأمن وأنه سيكون على غير هوى بريطانيا وفرنسا وهو لا يريد أن يعمق الجراح ، وهو يخوض حرباً محدودة ضد بريطانيا وفرنسا ، وليس عداوة أبدية شاملة . . ويدبر مصالحتهما بعد انتزاع اللقمة من فمهما . .

ولكن بريطانيا أرادت أيضاً توريط أمريكا ، ورفضت هذه التورط فصوتت على إدراج الشكويين المصرية والأنجلو ـ فرنسية ، الأولى بسبعة أصوات ضد لا أحد والثانية بـ ١١ صوتاً ضد لا أحد .

تحدد يوم ٥ أكتوبر للنظر في الشكويين .

يوم ٢ أكتوبر عقد دلاس مؤتمراً صحفياً أعلن فيه عن وجود خلاف حاد بين أمريكا وحلفائها الأوروبيين حول السويس : إن الولايات المتحدة لا يمكن أن ينتظر منها أن تربط نفسها مائة في المائة ، لا مع القوى الاستعمارية ، ولا مع القوى التي تهتم فقط بالحصول على الاستقلال بأسرع وأكمل ما يمكن » .

ولا أظن أنه يوجد تعريف يمكن أن يطوب ويثني على السلطة المصرية في خطوة التأميم ، مثل وصفها بقوى تسعى لتحقيق الاستقلال بأسرع وأكمل صورة في مواجهة القوى الاستعمارية ؟! . .

فلا مصر معتدية ولا ناصر هتلر ، ولا القناة سرقت على طريقة « على بابا » كما قال الاشتراكي النصاب « انورين بيفان »[١٥٢] بل خطوة نحو استكمال الاستقلال أو انتزاعه من القوى الاستعمارية وإن كانت تشوبها بعض الأنانية أو اللامبالاة بالنتائج الأخرى . . أو التسرع !

وقال « بينما تتفق مواقف فرنسا وبريطانيا وأمريكا حول حلف الأطلنطي ، فإن أية قضية تمس في جوهرها أو مسلكيتها بشكل ما ، ما يسمى بالاستعمار ، ستجد الولايات المتحدة ، نفسها ، دوراً مستقلاً نوعاً ما » .

وهو بهذا قد صنف مشكلة القناة بأنها مشكلة استعمارية وليست حقوقاً أو التزامات دولية . .

ثم تحدث عن هيئة المنتفعين فقال : « إن البعض يتحدث عن عملية خلع أسنان المشروع ، والحقيقة أنه لم تكن له أسنان أصلاً ، في حدود معلوماتي » !

وفي اليوم التالي وبعد أن شتم بريطانيا في « زفة » المؤتمر الصحفي ، استدعى السفير البريطاني ليصالحه في « عطفة » وزارة الخارجية وقال له « إنه غير سعيد بالمؤتمر الصحفي . . وأن ملاحظاته قد ربطت دون أن يدري بين السويس والمسألة الاستعمارية ! وأن النص قد وزع على الصحافة قبل أن يقرأه ، وهذا حد من حريته » . . ورد السفير البريطاني متذرعاً بكل البرود الانجليزي « إن هذه المؤتمرات الصحفية خطيرة جداً » ، ووافقه دلاس ولكنه أضاف إن هذه هي المرة الأولى التي ارتكب فيها مثل هذه الخطأ الفاحش » .

يوم ٥ أكتوبر وقبل ساعات من انعقاد مجلس الأمن ، حاول لويد وبينو إثارة نخوة دلاس الذي أخبرهما أن الرئيس ايزنهاور ضد الحرب ، وأن هذا الموقف ليس له علاقة بالانتخابات . . فشرح له لويد « اخطار عبد الناصر الذي يتآمر على قتل الملك إدريس في ليبيا وحتى الملك سعود وجه له تهديداً . إذا كان مركز نوري ثابتاً في العراق إلا أن السخط ينتشر بين صغار الضباط العراقيين بتحريض عبد الناصر . والأردن تم التغلغل فيه . سوريا ؟ عملياً تحت حكم عبد الناصر ، الذي يساعد أيضاً منظمة ايوكا في قبرص » واكمل بينو فشرح الوضع في شمال أفريقيا » .

ولكن دلاس « كرر اعتراضه على استخدام القوة في الوقت الحالي ، وإن وافق على إبقائها كأحد الخيارات » .

ولكن في اليوم التالي فوجئوا بالصحف الأمريكية طافحة بأنباء الخلافات بين أمريكا من جانب وبريطانيا وفرنسا من جانب آخر . . وقال سلوين لويد : « وقد علمت أن هذه الأخبار سربت من الوفد الأمريكي في الأمم المتحدة . وأضيف إن دلاس أخبر المحيطين به من الصحفيين أن على بريطانيا أن تقبل المشروع الهندي . وقابلت دلاس يوم الأحد وطلبت منه أن يحدد بالضبط أين نحن ؟ وكان واضحاً من لهجتي أن صبري قد نفد (!) . . فأنكر أنه تحدث عن المشروع الهندي . واعتذر ووعد بضبط سلوك الوفد الأمريكي . وأنه لا صحة لوجود خلافات . وأنه يؤيد استعداداتنا العسكرية وأنه نفسه لا يستبعد استخدام القوة في مرحلة أخيرة » .

وقد شهد سلوين لويد بأن دلاس كان يقول لهم عكس ما يفعل ، فلا حاجة لإجهاد أنفسنا لتفسير ما يبدو كأنه تناقض .

تمخضت اجتماعات الأمم المتحدة عن مشروع المبادىء الستة المشهور ، وقد قبله الطرفان بنية عدم تنفيذه . . المعتدون على أساس أن الخطة التي وضعوها ، مع إسرائيل ستضع العالم أمام وضع جديد ، ويكفيهم أنهم قبلوا « الحل السلمي » ، وإنما جد ظرف لم يكن في الحسبان بهجوم إسرائيل ! ومصر قبلتها للمطاولة والمناجزة والأخذ والعطاء على أساس الاستراتيجية القائلة إن كل يوم يمر يقلل من فرص العدوان ، وإمكانيات نجاحه . .

ولكن أمريكا التي كانت على يقين من الاستعدادات العسكرية لم تشأ أن تترك الأمر للظروف بل حرصت على توريط حلفائها بإعلان أن قبولهم مشروع المبادىء الستة وقبول مصر له قد حل الأزمة وبالتالي سقط أي حق لهم في استخدام القوة . . وهو ما كان الانجليز على حذر منه ولذلك يقول سلوين لويد : « واعلن همرشولد الاتفاق على ستة مبادىء . وقد حذرت المجلس (مجلس الأمن ج) من الانجراف في التفاؤل وقلت إنه لا تزال هناك ثغرات واسعة بين مصر وبيننا . وفي هذه اللحظة بالذات اختار ايزنهاور مرة أخرى أن يسحب البساط من تحت أقدامنا ، فبعد أن أخبر همرشولد المجلس بالمبادىء الستة . أعلن ايزنهاور في مؤتمر صحفي ما يلي :

« إن عندي اليوم ما أعلنه . عندي أفضل خبر يمكن أن أعلنه لأمريكا اليوم . . وهو التقدم الذي أحرز في تسوية خلاف السويس . فبعد ظهر اليوم وفي الأمم المتحدة اجتمعت مصر وبريطانيا وفرنسا من خلال وزراء خارجيتهم ووافقوا على مبادىء للمفاوضات . وكل الأمور تدل على أننا تخطينا أزمة خطيرة جداً . . وأنا لا أريد أن أقول إننا قد خرجنا من الغابة تماماً ، ولكن تحدثت مع وزير الخارجية قبل أن آتي إلى هنا ، وأستطيع أن أقول لكم إن قلبه ورأسه عامران بصلاة الشكر . . » . .

وجن جنون سلوين لويد الذي فهم المقلب والذي كان رأسه وقلبه عامرين بالمكر والكفر . فوصف تصريح رئيس الولايات المتحدة بأنه « تصريح أهبل » ! يقول : « وقد احتججت بشدة لدى دلاس ، وأعتقد أنه هو نفسه أخذ ، وراح يغمغم ببعض عبارات حول عدم الاهتمام بما يقال في الانتخابات » .

وأحس فوزي بزوال الضغط عليه واستشهد بخطاب ايزنهاور وبدأ تراجعه عن المادة التي تطلب إبعاد القناة عن سياسة أية دولة » .

« وذهبت لمقابلة دلاس لأناقش معه ماذا يعني ايزنهاور بالضغط على عبد الناصر وما الوسائل . . وبدأت بالحديث عن الرسوم لأكتشف باللهول أن دلاس يقترح أن تدفع الرسوم لجمعية المنتفعين وهذه بدورها تدفع تسعين بالمائة منها لناصر أي أنه سيحصل على

أكثر مما يحصل عليه الآن (٣٥٪ ج) وقلت له : إن هذا الاقتراح قد ملأني رعباً . . ولكن الوقت كان متأخراً لعمل أي شيء فلم نتناقش طويلاً . » !

وبسبب هذا الرعب لبس الانجليز طاسة الخضة أو خوذة الحرب . .

والفترة من ١٢ أكتوبر إلى ٢٩ منه ، معروفة ، كان موعد المفاوضات المقبلة هو نفس اليوم الذي تحدد للهجوم ، وستكرر معنا أمريكا نفس اللعبة الأنجلو ـ فرنسية بعد عشر سنوات ، وستندب وتصدق . .

المهم وقع الهجوم الإسرائيلي والإنذار البريطاني ، وألقى كل طرف باللثام وكشف عن نواجذه فهي الحرب . . إما النصر وإما الموت الزؤام . . أصبحت المعركة علنية وصريحة ومريرة بين أمريكا من جانب وبريطانيا وفرنسا من الجانب الآخر ولم تشفع لهما مشاركة إسرائيل ، بل بالعكس حل إثمهما وكراهيتهما على إسرائيل بنت أمريكا ، وكانت أول وآخر مرة تقف فيها أمريكا ضد إسرائيل بهذا الوضوح والجدية . .

فور العدوان أعلن ايزنهاور أنه « سيقف إلى جانب مصر وطلب من القائم بالأعمال البريطاني أن يبلغ ذلك لحكومته » وفسر هذا الموقف بأنه للحفاظ على شرف ومصداقية أمريكا حيث أن سمعتها أصبحت على المحك ، وذلك بحكم ارتباطها بالتصريح الثلاثي الذي يتعهد بالدفاع عن المعتدى عليه في الشرق الأوسط »[7]

ولكن أهم من الشرف والمصداقية كان هذا القرار الأكثر حسماً . . وهو قول ايزنهاور : « إن الذين بدأوا هذه العملية عليهم أن يجدوا نفطهم » ! ولما سأل دلاس : ومن أين سيحصلون على النفط فرد عليه : ربما يعتقدون أننا سنضطر إلى تزويدهم به . . كان جواب ايزنهاور حاداً وقاسياً : إنهم لا قيمة لهم كحلفاء مماثلين ، بل ربما كانت قيمتهم لنا أقل بكثير مما يعتقدون » .

وقال ايزنهاور لـ « ايميت هيوز » الذي كان يعد له خطاباً انتخابياً : « إن الفرنسيين يحرضون الإسرائيليين . . عليهم اللعنة . . فلا هدف لهم إلا الاحتفاظ بما لهم في شمال أفريقيا . . عليهم اللعنة ! لقد جاءوا هنا وكانوا جالسين على مقعدك هذا منذ ثلاث سنوات (١٩٥٣ ج) وقلت لهم لن تحققوا في شمال أفريقيا إلا هند صينية أخرى فأبوا قائلين : لا . . الجزائر جزء من فرنسا وغير ذلك من التفاهات »[8] !

ويتابع « هيرمان فينر » في كتابه « دلاس والسويس » عرض موقف أمريكا من العدوان فيقول :

« يوم ٣٠ أكتوبر اجتمع دلاس بالسفير الفرنسي وقال له : إننا نعيش في أخطر لحظات العلاقات الفرنسية ـ الأمريكية . إن هذا اليوم هو أحلك يوم في تاريخ الحلف الغربي بل قد يكون نهاية الحلف نفسه . إن هذا الهجوم على مصر يثير خطر حرب عامة . إن تصرف وتدخل فرنسا يشبه تماماً مسلك الاتحاد السوفيتي في بودابست » .

« لقد صمم دلاس على أن يرغم بريطانيا وفرنسا وإسرائيل وليس مصر على إطاعة القانون بالتنديد الأدبي والمعنوي تارة ، وتارة أخرى بالمطاردة بالتكتيكات التي قد توصف أحيانا بأنها وحشية ، كان مصمماً ليس فقط على أن يعود الحق إلى نصابه بل وأيضاً إظهار دور أمريكا أمام العالم بوصفها الدولة التي تحفظ النظام وتقر الحق » .

« وهكذا فمنذ ٣٠ أكتوبر حتى قرار وقف إطلاق النار والانسحاب استخدم دلاس ومساعدوه المخلصون وسائل قاسية مع حلفائه ، وهي شن حملة مسعورة من الاستنكار والتنديد في الأمم المتحدة ثم منع عن حلفائه إمدادات البترول التي تعتمد عليها أنظمتهم الصناعية والزراعية اعتماداً كاملاً وحرمانهم من أرصدة الدولار ، الأمر الذي أدى إلى استنفاد مواردهم المالية . لقد أدت الحرب الصليبية التي شنها دلاس على حلفائه إلى إذلال هذه البلاد لصالح ناصر وصديقه الدائم ، الحكومة السوفيتية » .

« ولذلك لم يكن من الغريب أن يتذكر « هارولد ماكميلان » والذين جاءوا من بعده ، في حزبه ثم رجال حزب العمال كذلك بل والجنرال ديجول تلك الأيام السوداء التي تعرضوا فيها للمهانة وبالغ الضرر بسبب موقف دلاس من قضية تعرضت فيها مصالحهم الحيوية للضرر » .

« الدول المقهورة* تشن حرباً لتحقيق العدالة ولكنها تواجه اتهاماً من الولايات المتحدة بفضل دلاس ، أمام الأمم المتحدة ، وتضطر لإنهاء عملياتها بسبب فرض العقوبات عليها من جانب واحد وهو الولايات المتحدة . وتتمثل هذه العقوبات في حرمانها من البترول والدولارات وينتهي الأمر بإخفاق القوة وعدم انتصار العدالة » .

ولا تهمنا عواطف المؤلف الانجليزية ، فليمت بغيظه . . وإنما المهم ما سجله من حقائق . .

وعرض العدوان على مجلس الأمن ، وفي ٣٠ أكتوبر تقدمت كل من الولايات المتحدة وروسيا بمشروع قرار للمجلس ، استخدمت بريطانيا وفرنسا حق الفيتو ضدهما . . القرار الأمريكي كان يدين إسرائيل (لأن بريطانيا وفرنسا لم تهجما بعد ج) كمعتدية ويطلب انسحابها ويدعو كل الدول الأعضاء إلى الامتناع عن استخدام القوة . ويقول سلوين لويد « أما المشروع السوفيتي فكان أخف لهجة (!! ج) وكنا نفضل الاكتفاء بالامتناع عن التصويت عليه ، ولكن فرنسا أصرت على استخدام حق الفيتو ، فوافقنا لدعم تضامننا » .

وبحق الفيتو البريطاني والفرنسي في مجلس الأمن كان يستحيل صدور قرار ضد المعتدين الثلاثة ، ولذلك كانت الخطوة التالية من قبل مصر هي نقل الموضوع إلى الجمعية العامة ، حيث لا حق فيتو ، وحيث الأغلبية التي يمكن أن يشكلها الأمريكان والروس والدول المعادية للاستعمار . .

---

* ابن المقهورة هذا يقصد بالدول المقهورة : بريطانيا وفرنسا وإسرائيل !

ولكن لتحويل القضية إلى الأمم المتحدة كان لابد ـ كما تقضي اللائحة ، أن تحال بأغلبية سبعة أصوات وقد تقدمت يوغوسلافيا بطلب الإحالة فنال سبعة أصوات بينها صوت أمريكا ضد اثنين وامتناع اثنين . . .

ونترك وزير خارجية بريطانيا يعلق : « فلو اكتفت الولايات المتحدة حتى بالامتناع عن التصويت لسقط قرار الإحالة ولبقي الأمر في يد مجلس الأمن » .

ولما صدر بالطبع قرار الإدانة والانسحاب . . . الخ . .

وفي الجمعية العمومية افتتح دلاس المناقشات باقتراح أمريكي (وهذا يعطي ثقلاً واضحاً للمشروع إذ لا يترك مجالاً للغموض حول موقف أمريكا وبالتالي يدفع كل الأتباع إلى التصويت معه ج) ـ يطلب وقف إطلاق النار وانسحاب القوات الإسرائيلية والبريطانية والفرنسية وإعادة فتح القناة التي كانت مصر قد نجحت في سدها .

وحاول مندوب كندا إنقاذ بريطانيا بتقديم مشروع قوات الطوارىء « ولكن دلاس لم يقبل أي تأجيل للتصويت على مشروعه وكان هذا مثالا آخر على العداء لنا » .

وصدر القرار بأغلبية ٦٥ صوتاً ضد ٥ أصوات هي استراليا ونيوزيلندا وفرنسا وإسرائيل وبريطانيا . وامتناع كندا وست دول أخرى .

وفي الشارع كان نيكسون نائب الرئيس الأمريكي يقود مظاهرة ضد بريطانيا ، إذ علق على نتيجة التصويت « بأنها اقتراع عالمي على قيادة الرئيس ايزنهاور . في الماضي كانت شعوب آسيا وأفريقيا تتوقع أن نقف في اللحظات الحرجة مع سياسات حكومتي بريطانيا وفرنسا فيما يتعلق بالمناطق التي كانت مستعمرة . ولكن لأول مرة في التاريخ أبرزنا استقلالنا عن السياسات الأنجلو ـ فرنسية ، إزاء آسيا وأفريقيا . . . التي تبدو لنا انعكاساً للتقاليد الاستعمارية . إن إعلان « الاستقلال » هذا كان له تأثير الكهرباء في سائر أنحاء العالم »* .

وسنعفي القارىء من تعليق المخوزق سلوين لويد ولكن هل من أحد يريد أن يتحدث عن أمريكا كشريك رابع للعدوان الثلاثي ، وأن المعركة كانت ضد أمريكا ؟!

ولم يقتصر الأمر على « قرارات الأمم المتحدة » بل وجه ايزنهاور إنذاراً إلى ايدن ومولييه يطلب فيه وقف إطلاق النار خلال ١٢ ساعة وقد قبلته بريطانيا بدون حتى استشارة فرنسا ، وذلك بعد أن أوشك الاسترليني على الانهيار « لتعرضه لعملية نزيف بإيعاز من الخزانة الأمريكية » على حد قول أو اتهام سلوين لويد ! . . وعرقلت الولايات المتحدة محاولات بريطانيا استخدام حق السحب الخاص من صندوق النقد الدولي . . « حتى مالنا

* كما سجل « كابوت لودج » مندوب أمريكا في الأمم المتحدة غبطته في محادثة تليفونية مع الرئيس قائلا : « إن الأمم الصغيرة لا تصدق أن أمريكا تقف مع دولة من العالم الثالث ضد دولتين استعماريتين أو مع العرب ضد إسرائيل أنهم مملوءون إعجابا وفرحة » .

الخاص ؟! » كما يقول لويد نقلاً عن ماكميلان عن تهديد لجورج كافري وزير مالية أمريكا . .

وفي رواية وليم كلارك مستشار العلاقات العامة لإيدن الذي استقال بسبب العدوان - ما يفيد أن الولايات المتحدة لم تدخر حتى احتمال الصدام المسلح مع المعتدين فقد قال : « إن الغزو الأنجلو- فرنسي لمصر تعطل ٢٤ ساعة بسبب تحرشات الأسطول السادس واعتراضه طريق البوارج البريطانية - ص ٣٦٥ من مذكرات وكيل الخارجية البريطانية - .

وحاولت بريطانيا بعد وقف إطلاق النار أن تبقى في موقعها : بورسعيد وعشرين ميلا تحتلها من قناة السويس . . وتساوم على هذا وتنتظر الفرج أو سقوط عبد الناصر . . « ولكن أمريكا أصرت على الانسحاب العاجل والشامل وبدون قيد ولا شرط » .

ويقول سلوين لويد إنه سافر خصيصاً إلى الولايات المتحدة « بأمل إقناعهم بالمساومة على العشرين ميلاً التي نحتلها من القناة ولكني فشلت . ولذلك قررت أن أتقدم باستقالتي » .

وكان « جورج همفري » وزير المالية الأمريكي صديق « بتلر » (وزير مالية بريطانيا ولكنه قال له بصراحة : إن الولايات المتحدة لن تتحرك لمساعدة بريطانيا إلا إذا أعلنا قرارنا بالانسحاب » .

لقد وضعت الولايات المتحدة كل ثقلها من أجل أن يكون انسحابنا بلا قيد ولا شرط وكان علينا أن نقبل ذلك » .

يخيل إلى أنه لو كان مثقفاً لاستشهد بقول المهزوم العربي : مشيناها خطى كتبت علينا . . ومن كتبت عليه خطى مشاها . . « وفشلت جميع المحاولات البريطانية لزحزحة ايزنهاور عن اصراره بأن يكون الانسحاب البريطاني الفرنسي من بورسعيد بلا قيد ولا شرط » .

أما ماكميلان الصقر في بداية الأزمة فقد تحول إلى حمامة فور سماعه بأخبار نيويورك عن فرض عقوبات نفطية ، فقد ألقى بيديه إلى الوراء وصاح : عقوبات نفطية ؟! هذا ينهي كل شيء » !

نستمر مع فصول الدراما الأمريكية - البريطانية . .

بعد وقف إطلاق النار وتأكد هزيمة بريطانيا اجتمع سلوين لويد مع مندوب أمريكا في الأمم المتحدة وقائد الحملة ضدها « كابوت لودج » :

« وقد بدأ حديثه معي بموعظة أخلاقية ، فقلت له : إذا كنا ستتحدث عن الإثم الأخلاقي . . فلماذا عن جواتيمالا ؟ . . ألم تتصرف الولايات المتحدة في ١٩٥٤ بنفس الطريقة ؟ كل الفرق أننا - وقتها - حاولنا أن نساعدكم في مجلس الأمن رغم كل الضغوط علينا . وقلت لو أن الولايات المتحدة لم تقد الحملة ضدنا في مجلس الأمن لأحرزنا نصراً رائعاً . ولكان ناصر في خبر كان . . » .

ولكن لويد لم تنته آلامه بعد . . ذهب إلى دلاس في المستشفى . . فإذا بالعجوز الأمريكي يغمز له بعينه ويقول : لماذا توقفتم . . ؟ لماذا لم تمضوا قدماً فتسقطون ناصراً . . » !

ويعلق وزير خارجية بريطانيا : « لو أن قشة فعلاً يمكن أن تقصم ظهر البعير لكانت هذه ! دلاس الذي قاد الحملة ضدنا . . وأيد تحويل الأمر من مجلس الأمن للأمم المتحدة ، وبذل كل جهد ممكن لهزيمتنا . . الآن يتساءل لماذا توقفنا » ؟

ومعروف أن الانجليزي لثقل قلبه وبرودة حسه ، لا يفهم النكتة من أول مرة ، ولم يكن دلاس في المستشفى في مزاج يسمح بإعادتها عليه ؟! وقرر سلوين لويد أن يتحول إلى مكافح للامبريالية وداعية للاستقلال !

واجتمع مجلس الوزراء البريطاني في ٨ يناير ١٩٥٨ حيث أبلغهم سلوين لويد بالآتي : « بعد الخلاف الخطير في الرأي مع الولايات المتحدة ، فإن علينا أن نحاول جعل غرب أوروبا أقل اعتماداً على أمريكا . . ولكني لم أتلق عطفاً كبيراً من زملائي لأن غالبيتهم اعتقدوا أن الأولوية يجب أن تعطى لترميم الجسور مع الولايات المتحدة » .

اختارت بريطانيا قبول الأمر الواقع ، والتعلق بالقطار الأمريكي ولو في الدرجة الثانية وكانت بحاجة إلى عشرين سنة أخرى للتأكد من حقيقة القوة الأوروبية .

وبخروج الانجليز والفرنسيين من بور سعيد ، وخلوص القناة لمصر بلا قيد ولا شرط تحت الإدارة المصرية الخالصة . . هزمت بريطانيا وفرنسا ، وانتصر عبد الناصر في معركة التأميم انتصاراً كاملاً غير منقوص ، وهو النصر الذي استحق به تأييدنا وشكرنا بل وصبرنا خمس سنوات أخرى . . بل حتى الهزيمة الفادحة على أرض سيناء في نفس المعركة ـ وهو ما سنتعرض له ـ غفرناها له ، وتلمسنا الأعذار من حداثة العهد ونقص الخبرة والغفلة عن الخطر الإسرائيلي ، والانشغال بالجلاء . . لكن العذر الأكبر كان في توقعنا أنها أخطاء لن تتكرر وأنه سيستفيد مما وقع فيحول الخطأ إلى تجربة .

ولكننا لم نصر . . وما كان بوسعنا أن نصر على مناقشة تلك الأخطاء لكي نضمن تصحيحها وتلافيها . . فكانت النكبة الكبرى . واليوم وبعد أكثر من ربع قرن ، وبعد النكبة التاريخية والمصيرية . . يحاول نفس المذنب أن يقفل أعيننا ويسد آذاننا بالكذب والتضليل مرة أخرى ؟!

إن اتهام أمريكا بأنها كانت شريكاً في العدوان هو مناورة متذاكية لتفادي السؤال : وهو لماذا عارضت أمريكا العدوان ؟! لما تجره الإجابة على هذا السؤال من إحراجات . .

قلنا إنه من الناحية السياسية كان تأميم القناة في هذا الوقت بالذات ضربة معلم ، فقد تم بعد جلاء القوات البريطانية (رسمياً) ولم يعد من الممكن اتخاذه كحجة لإلغاء اتفاقية الجلاء من جانب بريطانيا ، وكانت تود ذلك ، بل أصبح عليها أن تعيد غزو مصر . . ثم توقيت الضربة في وقت وصل فيه التناقض الأمريكي . . الأنجلو ـ فرنسي ذروته ، وربط مصالح

مصر باستراتيجية الطرف الأقوى في هذا التناقض ، جعل النصر مضموناً . . وخاصة أن الهدف من الوضوح والعمق في الوجدان الوطني المصري ، مما جمع الإرادة المصرية ، فلم تكن هناك ثغرة يمكن أن ينفذ منها العدو بمؤامراته .

وقد استطاعت الإدارة المصرية والدبلوماسية الأمريكية تأخير الغزو أكثر من ثلاثة شهور وهي بلا شك كانت فترة كافية للاستعدادات العسكرية لمواجهة هذا الغزو . . وهو مالم يحدث . .

وهنا ننتقل للجانب السلبي . . جانب الهزائم في معركة قناة السويس وذلك قبل أن نتفرغ لمناقشة هزيمة سيناء العسكرية في ١٩٥٦ .

أخطأت القيادة المصرية ، ونقصد عبد الناصر بالذات ، فهو وحده الذي وضع تقدير الموقف ، بالاشتراك مع هيكل في رواية هيكل . . أو بالاستئناس برأي التسعة المشهود لهم بالثورة . . ولكنه في النهاية كان صاحب القرار .

ويشهد هيكل أن عبد الناصر أخطأ عندما تصور أن لجوء بريطانيا وفرنسا إلى الأمم المتحدة يعني أنه لم يبق لدى لندن وباريس ما تفعلانه ضد القاهرة غير تسجيل موقف في الأمم المتحدة » ويهز رأسه في حكمة متأخرة جداً : « وكان ذلك خطأ كما أثبتت الظروف فيما بعد » .

وهذا التعالي والاتهام لعبد الناصر[١٦٢] يعكس نوع الوفاء الاستشاري الذي يكنه هيكل لسيده السابق . . وكتابه يتحدث في كل صفحة عن مشاورة الرئيس له ، حتى يخرج القاريء بانطباع أنه ماكان يبرم أمراً إلا عن مشورة هيكل . . ولو كان وفياً أو يتمتع بذوق في فن الكتابة لقال « ولقد أخطأنا عندما تصورنا » أو أخطأت مصر عندما تصورت . . ولكنه حملها لعبد الناصر وحده ، وله عذره فلم يكن لأحد من رأي أو فكر إلى جانب عبد الناصر . . فقط نرجو أن يعترف هو بذلك .

ويقول « هيكل » إن عبد الناصر كان يعتقد أنه ما من « جنرال لديه يستطيع قيادة المعركة السياسية الحاسمة والنهائية مثل محمود فوزي » .

ويبدو أن عبد الناصر سيء الاختيار « للجنرالات » بصفة خاصة ، حتى الجنرال السياسي ! لأن محمود فوزي ، بشهادة هيكل خدعه همرشولد ، ، وهو بدوره خدع عبد الناصر وذلك في رسالته بتاريخ ٤ أكتوبر إذ كتب لجمال عبد الناصر من نيويورك :

« تكلمت مع همرشولد عن النوايا . وبينت له أنه إذا كانت النوايا مبيتة على عدم الوصول إلى اتفاق فليست هناك فائدة من جهود السكرتير العام . وأجابني همرشولد بأنه يعرف سلوين لويد من زمن وأنه خاطبه في الأمر وخرج بانطباع ، أن لويد ، يرغب حقيقة في الوصول إلى حل رغم المظاهر ، وهمرشولد يستبعد جداً استعمال الانجليز للقوة ، أما الفرنسيون فلهم متاعبهم الداخلية وهي كثيرة » فوزي .

ولم يقتصر التضليل على همرشولد ، بل اشترك الرفيق شبيلوف في التغرير بمحمود فوزي الذي بدوره ضلل القيادة المصرية ، فقد كتب للرئيس عبد الناصر بتاريخ ١٩٥٦/١٠/١١ : « قابلت شبيلوف الذي أعرب لي عن تأكده من أنه قد استبعدت أخيراً ، الإجراءات العسكرية » .

وهكذا ضلل الجنرال القائد العام ، مع أن دلاس خان أصدقاءه وبلغ محمود فوزي بصريح العبارة : « ذكر لي دلاس أن بعض المسئولين في انجلترا وفرنسا لا يريدون حلاً سلميا »[١٧] .

ويقول هيكل إن عبد الناصر أجرى تقدير موقف قبل التأميم وقدر أن احتمال التدخل العسكري سيتناقص من ٨٠٪ في الأسبوع الأول من قرار التأميم إلى ٢٠ بالمائة في نهاية أكتوبر ثم يبدأ في التلاشي بعد ذلك لأن الفرصة تكون قد أفلتت تماماً وأن تقدير الموقف هذا تصور الغزو من ناحية الأسكندرية . ويبدو أن الانجليز بحثوا هذا الاحتمال في البداية ، ولكن ابتداء من الأسبوع الأول من سبتمبر استقر الرأي على بور سعيد ويصعب تصور أن فكرة الغزو من الأسكندرية كانت فكرة جدية ، كما يصعب فهم كيف ظلت القيادة المصرية مقتنعة بها ، رغم التجربة التاريخية حيث حاول الانجليز وفشلوا مرتين في غزو مصر عن طريق الأسكندرية ، واضطروا في المرة الثانية (١٨٨٢) إلى تغيير طريق الغزو إلى قناة السويس ونجحوا . وتجربة الحملة الأولى كان من الممكن أن تعطي مؤشراً للقيادة المصرية ، حيث قابلت حملة فريزر ١٨٠٧ مقاومة مؤثرة من الأهالي انتهت بفشل الحملة بل وهزيمتها هزيمة مذلة إذ أرسلت الرءوس والأسرى وفيهم رأس « فاسال » كبير إلى شوارع القاهرة للاستعراض . . فالطريق من الأسكندرية إلى القاهرة يعرض الغزو لمجابهة الكثافة البشرية المصرية . . كذلك فإن الغزو كان يتعلل « بالقناة » فمن الطبيعي أن يسعى لاحتلالها والسيطرة عليها .

على أية حال إن هذه النقطة لم تلعب دوراً كبيراً بالنسبة إلى الغزو الأنجلو- فرنسي . . ولكنها لعبت دوراً خطيراً لصالح الغزو الإسرائيلي ذلك أن عبد الناصر قرر في ٨ أغسطس سحب القوات المصرية من سيناء . . وسنعود لذلك بالتفصيل .

لا يملك المؤرخ إلا أن يسجل تخبط وعجز القيادة عن توقع الاحتمالات واتخاذها سلسلة قرارات تنبع أساساً من أحلام يقظة تدور كلها حول تمني عدم الصدام مع إسرائيل ! مما ضاعف من فرص نجاح إسرائيل . . ولا نعرف من أين استقى حروش معلوماته عن أن تقدير الموقف الذي وصل إليه مجلس الحكماء هو أن « الاحتمال الغالب هو دفع إسرائيل للهجوم وكان هذا احتمالاً مرجحاً عن أي غزو بريطاني وفرنسي » .

فالإجراءات التي اتخذت تبدو أكثر من خاطئة إذا كان هذا تقديرهم فعلاً إذ لا يعقل أن يكون الإجراء الذي اتخذ لمواجهة هجوم إسرائيل هو سحب الجيش من سيناء !!

رواية هيكل أكثر منطقاً فضلاً عن أنها مستمدة من وثيقة شاهدها هو بعينه ويعرف بالضبط أين هي في خزائن عبد الناصر . . وإليك ما قاله هيكل : « وقرأ جمال عبد الناصر تقرير المعلومات المعروض عليه عن أوضاع القوات البريطانية في المنطقة ودرجة استعدادها وأعاد قراءته أكثر من ثلاث مرات (وهذا يعني أن هيكل كان قاعد يعد . . أو أن عبد الناصر اهتم وسط كل هذه الزوابع بابلاغ « محمد » أنه قرأها أكثر من ثلاث مرات ومالك على يمين ياسي محمد ج !) وقارن المصادر المتعددة للمعلومات ببعضها ، ثم كتب بخط يده تحت التقرير حاشية تتضمن مجموعة ملاحظات نصها ـ كما نقلته فيما بعد من الوثيقة الأصلية . . وأظن أن الوثيقة الأصلية موجودة حتى اليوم في خزانة مكتب الرئيس جمال عبد الناصر في الدور الأرضي من بيته (علي يمينك وانت داخل ، حتى بالأمارة جنب الخاتم إياه اللي . . ما أنت عارف !ج)

دعنا من هذا الهذر . . المهم أنه يقول إن عبد الناصر كتب بخط يده :

« مستحيل أن تلجأ بريطانيا وحدها أو بريطانيا بالتنسيق مع فرنسا إلى الاستعانة بإسرائيل في أي عملية ضد مصر لأن ذلك « يقلب الدنيا » في العالم العربي ضدها . بريطانيا لا يمكن أن تدخل في عملية من هذا النوع بالتنسيق مع إسرائيل ولا يمكن لايدن أن يفعل ذلك بسبب المصالح البريطانية والعلاقات البريطانية مع الملوك والشيوخ العرب [٩] » ؟

بل وفي يوم ٨ أغسطس اتخذ عبد الناصر قرار سحب القوات المسلحة من سيناء ، ويفسر هيكل هذا القرار المصيري بقوله : « كان جمال عبد الناصر لا يزال على اعتقاده بأن بريطانيا لا يمكن أن تسمح لنفسها بالاشتراك في معركة عسكرية جنباً إلى جنب مع إسرائيل .

« وهكذا عادت من سيناء فرقتان من فرق الجيش المصري ، إحداهما فرقة مدرعة » .

ولكن لماذا لم يخطر بالبال أن إسرائيل وبدون تنسيق ، ستنتهز فرصة الغزو وانشغال مصر بمحاربة بريطانيا وفرنسا ، وتهجم هي على سيناء ؟! وهل كان بوسع الجيش المصري وقتها أن يصد بريطانيا وفرنسا ؟! فلماذا التركيز على الهجوم الأنجلو ـ فرنسي ، وإخلاء سيناء حيث الإمكانية أكبر احتمالاً للتصدي لإسرائيل . . على أية حال حتى الحذر من الهجوم الأنجلو ـ فرنسي تلاشى في الأسابيع الأخيرة . . وساد الاسترخاء التام ورفض اتخاذ أي إجراء عسكري للدفاع أو الإعداد للمقاومة الشعبية .

لقد كان هناك إصرار في القيادة المصرية علي رفض كل الدلائل التي تؤكد العدوان . . وقد أحصى مؤلف : « مجتمع عبد الناصر » المصادر التي أبلغت عبد الناصر شخصياً بالعدوان وهي :

١ ـ ثروت عكاشة الملحق العسكري بفرنسا ، وصلته خطة تحرك القوات الفرنسية قبل العدوان بعشرة أيام . وأرسلها إلى جمال عبد الناصر بخطاب خاص مع الملحق الصحفي

عبد الرحمن صادق لتسليمه شخصياً إلى جمال عبد الناصر وقد كتبه بخط يده من نسختين فقط أرسل واحدة واحتفظ بالأخرى » .

ولم يقل إذا كان الملحق الصحفي تمكن من مقابلة الرئيس وسلمها له أم مازال ينتظر المقابلة إلى اليوم في مكتب الجيار ؟!

٢ ـ زكريا العادلي إمام الملحق العسكري بتركيا عرف كافة أسرار الحشد العسكري في قبرص وإسرائيل عن طريق بعض المندوبين الأتراك الذين أرسلهم إلى هناك ، عقب ملاحظته أن الأتراك ألغوا الأجازات وأعلنوا حالة الطواريء القصوى ، وأرسل نتيجة معلوماته ببرقية يوم ٦ أكتوبر تقول :

« ستوجه انجلترا وفرنسا إنذاراً نهائيا إلى مصر يعقبه عدوان جماعي بالتعاون مع إسرائيل في منتصف نوفمبر . . ثم تبعها ببرقية أخرى تقول : « رغم أن المعلومات عندي بأن الهجوم في منتصف نوفمبر إلا أن الظواهر تدل على أنه سيكون قبل آخر أكتوبر » أرسلها مع الملحق الإداري الذي سافر وعاد فوراً . . وردت عليه المخابرات الحربية بأنه الملحق العسكري الوحيد الذي أبلغهم مثل هذه المعلومات (؟! هل كانت تتوقع أن توزع هذه المعلومات في نشرة عامة على الملحقين ؟! ج) .

« ولما استشعر الخطر سافر بنفسه إلى القاهرة يوم ١٩ أكتوبر ليبلغ عن أمرين : أولهما تدريب إسرائيل لفرد من عائلة الحوت لاغتيال جمال عبد الناصر ، والثاني تأكيد أخبار العدوان ، وقد التقى بعبد الحكيم عامر ، وأبلغه بكل ما يعرفه ، دون أن يتلقى رداً شافياً . ثم غادر القاهرة يوم ١٩٥٦/١٠/٢٧ دون أن تتاح له فرصة مقابلة جمال عبد الناصر رغم إصراره على ذلك » .

نقطع استرسال حمروش لنعلق على هذه النقطة ، فالحق أن « زكريا العادلى إمام » الذي لا يكاد يعرف اسمه ، قد قدم للسلطات معلومات تكاد تكون صحيحة مائة في المائة . . عن دول الغزو وموعد الغزو . . ولكنها أهملت تماماً . . وسنعود لذلك .

النقطة الثانية أنه عن طريق « الأتراك » وباسم الأخوة الإسلامية ، ورغم تدهور العلاقات بين مصر وتركيا في هذا الوقت ، حصل وحده على أدق المعلومات . . وذلك رغم توتر العلاقات كما قلنا بسبب حلف بغداد ، وأهم من ذلك بسبب تأييد حكومة عبد الناصر لنشاط مكاريوس وجريفاس ومنظمة أيوكا ، الرامية إلى إبادة المسلمين القبارصة وضم الجزيرة إلى اليونان استكمالاً للحرب الصليبية اليونانية ضد تركيا .

وحمروش « الشيوعي » يقدم شهادته مستنداً إلى شخصية موجودة وبرقيات يمكن الرجوع إليها . . أما المزور الأكبر عدو المسلمين ، فلا يفوته أن يشوه أو أن يشوش علي هذه الواقعة ومغزاها . . فيفتري الآتي :

« لكن الإنصاف يقتضي أن أذكر اليوم أن الصورة الكاملة لأوضاع القوات البريطانية ودرجة استعدادها في قبرص بصفة خاصة وفي البحر الأبيض بصفة عامة ، جاءت من الأسقف مكاريوس زعيم قبرص ، ومن الجنرال جريفاس قائده العسكري ـ في ذلك الوقت ـ والمسئول أمامه عن المقاومة المسلحة لمنظمة أيوكا » .

أولا : هذه المعلومات عن أوضاع القوات البريطانية في قبرص لم تكن مهمة لمصر لأن مصر لم تكن تفكر في غزو قبرص . وإنما كان المهم هو معرفة الاستعداد لغزو مصر .

ثانيا : ومن هذه الناحية فهي باعتراف هيكل نفسه ساهمت في تضليل عبد الناصر واتخاذه القرار باستحالة الهجوم .

ثالثا : وهذه حقيقة تاريخية أن « أيوكا » أعلنت عشية الهجوم البريطاني على مصر « وقف جميع عملياتها العسكرية في الجزيرة » . وكان المفروض بحكم الدعم الذي قدمناه لها ضد كل حقائق التاريخ وحقوق الشعوب في تقرير مصيرها ، ورفض الروح الصليبية ، كان المفروض أن توسع من عملياتها في مؤخرة الانجليز . . وأذكر أنني لم أندهش لحظة يوم وصلت هذه البرقية على وكالات الأنباء* . فقد كان ذلك مطابقاً لوجهة نظري حول خداع هؤلاء الصليبيين وأنهم يونانيون صليبيون يريدون ضم الجزيرة وإبادة المسلمين فيها ولا شيء آخر . . وأن كل ما يتحلون به ويرددونه من شعارات ماركسية هو مجرد قشرة خارجية لإخفاء صليبية القرون الوسطى . . وأذكر أن « رفيقاً » من الحزب الشيوعي القبرصي ، كان يشرح لنا في السجن أن قبرص قطعة من اليونان جيولوجياً ! . . وكان المغفلون المصريون يؤيدونهم . فلما جاءت لحظة الجد أوقفوا العمليات العسكرية ضد الانجليز؟[١٨] .

نعود لاستعراض حمروش للتحذيرات التي وردت للقيادة المصرية وأهملتها .

٣ ـ عقب عودة صلاح سالم من لندن حيث كان هناك وقت انعقاد المؤتمر الثاني (جمعية المنتفعين ج) أبلغ جمال عبد الناصر أن العدوان مؤكد وحتمي . .

٤ ـ سرب الأمريكيون معلومات إلى سفيرنا في واشنطون بأن الجنرال كيتلي قد اختير لقيادة غزو مصر وأنه يدرب رجاله في قبرص .

هذا ما أحصاه أحمد حمروش عن المعلومات المؤكدة التي وصلت للرئيس عن الغزو المنتظر . دون حاجة للرجوع إلى أوراق عبد الناصر الشخصية . . بل وأكد أن التحليل السياسي العادي كان لابد أن يفضي إلى توقع الهجوم واستشهد على ذلك بتصريحات ايدن في مجلس العموم الذي تحدث فيه عن حماية حقوق بريطانيا بوسائل أخرى . . وتهديدات روبرت منزيس رئيس وزراء استراليا لعبد الناصر شخصياً (عبد الناصر كما وضحنا فهمها وقبلها على أنها تحذير . ج) . . الخ » . .

---

* وكنت ليلتها المسئول عن متابعة التيكرز في جريدة الجمهورية .

وأورد « هيكل » أن بايرود (السفير الأمريكي في مصر) قال لأحمد حسين في ١٥ يناير ١٩٥٦ « إنني لا أستبعد أن تبدأ إسرائيل الحرب » .

وبالمقابل فإن السفير المصري في واشنطن ـ على ذمة هيكل ـ أبرق إلى القاهرة في ٣٠ مارس (١٩٥٦) يصف اجتماعاً عقده مع هربرت هوفر مساعد وزير الخارجية أبلغه فيه « هوفر* » : « أن الانجليز في حالة عصبية جداً غاضبين من أمريكا لعدم انضمامها لحلف بغداد ، ويعتبرون مصر الآن عدوهم المكشوف ، وأن دعاية الحرب ـ كما يقولون ـ يمكن أن تتحول إلى حرب حقيقية » . « وقال إنه لا يستبعد أن يشترك البريطانيون والإسرائيليون في محاولة اغتيال ناصر وعدد من البارزين المصريين[10] .

وأضاف هيكل إلى السجل : « أبلغ أحمد حسين في فبراير ١٩٥٦ بأن إسرائيل سوف تهاجم (مصر) وأن انجلترا تحشد قوات »[11] .

وأيضا أبلغ أحمد حسين أن بريطانيا ستهاجم مصر أثناء الانتخابات الأمريكية (وهو ما حدث) كما نقل أن الدكتور بن عبود الوزير بسفارة مراكش أبلغه أنه « علم من صديق يعمل في الـ CIA أن إسرائيل تستعد للهجوم في الأيام المقبلة وأنها تقوم بالاستيلاء على السيارات الخاصة في إسرائيل »[12] .

يعني تعبئة عامة ! والزعيم يصر على أنها مقص !

وهناك شهادة من داخل البلاط لها قيمتها فقد ذكر البغدادي أن « خالد محيي الدين أبلغ جمال عبد الناصر بمعلومات كان قد حصل عليها من أحد أصدقائه بباريس وتشير إلى أن فرنسا تعمل متعاونة مع إسرائيل لمهاجمتنا . . ولم يأخذ جمال عبد الناصر هذه المعلومات التي أبلغه بها مأخذ الجد . . بل اعتقد هو وعبد الحكيم أن الغرض من إيصال تلك المعلومات إلينا هو لدفعنا إلى حشد قواتنا الدفاعية تجاه إسرائيل تاركين الأسكندرية ورشيد وهي طريق تقدم القوات البريطانية ـ كما قدر ـ دون قوات دفاعية كافية للتصدي لها » .

بل إن رواية بغدادي أكثر هولاً . . إذ يقول إنه على أثر تلقي عبد الناصر هذه المعلومات من خالد محيي الدين « قرر تفادي أي احتكاك أو صدام مع قوات إسرائيل ولذا أمر جمال عبد الناصر بانسحاب الفدائيين الذين كانوا في قطاع غزة » !

العبارة غير مفهومة ، ولا أدري هل هذا المقصود من بغدادي الذي لا يخفي نقده لعبد الناصر وكفاءته هو وعامر من الناحية العسكرية ؟!

ما المقصود بمنع الاحتكاك أو الصدام مع قوات إسرائيل ؟ . . داخل إسرائيل أم حتى إذا هجمت على مصر ؟!

---

* « هوفر » هذا هو الذي يوصف بأنه المتلهف على تصفية الامبراطورية البريطانية لحساب الشركات الأمريكية .

لأنه إذا كان المقصود عدم الاحتكاك من جانبنا ، أو عدم الصدام مع قوات إسرائيل وهي خارج حدودنا . . كان يكفي أمر مشدد بوقف العمليات الفدائية . والمفروض أنهم جنود منضبطون !

أما سحبهم نهائياً من قطاع غزة ، فالمقصود به منع الاحتكاك أو الصدام حتى لو بدأته إسرائيل .

هيكل وحمروش يفسران هذا الإصرار على تجاهل الحقائق المؤكدة التي وصلت على يد ملحقين عسكريين وأعضاء مجلس ثورة حاليين وسابقين ، وأتراك وأمريكان . . إلخ يفسرانه بأن تقدير عبد الناصر الذي كتبه بخط يده في الوثيقة . . الخ أو بالتصريح الذي أدلى به إلى « كينيث لدف » في حديث صحفي بعد ذلك بثماني سنوات ، قال فيه إنه استبعد لجوء البريطانيين إلى التحالف مع الإسرائيليين لاستعادة القناة بالقوة . أما بالنسبة لفرنسا فكانت غير راضية عن حلف بغداد وكنت أعتقد أنهم منهمكون في الجزائر بما لا يسمح لهم بالحملة ضدنا » ؟ وقال هيكل إن عبد الناصر قرر أن نسبة الغزو انخفضت إلى عشرة بالمائة ، بل إنه استبعد عملياً احتمال الغزو » ؟

على أية حال الوقائع تدل على أن احتمال هجوم بريطاني كان وارداً عند القيادة ولو بنسب متفاوتة ما بين ثمانين وعشرة بالمائة . . أما الاحتمال المستبعد تماماً ، والذي أصرت هذه القيادة على استبعاده رغم كل الدلائل . فهو احتمال الغزو الإسرائيلي !! فقد نسب هيكل لعبد الناصر أنه عندما اختلى به وحده لوضع تقدير للموقف يوم ٢١ يوليو وبادره بأنه قد عرف أفكاره . . المهم قال له عبد الناصر حرفياً : « إسرائيل أيضا قد تفكر في التدخل ولكنها لا تستطيع اتخاذ تأميمنا لقناة السويس ذريعة لشن الحرب ، ثم إن تدخل إسرائيل ضدنا سوف يجعل معركتها ضد مصر حرباً ضد الأمة العربية كلها . وهذا يفرض على أمريكا محاولة « فرملة » إسرائيل* . ثم إن إسرائيل من مصلحتها أن تنتظر لكي ترى صراعنا مع الغرب كله يشتد ويعنف » وإنه لم يكن يخشى أن يتدخل أي طرف إلا بريطانيا ! فهناك إذاً حالة إصرار على رفض المواجهة مع إسرائيل ولو في تقدير موقف نظري . . ولاحظ الاعتماد على « فرملة » أمريكا لإسرائيل؟[١٩] .

وهذه هي الظاهرة التي نود أن نقف عندها طويلا ، لأنها ـ في رأينا ـ جوهر مأساة النظام الناصري وإن تكن مترتبة على الخطيئة الأولى ، وهي قبول تنفيذ « الثورة » بالتنسيق مع المخابرات الأمريكية . !

والتفسيرات عديدة لهذا الإهمال الخطير الذي ارتكبته القيادة المصرية ، والذي كان كافياً

---

* ولكن لما لم تنجح أمريكا في فرملة إسرائيل لجأت إلى الفرملة الناصرية لمنع وقوع حرب تشترك فيها « الأمة العربية كلها » .

عبد الناصر كان يعرف خطورة وفعالية اشتعال الحرب على مستوى الأمة العربية ولذلك منعها .

لتنبيهها - فيما بعد - إلى خطورة الاعتماد على مواهبها وحدها في تقدير الموقف ، وضرورة الاستعانة بالخبراء والمحترفين من أهل الثقة في كفاءاتهم لا تبعيتهم . . وهو مالم يحدث للأسف !

« لم يتحقق استنتاج عبد الناصر من تقدير موقفه وفوجيء يوم ٢٩ أكتوبر بخبر يقول إن الإسرائيليين قد أعلنوا أنهم أرسلوا طابوراً مدرعاً إلى سيناء للقضاء على الفدائيين ثم أعلنوا في نفس الليلة إن قواتهم تقترب من قناة السويس » .

التفسيرات تختلف باختلاف الاجتهادات في تفسير ظاهرة الناصرية .

○ فالذين يربطون حركة ٢٣ يوليو بالأمريكيين ، يرون أن الزعيم كان مطمئناً لوعود الأمريكان بأنه لا عدوان . فنام على تأكيد رجل المخابرات الأمريكية الذي قال بجهالة أو عن غدر « مادامت أمريكا لا تقر العدوان فلن يقع » !

○ أما المدرسة الرافضة للديكتاتورية ، فهي ترى أن الحاكم الفرد المطلق عندما وضع تقدير الموقف في ٢٢ يوليو ١٩٥٦ ، وقرر أن احتمال الغزو وهو الأسبوع الأول من التأميم فهو يؤمم والانجليز يهجمون وكأنهم ينتظرون في بور سعيد ! . . غافلاً بالطبع عن تعقيدات إصدار قرار بالحرب في بلد ديمقراطي ! . . لا يحكم بالقرارات الفردية ، ولا النزوات الطارئة ، وأن لا ايدن ولا موليه ، ولا هما معاً ، يتمتعان بسلطات شمس بدران أو شعراوي جمعة .

ولما مرت الأسابيع ولم يحدث الغزو تأكدت . . صحة تحليل الزعيم . ومن ثم استحال تراجعه . . لأن الديكتاتور - في رأي هؤلاء - تستند ديكتاتوريته ومكانته على اقتناع بأنه لا يخطيء . . لأنه لو ثبت إمكانية خطئه ، فسينظر إليه كمجرد بشر قابل للخطأ ومن ثم قابل للمناقشة والنقد والتعلم . . أي قابل للاعتراض على قراراته وأحكامه . . قابل للرفض . . دون أن يشكل ذلك خيانة وطنية ، أو اعتراضاً على حركة التاريخ ! وذلك لا يستقيم مع متطلبات الحكم الديكتاتوري ، ولذا فإن أية خسارة لا تهم ما دامت قدسية قرارات واستنتاجات الزعيم لا تمس ولا تخدش . . ولا تتغير . . أو كما قال كوبلاند : « لقد حدث المحتوم للقادة من طراز ناصر ، وأعني قيام حاجز بينه وبين العالم الخارجي ، هذا الحاجز الذي أصبح من الكثافة بحيث استحال وصول أية معلومات أو آراء إليه إلا ما يؤكد عصمته وخلوده » .

وهذا التفسير على دقته من الناحية النفسية ، وكقانون عام للنظم الديكتاتورية وخاصة في البلدان المتخلفة ، إلا أنه يغفل جانباً أكثر أهمية وأكثر خطورة في حالة مصر ، يغفل عاملين :

الأول : العلاقة الخاصة التي كانت بين المخابرات الأمريكية CIA وعبد الناصر ، وثقته المطلقة في تقديراتها ، وثابت من جميع الروايات أن مجموعة الـ CIA العاملة في مصر فوجئت بالعدوان ولم تكن تتوقعه . وفي نفس الوقت كانت على يقين من أن الولايات المتحدة تعارضه ، وهكذا صدق عبد الناصر رجال المخابرات الأمريكية وكذب كل الناس ، وتحت

تأثير افتتانه بأمريكا اقتنع بأنها تملك أن تأمر بريطانيا وفرنسا وإسرائيل كل الوقت وفي كل القضايا !

أما العامل الثاني فهو الإصرار على إلغاء المواجهة المصرية ـ الإسرائيلية من قائمة الاهتمامات للقيادة الناصرية منذ أن تولت السلطة وإلى ٥ يونيه ١٩٦٧ . . وحرصها أو هل نقول التزامها بتجنب هذه المجابهة بأي ثمن . . وسنوضح أن الحجر الأساسي في الاستراتيجية الإسرائيلية هو المراهنة على هذا الالتزام المصري . . أعني رفض المجابهة ومحاولة تحاشيها تماماً . . وذلك من ١٩٥٤ إلى ١٩٧٣ .

وقبل أن ننتقل لذلك نشير إلى الفرق بين دقة وتعدد المعلومات التي وصلت للقيادة المصرية في ١٩٥٦ ، وإن لم تعمل بها ، وبين الغفلة التامة التي كانت تسبح فيها هذه القيادة في ١٩٦٧ . . لأن مصر كانت لا تزال حديثة عهد بالنظام الثوري ! . . لم تتغلغل فيها الروح الثورية على يد صلاح نصر الذي حول المخابرات إلى جهاز كبت للشعب وأكبر وكر فساد عرف في التاريخ ، ويوماً ما ستكشف حقائق تخزي أمة لعشرة قرون !! . . ولأن التصفيات قد استبعدت من الجهاز الدبلوماسي والمخابراتي كل الشخصيات الراغبة والقادرة على العمل ، وحتى لو أفلتت هذه الشخصية ، فإن الأخطبوط الذي كان في القاهرة ، ولم تعرف كل أسراره بعد . . كان كفيلاً بمنع وصول جهودها إلى حيث يثمر مفعولها . . وراجع حكاية ضياع إخطار نقطة الحدود بالهجوم الإسرائيلي البري صباح ٥ يونيه لأن الرسالة لم تفتح ! وراجع ضياع إنذار عبد المنعم رياض عن الحشد الجوي الإسرائيلي المتجه لمصر على شاشات الرادار ، والذي لم يستقبل لأن الشفرة بالصدفة تغيرت صباح هذا اليوم بالذات ونسوا أن يبلغوها لمن وضعوهم على الحدود لهذه المهمة فقط ! . . فلما أنجزوها لم يستلموها منهم* !

---

* ومن الطريف أن الناصريين تحت تأثير عقدة ذنب ١٩٥٦ يركزون في دفاعهم عن ١٩٦٧ إلى أن الزعيم حذر ـ هذه المرة ـ يوم الهجوم . . كأنه قارئة فنجان ، ثم ذهب لينام ! . . هزمنا وضاع ثمن الوطن مرة لأن الأعوان حذروا والزعيم رفض أن يصدق تقاريرهم . . وخسرناها مرة ثانية لأن الزعيم حذر . . والمساعدون رفضوا تصديق نبوءته !!

نبقى خالصين !!

المراجع

١ ـ حروش ص ٧٩ .
٢ ـ ن . م ص ٨٢ .
٣ ـ قصة السويس : رسالة محمود فوزي إلى عبد الناصر من نيويورك ٤ أكتوبر ١٩٥٦ .
٤ ـ سلوين لويد : السويس ١٩٥٦ ص ٧٣ .
٥ ـ ن . م ص ٦٦ .
٦ ـ ن . م . ص ٧٩ / ٨٠ .
٧ ـ ايزنهاور الرئيس : بقلم ستيفن أمبروز ص ٣٥٨ ، ص ٣٥٩ .
٨ ـ ن . م ص ٣٥٦ .
٩ ـ قصة السويس ص ١٣٠ نقلاً عن وثيقة بخط عبد الناصر على ذمة وبشهادة هيكل !
١٠ ـ قطع ذيل الأسد ص ١٠٥ .
١١ ـ ملفات . . . ص ٨٢٧ .
١٢ ـ ن . م ص ٤٠٠ .

الملاحق

م[١] ـ وهنا إضافة على ضوء ما نشر من اعترافات ووثائق ، فقد قال « التهامي » إنه ساهم في عملية خلع الجنرال جلوب . . والتهامي الآن ثابت أنه رسول سيدنا الخضر الذي في « لانجلي »* . . وقد اعترف « هيكل » بالدور الأمريكي في هذا « الانتصار » للحركة الوطنية في الأردن . . « وكان الإحساس في وزارة الخارجية أن الولايات المتحدة ـ مرة أخرى ـ تتقدم إلى إحلال نفوذها محل النفوذ البريطاني في أحد مراكزه التقليدية الأساسية وهي عمان اتضح أن السياسة البريطانية أضاعت قطار عمان ، تماماً فمشى وتركها » ص ٤٠٧ ـ ٤٠٨ ع .

أما التفسير الذي يعلمه ويخفيه جيداً ، فهو أن الموجة الوطنية التي اجتاحت المنطقة امتدت إلى الأردن الذي كان وقتها يضم الضفة أكثر المناطق العربية استعداداً للثورة ، ووصلت ذروتها بالإضرابات والمظاهرات ضد بريطانيا وحلف بغداد وزيارة الجنرال « تمبلر » آخر محاولة بريطانية

* مقر المخابرات الأمريكية في ولاية فيرجينيا .

لضبط الأردن . . وقد تجلى عجز النظام وعجز بريطانيا برفض الجيش الأردني أوامر قائده « جلوب » الانجليزي بإطلاق النار على المتظاهرين ضد تمبلر . . وهنا أصبح الموقف أشبه به في مصر عشية الانقلاب الأمريكي ، كان مجرى الأحداث يشير إلى احتمال تطور الغضبة الشعبية إلى ثورة تطيح بالعرش الهاشمي أو حتى بالملك ، الأمر الذي يفتح احتمالات بغير حد وشديدة الخطورة على المصالح الأمريكية والإسرائيلية ، وكان لابد من إجراء ينقذ النظام ، وبعكس الملك فاروق ، الذي لم يكن قادراً على الاندماج في مخطط « روزفلت » ، فقد تجاوب الملك حسين إلى أقصى حد مع روزفلت ورسول روزفلت . . التهامي ، وكانت الخطة هي منح شعبية للملك عند الجماهير ، تمكنه من إخماد الثورة الحقيقية ، وكبح نفوذ ناصر ، ولوي ذراع بريطانيا الممسكة بخناق الملك مما يتيح لليد الأمريكية أن تربت على كتفه وتضع اللي فيه القسمة في جيبه[1] . . وإن كان ذلك يفيد في الظاهر الاستراتيجية العامة لزرع زعامة عبد الناصر والجبهة المعادية لبريطانيا إلا أنه في الأساس يفيد الولايات المتحدة ، من ناحية إجهاض الثورة الحقيقية ، ومن ناحية تدعيم سلطة موثوق بها ، تشكل ضوابط أو فرامل لحرية حركة عبد الناصر أو حتى التأثيرات العفوية لزعامته ولا تنس أن أمريكا وروزفلت كانا يستخدمان عبد الناصر والناصرية ، وليس العكس .

م[2] ـ هيكل ص ٥٩ « قصة السويس » وقد رد علينا هيكل بأن طرح تفسيراً في « ملفات السويس » يقول أن عمان قررت إيقاف حركة البرقيات حتى تخرج طائرة جلوب من الأجواء الأردنية » ص ٤١٤ .

وهذه وحدها تكشف فجوره وتلاعبه بالتاريخ والوقائع واعتماده على جهل قارئيه فقد قال بالحرف الواحد في قصة السويس إن : « توم ليتل اتصل بي في الصباح ليقول لي إن دور جلوب باشا في الأردن قد انتهى ، وأنه سوف يغادر عمان خلال ساعات » .

أي أن جلوب كان لا يزال داخل عمان لم يغادر ولكن الخبر وصل إلى وكالة الأنباء الغربية (رويتر) ومراسلها يطلب تعليقاً ! فلما سلختنا جلده ، إذا بجلوب غادر الأردن والنبأ كان ممنوعاً والبرقيات موقوفة حتى تخرج طائرة جلوب من الأجواء الأردنية . . ويخلو الجو للملفقين .

راجع كتاباتك يا أستاذ فربما يقرأك يوماً من هم أكثر وعياً من « نباح غجر » !

م[3] ـ بل وكان هذا هو الشعور السائد أيضاً في أوساط المخابرات الأمريكية ، إن قرار سحب تمويل السد العالي ، جاء بطريقة يقصد بها ضرب عبد الناصر وضرب المخابرات CIA التي تتبناه . . ولاحظ أنه كانت قد جرت بالفعل تغييرات في الـ CIA وأبعد معظم العناصر التي رعت ميلاد انقلاب يوليو . .

سجل لنا « ولبور ايفيلاند » مشاعر المخابرات الأمريكية عند إعلان سحب تمويل السد قال : « عندما غادرت الاجتماع في وزارة الخارجية ، كان « مايلز كوبلاند » لا يزال في الممر ، فلما رآني

---

١ ـ انظر قصة وود ورد مع كارتر

لمعت عيناه وجذبني إلى ركن وقال لي : « لابد أن وزير الخارجية قد جن . . » وقد حاولت أن أهديء « دلدول » (Pontegé) كيم روزفلت المحموم ولكن بدون جدوى ، ذكرته بتقرير الشركة الاستشارية الذي قال إن الحالة في مصر ستكون أسوأ بعد عشر سنوات من بناء السد العالي منها قبله إذا لم تسيطر على زيادة السكان . . وسألته هل بناء هذا السد العالي الفادح التكلفة هو الذي يحتل الأولوية في برنامج ناصر . . فقال : هذه ليست القضية . . إن نفوذ وسمعة الرئيس المصري هي القضية . والسد هو حاجة سياسية . . فثرت قائلاً : إن ناصر يريد منا أكثر من السد ، ولكن كوبلاند استمر يدافع عن ناصر قائلاً : إن الوزير دلاس تصرف عن اقتناع بأن مصر اعترفت بالصين ورهنت القطن المصري لصفقة السلاح الروسي فقط لإغاظة وزير الخارجية . وقال كوبلاند : « إن وزير الخارجية متعاطف مع الانجليز في الإطاحة بناصر » « كما جرى تغيير بعد سحب السد العالي في وزارة الخارجية لإحكام سيطرة الوزير عليها » ص ١٩٥ حبال الرمال .

م٤ ـ « قال سلوين لويد في نوفمبر ١٩٥٥ أعلن عبد الناصر ثقة الحكومة المصرية في موقف شركة القناة . وفي يونية ١٩٥٦ وقع اتفاقية معها » (المصدر المذكور ص ١٣٧) .

م٥ ـ بالنسبة للأمريكان لا نقطع بشيء غير أن الحوار كان يدور في المخابرات الأمريكية ووزارة الخارجية حول هل يؤمم عبد الناصر القناة رداً على سحب تمويل السد ، « ولماذا تأخر قرار عبد الناصر بالتأميم » . . وانظر كتاب لعبة الأمم .

م٦ ـ . . وإذا كانت العاطفة الوطنية ترجح أي نقاش أو أية حجج تثار حول قرار تأميم قناة السويس لأن الأمم تحتاج إلى « الثأر » التاريخي ، فهو الذي يعطي الثقة في المستقبل وفي العدل التاريخي . . وإذا كنا قد طالبنا بتأميم القناة وفي مصر ثمانون ألف عسكري بريطاني وقصر وبوليس سياسي ، وأنا طالب بالجامعة لا حول لي ولا قوة ، فإنه يحق لي الآن وقد مرت سنوات حولت التأميم إلى حدث تاريخي لا تؤثر فيه المناقشة أقول من حقي أن أطالب بدراسة لمكاسب مصر المادية من التأميم ، وفي إطار : هل كان من مصلحة مصر في مواجهة الخطر الإسرائيلي المتصاعد أن تصفي العنصر الدولي الذي قبل وفرض منع إسرائيل من العبور في القناة حرصاً على استثماراته ؟ وأيضاً في مواجهة ناقلات النفط العملاقة ، وظهور النفط غرب قناة السويس . . هل كان من مصلحتنا تقليل حماسة وارتباط المصالح النفطية العالمية (بريطانيا وفرنسا) بالنسبة لعبور النفط من قناة السويس ؟!

وأهم من ذلك كله هو النقاش المطلوب حول استراتيجية مصر بعد توقيع اتفاقية الجلاء . . وهل كانت الاستراتيجية الأمثل هي الاستمرار في التحرش ببريطانيا ؟! . .

وأخيراً هل كشف الحساب المالي يضع العملية في خانة الربح ، هل العائد المالي من ١٩٥٦ إلى ١٩٦٩ يفوق التعويضات التي دفعت والخسائر التي سببها الغزو البريطاني ، والذي سببه الغزو الإسرائيلي الذي تم في حماية بريطانيا . . وهل القناة تدار مالياً على النحو الأكفأ . . وربحها أقل من عشرة بالمائة من إيرادها ؟! . .

م٧ ـ أشرنا في أكثر من موضع إلى التعديل الذي اضطر « هيكل » لإدخاله على « تاريخ » حرب السويس ، كما يسميها ، فبعد أن فندنا في كتابنا السابق زعمه أن أمريكا كانت الشريك الرابع في

العدوان وكشفنا ـ لأول مرة ـ باللغة العربية دور أمريكا في نصر السويس ، أصبح يستحيل ولا حتى على مزور في براعته أن يعيد هذا اللغو الذي قاله في ١٩٧٦ . . يستحيل أن يستمر في ادعاء اشتراك أمريكا وهزيمتها ضمن قائمة المنهزمين على يد الزعيم . ولكن لأن « تاريخ » هيكل هو أصلاً لتضليل الإنسان العربي ، فقد عز عليه أن يعترف بالحقيقة كاملة ، لهذا الإنسان ، عز عليه أن يعترف بدور أمريكا في « نصر السويس » حتى لا ينازع ايزنهاور عبد الناصر الريشة إياها التي وضعها « هيكل » على رأسه وفي عين القاريء العربي . . أما بالنسبة للقراء الانجليز وفي كتاب مطبوع على غلافه أن الملحمة الناصرية ليست إلا فصلاً من رواية طرد أمريكا لبريطانيا والحلول محلها ، فلا تجوز نصف الحقائق ، كما أن المناخ لا يتفق مع وضع الريش على الرأس . . انظر كيف تطور التاريخ خلال عشر سنوات ومن طبعة لطبعة :

في « ملفات السويس » : حذف العنوان الفاضح التضليل والتهريج وهو : « الفارس الرابع على طريق السويس »[1] ليحل محله عنوان جديد هو : « أمريكا . . الحكم »[2] . . تصوروا في أقل من عشر سنوات تحولت الولايات المتحدة من خصم إلى حكم على يد نفس الكاتب ولا تطرف عين لأفاق من المشيدين به . . وليت الأمر اقتصر على ذلك بل استمر التصعيد أو الترقية للولايات المتحدة فهي في قصة السويس ١٩٨١ بنص عباراته : « كانت الولايات المتحدة الأمريكية شريكاً رابعاً في العدوان الثلاثي »[3] . . ولكن في قانون الشركات المعدل عام ١٩٨٧ نجدها شريكا في النصر مع عبد الناصر . . مع التأكيد على حصتها في الأرباح . . إذ يختم حديثه في الطبعة الانجليزية من ملفات السويس أو قطع ذيل الأسد بقوله : « كثيرون خسروا حرب السويس . . ولكن هناك منتصران لاشك في انتصارهما . . الرئيس عبد الناصر والأمريكيون . . فمحاولة بريطانيا العودة إلى المنطقة انتهت بكارثة وكذا محاولة فرنسا للتسلل من الباب الخلفى* وهكذا أصبح الأمريكيون لا يرون منافساً . . الخ »[4] .

الحمد لله قلنا هذا قبل سنوات ، وكشفنا تضليله وأجبرناه على الاعتراف بالحقيقة . . ولو للانجليز ! . .

أما في الطبعة العربية ، فالظاهر أن الحكيم أوصى بالتدريج في إعطاء الحقيقة للمريض العربي . . فبينما وصلنا في الطبعة الانجليزية إلى معرفة المنتصر وتحديده بالاسم الثلاثي . . نجد بني هيكل في الطبعة العربية مازالوا يتساءلون عن لون البقرة . . فيطرح هذا السؤال : « من الذي انتصر ؟! » .

ويجيب بأن مصر هي المنتصرة ، ولا ذكر للولايات المتحدة الأمريكية ، وكأنه ليس مؤلف

---

١ ـ قصة السويس ٦٥ .

٢ ـ ٢٠١ خ .

٣ ـ ٦٧ قصة السويس .

٤ ـ ٢٠١ خ .

* أي باب خلفي ؟ مصر باب خلفي للمنطقة ؟! فأين الباب الأمامي ياعم يابواب . . ماذا تضمرون لمصر وما حقيقة تقديركم لها ؟! حسابكم عند الله والتاريخ عسير .

الكتاب الانجليزي وليس الذي حدد المنتصر هناك . . فقال : منتصران مثنى مرفوع بالألف . . أما عندما يحكي عربي . . فقد ألغى الولايات المتحدة وصادر الخمسين بالمائة حصتها مع أن المصادرة والحراسة أصبحت ممنوعة بفضل انقلاب السادات الذي كان هو فارسه ! . . يقول للعرب :

« انتهت حرب السويس وقد حققت مصر كل طلباتها واستردت كل حقوقها فيما عدا واحدا وهو منع إسرائيل من المرور في خليج العقبة » (ص ٦٠٦ ع) .

وهذا التحفظ أضيف بعد أن فرجنا عليه العالم ، عندما حاول إخفاء هذه القضية في « قصة السويس » ولكنه جاء اعتراف المكره المضطر ، فقد وضع أخطر قضية في الصراع العربي ـ الإسرائيلي في سطر واحد : « ثم سلمت الولايات المتحدة لإسرائيل مذكرة تؤيد فيها حقها في المرور البريء من مضايق العقبة » ص ٦٠٤ ع .

ما دخل أمريكا في المرور من مضايقنا ؟!

ولماذا هذه العجالة والاختصار الشديد في ملفات تصل إلى ألف صفحة . . لماذا لا تحكي لنا عن الظروف والتطورات ودورك في قبول عبد الناصر لهذا « الأمر » الأمريكي . . لماذا لم يضرب لك تليفونا على الفطار أو العشاء . . ؟!

والخلاف واضح بين العرض المقدم للجمهور المصري والعرض الخاص بالسياح الانجليز . . هنا (الطبعة العربية) ولا كلمة عن أمريكا . . وإنما مصر منتصرة . . فرنسا منهزمة ، بريطانيا منهارة . . أما « بن جوريون » فحدث ولا حرج . . إنه يئن ألماً ويرتعد رعباً : « إنني مشفق على إسرائيل فقد ظهر في مصر فرعون جديد ولا أجد في أعماقي قوة موسى الذي قاد شعبه إلى الخلاص » .

ومن ثم قرر الاعتزال ! . .

موسى بن جوريون اعتزل ! . . الذي قاد شعبه لا جريا من جيش فرعون إلى البحر . . بل مطارداً لجيش فرعون حتى استحم بنو إسرائيل في قناة السويس ! . .

موسى الذي لم يضل في سيناء أربعين سنة بل احتلها كلها في ست وثلاثين ساعة ! . . اعتزل !

موسى الذي احتل سيناء وغزة وفتح خليج العقبة ودمر أسلحة بمائتي مليون جنيه (لا أقل من عشرين مليارا بأسعار اليوم) . . وسرق بترول مصر اعتزل مرعوبا . .

وبقي على عرش مصر . . من أخلى سيناء من أبطالها وحماتها ليدخلها بنو إسرائيل في بطولة كاذبة وبلا مقاومة فقد أنجزت راشيل المهمة !

بقي فرعون الذي فتح طريق بلاد « بُنت » للهكسوس . .

لا حياء !

حتى الفراعنة تلوث تاريخهم يامزور ؟!

م٨ ـ وقد ذكر « ستيفن امبروز » مؤرخ « ايزنهاور . . الرئيس » أنه « لما وصلت أنباء استعدادات إسرائيل الحربية طلب ايزنهاور من جون دلاس وزير الخارجية أن يبلغ بن جوريون : « ألا يرتكب خطأ في التقدير ، فيظن أن اهتمام ايزنهاور بالنجاح في الانتخابات « بأصوات اليهود . ج) أهم عنده من حفظ السلام . وأن على دلاس أن يخبر بن جوريون أنه على المدى البعيد فإن عدواناً تشنه

إسرائيل سيحمل لها كارثة ولن يستطيع أصدقاء إسرائيل ، أو بالأحرى الذين سيبقون على صداقتها ، إنقاذها مهما كانت قوتهم » .

ولم يكن ايزنهاور جاهلاً ولا مستهيناً بأصوات اليهود ففي محادثة مع ابنه قال له : « يبدو يابني أننا نبحث عن المتاعب ، لأنه لو استمر الإسرائيليون في موقفهم (العدوان على مصر . ج) فربما اضطر لاستخدام القوة لإيقافهم وعندها فقد أخسر الانتخابات ، فسنفقد نيويورك ونيوجرسي وبنسلفانيا وكنتكت على الأقل » (ايزنهاور ص ٣٥٣) .

فتأمل كيف قلبها هذا الكويتب رأساً على عقب ، وتأمل ماذا يصيب الفكر في بلادنا عندما يعكف العسكر على كتابة التاريخ . . بل تزويره ! . .

م٩ ـ كان يمثل المصالح النفطية الأمريكية ولذلك كان أشد الأمريكيين في تلك الفترة عداء لبريطانيا ، وأكثرهم تعرضاً لحقد سلوين لويد . وهو الذي عارض السد لكي لا يشترك فيه الانجليز !

م١٠ ـ وهذا يؤكد ما قلناه عن أن الصدام سابق على القناة بستة أشهر على الأقل !

م١١ ـ يبدو وإن كنا لا نملك أدلة توثيقية أن اتفاقاً تم بين الأمريكان والروس . أطلق فيه الأمريكان يد الروس في إخماد ثورة المجر دون أي تدخل جاد ، وبالتالي ترك الروس الأمريكان ينكلون بالانجليز والفرنسيين . على الأقل هذا ما حدث .

م١٢ ـ أبلغ الأمريكان الحكومة البريطانية أنهم يعترضون على رئاسة « سلوين لويد » للمؤتمر ، وقال « دلاس » له في ٥ أغسطس « ليس من المرغوب فيه أن تترأس المؤتمر . . فأوضحت له أن البديل سيكون سلسلة إجراءات تبادل الرئاسة يومياً حسب الحروف الهجائية . . الخ » ص ١٠٩ لويد .

م١٣ ـ الدول التي حضرت : بريطانيا وفرنسا وهولندا وإيطاليا وروسيا وأسبانيا والدنمارك وألمانيا والنرويج والسويد وأمريكا واستراليا وسيلان والهند واليابان ونيوزيلاند وباكستان وإيران .

م١٤ ـ سلم « هيكل » بما قلناه عن « جمعية المنتفعين » وأنها كانت اقتراحاً أمريكياً لتعطيل التحرك البريطاني وكسب الوقت لصالح ناصر . . (انظر كلمتي للمغفلين ص ٢٥٦ / ٢٥٧) اعترف هيكل بذلك ولكن على أساس مبدأ من يعرف يقال له أكثر ومن لا يعرف لا يستحق أن نعرفه ، فقد آثر بها القراء الانجليز ، فأثبت رأي سلوين لويد أنها كانت مجرد إجراء تعطيلي وأضاف إن دلاس « خصى هذه الجمعية في نظر الانجليز والفرنسيين باعلانه في ١٣ سبتمبر أنها لن تشق طريقها بالقوة » ص ١٠٦ خ .

أمن يخصي لكم جمعية المنتفعين تسميه شريكاً رابعاً ؟!

م١٥ ـ الذي أراد هيكل أن يوسطه لإثارة اهتمام إسرائيل بما يجري في مصر !!

م١٦ ـ وزادنا هيكل تعريفاً بأخطاء الزعيم في ملفات السويس ، فأخبرنا أن عبد الناصر جلس يكتب تقريراً للموقف بعد التأميم فكتب ٧ صفحات ، فلما وصل إلى تقدير الموقف عسكريا توقف عن الكتابة وراح يقدره شفويا !

ماذا قدر في السبع صفحات إذا كان التقدير العسكري لم يجد أنه يحتاج للتفكير على الورق ! . .

هل هذه من باب الدس على الزعيم ؟!

م١٧ ـ هذا ما كتبناه منذ سنوات ، ولكن الشكوك تساورنا الآن حول حقيقة موقف الدكتور « محمود فوزي » بحكم العلاقة التي بينه وبين هيكل وإصرار هيكل على مدحه ، وادعاء ترشيحه رئيسا للوزراء في عهد السادات ثم أخلاقيات « محمود فوزي » التي مكنته من البقاء وكانت محل استنكار كل من عرفها لمنافقة الزعيم ومن حول الزعيم ، وتجنبه إبداء أي رأي ، أو معارضة حتى مرءوسيه من العسكر . . مما يجعلنا نتساءل لماذا حذرت جميع المصادر المصرية من العدوان إلا « محمود فوزي » الذي أصر على استبعاده و « تضليل » الزعيم ؟! وهل هناك مصدر آخر يعزز روايته عن همرشولد وشبيلوف ؟! هذه مجرد وسوسة خطرت لنا . .

م١٨ ـ ويبدو أننا امسكنا « هيكل » هنا من مقتل ، ففي كتابه ملفات السويس تدارك الأمر ورد على ما كتبناه باعتذار يقول :

(ولكن « جريفاس » شأنه شأن أي « سياسي » لم يتورع عن استغلال الموقف بعد ذلك لصالح قضيته ، فقد عرض على الانجليز هدنة في قبرص طوال فترة أزمة السويس إذا قبلت الحكومة البريطانية ببعض شروط حركة المقاومة القبرصية !!) ص ٤٦٣ ع .

ووضع علامات تعجب !! والعجب منكم مرتين ، مرة لأنك وزعيمك أو تلميذك جهلتما حقيقة موقف القبرصي اليوناني الصليبي أو تجاهلتماه عن عمد ، والثانية أنك بسوء نية أخفيت هذه الحقيقة عن المصريين والعرب عشر سنوات حتى أمسكت بخناقك متلبساً بتزييف موقف ايوكا ومكاريوس وقد جعلتهما أبطالا مناصرين لمصر فجئت تجرجر عارك وتخفي اثمك بهذا الاعتذار وعلامات التعجب و « يتورع » .

أنت الذي لم يتورع عن تزييف الحقائق وإخفائها على القراء . .

م١٩ ـ عبد الناصر والعالم : هيكل ـ وارجع إلى فصل الأمريكان واعترافات مصطفى أمين حيث نقل هو وهيكل بالطبع إلى عبد الناصر تأكيدات المخابرات الأمريكية بأنه لن يقع عدوان ما لم توافق عليه أمريكا ، وأمريكا لن توافق وهذا يفسر موقف عبد الناصر « افضل » تفسير ويبعد الشبهات الأخرى التي تقود تفسيراتهم إليها .

الفصل التاسع

هزيمة في المعارك ..
.. ونصر في الاذاعات !

أحداث ١٩٥٦ أثبتت أن العمالة بمفهوم التضحية بمصالح الوطن التزاما بتوجيهات أمريكا أكثر انطباقا على مصر الناصرية من إسرائيل . .

« ج »

كيف دارت المعركة على أرض سيناء فيما وصفه « هيكل » بأنه « أكمل نصر في الحروب المحدودة » بل أكمل نصر عربي في تاريخهم الحديث ! . .

« في الساعة الخامسة بعد الظهر تحرك لواء ميكانيكي إسرائيلي في اتجاه منطقة الكونتيلا ، وعلى آخر ضوء تم إسقاط كتيبة مظلات إسرائيلية في منطقة سدر الحيطان في ممر متلا » .

أين كانت القيادة المصرية . . وكيف وصلها النبأ . . ومن الذي أبلغها النبأ ؟ اليد ترتجف ، والجبين يقطر خزياً وعاراً . . والقلب ينكسر ولعل ذلك ما قصد إليه هيكل في إيراد هذه الرواية :

« كان جمال عبد الناصر ساعتها يشترك في احتفال عيد ميلاد ابنه عبد الحميد ، وسلمت إليه برقية وكالة يونايتدبريس تنقل البيان الرسمي الإسرائيلي ، وقرأ عبد الناصر البرقية ثم ناولها إلى عبد الحكيم عامر ، وكان يحضر حفلة عيد الميلاد ، وخرج الاثنان من القاعة المليئة بالأطفال (ربنا يحرسهم ج) وتوجها إلى غرفة مكتب عبد الناصر ومن هناك راح عبد الحكيم عامر يتصل بمقر القيادة العسكرية المصرية في كوبري القبة . ولم تكن الوحدات المصرية في الميدان قد أبلغت بعد عن حدوث شيء »[1] !

يعني لو لم تصدر إسرائيل بلاغاً عسكرياً بهجومها وتوزعه على وكالات الأنباء ، وتحرضها على إبلاغه للعالم كله . لو لم تفعل إسرائيل لاستمر الرئيس والقائد العام للقوات المسلحة بين الأطفال أحباب الله إلى نهاية الحفل السعيد ثم انصرفا إلى السهرة أو النوم أو قطع فروة صلاح سالم . . دون أن يسمعا فضلاً عن أن يواجها الغزو الإسرائيلي لسيناء !

ولا يجوز اتهام إسرائيل بالغفلة في إفشاء سر غزوها ، لمن لا يريد أن يعلم ، ولا بعداء خاص للطفل عبد الحميد ، وتعمد تعكير حفل عيد ميلاده ، بإعلان هجومها ، بل ذلك كان ضمن الاتفاق الأنجلو فرنسي ـ الإسرائيلي ، وهو أن تعلن إسرائيل أنها تشن حرباً . . وليس مجرد مناوشات ، حتى يبدأ العد التنازلي لتنفيذ الجانب الأنجلو ـ فرنسي بتقديم الإنذار . . الخ . .

رئيس الدولة ونائبه في حفلة عيد الميلاد ولحظة غزو مصر . . لماذا لا يحضر واحد ويبقى الآخر إلى جانب التيكر ، مادامت وكالات الأنباء أصبحت المصدر الوحيد الذي نعرف منه خبر غزو بلادنا ، بل ونقلاً عن تل أبيب ! . . إبراهيم ومراد عرفا بغزو نابليون من رسول محمد كريم في الأسكندرية في نهاية القرن الثامن عشر وليس من القنصل الفرنساوي ! . .

لا اتصال بين القيادة والجبهة . . لا القيادة السياسية ولا القيادة العسكرية التي لم يكن لديها أي خبر من « الوحدات المصرية في الميدان » حتى بعد قطع التورتة ، وإذاعة وكالات الأنباء الخبر ! . .

لا مخابرات ولا أجهزة إلا إذا كان الأمر يتعلق بوفدي أو إخواني أو شيوعي . . أو ضابط غير متجاوب في الجيش ، عندها يكون عند القيادة الخبر اليقين . . ؟!

هيكل يحملها « للوحدات في الميدان » فهي التي لم تكن قد أبلغت شيئاً ؟! تبلغ من ؟ القيادة التي لم تسمع ولم تعلم رغم مرور ساعتين على الانزال وبعد صدور البلاغ الإسرائيلي الثاني لم يكن لها أي اتصال بالجبهة ! . . حتى بعدما ذهبوا إلى القيادة وحضر بغدادي« لم يكن الموقف قد عرف بعد على حقيقته حتى تلك اللحظة »* ولم تصل أخبار بعد « عن نزول قوات مظليين في سدر الحيطان » . . والذي كان هادىء البال عندما حدثه هيكل من « كابينة التليفون في ميناهاوس طلبت خطاً خارجياً وأدرت بيدي**رقم تليفون مكتب جمال عبد الناصر . . . الخ وسألته « إذا كان يريدني أن أذهب إليه . . ؟ وكان تعليقه : « عندما تفرغ من عشائك مُرْ علي »*** لم يرد أن يفسد عليه العشاء رغم نزول الإسرائيليين في سدر حيطان !

ورغم تكرر الهزيمة في ١٩٦٧ فقد ظل الجهاز الحاكم غارقاً في هذه الغفلة وفي « الغياب عن الوجود الحضاري » وسيسمع الرئيس بعد ١٢ سنة أن المظليين الإسرائيليين ذاتهم نزلوا في إحدى الجزر المصرية وفكوا محطة الرادار وحملوها وانصرفوا ووصلوا بها إلى إسرائيل وأذاعوا النبأ من إذاعتهم ، وسيتصل الزعيم بقائد جيشه : « صحيح ما يذيعه راديو إسرائيل ؟ « فيرد قائد الجيش الذي كان سينفذ الخطة بزراميت أقصد جرانيت : « دقيقة واحدة ! أسأل باريس وأخبرك » !!

وحتى بعدما وقع الغزو يقرر هيكل أن عبد الناصر كان يستبعد من ذهنه احتمالات التواطؤ . ثم « إن الطريقة التي بدأت بها العملية لم تنقل إليه الإحساس بأنه أمام شيء خطير . كانت لديه تحفظاته التي تجعله يقطع بأن بريطانيا بالذات لديها من الروادع ما يصدها عن الاشتراك مع إسرائيل في عمل عسكري ضد مصر . وكان تحت تصور أن مشكلة قناة

* ردي علي يانقطه . . حضرة الظابط معايا ع الخط يانقطه !

** أمال بلسانه . . ؟! كل الناس تدير التليفون بيدها !

*** تفضل علينا هيكل بمعلومات أكثر عن هذه المحادثة في ملفات السويس .

السويس في طريقها إلى حل سياسي عندما يجتمع الدكتور محمود فوزي مع سلوين لويد وكريستيان بينو في جنيف بحضور همرشولد »[3] .

دعنا من حساباته إزاء بريطانيا وفرنسا . . لماذا لم يقنعه ما حدث بأنه أمام شيء خطير . . غزو بري ، وإنزال كتيبة كاملة في عمق سيناء ؟! ما هو الخطير . . إنزال في قصر القبة ؟!

نحن إذاً أمام خطأ فادح في التقدير . . وإهمال جسيم في الاستفادة من المعلومات بل التصرف على عكس ما تتطلبه تماماً . . مما أدى إلى إضعاف المقاومة المصرية ، وتسهيل مهمة العدو في احتلال سيناء وتدمير جميع المنشآت فيها وتدمير جميع السلاح السوفيتي ، وسلاح الطيران المصري . .

ألم يكن سكوتنا عن مناقشة هذه الأخطاء عشر سنوات سبباً لتكرارها في ١٩٦٧ . . أيجوز أن نستمر في السكوت اليوم ؟!

وعندما تأكد أنه الغزو ماذا فعلت القيادة ؟!

اضطراب وتخبط وانقسام وزعل . . وأوامر متعارضة متضاربة كلها لصالح العدو . .

رأينا كيف اتخذ عبد الناصر في ٨ أغسطس ما وصفه باشكاتب الناصرية نفسه بأنه « قرار بالغ الأهمية ، وهو القرار بسحب القوات المصرية من سيناء لأن جبهة القتال المحتملة قد تغيرت »[4] ، والقوات المصرية التي كانت في سيناء وسحبت هي القوات الدائمة ، القوات الضاربة ، أو القوة الأساسية ، المتمركزة هناك من ١٩٤٨ ، المتوائمة مع الأرض ، بخنادقها واستحكاماتها وحقول ألغامها وتمويهاتها ، ونقط استطلاعها ، وكل هذا يهجر بل ويدمر عندما يصدر أمر بالانسحاب لأن العدو على وشك الهجوم في جبهة أخرى ، إذا لا أحد يفكر في العودة لهذه الجبهة وخاصة بالنسبة للفرقة المدرعة السيئة الحظ مع قيادة ٢٣ يوليو ، فهي لا تتاح لها الفرصة أبداً للبقاء في مواقعها والقتال وإنما هي دائماً في حركة إما منسحبة بفعل قرار خاطىء أو عائدة على عجل لتصحيح قرار الانسحاب الخاطيء !

المهم كانت سيناء بلا مقاومة جدية ، « صحراء » حقاً مفتوحة للعدو . . واجتمعت القيادة . . ونترك عضو مجلس قيادة الثورة قائد الجناح « عبد اللطيف بغدادي » ينقل لنا صورة ما حدث !

« بعد أن تم استعراض الموقف وتقدير نية الإسرائيليين تقرر مقابلة هذا العدوان منهم بالقوة ـ أي بالحرب ـ وخاصة بعد أن تأكدنا من إنزالهم هذه القوة عند ممر متلا ولأنه اتضح أن العملية أكبر من أن تكون غارة من قوات عسكرية إسرائيلية على موقع من مواقعنا كما كانت العادة قد جرت من قبل . وقد رؤي أنه من الضروري استخدام قواتنا الجوية في نفس الليلة لقذف قوات العدو التي أنزلت عند الممر وأن تقوم أيضاً في الصباح المبكر بتركيز ضرباتها على مطارات العدو وطائراته . وأن تعمل قدر طاقتها للحصول على السيطرة الجوية حتى تتمكن بعد ذلك من العمل ضد قوات العدو الأرضية بمرونة وحرية .

« ثم حضر بعد ذلك « محمد صدقي محمود » رئيس هيئة أركان حرب القوات الجوية . وصدرت إليه الأوامر بقيام قواتنا الجوية بضرب تلك القوات التي أنزلت عند الممر ، وكذا مطارات العدو فوراً . ولكن ظهر عليه الاضطراب والارتباك وأبدى أن هناك بعض الصعوبات التي تعترض قيام الطائرات القاذفة بعملياتها فوراً ، بحجة عدم توافر الوقود اللازم لها بمطار غرب القاهرة ـ القاعدة الخاصة بقاذفات القنابل ـ ولما كانت القاعدة المأخوذ بها هي ملء خزانات الطائرات بالوقود يومياً بعد انتهاء طيرانها اليومي ، لذا اقترحت عليه بعد أن ذكر هذه العقبة أن تقوم الطائرات بالمهمة المطلوبة منها في تلك الليلة بما تحمله في خزاناتها من وقود على أن يتخذ الإجراءات في نفس الوقت . ليتم توافر كميات الوقود الضرورية بالقاعدة في الصباح . وانصرف بعد ذلك .

« وبعد انصرافه تكلم معي جمال عبد الناصر مصرحا لي بأنه غير مستريح لصدقي للاضطراب الذي ظهر عليه . وطلب مني مساعدة عبد الحكيم في الإشراف على القوات الجوية . وانصرف الجميع بعد أن صدرت الأوامر لعدة وحدات من الجيش بالتحرك » .

ويقول بغدادي إن عامر لم يقبل طلب ناصر أن يشرف بغدادي على الطيران « ففضلت عدم إحراج نفسي ولا إيجاد مشاكل في هذه الظروف ، خاصة أنه ليس هناك قرار واضح يحدد مسئوليتي المباشرة بالنسبة لهذا الشأن » .

لا أحد يلوم عبد الناصر كثيراً على أنه لم يصدر أمراً بإقالة صدقي محمود في هذه اللحظة وتشكيل مجلس عسكري في الموقع وإعدامه . . وإن كان الاحتياط يتطلب إحالته إلى التقاعد وتسليم السلاح لضابط من المحترفين . . لا لعبد اللطيف بغدادي الذي لم يتعرف على طائرة عسكرية منذ ١٩٥٢ . .

ولا أحد يلوم عبد الناصر كثيراً على أنه في هذه اللحظة لم يسأل صدقي محمود كيف تترك قاعدة تموين القاذفات بدون بنزين ، وهم يتوقعون غزواً بريطانياً ـ فرنسياً . . بلاش إسرائيلي . . حتى ولو كانت النسبة عشرة بالمائة ؟! وأين سيستخدم البنزين أفضل من تطيير الطائرات ؟!

ولكن اللوم كل اللوم أنه لم يحاسبه بعد الهزيمة . . بل أبقاه ١١ سنة حتى فعلها فينا مرة أخرى بالتمام والكمال وتوفر البنزين هذه المرة؟! .

ربما نجح الإعلام « الميكلي » في تغطية حقيقة ما جرى في سيناء عام ١٩٥٦ . . بل حقيقة ما جرى على صعيد المواجهة العربية ـ الإسرائيلية . . ولذا لا أحد اهتم بمغزى عجز الطيران المصري أو شلله خلال الـ ٢٤ ساعة الفاصلة في مصير الشرق الأوسط ما بين الهجوم الإسرائيلي ، الساعة الخامسة بعد ظهر يوم ٢٩ أكتوبر والإنذار البريطاني في الرابعة من بعد ظهر يوم ٣٠ أكتوبر . .

١ ـ كان الطيران المصري أقوى من الطيران الإسرائيلي ، والطيارون المصريون أفضل من زملائهم في عام ١٩٦٧ . . لم تكن قد تمت عملية الإفساد التي بدأت بحفلات « فؤاد محرم » وانتهت بالحفل الراقص ليلة الهجوم ! . .

وكانت إسرائيل التي تستعد للحرب ضد مصر من يناير ١٩٥٥ . . لا تخشى شيئاً أكثر من هجمة الطيران المصري على مدن إسرائيل . . (١٥٠ طائرة ميج و ٤٠ قاذفة اليوشن)[٤] وقد استغرقت هذه القضية جلسات طويلة وحادة بين الوفد الإسرائيلي والوفد البريطاني بالذات ، إذ كان بن جوريون يصر على ألا تبدأ إسرائيل هجومها إلا بعد أن يدمر السلاح الجوي البريطاني ، السلاح الجوي المصري . وقد استخدم بن جوريون عبارة « يمسح مدن إسرائيل » في حديثه عن إمكانيات الطيران المصري إذا ما دخلت إسرائيل الحرب قبل تدمير الطيران المصري . وكانت خطة بريطانيا بالذات أنها ستدعي دخول الحرب لفك الاشتباك بين مصر وإسرائيل ، وحماية القناة من قتالهما ، ومن ثم لابد أن تكون هناك حرب ، وأن تستمر بعض الوقت حتى يقوم العذر على رجليه . . ولكن بن جوريون أصر على أن « إسرائيل لن تشن حرباً وحدها » . وأن إسرائيل ستتعرض لمخاطر شديدة ، وخصوصا إذا شن الطيران المصري غارات على المدن الإسرائيلية »[٥] .

« وكانت المناقشة حامية وقد سألتهم (موشى ديان) عما إذا كان السلاح الجوي الفرنسي سوف يهب لمساعدتنا إذا ما تعرضت مدننا للقصف خلال الساعات الأربع والعشرين الأولى عندما تكون طائراتنا كلها مشغولة فوق ميدان القتال ؟ وكان ردهم بالسلب ، وأضافوا إن البريطانيين يعترضون على هذه الفكرة لأنها ـ في رأيهم ـ تفسد السيناريو . وعند هذه النقطة انفجرت غضباً من المنطق نفسه ومن كثرة ترديد كلمة « السيناريو » وقلت لهم إن « شكسبير » كان كاتب سيناريو عبقريا ، ولكني أشك في أن أحداً في مجلس الوزراء قد ورث كفاءته »[٦] .

وكان من المستحيل طبعاً تلبية طلب إسرائيل ، سواء بأن تبدأ بريطانيا وفرنسا الحرب بضرب المطارات المصرية ، أو حتى بأن يتم الغزو في نفس التوقيت ، ولأن إسرائيل كانت متعطشة للحرب أو كما قال موشى ديان « كان علينا ألا نضيع الفرصة التاريخية لمحاربة مصر مع فرنسا وربما بريطانيا أيضاً . . فلن نكون وحدنا » ، وقال سلوين لويد : « كان بن جوريون يطلب منا تعهداً بتصفية السلاح الجوي المصري* قبل أن تتقدم قواته في سيناء

* ويأتي هيكل بعد عشر سنوات فينقل لنا نصاً من بن جوريون يقول فيه على لسانه : « أنا غير مستعد أن نكون وحدنا في المعركة أكثر من ساعات محدودة ، وقبل أن تنتهي هذه الساعات أريد تعهداً مكتوباً من الحكومة البريطانية بأن سلاح الطيران المصري سوف يتم تدميره فور انتهاء هذه الساعات الأولى » ص ٥٢٥ ع .

ياللعجب ! ألا يحق لنا أن نصف قرار عبد الناصر بالتحطيم الشامل للطيران المصري ، (بمنعه من الطيران) ومنذ الدقيقة الأولى للمعركة مساهمة مباشرة في المجهود الحربي الإسرائيلي ودعماً لا يقدر لجيشها . . أو على الأقل تنفيذا للتعهد الذي طلبه بن جوريون ألا يستحق عبد الناصر التمثال أياه ؟!

وإلا فإن مدن إسرائيل مثل تل أبيب ستمحى من الوجود » .

إلى هذا الحد كان الرعب من مصر . . وبعد عشر سنوات من العمل الثوري ، وبناء قوة مصر والدخول في عصر الحضارة ، ستدمر إسرائيل الطيران المصري بدون معونة السلاح الجوي البريطاني !

وكان الحل الوسط هو تقصير الوقت ما بين الهجوم الإسرائيلي والتدخل البريطاني ضد السلاح الجوي المصري ، وكان في ذلك مخاطرة أكيدة ، ونستطيع أن نتخيل اليوم النتائج التي كانت ستترتب عربياً ، ومصرياً ، وعلى صعيد المواجهة العربية والإسرائيلية ، لو أن السلاح الجوي المصري ضرب مدن إسرائيل وقتل ما بين عشرين ألف وخمسين ألف إسرائيلي في الأربع والعشرين ساعة ما بين بدء الحرب والتدخل البريطاني . مهما أسرف الخيال ، فلا يمكن المبالغة في النتائج التي كانت ممكنة ، فلا أحد كان يتوقع من مصر أن تهزم بريطانيا وفرنسا ، ولكن الرأس العربي كان سيرتفع شامخاً مع كل ضربة تنزل بإسرائيل ، وكنا سنحطم جدار الأمن الذي اجتهدت أو تمحورت السياسة الإسرائيلية في توفيره للمواطن الإسرائيلي . .

ربما كان تغير مصير الشرق الأوسط . .

المهم خاطرت القيادة الإسرائيلية ، على العنصر الحاسم الذي تميزت به القيادة المصرية في مواجهتها لإسرائيل ، وهو عدم الاستجابة للتحدي ، الرغبة في عدم تصعيد أي اشتباك إلى مستوى الحرب . . يقول : « كنت آمل أن معارك الأيام الأولى ستكون محلية ، وهذا يشجع المصريين على تقديرها بأنها ليست أكثر من عمليات ردع كبيرة ، وبما أنهم لا يرغبون في تصعيدها إلى حرب شاملة . فلن يعبروا الحدود ، ولن يقذفوا مدن إسرائيل ومطاراتها بالقنابل »[7]

بالطبع كانت هناك خطورة في المراهنة على هذا الاحتمال . فلو ثبت خطأه وشنت مصر هجوماً على المدن الإسرائيلية ، فسندفع ثمناً غالياً ثمن تفويت الفرصة بمفاجأة الطائرات المصرية وهي لا تزال على الأرض ولكني قدرت أن القيادة المصرية لن يكون لديها تصور صحيح لما يجرى في الساعات الأولى[3] .

وليس إلا في صباح اليوم الثاني حتى أن رئيس الأركان (المصري) سيدرس رده ومن المؤكد أنه سيحشد كل قواته لمواجهة الوحدات الإسرائيلية التي تسللت إلى الأراضي المصرية ولكن لا أعتقد أنه سيرسل طائراته لضرب تل أبيب » .

وقد ثبتت صحة تقديرنا وهو أننا إذا لم نهاجم مطارات المصريين فلن يمدوا نطاق عملياتهم الجوية خلف حدود سيناء » .

لاحظ أنه حتى خاطر بخسارة فرصة مباغتته للطيران المصري ، لأنه إذا فعل وضرب المطارات المصرية في القاهرة والأسكندرية فلا يمكن للقيادة المصرية أن تتعلل بأنها مجرد

« اعتداء على الحدود » . . وعندها يمكن أن يصل جانب من السلاح الجوي المصري إلى مدن إسرائيل . . ولذلك حرص على إعطائها المبرر للتخاذل . .

اعترف هيكل بهذه الحقيقة في الطبعة الانجليزية ، وأخفاها في الطبعة العربية ، عندما قال إن خطة إسرائيل كانت : « عدم القيام بأي عمل لاستفزاز القوات الجوية المصرية للعمل ، لأنه كان يخشى أنها يمكن أن ترد بالإغارة على تل أبيب وغيرها من المدن الإسرائيلية . وكان بن جوريون قلقاً بالذات من الخطر الذي تشكله طائرات الأليوشن الثماني والعشرون . وهذا يفسر نقص النشاط الجوي في المرحلة الأولى ، الأمر الذي حير القيادة في القاهرة » ص ١٨٣ خ .

حقاً ! ربنا لا يحير مؤمناً . .

ولماذا الحيرة ؟ انتهزوا الفرصة واضربوا أنتم . . وإذا كان هذا يفسر نقص النشاط الجوي الإسرائيلي فما تفسير نقص النشاط أو انعدام النشاط الجوي المصري ؟ والحق أنها نقطة مهمة ، فصحيح أن الأمور قد جرت وكأن هناك تنسيقاً مسبقاً بين القاهرة وتل أبيب ، أو تعهداً مصرياً بشل الطيران ومنعه من ضرب مدن إسرائيل ، إلا أن الدول التي يحكمها أبناؤها ، لا تترك مجالاً لمفاجأة أو خطأ مهما يكن نظرياً . . إذ يحتمل أن يوجد في سلاح الطيران المصري أو في قيادة الجيش من ليس في اللعبة ، ومن ثم يرى إخراج الطيران المصري ، لمواجهة الطيران الإسرائيلي إذا شن هجوماً واسعاً ، ورد الضربة في مدن إسرائيل . . وإن كان الزعيم قد احتاط تماماً فقص أجنحة الطائرات وسحب البنزين منها ومنع طيرانها . . وسجل « هيكل » له هذه المفخرة على قاعدة التمثال إياه ! « إن واحداً من أبرز القرارات التي اتخذها ناصر فور سقوط القنابل على القاهرة هو عدم الاشتراك في أية معارك جوية لأنه عرف أن الطيارين أهم لمصر من الطائرات . . . الخ » ١٨٦ خ .

وكما ترى لا يزال مصراً على التضليل والتزوير وعدم الإجابة على السؤال الذي طرحناه من سنوات . . وهو : لماذا لم يأمر بمعارك جوية قبل سقوط القنابل ، في الفترة من الهجوم الإسرائيلي إلى رفض الإنذار البريطاني ؟!

لماذا لم يقم طيارونا بغارة على تل أبيب ومدن إسرائيل . . من الذي شل يد طيارينا عن تحقيق أمنية العرب العادلة . . ؟!

لا يجيب . .

على أية حال . . الطيارات ما كانشي فيها بنزين ! . .

وهكذا ضاعت ٢٤ ساعة حاسمة فاصلة في تاريخ الشرق الأوسط ، ووصل الإنذار البريطاني ولكن لم يأخذه جمال عبد الناصر مأخذ الجد ، وكان يعتقد أن الغرض منه هو أن نعمل على الاحتفاظ بالجزء الأكبر من قواتنا دون تحريكها إلى أرض المعركة من سيناء . . » .

إذا جاءت معلومات بهجوم إسرائيلي ، توقع أنها تضليل لستر هجوم بريطاني ، وإذا جاء

إنذار بريطاني توقع أنه لتغطية هجوم إسرائيلي ! . .

وينتقده البغدادي : « وكان هذا هو ما يعتقده جمال رغم المظاهر السابقة وصورة الجدية في تحريك انجلترا وفرنسا لقواتها إلى جزيرتي مالطة وقبرص ، ومواقفهما من الحلول السلمية المختلفة » .

أخطأ الرئيس فهم نوعية العلاقة بين أمريكا من ناحية وإسرائيل وبريطانيا وفرنسا من ناحية أخرى ، فجهاز الإعلام المصري الذي يصف إسرائيل بأنها عميلة أمريكا يفهم هذه العمالة بمصطلح « نوري السعيد » أي الخيانة ، والتبعية حتى ضد المصلحة الذاتية ! ولذلك تصور أن أمريكا تستطيع « فرملة » إسرائيل على حد تعبير المتحدث الرسمي هيكل* ، وربما بريطانيا وفرنسا ولكن ـ الحمد لله ـ ثبتت الرؤيا أو بتعبيره تكشفت العملية بكل أبعادها عندما صعد إلى سطح البيت وشاهد القصف على مطار العاصمة . كانت الطائرات قاذفات بعيدة المدى « كانبيرا » بريطانية في الغالب (والله أعلم ج) . . وعلى العموم فلا أحد يملك في المنطقة قاذفات بعيدة المدى غير الانجليز . .

يعني لازم هم ! . .

إذا كانت هذه قاذفة بعيدة المدى ، وهذه هي القاهرة ، واليوم هو الأربعاء . . فهؤلاء هم الانجليز . . ونكون فعلاً في حالة حرب !

كان عبد الناصر قد اتخذ قراراً بسحب القوات من سيناء في أغسطس ١٩٥٦ وبذلك أصبحت « مكشوفة » بتعبير هيكل نفسه . وكان ذلك أكبر مما تحلم به إسرائيل إذ جعل من الممكن أن تهبط مظلاتها في قلب سيناء . . وأن تنخفض خسائرها بنسبة كبيرة جداً ، وما أبدته الوحدات المصرية القليلة المتناثرة من مقاومة مذهلة . يمكن أن يوحي بما كان يمكن أن ينزل بالجيش الإسرائيلي من ضربات قاصمة لو أن القوات لم تسحب من هناك .

بل إن هيكل يورد شبهة عجيبة على مسلك عبد الناصر فيصوره وكأنه كان يتعمد اخلاء سيناء لإسرائيل . . إذ يقول :

« وكانت المواقع المصرية شبه خالية لدرجة دفعت الجنرال « بيرنز » كبير مراقبي الهدنة إلى أن يكتب تقريراً « لداج همرشولد » السكرتير العام للأمم المتحدة يقول فيه : « إن تقلص حجم القوات على الخطوط المصرية يمثل إغراء شديداً لإسرائيل » ولكن جمال عبد الناصر استبعد أن تقترب إسرائيل من هذا الإغراء في هذه المرحلة »[٨]

ممثل الأمم المتحدة يصرخ : نامت نواطير مصر عن ثعالبها . . أو « المال السايب يعلم الأولاد الحرام » . . وحاكم مصر لا يبالي ويصر على أن إسرائيل لا يمكن تعملها . .

---

* بالعكس . . تطورات الأحداث في حرب ١٩٥٦ أثبتت أن وضع العمالة لأمريكا بمفهوم التضحية بالمصالح الوطنية التزاماً بتوجيهات أمريكا كان أكثر انطباقاً على مصر الناصرية من إسرائيل .

أعترف أن مثل هذه النصوص التي يقدمها هيكل تجعل التفسير القائل بيهودية عبد الناصر يلح الحاحا لا يمكن مقاومته ، ومع ذلك أعترف أيضاً أنني لا أملك أدلة مقنعة عليه ، ومن ثم لا أحيد عن تفسيري وهو ارتباطه بالمؤامرة والمخابرات الأمريكية جعله يتخذ قرارات فاضحة في خدمتها لإسرائيل . . مثل إخلاء سيناء ومنع الطيران المصري من ضرب مدن إسرائيل ثم قرار الانسحاب الثاني !

وفور التأكد من الهجوم الإسرائيلي أصدر عبد الناصر الأمر للجيش بعبور القناة شرقاً والتوجه إلى سيناء . . واتخذ عامر وضع الهجوم . .

ورغم كراهية بغدادي لعامر وشهادته السيئة لأسلوب إدارته للمعركة إلا أن الشهادة نفسها تؤكد أن عامراً كان يقاتل بكل قواته ، وكان ينفذ توجيه الرئيس بحرفياته وكان يأمل ـ وله الحق ـ في الانتصار على إسرائيل . يقول بغدادي : « وفي يوم الثلاثاء ٣٠ أكتوبر ١٩٥٦ ذهبت إلى القيادة المشتركة في الساعة التاسعة صباحاً فوجدت كمال الدين حسين موجوداً مع عبد الحكيم . ولكن لاحظت أن عبد الحكيم يدير المعركة بحالة عصبية ويتولى إصدار الأوامر في كل كبيرة وصغيرة . والقادة في الميدان لا يملكون التصرف إلا بعد الرجوع إليه . . وهذا عيب كبير في إدارة المعارك الحربية . وهو كقائد عام يجب عليه أن يتفرغ للأمور الهامة أثناء المعركة . وقد لاحظت أيضاً أنه كان يدفع بقوات كثيرة إلى أرض المعركة دون مبرر واضح يدعو إلى هذا التصرف ، ولكن ـ على ما يظهر ـ كان يرغب في تحقيق نصر سريع ، لأنه كان عندما يمر بعض الوقت دون سماع أخبار عن تحقيق النصر الذي يأمله يقذف بقوات جديدة إلى أرض المعركة»[4] .

المهم أن القوات المصرية كانت في حالة اندفاع إلى سيناء . . ولم يكن الوقت قد سمح لها بعد بتحقيق انتصارات كما يستنتج بغدادي ، فالأوامر صدرت بالهجوم في ليل يوم ٢٩ وبغدادي في القيادة في التاسعة صباحاً . . فهي على الأغلب وحتى مساء نفس اليوم إما مازالت تعبر ـ وعبور القناة وقتها لم يكن بالعملية السهلة فلم يكن هناك إلا الكوبرى وعبّارة شبه يدوية ـ أو وصلت إلى سيناء وبدأت تأخذ مواقفها وتوزع مهماتها وتحاول تحديد مكان العدو . .

وفجأة انقلب كل شيء رأساً على عقب . .

قرر الرئيس الانسحاب !!

وإليك رواية المحامي العام :

« وكان جمال عبد الناصر في مقر قيادة القوات المسلحة في كوبري القبة يواجه مواقف بالغة العنف .

دخل هو إلى القيادة وفي ذهنه أن الانسحاب الكامل من سيناء ضروري حتى لا تقع كارثة كان يخشاها ويتحسب لها ، وكان عبد الحكيم عامر يعارض قرار الانسحاب من سيناء ،

وحاول عبد الناصر أن يتكلم بهدوء في بداية الأمر ويقول لعبد الحكيم عامر :

ـ ألا ترى أن استمرار تدفق قواتنا على سيناء معناه أننا نجري بأقصى سرعة لكي نضع أنفسنا في فخ ؟

إن قواتنا سوف تجد نفسها والإسرائيليون أمامها والانجليز والفرنسيون وراءها ، ولابد من تجمع القوات كلها في منطقة قناة السويس وإلى الغرب منها لخوض المعركة ضد العدو الرئيسي وهو بريطانيا وفرنسا ، وبعدها يكون أمر إسرائيل سهلاً » .

« ويقاوم عبد الحكيم عامر لأسباب عاطفية قرار الانسحاب ، ويصر جمال عبد الناصر ، ويبعث الإشارات موقعة منه إلى قادة الوحدات المتقدمة في سيناء يأمرهم فيها بالانسحاب .

وكانت خطته على النحو التالي :

١ ـ إن الكتائب الأصلية الثماني التي كانت موجودة في سيناء من الأصل عليها أن تقاوم مهما كان الثمن ، وحتى إلى آخر رجل وآخر طلقة ، لمدة ثمان وأربعين ساعة ، وذلك حتى توقف تقدم الجيش الإسرائيلي في سيناء ، فلا تشتبك مع القوات المتدفقة عليها بينما هي الآن تحاول الانسحاب عائدة إلى غرب قناة السويس .

٢ ـ على كل القوات المتدفقة عبر قناة السويس إلى الشرق ، وفي مقدمتها الفرقة الرابعة المدرعة ، أن تكمل انسحابها من سيناء في ظرف ست وثلاثين ساعة ، مهما كان الثمن ، وعليها أن تتمركز في منطقة القناة وفي مناطق شرق الدلتا ، لتكون مستعدة لمواصلة القتال مع العدو على الجبهة الرئيسية للمعركة .

٣ ـ تعطيل الملاحة في قناة السويس ، ونسف بعض السفن المحملة بالأسمنت فيها وسط المجرى الملاحي ، ووضع كل غزاة القناة أمام أمر واقع جديد .

٤ ـ على الطيران المصري ألا يشتبك مع العدو لأن المعركة غير متكافئة .

٥ ـ الاستعداد لحرب شعبية ممتدة ضد الاحتلال ، حتى لو توقفت الحرب المنظمة واستطاعت قوات الغزو أن تتغلب على القوات النظامية للجيش المصري .

وتم ما طلبه جمال عبد الناصر .

أما بغدادي فيقول إن صلاح سالم هو الذي أقنع عبد الناصر بالانسحاب ، ويقول : « في العاشرة والثلث مساء صدر قرار الانسحاب الشامل لقواتنا من تلك المناطق ، سيناء وحتى من قطاع غزة ورفح والعريش وشرم الشيخ » .

وبغدادي يجعل القرار جماعياً ! . . ولا يشير بحرف إلى معارضة عامر العنيفة لقرار الانسحاب . . ولو كان فيه الخير ـ أي قرار الانسحاب ـ لأطنب في تسجيل معارضة عامر ! . .

ويقول حمروش : « قرر عبد الناصر سحب قوات الجيش إلى منطقة القناة لتقف مع الشعب في دفاعه عن حريته وقناته بدلاً من دفعها إلى سيناء وهي ثُمن مساحة مصر كلها

والقوات المتيسرة ليست كافية للدفاع عنها في ظروف تفرض الصحراء فيها متاعب إدارية وفنية كبيرة » .

عبيد السوء هؤلاء الذين اغتالوا سيدهم يكرهون سيناء ، وهي عندهم صحراء ، وباعتبارهم مهاجرين من بروكلين ومانهاتن وكييف لا يقدرون على حرب الصحراء ومتاعبها الإدارية والفنية مثل « البدو اليهود » ولذلك يتركونها لهم كلما هجموا !

لماذا يُخلى ثُمن مساحة مصر ؟ لماذا لا يدافع الجيش عن حريتنا وقناتنا في سيناء على الضفة الشرقية للقناة ؟ وأي دفاع عن القناة هذا إذ سمحت للعدو بالوصول إلى شاطئها الشرقي . . وإذا كنت تريد الدفاع عن شاطئها الشرقي كما سيدعي بعد بضعة سطور ، وبعكس الأمر الصريح الذي أثبته هيكل العليم ، بالانسحاب إلى الضفة الغربية ، إذا كنت ستدافع على شاطىء سيناء فلماذا لا تدافع في الممرات ؟!

وهل هذه قضايا يقررها عبد الناصر ، حتى إذا كان قريب العهد من عمله في مدرسة الأركان ؟! إن خطة الاستيلاء على مقر قيادة الجيش يوم ٢٣ يوليو لم يضعها عبد الناصر بل كلفوا بها زكريا محيي الدين ! لماذا لا يترك للعسكريين الذين أوكلت لهم الثورة مسئولية الجيش ، اتخاذ القرار ؟!

عبد الحكيم عامر وضباطه رفضوا الانسحاب وقرروا أنه من المصلحة الالتحام مع الجيش الإسرائيلي في سيناء وتكبيده أكبر خسارة ممكنة . فهذا من ناحية يفيد الاستراتيجية المصرية على المدى البعيد لأن إسرائيل هي العدو الدائم والجار المقيم ، ولأن القتال كان سيطعم الجنود بالدم ، فيتعودون الصمود والاشتباك مع اليهود . . والسلاح كان متوافراً أكثر من أي وقت منذ ١٩٤٨ ، وهذه فرصة التعميد بالنار كما يقولون . ولأنه « سوف ينتهي الغزو البريطاني والفرنسي يوماً وتبقى إسرائيل أمامنا » .

ويرى العسكريون وفي مقدمتهم عبد الحكيم عامر أن الانسحاب سيدمر الروح المعنوية للعسكريين والشعب ، بل والشعوب العربية وسيخلق سابقة سيئة في أول حرب تخوضها « الثورة » ضد العدو الدائم كما أنه سيضاعف الخسائر ، إذ لا تغطية جوية ومن ثم فالاحتمال الأرجح هو فقدان كل العتاد العسكري ونسبة هائلة من الجنود فلا يبقى ما يدافع به عن قناتنا وحريتنا . وهذا نص أمر عبد الناصر : الانسحاب من سيناء في ظرف ست وثلاثين ساعة مهما كان الثمن . وما هو الثمن هنا ؟ إلا العتاد وعدم المبالاة بالخسائر في الأرواح !

وهو ما حدث فعلاً . . أو كما يقول « هيكل » : « وتم لعبد الناصر ما أراد » .

وكأنه فتح تل أبيب ! . .

ولنفرض أن الجيش المصري حوصر فعلاً بين الجيش الإسرائيلي والجيش البريطاني الذي لم يتخذ موقعاً على أرض مصر إلا قبل وقف إطلاق النار بيوم واحد ، ولم يتجاوز بور سعيد بينما بقي الجزء الأكبر من القناة مفتوحاً للجيش المصري إذا شاء القتال . . لنفرض أنه حوصر ،

هل كانت الخسارة ستكون أفدح . . ؟!

لقد خسرت مصر جميع الأسلحة البرية والجوية ، وانفرط عقد الجيش تماماً ، وصدر الأمر - كما يقول هيكل للكتائب الثمانى في سيناء أن تنسحب « كل رجل على مسئوليته » أي تفرقوا أيدي سبا . .

انسحب الضباط ومن نجا من الجنود بالملابس المدنية بعد أن هجروا أسلحتهم الثقيلة ، وباعوا الخفيفة للبدو مقابل الحصول على جلباب وحذاء غير عسكري وجرعة ماء !

وكانت إسرائيل تعتقل الضباط وتترك الجنود وتجبرهم على عبور سيناء حفاة جياعاً شبه عراة . . وتطاردهم بالطائرات في ما يشبه لعبة صيد الآدميين . . وقد خلا لها الجو . . وقالت جولدا مائير : إنهم انتقوا خمسة آلاف فقط كأسرى من بين ثلاثين ألف جندي مصري كانوا هائمين في سيناء بلا ضابط ولا رابط فريسة مكشوفة للطيران الإسرائيلي الجبان ، الذي لا يظهر إلا بعد تدمير الطيران المصري ! . .

هل هذه الخطة كانت أبرع من استشهاد ضباطنا في ثيابهم الرسمية فوق دباباتهم وعلى رأس جنودهم ؟!

وللحقيقة والتاريخ يسجل حروش أن عبد الحكيم عامر رفض قرار الانسحاب « وظل في مناقشة عاصفة معه (جمال عبد الناصر) طوال الليل مما أخر سحب الدبابات قليلاً » ! . .

وأخيراً رضخ عامر ، أو تمت تنحيته حسب رواية هيكل ، إذ راح عبد الناصر « يبعث الإشارات موقعة منه إلى قادة الوحدات المتقدمة في سيناء يأمرها بالانسحاب » .

وتخيل معنوية القادة والأوامر تصلهم من رئيس الجمهورية ويتساءلون أين القائد العام . . ماذا جرى ؟! . .

وظهر خلاف جديد !

الانسحاب تم كما توقعه عامر ، وكما حاول طول الليل أن يتفاداه ، فالجيش المصري غير الجيش البريطاني الذي يقال فيه إنه كان ينتصر ببراعة انسحابه . . فما إن صدر الأمر للجيش بالانسحاب والالتحام مع الشعب وبأي ثمن ؟ حتى انسحبت القيادات إلى الزقازيق . . « ولكن جمال عبد الناصر أوضح لهم أنه لا يجوز ترك القناة عارية بلا دفاع لأن ذلك يسهل للمهاجمين اقتحامها دون عناء وأنهم سيقفون عند حدود ذلك دون رغبة في اقتحام الدلتا أو الوصول إلى القاهرة » .

« وحدث خلاف جديد بين جمال عبد الناصر وبين العسكريين من رجال الجيش الذين تصوروا أن التحام الشعب بالجيش يكون بسحب القوات إلى غرب القناة حيث تزيد كثافة السكان ونقلوا مركز الرئاسة إلى الزقازيق فعلاً » .

وهذا هو المفهوم المتوقع إذ لا شعب في « صحراء » سيناء يلتحمون به ! . . ولماذا الاستنتاج ، وهاهو الأمين على الناصرية الذي يطلع على الوثائق في الخزائن التي في الدور الأرضي . . يقول حرفياً إن أمر عبد الناصر هو : « تجمع القوات كلها في منطقة قناة السويس

وإلى الغرب منها لخوض المعركة ضد العدو الرئيسي وهو بريطانيا وفرنسا » .
« تحاول الانسحاب عائدة إلى غرب قناة السويس » ص ٢٣٤ . الفرقة المدرعة « تتمركز في منطقة القناة وفي مناطق شرق الدلتا » ص ٢٣٤ .

هذا كله هذر . . الانسحاب بالصيغة التي صدر بها ، كان وقف إطلاق نار وتسليم سيناء بلا قيد ولا شرط . .

١ ـ سحب جيش مازال مندفعاً في طريقه إلى المعركة . . وبعد أن قذف بمعظم القوات إلى أرض المعركة .

٢ ـ الأمر بالانسحاب « مهما كان الثمن » .

٣ ـ سحب الطيران نهائياً من المعركة ولا حتى من تغطية الانسحاب « على الطيران المصري ألا يشتبك مع العدو لأن المعركة غير متكافئة وليس مهماً تدمير الطائرات المصرية . . الخ » .

٤ ـ إرباك العسكريين بجملة إنشائية سخيفة : « الالتحام مع الشعب » التي لا مكان لها في التوجيهات العسكرية فالالتحام يكون مع العدو ! في معركة طاحنة . . وكان أن فهمها العسكريون بأنها تعني الاختفاء داخل الحدائق وبين المنازل . . والتحول إلى المقاومة الشعبية !!

إن أمر الجيش « بالالتحام مع الشعب » تعبير معروف يقصد به حل الجيش أو الاعتراف بانحلال الجيش . لأن القوات المسلحة النظامية ، طالما ظلت تحتفظ بكيانها فليس المطلوب منها الالتحام مع الشعب ، وإنما منع نار الحرب من الوصول إلى الشعب .

وإذا كنا نعتقد أن عبد الحكيم عامر هو أسوأ قائد تولى قيادة الجيش المصري منذ مراد وإبراهيم باستثناء محمد فوزي . . إلا أن الإنصاف يقتضي القول بأنه لا يتحمل مسئولية كبيرة فيما جرى خلال حرب سيناء هذه ـ وأقصد يوميات القتال ـ فلم يكن الأمر أمره ، ولا التقدير تقديره ولا القرار قراره ! .

عبد الناصر يحمل المسئولية الكاملة فيما نزل بجيشنا ، فقد « تم له ما أراد » بنص كلمات هيكل الفرحة . « واستقرت الخطة الدفاعية على أساس تفكير جمال عبد الناصر » كما يقول حروش ، ثم يعود فيناقض نفسه ويقول إن « عبد الحكيم عامر » كان يستحق المحاكمة على قيادته للجيش في حرب ١٩٥٦ وهو ظلم مبين للرجل . . فبعد قرار الانسحاب لم تعد هناك معركة . . ولا حرب . . عبد الناصر هو الذي أصدر قرار الانسحاب وكان سعيداً وفخوراً به . . « فعندما أبلغ جمال عبد الناصر أن عملية الانسحاب قد تمت قال : « شعرت على الفور ساعة أخطرت ، أن مصر كسبت المعركة حين أحبطت خطة العدو ولو أن قرار الانسحاب قد تأخر ٢٤ ساعة فقد كان الأمر كله قد انتهى » .

معركة وكسبناها . . فلماذا يستحق القائد العام المحاكمة ؟! . .

ونعتقد أن هذه هي عينة من الشعارات المسبوكة التي وضعت فيها بعد لقلب الصورة ، وجعل الهزيمة انتصاراً ، والقرار الخاطيء بالانسحاب عبقرية وإلا فما الذي تحقق بالانسحاب من سيناء ؟!

مائة وثلاثة ملايين جنيه ثمن السلاح الذي دمر أو سقط في يد العدو . . واستشهاد الآلاف من شبابنا . .

ما المعركة التي كسبتها مصر بالانسحاب ؟!

لم يكن سلوك عبد الناصر وكلماته في لحظات الصدق مع النفس خلال الحرب تعكس مثل هذا الادعاء بنجاح الخطة وكسب المعركة ، فقد كان يبكى ويقول « هزمني جيشي » وليس هكذا يتكلم القائد الذي كسب المعركة بفرق ٢٤ ساعة !!

هذا كلام كان يقبل ويردد بدون مناقشة يوم كان عبد الحليم حافظ يغني له : « قول ما بدالك احنا رجالك ودراعك اليمين » . . حتى فنت الرجال وقطع اليمين . .

كذلك قد عرفنا من شهادة بغدادي وتحليل موشي ديان سبب عدم اشتراك الطيران المصري في المعركة ، وسر انتظار الطائرات حتى جاء الانجليز وحطموها على الأرض في يوم واحد وكانوا يتوقعون يومين ، ولكن هيكل كالدبة التي قتلت صاحبها ، ينسب هذا إلى الرئيس عبد الناصر نفسه عندما يقول إنه أصدر أمره بالآتي :

« على الطيران المصري ألا يشتبك مع العدو لأن المعركة غير متكافئة ، وليس مهماً تدمير الطائرات المصرية ، وإنما المهم الحفاظ على الطيارين المصريين المدربين وعددهم محدود . وإذا تمكن العدو من اصطيادهم في الجو واسقاط طائراتهم وهم فيها ، وقتلهم . فسوف تمر عشر سنوات قبل أن يكون لمصر طيارون قادرون على العمل . والأوضاع الحالية لا تترك للطيران المصري فرصة ، فأمامه قرابة ألف طائرة بريطانية فرنسية إسرائيلية . وليس لمصر أكثر من مائة وعشرين طياراً مدرباً ولسوف ينتهي الغزو البريطاني الفرنسي يوماً وتبقى إسرائيل أمامنا ، ولا نستطيع أن نواجهها بغير طيارين » .

ولأنه مجرد « إنشا ورص كلام » أو بصراحة مجرد أكاذيب فهو يتناقض مع بعضه . . إذا كان الانسحاب من سيناء هو موضوع التبرير تصبح « بريطانيا وفرنسا هما العدو الرئيسي ، وبعدها يكون أمر إسرائيل سهلاً » ! ص ٢٣٣ . فإذا انقلب إلى الدفاع عن تدمير السلاح الجوي ، أصبح الغزو الانجليزي ـ فرنسي ظاهرة عارضة أما إسرائيل فهي العدو الدائم الباقي ! ص ٢٣٤ .

سلوين لويد قال : إن عبد الناصر كان لديه جهاز إعلام يحسده عليه « جوبلز » ربما . . ولكن « جوبلز » لم يكن يكذب على نفسه ، وعلى هذا النحو المفضوح التناقض . . وفي إحصاء هيكل لما تم مما طلبه جمال عبد الناصر :

أحصى الآتي :

○ « استطاعت الكتائب المصرية الثماني في سيناء أن تقاتل وأن تصمد في قتالها على مدى الثماني والأربعين ساعة المطلوبة منها ، ولم تستطع القوات الإسرائيلية أن تتقدم على محاور سيناء الأربعة إلا بعد أن توقفت مقاومة هذه الكتائب ـ بعد الموعد المقرر لها ـ وبدأ انسحابها ، وكان رأي قادتها أنها لا تستطيع الانسحاب بطريقة منظمة ، وخصوصا أنها أبلت في القتال بلاء حسناً ، وهكذا كان الأمر لـ « كل رجل على مسئوليته » .

○ عادت القوات التي كانت تتدفق على سيناء ، وفي مقدمتها الفرقة الرابعة المدرعة ، وكان الطيران البريطاني الفرنسي قد ركز عليها لتدميرها أثناء انسحابها ، ولكنه لم ينجح إلا في إصابة بعض مركباتها الخفيفة ، وأما القوة المدرعة الرئيسية فقد تمكنت من العودة سالمة إلى مواقعها الجديدة .

○ تم تعطيل قناة السويس ، وتوقف شريانها الحيوي عن الضخ ، ووجد الذين كانوا يحاولون ضمان حرية الملاحة في القناة أن القناة توقف نبضها .

○ ابتعد الطيارون المصريون عن سماء المعركة أمام تفوق لا قبل لهم به وهو كفيل بالقضاء عليهم جميعا واحداً واحداً .

○ كان الاستعداد لمواصلة الحرب الشعبية على قدم وساق ، واختار جمال عبد الناصر موقعاً في وسط الدلتا قرب طنطا ليكون مقر قيادته في حرب كل الشعب ضد الغزو ، إذا كانت هناك ضرورة لذلك » .

لنناقش هذه الادعاءات

١ ـ وإذا كنا سنعود لهذه النقطة فيما بعد إلا أننا نسجل اعتراف هيكل بأن قرار الانسحاب هو الذي أوقف المقاومة المصرية للقوات الإسرائيلية . ولقد كانت مقاومة باسلة وعلى أعلى مستوى ، وكان يمكن أن تغير الصورة لولا الأمر بالانسحاب !!! وكأن القيادة المصرية كانت تعمل مع القوات الإسرائيلية ، وإلا فكيف تفسر موقفها من هذه القوات التي وصفها بأنها « صامدة ومستمرة في القتال ، ولا سبيل لتأمين سلامتها ، بل ولا تستطيع الانسحاب بطريقة منظمة . . فإذا بالقيادة تنفض يدها منهم . . بل ياليت . . ياليتها تركتهم يقاتلون إلى آخر جندي أو إلى آخر طلقة ثم يؤسرون كما يحدث في كل الحروب ، بعد أن يعطلوا تقدم العدو ويكبدوه أكبر خسارة ممكنة . . لا . . تأمرهم « بالانسحاب كل رجل على مسئوليته » . . وهو أمر لا يعني إلا التمزق والتحلل من الانضباط العسكري والروح الجماعية ، التحول إلى وحوش كل منهم يحاول النجاة بجلده . . ؟! لماذا . . لماذا تأمرهم بوقف القتال . . ولماذا تصدر هذا الأمر القبيح « كل رجل على مسئوليته » !

وأي « جوبلز » هذا الذي يجسد إعلاماً يردد نجمه هذا الأمر الغريب ، أو التخلي عن مسئولية تأمين الانسحاب لهؤلاء الأبطال والسبب « أنهم أبلوا في القتال بلاء حسناً » ! . .

هل الذي يبلي في القتال بلاء حسناً . . نسرحه ونقول له دبر حالك . . خد بالك من اليهود وأنت ماشي ؟!

ما هذا الهذر ؟! وكيف يفسق في تاريخنا هذا الجاهل . . يقول : « وكان رأي قادتها أنها لا تستطيع الانسحاب بطريقة منظمة ، وخصوصا أنها أبلت في القتال بلاء حسناً . وهكذا كان الأمر لها : « كل رجل على مسئوليته » !! ص ٢٣٥ . إن كان هذا كلام عاقل فهو مريب الهدف !

وإن كان هذا هو منطق هيكل فياحسرة على أمة كان هو المصدر الوحيد للمعرفة فيها ، ومستشار قيادتها ؟!

٢ ـ يعترف أن القوات المدرعة التي كانت تتدفق على سيناء وفي مقدمتها الفرقة الرابعة انسحبت تحت ضرب الطيران البريطاني والفرنسي « الذي ركز على تدميرها أثناء انسحابها » ولكنه يزعم أن الطيران البريطاني والفرنسي أو الألف طائرة إياها (ولا ندري لماذا استثنى الطيران الإسرائيلي من هذه المهمة ج) لم ينجح . . ولا يفسر لنا سبب ذلك . . فالقوات تعبر مضيقاً مائياً لا يمكن أن تعبر عليه إلا عربة واحدة في الوقت الواحد ، وبلا غطاء جوي لأن الحكيم قرر أن الطيارين أهم من أن يخوضوا حرباً فيقتلهم العدو داخل طائراتهم ! . . لماذا وكيف فشلت الألف طائرة في اصطياد هدف مكشوف محصور مثل هذا ؟!

ستقدم في هذا الأمر شهادة عبد الناصر نفسه . . ولكن ألم يكن وضع هذه القوات في سيناء أفضل وهي مشتبكة مع العدو ، مما يقلل فعالية طيران العدو بسبب الاشتباك . . ألم يكن هذا أفضل من وضعها وهي تقوم بدورة ٣٦٠ درجة من الاندفاع إلى الهجوم إلى التراجع وجيش إسرائيل في ظهرها والف طائرة فوقها ؟!

وانظر تعليق ارسكين تشايلدرز في كتابه الطريق إلى السويس :

وكان الانسحاب أمراً شاقاً في وجه هذه الأوضاع التي لم يلقها جيش من الجيوش في الحروب العصرية ، لاسيما بعد أن فقدت القوات المنسحبة أي غطاء جوي ، بعد قرار وقف النشاط الجوي المصرى* وأصبحت هدفاً صالحاً للطائرات النفاثة المغيرة التي تستخدم ضدها المدافع الرشاشة والصواريخ والقنابل وقذائف النابالم المحرقة » ، ولم يكن هناك أى أمل في النجاة أو الرد على الطائرات المغيرة ، ولم يكن ثمة مكان تختفي فيه هذه القوات ، فالأرض صحراوية ومكشوفة تعلوها الرمال »[٩] .

هذا ما فعله عبد الناصر بآبائكم وإخوانكم وأبطال جيشكم ياجيل الناصرية الجديدة ! فلمن ولاؤكم ؟

---

* وتأمل قوله بعد « قرار وقف النشاط الجوي المصري » وليس تدميره . . أي أن سحب الطيران المصري من المعركة كان قراراً مصرياً ومن ثم تدرك مدى الجرم الذي ارتكب في حق أولادنا البواسل وكيف قدموهم فريسة عارية لغربان إسرائيل ! . .

٣ ـ تهريب الطيارين من المعركة ، يصل إلى درجة الخيانة العظمى والتآمر لصالح إسرائيل فإن كان مجرد قرار أو اجتهاد ، فقد كان قراراً خاطئاً ، فلو كانوا قاتلوا وقُتلوا في طائراتهم وخلف مدافعهم ، وهم يتعرضون لطائرات العدو ويسقطون منها قدر جهدهم لخلقوا تقاليد سلاحنا الجوي ، ودافعوا عن شرف هذا السلاح وأضافوا لتراث الوطن العسكري . . وخففوا بلا شك من خسائرنا وأنزلوا الخسارة بالعدو وخاصة في اليوم الأول قبل تدخل الطيران البريطاني . . وحتى لو استشهدوا جميعاً . . حتى لو صدقنا خرافة أننا نحتاج لعشر سنوات أخرى . . وليكن . . فمعنى ذلك أننا كنا سنكون جاهزين في نوفمبر ١٩٦٦ وهو وقت كافٍ جداً لخوض حرب ١٩٦٧ وإلا فماذا فعلنا بطيارينا الذين أنقذناهم ، في الفترة ما بين ١٩٥٦ ـ ١٩٦٧ إلا ضرب الحدود السعودية ، والمعارضة اليمنية . . ؟!

ولماذا نلوم صدقي محمود إذا نفذ توجيهات الزعيم ، وصدق كل ما قيل عن عبقريتها . . فأنقذ الطيارين مرة أخرى وترك الطائرات تدمر في ١٩٦٧ ؟!؟

وإذا كان هيكل قد « كَلْفَتِ » معركة سيناء في أقل من صفحة في كتاب من ثلاثمائة وأربع صفحات مخصص لإثبات أنها كانت أكمل نصر عربي . . فلأنه يريد أن يُخفي الحقائق التي تفضح كذبه . . ولذلك لابد أن نقدم نحن صورة ما جرى فعلاً في حرب سيناء . .

ونبدأ بشبه الماركسي الحائر بين ما ظل يردده باعتباره من المسئولين في الإعلام الناصري عن « نصر السويس » وبين الحقائق التي يعلمها وتعلمها . .

قال حروش : « كان مفروضاً أن يحاكم عبد الحكيم عامر عسكرياً على موقف القوات المسلحة في عدوان ١٩٥٦ الذي ثبت يقيناً أنها لم تؤد دورها كما يجب مع تقدير وجودها في مرحلة انتقال . . الخ » .

وقد ناقشنا حجم مسئولية عامر وسنناقشه ، وإنما المهم هنا هو الاعتراف بأن التقصير وصل إلى حد استحقاق القائد العام للمحاكمة العسكرية ، وهي صورة لا توحي أبداً « بنصر كامل » فضلاً عن « أكمل نصر في تاريخ العرب الحديث » ؟! يالعار تاريخ العرب الحديث إذا كان أكمل نصرهم يستوجب محاكمة قائدهم ؟!

ويقول : « كانت المقاومة الشعبية تقاتل في بور سعيد بينما توقف الجيش عملياً عن القتال بعد انسحابه » .

إذاً لا حماية حريتنا ولا قناتنا ولا التصدي للهجمة الأنجلو ـ فرنسي العدو الرئيسي . . الخ . . كل هذا لم يكن سوى كذب وتضليل لإخفاء حجم الهزيمة . .

والمؤرخون لهذه الفترة والماركسيون بصفة خاصة ، يشيدون بالمقاومة الشعبية في بور سعيد والموقف الرائع للشعب المصري ، ولكنهم يخطئون تفسير هذه الظاهرة ويخفون الكثير من حقائق هذا الموقف . . ولكي نقدر موقف الشعب المصري ونتعرف على طبيعة المقاومة الشعبية في بور سعيد حيث سقطت سلطة ٢٣ يوليو وأصبح الشعب وحده في مواجهة

الاحتلال . . يجب أن نأخذ فكرة عن الحالة عند القمة . .

يسجل بغدادي باستياء أنه عندما جاء الخبر الكاذب عن إنزال جنود مظلات في أرض السباق بمصر الجديدة : « حدث على الأثر ما لا كنت أتوقعه من الانفعال والعصبية وتكلم عبد الحكيم قائلاً : « اختفوا جميعاً واتركوني مع الجيش » واضطرب جمال (عبد الناصر) وفكر في أولاده . وطلب العمل على نقلهم فوراً إلى القناطر الخيرية ، ولكنه عاد بعد فترة وطلب نقلهم إلى منزل في وسط القاهرة خوفاً من كلام الناس ، وحتى لا يقال إنه هرب أولاده وترك الناس معرضين للخطر . وأما صلاح سالم فإنه كان يصر على قيامنا فوراً بمغادرة مبنى القيادة والاختفاء وطلب منا أن نذهب إلى منزله لنناقش الموقف في هدوء بعيداً عن الخطر » .

(لعله كان يفكر في مذبحة قلعة أخرى أو تكرار قصة شمشون ج) .

« ولم يكن هناك أية قوات بالقاهرة إلا الكتيبة ١٣ المكلفة بحراسة منزل جمال عبد الناصر » .

وإذا كانت الرواية الشائعة هي نصيحة صلاح سالم بالتسليم فإن بغدادي يقسم هذه النصيحة مناصفة بين عبد الحكيم وصلاح سالم ، بل ويجعل عامراً هو السباق إليها فيقول إن عامراً اختلى بجمال عبد الناصر وعرض عليه التسليم أو طلب وقف القتال . وأن عبد الناصر استدعى بغدادي إلى مكتبه وطلب من عبد الحكيم أن يتحدث معه وزكريا « في الموضوع الذي سبق وذكره له أي لجمال . وقال عبد الحكيم إنه يفضل طلب ايقاف القتال »[٦٢] .

أما حكاية صلاح سالم فهي أطرف في رواية هيكل . . إذ قال لجمال عبد الناصر : « لقد أديت لمصر خدمات عظيمة وأنت اليوم مطالب بخدمة أخرى سوف يذكرها لك التاريخ وهي أن تذهب إلى السفارة البريطانية وتسلم نفسك » .

بصرف النظر عن أمانة هيكل في النقل وصلاحيته كمصدر إلا أن الرواية أيدها بغدادي وغيره من المصادر الأكثر مصداقية ، وهي على أية حال لا تستغرب من صلاح سالم فقد كان يتمتع بقدرة على السخرية حادة ، لا يفوقها إلا حقده على عبد الناصر واقتناعه بأنه ـ أي عبد الناصر ـ لا يؤمن بأية قيم ، ولا يفكر إلا في مجده الشخصي ، واستمراره في السلطة . .

وتقدم « سليمان حافظ » بطلب إعادة جمال عبد الناصر إلى الكتيبة السادسة المشاة ، وإعادة محمد نجيب لأن الناس تقول إن عبد الناصر يخلط بين مجده الشخصي وبين مستقبل البلاد » .

والحمد لله لم يتقدم بطلب التسليم أو وقف إطلاق النار شيوعي ولا إخواني ولا وفدي ولا مواطن من الذين حرمتهم الثورة من العمل السياسي منذ أن وصلت إلى السلطة ، بل عامر وصلاح سالم . . وأخيراً المستشار الخاص الذي فلسف لهم الإرهاب ، ونظم لهم القضاء على القوى الوطنية . .

وبينما صورة « هيكل » هي سيطرة عبد الناصر تماماً على الموقف العسكري ، وغبطته بنجاح خطته العسكرية . . نجد صورة مخالفة تماما عند بغدادي :

« ثم بدأ (عبد الناصر) يتكلم عن أنه لا يعلم شيئاً عما يفعله الجيش وأن القوات العسكرية انتشرت في شوارع القاهرة ، وتركت منطقة القناة رغم الاتفاق على سحبها من سيناء للدفاع عن تلك المنطقة ، وأنه منعزل تماماً عن القيادة العسكرية ولا تصله أية معلومات عن أوامر العمليات أو تحركات القوات أو خطة الدفاع . . وذاكراً أنه المسئول الأول في الدولة . وأن صلاح سالم هو الذي أصبح وكأنه هو المسئول وتنفذ اقتراحاته ويصدر الأوامر . كما ذكر أنه هو ـ أي صلاح ـ الذي كان قد أقنع عبد الحكيم بالتسليم ووقف القتال . ومن أن صلاح قد أصبح مسيطراً عليه . وكانت حالة جمال عصبية وهو يذكر ذلك ، بل كان يكاد يفقد السيطرة على نفسه فطلبت منه أن يهدأ . . الخ » .

« وتكلم جمال في هذا الاجتماع ذاكراً لعبد الحكيم وبصراحة تامة كل ما يشعر به عن انعزاله عن القيادة العسكرية تماماً ، وعدم علمه بما يجري رغم مسئوليته ، وأن صلاح هو الذي أصبح يدير البلد ـ على حد قوله ـ ولكن عبد الحكيم رد عليه عند ذكره لهذا بقوله : « أنت تعلم أن لي شخصيتي ولي رأيي ، ولا يمكن أن أنصاع لا لصلاح أو غير صلاح » وكان جمال يتكلم وهو في حالة عصبية . أما عبد الحكيم فقد كان متمالكاً لأعصابه ، ولقد سأل جمال عما يريدون منه . وذاكراً أنه ليس لديه مانع من أن يتولى جمال القيادة العسكرية بنفسه وهو على استعداد أن يعمل تحت قيادته ، ولكن جمال رد عليه بقوله : « أنا لا أطلب أن أتولى القيادة . ولكنني أطلب أن أكون على علم بما يجري . وأن يؤخذ رأينا فنحن أيضاً كنا عسكريين ونفهم شوية » . وفي النهاية وبعد نقاش حاد تم الاتفاق على أن يقوم عبد الحكيم بإرسال ضابطين من ضباط الأركان حرب من مكتبه ليكونا ضابطي اتصال بمكتب جمال ، وذلك حتى تتوافر له الصورة كاملة أولاً بأول . . » .

ولا أعرف شخصية بغدادي ولكن لابد أنه يتمتع بقدرة عالية على السخرية . . فهذا ما قدمه من معلومات ضابطي الاتصال أو « الصورة الكاملة » التي اعطياها لعبد الناصر . .

« قالا إن الخطة الدفاعية هي غرب فرع رشيد ! . . وذلك حتى يتم تنظيم القوات المنسحبة » ! ونظرة إلى الخريطة تعني أن القيادة قد تركت سيناء وقناة السويس والدلتا منطقة مفتوحة !!

وأثبت عبد الناصر أنه فعلاً يفهم شوية في العسكرية أو على الأقل في الجغرافيا عندما سأل مرتاعاً : « معنى هذا أننا الآن ونحن في القاهرة (شرق فرع رشيد ج) خارج منطقة الدفاع » فقيل له نعم !

« يبقى صلاح سالم ما غلطش » لما اختصرها من أولها !!

وعلمنا منهما أن « أغلب قواتنا العسكرية كانت قد انسحبت إلى منطقة القاهرة » .

والأنكى من ذلك أنه « كان في تقدير ضابطي الاتصال أنه من الصعوبة بمكان انزال قوات معادية في بور سعيد أو السويس . وإن كان هناك محاولة من العدو فستكون غرب

الأسكندرية . ولذلك لم تعط أهمية قصوى لتقوية الدفاعات في منطقة القناة . وقد أشرنا إلى خطأ هذا التقدير ، لأن الإنذار البريطاني الفرنسي قد حدد المنطقة التي هددا باحتلالها وسياسياً أمام الرأي العام العالمي الدولي ، لا يمكنهما غزو كل مصر حتى يصلا إلى منطقة القناة موضع الخلاف ، ولأن خسائرهما في تلك الحالة ستكون كبيرة . . ولكن كان هذا هو تقدير القيادة العسكرية المصرية » .

ويقول بغدادي : « في تلك الفترة كان هناك نقد مرير لعبد الحكيم والجيش من الكثيرين ، ولكن لابد أن نكون منصفين . فالحمل كان أكثر من أن يتحمله عبد الحكيم بمفرده خاصة بعد دخول انجلترا وفرنسا المعركة . . والعامل النفساني كان له تأثير كبير على تصرفات الكثيرين . كما أنه كان قد حدث شلل مفاجيء للكثيرين أيضاً بعد أن اتضح دخول الدولتين المعركة بالإضافة إلى إسرائيل » .

وقال إن البعض شبه عامر باللواء المواوي قائد العمليات في حرب ١٩٤٨ . .

وفي يوم الأحد ٤ نوفمبر توجهت إلى حجرة جمال لتناول الإفطار معه فوجدته وقد ارتدى ملابسه ويقوم بتناول الإفطار . . وقال لي إنه لم ينم طوال الليل ، وصرح لي أنه قد بكى وأنه على ما يظهر قد أضاع البلد ـ على حد قوله ـ فتأثرت لحاله . . ولا أعرف ماذا أفعل لأساعده وأساعد نفسي أيضاً في هذا الموقف العصيب الذي يحيط بنا » .

وهذه اللحظات لا تعيب عبد الناصر ولا تنتقص من شجاعته ، أو تعطي مجالاً للقول بأنه قامر بالوطن . . بالعكس إنها طبيعية جداً ، وكان يفترض في بغدادي أن يقول له مثل هذا الكلام . . ولكن يبدو أنهم جميعاً كانوا مقتنعين بأنهم أو أنه هو وحده أضاع البلد !! . .

وسافر عبد الناصر مع بغدادي قاصدين بور سعيد وإليك ما شاهداه : « وعلى هذا الطريق شاهدنا عربات عسكرية كثيرة مدمرة أو مقلوبة ، ودبابات متروكة ، منها المحروق ، ومنها ما يظهر على أنه سليم أو ربما يكون معطلاً نتيجة إصابته من الطائرات المغيرة ، والتي ظلت تهاجم القوات المتحركة على هذا الطريق بعد الانسحاب وهي في طريقها إلى القاهرة . وكان جمال يسألني عن كل دبابة أو عربة نمر بها ، ماذا بها ؟ . . وكنت أشعر أنه في عالم آخر ، غارق في التفكير وكنت ألمس أنه متعب جداً من الموقف . وكنت أحاول أن أخفف عنه . وأهون عليه الأمر . وكنت أعتبر هذا من واجبي في هذه الآونة التي تمر بها بلادي . وأعرف أن جمال هو رمز الثورة في مصر بل وفي المنطقة كلها » .

« ونحن في طريقنا إلى الاسماعيلية قال جمال بصورة مؤثرة ومحزنة بعدما شاهد من العربات والدبابات محطمة على جانبي الطريق « إنها بقايا جيش محطم » وأخذ يتحسر على المبالغ التي كانت قد أنفقت على تسليح الجيش قائلا إن « مائة وثلاثة ملايين من الجنيهات قد ضاعت هباء » كما قال أيضاً بالانجليزية I was defeated by my army .

قد هزمت بواسطة جيشي . وكنت أقول له لا تيأس ولكنه يرد علي بقوله إنك تعرف أنني

لا أيأس أبداً . وكنت أحس أن أمامي رجلاً محطماً »[10] .

ربما من ضخامة النصر الكامل !

هل نصدق عبد الناصر أم نصدق هيكل . .

« بقايا جيش محطم » و « مائة وثلاثة ملايين من الجنيهات ضاعت هباء » . . أي كل الصفقة الروسية . .

هذا تقدير عبد الناصر .

أما زعم هيكل « ولكنه لم ينجح إلا في إصابة بعض مركباتها الخفيفة وأما القوة المدرعة الرئيسية فقد تمكنت من العودة سالمة إلى مواقعها الجديدة » فهو كذب مفضوح .

قد يغفر له الكذب خلال المعركة ، وكلنا كذبنا . . وكلنا مدحنا عبقرية قرار الانسحاب . . ولكن بعد المعركة ؟! وبعد الهزيمة الثانية ، وبعد أن أصبح المكسب الوحيد الممكن هو تحويل كوارث التاريخ إلى تجارب . . **فإن الإصرار على الكذب جريمة . .**

ولا تعجبني شهادة عبد اللطيف بغدادي وهو يسجل في يومياته أن عبد الناصر كان وقتها « لا حول له ولا قوة مع أنه قائد ثورة ورئيس جمهورية » و « كنت في تلك الأثناء أنظر إلى جمال وأقارن بينه في تلك اللحظة وبينه في لحظات أخرى سابقة عندما كان يشعر بالانتصار والقوة » .

عيب ! . .

فالهزيمة كانت على يد العدو الأجنبي . . شعبنا كان أنبل وأكثر وعياً ، نسي كل الآلام التي تجرعها من الحكم الديكتاتوري خلال أربع سنوات والتي كانت تجعل « تريفور ايفانز » المستشار بالسفارة البريطانية والخبير بالشئون المصرية يتوقع قيام المظاهرات وقلب عبد الناصر . .

العكس تماماً هو ما حدث ، كان التصدع والشقاق في القمة ، والالتحام والصمود على مستوى الشعب .

الذين على القمة لم يكونوا في مستوى اللحظة كما رأينا من خلافاتهم ونصائحهم بالتسليم والخلاف حول من هو المسئول وتخويف عبد القادر حاتم ـ في رواية ناتنج ـ لعبد الناصر من العدوان بدلاً من رفع معنوية الجماهير ! كذلك في التصرف المعيب وأعني به الاعتقال غير المبرر والمهين الذي اتبع مع رئيس الجمهورية الأول الرئيس « محمد نجيب » وتكفي شهادة ناصري : « صدرت الأوامر بنقل محمد نجيب إلى طما في جنوب الصعيد ليكون بعيداً عن القاهرة في حالة إذا ما حاولت قوات العدوان الاستعانة به إذا انتصرت . وكانت الرحلة شاقة وقاسية وعومل فيها معاملة لا تليق بقائد ثورة ورئيس جمهورية ، وضابط برتبة لواء . . وكان ذلك بتصرف ذاتي (؟!! ج) من بعض صغار الضباط الذين لا يرون في أنفسهم إلا أدوات تعذيب وامتهان دون تفكير » . ويشهد حروش « أن محمد نجيب لم يأخذ موقفاً مضاداً لقيادة عبد الناصر ولم يصدر منه تصريح مضاد » .

ويخطيء الكاتب الماركسي سابقاً ، كما أخطأت القيادة المصرية في تفسير موقف الجماهير إذ يقول إنها التفت حول عبد الناصر في معركة ١٩٥٦ بسبب مواقفه الوطنية : باندونج وانتصاره في معركة الأحلاف وصفقة السلاح وإبراز دور القومية العربية .

وأظن أن رجل الشارع في بور سعيد والقاهرة ، فضلاً عن الفلاح ، لم يكن يحسن نطق باندونج . . ولا يفهم ما هي الضجة حول حلف بغداد ، أو يفهم بالضبط ما تعنيه كلمة حلف ، ولماذا يكره عبد الناصر أن « يحلف » على بغداد أو يحلف ببغداد !

لا . . هذا انتقاص من وطنية الشعب المصري . . لو كان يحكم مصر « أحمد فؤاد »* أستاذ المتمركسين في حركة الجيش ، وهو بلا شك أبغض شخصية عامة في مصر منذ زيور باشا . . وجاءت بريطانيا تهاجم مصر وتعلن أن هدفها إسقاطه ، لفداه المصريون بأرواحهم وما يطيقون .

الوقفة الشعبية في ١٩٥٦ رغم كل السلبيات من جانب السلطة ، والمرارة التي كانت في النفوس ، هي وقفة وطنية طبيعية ومتوقعة من شعب في عظمة وعراقة ونضج شعبنا .

ولكن العسكر في السلطة وخارجها ، ظلوا يبحثون لها عن تفسير ؟! فقد كان توقعهم أن ينقض الشعب على عبد الناصر من الظهر ويفتك به ورجاله أو يقدمهم فدية « مكتفين » للانجليز !

حاشا لله !

بل عندما تنحى عبد الناصر في ١٩٦٧ كان جانباً كبيراً من الجماهير التي خرجت ـ من تلقاء نفسها ـ تطالبه بالبقاء يحركها منطق « غريب تومي » ، ابن منطقة القناة والفدائى الذي عرفناه في جميع المعارك من ٥١ إلى ١٩٦٧ ثم انقطعت عني أخباره فلا أعرف ماذا فعل في ١٩٧٣ وقتها قال : « دي تبقى فضيحة العمر إن عبد الناصر لما يجي يسقط اللي تسقطه إسرائيل . . » .

ولكن عبد الناصر ـ للأسف وباعتراف كل أنصاره ـ لم يثق بالشعب أبداً . وظل يصدق إلى أن مات ، إنه لو أتيحت الفرصة لأي دجال أو عميل أن يصل إلى السلطة ويمتلك الإذاعة والخزانة ، فسيرقص له الشعب والنواب كما فعلوا معه . أو كما كان يقول دائماً إن الشعب باع قرارات مارس بألفين جنيه أي المبلغ الذي دفع لصاو صاو . .

ولذلك رغم الخطب عن التحام الجيش بالشعب ، تصور أنه يمكن للانجليز أن يحتلوا القاهرة ، ويعينوا محمد نجيب رئيساً للجمهورية . وهو مقتول أو أسير أو يقود المقاومة السرية . . فيرضى الشعب المصري ويهتف لمحمد نجيب في ظل الراية البريطانية ، ولذلك قرر منع ذلك بنقل « محمد نجيب » إلى طما !!

---

* مدير بنك مصر .

ودعنا من تصور قبول « محمد نجيب » لهذا الدور ، وهو أول رئيس جمهورية لمصر والذي رفض أن يكون طرطوراً لضباط جيشه المصري . . فهل يقبل أن يكون عميلا مفضوحا للانجليز . . وهل صحيح كان الانجليز سيتوددون للشعب المصري برئيس مجلس الثورة . . ألم يكن لديهم من السياسيين ما يكفي لتشكيل حكومة إنقاذ ما يمكن إنقاذه ؟ .

ولماذا لا يعيدون الملك وهل بعد احتلال القاهرة ذنب أو عيب ؟

الإجراء كان تنكيلاً بمحمد نجيب ، وأيضاً تعبيراً عن العقدة القاتلة وهي فقدان الثقة بالشعب . .

ومما هو جدير بالملاحظة أن المدينة التي حمل فيها الشعب السلاح وقاتل دفاعاً عن عبد الناصر ونظامه هي المدينة الوحيدة التي سقطت فيها سلطة عبد الناصر ووقف الشعب فيها وجهاً لوجه ضد المستعمرين الغزاة ، لم يقع انقلاب ولا ظهر كائن يقبل ولو حتى منصب محافظ تحت الحماية البريطانية بل انخرطت الجماهير على الفور في المقاومة المسلحة بالسلاح الذي تمكنت من الحصول عليه أو الذي وصل قبل الهبوط المظلي بساعات ! . . فالشعب الذي لم يُسمح له أبداً بحمل السلاح ، عندما حصل عليه استخدمه في حماية الوطن ، وأيضاً دفاعا عن السلطة التي أبقته دائماً تحت الوصاية أو الحجز التحفظي بتهمة الغفلة أو الغدر . .

ويمكن أن نلخص الموقف خلال معركة تأميم القناة وما قبلها وما بعدها بتلك الجملة الرائعة التي قالها مواطن بور سعيدي لعبد اللطيف بغدادي ، الذي عينه عبد الناصر مسئولاً عن تعمير بور سعيد فكان أول إجراء اتخذه في هذا « التعمير » هو جمع السلاح من الشعب ، وأجبر على ذلك المواطنون البور سعيديون ، الذين عرفوا دائماً بالشجاعة والصراحة والشخصية المفتوحة الحادة التعابير . . وبينما كان المواطنون يتدفقون لتسليم السلاح قال هذا البورسعيدي لبغدادي : « خلي السلاح معانا يابيه . يمكن يجوا الانجليز تاني . . نبقى ندافع بيه عنكم » أي اتركوا لنا السلاح . . فربما يعود الانجليز فندافع به عنكم . . وكما قيل وقتها سقط نظام وجيش عبد الناصر ونجح الشعب وعبد الناصر . . هذا هو ملخص القصة . . ولكن كما سجل الجبرتي قبل ١٥٠ سنة : « وليت العامة شكروا على جهادهم » . . يقصد تصديهم للغزوة البريطانية عام ١٨٠٧ !!

كتب أحمد حمروش :

« كانت في بور سعيد من قوات الجيش اللواء ٧ والكتيبة ٤ مشاة إلى جانب المدفعية الساحلية والمضادة للطائرات . ولكن عندما نزلت القوات البريطانية في « الجميل » تبعثرت القوات العسكرية نتيجة انهيار القيادة المسئولة قائمقام عبد الرحمن قدري ، وإصدار قائد المحطة أميرالاي صلاح الموجي ، الأوامر بوقف إطلاق النار ثم الغائها بعد ذلك ، وفشل قائد المقاومة الشعبية (الرسمية . ج) صاغ غريب الحسيني وقائد جيش التحرير الشعبي صاغ عبد المنعم الحديدي في إقناع الجماهير بالتحرك معهم لبعدهم عن فهم روح الشعب

الحقيقية . ثم هربهم بعد ذلك من بور سعيد . وقد تم فصل هؤلاء الضباط الأربعة من الجيش بعد انتهاء المعركة » .

أي أن الضباط الذين حكموا مصر ٤ سنوات بحجة حماية الوطن فروا فور أول طلقة وجهت للوطن . . واستمر النظام يخشى الشعب المسلح « وعندما تشتتت القوات وغلبت الحيرة صغار الضباط طلب « حمدي عبيد » و « محمد أبونار » من الضابط « منير موافي » الذهاب لمقابلة « شمس بدران » مدير مكتب عبد الحكيم عامر الذي كان يفتش على الحرس الوطني في المنصورة . وقال له إن الحل الوحيد هو في السماح للشيوعيين بالدخول إلى بور سعيد لأنهم أقدر من غيرهم على فهم نفسية الجماهير والتعامل معهم . وقد رجع شمس بدران إلى القاهرة ثم وافق على ذلك » .

الغزو بدأ والجيش تبعثر والقادة هربوا ، والمدينة محتلة ، وهم يستأذنون في الدخول ، وينتظرون حتى يعود للقاهرة ويشاور أهل الذكر هل يسمحون للشيوعيين المصريين بدخول بور سعيد أسوة بالانجليز والفرنسيين الذين دخلوها بلا استئذان ؟ . .

« ويقول « محمد أبونار » إن رجال المباحث العامة خلال القتال كانوا يراقبون تحركات الشيوعيين في الوقت الذي هرب فيه قائد المباحث العامة من بور سعيد . وسلم البوليس أسلحته بالكامل للانجليز » .

قارن بين هذا وموقف البوليس في ظل حكومة الوفد الذين قاتلوا حتى آخر طلقة . . ولكن إذا كانت الأوامر للجيش بالانسحاب مهما كان الثمن ، وللطيارين بالبقاء بعيداً عن طائراتهم « لحسن في الجو غيم » !! فهل نطلب أو نتوقع القتال من الشرطة ؟!

ويقول : « إن الانجليز كانوا يقبضون على الإخوان والشيوعيين من سجلات البوليس . . » !

طالب الناس بالسلاح منذ أول لحظة في عدوان إسرائيل ولكن تعطل ذلك لكي يتم تحت إشراف المباحث العامة ، وبشكل روتيني ومظهري وغير فعال ورغم الغارات على بور سعيد فإن عدداً قليلاً من السلاح كان قد تم توزيعه . . « ولكن مع هبوط جنود المظلات ووصول قطار محمل بالسلاح والذخيرة إلى محطة بور سعيد بدأ توزيع السلاح على الأهالي دون نظام . . السلاح في الشحم والناس غير مدربة أو منظمة تتحرك وراء أي صوت يدعوها للهجوم على العدو في أي مكان . الأمر الذي قلل من فاعليتها وعرضها لبعض الخسائر . وهكذا تم توزيع السلاح على الشعب في اللحظة الأخيرة وكأنه طوق نجاة يلقى لغريق » .

والحقيقة أنه لم يتم توزيع السلاح ولا حتى في اللحظة الأخيرة ، فقد كانت السلطة قد انهارت تماماً ، والذي حدث أن الأهالي نهبوا القطار لكي يدافعوا عن أنفسهم وخشية وقوع السلاح في يد الانجليز . . وقد كنا معاصرين لتلك الأحداث . . فالنظام « الثوري » لم يختلف في شيء عن أي نظام حكم مصر منذ الانهيار المملوكي وهو الخوف من الشعب ، أكثر

من الحذر من العدو الأجنبي ، رفض دور الشعب في الدفاع عن الوطن ، أوكما قال « محمد علي » للمصريين عندما تصدوا للانجليز : « ليس على العامة خروج » . . حظر حمل الشعب للسلاح هو المبدأ الذي مارسته كل الحكومات غير الشعبية ، مع فارق أن الحكومات الأخرى كانت تحارب إلى آخر جندي ، ولا يحتل الوطن إلا إذا قتل السلطان أو شنق على باب زويله . .

« كانت المقاومة الشعبية تقاتل في بور سعيد بينما توقف الجيش عملياً عن القتال منذ انسحابه من سيناء» .

وبينما سمح للخارجين على القانون بالدفاع عن بور سعيد سلمت السويس للمغضوب عليه « صلاح سالم » وكحل للتخلص منه بعدما كاد أن يوقع أو أوقع بالفعل بين عبد الناصر وعامر وبعدما قام في حركة مسرحية ولبس بدلة عسكري المراسلة الذي يقدم القهوة في الاجتماع وصدر إليه الأمر بالتوجه إلى السويس . ويشهد له ، حمروش « أنه حولها إلى حصن كله خنادق ودشم ومغازل مما يجعل اقتحامها صعباً جداً على الغزاة وتكلف ذلك ما يقرب من نصف مليون جنيه صرفت خلال أيام قليلة قبل أن يتوقف إطلاق النار واعتمد في ذلك على الجماهير بالدرجة الأولى » .

وبالطبع كان يمكن أن يحدث ذلك في كل مدن القناة بل في كل مدن مصر لو أن القيادة أخذت بجدية ، لا أقول ، احتمال الغزو ، بل احتمال مقاومة الغزو . . ولكنها لم تفكر في ذلك بشكل جدي على الإطلاق ، بل سارت الأمور بالتداعي . والصدف . . أما فكرة الصديق « الروسي » عن نوعية القتال الذي قام به الجيش في تلك الفترة فقد لخصته تمنيات شبيلوف وزير خارجية الاتحاد السوفيتي .

قال شبيلوف « إنه يأمل إذا تجدد القتال أن يكون استعداد مصر قد أحكم وأن يكون على رأس وحدات الجيش المصري ضباط مفرسون (؟) يختارون من بين من ينتظر منهم إجادة القتال والصمود هم وجنودهم إلى النهاية . وأن يكون المدنيون على أكثر دراية مستطاعة باستعمال السلاح وبوسائل الدفاع » .

كلمات موجعة ، قارصة ولكنها مخلصة من الصديق السوفيتي.وواضحة المغزى ، حتى ولو عجزنا عن فهم كلمة « مفرسون » فالمعنى واضح جداً . (ولعلها متمرسون) .

وقع الغزو الأنجلو ـ فرنسي ،وتوقف تحت تأثير العوامل التي أشرنا إليها . وأهمها بالطبع موقف الولايات المتحدة برئاسة ايزنهاور . وتأكد « انتصار » واستمرار النظام في مصر . .

فاليهود لا يعبرون القناة ، وما يجري في « صحراء » هيكل لا يصل علمه إلى الشعب إلا قليلاً . . والانجليز لن يتقدموا عن العشرين ميلاً . . وسرعان ما اختفت لحظات الصدق والطهارة ، ونقاء العلاقة التي فتنت بغدادي خلال الأيام الأولى للعدوان وجعلته ، يتذكر الأيام الخوالي ، وعادت روح التآمر والصراع على السلطة . . وهذه يوميات بغدادي :

« في صباح يوم الخميس ٨ نوفمبر ١٩٥٦ ذهبت إلى مكتب جمال في مبنى مجلس الثورة ، وكان قد سبقني وتناول إفطاره بمفرده (وهذه من علامات الشر عند بغدادي ج) وبعد أن جلست معه بعض الوقت بادرني بقوله : « أنا لم أكن أعرفك جيداً من قبل ـ ولم أعرفك على حقيقتك إلا من يوم ٢٩ أكتوبر الماضي وإذا كان قد حدث بيننا سوء تفاهم فيما مضى فالسبب هو صديقك جمال سالم . . وقد فكرت أن أقول لك هذا لأننا لا نعرف ماذا يخبيء لنا المستقبل ، والصورة سوداء . . » واستمر يحرضه على جمال سالم حتى قال بغدادي إنه هو الذي تعب من صداقة جمال سالم وأنه يحمد الله لأن جمال عبد الناصر عرف « حقيقتي اليوم وهو يوم شدة » « وانقطع استمرار الحديث لحضور زكريا » وشعرت بألم شديد وصدمت في جمال سالم صديقي وصدقت ما قاله جمال عبد الناصر ولم يخطر في ذهني أدنى شك عن صدقه فيما ذكره لي لأني لم أتصور أن يكون قد فكر ونحن في هذا الموقف العصيب ولا نعرف ما يخبئه لنا القدر ، أن يعمل على الإيقاع بين جمال سالم وبيني » .

ويقول بغدادي إنه بعد سنتين وفي صيف ١٩٥٨ عندما قدم بغدادي استقالته على إثر صدام وقع بينه وبين عبد الناصر حضر جمال سالم لزيارته ، فصارحه بما أخبره به جمال عبد الناصر ، فقام جمال سالم « وصلى ركعتين لله ، وأقسم على المصحف أن هذا لم يحدث منه » .

واحتار بغدادي بين قلبه وعقله « أيهما أصدق » .

وفضل النسيان .

والحقيقة أن الصورة ليست بهذه البشاعة كما يصورها بغدادي ويبدو أن الذاكرة خانته . فإذا كانت الحادثة ، كما ذكر وقعت يوم ٨ نوفمبر فهذا يعني أنها كانت بعد الإنذارين الأمريكي والروسي ، ووقف إطلاق النار وتأكد الرئيس أن الأمريكان لم يتخلوا عنه ، وأنهم في النهاية قادرون على « فرملة » الجميع وكان اقتراح البوليس الدولي يطبخ في مكتب مصطفى أمين وصمدت حكومة مصر الأيام الثلاثة المطلوبة ، ولذا فإن الأمور ليست سوداء كما ظن أو كما كان يظن بغدادي . ومن ثم فقد استعاد الرئيس شخصيته واستأنف المهمة التي اقتنع بضرورتها من أول يوم رأى فيه يوسف صديق ، يجلس على مكتب رئيس الأركان ، وهي ضرورة تصفية كل الذين يداينوه باسم الاشتراك في يوم ٢٣ يوليو . . لكي يتمكن من تنفيذ برنامجه الوطني العظيم !

« يوم السبت ١٠ نوفمبر ١٩٥٦ وكنت مجتمعاً في مجلس قيادة الثورة مع جمال عبد الناصر والدكتور محمود فوزي وعلي صبري وبعد انتهاء الاجتماع وانصراف الدكتور فوزي صدر من جمال عبد الناصر بعض الكلمات الجارحة عن الجيش . وأخذ يشرح لعلي صبري ما يأخذه على الجيش وعلى عبد الحكيم عامر . وروح الاستسلام التي كانت قد انتابتهم ، والشلل الذي حدث لهم بعد دخول الانجليز والفرنسيين المعركة وعدم إطاعة الجيش لأوامره رغم

والغريب أن بغدادي يسجل على نفسه أنه تدخل في الحديث ، وكأن جمال « زعلان » من عبد الحكيم على إيجار الشقة ! أو جهاز البنت ! . . فهو يقول إنه رد عليه : إنه الأخ الأكبر لعبد الحكيم ، والموقف كان عصيباً (وهل يدخر الجيش وقادة الجيش إلا لمواجهة المواقف العصيبة ؟ ج) وعلينا أن نعمل على إصلاح ما فسد وعليه هو أن يتحمل (فهو كبير العائلة . . صحيح أن بغدادي ابن عمدة فهذا كلام مصاطب لا قيادة سياسية فضلا عن ثورية ج) والظروف تحتم على كل منا أن يتحمل تصرفات الآخر . واقترحت عليه دعوة عبد الحكيم للعشاء أو الغداء ، وهو سيلبي الدعوة » .

يعني الطبيخ مش حيندلق !!

موقف خاطىء من بغدادي ، وهو بهذا الاعتراف يتحمل المسئولية كاملة ، بقدر وزنه ، في استمرار عبد الحكيم وجماعته في قيادة الجيش المصري ، ويزعم أنه زار عبد الحكيم وظل معه ساعتين يحاول أن يقرب « وجهتي النظر وإزالة سوء التفاهم » و « أن رجولته تمنعه من التصرف بما يسيء إلى البلاد ، وتعانقنا في نهاية المقابلة وقبل كل منا الآخر » !!

رجولة ايه ؟

وماذا كان بوسع عبد الحكيم أن يفعل ليسيء إلى البلاد (أكثر مما فعل ؟!) لو شنقه عبد الناصر وقتها لتضاعفت شعبية عبد الناصر . . فلم يحدث أن كان المصريون بمثل هذه النقمة على جيشهم ، كما كانوا في تلك الأيام ، وبالذات على قائد الجيش . .

كان الموقف لم يتضح فيه نصر بعد . ولكن الشعب كله كان ملتفاً حول عبد الناصر وفي نفس الوقت كانت البلد كلها تعرف وتتحدث عن هزيمة الجيش « وفرار » الضباط كما قيل أو ظنوا فلم تكن قد نُظِّرت بعد فتوى الانسحاب العبقري ! وكان الجيش والشعب يحملان المسئولية لعبد الحكيم عامر أو المواوي كما أطلقوا عليه . . ولما أقنع الإعلام الشعب بالانتصار ! . . ظلت الجماهير مقتنعة أن عامر والجيش هزموا مصر . . . وناصر والشعب خلصوها من هذا المأزق . .

فماذا كان بوسع عامر أن يفعل ؟

ويقول بغدادي إنه ابلغ عبد الحكيم « بما كنت ألمسه وأسمعه من ضباط القوات المسلحة الجوية ، ومن أنهم فقدوا الثقة في قياداتهم نتيجة الأخطاء التي حدثت وأن هذا يستلزم منه اتخاذ بعض الإجراءات بالنسبة لهؤلاء القادة حتى تعود الثقة بين القادة ومرءوسيهم وعليه أن يجري تحقيقاً مع القادة الذين تسببوا بإهمالهم في هذه الأخطاء والعمل على نقلهم إلى جهات أخرى . وتدخل عبد الناصر مؤيداً ذلك واقترح نقل صدقي محمود إلى منصب وكيل وزارة الحربية لشئون الطيران » .

لحظة واحدة ؟

أية اخطاء ؟!

الأمر الصريح هو عدم الاشتباك مع طيران العدو حفاظاً على حياة الطيارين . . فما الخطأ وكيف يمكن أن يخطيء قادة ويستحقون الإحالة إلى التقاعد بل والتحقيق ويثور ضباطهم عليهم في ظل هذه الخطة ؟!

هل ياترى لم ينفذوا الأمر وسمحوا للطيارين بالدفاع عن شرف البدلة ؟

نريد أن نعرف ما الأخطاء إذا ما كانت الخطة العبقرية هي بنص حروف قاريء الوثائق وفاتح الخزائن : « على الطيران المصري ألا يشتبك مع العدو لأن المعركة غير متكافئة » !

وماذا كان بوسع قائد الطيران أن يفعل لتنفيذ هذا الأمر أفضل مما فعل . . أمر الطيارين بالتوجه فوراً إلى منازلهم وترك الطائرات خالية للتغرير بالعدو فيضربها ويكسرها ويخسر قنابله على الفاضي فالطيار طار . . بدون طيارة ! . .

إما أن هذا اتهام غير مفهوم وتجنٍ على صدقي محمود وعامر بعدما وقعت البقرة ، وكثرت السكاكين . . وإما أن رواية هيكل كاذبة ، ملفقة لستر الهزيمة على طريقة العمدة الذي ترى القملة على قفاه فيقول من خجله : « سيبها ياولد أنا اللي حاططها » ! . .

يريد هيكل أن يقول إن ضرب الطيران كان خطة مدبرة ، وسقوط سيناء في يد اليهود كان ضربة بارعة من جانبنا . . وهكذا بهذا المنطق وحده تصبح الهزيمة نصراً فنحن أردناها وصممناها !!

نعود الآن « لصحراء » هيكل أو بالأحرى للوادي المقدس طوى ، حيث سيتقرر مصير العرب ومصير الشرق الأوسط ومصير مصر خلال القرن الحادي والعشرين ، وبعدما ترتوي كل حبة رمل فيها وكل حجر بدم المصريين الشرفاء . . وتطهر إلى الأبد من الأطماع الدنسة للمغتصبين العنصريين الدخلاء .

إن الغزوة الإسرائيلية لم تكن أكثر من حلقة في سلسلة المواجهة الإسرائيلية ـ المصرية الدائمة . . والتي وعتها إسرائيل منذ وعد بلفور ، بل حتى منذ أن بدأ اليهود يفكرون في فلسطين كوطن قومي . . فلم يكن أمامهم إلا الدولة العثمانية ، كحقيقة تاريخية وكسلطة قائمة في فلسطين ، وحقيقة الوجود المصري أو إن شئت الفيتو المصري على الأحلام الامبراطورية لإسرائيل . . مصر كانت ولا تزال القوة الوحيدة القادرة على مواجهة المخطط الصهيوني ، ومن ثم فإن تدمير مصر ، تعجيز مصر ، هو الهدف الأول والدائم لجميع المسئولين الصهيونيين ، بصرف النظر عن أشخاص ومباديء الحاكمين في مصر ، وسواء أكانت العلاقات ساخنة دموية أو متجمدة ، أو حتى طبيعية مع تبادل الاعتراف ، وبصرف النظر عن نوايا وأفعال السلطة المصرية .

وفي مقابل هذا نحن نزعم أن السلطة المصرية من ١٩٥٢ ـ ١٩٥٦ لم يكن في بالها ولا تصورها امكانية وقوع مواجهة ساخنة مع إسرائيل ومن ١٩٥٦ إلى ١٩٦٧ كان مخططها أو سياستها تدور حول تجنب هذه المواجهة بأي ثمن . .

وبالتالي هزمنا . .

ولكن قبل أن نناقش هذه « القضية الكبرى » تعالوا نلقي نظرة على سيناء أرض المعركة . . ويجب أن نقول ابتداء إن الجندي المصري والجندي الإسرائيلي لم يتقابلا في حرب حقيقية إلا عام ١٩٤٨ و ١٩٧٣ وقد هزمنا بشرف في ١٩٤٨ لأسباب عديدة ، ليس أقلها أننا كنا مستعمرة بريطانية ، وأن جيشنا لم يكن جنوده قد خاضوا حربا قط ، ولا تعاملوا مع المعارك الحديثة ، بينما كان الجيش اليهودي في معظمه من المحاربين في الحرب العالمية الثانية ، وفي معارك لها شهرتها العالمية وخبرتها بحكم القوى الجبارة التي اشتركت فيها ، هذا عن اليهود الإسرائيليين وأكثر منه طبعاً بالنسبة لليهود المتطوعين الذين جاءوا من الخارج . .

أما حرب ١٩٧٣ فقد أثبتت أنه إذا ما توافرت قيادة سليمة إلى حد ما ، وشبه تعادل في السلاح ، ولو لصالح إسرائيل فإن الجندي المصري أفضل من الجندي الإسرائيلي وأقدر على هزيمته ومفاجأته وقتله وأسره . . وكل ما تعيرنا به الدعاية الصهيونية . .

وكتب موشي ديان وجولدا مائير وايجال آلون وكل إسرائيلي كتب ، وكلها كتب هادفة في المخطط الدائم وهو تعجيز مصر . . ولذلك فهي حافلة بالأكاذيب والمعلومات المشوهة . . خذ مثلا « موشي ديان » كتب كل تفصيلة في معركة سيناء ١٩٥٦ ونسي أو لم يسمع بوجود قرار مصري بالانسحاب ! . . لأنه إذا أثبت ذلك في كتابه لسقط كل ادعاء بالبطولة ، إذ أية بطولة في غزو منطقة انسحب جيشها ، أو يقاتل تحت أمر صريح . بالانسحاب خلال ٤٨ ساعة أو ٧٢ ساعة « مهما كان الثمن » فريق مانشستر لكرة القدم لا يستطيع أن يلعب تحت هذا الإنذار الزمني !!

لذا حذف موشي ديان تماماً حكاية قرار الانسحاب هذا . . فلا تجد له أثراً لا في كتاباته عن ١٩٥٦ ولا ١٩٦٧ . .

ومع ذلك ورغم أن كتابه منشور تافه يهدف إلى تشويه صورة الجندي المصري وإضعاف معنوياتنا ، وإفقادنا الثقة في قدرة شعبنا على تقديم مقاتلين ، ورغم كل ما تعرضت له القوات المسلحة المصرية من إفساد وتجهيل على يد القيادة العسكرية من ١٩٥٢ إلى ١٩٦٧ ورغم القرارات السياسية الفاحشة الخطأ والتي لعبت الدور الحاسم في انتصار إسرائيل وبدون قتال في الغالب . فإن أبطالنا ما أتيحت لهم فرصة الاشتباك مع العدو إلا وأثبتوا بسالتهم وتفوقهم عليه ٧٢ ، ليس فقط في معارك اكتوبر بل في معركة سيناء الأولى والثانية . . والدليل ـ كما قلنا ـ إن هذا الموشى لا ينسى في كتابه تفاصيل الجندي المصري المقطوعة ساقه . . الخ ولكنه ينسى قرار الانسحاب . ومع ذلك فهو يعترف بوقوع قتال شرس دافعت فيه القوات المصرية المحدودة ، ببسالة وضراوة وكفاءة عن مواقعها ، رغم أنها كانت قوات رمزية بسبب القرار المريب الذي اتخذته القيادة على أساس استحالة وقوع هجوم إسرائيلي ، والرغبة في تفادي أي استفزاز لإسرائيل وذلك قبل المعركة بشهرين ، وكان على هذه القوات

أن تتصدى لهجوم كامل شامل جرى الإعداد له منذ أكثر من عامين . . ومع ذلك أحبط الهجوم الأول في أكثر من موقع وأوقف تقدم القوات الإسرائيلية طوال الثلاثة أيام الأولى حتى صدر قرار الانسحاب فانهارت المقاومة المصرية ، أو قل أوقفت بأمر عسكري من القاهرة . . بعد أن سجلت صفحات من البطولة للجندي المصري الذي كتب بدمه مجد مصر ، وخطيئة القيادة ، التي خذلته مرتين وهزمته بقراراتها . . ولو كان عبد الناصر صادقاً مع نفسه لقال « هزمتُ جيشي » « أنا هزمتُ جيشي » وليس « جيشي هزمني . . » فكيف ينتصر جيش لم يؤمر بالقتال؟! بل كما قال ابن مصر البكر والمعبر عن روحها ؛ « نجيب محفوظ » : « أمِرَ الجيش أن ينهزم فانهزم » !

في أبو عجيلة وسد روفة استمرت الوحدات المصرية تقاتل من عصر يوم الهجوم الإسرائيلي إلى ظهر اليوم التالي ، وهم لا يزيدون على بضع عشرات من الجنود ضد لواء مدرع إسرائيلي معزز بالطائرات حتى أبيدوا عن آخرهم .

وفي العريش كاد قناص مصري وبعدما سقطت المدينة ، كاد أن يصيب موشى ديان ولكن رصاصته قتلت عسكري المراسلة المرافق له « الذي سقط قتيلاً إلى جانبي » كما يعترف ديان . واضطرت الطائرات الإسرائيلية إلى الابتعاد من فوق سماء العريش « المحتلة » من شدة نيران المقاومة التي استمر فيها جنود مختبئون رفضوا قرار الانسحاب ، واستمروا في القتال . .

« وفي ممر متلا ظلت قوات المظلات المعززة بالدبابات والطائرات تقاتل سبع ساعات « وكانت خسائرنا لم يسبق لها مثيل : ٣٨ قتيلاً ومائة وعشرين جريحاً » .

وهذا تهجيص إسرائيلي فالخسائر كانت بالمئات ، بدليل أنه صدر قرار عزل قائد المظليين اليهود لعجزه عن القتال أمام المصريين . وقائد المظليين لا يعزل على ٣٨ قتيلاً . . ولا أحد يتوقع منه أن يستولي على ممر متلا بأربعين قتيلاً ! . . ونحن نزعم أن القتال كان يمكن أن يستمر إلى أجل غير محدود لولا « وصول أمر الانسحاب » كما يشهد هيكل نفسه .

فليس تغيير القائد الإسرائيلي هو الذي أدى إلى سقوط الممر ولكن تغيير القائد المصري في القاهرة لأوامره . .

وكذلك فشل اللواء العاشر الإسرائيلي في الاستيلاء على « أم كتاف » في ٣١ أكتوبر رغم حضور موشى ديان بنفسه إلى موقع اللواء وحثه الجنود على الاستيلاء على أم كتاف « بأقصى سرعة ممكنة » فقد « بقي هذا الموقع هو وأم شنان في منطقة أبو عجيلة في يد العدو وصد تقدمنا في سيناء في القطاع الأوسط . ورغم استيلائنا على القسيمة وأبو عجيلة نفسها وسد الروفة ، فقد أجبرنا على الالتفاف واللجوء إلى الممرات الترابية ، وهذا يعني إمكانية أن يخلقوا عنق زجاجة لقوافل التموين وبالتالي يوقفون تقدمنا . « أم كتاف » كانت تتحكم في الطريق الأسفلتي الذي سيحل مشاكلنا ، والاستيلاء عليها يفتح لنا محاور لتقدمنا . ولم أجد اجتماعي مع ضباط اللواء مقبولاً ، وكان واضحاً أن ضباطنا يشكون في كفاءة عسكرهم . وقد فقدت

صبري مع الضباط ولم أعد راغبا في سماع شكواهم عن الصعاب ، كنت أعلم أن رجالهم متعبين وأن الإمدادات لم تصلهم في وقتها ، والليالي باردة ، والنهار حار وبنادقهم روكبت وعرباتهم تغرز في الطين ، ولكن لم يكن لدي حل فأنا لا أملك تغيير طبيعة الأرض وعلى أن أفتح الطريق الجديد . .

« هاجموا أم كتاف في تلك الليلة ، ولكن قلوبهم لم تكن معهم (!) فلم يخرجوا بشيء ، ومن الناحية الأخرى تقدمت وحدة من اللواء المدرع السابع والثلاثين بتصميم واضح ولكنها فشلت أيضاً . كان الضباط يندفعون نحو استحكامات العدو ، دون انتظار للدبابات التي تأخر وصولها بخطأ من مخابرات القيادة الجنوبية . ولم تكن هناك خطة محكمة للعمليات . وعدم تركيز القوة بما يكفي ساهم أيضاً في فشلنا . وكذلك أخطأت أنا إلى حد ما . إذ ضغطت على قائد الجبهة الجنوبية لفتح الطريق عبر أم كتاف بأسرع ما يمكن وهو بدوره ضغط ولكن كان قصدي أن يتم ذلك قبل ظهر اليوم التالي مهما كانت الضحايا . ولكن بعد الاستخدام السيء للواء العاشر ، جرى عزل قائد اللواء وأبدلت هذا التغيير » (ثاني قائد يعزل خلال الحرب بل وعلى أرض المعركة وقائد الطيران المصري يقول ما عندوش بنزين ويبقى قائداً للطيران ١١ سنة أخرى اج) .

ولم تسقط أم كتاف حتى جاءت النجدة من القاهرة . . أو قرار الإنسحاب . . !

تخيل كل المتاعب التي ذكرها موشى ديان عن طبيعة الأرض وأضف إليها بالنسبة للمصريين الآتي :

١ ـ جيش إسرائيل ودولة إسرائيل خلف القوة المهاجمة . . أما أبطال أم كتاف فيعرفون أن بقية الجيش متجهة بأسرع ما يمكن بعيداً عن سيناء وأنه لا أمل في أي نجدة من القاهرة .

٢ ـ وزير الدفاع في معسكر الجيش الإسرائيلي المهاجم . . والقوة المحاصرة لا تعلم ماذا يجري في بقية الجبهة ، إلا أن أوامر الانسحاب تصدر من عبد الناصر وليس من عامر وأن هناك أمراً بالانسحاب العام إلى غرب أو شرق القناة ، لن نختلف . . ومعنى ذلك أننا خسرنا الحرب وسلمنا سيناء كلها أو لا أمل لهم في نجدة أو مدد بل إن قتالهم بلا معنى وقد سقطت سيناء كلها من حولهم أو بمعنى أصح « أسقطت » سلمتها قيادتهم في القاهرة بلا حرب !

٣ ـ الطيران الإسرائيلي بكل قوته يغطي القوة المهاجمة ويضرب القوة المحاصرة ، والطيران المصري بلا طيارين حرصاً على حياتهم ! . .

ألم يكن من الضروري أن تدرس معركة « أم كتاف » في المدارس المصرية وتوضع عليها الدراسات والأفلام خلال العشر سنوات التي انقضت ما بين الحربين بدلاً من أن يكون مرجعها الوحيد هو شهادة الأعداء !

ولكن كيف يمكن الإشادة ببطولة من صمدوا ولم ينسحبوا إذا كان الإعلام المصري قد جعل من « الانسحاب » أعظم نصر ، وأكثر القرارات عبقرية في تاريخ الحروب ؟!

خسرنا الحرب مع إسرائيل من الناحية العسكرية :

١ ـ تم الانسحاب من سيناء كلها واحتلتها إسرائيل بالكامل كما احتلت مضيق تيران وأعلنت حرية الملاحة الإسرائيلية فيه .

٢ ـ تحول الجيش المصري بنص عبارة عبد الناصر إلى « بقايا جيش محطم » .

٣ ـ خسرنا من العتاد الحربي ما قيمته بنص كلمات عبد الناصر : مائة وثلاثة ملايين جنيه مصري (بجنيه ما قبل الاشتراكية !!) أو كل صفقة السلاح الروسي كاملة !

ونحتار ماذا يقصد مؤرخ الناصرية عندما يؤكد هذه الحقيقة ، وهي تسليم سيناء للإسرائيليين بلا قتال وتجنيب جيش إسرائيل أية خسائر ، وتصرف الإسرائيليين عن وعي بأن هناك من يسحب لهم القوات المصرية ، من يأمر الجيش المصري بأن ينهزم لهم . . وإلا فما معنى هذا الذي يقوله :

« قال ديان لـ « سمحوني » : « لماذا تدفع خسائر بالعشرات من رجالك لتحقيق هدف سوف تحصل عليه بدون قطرة دم واحدة بعد بضع ساعات » (ص ٥٣٨) .

مجانا ستسلم لك المواقع فور وصول « التعليمات » من القاهرة بالانسحاب !

ديان عنده موعد مع جهة ما ستأمر بتسليم الموقع دون قطرة دم بعد بضع ساعات !!

ويقول : « القوات الإسرائيلية دخلت شرم الشيخ وهي الهدف النهائي للعملية (اعترفنا الآن بأنها الهدف النهائي وليس إسقاط الزعيم ج ؟!) بعد وقف إطلاق النار وبعد أن أتمت القيادة المصرية انسحاب قواتها بالكامل من شبه الجزيرة (هذه أول مرة في حياته يعترف أن سيناء شبه جزيرة بعد أن سلخنا جلده على وصفها بالصحراء . . حسنا أفاد التقريع ج) وقد وصل الجنرال ديان إلى شرم الشيخ في طائرة صغيرة قبل أن تصل إليها القوات الإسرائيلية وكان مطمئناً لأنه يعرف أنه لم تعد قوات مصرية » (ص ٥٣٩) .

تسليم وتسلم . . هذه بلاد بيعت أو خينت وسلمت قصداً . . وأخذت بلا قتال . . لماذا تنسحب القوات المصرية من شرم الشيخ قبل أن يصل الإسرائيليون . . وبعد وقف إطلاق النار ؟! . .

والغريب أنه لا يستحي من الحديث عن بسالة قواتنا التي أتيح لها القتال . . فلماذا أمرتموهم بالانهزام !

٤ ـ دمرت إسرائيل « طرق المواصلات والسكك الحديدية في سيناء وكذلك قامت بوضع ألغام على هذه الطرق » .

٥ ـ « والمذابح مازالت مستمرة بطريقة منتظمة ، والتخريب قائم على نطاق واسع وجميع المنشآت الموجودة في سيناء وعلمت أنهم يسرقون البترول الخام في سدر وبلاعيم في مراكب تتجه إلى ميناء إيلات » .

من رسالة عبد الناصر إلى محمود فوزي ٥ ديسمبر ١٩٥٦ .

وهذه هي الرسالة التي علق عليها هيكل وكأنه يخرج لسانه للقراء إذ قال :

« وبرسائل ناصر وفوزي تنتهي قصة السويس كأكمل واشمل انتصار حققه العرب في العصر الحديث بالمعنى الحقيقي للنصر في هذا العصر » .

احتلوا الأرض وحطموا المنشآت وشحنوا نفطنا . . وانتصرنا . . بل وأعظم انتصار !!

إذا كنا قد هزمنا عسكرياً في سيناء فهل انتصرنا سياسيا كما هو الشائع في الأوساط الأقل فجوراً من هيكل ، التي تعترف بالهزيمة العسكرية ولكن تغطي ذلك بالخلط بين انتصار مصر على الانجليز والفرنسيين - إذ أجبر الضغط الأمريكي . . والإنذار السوفيتي الدولتين على الانسحاب بلا قيد ولا شرط . وبين انسحاب إسرائيل من سيناء وغزة ، وخاصة أن شروط انسحاب إسرائيل لم تعلن أبداً في مصر ، بل وظل المصريون المثقفون لا يسمعون بها حتى كان مؤتمر شتورا ١٩٦٢ والعامة لم يسمعوا بها إلا عشية حرب ١٩٦٧ إذ عرفوا لأول مرة أن إسرائيل كانت تمر من خليج العقبة ، بل هاهو كتاب يصدر بعد عشرين عاماً ومخصص لتحليل « حرب السويس » - كما يسميها - لا يشير بحرف واحد إلى شروط انسحاب إسرائيل ، ولا ما تنازلت عنه مصر !! نعم . . حرف واحد عن هذا الأمر لم يرد في كتاب هيكل الأمين على تاريخ الناصرية* !؟!

استمرار في التزوير والتجهيل . .

الحقائق تؤكد أن القيادة المصرية فشلت وهزمت في حرب سيناء سياسياً ودبلوماسياً مما مكن إسرائيل من تحقيق هدفها المرحلي الذي دخلت من أجله الحرب . .

وصحيح أن بن جوريون أعلن ضم سيناء وغزة ولكنه هو نفسه فسر ذلك بقوله : « لقد كان تقدمنا في سيناء سريعاً . . كان انتصارنا سريعا جداً ، وكنت سكران بخمر النصر » .

فحتى حلفاء إسرائيل في الغزو ما كانوا يقروها على ضم سيناء وقد حذر سلوين لويد موشي ديان حرفياً في خلال مفاوضات التآمر على الغزو ! « أرجو ألا تراودكم أحلام في استغلال الفرصة بضم سيناء » .

وقال موشي ديان « بالنسبة إلى النهاية لم نكن نريد احتلال سيناء إلى الأبد ولكن كنا نريد ضمان حرية الملاحة إلى إيلات وتدمير الجيش المصري الذي يهدد إسرائيل في سيناء ، ووقف عمليات الفدائيين ضد إسرائيل من قطاع غزة » .

وقد تحققت هذه الأهداف كاملة . . طبعا استمر اليهود يساومون إلى آخر لحظة للحصول على أقصى ما يمكن الحصول عليه من مكاسب . . ولكن هذه كانت أهداف المرحلة أو قل

---

* بعد هذا الذي كتبناه استحى « هيكل » وأضاف في تاريخ حرب السويس طبعة ١٩٨٦ بضعة سطور حول التنازل الناصري ، ولكن بلا تعليق ولا تفسير . .

الحد الأدنى الذي يغطي مخاطر ونفقات الحملة . . ولا تنسى أن إسرائيل كما قال بن جوريون كانت على اعتقاد بأنها « لا تستطيع أن تشن وحدها حرباً ضد مصر » .

وقد لعبت الدبلوماسية الأمريكية دور الوسيط بين إسرائيل ومصر ، فاستخدمت الأمم المتحدة ، والخطر الروسي ، والإمكانات الأمريكية للضغط على إسرائيل لتحقيق الانسحاب من سيناء وغزة . وضغطت على مصر بالاحتلال الإسرائيلي ، والبريطاني والفرنسي إلى حد ما ، ثم بما كان بين أمريكا ومصر من علاقات بعضها معروف وأكثرها غير معروف ، لقبول مطالب إسرائيل .

قادت أمريكا المناقشات في الأمم المتحدة . وكان ايزنهاور قد بعث برقية لبن جوريون فور العدوان « يقترح فيها سحب إسرائيل لقواتها من سيناء وأنه سيقدر تمام التقدير استجابتنا ، فلما لم يصل رد إسرائيل طلب هنري كابوت لودج مندوب أمريكا عقد جلسة عاجلة لمجلس الأمن حيث قدم قراراً يدعو إسرائيل لسحب قواتها من المنطقة وقد تأجل الاجتماع خمس ساعات بناء على طلب فرنسا وبريطانيا وإسرائيل ، ولما استؤنف كانت الأنباء قد وصلت بالإنذار البريطاني ـ الفرنسي ـ وقد اعتبر ايزنهاور ذلك عملاً من أعمال الغش » .

وتبنت أمريكا اقتراح إدانة إسرائيل ، والأمر بانسحابها إلى خطوط الهدنة .

وكان الإنذار السوفيتي لإسرائيل أكثر تحديداً وأقل دبلوماسية من الإنذار الموجه لبريطانيا* وفرنسا ، إذ تحدث عن إمكانية زوال إسرائيل . . واستغل الأمريكيون ذلك فبعث سفير الولايات المتحدة بمعلومات لإسرائيل « بأن الاتحاد السوفيتي ينوي توجيه ضربة قاصمة لإسرائيل تسويها بالأرض » .

ولكن بن جوريون قال : « لم يكن يهمني ما يقوله بولجانين ، أوما يحتمل أن يفعله . لقد كان اهتمامي كله بموقف الأمريكيين فقد كنت أعلم قوة وسائل الضغط التي يملكونها علينا . بما يجعلنا نرضخ لطلبهم بالانسحاب . . إنني كنت مهتماً بالأمريكيين أكثر » .

---

* لعله مما يلقي الضوء على طبيعة الإنذار السوفيتي ، تلك الرواية التي نشرها أول متمرد في المخابرات البريطانية .

مؤلف : « صياد الجواسيس » إذ قال إن الانجليز نجحوا في أوائل عام ١٩٥٦ في تركيب جهاز تصنت داخل السفارة المصرية يمكنهم من التقاط وفك الشفرة المصرية . فلما زاد التعاون المصري ـ السوفيتي ، أرسل الروس مجموعة خبراء للكشف عن أجهزة التصنت في السفارات المصرية ، وقد رصد الانجليز اكتشاف الروس لجهازهم ودهشوا لأنهم تركوه في مكانه . وفي موضع آخر قال إنهم خلال العدوان التقطوا من نفس الجهاز رسالة موجهة من السفير المصري في موسكو يقول فيها إن الروس أبلغوه أن الطائرات الروسية قد صدرت إليها الأوامر بالاستعداد للسفر إلى القاهرة بالمتطوعين . ويقول رجل المخابرات البريطانية إن هذه الرسالة كانت حاسمة في قرار ايدن بوقف إطلاق النار . ومع ذلك لم يفهم لماذا ترك الروس الجهاز بعدما اكتشفوه . . فهل فهمنا نحن ؟! . .

وتقول جولدا مائير : « لم نخض حملة سيناء من أجل كسب أرض ولا نهب أو أخذ أسرى ، وإنما كان الشيء الوحيد الذي نريده هو السلام . . أو على الأقل الوعد بسلام لعدة سنوات » . « كنا قد انتصرنا ولكن الفرنسيين والانجليز خسروا حربهما . . وقد خضع الانجليز فور صدور قرار الأمم المتحدة بانسحابهم من منطقة القناة ، وكذلك صدر الأمر بانسحاب إسرائيل من شبه جزيرة سيناء وقطاع غزة . وبدأت الأربعة شهور ونصف شهر من « وجع القلب في المعركة الدبلوماسية التي خضناها » « ولكن الرئيس ايزنهاور كان غاضباً وقال إذا لم تنسحب إسرائيل فسيؤيد فرض عقوبات ضدها في الأمم المتحدة » . « وأخبرني دلاس أكثر من مرة أن إسرائيل ستتحمل مسئولية حرب عالمية ثالثة » . « وفكرت أكثر من مرة في أن أهرب من الأمم المتحدة وأعود لإسرائيل ، ولا أواجه دلاس وكابوت لودج رئيس الوفد الأمريكي في الأمم المتحدة ولكني بقيت وابتلعت مرارتي ، وفي النهاية حوالي آخر فبراير ، وصلنا إلى تسوية ما ، ستغادر قواتنا غزة وشرم الشيخ مقابل تعهد بأن الأمم المتحدة ستضمن حرية الملاحة للسفن الإسرائيلية في مضيق تيران وأنه لن يسمح بعودة الجيش المصري إلى غزة »[11]

وبالطبع تسكب جولدا مائير الدمع على ما تنازلت عنه إسرائيل أو ما أجبرتها عليه أمريكا من تنازلات . . ومازال الإسرائيليون يقولون إن مناحم بيجين تنازل للسادات عن سيناء !

« جولدا مائير » التي أقيمت لها التماثيل ، وخلدت حياتها في السينما بعد ذلك اعترفت وقتها ١٩٥٦ « بدا وكأن العالم كله ضدنا » جولدا ص ٢٩٠ حياتي .

ومع ذلك قبل عبد الناصر هذه التنازلات لإسرائيل مع أن العالم كله كان معه؟ !

١ ـ فتح خليج العقبة للملاحة الإسرائيلية وإزالة الوجود العسكري المصري في تيران وشرم الشيخ ، بل وإزالة السيادة المصرية الفعلية هناك وإن بقيت اسمياً . . وسلمت المنطقة لقوات البوليس الدولي .

٢ ـ تجميد الحدود المصرية ـ الإسرائيلية بالبوليس الدولي الذي قبل أن يوضع على جانب واحد من خط الحدود وهو الجانب المصري فأصبحت مصر عملياً في نفس وضعها بعد كامب ديفيد ، أي خارج إمكانية المواجهة . . وقد علم بعد ذلك أنه إلى جانب القوات الدولية فقد كانت هناك اتفاقية سرية بين مصر وأمريكا بتجميد الوضع عشر سنوات وهو ما حدث .

ويجب أن ننبه إلى أن « قوات الطوارىء » لم تكن بالتي تنسحب فور طلب مصر ، كما حدث ، وكما راج ، وإنما قرار الأمم المتحدة ، كان يشترط لسحبها الرجوع إلى الأمم المتحدة . وهذا ما كان في خاطر عبد الناصر عندما طلب سحب القوات ، لكي تتاح الفرصة لمناقشة الموضوع في « الجمعية العمومية للأمم المتحدة » كما ينص قرار تشكيلها ، وعندها تفتح الأبواب للمخطب والاتصالات وتبريد الموقف بدون حرب ، بعدما يكون قد حقق الكسب السياسي . . ولكن النية كانت قد اتجهت لضربه ، كانت إسرائيل قد أكملت

استعداداتها ورأت أن الوقت قد حان للضربة القاضية وهي التي دفعت الاحداث إلى ما وصلت إليه وباتفاق ومباركة الولايات المتحدة ، لذلك فوجيء عبد الناصر باستجابة سكرتير الأمم المتحدة للطلب وسط دهشته ودهشة العالم كله ، ولم يلتزم بالجزء الخاص بضرورة عرض الأمر على الجمعية العامة للأمم المتحدة ! حتى أنهم أرسلوا « مرسال » على عجل يسحب الطلب فقيل لهم فات الأوان ! وبالطبع لو كانت إسرائيل أو أمريكا لا تريدان الحرب ، لما حدث ذلك ، وعلى أية حال . . أية مفاجأة يمكن لمصر أن تمارسها ضد إسرائيل وهي لا تستطيع أن تهجم إلا بعد إخطار العالم كله وذلك بطلب سحب قوات الأمم المتحدة ؟!

الواقع والذي حدث فعلاً أن الجبهة المصرية ـ الإسرائيلية جمدت تماماً ولمدة عشر سنوات ، وأطلقت يد إسرائيل على الجبهات الأخرى ولبناء جهازها العسكري ليصبح أقوى جهاز في الشرق الأوسط ، وبنفس القوة ، فإن هذا التجميد ، أعطى القيادة المصرية ، دعماً جديداً لخطها السياسي في تجاهل الخطر الإسرائيلي فأهملته تماماً ، في نفس الوقت الذي وضعها في موقف محرج مع شعبها ومع الفلسطينيين ومع الجماهير العربية المطالبة بصدق ، بالمواجهة مع إسرائيل . وأيضاً في حرج مع المزايدين العرب الذين عرفوا بالقيد الذي قيدت مصر به نفسها ، فراحوا يستفزون القيادة المصرية بتحديها لمواجهة إسرائيل ، وانتقاد سماحها بالمرور الإسرائيلي في خليج العقبة وحماية حدودها بالبوليس الدولي وإنكار ذلك على دول المواجهة الأخرى ، ومعروف أن عامر اشتكى من الحملة التي صادفته في الخارج حول خليج العقبة . .

وصدق مصطفى كامل عندما قال قبل ستين سنة . . « إن من يتهاون في حقوق بلاده مرة واحدة ، يبقى أبد الدهر مزعزع العقيدة سقيم الوجدان » !

التفريط في ١٩٥٧ أدى إلى التورط في ١٩٦٧ ويبدو أننا يجب أن نقف لحظة هنا لنعرض ما هو خليج العقبة ومضيق تيران . والملاحة الإسرائيلية . .

المعروف أن مصر إلى ما قبل ١٩٤٨ كانت الدولة الوحيدة التي تطل على البحرين الأحمر والأبيض ، ومن ثم كانت فكرة قناة السويس ، وبالطبع كان التطور التالي في العصر الحديث هو أنابيب النفط التي تربط بين المنابع القريبة من البحر الأحمر وبين الأسواق على البحر الأبيض أو قريبة منه ، ولكن وجود قناة السويس أغنى عن ذلك ، ولم يجعل الشركة ، ولا الإدارة المصرية تفكر في منافستها . .

وفي مشروع التقسيم ١٩٤٧ لم تعط إسرائيل منفذاً على البحر الأحمر في الخريطة التي صدر بها قرار الأمم المتحدة ، وظلت الأردن هي الدولة التي تطل على البحر الأحمر من العقبة التي انتزعها الانجليز من السعودية عام ١٩٢٥ وضموها للأردن ، وميناء صغير اسمه أم الرشراش ، وقد تصدت بريطانيا لأية محاولة إسرائيلية للاقتراب من العقبة التي كانت مع

عدن مفاتيح السيطرة البريطانية على البحر الأحمر ، ولكن تحت الضغوط الصهيونية والأمريكية[٩٢] ، سمحت بريطانيا لرجلها في الأردن الجنرال جلوب الذي أمر نائبه في الموقع « بروميج » بالانسحاب من أم الرشراش في ٦ مارس ١٩٤٩ واحتلتها إسرائيل في ١٠ مارس ١٩٤٩ دون طلقة واحدة ! . .

وهكذا أصبحت إسرائيل الدولة الثانية التي تطل على البحرين ، وكانت الخطوة التالية هي بناء ميناء وخط أنابيب ينقل النفط من إيلات على البحر الأحمر إلى أسدود على البحر الأبيض منافساً لقناة السويس وخط التابلاين الذي ينقل النفط السعودي ، وخط الآي بي سي الذي ينقل النفط العراقي ، كما يربط الميناء الجديد إسرائيل بأفريقيا ودول آسيا . . وكانت مصر قد منعت الملاحة الإسرائيلية في قناة السويس منذ لحظة قيام إسرائيل في ١٥/٥/١٩٤٨ .

أما خليج العقبة الذي تقع إيلات على رأسه فإن طوله مائة ميل ، وأوسع مناطقه ١٧ ميلاً ومدخله ٩ أميال . . تسده جزيرتان : تيران وصنافير ، وهما سعوديتان وتقعان داخل الثلاثة أميال . . جزيرة تيران تقسمه إلى فتحة سعودية مليئة بالصخور وفتحة مصرية عرضها ٤ أميال بها ممران والممر الوحيد الصالح للملاحة هو الممر المصري القريب من شرم الشيخ ورأس نصراني . . ولما كان الممر في المياه الإقليمية المصرية بجميع المقاييس حتى التي تقتصر على ثلاثة أميال . . ومن الجانب الآخر مياه إقليمية سعودية ، والوجود الإسرائيلي في أم الرشراش أصلا غير شرعي ولا حتى بقرار التقسيم المعترض عليه . . فقد كان من الطبيعي أن تفكر الحكومة المصرية في إغلاق فتحة الخليج من الجنوب وبذلك تفقد « إيلات » أو أم الرشراش كل مبررات وجودها باستثناء السباحة وصيد السمك . . وتتعطل كافة مشاريع الاستفادة من موقع إسرائيل على البحرين . .

لذلك اتفقت الحكومة المصرية مع الحكومة السعودية في يناير ١٩٥٠ على استخدام جزيرتي تيران وصنافير ونصبت المدافع في رأس نصراني وصرح وزير الحربية المصري مصطفى نصرت (حكومة الوفد) :

« إن تزايد نشاط إسرائيل على ساحل إيلات قد اضطرنا إلى تدعيم قواتنا المصرية في منطقة مدخل خليج العقبة ، فأرسلت قوات مناسبة إلى رأس نصراني لتتحكم تحكماً تاماً في هذا المدخل » .

وفي ٢١ ديسمبر ١٩٥٠ أغلقت حكومة الوفد « الرجعية » المضيق في وجه الملاحة الإسرائيلية .

وفي ١٥/١/١٩٥١ حددت مصر مياهها الإقليمية بستة أميال واعتبرت كل المياه ما بين جزيرتين مصريتين مياهاً إقليمياً .

وفي أول يوليو ١٩٥١ أطلقت البحرية المصرية النار على سفينة بريطانية حاولت اختراق الحصار واعتقلتها ٢٤ ساعة . واستمر الحال على ذلك في حكومة الثورة .

وفي سبتمبر ١٩٥٤ حاولت إسرائيل تحدى الحصار ، فأرسلت السفينة « بات جليم » فصادرتها السلطات المصرية ، واعتقل بحارتها ثم أعيدوا إلى إسرائيل[١٠٢] .

وفي سبتمبر ١٩٥٥ منعت مصر الطيران فوق الخليج وتوقفت رحلات شركة العال . .

وينقل الدكتور عبد العظيم رمضان ـ عن موشى ديان قوله :

« كانت هذه المضايق هي الهدف الرئيسي للمعركة ، ولو توقفت المعارك وفي يدنا شبه جزيرة سيناء دون شرم الشيخ ، إذن لظل الحصار قائماً على الملاحة إلى إسرائيل ولكان ذلك يعني أننا خسرنا المعركة » .

ويستعرض د . عبد العظيم رمضان تطورات فتح الخليج كالآتي :

○ احتلت إسرائيل شرم الشيخ يوم ٥ نوفمبر ١٩٥٦ .

○ قدمت الهند مشروعاً قوياً يندد بتأخر الانسحاب في ٢٢ نوفمبر ١٩٥٦ وكانت الجمعية العامة قد أقرت قراراً بانسحاب إسرائيل الكامل دون إشارة إلى حرية الملاحة . وأن همرشولد رفض أن تضمن القوات الدولية حرية الملاحة في خليج السويس » .

○ ولكن بعد أن تم الاتفاق المصري ـ الأمريكي وانسحبت إسرائيل في مارس ١٩٥٧ أرسلت أمريكا في ٦ أبريل ١٩٥٧ سفينة أمريكية تحمل نفطاً إيرانياً لإسرائيل ومرت في خليج العقبة واكتفت مصر بالاحتجاج . . وكان ذلك أول اقتحام للخليج منذ أغلقته حكومة الوفد »[١٢] .

وتم أكمل نصر في تاريخ العرب الحديث . . !!

الوفد وحكومات ما قبل ١٩٥٢ أغلقت الخليج في وجه إسرائيل ، وحكومة ما بعد ١٩٥٢ فتحته ، ومع ذلك يقول هيكل بلا حياء : « وحتى سنة ١٩٥٢ رغم اشتراك مصر في حرب فلسطين سنة ١٩٤٨ فإن الرياح في مصر كانت تسير على هوى إسرائيل ، وفجأة تغيرت اتجاهات الرياح » .

تغيرت ؟! نعم . . ولكن لتهب في شراع سفينة إسرائيل . . وحاسبونا على النتائج . . إذا كان ما حققته إسرائيل في ظل الرجعية أكبر مما حققته في ظل الثورية . . فمعك حق ياأمين على التاريخ* . . بل حتى حرب ١٩٤٨ التي خسرناها كانت أشرف في وقائعها ونتائجها يأمفرط في الجغرافيا ؟!

---

* حتى عبد الناصر اعترف أنه أسير مواقف الرجعية في ظل الاستعمار عندما اعتذر بأنه لا يستطيع أن يمنح إسرائيل ما منعته « الرجعية » قال كعب الأهرام : « لما طلب « بن جوريون » من « همرشولد » أن يطلب من عبد الناصر السماح بمرور سفن إسرائيل في قناة السويس رد عبد الناصر : اسأل بن جوريون هل كنا نسمح لسفنهم بالمرور من قناة السويس أثناء وجود القاعدة البريطانية على الأرض المصرية » ص ٤٣٦ ع .

شقت أمريكا الطريق في قلب السيادة المصرية الممزقة ، وجاء الدور على إسرائيل لكي تستعرض وتعربد وتعلن انتصارها ، وتلقى الفتوح العلا . .

« في أول مايو ١٩٥٧ اتجهت مدمرة إسرائيلية من إيلات إلى شرم الشيخ ثم بلدة الشيخ حميد السعودية على بعد كيلومترين ، ثم اقتربت إلى مسافة كيلومتر واحد من بلدة مقنى على الساحل السعودي . وفي نفس اليوم واليوم التالي أجرت مدمرتان وثلاثة طرادات وطائرات حربية إسرائيلية مناورات على الساحل المصري لخليج العقبة بين إيلات وطابا ووصلت إلى المياه السعودية* على الضفة الشرقية للخليج »[١١٢] .

ربما كانت حملة تهنئة بأكمل نصر عربي ، ولذلك لم تحرك قيادة مصر ساكناً لأنها على ما يبدو كانت مشغولة بدورها باحتفالات « أكمل نصر في تاريخ العرب » فتركت إسرائيل تتجرع هزيمتها في المياه المصرية !!

ويعلق د . عبد العظيم رمضان على سكوت مصر « فكأنها وافقت بذلك موافقة صامتة على هذا المرور » .

ويقول : « ومرور الملاحة الإسرائيلية في مضيق تيران يعد أضخم مكسب حصلت عليه إسرائيل منذ احتلالها ميناء أم الرشراش في مارس ١٩٤٩ ، وهو أخطر تطورات الصراع بين مصر وإسرائيل منذ إنشاء تلك الدولة ، فقد فتح البحر الأحمر أمام إسرائيل وأتاح لها أن تتمتع لأول مرة بمزايا موقعها على بحرين : البحر الأحمر والبحر المتوسط . وقد ترتب على ذلك النتائج الآتية :

أولا ـ تحول ميناء إيلات إلى ميناء عالمي ، ومحاولة إسرائيل الاستعاضة به عن قناة السويس لنقل البضائع ، والبترول بين آسيا وأفريقيا وأوروبا . فقد عمدت إلى إقامة شبكة من المواصلات بين إيلات والبحر المتوسط ، وإدخال تحسينات كبرى على الميناء ، وقامت بتوسيعه وتقسيمه إلى ثلاثة أقسام : قسم جنوبي ، وهو ميناء البترول ، وتصل إليه السفن التي تحمل البترول الخام الذي يدفع إلى معامل التكرير بحيفا . وقسم شمالي ، يختص بشحن وتوزيع البضائع ، وقسم أوسط يتم فيه تخزين البضائع .

وفي عام ١٩٥٩ كانت هناك ثلاث شركات ملاحية تعمل بواخرها بانتظام بين إيلات والساحل الشرقي لأفريقيا . وقد سجل الأسطول التجاري الإسرائيلي تقدماً مضطرداً منذ عام ١٩٥٩ . وعلى سبيل المثال ، فقد كانت حمولته في ذلك الحين تبلغ ٣٢١,٠٠٠ طن ،

---

* حاول هيكل ـ كعادته ـ تحميل السعودية بعض مسئولية فتح الخليج والله يشهد أن « ملفات السويس » تتضمن خطابيّ احتجاج من سعود إلى ايزنهاور يمكن وصف لهجتهما بأكثر من قوية ، احتجاجاً على فتح الخليج لإسرائيل بينما تولى عبد الناصر تهدئة الملك والزعم بأن قوات الطواريء تبقى بأمر مصر وموافقتها ومن ثم لا ضير .

فبلغت في سنة ١٩٦٠ ، ٤٦٢,٠٠٠ طن ، وفي سنة ١٩٦١ بلغت مقدار ٦٤٠,٠٠٠ طن . وقامت الخطوط الملاحية بربط إسرائيل باليابان وبورما وسيلان وشرقي أفريقيا وغربها واستراليا .

وفي أعقاب فك الحصار عن مضيق تيران ، هبت إسرائيل لمد خط انابيب للبترول من إيلات إلى معامل التكرير بحيفا . وكانت هذه المعامل تعمل منذ حرب ١٩٤٨ بربع طاقتها فقط . ومن المعروف أن إسرائيل كانت تنتج حوالي ١٠ في المائة مما تحتاجه من البترول ، وتستورد ما تحتاجه كمصدر للطاقة ولصناعة البتروكيماويات من إيران بالخليج العربي . وقد جرى التفكير في إنشاء هذا الخط في أعقاب عدوان ١٩٥٦ ، وتم إنجازه على ثلاث مراحل : من إيلات إلى بير سبع ، ويبلغ طوله ٢٤٠ كيلومتراً ، وقطره ٨ بوصات ، وتم إنجازه في منتصف شهر أبريل ١٩٥٧ . ومن بير سبع إلى اسدوديام ، ويبلغ طوله ٧٧ كيلومتراً ، وقطره ٨ بوصات لمسافة ١٥ كيلومتراً و ١٦ بوصة لمسافة ٦٢ كيلومتراً . ومن اسدوديام إلى حيفا ، ويبلغ طوله ١٣٩ كيلومتراً ، وقطره ١٦ بوصة . وقد انتهى العمل فيه في منتصف يوليه ١٩٥٨ . ومنذ منتصف شهر مايو ١٩٥٩ بدأ إنشاء خط النفط الدولي بين إيلات وحيفا الذي وقعت اتفاقيته في مطلع العام مع جماعة من الممولين الفرنسيين على رأسهم البارون روتشيلد .

وسرعان ما أنشأت إسرائيل مطاراً عسكرياً شمال إيلات على بعد كيلومترين من الساحل على الجانب الغربي من الطريق العام ، يصلح لهبوط الطائرات النفاثة . ويعد مطار إيلات هو المطار الثاني في إسرائيل بعد مطار اللد . وأنشأت إسرائيل طريقاً برياً من الدرجة الأولى بين حيفا وإيلات يبلغ طوله ٤٦٧ كيلومتراً ، أطلق عليه الإسرائيليون اسم : « قناة السويس البرية » . وقد استطاعت إيلات أن تستقطب سريعاً حركة الملاحة من ميناء العقبة الأردني ، حتى بلغ حجم السفن التي تصل إليها في عام ١٩٦٧ سبع سفن مقابل كل سفينة تصل إلى ميناء العقبة !

ثانيا : تسرب النفوذ الإسرائيلي إلى أفريقيا ، تدعمه الاستشارات الإسرائيلية والامبريالية . وتنوع النشاط الإسرائيلي في الميادين الاقتصادية والثقافية والعسكرية . ومن الطبيعي أن هذه العلاقات قد فتحت أمام الحاصلات الزراعية والمنتجات الصناعية الإسرائيلية أسواقا رائجة ، استطاعت إسرائيل من خلالها التغلب على الحصار الاقتصادي العربي ومنافسة الصناعات العربية » .

وهذا كله من بعض شروط وعلامات « كمال » النصر ، وإن كان تواضع مؤرخ الناصرية جعله يغفلها تماماً فلم يشر بحرف لا إلى الخليج ولا إلى شرم الشيخ ، ولا إلى الملاحة الإسرائيلية فهذه قضايا تافهة لا يجوز أن تشغلنا عن النصر الأكبر في « باندونج » والنصر التاريخي في حرب المائة ساعة على مشروع ايزنهاور . .

ثالثا : كذلك نزع سلاح غزة ، ومنع الجيش المصري من دخولها وكان هناك منذ عهد الرجعية التي خانت قضية فلسطين ، فخرج منها بعد ما بدأت الرياح تهب في غير مصلحة إسرائيل ! . .

وحرمت مصر من الامكانية الممتازة للقطاع في دعم أي هجوم مصري ، بل وأوقفت العمليات الفدائية التي كانت تتم من القطاع .

قالت جولدا مائير : « زال رعب الفدائيين . . تقررت الملاحة في مضيق تيران ، وقوات الطوارىء تحركت إلى قطاع غزة وشرم الشيخ ، وكسبنا نصراً جعل التاريخ العسكري يثبت مرة أخرى قدرتنا على حمل السلاح للدفاع عن أنفسنا » .

يقول حمروش وهو يعتذر :

« ضغطت أمريكا على إسرائيل للانسحاب وضغطت على مصر لتبقى قوات طوارىء دولية في شرم الشيخ حتى لا تتاح للقوات المصرية مستقبلاً فرصة قفل خليج العقبة ومنع الملاحة فيه . ولم يشأ جمال عبد الناصر أن يعاند ويواصل تحدي أمريكا لأنه وجد في ذلك على حد تعبيره موقفاً غير سياسي ، وقبل هذا الشرط مرغماً كما يقول ناتنج » .

وهكذا نرى عبد الناصر يتحدث عن « إرغامه » وهيكله يتحدث عن « أكمل نصر في تاريخ العرب » .

« ولم ترسل مصر حاكماً عسكرياً لغزة كما كانت الأمور من قبل ، وإنما عينت حاكماً مدنياً ولم ترسل معه قوات عسكرية بل اكتفت بفريق من الشرطة العسكرية » .

ونضيف : إن مصر كانت لا تفكر حتى في إرسال الحاكم المدني ، ولكن ثورة الأهالى هناك ومبادرتهم برفع الراية المصرية فور الانسحاب الإسرائيلي ومطالبتهم بالعودة المصرية الكاملة ، أدت إلى تطويق هذه الحركة بإعادة الإدارة المدنية مع قبول شرط إسرائيل بإلغاء الوجود العسكري هناك وقد كنا معاصرين لهذه الأحداث زماناً ومكاناً[١٢] . .

ويقول : « وقبلت مصر قوات الطوارىء الدولية لتكون حاجزاً بينها وبين القوات الإسرائيلية ، حتى لا تتكرر الاشتباكات المسلحة التي ظلت تحتل العناوين الرئيسية في الصحف على فترات متقاربة منذ غارة غزة ٢٨ فبراير ١٩٥٥ حتى عدوان ١٩٥٦ » .

انتهت معركة صفقة السلاح ، وتحطيم احتكار السلاح وهدير الطائرات والدبابات في شوارع القاهرة ، والاستعراضات « السمينة » لا الهزيلة . . انتهى ذلك كله « بحاجز يمنع تكرار الاشتباكات » !

ولا أحد يجادل أن هذا التجميد كان لصالح إسرائيل وحدها . . فقد خرجت منه أكبر قوة عسكرية في المنطقة ، وخرجت مصر منهوكة القوى ، أكثر عجزاً من الناحية العسكرية عما كانت عليه حتى في عام ١٩٥٦ . .

ويريد حمروش أن يقول إن عبد الناصر بقبول قوات الطوارىء قد استبعد نهائياً ـ من

جانبه ـ الحرب مع إسرائيل ، ولكن نفاقه للناصريين يمنعه أن يقول ذلك صراحة فيلف ويدور ليقول الآتي : بقبول عبد الناصر التجميد هذا « وجدت أفكار جمال عبد الناصر التي كان قد عبر عنها إلى مجلة « الشئون الخارجية الأمريكية في فبراير ١٩٥٥ قبل تصاعد هذا التوتر ، وجدت فرصتها للتحقيق من جديد فقد قال يومئذ : ليس هناك محل للحرب مع سياستنا الإنشائية التي قررناها لتحسين مستوى الشعب » .

إذن فمحصلة حرب سيناء ١٩٥٦ هي العودة إلى سياسة « لا محل للحرب » وكان الظن أن تنتبه القيادة المصرية إلى أنه « لا حل إلا الحرب » . .

عدنا لسياسة العمدة والقملة على قفاه وادعاء أنه وضعها قصداً . . فنحن لم نهزم وقوات الطوارىء ليست مطلباً إسرائيلياً وإنما خطة ناصرية لرفع مستوى الشعب !

وكان هذا بالطبع تقصيراً خطيراً في مسئولية الأمن القومي للوطن ، كما أن المكاسب التي حصلت عليها إسرائيل من العدوان كان من بينها الحق المكتسب في الملاحة في خليج العقبة وبالتالي عندما أرادت مصر أن تسترد هذا الحق في ١٩٦٧ كان لدى إسرائيل المبرر العالمي للعدوان الثاني . .

وربما يؤدي مناخ مبادرة روجرز وكامب ديفيد ، وما أعلن من تنازلات في العشرين سنة الأخيرة ، ربما يؤدي إلى استهانة القارىء الحديث بهذه التنازلات ، ويعتقد أن القيادة المصرية فعلاً كانت مرغمة عليها أو أن ظروفها كانت مماثلة لظروف ١٩٦٧ وما بعدها . . والحقيقة مخالفة تماماً ، فلم يكن المناخ الدولي في يوم من الأيام مناسباً لمصر في تاريخ المواجهة مع إسرائيل كما كان في عام ١٩٥٦ . .

١ ـ الهجوم الإسرائيلي أو العدوان واضح لا شبهة فيه ولا محاولة لإخفائه أو ادعاء أنه هجوم وقائي ، وأدانته ٦٤ دولة من بين ثمانين دولة في الأمم المتحدة وطلبت الأغلبية الساحقة انسحاب إسرائيل بلا قيد ولا شرط .

٢ ـ إسرائيل تورطت في أسوأ غطاء دولي يمكن أن تلجأ إليه دولة صغرى وهو القتال تحت مظلة بريطانيا وفرنسا الاستعماريتين ، أو كما بدت وقتها ـ وهو غير صحيح ـ مخلب قط لهدف استعماري قبيح . . وما كان يمكن لأي يساري أو منتسب لفكر متحرر ليبرالي أو اشتراكي أو إنساني أن يؤيد أو يدافع عن غزو يقوم به الاستعماران العجوزان أو مخلب قط لهما ، ولم يكن هناك ثمة مبرر ولا حتى عند اليهود خارج إسرائيل للعدوان . . وانفجرت المعارضة للغزو وتأييد مصر في لندن وباريس وكل عواصم أوروبا تقريباً ، وانتقد الغزو في مجلس العموم البريطاني ، وكاد الأعضاء أن يتضاربوا فرفعت الجلسة لتهدئة الموقف واستقال وزير الدولة البريطاني « أنتوني ناتنج » احتجاجاً على العدوان . وهو حدث في تاريخ بريطانيا .

ولأول وآخر مرة تتفق أمريكا وروسيا ضد إسرائيل وينزلان معا بكل ثقلهما الدبلوماسي والسياسي . . والاقتصادي إلى جانب مصر ولفرض الانسحاب . . وقرارات مجلس الأمن

ضد إسرائيل والانسحاب تقدم بها الوفد الأمريكي . . مما جعل كل الدول في إطار العملاقين تصوت ضد إسرائيل .

بينما في ١٩٦٧ خرج اليسار الفرنسي كله في مظاهرة وراء سارتر يهتف بالموت للعرب والمسلمين . . وجمعوا أربعة مليارات فرنك لدعم إسرائيل ، التي استطاعت أن تقنع العالم أن « الوحش » المصري سيفتك بها ، وكانت أمريكا بكل ثقلها خلف إسرائيل . . وهذا يوضح أنه ليس بفضل شعبية الزعامة المصرية في ١٩٥٦ كان الموقف العالمي بل بسبب بشاعة الصيغة التي تم بها العدوان ، والمكانة التي كانت لمصر قبل أن يحكمها المماليك الجدد .

ويعكس ١٩٦٧ عندما كان الوضع العربي ممزقاً ، وكثير من النظم العربية يخشى انتصار عبد الناصر أكثر مما يخشى هزيمة مصر . . كان الوضع العربي في ١٩٥٦ أفضل بكثير فالحركة الوطنية للأمة العربية في زخمها وطهارتها وبكارتها . . ومصر في حلف عسكري مع الأردن وسوريا ، وقيادة عسكرية تحت إمرة القائد العام المصري وفي انتظار إشارة للهجوم على إسرائيل ، وإذا كان لا يعرف حتى الآن السبب الذي جعل عبد الناصر يمنعهم من الاشتراك في الحرب . . وإذا كنا نرفض العذر البارد بأنه رأى المؤامرة في الأيام الأولى أكبر مما تصور فآثر تطويقها في خسارة مصر وحدها . . !

حتى لو قبلنا هذا التفسير المريب فقد تغير الوضع في الفترة من ديسمبر (انسحاب الانجليز والفرنسيين) إلى مارس ١٩٥٧ (انسحاب إسرائيل) . إذ كان مازال يملك ورقة فتح جبهة أردنية وأخرى سورية . . فلماذا لم يستخدم هذه الورقة في المساومة والضغط لفرض الانسحاب بلا قيد ولا شرط ودون أن تحقق إسرائيل أي مكسب كما يقضي العرف الدولي وكما كان العالم كله معه في ذلك . . ؟!

وهو وضع لم يكن متاحاً بالطبع بعد ١٩٦٧ ؟!

وكانت مصر فيما هو أكثر من تحالف مع السعودية التي وضعت كل إمكاناتها تحت تصرف مصر ، كما كانت قد جندت كل هذه الإمكانات مع مصر قبل العدوان ومنذ ١٩٥٢ على جميع الجبهات . . وبدلاً من وضع ١٩٦٧ حيث كانت مصر تحارب السعودية في اليمن . . كانت مصر واليمن والسعودية في اتحاد دفاعي وحلف مسلح . . حتى همرشولد قال لمحمود فوزي إنه « سوف يصر على تنفيذ قرارات الجمعية العامة تنفيذاً كاملاً أميناً لكي لا تجني إسرائيل أية فوائد أو مزايا نتيجة لعدوانها » .

ولكن ماذا يفعل همرشولد إذا كان عبد الناصر لا يصر ويقبل أن تستفيد إسرائيل من عدوانها . . !

وإذا كنا سنعود للحديث عن موقف ايزنهاور ودلاس من إسرائيل في الحديث عن الخطة « آلفا » Alpha . . إلا أنه في مجال تعداد الظروف التي كانت مواتية لوقفة صامدة مع إسرائيل وضيعها عبد الناصر ، أشير إلى أن الإدارة الأمريكية في تلك الفترة ، كانت أقل

واحدة تأثراً بنفوذ الصهيونية في تاريخ أمريكا منذ الحرب العامية على الاقل ـ ايزنهاور نجح رغم أصوات اليهود وجهودهم ، وهو في المدة الثانية ، التي يتشجع فيها الرؤساء الأمريكيون ، ويضعون مصالح أمريكا فوق مصالح إسرائيل ، إلا أن « ايزنهاور » شخصياً لم يكن محباً لإسرائيل وهو الذي قال في عام ١٩٥٤ : « لو كنت رئيساً للجمهورية في الوقت الذي عرضت فيه مسألة استقلال إسرائيل ، فلست أدرى ماذا كنت أفعل » ودلاس كما يقول المؤرخون « كان يعتقد أن هناك بعض الصحة في دعوى العرب بأن ترومان تاجر بأصوات اليهود لانتخابه رئيساً مقابل صوت أمريكا للاعتراف بإسرائيل في الأمم المتحدة » ودلاس اشتكى للانجليز من نفوذ اليهود الانتخابي وخطط معهم فرض حل قبل موسم الانتخابات والمزايدة على أصوات اليهود . .

وقد وصل الأمر بمؤرخ سيرة ايزنهاور إلى اتهامه نوعاً ما بعداء السامية :

« في ٣ فبراير بعث ايزنهاور برقية عنيفة اللهجة إلى « بن جوريون » من ثلاث صفحات ، يحثه فيها على الانسحاب من غزة ويحذره : إذا لم تفعل إسرائيل فإن الأمم المتحدة تواجه ضغطاً لفرض عقوبات على إسرائيل « ويضيف » خلال بحث الإجراءات التي ستتخذ لإجبار بن جوريون على الانصياع والانسحاب ، مثل منع المساعدة الحكومية ، والمساعدات الخاصة الأمريكية ، لم يحاول ايزنهاور الاتصال بالزعماء اليهود في أمريكا بعكس ما كان يفعل في كل قضية ، مثل أسعار النفط والمساعدات الخارجية . . الخ ، إذ كان في العادة يتصل ويتحاور مع الجماعات والقيادات المعنية ، إلا في حالة إسرائيل والزنوج . فلم يكن لايزنهاور أصدقاء من اليهود ، وإن كان له بعض المعارف من مشهوريهم ، ولكنه لم يحاول قط الاتصال بهم أو بالجماهير اليهودية في أمريكا ونفس الشيء بالنسبة للأمريكيين السود ، فلم يكن له لا أصدقاء ولا معارف . . ولم يكن ايزنهاور بأية حال على وفاق لا مع اليهود ولا السود »* ! . .

ولعله يجدر أن نذكر هنا أن زعيم المعارضة في الكونجرس الذي كان صهيونياً فاضح الصهيونية ، وكان يدافع عن إسرائيل وعدوانها بوقاحة في مواجهة ايزنهاور هو سناتور ديموقراطي اسمه « لندون جونسون » . . والغريب أن عبد الناصر تنازل وفتح خليج العقبة وقبل البوليس الدولي ليتجنب الحرب مع إسرائيل في ظل حكومة ايزنهاور ، وأغلق الخليج وسار إلى الحرب مع إسرائيل في ظل إدارة الصهيوني لندون جونسون !! . .

كل الظروف كانت مع عبد الناصر إلا عبد الناصر . . وقد أبدى ممثل الاتحاد السوفيتي في الأمم المتحدة دهشته علنا من قبول مصر لهذه الشروط ، وقال إنها لا تحتاج لقبول البوليس الدولي « ولكن إذا كانت هذه رغبتها . . فهو لا يمانع » ! وعرفنا بعد ثلاثين عاماً أن البوليس

---

* من كتاب : ايزنهاور الرئيس .

الدولي كان فكرة مصطفى أمين وهيكل والعضو الأمريكي في محطة المخابرات الأمريكية في مصر[١٣]

لماذا قبل عبد الناصر شروط إسرائيل ؟!

لماذا لم يصمد ويبدأ عملية تعبئة وبناء القوات المسلحة ، وبخاصة أنه قد تم له ما أراد ووفقاً لرواية هيكل أنقذ الجيش المصري من الفخ الذي نصبوه له ، والطيارون أحياء عند صدقي محمود يرزقون والحمد لله . . وحتى لو صدقنا « كذبة » عبد الناصر عن تدمير السلاح المصري ، ورفضنا « صدق » هيكل عن « تدمير بعض المعدات الخفيفة » حتى لو صدقنا ذلك لم يكن « تعويض » السلاح مشكلة وقد فتحت السوق السوفيتية ، بل وكان الروس في غاية التحمس وقتها لتصدير السلاح . . لماذا لم يعبيء كل القوى ويبدأ أو يهدد بحرب تحرير سيناء بعد الانسحاب البريطاني والفرنسي . . وحرب ضد إسرائيل وحدها « تقلب » العالم العربي . . بنص تعبير عبد الناصر .

يقول هيكل : « وتحت ضغوط عالمية هائلة واستعداد مصري عسكري تمكن من تعويض خسائر الحرب خصوصاً في الطيران بدأت إسرائيل انسحابها من سيناء » ص ٦٠٤ ع .

الحمد لله الذي يفضح الكذاب والمريب . .

ضغوط عالمية هائلة . .

استعداد مصري عسكري . .

طيران رجع والطيارون موجودون .

بريطانيا وفرنسا ذهبتا ـ كما توقع ـ وبقيت إسرائيل . .

لماذا التنازل . . ؟ أليست هذه فرصة العمر لمقاتلة إسرائيل ؟!

سؤال نضمه إلى الأسئلة الحائرة في ضمير الناصريين المخلصين . .

لماذا بعد انسحاب الانجليز والفرنسيين ، خضع عبد الناصر لشروط إسرائيل . . لماذا رفض أن يستغل « النصر » والالتفاف الشعبي والعربي والعالمي حوله لخوض معركة تحرير ضد إسرائيل .

ولكنه لم يفعل . . لماذا ؟! . . قولوا لنا ما المخاطر التي أراد تجنبها ؟

لن نذهب مذهب الذين يتهمون عبد الناصر بأنه جزء من المؤامرة الصهيونية العالمية ، ومن ثم اقترحوا له تمثالاً في إسرائيل . .

ولكننا أيضاً لا نقبل تزوير المزورين الذين يرفضون مواجهة هذا السؤال ، ويصرون على أنه انتصر وأن كل شيء كان بحسبان . . ؟!

ويضاعف من جريمتهم أنهم لم يقتصروا على خداع الشعب والجيش بل خدعوا القيادة نفسها فصدقت أنها انتصرت ، وسُكّت ميدالية مكتوب عليها « سيناء أرض النصر » وجدها الحاكم العسكري الإسرائيلي في عام ١٩٦٧ في مكتب محافظ سيناء ، فأعطى واحدة منها إلى

« ياثيل دايان » الجندي في جيش إسرائيل وابنة « موشي ديان » . . قائلا : « أظن أن هذه الميدالية من حقنا نحن »[14]

قالت جولدا مائير : « بعد تأميم قناة السويس لم يكن أمام عبد الناصر لكي تصبح مصر التي يحكمها ، زعيمة العالم الإسلامي إلا شيء واحد هو إبادة إسرائيل »[15] .
وفي ديسمبر ١٩٥٦ كان قد تم تأميم وامتلاك القناة ، وهزم وزال أي خطر من الاستعمار القديم . . ولا نقول ما قالته جولدا مائير عن إبادة إسرائيل بل نقول إن زعامة العالمين العربي والإسلامي كانت دانية قطوفها لحاكم مصر الذي يبدأ عملية إزالة إسرائيل برفض المساومة والبدء في تحرير سيناء . .

ولكنه لأمرٍ ما ، استبدل عبد الناصر الذي هو أدنى بالذي هو خير . .
هذه هي وقائع التاريخ . . و« نحن حين نتجاهل التاريخ لا نلغيه ولكننا نخرج أنفسنا من دائرة حركته »[16] . . فما بالك حين لا نكتفي بتجاهله ، بل نتعمد تزويره ؟!
« باختصار نحن نعتبر معركة تأميم القناة ، نصراً بارزاً لمصر ورئيسها عبد الناصر . ونعتبر معركة سيناء أول هزيمة حاسمة ومصيرية في المواجهة المصرية ـ الإسرائيلية . . تركت بصماتها ولا تزال على تلك المواجهة . .

مراجع وملاحق الفصل التاسع

من صفحة ٥٤٧ إلى صفحة ٥٩٤

المراجع

١ ـ قصة السويس ص ٢٢٧ .

٢ ـ بغدادي ج ١ ص ٣٣٦ .

٣ ـ قصة السويس ص ٢٢٧ .

٤ ـ ن . م . ص ١٥٠ .

٥ ـ موشى ديان : Story of my life قصة حياتي Sphene book ltd. london .

٦ ـ ن . م .

٧ ـ ن . م ص ٢٣٨ .

٨ ـ ملفات السويس ص ٥٣١ .

٩ ـ الطريق إلى السويس ص ٢٨٩ / ٢٩٠ .

١٠ ـ بغدادي .

١١ ـ جولدا مائير ص ٢٩٥ .

١٢ ـ عبد العظيم رمضان : المواجهة المصرية الإسرائيلية في البحر الأحمر ١٩٤٩ ـ ١٩٧٩ صدر في يناير ١٩٨٢ عن مؤسسة روز اليوسف .

١٣ ـ انظر رسالة مصطفى أمين لعبد الناصر .

١٤ ـ راجع يوميات جندي : يائيل ديان . وانظر كتاب « أخطر من النكسة » لمحمد جلال كشك ١٩٦٨ .

١٥ ـ جولدا مائير : حياتي . Dell 1957 ص ٢٨٤ .

١٦ ـ قصة السويس ص ٣٠٤ .

الملاحق

م[١] ـ ببعض التأمل في أهمية الطيران في تقرير مصير الحرب المصرية ـ الإسرائيلية خلال الفترة من ١٩٥٤ إلى ١٩٦٧ يمكن القول إنه كانت لإسرائيل مصلحة مباشرة وأكيدة في وجود قيادة عاجزة في مركز الإدارة والتوجيه والقرار لسلاح الطيران المصري ، ومن هنا يمكن لمن شاء أن يطرح تساؤلات عن دور للمخابرات الإسرائيلية في استمرار « صدقي محمود » في هذا المركز ، إلا أننا لا نملك أدلة كافية ـ حتى الآن ـ على حدود وأبعاد التغلغل الإسرائيلي في صنع القرار المصري في عهد ناصر ، وإن

كنا نجزم بوجود هذا التغلغل ومن ثم فالتفسير الذي نكتفي به هنا ـ مؤقتاً ـ هو رغبة عبد الناصر في تأمين سلطته مهما كان الثمن وربما كانت هذه البرقية من السفير كافري إلى حكومته بتاريخ ٢٨ مارس ١٩٥٤ وهذا نصها : « أبلغنا مصدر موثوق به ، أن ضباط سلاح الطيران عقدوا اجتماعاً برئاسة صدقي رئيس الأركان ، وهو ليس من الضباط الأحرار ، واتخذوا قراراً برفض قرارات ٢٥ مارس والتمسك بمجلس الثورة » .

وإذا لاحظنا أن سلاح الطيران كان يضم أكبر نسبة من الضباط الأحرار ، بل وله تاريخ عريق في العمل الوطني ، وأن عبد الناصر لم يأتمن على هذا السلاح الخطير لا بغدادي ولا حسن إبراهيم ولا حتى علي صبري . . بل ائتمن ضابطاً من خارج تنظيم الضباط الأحرار . . الضابط الذي لم يجد أي دافع لمعارضة النظام الملكي ـ الاستعماري ، أو الانضمام للانقلاب إلا في مركز قائد الطيران وبعد نجاح الانقلاب !! ووضع كل إمكاناته لتأييد ناصر ـ عامر . . واستخدم أسلوب « التحبب » لقواته لا القيادة الحازمة التي تقوم على الثقة والاحترام . . ولاشك أن الطيارين الذين ترجوا السادات في العفو عنه* ، لأنهم يعتبرونه « أباً لهم » قد أخطأوا . . فالأب يعد أولاده للدور الذي اختاروه ، ولا يتركهم يهزمون ويهانون مرتين حتى أصبح سلاح الطيران مصدراً لعدة نكات في الفولكلور المصري ، وليس إلا بعد أن أزيح « صدقي محمود » حتى استرد سلاح الطيران المصري سمعته وثقة المواطنين به ، وكان عند حسن ظن الشعب به ، وأنجز ما أنجزه بشرف وإتقان في حرب رمضان . .

فهل يمكن القول إن القيادة التي اعدتهم للقتال كانت أقل حباً لهم من القيادة التي أعدتهم للهزيمة مرتين ؟! . .

م[٢] ـ وفي دراسة أخرى عن وضع الطيران المصري والإسرائيلي عشية الحرب جاء في كتاب « الطريق إلى السويس » :

« كانت مصر تمتلك حوالي مائة طائرة ميج ١٥ وخمسين قاذفة نفاثة اليوشين . وثمانين طائرة من طراز ي فامباير وميتور وحوالي عشرين طائرة قديمة من الطائرات القاذفة من الحرب العالمية الثانية .

ـ إسرائيل : ستون طائرة مستير نفاثة وستون طائرة من فرنسا ، بعض الطائرات الأمريكية من طراز ف ٨٤ و ١٢ نفاثة من طراز أوراجان . .

م[٣] ـ ويمكن القول أنه كان يعتمد أيضاً على عناصر ستتولى تهوين الأمر على القيادة المصرية وتصويره مجرد مناوشات حدود . والأدلة كثيرة على أن الجاسوسية الإسرائيلية كانت نافذة في عهد عبد الناصر عن أي عهد آخر قبله أو بعده .

م[٤] ـ ص ٣٣٧ عبد اللطيف بغدادي جزء أول . وهذه المركزية في القيادة نسبت بعد ذلك في حرب ١٩٦٧ إلى التكتيك الروسي في الدول العربية التي استعانت بالروس في تدريب جيوشها ، ولكن

---

* إلا إذا كانوا قد رأوا أنه ليس من العدل أن يستمر صدقي محمود في السجن بينما يحتفل بذكرى جمال عبد الناصر !!

هذه الرواية تثبت أنها سابقة على تغلغل الروس في القيادة العسكرية المصرية . وفي اعتقادنا أنه ليس موقفاً عسكرياً ، بل ينبع من الأيدلوجية وطبيعة النظام ، فكلاهما الروسي والعربي نظام ديكتاتوري فردي على جميع المستويات لا يملك فيه المستوى الأدنى ، حرية التفكير فضلاً عن التصرف .

م[5] - في كتابنا السابق حاولنا تغليب حسن الظن في تفسير موقف عبد الناصر ، ولذلك أخذنا برواية بغدادي : « مافيش بنزين » ولكن إزاء إصرار هيكل على تجاهل هذه الرواية ، وتأكيده أن عدم اشتراك الطيران المصري في المعركة ، كان قراراً واعياً أصدره عبد الناصر . . وبما أن واقعة بغدادي لا خلاف عليها من جميع المصادر ، ومعززة وقت نشرها بشهود أحياء ، لم ينكروها ، فلا تفسير ، إلا أن « صدقي محمود » - وولاؤه لعبد الناصر غير محدود ولا موضع شك - إنما كان ينفذ خطة وضعت بين ناصر وأطراف أخرى لمنع « توسيع » الحرب بمنع دخول الطيران المصري المعركة ، وتركه يدمر على الأرض ، وفي إطار هذه الخطة كان لابد من تقديم « عذر » مفحم لأمثال بغدادي ، الذي لا نعتقد أن عبد الناصر كان يخاطر بمجابهته بمثل هذا القرار العجيب . . منع الطيران لحماية الطيارين !

م[6] - وهناك رواية لفتحي رضوان أكثر قتامة ، وقد أشرنا إليها في رسالة التوحيد . نوفمبر ١٩٨٥ في الآتي :

« وفتحي رضوان حريص على إقرار أن الفرج في أزمة حرب القناة جاء من نيويورك ، بعد ما رسم صورة كئيبة لليأس والانهيار على مستوى القيادة فينقل عن نور الدين طراف عن بغدادي « أنه في خريف سنة ١٩٥٦ عندما تبين أن الانجليز والفرنسيين ، مصممون على الزحف إلى القاهرة ، وأن الجيش لم يعد في مقدوره رد عاديتهم عن العاصمة ، وأن الوساطات الدولية وقرارات الأمم المتحدة لم تجد . وبدا المستقبل مظلماً شديد حلوكه . . فقد صلاح سالم آخر قطرة من معنوياته وتماسكه ، واقترح أن يتناول أعضاء مجلس الثورة سماً زعافاً سريع المفعول لكيلا يقعوا في يد الانجليز والفرنسيين والإسرائيليين ، فيتخذوا منهم فرائس للانتقام والتشفي ، وينتهزها أعداء الثورة - من كل صنف ونوع - فرصة ليثأروا لأنفسهم من أولاد وبنات وذوي قربى عبد الناصر وإخوانه . ووافق الحاضرون جميعاً ، على هذا الاقتراح . . ولم يحل دون تنفيذه إلا غياب البغدادي الذي لم يكن حضر ذلك الاجتماع . . فأرسلوا إلى صلاح نصر ليجهز السم المطلوب وإلى عبد اللطيف البغدادي ليبدي رأيه في الاقتراح . . وفي خلال البحث في الأمرين معاً . . جاءت الأنباء من نيويورك . . بما لا يدع مجالاً لمثل هذا اليأس القاتل . .

بل إن « لفتحي رضوان » يتهم عبد الناصر اتهاماً شنيعاً لم يخطر ببال أحد ، ونبادر فتنفيه عن عبد الناصر الذي والله ما نكره رجلاً آخر مثلما نكرهه ، ولكن . . إلا هذه ! عبد الناصر صعيدي ، لا يرفع يديه أبداً ، ولا يستسلم للشرطة لتضع القيود في يده ، بل يفضل أن تمزق جثته إرباً . . عبد الناصر لم يضع احتمالاً واحداً للاستسلام في ١٩٥٦ بل فكر وربما كان سيفعل ، إما التراجع إلى الصعيد أو الانتحار بالسم الذي طلب من صلاح نصر إعداده بناء على اقتراح من أكثر من عضو في مجلس الثورة . .

عبد الناصر وطني لاشك في وطنيته ولكنه ديكتاتور خبيث الطوية ، مريض النفس ، مغرور

ظن أنه يمكن أن يلعب بالمخابرات الأمريكية فعقد معهم صفقة ، فلعبوا به وبالأمة العربية التي استودعته آمالها وثقتها . .

انظر بماذا يتهمه وزيره الناصري ؛ في تعليقه على الموقف من سليمان حافظ الذي توجه عقب العدوان (١٩٥٦) إلى مجلس الثورة يطلب منهم الاستقالة . . ولم يقبض عليه عبد الناصر في الحال ، وإنما بعد أن انجلى الموقف وهو أمر طبيعي بحكم أولويات الاهتمامات في تلك الظروف العصيبة ولكن فتحي رضوان الناصري ينهش جثة عبد الناصر ووطنيته بتفسير لم يخطر على ألد خصومه . . قال :

« كان من حق عبد الناصر ، بلاشك ، أن يقبض على سليمان حافظ وعلى من أوفدوه ، وكان من حقه ، بلاشك أن يحاكمهم محاكمة سريعة بتهمة الدعوة إلى الهزيمة ولكن عبد الناصر ، في تلك الفترة ، كان أضعف من أن يقدم على شيء من هذا ، ولعل أعظم ما أضعفه أنه كان يرى الخطر محدقاً به من كل جانب وربما جال في خاطره أنه قد يحتاج غداً إلى مثل هذه الوساطة المرفوضة الآن » ص (٩٣) حرفياً ! . .

عبد الناصر خاف من سليمان حافظ !! أو بالأحرى قبل الفكرة ولكنه تمهل حتى يرى موقف الأمريكان فإن كانوا مع الانجليز ، لجأ إلى سليمان حافظ ليقوم بالوساطة ولتنفيذ عرضه بأن يخرج عبد الناصر ومجلس الثورة بالذراري والأموال !!!! . .

ولكن : « زال الخطر » وتدخلت الولايات المتحدة واطمأن عبد الناصر على مكانه رئيساً لمصر وزعيماً لشعبها (لاحظ ما الذي يطمئن عبد الناصر على مكانه رئيساً وزعيماً لشعبها . . تدخل الولايات المتحدة ! وقارن هذا بما يكتبه هيكل وصبية الناصرية . ج) وعندئذ تذكر أن سليمان حافظ جاءه بعرض يمكن تلخيصه في كلمتين : « عبد الناصر يذهب » ويصف اعتقاله بعد ذلك بأنه ثأر سياسي ونكاية ص ٩٣ - ٩٤ !!

ويخبث « ابن آوى » ينهش الزعيم من ذيله ويفر عادياً ، فيلقي بخبر يقول إن عبد الناصر خلال العدوان « نقل أسرته وأولاده إلى إحدى الفيلات التي كانت مملوكة لأحد أمراء البيت المالك بعيداً عن مصر الجديدة » .

والرواية الشائعة أنه نقلهم إلى « مكان ما » ثم خجل فأمر بإعادتهم .

م٧ - ورغم التعتيم الذي تم عن عمد على تفاصيل القتال فهناك إشارات يفهم منها أن بعض القوات رفضت أمر الانسحاب وحاولت القتال ولكن فت في عضدها ، الانسحاب العام وانهيار القيادة . . ولم يكن هناك أي مبرر لإصدار أمر لخمسة آلاف جندي في قطاع غزة بالاستسلام مع قائدهم وقد كان بوسعهم الصمود في القطاع الذي يضم مائتي ألف فلسطيني ، كلهم في شوق للقتال ولو قطع إمدادات العدو والقيام بضربات ضد المستعمرات في قلب إسرائيل . . وقد أورد تشايلدز في كتابه « الطريق إلى السويس » : « لم يكن هناك أي تنسيق ، فحاكم قطاع غزة استسلم ظهر اليوم الثاني من نوفمبر ، أما حامية خان يونس فقد رفضت ولكنها لم تستطع الاستمرار في المقاومة فانهارت صباح الثالث من نوفمبر » .

م٨ - العالم كان معنا في الأمم المتحدة وفي الحقل الدبلوماسي والإعلامي العالمي ، والسبب بالطبع

لا يرجع لحسن النظام المصري أو شعبيته ، بل للصيغة التي تم فيها العدوان الإسرائيلي بين امبراطوريتين استعماريتين مكروهتين فاشلتين . .

م[9] ـ قلنا هذا في عام ١٩٨٤ ـ ١٩٨٥ مما اضطر هيكل في ١٩٨٦ إلى الاعتراف بدور أمريكا في تسليم « أم الرشراش » ولكن في الطبعة الانجليزية فقط ! انظر فصل التاريخ البلاستيك .

م[10] ـ حادثة الباخرة « بات جليم » تحتاج إلى تفسير . . أورد بعضه « ايفلين شوكبرج » في كتابه « الانحدار إلى السويس » . .

ونذكر أن حكومة الوفد كانت قد منعت مرور السفن ـ غير الإسرائيلية ـ المتجهة من وإلى إسرائيل من عبور قناة السويس ، واشترطت على جميع السفن العابرة تقديم مستندات تثبت أنها لم تخرج من ولا تتجه لميناء إسرائيلي . فلما جاء عبد الناصر ألغى هذا القيد وسمح بمرور كل السفن وكل البضائع القادمة والمتجهة من وإلى إسرائيل ماعدا بالطبع التي ترفع علم إسرائيل . . وفي عام ١٩٥٤ وبعدما تأكد اتفاق مصر وبريطانيا ، نشطت المساعي الأنجلو ـ أمريكية لفرض تسوية على إسرائيل ، وكانت مصر متجاوبة وراغبة ، وهنا لجأت إسرائيل التي كما قلنا لم تكن تريد لا تسوية ولا سلاماً في تلك المرحلة ، لجأت إلى إحراج وتوريط السلطات المصرية ، بإرسال سفينة تحمل علم إسرائيل تحاول اقتحام ميناء السويس ، وهي مطمئنة ، كما قال وكيل خارجية بريطانيا إن الموظفين المحليين في ميناء السويس ، سيعترضونها ويصطدمون مع بحارتها قبل وصول التعليمات من القاهرة وهو ما حدث حرفياً . وإن تمكنت القيادة الناصرية من لفلفة الموضوع إلا أنه خدم الاستراتيجية الإسرائيلية في تصعيد التوتر . . رغم أنف المهادنات والتنازلات الناصرية .

م[11] ـ دكتور « عبد العظيم رمضان » نقلاً عن « خليج العقبة ومضيق تيران » لعبد الباري نجم .
ونحن لا نقبل تفسير الدكتور رمضان بأن مصر سكتت لأنها فضلت الاعتراف بالأمر الواقع على الاعتراف لإسرائيل بحق الملاحة في وثيقة مصرية ، لأن قبول قوات البوليس الدولي هناك ألغى سيادة مصر فعلياً على المنطقة وأصبحت لا تملك وسيلة للرد على التقحم الإسرائيلي حتى لو أرادت . ومن هنا فقبول البوليس الدولي هو قبول رسمي موثق . والدكتور رمضان هو الذي قال : « لا يمكن الفصل بين وجود القوات المصرية في شرم الشيخ وبين إغلاق المضيق في وجه الملاحة الإسرائيلية فإذا وقع الشرط الأول وقع الشرط الثاني » ص ١١٤ المصدر المذكور . ولا نظن أن هناك خطأ منطقياً ولا تعسفاً إذا ما قلنا . . وإذا سقط الشرط الأول سقط الشرط الثاني . فقبول سحب القوات المصرية ومنع تواجدها في شرم الشيخ ، هو إباحة الملاحة لإسرائيل . وهو ما حدث عشر حجج أو عشر سنوات ! .

م[12] ـ واسمحوا لي هذه المرة ، أن أقول ، إنني شخصياً اشتركت مع « آل الريس » في قيادة هذه المظاهرات المطالبة بعودة الإدارة المصرية وكنت قد دخلت القطاع مع القوات الدولية كمندوب لجريدة الجمهورية وصوري في المظاهرات موجودة في أرشيف جريدة الجمهورية إن كان لها أرشيف . . وهذه واحدة مما كان يأخذه عليّ الزملاء ، وهي أنني أتجاوز حدود مهمة الصحفي بمفهوم الاحتراف المهني ، ولكني أعترف بأنني لم أكن يوماً ما صحفياً بهذا المفهوم ، بل كانت الصحافة مجرد وسيلة لخدمة ما أومن به . .

الفصل العاشر

عبد الناصر وإسرائيل

« . . ما من حكومة مصرية سيصل بها الجنون حد مهاجمة إسرائيل »

وزير خارجية
عبد الناصر

ننتقل الآن إلى السؤال الكبير . .

ما موقف عبد الناصر من المواجهة المصرية ـ الإسرائيلية ؟

هل حقاً كانت هذه المواجهة ـ في تصوره ـ هي قضية الأمن القومي لمصر ومستقبل القومية العربية ، ومن ثم تحتل قائمة الأولويات في استراتيجيته . . ؟

نحن نقول : لا . . بل ونضيف إن العكس تماماً هو الذي حكم سلوك عبد الناصر في الفترة من ١٩٥٢ إلى ١٩٦٧ . .

ونحب أن نبدأ بناصري شديد الحماسة ، بل لعله من أطهر الناصريين نفساً وأعفهم يداً ولساناً ، وفي مقدمة الذين قيل فيهم : « إن الطريق إلى جهنم مرصوف بذوي النوايا الحسنة » .

هو « أمين هويدي » من ضباط عبد الناصر المقربين له ـ أو هو يعتقد ذلك ـ المؤمنين به ، عمل في فترة الثورة العراقية في بغداد ، ثم وزيراً للحربية كفترة انتقال ثم مديراً للمخابرات .

يهاجم « أمين هويدي » « السذج » و « المغرضين » الذين يقيمون الأحداث الآن ، قائلين : إن عبد الناصر كان عليه أن يترك فلسطين في ذمة التاريخ لنتفرغ لأحوالنا ومشاكلنا ، وأنه كان عليه أن يقفل عليه حدوده ، وبذلك يتفادى الصدام مع إسرائيل »[1]

احترنا والله ما بين الهويدي أمين والأمين هيكل . .

الأول يقول : إن الدعوة إلى التفرغ لمشاكل مصر وتفادي الصدام مع إسرائيل لا تصدر إلا عن السذج والمغرضين . والأمين هيكل الواصل للخزائن والوثائق يؤكد لنا : أن أول من طرح هذا الشعار في مصر بل في الوطن العربي هو الزعيم عبد الناصر الذي قال لـ : ر . ك (اختصار ريتشارد كروسمان) الذي بدوره قال لـ ب . ج (إشارة إلى بن جوريون) وهذا وحده دليل أكيد على صحة الرواية ! قال الزعيم إنه « لا يشغل نفسه بإسرائيل ، وإنما يركز على التنمية الداخلية في مصر وأنه لذلك خفض ميزانية القوات المسلحة بخمسة ملايين جنيه عن السنة الماضية » .

حتى أن بن جوريون « هرش شعره المنكوش » لما سمع ذلك « وتمتم بصوت خفيض وهو يهز رأسه : هذه أنباء سيئة . . أنباء سيئة جداً » .

ولا أظن أن هناك مجالاً للشك بعد هذا الوصف الدقيق للطريقة التي تصرف بها ب . ج عند سماع الخبر . . فهو أولاً كان منكوش الشعر كما وصفه شاهد عيان وأخبر هيكل ، وهو ثانيا هرش شعره هذا المنكوش ولم يمسح عليه أو ينتفه تماماً . . ثم « تمتم » لم يهمس ولا صرخ . . إنما « تمتم » وبصوت خفيض . . كل هذه الأدلة تجعلنا نصدق انزعاج بن جوريون لأن عبد الناصر غير مشغول بإسرائيل ويعمل على إنقاص قدرات مصر العسكرية !

وهي حالة معروفة بين العشاق . . حتى أن أم كلثوم تشكو « حتى الجفا محروم منه . . ياريتها دامت أيامه » والأغاني المصرية حافلة بمثل « خليني ع البال ياخلي البال » ولا شك أن بن جوريون كان يعاني من هذه الحالة التي للأسف هيكل هو المصدر الوحيد للإعلام عنها . .

دعنا من الجزء الخاص برأس بن جوريون ومشاعره . . المهم أن عبد الناصر ـ وهذه واقعة مؤكدة بخفض الميزانية وبخطب الرئيس وبمسلكه ـ كان يرى عدم التحرش بإسرائيل ، عدم الانشغال بها ، والتركيز على مشاكلنا الداخلية . . فلماذا يهاجم « هويدي » هذا الموقف وينسبه للسذج والمغرضين إلا إذا كان قد قرر الانضمام إلى « جوقة عدم الوفاء » وتشويه سيرة الزعيم الخالد ؟!

أو لم يقل حروش أنه بقبول مصر قوات الطوارىء لتكون حاجزاً بينها وبين القوات الإسرائيلية حتى لا تتكرر الاشتباكات تحققت أفكار عبد الناصر وهي : « ليس هناك محل للحرب مع سياستنا الإنشائية التي قررناها لتحسين مستوى الشعب » . وهو أيضاً الذي جزم وقدم أدلة : « مما يظهر أن عبد الناصر لم يكن ضد إسرائيل ولم يكن من دعاة تدميرها » خريف عبد الناصر ص ٣٣ .

على أية حال بعد سطر واحد اندفع أمين هويدي يثبت أن مصر لم تتحرش قط بإسرائيل . . وأنها فعلاً كانت تود لو أن بينها وبين إسرائيل جبلاً من نار فلا يصلون إليها ولا تصل إليهم . . إذ يقول :

« ولكن هل تحرشت مصر بإسرائيل حينما قامت بغارتها الوحشية في غزة وأتبعتها بغاراتها في مناطق عديدة بعد ذلك ؟ هل تحرشت مصر بإسرائيل حينما انضمت الأخيرة إلى بريطانيا وفرنسا في العدوان الثلاثي » .

والجواب على الفور : أبداً . . لا تحرشت ولا كشرت ، بل ونضيف : ولا فكرت أو قدرت مواجهة مع إسرائيل خلال ١٥ سنة من الثورة إلى النكسة . .

١٥ سنة وسياسة الحكم المصري تدور حول تجنب المواجهة مع إسرائيل ، والاطمئنان إلى

التأكيدات الأمريكية ، والالتزام بالوعود والاتفاقات مع الأمريكان بتجنب تصعيد الموقف . . وخمسة عشر عاماً لم تتوقف المؤسسة الإسرائيلية عن التفكير والتدبير والتنفيذ للقضاء على الوجود المصري المؤثر في الشرق الأوسط .

وبعد أن يؤكد « أمين هويدي » إن التحرش كان من جانب إسرائيل حتى عام ١٩٥٦ ، يؤكد أن « أبسط قواعد الأمن القومي تشير إلى أن « فلسطين » هي من ضرورات الأمن المصري ، منذ عصور الفراعنة ، ووجود دولة معادية هناك فيه تهديد قاتل لأمن مصر ، إذن فسلامة فلسطين من ضروريات الأمن المصري » .

وهذه بديهية لا نعارضه في حرف منها . . وأن كانت السنوات التي تلت عام ١٩٥٢ اتسمت بالعمل على إخفاء هذه الحقيقة عن المصريين ، ونجحت تماماً في تجهيل المصريين بها . ولا يمكن القول بأن وعي جيل أبريل ١٩٦٧ بهذه الحقيقة كان أفضل أو حتى مماثل لوعي جيل أبريل ١٩٤٨ .

هذه قضية تحتاج إلى « بحث مستفيض » . وإنما نسأل السيد هويدي ، هل التزمت الناصرية بهذا الاقتناع ؟ هل خدمت الأمن المصري بإزالة « الدولة المعادية » ؟!

لا النتائج ولا النوايا تعزز القول بأن الناصريين فهموا هذه الحقيقة ، وإلا فقد فهموها وعملوا أو أنجزوا عكسها تماماً . . فلا مجال للمقارنة بين قوة « الدولة المعادية » وحجمها عام ١٩٥٢ وما وصلت إليه ، وما أصبحت تحمله من تهديد لأمن مصر الوطني في سنة ١٩٧٠ .

لقد زحف خطر الدولة المعادية من رفح حتى وصل إلى القنطرة ، والناصريون الذين تسلموا الحكم ومصر تدافع عن أمنها القومي في قلب فلسطين (غزة) ، تركوا الحكم والإسرائيليون أقوى دولة في المنطقة ، بل أقوى من دول المنطقة مجتمعة . ممتدة من البحر إلى النهر ومن الجولان إلى القنطرة . ومدافعها دكت أجمل ثلاث مدن مصرية وسيناء بأكملها أو ثُمن الوطن ، بمواطنينا هناك تحت الاحتلال الإسرائيلي . . والقطاع الذي تسلمه ثوار يوليو أمانة سلموه لليهود هزيمة . .

ولم يحدث منذ الاحتلال البريطاني أن كان أمن مصر في أضعف وأخطر مراحله مثلما حدث على يد الناصريين .

هذا من ناحية الواقع ، ما تحقق بالفعل ، وهو ما تجري المحاسبة عليه في السياسة ، ومع ذلك سنقبل طلب الرأفة ونحاسب على النوايا .

هل يمكن تقديم دليل واحد على أنه في الفترة من ١٩٥٢ إلى ١٩٦٧ كان « أمن مصر القومي » بهذا المفهوم الذي طرحه ـ عن حق ـ أمين هويدي ، أي سلامة فلسطين ومنع قيام دولة معادية فيها . . هل من دليل واحد على أن هذا الفهم كان المسيطر حقاً على تفكير أو استراتيجية الناصرية ؟!

هو بنفسه اعترف بأنه حتى عام ١٩٥٦ لم يقع أي تحرش بإسرائيل . . بل إسرائيل هي التي كانت تلح باعتداءاتها لإيقاظ القيادة الناصرية من غفلتها وتذكيرها « بالخطر القومي » والأمن المهدد . . أو بالأحرى لعجم عودها والتأكد من فقدانها لإرادة القتال ، ولتدريب جنودها على الاستهانة بالعدو المصري !

ولكن القيادة المصرية ظلت تقفز خلف الأشباح وتندفع إلى جميع المعارك في شتى الميادين إلا معركة الأمن الوطني . وحتى بعد ١٩٦٧ بعد أن أصبح الخطر الوطني يطل على بورسعيد والاسماعيلية والسويس . يطلب أحدهم من الرئيس عبد الناصر سحب الجيش المصري من اليمن للدفاع عن القاهرة فيرد الرئيس : « وأخلي البدر يدخل اليمن » ؟!

منع البدر من دخول اليمن ، أهم عند رئيسنا من دخول إسرائيل سيناء ، أهم من تهديد إسرائيل للقاهرة أو دمشق وعمان ؟!

ثم تتحدثون عن « أمن مصر » وتتباكون على قميص فلسطين !

متى فكرتم فيها ؟!

وأنتم مشغولون بمحاربة الرجعية والبعثية والشيوعية ، وتحرير الكونغو والانتصار في باندونج ؟ . .

متى ؟!

اذكروا لنا واقعة واحدة تؤكد إيمانكم فعلاً بأن إزالة هذه الدولة المعادية هي الضرورة القومية أو الوطنية الأولى ! هل تسليم الجيش لقيادة هزمت في حرب ١٩٥٦ في أول مواجهة شاملة مع إسرائيل ، ورغم اقتناع الرئيس التام بعجزها العسكري الفاضح ، ثم يسلمها بجميع أفرادها من الصاعقة إلى الطيران إلى القائد العام ، يسلمها مرة أخرى قيادة الجيش ، دليل اقتناعه بأن إسرائيل هي الخطر القومي القاتل الذي يجب أن يتصدر قائمة الأهميات ، وقائمة الولاءات ؟!

ألم يكن من الواضح لأبسط الناس أن القيادة التي هزمت في ١٩٥٦ والتي عجزت عن مواجهة النحلاوي والكزبري . لابد أن تنهزم أمام إسرائيل . . ؟ فماذا يعني تسليم القيادة العسكرية لها مرة ثانية والدخول بها في حرب أخرى ، معروف سلفاً أن العدو فيها أكثر قوة ؟!

المغرضون سيقولون إن الناصرية أرادت هذه الهزيمة ، ومن ثم وضعت نفس العناصر المنهزمة في مركز القيادة . .

ولكن تمسكاً بحسن النية ألا يكون أفضل التفسيرات هو أن هذه القيادة الناصرية لم يكن يعنيها أمن مصر القومي ، أولا تدرك « أبسط قواعد الأمن القومي » بتعريف هويدي . أو كانت لا ترى تهديداً لأمن مصر من ناحية إسرائيل ، ومن ثم لم تهتم بتوفير قيادة عسكرية في مستوى هذا الخطر معتقدة أن تصفية الإقطاع في كمشيش أهم ، وأن مكاسب توزيع شقق الحراسة وتحديد إقامة كمال الدين حسين وعزل بغدادي تبرر وضع عامر وصدقي محمود

وجلال هويدي والغول وعلي شفيق وشمس بدران وبقية « النخبة » الاشتراكية على رأس جيش مصر ولو كان الثمن هو ما دفعناه ؟

جميل أن يتحلى « هويدي » بالوفاء ، وأن يتصدى للدفاع عن الناصرية ، ولكن بشرط أن يلتزم بالناصرية الحقيقية التي نعرف وقائعها ، لا أن يخترع لنا ناصرية جديدة !

الوقائع الثابتة التي تعززها النتائج ، تثبت أن حركة ٢٣ يوليو لم تكن مهتمة بأمن مصر الوطني ، ولا كانت إسرائيل على قائمة الأولويات . : وأول دليل هو موقفها من الجيش عندما وصلت إلى السلطة ، إذ كان اهتمام القيادة الأول هو تأمين سيطرتها عليه حتى ولو كان ذلك على حساب قدرته القتالية . . ومن ثم اتخذت هذه الإجراءات :

١ ـ تسريح كل من هو فوق رتبة بكباشي وهي رتبة جمال عبد الناصر . وما من « وفي » للناصرية ، مهما بلغ تنطعه يستطيع القول أن هذه الرتبة تشكل حداً وطنياً وطبقياً من تجاوزها ولو قبل الثورة بيوم واحد فهو رجعي ، ومن كان تحتها فهو في النعيم مع الأبرار لمجرد مصادفة أن قائد الانقلاب بكباشي . . !

وهكذا خسر الجيش المصري في قرار واحد ولحظة واحدة كل قياداته الفعلية . . وإذا كان هيكل يبرر منع الطيارين من الدفاع عن وطنهم في حرب ١٩٥٦ بأنهم لو ماتوا فسنحتاج إلى عشر سنوات حتى نخرج طياراً . . وهو تهجيص . . فكم نحتاج حتى نخرج اللواء أو الفريق أو حتى العميد ؟!

ولكن المذبحة لم تتوقف بل فصل خلال الثلاثة شهور الأولى من الانقلاب « أكثر من خمسمائة ضابط » .

الثورات الحقيقية تحل الجيش القائم ، باعتباره جزءاً من الدولة والنظام ، ليحل محله فوراً الجيش الثوري الجديد المكون من قواعد الثورة الطبقية وعلى روح جديدة . وقد يضم بعض الكفاءات التي كانت في الجيش القديم التي تنضم عن وعي أو بالدافع الوطني ، ولكنه غالباً يعتمد على الروح الثورية ، وأحياناً على الخبرة القتالية ، إذا كانت الثورة قد وصلت إلى الحكم على يد جيشها الخاص . المهم أن معنويات الجيش تبدأ من القمة ، فهو جيش الثورة ، ومن ثم يسهل جداً كسب الكفاءة القتالية والخبرة الفنية ، إذا ما توافرت له القيادة الصالحة . وخلال فترة التكوين هذه ، يغطي النقص المؤقت بالروح المعنوية العالية ، لما يتمتع به أفراده من مساواة وانضباط بل تقشف وصوفية ثورية ، واحترام لكرامة الفرد ، وطهارة القيادة ، واتضاح أهليتها للمسئولية .

ولكن ما جرى في مصر كان مختلفاً تماماً ، فقد بقي الجيش الملكي بتكوينه وتركيباته ومسلكيته وعلاقاته الاجتماعية والطبقية داخل صفوفه ، مع انهيار كامل في مستوى قيادته . . بل وسلمت قيادات ومراكز حساسة لعناصر من خارج تشكيل الضباط الأحرار ، بل من عناصر كانت فاضحة العمل في خدمة الملك والنظام السابق . . ثم تتابعت إجراءات

تكسيحه وتحطيم معنوياته ، وتمزيق ترابطه . . فقد رأينا كيف عزل كبار الضباط بالرتبة وليس بالموقف الفردي لكل ضابط ، وما في ذلك من ظلم ، وما يخلفه من مرارة وهلع في نفوس الباقين ، فضلاً عن الحرمان من الخبرة التي أشرنا إليها . . ثم فصل خمسمائة ضابط بلا محاكمة ، ولا حتى مجالس عسكرية ، وأغلبهم لم يعرف تهمته حتى اليوم ! . . ونستطيع أن نتصور معنويات بقية الضباط خلال تلك المحنة فباستثناء التسعين ضابطاً أعضاء تنظيم الضباط الأحرار ، كان كل ضابط خارج هؤلاء التسعين يتوقع أن تكون رأسه هي التالية على القائمة السوداء . . فينشغل بحماية هذه الرأس ولو بالوشاية أو التزلف أو الافتراء . . ثم كان الإذلال المهين والوحشي والأول من نوعه في تاريخ مصر (باستثناء الأيام الأولى للاحتلال البريطاني) للضباط المصريين وهم في الزي الرسمي ، في أشرف مهمة وأشرف موقع . . فالجندية وظيفة إنسانية ، شديدة التعقيد ، يتم فيها إقناع إنسان عاقل بتعريض نفسه للقتل من أجل أن يحيا الآخرون من مواطنيه حياة أفضل وأكثر أمناً . . ومن ثم لابد من توافر نفسية شديدة الخصوصية ، تدور حول إيمانه بأنه بارتداء البدلة العسكرية أصبح في مستوى خاص وله قدسية خاصة لا تمس مادام لم يُسيء إلى شرف هذا الزي . . وهذا الاقتناع لا يمكن تصوره في ذليل مهان ، خائف متلصص دساس . . وقديما قال المصري : « قالوا للكلب انبح وهز ذيلك قال ما أقدرش على الشغلتين » فالنباح الذي هو رمز للقوة والحراسة ، واليقظة والمبادرة ، لا يتفق مع هز الذيل تملقاً وتذللاً . .

وقد جاءت الثورة بأول تعذيب وحشي للضباط العاملين عندما ضرب البكباشي حسن الدمنهوري ورآه زملاؤه « أثناء التحقيق والضرب ينهال عليه والدماء تسيل منه . ثم نقل إلى السجن الحربي مقيد اليدين والرجلين بالحديد وهو بملابسه الرسمية . وكان أول حكم بالإعدام يصدر على ضابط بالجيش المصري بتهمة أخرى غير الخيانة العظمى » .

وتستمر شهادة أحمد حمروش الذي كان شاهد عيان . لأنه هو أيضاً كان مسجوناً . . يقول :

« وكان هذا التعذيب هو بداية التصرفات الهمجية الوحشية من جانب ضباط القيادة ضد زملائهم في السلاح » . « وكان اعتقال ضباط المدفعية والتحقيق معهم بواسطة أعضاء المجلس ، كلمة النهاية في وجود تنظيم « الضباط الأحرار » . لأن أعضاء مجلس القيادة وجدوا في « الضباط الأحرار » تنظيماً يمكن أن يشاركهم ، ويضع تصرفاتهم تحت مجهر النقد والمحاسبة » .

وفي مذكرات « محمد نجيب » : « ضرب صلاح سالم بحذائه ضابط مخابرات شاب اسمه محمد وصفي ، أثناء التحقيق معه ، حتى نزف الدم منه ومات » .

بالطبع امتدت نار الإرهاب والتصفية إلى التسعين ، وحل تنظيم الضباط الأحرار ، وقد اعترف شمس بدران للمؤلف (جلال كشك) أنه كلف من عبد الناصر وعامر بتصفية تنظيم الضباط الأحرار .

وهذا قانون معروف في كل النظم الديكتاتورية إذ لا يمكن أن تتوقف التصفية حتى لا يبقى على القمة من الذين قاموا بالانقلاب إلا الزعيم وحده . .

وحتى بعدما أخرج من الجيش كل الضباط الذين كانوا ضد ٢٣ يوليو وكل الضباط الذين قاموا بحركة ٢٣ يوليو . . هل ترك الجيش يستعيد روحه القتالية . . ؟

أبداً . .

وهذه شهادة الناصري : « استبدلوا بالتنظيم (الضباط الأحرار) تنظيمات خاصة أخرى تعتمد على الضباط المحيطين بهم القريبين منهم المكونين للشلل الخاصة الذين تسرب إليهم عدد لم يكونوا من الأحرار أصلاً ، وإنما أظهروا براعة في مخاطبة الغرائز الشخصية لأعضاء مجلس القيادة ، ووضع في مراكز القيادة نوعان من الضباط :

« إما أهل الثقة الكاملة المرتبطون بأعضاء مجلس القيادة ارتباطاً شخصياً وثيقاً . وإما الضباط الذين لا رأي لهم ولا يهتمون إلا بمصالحهم الخاصة . . ولا ينفي هذا وجود بعض الاستثناءات » .

مؤكد . . وإلا فمن أين جاءت البطولات التي لمعت كالنجوم في ليل الهزيمة ، الذي صنعه النوعان المكونان للظاهرة العامة لضباط الجيش في عهد « الثورة » . . هذه الاستثناءات هي التي صنعت نصر أكتوبر ١٩٧٣ .

المهم أنه ما بين ١٩٥٢ إلى ١٩٥٦ كانت القيادة في الجيش من نصيب دلاديل أعضاء مجلس القيادة ، أو الذين لا رأي لهم ولا يهتمون إلا بمصالحهم الخاصة . . أصبحت الكفاءة والوطنية والاهتمام بالمصلحة العامة هي الاستثناء ! هل هذه هي نوعية القيادات التي يمكنها قيادة الجيش في مواجهة إسرائيل ؟!

وهل الذي يعين أو يقصر القيادات على مثل هذه النوعية ، يفكر في أمن مصر القومي ويجعله الهدف الأول ، وأسمى الواجبات ؟! لا . . بل هذه مسلكية من رأى « أمنه » وأمن سلطته هو أمن مصر القومي . . ولو سقط نصف الوطن تحت الاحتلال الأجنبي . . تماماً كما قال « الدوبلير » مايلز كوبلاند :

يتابع حمروش شهادته :

« كانت شخصية الضباط الأحرار تستمد قبل الحركة من ارتباطهم بالتنظيم واستعدادهم للنضال والتضحية ، ولكنها أصبحت بعد ذلك تستمد من رضا القيادات عليهم واستعدادهم للخضوع والمسايرة » .

الخضوع والمسايرة ومخاطبة الغرائز الشخصية للمسئولين ! أستحلفك بالله وبالوطن يا حاج أمين هويدي . . وما أعلم عنك والله إلا كل خير من ناحية الدين والخلق

والوطنية . . وما آخذ عليك إلا محاولتك التذاكي أحياناً ، وهو خارج قدراتك . . أسألك : هل يحسن العبد الكر والفر ؟

هل يحرر مصر ويواجه إسرائيل ضابط يجيد الخضوع والمسايرة ؟ . . هل هذه هي الصفات المطلوبة لتحقيق هدف : « بناء جيش وطني قوي » ؟! هل هذا سلوك من يهتمون بأمن مصر الوطني ؟! هل التحقت بالكلية الحربية وساهمت في انقلاب ٢٣ يوليو لتحسن الخضوع والمسايرة ؟!

ولكن أهل الثقة ، وأهل الوفاء ، والناصريون الجدد لديهم شماعة ممتازة يعلقون عليها كارثة الجيش ، وهي الزعم بأن عبد الحكيم هو الذي لم يكن كفؤاً . . وأن عامر هذا استقل بالجيش فلم يعد للزعيم سلطة عليه . .

عظيم ! ولكن لماذا عين عبد الناصر عبد الحكيم عامر في هذا المنصب ؟ من أجل كفاءاته في قضية « أمن مصر الوطني » وما توسمه فيه من قدرة على بناء جيش وطني قادر فعلاً على التصدي للعدو ، ولكنه خيب آماله . . وعجز عن تغييره ؟!

نقرأ ما يقوله المدافعون :

« كان عبد الحكيم عامر القائد العام للقوات المسلحة غير مؤهل في شخصيته لتولي هذا المنصب الخطير ، ولكن جمال عبد الناصر عينه فيه خلال أزمة التناقض مع محمد نجيب ليضمن السيطرة على الجيش لثقته من ولاء عبد الحكيم له باعتباره صديق عمره والذي كان يسكن معه في سكن واحد قبل الزواج . ولذا فإن مواجهة عبد الحكيم عامر للعدوان لم تكن ايجابية ولا ديناميكية . . وشخصيته الطيبة المحبوبة لم تكن ذات تأثير نافذ في ظروف المعركة ، كان تحريكه للقوات وإعداده للخطط ، رغم استعانته حتى ذلك الوقت في مكتبه بعدد من خيرة الضباط أركان الحرب ، لم يكن متناسباً مع خطورة الموقف ، فأصدر أمراً لمحمد رياض محافظ بورسعيد بتولي قيادة القوات المسلحة في بورسعيد وهو مدني متخرج من كلية الحقوق ، كما أن مساعده قائد القوات الجوية محمد صدقي ترك طائراته فريسة للهجوم وهي رابضة على الممرات الجوية دون تحليق . مما أدى إلى تحطيمها فعلاً في يوم واحد ، رغم أن خطة المعتدين قد قررت لذلك يومين »[٢] .

حروش هنا غير منصف لصدقي محمود ، فحسب رواية الأمين على التاريخ كان ترك الطائرات على الأرض بأمر صريح من الرئيس عبد الناصر وخطة مدروسة !! وبالطبع العدو قدر يومين على أساس الاشتباك ، ولكن تحطيم طائرات أو أوز رابض على الأرض مقصوص الجناح لا يحتاج إلا إلى ساعة واحدة . .

ولكن ليس هذا أخطر ما في شهادة حروش . . فهو يشهد أن :

١ ـ عبد الحكيم عامر غير مؤهل لمنصب القائد العام .

٢ ـ عبد الناصر اختاره لعلاقته الشخصية به وسكناه معه في شقة واحدة قبل الزواج . .

ولكي يضمن سيطرته على الجيش من خلاله . .

هل هذه هي المؤهلات التي تعين بها « الثورات » قادة الجيوش ؟! هل هكذا تحمى الأوطان ؟!

الملك فاروق أراد أن يعين صهره وزيراً للحربية وليس قائدا عاما للجيش والأول منصب سياسي والثاني فني . . فقامت عليه القيامة . .

أستحلفك بالله ياحاج أمين . . هل هذا سلوك من يعتبرون إسرائيل هي الخطر الدائم والداهم على أمن مصر القومي والوطني ؟!

يقول بغدادي :

« وكنت معتقداً أن جمال عبد الناصر لم يرشح عبد الحكيم لتولى قيادة الجيش إلا لغرض سياسي ، وأنه يهدف إلى أن تصبح له السيطرة السياسية دون باقي المجلس . وذلك عن طريق مساندة الجيش له ، وأن الذي يضمن له ذلك هو تعيين عبد الحكيم قائداً عاماً له معتمداً على قوة الصداقة المتينة والتفاهم القائم بينهما* . كما كنت أخشى أيضاً من تولي عبد الحكيم أمر الجيش أن يصبح الجيش في المستقبل أداة تدخل في السياسة العامة ومدى خطورة هذا على مستقبل البلاد . لذا رأيت أن أعترض على اقتراح جمال مبيناً أنه من الأفضل أن يتولى أمر الجيش ضباط محترفون للتفرغ له والابتعاد به عن السياسة ، وذاكراً أن الجيش إذا تدخل في السياسة فسد الجيش وفسدت السياسة أيضاً . ولكن جمال عبد الناصر تمسك باقتراحه مبيناً أنه من المستحيل أن يوكل أمر الجيش لشخص غريب وليس منا فيتحكم في رقابنا على حد تعبيره . وموقفي هذا من تعيين عبد الحكيم خلق حساسية منه نحوي لم أعلم بها إلا فيما بعد من جمال سالم » .

ويستمر بغدادي : « أصبح لا هم للكثير من الضباط إلا التقرب من عبد الحكيم وجمال عبد الناصر أو إلى من هم قريبين منهما طمعاً في منصب أفضل أو خدمة تؤدى لهم . وأصبح الجيش مع مرور الوقت أداة قوية في يد جمال وعبد الحكيم وانعزلنا نحن نهائياً عنه . ونتج عن هذه السياسة فساد الجيش مما ترتب عليه نتائج وخيمة عسكرية وسياسية كما سيتضح للقاريء من خلال هذه المذكرات » :

فهذا عضو مجلس ثورة وأهم في الثورة مني ومن هويدي وهيكل يشهد أن سياسة عبد الناصر أدت إلى فساد الجيش ! أفمن يفسد الجيش يوصف بأنه منشغل بأمن مصر الوطني ؟!

ويروى عبد اللطيف بغدادي قصة الضابط العظيم اللواء حسن محمود قائد سلاح

---

* وكان هذا رأي السفير الأمريكي فقد كتب لحكومته في ١٩ يونية ١٩٥٣ « إن تعيين عامر قائداً للجيش وضع الأمور في يد ناصر » وأضاف « إن الجنرالات حلوا عامر على أكتافهم » .
(ولعلهم دفعوا ثمن ذلك ـ للأسف ـ ج)

الطيران ، فهو الوحيد الذي اعترض على تعيين عبد الحكيم عامر قائداً للجيش ، واتخذ موقفاً يثبت جدية اعتراضه ومبدئيته . . فقد رفض أن يكون مرءوساً لصاغ ! . . وقال كلمته المشهورة العامرة بالوعي والتجرد : « عينوه بقوة الثورة رئيساً للجمهورية أووزيراً للحربية أو حتى ملكاً وسنطيع ، ولكن الجيش لا يقوم إلا على الضبط والربط . . يقوم على الخبرة والأقدمية والرتبة . . ومحال أن يوجد جيش يخضع فيه اللواء للصاغ . . وخرج من الجيش مرفوع الرأس . .

وعينوا مَنْ مكانه ؟!

محمد صدقي محمود . . !!

ما غيره !

ودفعت مصر الفرق بين أهل الرأي والخبرة والشجاعة وبين أهل الثقة والخضوع والمسايرة . . دمار سلاحها الجوي مرتين .

والغريب أنه رغم معرفة بغدادي بأن تعيين عامر يفسد الجيش والسياسة فقد تولى هو محاولة إقناع « حسن محمود » بقبول فساد الجيش والسياسة ، بل وقبل بغدادي الاستمرار في عملية الإفساد هذه ١٢ سنة . . على أية حال إذا اختلف الثوريان ظُهرت الحقيقة !

ما دمنا قد وجدنا الشجاعة لننقد كفاءة عامر وإعلان أنه غير مؤهل فيجب أن نتحلى بشجاعة أكبر لنقد المسئول عن هذا التعيين . . لا بهدف الإدانة . . فقد مات الجميع ، ولكن لأن إثبات عدم كفاءة عبد الحكيم عامر أقل أهمية من تحليل وإدانة الأسلوب الذي أوصل عامر لهذا المنصب ، والذي لم يكشف ويُدان وتحصن البلد ضده يمكن أن يأتي لنا بحكيم آخر ! وكيف يستقيم تاريخ أومنطق ، كيف يصلح مستقبل إذا كنا جميعاً نتفق على أن سياسة عبد الناصر أدت إلى إفساد الجيش ثم نعتبرها سياسة وطنية ثورية استهدفت أمن مصر القومي ؟ . . ماذا يفعل حاكم يهودي للإضرار بأمن مصر ووطنها أكبر من إفساد الجيش ؟! . .

ولنفرض كما قلنا أن كل هذا كان خافياً على القيادة السياسية ، وأنها فوجئت فعلاً بما جرى في ١٩٥٦ من أكمل نصر عربي جعلها تبكي في شوارع الاسماعيلية . . لماذا لم تغير الوضع ؟!

قائد الجيش غير كفؤ ، وتصرف تصرفات لا تليق أثناء المعركة ، وقائد الطيران ترك الطائرات تضرب على الأرض . . ؟ فهل من المعقول أن نجد نفس القائد العام ونفس قائد الطيران في مواقعهما بعد عشر سنوات ليكررا نفس الخطأ ولكن بحجم أكبر ورتب أعلى ؟!

هل هذا معقول ؟

لو أن عمدة كفر البطيخ سلم أمن دوار العمودية لغفير لا يتمتع بأية موهبة إلا ثقة العمدة وسكناهما في شقة واحدة ! فسرقت الدار ونهب ما فيها ، واعتدي على حرمتها . . فكافأه العمدة برفع رتبته وزيادة اختصاصه وثبته في موقعه حتى نهب الدوار مرة أخرى بل وأقام فيه

اللصوص ١٣ سنة . . فأين يكون العمدة من حركة التاريخ . . وهل يليق بأهالي كفر البطيخ أن يختصوا الغفير باللوم والعمدة بالثناء ؟!

نسأل الحاج أمين هويدي فيقول :

« إن العلاقة بين القيادة السياسية والقيادة العسكرية كانت واضحة ومحددة في حرب السويس وحتى حدوث الانفصال » .

عظيم ! إذاً يجب أن تتحمل القيادة السياسية مسئوليتها كاملة في هزيمة ١٩٥٦ فقد كانت القيادة العسكرية خاضعة ومنضبطة لتوجيهات القيادة السياسية . وهذا واقع تؤكده الحقائق التي وردت عن إرغام عبد الحكيم عامر على الانسحاب وصدور الأوامر بتوقيع عبد الناصر ، والأمر بمنع اشتباك الطيارين مع العدو .

ولكن الحاج هويدي لا يفسر لنا لماذا « عجزت » هذه القيادة السياسية عن عزل صدقي محمود ؟!

الأمر يحتاج لخبرة « القراد والحاوي الطروب » لإيجاد مخرج من هذا المأزق ، فإذا كان عبد الناصر مسيطراً على الجيش في ١٩٥٦ فكيف سكت على المتسببين في الهزيمة ، الحل جاء به الحاوي الطروب هيكل : لم تكن هناك هزيمة بل أكمل نصر . . والطيران لم يضرب ، بل انبطح أرضاً عن خطة موضوعة حتى ضربوه وماتوا بغيظهم . . !

فلماذا التغيير ؟!

الحاج أمين لم يصل إلى هذا المستوى ، والحمد لله ، ولذلك لم يشر إلى الهزيمة ولا النصر ، وإنما جعل الفساد يدب بعد ١٩٥٦ . . قال :

« وأدرك عامر أنه يستمد سلطته من القوات المسلحة فوثق صلته بقادتها وظل يواصل العطاء والمنح لكل من يطلب وأصبح للمشير أظافر وأنياب . وكان من الواجب حسم مثل هذه الأمور عند بدايتها ، ولكن إهمال ذلك أدى بالقيادة العسكرية لكي تشكل بروزاً ورمياً خطيراً أصبح من الصعب استئصاله وأصبحت القيادة السياسية ينقصها القدرة ـ ولا أقول الرغبة ـ لإزالة هذا الورم ، وهنا اهتزت كل الأمور فتغيرت طبيعة العلاقات داخل القيادة العسكرية فهبط ميزان الكفاءة ليحل محله ميزان الولاء وأصبح التأمين الذاتي وليس الأمن القومي هو محل الرعاية والاهتمام » .

الحمد لله ! هاأنت قلتها . . « وليس الأمن القومي محل الرعاية والاهتمام » فهل تصنفهم في « السذج » أو المغرضين إذا كنا لا نزال نذكر بداية الحديث !! أم المفرطين المقصرين إن لم نقل الخونة المتآمرين . . وأي خيانة أكبر من ألا يهتم ولا يرعى الحاكم الأمن القومي لوطننا بشهادتك أنت ؟!

على أية حال إن المسئولية من حجم لم يتمكن معه أمين هويدي من الاعتذار عنها أو تناسيها

فدار حولها وأخفى رأسه في رمال الوفاء ، أو في قوله « والله أعلم » نعم الله أعلم ونعمة بالله . . ولكنه سبحانه وتعالى أمرنا أن نتعلم ونسأل أهل الذكر . .

يقول :

« وهنا يتساءل الكثيرون ـ وأنا معهم (أي هويدي) لماذا لم تعالج القيادة السياسية الموقف ، ربما يكون ذلك لعجز في القدرة بعد اختلاف موازين القوى بين القيادتين ، وربما تكون القيادة السياسية قدرت أنه لتصحيح الأوضاع لابد من صدام ولكنها لم تكن مستعدة لهذا الصدام إلا على الأرض الملائمة وفي الوقت المناسب . ولكن يبقى سؤال قائم ! ولماذا لم تعالج القيادة السياسية الموقف قبل أن يستفحل ؟ والإجابة على السؤال صعبة وربما يرجعها البعض إلى عامل الصداقة ، وربما يرجعها البعض الآخر إلى تغلب عامل التوازن بين اتجاهات أعضاء مجلس الثورة القديم . . والله أعلم » .

مرة أخرى : نعم . . الله أعلم . . ولكن تعال نناقش بعض الذي علمته أنت وسجلته .

الزعيم الخالد رأى الجيش المصري يفقد صفاته القيادية ، وسكت على ذلك من « أجل الصداقة » !

ألم نقل لك إن أية محاولة للاعتذار عن هذه « الخطيئة القاتلة » لن تأتي إلا « بالعذر الذي هو أقبح من الذنب » . . ومتى كان عبد الناصر يقيم وزناً للصداقات ؟! ومتى كانت زعامة سياسية تضحي بالوطن وبالأمن القومي ، تضحي بالجيش في سبيل صداقة مع قائد الجيش . . هذا ما لم نسمع به ولا في عهد الثنائي مراد وإبراهيم ! .

أليست هذه التفسيرات العقيمة هي التي أعطت المجال لتفسيرات هستيرية تدعي أن قيادة النظام الناصري لها جذور يهودية ومن ثم كان يعنيها أن يحدث ما حدث لمصلحة إسرائيل ، وهذا ما جعل فتى مصرياً دارت به الدنيا بعد النصر الإسرائيلي في ١٩٦٧ يقترح على توفيق الحكيم إقامة تمثال لعبد الناصر في إسرائيل ؟!

معذور . . مادام أمين هويدي يقول بعد ذلك مباشرة :

« لم يكن عبد الناصر يؤمن بالمبدأ الاصلاحي في معالجة الأمور ، ولكنه كان قائد ثورة ثم أصبح زعيم أمه أعطته ثقتها في الانتصارات والهزائم على حد سواء . ولا شك بعد كل هذا الذي قلناه فإن عبد الناصر كان شجاعاً إلى أقصى حدود الشجاعة وهو يواجه كل الضغوط التي وجهت إليه ، فلم يتردد في خوض معركة تلو الأخرى . . وبحكم طبيعته واجه التحديات بإجراءات حاسمة وبطريقة مباشرة لا تعرف الالتواء . . الأسود أسود والأبيض أبيض . . » ولعل السرعة الخاطفة التي اتسمت بها ضرباته ترجع إلى وضوح الرؤية والتحضير المسبق » .

هذه شهادتك في صفحة ١٣٥ فكيف تريد الشاب المصري العاقل ، أن يصدق تفسيرك في الصفحة المقابلة تماماً (١٣٤) أن عبد الناصر هذا الشجاع الذي لا يؤمن بالمبدأ الإصلاحي بل بالبتر الثوري الذي لا يعرف « بين بين » بل أبيض وأسود . . والذي يواجه

التحديات بالإجراءات الحاسمة وبطريقة مباشرة . . كيف تريده أن يصدق أنه ترك الجيش يتعفن ، واستقلال الوطن يتعرض للخطر خوفاً من مواجهة شمس بدران وعلى شفيق !! أو سكت على ذلك حرصاً على صداقة عبد الحكيم عامر وذكريات الشقة ؟ . . أو أنه فضل « الالتواء » والانتظار ومسك العصا من النصف تحيناً « للأرض المناسبة والوقت المناسب » لخوض معركة هذا المشير ، ففاتنا تخير الوقت المناسب وأرض المعركة مع إسرائيل لأن قيادتنا كانت منشغلة بتحضيرها لمقاتلة زوج برلنتي ؟!

ألا يعزز هذا في ظن بعض المتسرعين ، التفسير العجيب الذي يقول بأن عبد الناصر زج بالجيش في معركة خاسرة لكي تتوافر الأرض المناسبة والوقت المناسب للقضاء على عبد الحكيم عامر ؟!

هل كان عزل صدقي محمود في عام ١٩٥٦ يسقط النظام ؟!

هل كان الزعيم الذي يسقط حلف بغداد ، ويعلق « نوري السعيد » في المشنقة ويطرد جلوب ويحاصر سلوين لويد في البحرين . . عاجزاً عن إقصاء صدقي محمود عن الطيران . . ؟ هل كان يعجزه أن يصدر مرسوماً بإقالته ويفاجيء به عامر ثم يصطلحان ، وخاصة أن هويدي يشهد أن الورم لم يبدأ إلا بعد ١٩٥٦ . . . ؟!

هل كان صدقي محمود أقوى من محمد نجيب ومن البغدادي وجمال سالم وصلاح سالم والنحاس والتنظيم السري للإخوان والشيوعيين ؟

الذين ضربوا رئيس مجلس الدولة ، وخطفوا رئيس الجمهورية . . كان يعجزهم إخفاء صدقي محمود لو أرادوا . . ؟!

هل كان عامر سيقوم بانقلاب في ١٩٥٦ على « الزعيم » من أجل صدقي محمود ؟ ألم تكن سلامة الطيران المصري ، وتأكيد سلامة الجيش تستدعي المخاطرة بإغضاب صديق العمر وشريك شقة العزوبية ؟!

إن تعيين « عبد الحكيم عامر » قائداً للجيش كان خطوة محسوبة ومعروفة النتائج ، وهي السيطرة على الجيش لحساب لعبة السلطة ، ولم يكن في خاطر الذين اتخذوا هذه الخطوة أي اهتمام جدي بالجيش كقوة مقاتلة ضد الخارج . . أو هذا هو ما اتفقت عليه جميع المصادر الناصرية . . واليسارية .

ولم يكن ناصر وأعضاء مجلس الثورة هم وحدهم الذين يعرفون سراً اختيار عبد الحكيم عامر ، بل عامر أيضاً كان يعرف وهذا هو مفتاح اللعبة ، فإذا كان المطلوب منه هو تأمين الجيش للسلطة أو لعبد الناصر بالذات بصرف النظر عن كفاءته القتالية ضد العدو الأجنبي ، فهو بدوره بحاجة إلى تأمين مركزه في الجيش بضباط مرتبطين به أوفياء له بصرف النظر عن كفاءتهم القتالية . الخ . وهو الذي ساهم وضمن تصفية محمد نجيب ويوسف صديق وخالد محيي الدين وجمال وصلاح سالم وبغدادي وكمال الدين حسين ، يعرف أن

هؤلاء جميعاً تمت تصفيتهم لأنهم فقدوا وزنهم العسكري في الجيش ، ومن ثمّ لا يمكن أن يقبل عزله عن الجيش ، لا بترفيعه إلى منصب أعلى يرفع قدميه عن الأرض كما في الأسطورة اليونانية ، ولا بتغيير أركان حربه بعناصر أقل ولاءً أو ارتباطاً به . . إذا كنا نريد أن نحاسب عبد الحكيم عامر على أنه رفض أن ينتحر قبل ١١ سنة فهذه قضية أخرى ، وعلى أية حال فقد فعل لما فقد الجيش . .

وهذا هو التفسير الذي يطرحه هويدي على استحياء وينسبه للبعض وهو أن سكوت عبد الناصر على تخريب عامر للجيش المصري ، وما ترتب على ذلك ، كان بفعل : « تغلب عامل التوازن بين اتجاهات أعضاء مجلس الثورة القديم » .

وهو التفسير الأقرب للعقل أو بصراحة الذي يمكننا من الاحتفاظ بعقلنا ، فلا نجنح لتفسيرات التمثال إياه . . !

كان دمار الجيش على يد عامر هو الثمن الذي دفعه عبد الناصر أو بالأحرى دفعته مصر واضطر عبد الناصر لقبوله مقابل ضمان عامر وبالتالي الجيش إلى صفه ، ضد خالد وجمال سالم وصلاح سالم ثم بغدادي وكمال الدين حسين وزكريا . . الخ . أي من أجل الانفراد بالسلطة ، وتصفية رفاق الانقلاب ، ثم لمنع أية محاولة انقلابية ، أو ثورية شعبية . .

وهكذا ضحى بالأمن القومي . .

وقد قال كوبلاند إنه سُئل مرة إذا خير عبد الناصر بين التنازل عن السلطة أو دمار مصر فماذا يختار ؟! « فقلت بلا تردد سيختار البقاء في السلطة » .

لقد عبد المصريون العجل يوماً . . ولكن لم يعرف تاريخهم عبادة العار والهزيمة أو تقديس التفريط في الوطن ! . .

وضل بنو إسرائيل أربعين عاما في التيه لما عبدوا العجل لما رأوا خواره . . ونحن فتنا بالخوار ثلاثين عاماً دون أن نرى حتى العجل . . فانتقلنا من التيه إلى الضياع ، يشردنا في الآفاق ، ويطوف بنا خوار العجل على جيف الأماني نحسبه زئيراً فنفر منه إليه . .

ويقول هويدي إنه « من سوء حظ الأمة العربية أن القدر لم يمهله حتى يتم إزالة آثار النكسة فمات » !

ولا شك أنه من سوء حظه كما قرر هويدي لأنه مات مهزوماً ، ويضرب المثل بوفاة ستالين مثلا خلال حصار ستالينجراد قبل أن يطرد الألمان من الاتحاد السوفيتي وأن ذلك لو حدث لحملوه مسئولية الإهمال في الاستعداد . . وهذه طبعاً فيها قولان : الأول أن ستالين لم يهمل ، بل كان يحاول إزالة آثار نكسة الثلاثينيات ، وستالين لم يهاجم ألمانيا ولا تحرش بها وهو يعرف أنها أقوى منه ، ولكنه فعل المستحيل حتى أجل الحرب سنتين ، كانت حاسمة في نقل المصانع وتعزيز الدفاعات ، ولو استطاع لبقي خارج الحرب حتى يستنزف الرأسماليون أنفسهم ثم يضرب ضربته ، وستالين استطاع أن يستفيد من هذه الحرب بين الأعداء فاحتل

نصف بولندا وفنلندا مما مد خطوط الروس وجعل هذه الدول تتحمل الصدمة الأولى . . أما أن « هتلر » استطاع أن يصل إلى ستالينجراد فلم يكن ذلك لعيب خاص في الجيش الروسي أو ستالين ، فأداة الحرب الألمانية كانت متفوقة على نحو لم يعرفه تاريخ العالم . . ولنذكر كيف التهم هذا الجيش الألماني غرب أوروبا حتى الساحل . . وستالين كان وطنياً وفي مستوى المسئولية ، أعاد الكنيسة وأعاد الوطنية الروسية وأخرج الجنرالات من السجون وأعادهم للخدمة العسكرية وقال لهم أترككم لوطنيتكم* . . وناصر اعتقل محمد نجيب واستمر يدير المعركة بعامر وشمس . . وفي المرة الثانية لم يهتم حتى بالرد على رسالة بغدادي وكمال الدين حسين ولو من باب المجاملة !

القول الثاني أن ستالين عاش وأزال آثار العدوان حتى برلين ! وحقق لروسيا أكبر وأكمل نصر في تاريخها ، ومد الامبراطورية إلى حدود لم يحلم بها أشد القياصرة جنوناً . فماذا فعل به الروس ، عبدوه ؟ . منعوا انتقاده ؟ لا . . بل أخرجوا جثته من تابوت المجد ونبذوه في العراء وحاسبوه على شبهة التقصير ؟!

ومادمت ترى أن الروس كان يحق لهم محاسبته واتهامه بالهزيمة لو مات قبل النصر فلماذا تحرم ذلك على المصريين ؟! وإذا كنت قد سمعت أو قرأت ما قالوه عن ستالين وما فعلوه به وبتاريخه لأنه أهدر حرية الفرد فما معنى المثل الذي ضربته ولماذا تريدنا أن نسكت على طاغية قزم منهزم ؟!

« إزالة آثار النكسة » ؟!

حتى الوزير أمين هويدي يظن أن عبد الناصر كان سيزيل آثار النكسة بالدبلوماسية كما « قيل » أنه فعل في عام ١٩٥٦ .

هيهات . .

أما القول بأنه لو عاش فكان سيزيلها بالحرب ، فهذه فرضية لا يوجد أي دليل عليها . . ولا يمكن مطالبتنا بالمراهنة على فرضية لرجل في ذمة الله ، والتخلي عن حقيقة أنه عاش بيننا ١٨ سنة فلم يحقق في الصراع مع إسرائيل ، إلا النكسة تلو النكسة** . .

كيف يطلب منا التخلي عن حقيقة أن حياته صنعت النكسة ، ونقبل فرضية أنه لو طال به العمر لانتصر . . بل ويطلب منا باسم هذه الفرضية أن نتابع المتاجرين باسمه !

هل استبدال فوزي بعامر كان سيحول النظام الذي لم ينتصر في معركة عسكرية واحدة ، ولا حتى في اليمن . . إلى نظام يهزم إسرائيل ما بعد ١٩٦٧ ؟!

---

* وهو ما فعله السادات على نحو ما ، في حرب أكتوبر . .

** وهاهو الجمسي أحد أبطال حرب أكتوبر ، والذي لا يكن حباً للسادات يؤكد أنه لم يسمع قط بوجود خطة حرب لدى عبد الناصر حتى بعد ١٩٦٧ . .
فهل نصدقه أم نصدق عبد الليبي إسفاف ! . .

بل إن « هويدي » أورد قائمة لانتصارات عبد الناصر الاستراتيجية واستشهد بها على أنه لم يكن يتبع سياسة قصيرة النفس أو رد فعل كما يتهمه الحاقدون وأصحاب المنفعة من أيتام لجان الحراسات . . الخ .

هذه القائمة شملت ١٥ هدفاً حققها عبد الناصر ، ليس من بينها « الهدف القومي والوطني في محاربة إسرائيل » كان هويدي أشرف من أن يزور أو يدعي النصر في تلك المعركة أو هذا الهدف الذي فضلاً عن أنه يَجُبُّ كل الأهداف الأخرى ، إلا أنه أيضاً هدف واضح لا مجال للادعاء فيه . . فنصره واضح كالصبح ، وهزيمته واضحة كثيبة بشعة مذلة فاضحة مفضوحة !

ولسوء حظ الأمة العربية ومصر في طليعتها أن هذه المعركة هي التي لا يجوز أن يعلو حديث بنصر آخر على حديثها . . وستظل كذلك إلى زمن نرجو ألا يطول . .

من ١٩٥٢ ـ ١٩٥٤ لم تكن إسرائيل على قائمة اهتمامات عبد الناصر باعترافه هو في أكثر من خطاب ، وبشهادة هيكل ، وقد بلغ من عدم الانشغال بإسرائيل ، أن بن جوريون كما رأينا هرش شعر رأسه وغمغم بأن هذا مؤسف للغاية . . ؟

عقدة اليهودي الذي عانى الإهمال قروناً طويلة ! . .

إسرائيل أيضاً لم تحاول التحرش « بالثورة » لا خوفاً منها ولكن للتفسير الذي يطرحه د . عبد العظيم رمضان وهذا هو حرفياً بصرف النظر عن تعليقه « الشائق » وتحليله . . قال :

« ويعتبر تتبع العلاقات بين إسرائيل وثورة ٢٣ يوليو من الأمور الشائقة (؟! ج) فلم تكن إسرائيل عند قيام هذه الثورة قد استشعرت الخطر من جانبها لأسباب كثيرة ، ربما كان على رأسها أن القوى الوطنية قبل الثورة كانت قوى شديدة العداء للصهيونية ، فهي التي أمرت جيوشها بدخول فلسطين لتحريرها من العصابات الصهيونية ، وهي التي احتلت (كذا . ج) جزيرتي تيران وصنافير ، وهي التى فرضت الحصار على البحر الأحمر وحرمت إسرائيل من الاستفادة من ثمار الغصب والنهب الذي ارتكبته . ولما كانت علاقة الثورة بالولايات المتحدة علاقة ود وتفاهم في ذلك الحين ، فمن هنا توهمت إسرائيل أنها سوف تلقى على يد الثورة معاملة أفضل مما تلقته على يد القوى الوطنية القديمة وعلى رأسها الوفد » .

هنا يطرح الدكتور فرضية ويبرهن عليها بالوقائع ولكن الدجال يطرح فرضية مضادة تماماً وهي أن الوضع قبل الثورة كان على هوى إسرائيل بعكس ما حدث في ١٩٥٢ ثم لا يقدم دليلاً إلا أن مصر كانت فقيرة ؟!

يقول د . رمضان :

« وهذا يفسر انحياز إسرائيل إلى صف الثورة في صراعها مع القوى الوطنية القديمة (الوفد والشيوعيين والإخوان المسلمين) . فعندما أصدر الوفد برنامجه يوم ٢٣ سبتمبر

١٩٥٢ ، وفيه : « التمسك بعروبة فلسطين وجامعة الدول العربية ، وتأييد شعوب أفريقيا في جهادها لنيل استقلالها ، ودعم مجموعة الدول الأفريقية الآسيوية ، وإنهاء الاحتلال المشترك من أراضي مصر والسودان وتحقيق الوحدة بينهما » ـ علق راديو إسرائيل على هذا البرنامج غاضباً بقوله : إن حزب الوفد « مازال حزب التطرف السياسي والتعصب الأعمى في أكثرية المسائل التي لا تخص المصريين ولا تتعلق بحياتهم وظروف معيشتهم » ! وأن هجومه على « النظام الجديد » (الثورة) جاء في شكل كلام مزوق وتعابير منمقة ، وعواطف جياشة حول التمسك بأماني مصر القومية والعمل على تغيير الأوضاع في الديار المقدسة وما شاكل ذلك »[٢] .

ويسجل « محمد نجيب » في مذكراته فخورا : « أن ديفيد بن جوريون أدلى بتصريحات يتمنى فيها النجاح لثورتنا وأعلن سياسة جديدة للانفتاح على مصر « الجديدة » وتحدثت «هاآرتس » عن فرص الحل السلمى مستندة على إمكانيات وضحت في اتصال علي ماهر بزعماء الوكالة اليهودية خلال الفترة بين ١٩٣٦ و١٩٤٢ وإلى بعض تصريحات للدكتور محمود فوزي سفيرنا في لندن ، والذي أكد على إمكانية التعايش السلمي بين العرب وإسرائيل » .

إذاً فقول الدجال إن إسرائيل لم تكن مهتمة وأنه نبح حسه مع بيفان لكي يجعلهم يهتمون ، كذب ، فإسرائيل كانت مهتمة وممتنة !*

ونود أن نضيف إلى أرشيف الدكتور رمضان بأن التعاون أو التفاهم وصل في تلك الفترة إلى أن أصدقاء الثورة في المخابرات الأمريكية في مصر طلبوا من أمريكا أن تطلب من إسرائيل مدح الإخوان المسلمين في إذاعتها العربية لتشويه سمعتهم وقد حدث ذلك بالفعل** . .

أما عن موقف « الثورة » فإن الدكتور رمضان يلفه لنا في قطعة سكر فهو يقول :

« ومن ناحية الثورة ، فإن انشغالها بالصراع الداخلي ومعركة الجلاء مع الانجليز ، قد حجب عن ناظريها الخطر الكامن في وجود إسرائيل على الحدود المصرية ، ومن هنا حين أنشأت قيادة الثورة هيئة التحرير في ١٥ يناير ١٩٥٣ كتنظيم سياسي يسد الفراغ الذي سوف ينشأ من حل الأحزاب القديمة ، ونشرت هذه الهيئة التي تمثل الثورة ميثاقها وأهدافها القومية

---

* يوم ١٨ أغسطس ١٩٥٢ رحب بن جوريون في الكنيست بتصريح نجيب بأنه هو وأصدقاءه في الجيش عارضوا الغزو المصري لإسرائيل » .

** ولا بأس في إيراد رسالة السفير الأمريكي في الأردن ١٩٥٤/١٢/٢٣ :

« من المتفق عليه أن المبادرة (في الصلح مع إسرائيل) يجب أن تبدأ من مصر ، وأنا اعتقد أن مصر قد أظهرت عزماً وتصميماً في التعامل مع الإخوان المسلمين في وجه معارضة وشجب من العالم العربي ، وربما يؤدي هذا إلى تدعيم القيادة المصرية وزيادة تصميمها ، بينما قد يقول البعض إنها بعد المدى الذي وصلت إليه في موضوع الإخوان المسلمين ، قد تتحاشى إغضاب العرب مرة أخرى . إلا أن خبرتي مع النظم الديكتاتورية تجعلني أتوقع العكس » ! . .

ومنهاجها في السياسة الداخلية والخارجية ـ جاء هذا البرنامج خالياً من أية إشارة إلى فلسطين »[3] !

ونحن لا نملك إلا الاعتراض على الأعذار التي أوردها الدكتور رغم اقتناعنا بأنه يشاركنا الرأي وأنه اضطر إلى وضع هذه الملطفات بحكم ظروف النشر ولكي لا يفزع ذوي القلوب الضعيفة . مثل وصفه هذه العلاقة بأنها من الأمور « الشائقة » بدلاً من أن يقول « الشائكة » أو « الشاذة » أو « الشائنة » لأن الثورة التي جاءت إلى الحكم بحجة الهزيمة في حرب فلسطين لا يمكن أن يسقط من برنامجها « سهواً » قضية فلسطين ، وهو البرنامج الذي تناول الثورة وميثاقها وأهدافها في السياسة الخارجية والداخلية . . كل هذا لا يتسع لإشارة إلى قضية فلسطين في برنامج حركة « ثورية » بدأ تجمعها خلال حصار الفالوجا على أرض فلسطين . . وحول حكاية الأسلحة الفاسدة . . الخ .

وإذا كنت ناسي أفكرك ! إذا كانت هيئة « التحرير » ومجلس « الثورة » نسيا في زحمة الشغل فلسطين وأمن مصر الوطني ، أما كان برنامج الوفد الذي ظهر جديراً بتذكيرهما ؟ !؟[4]

وماذا تعني الصلة الحسنة بين الأمريكان والثورة « لإسرائيل » إلا إذا انعكست في مثل هذا الموقف ، وهو إزالة آثار الموقف الوطني للقوى الرجعية يشطب قضية بل اسم فلسطين من برنامج وميثاق وأهداف هيئة التحرير ، وحل الحزب الذي ذكرها وسجن وشنق من قاتلوا على أرضها . . ؟!

بل وأكثر من ذلك ، فات الدكتور أن يلاحظ مطالبة برنامج هيئة التحرير بالسلام مع إسرائيل في المادة التاسعة : « سلام إقليمي يهدف زيادة فاعلية الجامعة العربية » فكان أول برنامج سياسي غير شيوعي يطالب بسلام إقليمي !

ألم يكن هذا كافياً لكي « تنحاز » إسرائيل إلى جانب الثورة في صراعها ضد القوى الوطنية القديمة ؟! وأية قوى جديدة هذه التي ينحاز إلى صفها الإسرائيليون والمخابرات الأمريكية ؟!

وبعكس ما هو المفترض والشائع ، وهو أن النظام « الثوري » يكون الأكثر تصلباً والأكثر عداء لإسرائيل والأبعد احتمالاً في الصلح معها ، بالعكس من ذلك نجد أن توقعات الأمريكيين للنظام الناصري مخالفة تماماً . . وإليك بعض الوثائق التي لا يراها « هيكل » :

من وكيل الخارجية الأمريكية إلى الوزير

سري ١٩٥٢/١٢/٣٠

« أبلغ كافري أن السلم مع إسرائيل هو هدف نظام الجنرال نجيب ولكن خطوة متسرعة في هذا الاتجاه يمكن أن تدمر ما نحاول القيام به »* .

ويقول محمد نجيب في مذكراته : « وفي الحقيقة كنت أتوقع في ذلك الوقت أن يتقدم الإسرائيليون بمعاهدة سلام ، وربما قبلنا هذه المعاهدة في ذلك الوقت » وقد قلت في ذلك الوقت (١٩٥٣) « أنه لكي تكون إسرائيل دولة معترفا بها ولكي تكون دولة معتمدة على نفسها يجب أن تشترك في تجارتها السلمية مع الدول العربية لصالح الجميع » .

لا يمكن تفسير هذا الموقف إلا بالرجوع إلى المعامل « س » . . الاتفاق الذي تم بين الولايات المتحدة ورجال العهد الجديد قبل الوصول للحكم وبعد الاستيلاء عليه ، وهو تجميد قضية فلسطين ، والتركيز على المشاكل الداخلية وإتاحة فرصة للولايات المتحدة لإيجاد حل سلمي دائم . . وإسرائيل لا « تتوهم » ولا تنتظر أن تلقى على يد الثورة معاملة أفضل . . وإنما إسرائيل تدرس وتخطط وتحلل . وهي تعرف أن النظام القديم لا يمكن أن يتهادن معها ، وقد رأينا باعتراف « رمضان » نفسه أنه كان أي هذا النظام القديم « شديد العداء للصهيونية » خاض حرباً شاملة ضدها ، عسكرياً بالهجوم في ١٥ مايو ١٩٤٨ واقتصادياً بإغلاق قناة السويس والمبادرة الناجحة بسد خليج العقبة والحكم بالشلل والموت على كل مشاريع إسرائيل عبر البحر الأحمر وإيلات . . وبوضع قوانين المقاطعة الاقتصادية بل والإصرار على أن تشمل المواد الغذائية رغم معارضة الدول العربية وخاصة التي كانت تبيع وتستورد من إسرائيل .

فلم يكن لدى إسرائيل عواطف أو أوهام نحو النظام القديم ولذلك لم تكن ترغب في أي تحرك يخدم هذا النظام أو رجاله ، فالتحرش بمصر في هذه الفترة كان سيضعف « العسكر » حديثي العهد في السلطة ويكشف عجزهم « العسكري » وهذه كانت أقوى ورقة في يدهم والأمل الذي راهنت عليه الجماهير بعد هزيمة ١٩٤٨ التي نسبت إلى السياسيين ، فإذا ثبت أن العسكر أضعف ، وأقل قدرة على المقاومة ، فإن الجماهير ستكشف فداحة الخطأ عندما ضحت بالديموقراطية النسبية بأمل أن يكون المقابل هو القوة الوطنية . . من هنا كانت مصلحة إسرائيل الواضحة في توفير المجال للعسكر لتصفية النظام القديم ، وخاصة التنظيمات العقائدية شبه العسكرية ، التي كانت قضية فلسطين تحتل مكاناً بارزاً في تفكيرها وبرامجها مثل الإخوان المسلمين ومصر الفتاة . . الخ . . أو الوفد الحزب الشعبي ذو التاريخ الديموقراطي والمكانة الدولية البارزة لدى حركات التحرر البورجوازية في آسيا وأفريقيا ، والذي أثبت عداوته المؤثرة ضد إسرائيل .

---

* ألا يذكرنا هذا النص برسالة أخرى من السفير الأمريكي في سوريا أيام حسني الزعيم ؟! . .

وإذا مضينا خطوة أبعد في « أوهام » إسرائيل ، فلا شك أنها كانت تتوقع وأثبتت الأيام صدق نظرتها ، أن النظم العسكرية هي الأكثر مسالمة مع الخارج . . والأقل قدرة على القتال ، كما لعلها كانت تعتقد وكل الظواهر كانت تؤيد هذا الظن ، أن مصر لو دخلت في الحكم العسكري فستبدأ دوامة الانقلابات والإعدامات والتصفيات ، الأمر الذي يستنزف قواها ويشل جيشها عن أي تحرك خارجي . .

يضاف إلى ذلك كله الضغط الأمريكي الذي طالبها بإعطاء فرصة « للمتعقلين » الجدد لكي يمكن تحقيق التسوية . وبالطبع لم تكن إسرائيل لتستجيب لهذا الاتفاق إلا لما رأته من عوامل أخرى لصالحها . .

وقد انتهت هذه المرحلة ، بسحق التنظيمات السياسية في مصر وتدمير جمعية « الإخوان » واستقرار الحكم العسكري ونجاحه في فرض اتفاقية الجلاء رغم كل القوى المعارضة . . عندئذ بدأت إسرائيل المرحلة الثانية من الاستراتيجية وهي استفزاز العسكر ودفعهم إلى معاداة الولايات المتحدة والغرب لفسخ الاتفاق الأمريكي ـ الناصري . . ونسف « علاقة الود والتفاهم بين « الثورة » والولايات المتحدة » .

أما غير المقبول على الإطلاق ، ولا نملك معه المجاملة أبداً ، فهو قول الدكتور رمضان « على أنه لم تكد تستقر الأمور في يد الثورة ـ عبد الناصر بالذات ـ بعد أزمة مارس ١٩٥٤ حتى كان يهدد بتطبيق ميثاق الضمان الجماعي العربي في مواجهة أي اعتداء يقع من جانب إسرائيل بالقوة »[4] .

هل يفهم من هذا أن علاقة الود بين الأمريكان والثورة كانت على يد محمد نجيب ؟

هل ميثاق هيئة التحرير وبرنامجها وضع بدون علم عبد الناصر ؟!

لا . . ليس من مصلحة أحد أن نحول عبد الناصر إلى « ملك » أو أمير مؤمنين تؤخذ الدنيا باسمه وهو ليس له من الأمر شيء . . إذا كانت هناك سياسة تتعلق بإسرائيل في الفترة من ١٩٥٢ إلى ١٩٥٤ فهو مخططها وهو منفذها ، أما أنه إذا سئل في مهرجان جماهيري ماذا يفعل إذا ما « اعتدت » إسرائيل ؟ . . وليس ماذا سيفعل هو ابتداء لتحرير فلسطين . .

فيرد : سنطبق ميثاق الضمان الجماعي العربي . . فهذا أضعف الإيمان ولو أنه لم يطبقه قط ! . .

وقد فات الدكتور « رمضان » أن يؤرخ التغير الذي حدث في الموقف من المقاطعة لإسرائيل في ظل عبد الناصر ، مادام قد سجل موقف حكومات ما قبل الثورة . .

وسداً لهذا النقص . . نقول : تبين أن هؤلاء الضباط الذين زعموا أن الثورة ولدت في نفوسهم خلال حرب فلسطين ، هم أقل فئة من المصريين اهتماماً بفلسطين أو عداوة لإسرائيل . . فهم ألغوا قرار حكومة الوفد بمنع مرور البضائع من وإلى إسرائيل عبر قناة السويس . . فانطلقت تجارة إسرائيل عبر قناتنا ، وإذا عرفنا أن الخليج وقتها كان ممنوعاً على

إسرائيل ولم تكن « إيلات » قد أصبحت بعد ميناء اقتصادياً ، ومن ثم كان غلق القناة ، يخنق الاقتصاد الإسرائيلي في المهد ، وفتح القناة هو الـذي مكن هذا الاقتصـاد من الحياة والانتعاش . .

أليس من العار للفكر المصري ألا يرصد كاتب واحد أو مؤرخ هذه الحقيقة فضلاً عن التعليق عليها ؟! . .

اقرأوا الوثائق مادمتم تحبون الوثائق :

ولأن المصداقية انعدمت بعد كل ما زوره هيكل وأمثاله من الناصريين والمتأمركين فهذه شهادة شاهد من أهلهم :

تقرير أمريكي عن
محادثة مع الجنرال محمود رياض
وزارة الخارجية الأمريكية ١٩٥٤/١٠/١٠

وقلت : إنني أعلم أن كثيراً من البضائع المتجهة إلى إسرائيل قد جرى السماح بمرورها في قناة السويس . . وهنا قاطعني جنرال رياض قائلاً : « ليس الكثير بل كل البضائع » وأخبرني أنه هو شخصياً يحتفظ بقائمة دقيقة للبضائع التي جرى شحنها من وإلى إسرائيل عبر قناة السويس خلال عدة شهور . ولم تتدخل الحكومة المصرية طالما كان الشحن يتم في سفن لا تحمل العلم الإسرائيلي ، ولكنها ـ أي الحكومة المصرية ـ لا تستطيع أن تسمح بدخول سفينة تحمل العلم الإسرائيلي في مياهها الإقليمية (على الأقل في ميناء السويس أو بور سعيد لكي تصل للقناة ج) .

« وصرح عزمي في مجلس الأمن يوم ١٤ أكتوبر ١٩٥٤ : أن مصر منذ مارس ١٩٥٤ امتنعت عن أي تدخل في حركة السفن التي تحمل البضائع إلى إسرائيل أو القادمة من موانئ إسرائيل عبر قناة السويس » !

يجب أن يضاف ذلك إلى قرارات مارس الثورية !!

الله الله !

في دم الإخوان وسائر الوطنيين الذين بدأت اعتقالاتهم ومحنتهم ومصارعهم في نفس التاريخ الذي فتح فيه الثوار القتلة قناة السويس لسفن إسرائيل !

هل تريدون المزيد . . ؟

مجلس الثورة أجرى اتصالاً في الأيام الأولى (سبتمبر ١٩٥٢) مع إسرائيل يطمئن إلى نواياه . . وربما يكون ذلك ضمن التعهدات السرية التى تعهد « عبد المنعم أمين » بتقديمها باسم المجلس .

***

من السفير الأمريكي في إسرائيل إلى وزارة الخارجية
تل أبيب ١٧ سبتمبر ١٩٥٢ سري وعاجل

أبلغني شاريت وزير الخارجية عصر هذا اليوم أن القائم بالأعمال الإسرائيلي في باريس قد تسلم ما يعتبر رداً على اقتراح حكومة إسرائيل اللقاء مع ممثل للنظام الجديد . . فإن شخصا يصف نفسه بأنه يحمل رسالة مباشرة من نجيب ، صرح بأنه مخول بأن يقول إن النظام الحاضر ليس له أي نوايا عدوانية إزاء إسرائيل ، وإن أي تصريحات مخالفة لذلك لا يجوز أخذها على محمل الجد . . وأن نجيب الآن مشغول بالقضايا الداخلية وانه سينتهز أقرب فرصة ممكنة لإيجاد اتصال لمناقشة أمور معينة لم يحددها . وحيث إن الرسالة سلمت ما بين ٦ و ٧ سبتمبر فإن « شاريت » استنتج أنها لم تمر عبر « علي ماهر » .

وقد ناقش وزير الخارجية الأمر مع الملحق الإسرائيلي في باريس وخوله الرد شفوياً كالآتي :

١ ـ التعبير عن الترحيب بالرسالة حيث لم تكن غير ودية .

٢ ـ أن إسرائيل تتابع بعطف واهتمام الجهود لتحسين الأحوال في مصر .

٣ ـ وإبلاغهم أنهم إذا شاءوا الاستفادة من خبرة إسرائيل في إنشاء المستوطنات الزراعية فإن حكومة إسرائيل مستعدة للتعاون فنياً « أو على أي مستوى آخر يرونه مفيداً » .

ooo

« الملحق الإسرائيلي في باريس قابل الملحق المصري وأعطاه رسالة مهمة كتابة كطلب المصريين . كما طلب المندوب المصري في لجنة الهدنة الاجتماع على انفراد بالمندوب الإسرائيلي » ٢٥ أغسطس ١٩٥٢ » .

وهل تعرف أن حكومة الثورة ، تماماً كحكومة « حسني الزعيم » وافقت على توطين اللاجئين بعكس قرارات الجامعة العربية ، وحقوق الشعب الفلسطيني في العودة إلى وطنه ؟! . . وأن حكومة الثورة المصرية وافقت فعلاً على توطينهم في سيناء . . لولا أن إسرائيل ـ على ما نعتقد ـ ذات المطامع الأزلية في سيناء ما كانت لتقبل حتى هذا الحل لمشكلة اللاجئين فعجلت بتأزيم الموقف بغارة فبراير ١٩٥٥ . .

خذوا هذه الوثيقة :

سري جداً — ٧ فبراير ١٩٥٣

أبلغني وزير الخارجية (محمود فوزي ج) الليلة الماضية ، أنه يفكر في إمكانية عقد اتفاق مع إسرائيل . وهو يعي أن اللاجئين لن يعودوا أبداً إلى إسرائيل بأعداد كبيرة . وأنهم يجب أن يوطنوا في البلاد العربية ، وقال : « نحن نرغب في أخذ أكبر عدد ممكن إذا ما استطاعت « الأونرا » (هيئة إغاثة اللاجئين ج) أن تجد مشاريع لتشغيلهم في سيناء» .

وأضاف السفير في برقية تالية أن وزير الخارجية (المصري ج) طلب يوم السبت من « بانش » (رالف بانش ممثل الأمم المتحدة ج) أن يبلغ شاريت (وزير خارجية إسرائيل ج)

أن مصر راغبة في تحري تسوية مع إسرائيل على أساس إعادة التوطين والتعويض للاجئين وبعض تعديلات في الحدود . وقد أبلغ بانش شاريت ذلك يوم الأحد وبعد مشاورات مع حكومته رد بأنهم يرحبون بحرارة بهذه المبادرة » (١٠ فبراير ١٩٥٣) .

وننتقل إلى معلومات السفير الأمريكي في إسرائيل الذي أبلغ حكومته أنه أجرى محادثة خاصة مع « بانش » الذي وصل إسرائيل يوم ٧ فبراير يحمل رسالة مصر أو رسالة محمود فوزي فقال بانش للسفير الأمريكي على انفراد : « إنه ذهل من حقيقة أن نجيب لم يشر في حديثه معه إلى مشكلة فلسطين بحرف ، ولو أن إسرائيل جاء ذكرها في حديثه مع فوزي الذي نقل على لسانه (لسان وزير خارجية عبد الناصر ج) « إنه لا يرى سبباً يمنع مصر من التحرك نحو عقد السلام مع إسرائيل إذا ما توافرت بعض الشروط » .

برقية السفير من تل أبيب
٩ فبراير ١٩٥٣

ونتابع التقليب في وثائق هذه المرحلة :

٨ أبريل ١٩٥٣ :

بايرود قال إن السفير المصري في باريس اقترح أن تصبح إسرائيل من الدول الموقعة على اتفاقية اسطمبول لسنة ١٨٨٨ الخاصة بالقناة !

١٧ نوفمبر ١٩٥٣

كتب ايريك جونستون أنه استطاع أن يحصل على وعد من الحكومة المصرية باستخدام نفوذها في العالم العربي لانجاح مساعيه حول مياه الأردن » .

ooo

١٠ أبريل ١٩٥٤ :

« رياض (محمود رياض) أكد أن حوادث الحدود في غزة هي من فعل الفلسطينيين وأن السلطات المصرية سحبت السلاح من المدنيين في القطاع » .

ooo

القاهرة ١٩٥٤/٦/١٧

إني أغادر القاهرة مشبعاً بالآمال في الحصول على موافقة العرب على تنمية وادي الأردن . إن الدور الذي لعبه المصريون في توفير قيادة متعاطفة فعالة بناءه ، كان بالغ الأثر ومن الواضح أنه انبعث من رغبة صادقة في مساعدة الولايات المتحدة وقد أصبح واضحا الآن أنه لا حاجة لمباحثات مع العرب إلا في القاهرة » .

كافري

« وبالنسبة لإمكانية الاتفاق بين إسرائيل والبلاد العربية فقد صرح السفير أبا إيبان لوزارة

الخارجية الأمريكية أن مصر تشكل أكبر احتمال في هذا الشأن » .

١٩٥٤/٦/١٦

تعميم من وزير الخارجية الأمريكية :

١٩٥٤/١١/٢٢

« إننا نعتقد أن الخطوة الأولى (لتحقيق سلام بين العرب وإسرائيل ج) يجب أن تبدأ بمصر لأن :

١ ـ مصر أقل الدول العربية اهتماماً بإسرائيل والأقرب احتمالاً للتحرك .

ooo

« إن مصر قد تعبر الحدود في محاولة عقد صلح شامل مقبول للعرب ، ولكنها لن تحاول ذلك في وجه معارضة عربية . وعلى أية حال إنهم مشغولون الآن تماماً ، في تصفية الإخوان المسلمين » .

كافري ٥٤/١٢/١١

ثم ننتقل لمفاجأة الغارة على غزة في ٢٨ فبراير ١٩٥٥ وسنلاحظ إجماعاً عربياً في جميع المصادر الناصرية أو المتصلة بالناصرية في تلك الفترة ، أو المؤرخة لتلك الفترة ، هي « الدهشة » و « المفاجأة » التي قوبلت بها الغارة من جانب السلطة المصرية . . والحديث عن « الوهم » الذي انقشع . . و « ما لم يكن في الحسبان » و « الاستيقاظ » على الحقيقة » .

يقول حمروش : « تم هذا الحادث (اقتحام الحدود المصرية وقتل ٣٨ جندياً داخل معسكر الجيش المصري . . !) في وقت لم تكن فيه العلاقات المصرية ـ الإسرائيلية في حالة من التوتر الشديد ، **بل كانت هناك فرص للتفاهم لم تقبلها المؤسسة العسكرية في إسرائيل** » .

ويقول بغدادي :

« فوجئنا بغارة عسكرية من الجيش الإسرائيلي على معسكر لنا بالقرب من مدينة غزة ، وكان الهجوم ليلاً ، وبعد عودة بن جوريون إلى الحكم بعدة أيام قلائل فقط وكان عدد القتلى من جنودنا سبعة وثلاثين جنديا في مقابل ثمانية جنود إسرائيليين » .

وتخون بغدادي الذاكرة فيقول : « إن تلك الغارة كانت بداية لسلسلة من الغارات المتبادلة بين إسرائيل وبيننا » .

وليس في السجلات غارة واحدة شنت على إسرائيل في عهد عبد الناصر من ١٩٥٢ إلى ١٩٦٧ . كل ما حدث هو أنه سمح للفدائيين بالعمل من قطاع غزة أو من الأردن ، وقد اشترك مصريون ولكن على شكل فدائيين ولم تقم مصر بغارة بقواتها النظامية أبداً . . بل يقرر حمروش أنه بعدما تحرشت إسرائيل بعبد الناصر في عدوان ١٩٥٥ « كانت ردود الفعل عند جمال عبد الناصر هادئة ، أوقف عمليات الفدائيين في غزة تحاشياً لاستفزاز الإسرائيليين

وخلق مبرر لهم للهجوم » . (بل وسحب جيش التحرير الفلسطيني من الحدود وأعلن حظر التجول في قطاع غزة) .

وقد فهم بغدادي أو تصور ـ على حد تعبيره وقتها ـ أن إسرائيل تريد إضعاف نظامهم الوليد ، « لما كانت تلك الغارة قام بها الجيش الإسرائيلي نفسه وضد قواتنا النظامية أيضاً . فقد جعلتنا نتصور ونعتقد أن الغرض منها هو العمل على إضعاف نظامنا الثوري الوليد » .

ويؤكد هيكل تفسيرنا بل ونجاح المخطط الإسرائيلي ، الذي كانت بدايته غارة ٢٨ فبراير ١٩٥٥ وهو نسف العلاقات الأمريكية ـ المصرية ودفع مصر إلى أحضان الاتحاد السوفيتي فيقول :

« وكانت هذه الغارة هي الدافع المباشر الذي جعل جمال عبد الناصر يستدعي السفير الأمريكي في القاهرة هنري بايرود ويقول له :

« إذا لم تبع لي الولايات المتحدة ما أحتاج إليه من السلاح للدفاع عن الأمن القومي لمصر فلسوف أطلب السلاح من الاتحاد السوفيتي » .

ويورد د . رمضان فقرة غير مفهومة عن أن عبد الناصر كان تحت تأثير وهم غريب ، هو الربط بين الشيوعية والصهيونية إلا أن هذا الوهم انقشع مع انقشاع سحابات دخان الغارة الإسرائيلية الوحشية على غزة يوم ٢٨ فبراير ١٩٥٥ . وقد عبر عبد الناصر بنفسه عن ذلك في خطبته يوم ٢٢ يوليو ١٩٥٧ فقال :

« إن دخان الغارة على غزة في ٢٨ فبراير ١٩٥٥ ، انجلى ليكشف حقيقة خطيرة ، تلك هي أن إسرائيل ليست الحدود المسروقة وراء خطوط الهدنة ، وإنما إسرائيل في حقيقة أمرها رأس حربة للاستعمار ، ومركز تجمع لقوى أخطر من الاستعمار ، وهي الصهيونية العالمية » .

ويؤكد لنا الدكتور أن عبد الناصر كان يعي خطورة الوجود الصهيوني في خليج العقبة وأنه طالب بإخلاء إسرائيل للنقب في ١٣ سبتمبر ١٩٥٤ .

وهذا يؤيد ما نقوله من أن حذف إسرائيل من برنامج هيئة التحرير ومن اهتمامات قيادة الثورة ، لم يكن عن جهل بخطر إسرائيل . . بل لسبب آخر . . كذلك لا نفهم « المفاجأة » في عدوان فبراير ١٩٥٥ إلا لأنه كان هناك اعتقاد ما . . أو تصور ما . . أو اتفاق ما ، يتعارض مع هذه الغارة . . وإلا لو كانت العلاقة عادية ، فأية غرابة في « عدوان » إسرائيل . . والصهيونية ؟! وقاعدة الاستعمار كما وصفها المصريون من ١٩١٧ . . وليس ١٩٥٥ . . .

المفاجأة بسبب الارتباط أو الوعد الذي تم بين قيادة الثورة وبين الأمريكان بتجميد قضية فلسطين والوعد بأن إسرائيل لن تتحرش بالعهد الجديد ولن تدخل في حرب معه . . وكما قلنا من قبل : إن غلطة النظم العربية أنها تتصور علاقة إسرائيل بأمريكا كعلاقة مستعمرة بالدولة

الحامية الكبرى . . وأن أمريكا تستطيع أن تتحكم باستمرار في سياسة إسرائيل بالاتصال الهاتفي أو بتعليمات يبلغها السفير . . والعلاقة الأمريكية ـ الإسرائيلية كما شرحنا أكثر تعقيداً من ذلك ، وإسرائيل ليست عميلة لأمريكا كما يجنح البعض للتبسيط المخل . . فلها قرارها المستقل وخططها الخاصة المتناقضة في أكثر من موقع مع السياسة أو حتى المصالح الأمريكية . . وصحيح أن الولايات المتحدة ، لو أرادت ، تستطيع وإلى اليوم أن تجبر إسرائيل على الرضوخ لإرادتها ، ولكن المشكلة في العلاقات الأمريكية ـ الإسرائيلية هي أن الولايات المتحدة ليست مطلقة اليد في التعامل مع إسرائيل ، بل إن المواجهة معها تتحول إلى حرب أهلية داخل أمريكا ، بمعنى مواجهة بين الإدارة الأمريكية ومركز القوة (اللوبي) الإسرائيلي داخل وحول هذه الإدارة في قلب أمريكا . . فالعلاقة عكس العلاقة المعتادة بين الدولة الكبرى والدولة الصغرى التي تعتمد على حمايتها ، ففي هذه الحالة تملك الدولة الكبرى مفاتيح قوى داخل الدولة الصغرى تلعب بها لتوجيه سياستها وفق إرادتها دون حاجة إلى استخدام عضلاتها بشكل علني أو مباشر ، بينما في حالة أمريكا وإسرائيل ، فإن إسرائيل هي التي تملك مفاتيح توجيه السياسة الأمريكية في داخل المؤسسات الأمريكية . ومن هنا كان حرص الإدارة الأمريكية على تجنب المواجهة العلنية مع إسرائيل إلا في الضرورة القصوى . .

على أية حال مرت علاقة الثورة بإسرائيل في عهد عبد الناصر بثلاث مراحل :

١ ـ مرحلة التآمر المشترك ، والواسطة فيه هي الولايات المتحدة ، حيث تم الاتفاق بين المخابرات الأمريكية والتنظيم الناصري على استبعاد قضية فلسطين ، وتبريد الوضع على الحدود . وهذه المرحلة استمرت من جانب النظام الناصري إلى عام ١٩٥٦ . .

أما من ناحية إسرائيل فقد كانت من ناحية تحت ضغط أمريكي مكثف ، إذ كانت الولايات المتحدة تراهن على النظام الجديد في مصر ، من أجل الحل النهائي لمشكلة إسرائيل . . ومن ناحية أخرى كان كل ما يجري في مصر على هوى إسرائيل . . تصفية النظام الليبرالي ، وضرب الأحزاب والحركات الوطنية وقيام نظام عسكري . . وإفساد الجيش وتجريده من الكفاءات القتالية بل وروح القتال ومن ثم تركت الأمور تمضي في مجراها .

٢ ـ مرحلة التحرش وفصم التحالف . . وبدأت من نهاية ١٩٥٤ أو بعد ما تأكد خروج البريطانيين ، وبدأت المحاولات الأمريكية الجدية في فرض التسوية ولم تكن لتتم في ذلك الوقت إلا على حساب الأراضي المحتلة من إسرائيل ، وعلى حساب الأراضي المطلوب احتلالها ، ولذلك تحركت إسرائيل لمنع هذه « الكارثة » وذلك بالتحرش بمصر وسوريا ، لتأزيم العلاقات مع أمريكا ، وفسخ التحالف أو الارتباط المصري ـ الأمريكي ودفع البلدين إلى محالفة الروس ، وقد بدأت هذه المرحلة بمحاولة سخيفة هي المعروفة بعملية « لافون » ويبدو أن المخابرات الإسرائيلية تأثرت أو تشجعت بنجاح المخابرات CIA في مصر فأرادت

أن تنافسها بتخطيط وتنفيذ سياسة إسرائيل ، ولما فشلت فشلاً ذريعاً ، أعيدت إلى مهمتها الأصلية . وتولى ساسة إسرائيل والمؤسسة العسكرية التحرش بالنظام المصري ، وكانت غارة فبراير ١٩٥٥ ثم غارة ٣١ اغسطس ١٩٥٥ . . إذ « قام الجيش الإسرائيلي بمهاجمة مركز البوليس في خان يونس بقطاع غزة ، كما هاجم مواقع مصرية أخرى ، وكان عدد القتلى من جانبنا نتيجة هذا الهجوم حوالي خمسة وثلاثين قتيلاً وخمسة عشر جريحاً » . ولم يقتصر الأمر على استفزاز وإحراج النظام « الوليد » بالاعتداءات وإنزال الخسائر بالقوات المصرية ، بل تجاوزها إلى ضم الأراضي . . ففي « ٢٠ سبتمبر ١٩٥٥ احتلت قوات إسرائيل منطقة العوجة المنزوعة السلاح . والمتحكمة في عدة طرق ، وكلها تؤدي إلى داخل الأراضي المصرية » .

وبعد توقيع معاهدة الدفاع المشترك مع سوريا « شنت إسرائيل غارة على سوريا قتل فيها أكثر من خمسين جندياً سورياً » .

وانحصرت ردة الفعل في الصراخ بطلب السلاح من الأمريكان ، أو الاتصال بالروس ، ولم يخطر ببال القيادة الثورية أن تقوم بإجراء عسكري مضاد ، ويصعب تصور أن مصر كانت عاجزة حتى عن حماية مواقع الحدود ، ودعنا من الحرب الشاملة ! ومع التسليم بما أنزله النظام الثوري بالجيش من تصفيات ، وفرض المرضي عنهم بدلاً من المقاتلين والكفاءات العسكرية ، وما نتج عن ذلك من إضعاف للروح المعنوية ، إلا أن الموقف السلبي للقوات المصرية كان موقفاً سياسياً ، ينبع من الارتباط بالأمريكان ، ومن الخوف أو الرغبة الشديدة في تجنب المواجهة الشاملة مع إسرائيل .

ولو حدث رد فعل مصري مناسب . لاشتعل الموقف ولانضم إليه كل العرب ، ولربما . . ربما . . توصلنا إلى تسوية أفضل بكثير مما كان يرجو عبد الناصر بقبول القرار ٢٤٢ ومبادرة روجرز . . أو على الأقل لخلقنا مناخاً عربياً ضد إسرائيل . . ولكن السياسة المصرية ومستشاريها فضلوا تفجير القومية العربية من خلال معركة حلف بغداد . . فكان أن حملت مرض الطفولة معها إلى أن ماتت بالسكتة في كامب ديفيد .

وقد وقع حدثان عجلا بإنهاء هذه المرحلة :

صفقة السلاح التي تصرف الأمريكان إزاءها « بتعقل » فلم يعارضوها ، مما أدى إلى نزع الفتيل الذي كان يهدد العلاقات المصرية ـ الأمريكية ، وفي نفس الوقت زرع الديناميت الذي سيفجر هذه العلاقات . ولكنهم خرجوا مؤقتاً من مأزق الخيار بين إغضاب اللوبي الإسرائيلي بإعطاء عبد الناصر السلاح ، أو منع السلاح عنه وتدمير كل ما بنوه في مصر . وهذه هي كلمات السفير الأمريكي في مصر هنري بايرود : « إن كل ما بنيناه في مصر مهدد بالانهيار » وذلك بشهادة أو نقلاً عن هيكل ! . .

الأمريكان كانوا يبنون في مصر طوال الفترة من ١٩٥٢ إلى ١٩٥٦ ونحن كنا نُسجن والبعض يُشنق بتهمة تعطيل جهود الثورة في تصفية قواعد الاستعمار في مصر ! . .

تم إنقاذ الموقف بصفقة السلاح وبدأت أمريكا مساعيها لطرح تسوية سلمية ، أو مشروعات تهدئة ، وتعاون مشترك تخفف التوتر وتفتح المجال الأكثر شمولاً . .

الحدث الثاني : هو تأميم القناة وقرار بريطانيا وفرنسا الحرب ضد مصر وما كانت إسرائيل لتفوت هذه الفرصة أبدا لفتح خليج العقبة وتحطيم الجيش المصري وتجميد أو تحييد مصر لفترة كافية لبناء قدرة إسرائيل لتحقيق أهداف المرحلة الثالثة .

ويقول موشى ديان إنهم في منتصف ١٩٥٥ : « أرسلنا وحدة متطوعين لاكتشاف طريق بري إلى شرم الشيخ ، وهذا سهل مهمة اللواء الإسرائيلي المدرع الذي احتلها بعد عام ونصف » .

ومخطط إسرائيل من فتح خليج العقبة كممر مائي لإسرائيل تنافس به وتزيل دور مصر كحلقة الوصل المائية بين الشرق والغرب . . قديم منذ التفكير في إسرائيل ، ومنذ مشروع التقسيم ، والإلحاح الذي تم على « ترومان » واستجابة المتهالك على إرضاء الصهيونية حتى طلب من الوفد الأمريكي تليفونياً ضم الساحل لدولة إسرائيل في مشروع التقسيم المعروض وقتها على الأمم المتحدة .

ولكن التطور الجديد عجل تنفيذ هذه الخطة ، فقد كانت ـ بحق ـ فرصة العمر . . فإسرائيل كما قال موشى ديان « لا تضييع أية فرصة لضرب مصر » أو كما قال بن زوهار : « كانت أزمة السويس أزمة طارئة وهي لم تغير خطط إسرائيل التي كانت ستهاجم مصر على أية حال ولكنها سهلت لنا أهم مشكلتين : السلاح والحليف » . وهكذا قررت إسرائيل المشاركة في الغزو وتنفيذ هدفها في فتح الخليج . . حتى وإن كان ذلك قد أدى إلى توتر « مؤقت » في العلاقات مع الولايات المتحدة سرعان ما عالجته القيادة المصرية ، بحملتها على مشروع ايزنهاور . .

ونقف هنا لحظة عند رواية غريبة ينسبها هيكل للرئيس ، تجعلنا لا ندري أحقاً يريد هذا الرجل تمجيد عبد الناصر وتبرئة ساحته أمام الرأي العام العالمي ، أم العكس ؟ وخاصة أنه أورد هذه الرواية في كتابه « عبد الناصر والعالم » الذي صدر بالانجليزية : الرواية تقول إن الرئيس ايزنهاور بعث روبرت أندرسون إلى القاهرة في عيد الميلاد ديسمبر ١٩٥٥ وكانت مهمته قد أبلغت إلى جمال عبد الناصر على أساس أنها « محاولة أمريكية للبحث عن أساس للسلام في الشرق الأوسط » يقوم بها مبعوث خاص يمثل الرئيس ايزنهاور وكان قد أخطر أيضاً بالرغبة في إبقاء هذه المهمة سرية ، حرصاً على توفير فرص النجاح .

« وكان اللقاء الأول بين الاثنين في بيت جمال عبد الناصر ، وطار أندرسون بعدها إلى تل أبيب والتقى بن جوريون ، وتكررت رحلاته ثم عاد يوماً بمشروع للاتصال البري بين

المشرق والمغرب في العالم العربي يقضي بإعطاء طريق علوي قرب إيلات للعرب يمرون فوقه من سيناء إلى جنوب الأردن ونظر جمال عبد الناصر إلى خريطة قدمها أندرسون وفيها رسم للطريق العلوي الذي يستعمله العرب ، وتحته الطريق العادي الذي تستعمله إسرائيل إلى إيلات . وهز رأسه وقال لأندرسون إن المشروع لا ينفع ، وراح جمال يفند عملياً عدم جدوى ذلك الاقتراح ثم أضاف ضاحكاً : « لنفرض أن أحد رجالنا أحس بنداء الطبيعة وهو يمشي فوق الطريق العلوي ، وترك الطبيعة تأخذ مجراها . ثم نزل الرذاذ على سيارة عسكرية إسرائيلية تصادف مرورها على الطريق السفلي فماذا يحدث . . هل تقوم الحرب »[32] ؟!

لم يشأ هيكل أن يقول الأسباب العملية الأخرى ، واكتفى بتلك القصة التي تقول لقرائه من الأمريكيين والغربيين ، إن الرئيس المصري « شخ » على اقتراح المبعوث الشخصي لأكبر رئيس أمريكي ، والرئيس الوحيد الذي وقف ضد إسرائيل وأجبرها على الانسحاب من سيناء في خمسة شهور !!!

وهكذا نكسب الرأي العام . . !

وبالهجوم الإسرائيلي بدأت المرحلة الثالثة ، والتي كانت في جزء منها امتداداً للمرحلة الثانية ، فيما يتعلق بهدف نسف العلاقات المصرية ـ الأمريكية ، وهو ما تحقق بنجاح رائع عشية ١٩٦٧ . . كما تم تحييد مصر في المواجهة العربية ـ الإسرائيلية بإقامة « حاجز » القوات الدولية ، وما ترتب على ذلك من تمزق الجبهة العربية . . . وأضاع عبد الناصر فرصة العمر في الهجوم على إسرائيل من ثلاث جبهات .

ومن ٥٦ إلى ٦٧ أتيحت في هذه الفترة لعبد الناصر أكثر من فرصة لضرب إسرائيل ، سواء للتحرير أو للتحريك أو حتى التسخين . . ولكنه لم يفعل . .

لم يفعل عندما كانت الجمهورية العربية المتحدة كالطوق أو الكماشة حول إسرائيل . . ولكن إسرائيل المطمئنة لاستحالة إقدام النظام المصري على خوض حرب ضدها ، ما دامت هناك فرصة واحدة لتجنب ذلك مهما كان الثمن ، اطمئناناً لذلك لم تقصر إسرائيل في التحرش والاستفزاز والضرب والكسب بل قامت بهجوم على سوريا في معركة التوافيق ، واكتفى عبد الناصر بطمأنة الأمة العربية بأن السوريين « ما يحبوش هزار » وأنهم ردوا على إسرائيل فوراً . . واحتفظ هو للجيش المصري وحده بحب « الهزار » ! . .

كانت فرصته لشن هجوم من سوريا حيث الجيش المصري والسوري كانا جيشاً واحداً ، وفرصة لسحب قوات الطوارىء وغلق خليج العقبة لأن إسرائيل معتدية . .

ولكن المواجهة مع إسرائيل لم تكن يوماً ما في خاطر عبد الناصر . . وظلت الجمهورية العربية المتحدة أو الكماشة قائمة ثلاث سنوات سقط خلالها نظام نوري السعيد ، وكان الجيش العراقي في الشهور الأولى على أتم الحماسة والاستعداد لخوض الحرب المقدسة لو فعل

عبد الناصر ولكنه لم يقدم بل لم يفكر . . مع أن الصحافة الغربية فسرت ثورة العراق على الفور بأنها تعني « زوال إسرائيل » ! . .

وتخيل هجوماً على إسرائيل في عام ١٩٥٨ أو مطلع ١٩٥٩ من الإقليم الشمالي والجنوبي والعراق عبر سوريا أو حتى الأردن . . هل كانت بقية الدول العربية ستتأخر ؟ . . وهل كانت أمريكا ستحارب العرب أجمعين وهم في قمة التفافهم حول زعيم الأمة العربية ؟! . . وجماهير تلك الأمة ـ وكاتب هذه السطور منهم ـ على استعداد لتقديم حياتهم في سبيل صلاح الدين* ورهن إشارته ، أو كما كان عبد الحليم يغني له « جماهير الشعب تدق الكعب تقول كلنا حاضرين » ! . .

ولكن المارد العربي تفرغ للبحث عن جمال عبد الناصر في ثورة العراق وتأمين الشواف وتتبع أنباء رفعت الحاج سري . . وتدبير مؤامرة على إمام اليمن وسب خرشوف وايزنهاور معاً !

ثم تحطمت الكماشة ، لأن الفكر الثوري اكتشف أن تحرير الشعب السوري من الشركة الخماسية أفضل وأهم من تحرير فلسطين من النجمة السداسية ! . . وهكذا كان الانفصال من سوريا التي حملت جماهيرها « صلاح الدين » بعربته على الأعناق ؟! . .

وفي سنة ١٩٦٤ وصل التوتر العربي ـ الإسرائيلي إلى إحدى قممه ، عندما أكملت إسرائيل مشاريعها للاستيلاء على المياه العربية ، وكانت فرصة إذا شاء عبد الناصر أن يوحد الصف العربي مرة أخرى على الأرض الطبيعية للوحدة العربية . . أرض المواجهة القومية والمصيرية ، وخاصة أن الحكم في العراق كان قد انقلب مرة أخرى على ظهره الوحدوي . والسوريون هم الذين سعوا يطلبون النجدة أو الإحراج ! . .

فماذا فعلت القيادة المصرية ؟!

أخرجت من جعبة « الحاوي » فكرة مؤتمر القمة العربي . . أو المبادرة التي استجاب لها الحكام العرب . . بعد كل ما كيل لهم من تهم وسباب . . مما جعل كاتباً عربياً يسجل ذلك « كعار التاريخ » .

إلا أن هذه الاستجابة تؤكد أنه كان يتمتع بنفوذ لا مثيل له ، وقدرة غير محدودة في تجميع الإرادة العربية ضد إسرائيل لو شاء . . ولكن المواجهة الحقيقية كانت دائماً غير واردة في برنامجه أو تفكيره . بل لا نرفض مقولة ، أنه كان يستخدم زعامته العربية لمنع المواجهة مع إسرائيل .

وهكذا كان « مؤتمر القمة » حلاً بارعاً « لتنفيس » الموقف لا تفجيره ولا حتى مواجهته ، واستطاعت هذه الضربة البارعة إعطاء العرب ثلاث سنوات يلهون فيها بمؤتمرات القمة ،

---

* مع الاعتذار للبطل حامل مظلة أو حذاء صلاح الدين !

بعضها ينعقد بالإجماع ويفرح العرب ويغنون ، وينشد لها اليمنيون الأشعار . . وبعضها يتغيب عنه هذا أو ذاك ويأسف العرب ويتصلون به لتطييب خاطره . . حتى وصلنا إلى النهاية وإسرائيل تضع اللمسات الأخيرة لضربتها الشاملة ، ونسي تماماً نهر الأردن ومياهه وأعلنت القيادة المصرية فشل مؤتمرات القمة ، ورفض حضورها لأنها تحولت إلى مظلة للرجعية تقيها من شمس القومية العربية الخارقة ! . .

الدعوة للقمة والدعوى ضد القمة لم تكن إلا تكتيكات في استراتيجية دائمة هي تفادي المواجهة مع إسرائيل . . وقد نجحت هذه التكتيكات نجاحاً لا مثيل عليه . . حتى قررت إسرائيل وقت ومكان المواجهة فاستدرجتنا إليها . .

وفي ١٩٦٧ حشدنا كل الجيش المصري والاحتياطي في سيناء ، وتسابقت الدول العربية تطلب تذكرة في قطار المجد . . وقال عبد الحكيم : رقبتي ياريس ووضع خطتين للهجوم ، واحدة يوم ٢٧ مايو ١٩٦٧ بما عرف باسم الضربة الأولى ، والثانية في شكل عملية محددة تستهدف الاستيلاء على إيلات والنقب الجنوبي . . ورفض الرئيس الاقتراحين وقال : إن « قدرنا » هو أن نتلقى الضربة الأولى التي ثبت أنها الضربة الأخيرة . . ومن يدلنا على ميزة واحدة « ممكنة » لمصر ، في تلقي الضربة الأولى ، ورفض خطة عامر في البدء بالهجوم فمن حقه أن يحرقنا فوق كتابنا هذا؟[4] .

قرر هيكل بعد ذلك أنه سواء ضربنا أم انضربنا فهي خسرانة . . أي أن هزيمتنا كانت محتومة ، ورغم ذلك ، أم هل نقول وبسبب ذلك ذهبنا إلى الحرب وسعيناً إليها سعياً أو بالأحرى وفرنا لإسرائيل كل مقومات الادعاء بأنها أجبرت على الحرب التي ارادتها هي !!؟[5]

وبعد ٦٧ . . دخلنا في حرب الاستنزاف ، وهي كما يجمع كل المؤرخين اليوم كانت لأهداف سياسية ، وأدت إلى استنزاف مصر ، فالمعركة كانت تدور فوق مصر وليس في أرض إسرائيل . . معركة بين مدن مصر مصانعها ومدارسها وبين المدفعية والطيران الإسرائيلي ! خسرنا فيها ثلاث مدن مصرية وعشرات المصانع وخزانا وعددا غير معروف من القتلى والجرحى المصريين . وقد بذل الرئيس عبد الناصر جهداً أثر على صحته في إقناع الروس ببناء حائط الصواريخ حتى يتوقف الطيران الإسرائيلي عن اختراق المجال الجوي المصري خارج سيناء المحتلة ، ونجح فعلاً . . ولكن ماذا كانت الخطوة التالية ؟ . . هل صعد المواجهة بعدما أمن على الجبهة الداخلية من انتقام إسرائيل ؟

أبداً . . قبل وقف إطلاق النار وقبول مبادرة روجز أي قبول الدخول في سرداب المفاوضات من موقع المهزوم . . ومات ووقف إطلاق النار ساري المفعول .

من هنا فإن « البعض » الذي يقول بأن عبد الناصر لم يفكر قط في شن حرب ضد إسرائيل وأنه لو عاش ألف سنة لما فكر في ذلك ، يستندون إلى واقع ١٨ سنة . .

أما الذين يقولون إنه لو عاش لشن الحرب على إسرائيل فإن العامة المصريين يقولون :
« لو » حرف تمحك ! . .

« ... مصر تطبق الخطة الدفاعية المصدق عليها من سنة ١٩٦٦ واسمها « قاهر » .. الخطة الدفاعية لا تعني قيامنا بأي ضربات جوية أو غيرها . أي أن الرئيس عبد الناصر ملتزم بالخطة الدفاعية ويرفض الخروج عنها . إذن قيامنا بأي ضربات يعتبر خارج الموضوع . » .

الفريق أول
محمد فوزى
قائد جيش عبد الناصر
والذى كان سينفذ الخطة بزراميت (جرانيت) !
(الوطن العربي ٤٨)

المراجع

١ ـ أمين هويدي : مع عبد الناصر ـ دار الوحدة ـ بيروت الطبعة الأولى ١٩٨٠
٢ ـ ع رمضان ص ٧٠ ـ ٧١ ـ المواجهة نقلاً عن جريدة المصري ١٩٥٢/٩/٢٥ .
٣ ـ ن . م عن برنامج هيئة التحرير عن المصري ١٩٥٣/١/٢٣ .
٤ ـ تصريح لعبد الناصر في كفر الدوار يوم ١٩ أبريل ١٩٥٤ عن المصدر السابق .

الملاحق

م١ ـ لاحظ تحفظ حمروش « حتى ذلك الوقت » لأنه مع استقرار الثورة جرى التخلص من خيرة الضباط حتى لم يكن في القيادة العامة يوم ٦ يونيه ١٩٦٧ ضابط واحد يستحق أن يوصف بالكفاءة .

م٢ ـ وإغفال قضية فلسطين أو إسرائيل من برنامج الثورة ، يعالجها حمروش ، ملطفاً بمهارته في التوفيق بين الروس ، فيفتي أن الحركة اتمملت بسرعة فلم يتسع الوقت لوضع أي هدف عربي ، وبما أن فلسطين عربية فقد شملها الحذف !

« هذا هو ما جعل أهداف الضباط الأحرار تخلو من الإشارة إلى القومية العربية وهو أيضاً ما جعل برنامج هيئة التحرير يأتي بلا أية إشارة إلى القضايا العربية وهذا لم يكن ابتعاداً عن عقيدة ، أو انصرافاً عن يقين (حلوه ياابن الشيخ !) بل إنه كان نتيجة السرعة التي تمت بها حركة الجيش والاندفاع السريع المفاجيء نحو التحرك » .

الله !

أمال هم ثاروا ليه ؟!

م٣ ـ هذه هي الرواية التي نقلها حمروش دون فهم لغير معناها تماماً .

م٤ ـ شرحنا رأينا في الضربة المقترحة في كتابنا : النكسة والغزو الفكري ، ومجلة الحوادث .

م٥ ـ وسؤال آخر نوجهه لمن يرفعون قميص « المعركة » ليغطوا به عورة النظام الناصري نقول لهم هل سألتم أنفسكم عن السبب الذي منع فتح التحقيق الشامل في هزيمة ١٩٦٧ . . ؟ هل تساءلتم من هم الذين كانوا مع الجاسوس لوتز . . الذين سهلوا له مهمته ومكنوه من التغلغل في أعلى المستويات والوصول إلى أدق الأسرار . . ؟ لوتز الجاسوس الإسرائيلي ، أو إن شئت أحد

الجواسيس الإسرائيليين الذين أعدوا مصر للهزيمة التاريخية جاءوا به في برنامج تليفزيوني أمريكي اسمه : « الموساد . . العنصر الإنساني » . . وقابلوه في بيته بإسرائيل وراح يفتخر كأسعد ما يكون رجل المخابرات الذي غير مصير منطقة ، وأنزل الهزيمة والعار بوطن حضارته تسبق التاريخ ، ولم يهزم ولا أذل على يد اليهود إلا على يد هؤلاء الذين باعوا الوطن بصندوق خمر أو شقة على النيل أو حقيبة ذهب في اليمن . .

يفتخر لوتز بعارنا ، فيقول إنه كان إذا وصل إلى ميناء الأسكندرية وجد في انتظاره ضابطاً برتبة لواء وعربة لوري لإخراج حقائبه وصناديقه من الجمرك بلا تفتيش . في وقت كان المصريون والعرب يفتشون تفتيشاً ذاتياً في دخولهم بل وخروجهم من مصر . . (إلا العرب من عملاء شق المخابرات المعادية الذين كانوا يحيطون بكمال رفعت وسامي شرف) .

يقول لوتز إنه جاء مرة من الخارج بسبعة عشر صندوقاً أخرجت فوراً بالإكرام والإجلال من جمرك الاسكندرية ، كان منها ستة عشر ، هدايا لكبار الضباط والمسئولين ، أما الصندوق السابع عشر فقد عبىء بأجهزة التجسس الإسرائيلية . . كان ذلك في عام ١٩٦٤ والتنظيم الطليعي منشغل بمراقبة الإخوان إعداداً لأهم وأكبر انتصاراته . . كشف مؤامرة الإخوان لاغتيال فايزة أحمد !

وحكى لوتز : « إنه دخل مرة قاعدة صواريخ للتجسس فقبض عليه الجنود وصغار الضباط (الأشراف) ، فتحداهم أن يتصلوا بصديقه الجنرال المشرف على مخابرات الصواريخ . . وتم الاتصال ، وفوجيء القوم بالجنرال على الطرف الآخر من التليفون يقول ضاحكاً للوتز ـ الأجنبي الذي ضبط يحاول التسلل لقاعدة صواريخ محظور دخولها على ضباط القيادة العامة إلا بتصريح وإجراءات أمن خاصة ـ فوجئوا بالمسئول المصري الكبير جداً يقول ضاحكاً للجاسوس : هذه المرة أوقعت نفسك في ورطة كبيرة ياصاحبي ولن يخلصك منها إلا صندوق شمبانيا مقفول » . . وأمام الضباط والجنود المذهولين رد الجاسوس : شمبانيا مصري ولا فرنساوي ؟! وصاح ممثل ثورة يوليو والذي ائتمنه عبد الناصر من بين الأربعين مليوناً على صواريخنا قائلاً : بطل تبقي يهودي . . وكان أن انصرف بالتعظيم والإجلال . . . » .

هل تذكرون محاكمات أمن الدولة للمصريين . . من خيرة شبابنا وأجلة شيوخنا يميناً ويساراً . . قارنوها بمحاكمة هذا الجاسوس اليهودي الذي ساهم في صنع هزيمتنا المذلة . . كانت معاملته أكثر من ودية ، ويقول إن صداقة قامت بينه وبين المدعي العام وأن مدعي عبد الناصر هذا طمأنه قبل المحاكمة أن رقبته في أمان !! بل وهناك واقعة غريبة بل أكثر من مريبة رواها لوتز فقد كان حريصاً خلال المحاكمة أن ينفي يهوديته لكي لا يحكم عليه بالإعدام ، وكانت السلطات المصرية متماشية مع هذا الاتجاه وقبلت رواية أنه ألماني نازي تعرض لابتزاز إسرائيلي . . الخ . . وبدا أن كل شيء على ما يرام بالنسبة للجاسوس ولإسرائيل والمتجاوبين . . وفجأة وقعت لخبطة . . المدعي العام الألماني لسبب ما أرسل للسلطات المصرية تقريراً رسمياً ـ سريا بالطبع ـ أكد فيه أن لوتز ليس كما يدعي ضابطاً نازياً بل ضابط عامل في الجيش الإسرائيلي . . فإذا بالسلطات المصرية تطلع الجاسوس على التقرير واسم مرسله ووظيفته !! ثم أشروا عليه بالحفظ ولم يعيروه اهتماماً . . واهتمت إسرائيل طبعاً بالمسكين الذي حاول تبصير عمي القلوب والضمائر . .

وهكذا قضى لوتز مدمر سلاح الصواريخ المصري وأحد صناع هزيمة يونية قضى عامين في السجن . . والشيخ فلان أمضى ١٥ عاماً لأنه في صباه حفظ سورة الأنفال . . أو خشي الفتنة على عائلة معتقل سياسي فتبرع لهم ببضعة أرغفة . .

أين شركاء لوتز . . ؟

بل أين عملاء لوتز الذين مازالوا يدافعون عن هذا العهد . . !

وأين كنت أنت ياحاج من أمن مصر القومي ولوتز يفسق فيه ؟!

أين كنت ؟

تكلم . . فالتاريخ بالمرصاد .

وأخيراً هذا البهاء ناصري شيوخ الكويت الذي خرج علينا يزعم أن إسرائيل شنت حرب ٦٧ خوفاً من مصنع صواريخ مصري !! القاهر والظافر تاني . . يامن لا تستحون !

وهذا مقال أو جزء من تحليل كارثة ١٩٦٧ كتبه مقاتل شهد المعركة الخاسرة وهو اللواء « طه المجذوب » ، وأنا أطلب من القاريء أن يسأل نفسه . . هل يمكن أن تقع كل هذه « الأخطاء » صدفة ؟! وهل يمكن إذا قبلنا قانون الصدفة ، هل يمكن وصف القيادة التي ترتكب كل هذه الأخطاء بأنها تعيش المواجهة مع إسرائيل ؟! . . وهل مر على مصر عهد كانت فيه ضائعة الوعي ، فاسدة القيادة ، تعسة الإرادة عاجزة عجزاً مطلقاً في مواجهة العدو القومي ، مثلما تدل معلومات اللواء طه المجذوب عن وضع مصر في عهد عبد الناصر ؟!

ليكن العقل هو الحكم ، وحب مصر فوق أي التزام أو ورطة أو منفعة خاصة أو حتى جريمة يخشى افتضاحها . .

قال اللواء طه المجذوب :

« لعل من أبرز الأخطاء في نكسة يونية ١٩٦٧ بل ومن أهم أسباب الهزيمة العسكرية ، افتقار القوات المسلحة المصرية في ذلك الوقت إلى وجود استراتيجية عسكرية واضحة المعالم محددة الأهداف والأبعاد والوسائل . . نابعة من استراتيجية شاملة للدولة .

وبالمقارنة العددية نتبين أن إسرائيل قد تمكنت من تعبئة حوالى ربع مليون مقاتل أي بنسبة ١١٪ من إجمالي تعداد السكان تقريباً ، بينما كان هدف التعبئة المصرية استدعاء أقل من ٨/١ مليون مقاتل من الاحتياط ، وتم فعلاً استدعاء ما يعادل ٦٠٪ فقط من الحجم المطلوب ، وكان يمثل حوالى ٠,٣٪ من إجمالي تعداد الشعب .

لقد تحركت حشود القوات إلى سيناء في مشهد غريب يمتد على الطريق بين القاهرة ومنطقة قناة السويس ، ومنها إلى جبهة سيناء . . وفي علانية كاملة لم تأخذ من إسرائيل أي جهد لكي تحس بها ثم تتبعها عيونها وتتابعها عناصر استطلاعها البرية والجوية ولترصد كافة دقائق وتفاصيل عملية الفتح والانتشار المصرية .

بذلك يمكن القول إن بذور الهزيمة كانت قد غرست مبكراً قبل أن يبدأ القتال ، بل وأثناء عملية الحشد ذاتها ، وأن القيادات السياسية والعسكرية العليا قد مهدت لهذه الهزيمة قبل أن تخوض قواتها الحرب .

لقد أوقعت هذه الأوضاع مصادر المخابرات والمعلومات الأمريكية في حيرة . . ولكنها كانت موقنة ـ وهذا ما تم إبلاغه إلى إسرائيل ـ أن أوضاع القوات المصرية في سيناء لا تنم أبداً عن وجود أية نية للهجوم .

والأمثلة كثيرة وصارخة للمعاناة التي عانتها وحدات كثيرة من فوضى التحركات . . ومن النتائج المباشرة لهذه الظاهرة أن فرقة مشاة كاملة دفعت إلى منطقة رفح ـ التي لم تكن مجهزة للقيام بأي دور دفاعي رئيسي ـ ولم تكلف هذه الفرقة بمهمة محددة سواء كانت هجومية أو دفاعية . . وظلت هذه الفرقة في مواقعها المؤقتة دون تجهيزات كافية لوقايتها إلى أن بدأ الهجوم الإسرائيلي وكانت هذه الفرقة أولى الضحايا حيث اكتسحتها المدرعات الإسرائيلية في خلال ساعات من صباح يوم ٥ يونية ١٩٦٧ ، واستشهد قائدها .

ويعتبر اللواء ١٤ مدرع من الوحدات التي تعرضت لظروف مأساوية غريبة ، حيث كانت التعليمات تصدر إليه بالتحرك يومياً منذ وصوله إلى سيناء دون هدف واضح أو مهمة محددة نتيجة لتخبط التخطيط وتغيره بين لحظة وأخرى . وظل اللواء يجوب سيناء شمالاً وجنوباً . . شرقاً وغرباً في سلسلة من التحركات وكان ذلك آخر صباح يوم ٦ يونية ، أي بعد بدء الحرب بأربع وعشرين ساعة ، وقد تحرك هذا اللواء من المحور الجنوبي إلى المحور الأوسط في هذا اليوم لكي يدخل معركة شرسة مع المدرعات الإسرائيلية في منطقة الحمة ، بعد أن قطع ١٢٠٠ كيلو متر من التحركات على جنازير الدبابات ، فأصاب أفراده الإرهاق الشديد واستهلكت معداته ودباباته في تحركات عشوائية وتظاهرات لا طائل منها . . ورغم ذلك فقد أدار هذا اللواء معركة ببسالة ، وأنزل بالمدرعات الإسرائيلية خسائر فادحة وعطل تقدمها على هذا المحور حوالى ٢٤ ساعة . . وقد جرح قائد اللواء في هذه المعركة .

أما اللواء الرابع المشاة فقصته أكثر عجباً . . كان هذا اللواء مخصصاً في الخطة الدفاعية « قاهر » للدفاع عن منطقة شرم الشيخ . . وكان من المحتم ـ بعد إغلاق مضيق تيران وبعد أن أصبحت الحرب على الأبواب ـ الإسراع بدفع هذا اللواء المجهز والمدرب على واجباته والمعد لأداء مهمته إلى منطقة شرم الشيخ لتأمينها والدفاع عنها . . ولكن في خضم التخبط العشوائي أرسلت إلى شرم الشيخ بعض وحدات المظلات .

ثم توالت التدعيات التي لم يرد ذكر لها في الخطة الأصلية . أما اللواء المخصص لهذه المهمة الحيوية فقد بعثرت وحداته الفرعية بشكل غريب . . فانتشرت كتائبه فيما بين المحور الساحلي ووسط سيناء ومنطقة الغردقة على ساحل البحر الأحمر خارج سيناء . وهكذا تم تمزيق وحدة من الوحدات العالية الكفاءة ونشرها على مسافات امتدت أكثر من ألف كيلو متر . .

وأود هنا أن أؤكد بشدة على نقطة معينة خاصة بهذه التحركات . . فلم تكن هذه التحركات تتم بناء على أفكار محلية من قيادات الجبهة . . ولكنها جاءت نتيجة لسيل من التكليفات والمهام والتعديلات التي كانت تتدفق على الجبهة من القيادة العامة بالقاهرة التي كانت هي الأخرى تنفذ تعليمات ورغبات سياسية وعسكرية تكلف بتغطيتها من القيادة السياسية والعسكرية العليا .

هذا الحشد الهائل في سيناء لم تصاحبه تعليمات صريحة بتنفيذ خطة العمليات الدفاعية

الموضوعة ، بل إن كثيراً من الوحدات صدرت لها التعليمات بالتحرك إلى أماكن مخالفة لأماكنها المحددة لها في خطة العمليات الموضوعة . . علماً بأن عملية حشد القوات في تسلسل المرحلة التنفيرية للحرب عادة ما تمثل آخر المراحل التنفيذية لخطة عمليات موضوعة وجار تنفيذها وليس أولها . ولكن يبدو أن كل الأوضاع السياسية والعسكرية في ذلك الوقت كانت تعالج في غياب الحلول المنطقية بل والحتمية .

وقد كانت القوات في سيناء ترقب ما يحدث وتتعجب له ـ وقد كنت أحد الضباط الذين شاهدوا هذه المرحلة في سيناء ، وكنت أشغل منصب رئيس أركان اللواء الثالث المدرع مع الفرقة الرابعة المدرعة ـ ودار كثير من الهمس بين القادة والضباط في سيناء حول حقيقة هذا الحشد .

وأن هذه المرحلة قد تميزت بنشاط حركي غير محدد ، إلا أنه لم يكن يعالج الموقف الحقيقي الذي بدأت قواتنا تواجهه في الجبهة ، بل كلٌ يزيده تعقيداً وإرباكاً . . دون اتخاذ الإجراءات الضرورية لتأمين هذا الحجم من القوات البرية ، وكذلك تأمين قواتنا الجوية في مطاراتها وقواعدها الجوية . . حيث لم تتخذ الإجراءات المناسبة لإعادة انتشار القوات الجوية والعمل على توفير وسائل فعالة لحمايتها في مطاراتها . . ومن الحقائق المتعلقة بالقوات الجوية وجود خطة وضعتها القوات الجوية لبناء الدشم والملاجيء اللازمة لحماية الطائرات . . ولكن لم تتح لهذه الخطة فرصة أن ترى النور لعدم توافر الاعتمادات المالية اللازمة لتنفيذها ، حيث كانت حرب اليمن تبتلع معظم ميزانية القوات المسلحة ، وذلك على حساب المطالب الحيوية لتأمين الجبهة المصرية وتأمين أرض الوطن التأمين المناسب ضد عدو كان من الواضح أنه يتربص بمصر وينتظر الفرصة الملائمة لمهاجمتها . وإن كان عدم تنفيذ هذه الخطة لا يعفي قائد القوات الجوية من مسئولية عدم اتخاذ إجراءات الدفاع الجوي السلبي الأخرى لحماية الطائرات كالانتشار والإخفاء والتمويه وأعمال إعادة التمركز . . لقد أدت هذه الأمور إلى تدمير القسم الأكبر من القوات الجوية أثناء الضربة الجوية الأولى . . ثم توالت بعد ذلك المفاجآت والمآسي .

ooo

وهكذا كانت إسرائيل قد أعدت جيشها وأصبح مستعداً لخوض الحرب بل كان متربصاً في انتظار الفرصة المناسبة . وهاهي الفرصة الذهبية قد أتت . . فكيف لإسرائيل أن تضيعها . . وقد جاءت إليها تطرق بابها ؟!

ومما زاد الطين بلة ، تلك الأوضاع القيادية الغريبة التي استحدثتها القيادة العامة أثناء تنفيذ عملية الحشد إذ صدرت تعليماتها بتشكيل قيادة ميدانية وسيطة سميت بقيادة الجبهة الشرقية ، وذلك رغم وجود القيادة الميدانية الأصلية وهي القيادة الشرقية التي أصبحت قيادة الجيش الثاني الميداني ، كانت مستعدة ومؤهلة بكامل أجهزتها لأن تتولى القيادة والسيطرة الفعلية على القوات في سيناء أي أن تمارس المهمة التي قامت من أجلها هذه القيادة والتي ظلت تمارسها سنوات طويلة قبل الحرب . وقد كلفت هذه القيادة الوسيطة بمهام قيادية وإشرافية على سير العمليات في سيناء ، وعين لها قائد برتبة كبيرة . . وقد ذكر وقتها أن هذه القيادة تعتبر قيادة أمامية أو متقدمة للقيادة العامة للقوات المسلحة . . وهو مفهوم غير سليم لمهمة القيادة المتقدمة . . التي تدفع من داخل أجهزة القيادة العامة

إلى جبهة القتال عندما يتقدم القائد العام للقوات المسلحة إلى مناطق الجبهة لمتابعة سير العمليات أو الإشراف على سيرها . ولكن ما حدث لم يكن يمثل أي شكل سليم من أشكال القيادة . . فهذه القيادة لم تكن قيادة متقدمة للقائد العام كما لم تكن قيادة جبهة . . بالإضافة إلى ذلك فإن سرعة إنشائها وتكوينها جعلتها تعاني من نقص شديد في الأجهزة اللازمة لها وفي وسائل الاتصال الضرورية لممارسة أعمال القيادة والسيطرة وحتى في وسائل تأمينها محلياً .

كان ذلك يحدث ويسبب المزيد من الارتباكات والحلقات القيادية المتداخلة خاصة بعد أن دأبت القيادة العامة بالقاهرة على إضافة المزيد من التعقيدات المربكة باتباع أساليب غير طبيعية ولا تتفق مع أصول القيادة العسكرية السليمة ، وذلك بإصدار وتوصيل أوامر كثيرة إلى القيادات المختلفة على كل المستويات الموجودة على الجبهة . . حتى وصلت القيادة العامة إلى مستوى الاتصال المباشر بقيادات التشكيلات بل والوحدات . وهكذا فقد نظام القيادة والسيطرة ـ الذي يمثل عصب القوات المسلحة ـ معالمه ومقوماته العملية وقدرته على التأثير في سير الأحداث . واختفت القنوات الطبيعية على القوات لتحل محلها عناصر دخيلة على نظام القيادة والسيطرة ، غير معروف دورها أو مسئولياتها أو سلطاتها تتدخل وتصدر الأوامر باسم القيادة العامة . . كما تفشت ظاهرة إيفاد الكثير من ضباط الاتصال إلى الجبهة وإلى التشكيلات والوحدات باعتبارهم مندوبين عن القيادة العامة . .

ولعل المثل الصارخ الذي يعكس هذه المفاهيم السياسية الأمنية ويخلط بشدة بين مسألتي الثقة والخبرة في مسائل خطيرة خاصة بالقيادة العسكرية في زمن الحرب . . هو ما حدث قبل وقوع الحرب بعشرة ايام حين اصدرت القيادة العليا للقوات المسلحة تعليمات غريبة بتغيير عدد من كبار قادة التشكيلات الميدانية باخرين ، علماً بان هؤلاء القادة المستبعدين ظلوا يقودون تشكيلاتهم لفترة طويلة وهم على دراية كاملة بخطط العمليات الموضوعة وبالمهام التي يمكن قيامهم بها . واهم هذه التغيرات : تعيين قائد لفرقة مشاة كان رئيساً لمكتب المشتروات المصري في المانيا الغربية ، كما عين رئيس اركان نفس الفرقة وكان كبيراً لمعلمي الكلية الحربية . اما قائد الفرقة الثالثة المشاة فقد استبعد وحل محله قائد الفرقة السابعة المشاة ، الذي حل محله في قيادة الفرقة السابعة قائد مدرسة المشاة (نستحلف كل مصري شريف هل هذه يمكن ان تكون تصرفات جهلة ام خبراء يعملون بلا حياء لصالح إسرائيل .ج) .

ومما لاشك فيه أن القيادة السياسية في مصر لم تكن تنوي القيام بأي عدوان على إسرائيل بالرغم من الحشود التي أرسلت إلى سيناء ، وبالرغم من إعلان قفل مدخل خليج العقبة . فخلال الأسبوعين التاليين لذلك لم تقع أية أعمال عدائية أو تحرشات عسكرية من جانب مصر رغم انسحاب قوات الطواريء الدولية ورغم مواجهة الوحدات المصرية للوحدات الإسرائيلية على طول خط الحدود .

وفي نفس اليوم الذي أعلنت مصر فيه قفل الخليج . يبدو أن القيادة العسكرية العليا أرادت أن تؤكد نواياها وأن تشعر إسرائيل بمدى الجدية التي تعنيها مصر باتخاذها هذا القرار ، مما قد يردعها عن الإقدام على أي عمل عسكري مضاد . . فأصدرت القيادة المصرية أوامرها بتحرك الفرقة الرابعة المدرعة التي تمثل الاحتياط الاستراتيجي الأخير للقيادة العامة إلى سيناء . وقد أثارت هذه التعليمات

دهشة القادة خاصة عندما تم تعديل مناطق التمركز المخصصة لوحدات الفرقة في سيناء وفقاً للخطة « قاهر » دون إبداء الأسباب أو تحديد النوايا التي تطلبت مثل هذا التعديل الذي يعني أن الفرقة لن تكون في وضع يسمح لها بتنفيذ المهام المخصصة لها من قبل ، نظراً لتغير مناطق التمركز السابق تحديدها لها . »

هذا هو الحشد الذي وصفه عبد الناصر في خطاب التنحي بأنه « تم بكفاءة شهد بها الأعداء قبل الأصدقاء » !

حقا إن الرائد لا يكذب أهله .. ولكن البكباشي فعل حتى وهو يتنحى !

« والغريب أنه رغم هذا التأكيد على بدء إسرائيل الحرب في ظرف يومين أن تجيء معلومات المخابرات في نفس اليوم ترجح عدم قيام إسرائيل بأي عمل عسكري هجومي ، نظراً « لصلابة الجبهة العربية التي ستجبر إسرائيل على تقدير العواقب المختلفة المترتبة على اندلاع الحرب » .

وبعد .. بلادنا يبعث والخونة يرتعون ويحاولون العودة باسم الناصرية ..

فبراير ١٩٨٨

** تـــم بحمـــــد الله **

الفهرست

الفصل الثالث :

في البدء جاء الأمريكان

شهادات أمريكية الثورة ـ مخابراتي أمريكي يعلم ضباطنا الوطنية ! ـ مناورات لاخفاء بداية العلاقة . تطور موقف هيكل من كوبلاند ـ وحروش من هيكل وأمريكا ـ سر الإفراج وعدم الإفراج عن الأسرار ـ علاقة هيكل وناصر ـ وثيقة رسمية أقبح من ٤ فبراير ـ عزلوا السنهوري وقتلوا البراوي . علاقة كوبلاند بناصر ـ لماذا ذهب هيكل لطهران ـ التهامي رجل عبد الناصر قبل السادات ـ سفير الثورة في أمريكا أمريكاني ـ

الفصل الرابع :

حكاية أول زعيم

أول انقلاب كان في سوريا ـ المخابرات تنفذ والخارجية تطنش !

هدف الانقلاب خط التابلاين والصلح مع إسرائيل . الزعيم وافق وإسرائيل رفضت . ضباط الـ CIA لا يقفون للزعيم ويعينون له سفراءه ! . حضور روزفلت إلى مصر ـ اللقاء مع التنظيم الناصري . فلسطين مستبعدة . واشنطن سعيدة بثورة يوليو ـ أمريكا قبلت وأقامت نظاما ديكتاتوريا في مصر ـ انفتاح نادر المثال على المخابرات الأمريكية . الكادر الناصري الذي ربته الـ CIA . المخابرات الأمريكية أقامت صوت العرب . ممثل الـ CIA هو المندوب السامي . شاهد النفي شهد بتجنيد الـ CIA لهيكل واكتشافها في ناصر عميلا من طراز الشاه . المخابرات الأمريكية علمت بحادث المنشية قبل وقوعه ! شهادة مثيرة .

الفصل الخامس :

الدبة والزعيم .. ورسالة مصطفى امين

مصطفى أمين يعترف . لماذا اعتقل . أخبار اليوم صحيفة السراي والأمريكان فأين هيكل . الثلاثي : روزفلت ـ أمين ـ هيكل . كل اللقاءات بعلم الرئيس . البوليس الدولي فكرة الـ CIA . علاقات كوبلاند مستمرة ـ دور ليكلاند في منع تدخل الانجليز ـ مصطفى أمين وخلع نجيب . سر رفض عبد الناصر تصديق نذير الحرب . فؤاد صروف ورجال الـ CIA ـ فوائد العمالة . محبة الجواسيس . لا وثائق عن ٢٣ يوليو ولا حادثة المنشية . استمرار محاربة الوفد . نجيب يستأذن السفير الأمريكي في شنق العمال . وثائق . . وثائق . . وثائق . لماذا اختفت أسماء التهامي وهيكل ومصطفى أمين من الوثائق الأمريكية ؟ الانجليز ونجيب . المكنسة مجلس الثورة يستأذن السفير الأمريكي في الاتصال بالانجليز . لندن : نجيب أحسن ! واشنطن : عبد الناصر أعظم ! من نظم اضرابات مارس . هيكل يصف مصر بالحذاء تتبادله أقدام الانجليز والأمريكان ! لماذا انهارت علاقة ناصر بأمريكا . الفرق بين التعاون الإسرائيلي مع الـ CIA والارتباط الناصري . سر الوثيقة المزعومة عن

اغتيال ناصر . المندوب الأمريكي أبلغ عبد الناصر بما دار في الاجتماع الوثيقة ! لو لم يكن عبد الناصر مرتبطا بالأمريكان لتغير مصير الشرق الأوسط . معاداة بريطانيا بعد الجلاء كانت لحساب أمريكا . هل أراد ناصر تصفية هيكل وأراد هيكل موت عبد الناصر - من هم جمهور هيكل . ابتزاز المعارضين ، لماذا رفض ناصر مقابلة أحمد بهاء الدين ١٨ سنة !

الفصل السادس :

كل القرارات لصالح إسرائيل

٣٤٥ - ٤٠٦

الضجة حول التأميم لإخفاء الهزيمة في سيناء . جهل في تعريف الحرب المحدودة . أهداف إسرائيل من عدوان ١٩٥٦ وتزييف هيكل . لماذا نسفوا الخط الانجليزي . الخيانة الكبرى في منع المواجهة العربية الشاملة . في ٥٦ أضاع عبد الناصر - عن عمد - فرصة العمر لهزيمة إسرائيل أو على الأقل فرض حل لصالح العرب . رد متهافت لهيكل على اتهامنا . عروبة مصر فجرت ودعمت الثورات ونظام عبد الناصر أثار ضدنا الثوار والنظم . استراتيجية إسرائيل التي حققها ناصر إضعاف مصر وعزلها . عداء هيكل لوادي النيل وسيناء . شبهات إسرائيلية يثيرها هيكل حول ناصر . اهتمامات ناصر وبن جوريون . ناصر واليهود يزرعون القنابل في القاهرة ! - عبد الناصر فتح قناة السويس لتجارة إسرائيل - وثائق خطيرة عن اتصال عبد الناصر بشخص داخل إسرائيل .

الفصل السابع :

انتصارات عبد الناصر وخسائر الوطن

٤٠٧ - ٥٠٠

باندونج . الحياد الذي أرادته أمريكا . لمصر لا لعبد الناصر . حلف بغداد . الأكذوبة والحقيقة . وثائق جديدة تثبت معارضة أمريكا لحلف بغداد وناصر كان ينفذ سياستها . الحملة على مشروع ايزنهاور أفادت إسرائيل . صفقة السلاح تمت بعلم وموافقة المخابرات الأمريكية . إسرائيل دفعت ناصر عمداً لشراء السلاح من روسيا - وناصر اشترى للتهدئة لا للحرب .

تصرف غريب من محمود فوزي . استراتيجية إسرائيل : فصم الارتباط المصري - الأمريكي . خرافة الإنذار . ايزنهاور يؤيد تعامل مصر مع الروس . الذين يعادون صناعة السلاح العربية . رد مطول على هويدي وصحيفة التجمع . السد العالي . انذار أمريكي من مخاطره .

وثائق . . وثائق . . وثائق عن حلف بغداد وسقوط صلاح سالم واتفاق ناصر مع الأمريكان . دور السعودية في معارك الخمسينيات . نصائح الملك سعود واستفزازات هيكل . وساطة أمريكا مقبولة وطلب السعودية مرفوض ! . من أبلغ الأمريكان بالعرض الروسي ؟!

الفصل الثامن :

روسي وأمريكي ع الدفة !

٥٠١ ـ ٥٤٨

مفاجأة عزل جلوب . فكرة التأميم . لماذا محاولات تزييف الدور الأمريكي ؟ هيكل يبدل موقفه ثلاث مرات . أمريكا بكل إمكاناتها ضد بريطانيا وفرنسا . إنذار ايزنهاور وتحرشات الأسطول السادس وعقوبات نفط ومال . هل ضلل فوزي عبد الناصر . تخبط في القاهرة . فشل في مواجهة الغزو وإصرار على رفض توقعه . فضيحة هيكل مع منظمة ايوكا . من خلع جلوب . توقعوا سقوط الزعيم بسبب السد .

الفصل التاسع :

هزيمة في المعارك ونصر في الإذاعات

٥٤٩ ـ ٦٠٢

الزعيم في عيد الميلاد وإسرائيل في سيناء . سيناء سلمت خالية لإسرائيل والجيش أُمر أن ينهزم . والطيران مُنع من توجيه ضربة العمر لمدن إسرائيل وأبناؤنا تركوا في العراء بلا حماية ولا حق أمر بالاستشهاد . منع الطيران خيانة تحتاج لألف تحقيق . الجيش أراد الحرب والزعيم منعه . ديان ينسق هجومه مع تعليمات القاهرة . بقايا جيش محطم + تدمير صفقة السلاح + احتلال سيناء + فتح خليج العقبة = أعظم نصر لمن ؟! . بطولة الشعب . بطولات جيشنا لو تركوه يقاتل . لماذا تنازل عبد الناصر لإسرائيل وكل الظروف وكل العالم معه ؟ نتائج فتح الخليج . موقف ناصر من صدقي محمود . اتهامات فتحي رضوان للزعيم .

الفصل العاشر :

عبد الناصر وإسرائيل

٦٠٣ ـ ٦٤٣

عبد الناصر جاء للصلح مع إسرائيل . من ١٩٥٢ إلى ١٩٦٧ لم يفكر النظام لحظة واحدة في مهاجمة إسرائيل . دمروا الجيش بالعزل والإفساد والإرهاب . لماذا استبقى ناصر عبد الحكيم بعد هزيمة ١٩٥٦ والانفصال ؟ ماذا فعلوا بستالين المنتصر وماذا يفعلون بالمنهزم ناصر . حذف فلسطين من برنامج هيئة التحرير ومطالبة البرنامج بالسلام مع إسرائيل . محمد نجيب يريد علاقات تجارية مع إسرائيل . ضباط الثورة أقل المصريين اهتماما بإسرائيل . اتصالات سرية مع إسرائيل . الإسرائيليون هم الذين رفضوا السلام وليس ناصر . رفض الهجوم على إسرائيل في عهد الوحدة . خطة ناصر : لا ضربات توجه لإسرائيل ! جاسوس إسرائيلي في القاهرة .

ملاحظات اللواء طه المجذوب . بلادنا باعها الخونة لليهود .

صدر للمؤلف

مصريون لا طوائف	١٩٥٠
الجبهة الشعبية	١٩٥١
قانون الأحزاب	١٩٥٢
رومي وأمريكي في اليمن	١٩٥٧
شرف المهنة	١٩٦٠
الغزو الفكري	١٩٦٤
الماركسية والغزو الفكري	١٩٦٥
القومية والغزو الفكري	١٩٦٦
الحق المر	١٩٦٦
دراسة في فكر منحل	١٩٦٦
الطريق إلى مجتمع عصري	١٩٦٧
أخطر من النكسة	١٩٦٧
النكسة والغزو الفكري	١٩٦٨
ماذا يريد الطلبة المصريون	١٩٦٨
إيلي كوهين من جديد	١٩٦٩
الجهاد ثورتنا الدائمة	١٩٦٩
الثورة الفلسطينية	١٩٧٠
طريق المسلمين للثورة الصناعية	١٩٧٠
ماذا يريد الشعب المصري	١٩٧٠
ودخلت الخيل الأزهر	١٩٧٠
النابالم الفكري	١٩٧١
كلام لمصر	١٩٧٤
مغربية الصحراء	١٩٧٥
وقيل الحمد لله	١٩٧٥
منابع ثورة مايو	١٩٧٦
السعوديون والحل الإسلامي	١٩٨٠
خواطر مسلم في المسألة الجنسية	١٩٨٤
خواطر مسلم : (الجهاد ـ الأقليات ـ الأناجيل)	١٩٨٥
كلمتي للمغفلين	١٩٨٥
إنهم يبيدون الإسلام في بلغاريا	١٩٨٥
قيام وسقوط امبراطورية النفط	١٩٨٦

رقم الايداع

١٩٨٨ / ٣٢٧٩

مطابع الزهراء للإعلام العربي
١٤ شارع الطيـــران – رابعــة العدويــــة
مدينـة نصر – ت ٦٠١٩٨٨ – ٢٦١١١٠٦
القاهرة